

الحكمة (٣٢١) وَقَالَ ع؟ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ؟ - وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ - لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَ أَرَى فَإِنْ عَصَيْتُكَ فَأَطِيعْنِي أَقُول: هكذا في (المصرية)^١ و الصواب: (فاذا عصيتك فأطعني) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^٢ و (الخطيئة) و ما يأتي من سنده.

و في (ابن ميثم) بعد قوله (لعبد الله بن عباس): (رحمه الله)^٣، و في (ابن أبي الحديد): (رضى الله عنه)^٤، و في الأول بدل (في شيء): (بشيء)^٥.

ثم إن الأصل في العنوان: أن المغيرة أشار عليه عليه السلام بإبقاء معاوية على

الشام، ثم يعزله إن شاء، حتى يستقر أمر سلطنته، فلم يقبل عليه السلام منه، ثم جاء ابن عباس فصدق رأى المغيرة و أصرّ على قبوله عليه السلام ذلك، فقال عليه السلام له ما قال.

ففي (الطبري): روى الواقدي عن هشام بن سعد، عن أبي هلال قال: قال ابن عباس: قدمت المدينة من مكة بعد قتل عثمان بخمسة أيام فجئت عليًا عليه السلام أدخل عليه، فقيل لي: عنده المغيرة. فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلم عليّ و قال لي: متى قدمت؟ فقلت: الساعة، ثم دخلت على عليّ عليه السلام فقلت له:

أخبرني عن شأن المغيرة و لم خلا بك؟ قال: جاءني بعد مقتل عثمان بيومين فقال لي: اخلني، ففعلت فقال لي: إن النصح رخيص و أنت بقيّة الناس و إني لك ناصح، و إني أشير عليك برّد عمّال عثمان عامك هذا، فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم، فإذا بايعوك و اطمأن الأمر لك عزلت من أحببت و أقررت من أحببت. فقلت له: و الله لا اداهن في ديني و لا اعطى الدنيا في أمري. فقال: فإن كنت قد أبيت عليّ فانزع من شئت و اترك معاوية فإنّ لمعاوية جرأة، و هو في أهل الشام يسمع منه، و لك حجة في إثباته كان عمر قد ولّاه الشام كلّها. فقلت له: لا و الله لا أستعمل معاوية يومين أبدا. فخرج من عندي على

^١ (١) نهج البلاغة ٣: ٢٣٠.

^٢ (٢) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٣٣ و لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٤٠٢ «فإن» أيضا.

^٣ (٣) ليست كلمة «رحمه الله» في شرح ابن ميثم ٥: ٤٠٢.

^٤ (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٣٣.

^٥ (٥) في شرح ابن ميثم ٥: ٤٠٢ «في شيء» أيضا.

ما أشار به، ثم عاد اليوم فقال لى: إني أشرت عليك بما أشرت فأبيت علىّ، ثم نظرت فى الأمر فإذا أنت مصيب، لا ينبغي لك أن تأخذ أمرى بخدعة، و لا يكون فى أمرى دلسة.

فقال ابن عباس: فقلت لعلىّ عليه السّلام: أمّا أول ما أشار به عليك فقد نصحك، و أمّا الآخر فغشّك، و أنا اشير عليك بأن تثبت معاوية، فإن بايع لك فعلىّ أن أقلعه من منزله، فقال عليه السّلام: لا و الله لا اعطيه إلّا السيف، ثم تمثل:

ما ميتة إن متّها غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غولها

فقلت: لست بأرب بالحرب، أما سمعت النبىّ صلى الله عليه و آله يقول: الحرب خدعة؟

فقال: بلى. فقلت له: أما و الله لئن أطعنتى لأصدرن بهم بعد ورد، و لأتركهم

ص: ٣

ينظرون فى دبر الامور لا يعرفون ما كان وجهها فى غير نقصان عليك و لا إثم لك. فقال: «يا بن عبّاس لست من هنياتك و هنيات معاوية فى شىء تشير علىّ و أرى فإن عصيتك فأطعنى» فقلت: أفعّل، إن أيسر ما لك عندى الطاعة^٦.

و روى خبرا عن ابن عبّاس فى قدومه من مكّة عليه عليه السّلام و عنده المغيرة، و أنّه عليه السّلام قال لابن عبّاس ما أشار عليه المغيرة أوّلا و ثانيا كالأوّل.

فقال ابن عبّاس له عليه السّلام: نصحك فى الاولى لأنك تعلم أن معاوية و أصحابه أهل دنيا، فمتى تثبتهم لا يبالون بمن ولى هذا الأمر، و متى تعزلهم يقولون: قد أخذ هذا الأمر بغير شورى، و هو قتل صاحبنا و يؤلبون عليك، فينتقض عليك أهل الشام و أهل العراق، مع أنّى لا آمن طلحة و الزبير أن يكرّا عليك.

فقال عليه السّلام له: أمّا ما ذكرت من إقرارهم، فو الله ما أشك أن ذلك خير فى عاجل الدّنيا لإصلاحها، و أمّا الذى يلزمنى من الحقّ و المعرفة بعمّال عثمان، فو الله لا اولىّ منهم أحدا أبدا، فإن أقبلوا فذلك لهم خير، و إن أدبروا بذلت لهم السيف - إلى أن قال - قال ابن عبّاس له عليه السّلام: اكتب إلى معاوية فمّنّ وعده. فأبى و قال: و الله لا كان هذا أبدا^٧.

و عبّر بمضمون الخبرين المسعودى فى (مروجه)^٨، و أمّا تبديل صاحب (الاستيعاب) ابن عبّاس بالحسن عليه السّلام، و أنّه قال لأبيه: نصحك المغيرة فى الاولى فغلط منه^٩.

ص: ٤

^٦ (١) تاريخ الطبري ٤: ٤٤٠ - ٤٤١، سنة ٣٥.

^٧ (٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٣٩ - ٤٤٠، سنة ٣٥.

^٨ (٣) مروج الذهب ٢: ٣٦٤ - ٣٦٥.

^٩ (٤) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٣٩٠ - ٣٩١.

ثمَّ شَتَّانَ بَيْنَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ بَيْنَ صَدِيقِهِمْ وَ فَارُوقِهِمْ، يَشِيرُ الْمَغِيرَةُ عَلَيْهِ نَصْحًا فَلَا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، لَكُونَهُ نَصْحًا دُنْيَوِيًّا لَا دِينِيًّا، وَ يَرْسِلَانِ إِلَى الْمَغِيرَةِ يَطْلُبَانِ مِنْهُ حِيلَةً لِاسْتِيلَاتِهِمَا عَلَى الْأَمْرِ، فَيَشِيرُ عَلَيْهِمَا بِاشْتِرَاكِ الْعَبَّاسِ. وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِيقَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ بَطْلَانُ أَمْرِ الرَّجُلَيْنِ إِلَّا هَذَا الْمَوْضِعُ، لَكَفَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ.

وَ مِنْ مُحَاجَّاتِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعَ الْمَغِيرَةِ وَ جَمَعَ آخَرُ فِي مَجْلِسٍ مَعَاوِيَّةً، مَا رَوَاهُ الْمَدَائِنِيُّ: أَنَّ الْمَغِيرَةَ قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَمَّا وَ اللَّهُ لَقَدْ أَشْرَبَ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنَّصْحِ فَآثَرَ رَأْيَهُ وَ مَضَى عَلَى غُلَوَائِهِ، فَكَانَتْ الْعَاقِبَةُ عَلَيْهِ لَا لَهُ، وَ إِنِّي لِأَحْسِبُ أَنَّ خَلْفَهُ يَقْتَدُونَ مِنْهُجِهِ.

فَقَالَ لَهُ بَنُ عَبَّاسٍ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِوُجُوهِ الرَّأْيِ وَ مَعَاقِدِ الْحُزْمِ وَ تَصَارِيفِ الْأُمُورِ، مِنْ أَنْ يَقْبَلَ مَشَاوِرَتَكَ فِي مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَ عَنَّفَ عَلَيْهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ»^{١٠}، وَ لَقَدْ وَقَفَكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ذِكْرٍ مَتِينٍ وَ آيَةٍ مَتْلُوءَةٍ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: «وَ مَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عِزْدًا»^{١١}، وَ هَلْ يَسُوغُ لَهُ أَنْ يَحْكُمَ فِي دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَ فِيءِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ لَيْسَ بِمَأْمُونٍ عِنْدَهُ وَ لَا مَوْثُوقٍ بِهِ فِي نَفْسِهِ؟ هِيَاهُ هِيَاهُ، هُوَ أَعْلَمُ بِفَرْضِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ رَسُولِهِ، أَنْ يَبْطِنَ خِلَافَ مَا يَظْهَرُ إِلَّا لِلتَّقْيَةِ وَ لَا تَحِينَ تَقْيَةً، مَعَ وَضُوحِ الْحَقِّ وَ ثُبُوتِ الْجَنَانِ وَ كَثْرَةِ الْأَنْصَارِ يَمْضِي كَالسَّيْفِ الْمَصْلُوتِ^{١٢}.

ص: ٥

١٥

الخطبة (٢١٢) و من خطبة له عليه السَّلَام:

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ - سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ - وَ الْمُصْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ فِي الدِّينِ وَ الدُّنْيَا - فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا التَّكْوِصَ عَنْ نُصْرَتِكَ - وَ الْإِبْطَاءَ عَنْ إِغْرَازِ دِينِكَ - فَإِنَّا نَسْتَشْهَدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرِ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً - وَ نَسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسْكَنَتْهُ أَرْضُكَ وَ سَمَاوَاتُكَ - ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَهُ الْمُغْنَى عَنْ نُصْرِهِ - وَ الْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ «اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ» «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مِنَ اتَّبَعَنِي»^{١٣}.

«غَيْرِ الْجَائِرَةِ» تنكيره عليه السَّلَامُ كلمة (غير) مع كونها صفة (مقالتنا) ك (العادلة)، يدلّ على عدم قبولها التعريف و مثله: «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ»^{١٤}، فهو صفة (الذين) و استعمال المتأخرين لها معرفة غلط.

«و المصلحة غير المفسدة في الدين و الدُّنْيَا» هكذا في (المصرية)^{١٥}، و الصواب: (و المصلحة في الدين و الدُّنْيَا غير المفسدة) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{١٦} و (الخطبة).

^{١٠} (١) المجادلة: ٢٢.

^{١١} (٢) الكهف: ٥١.

^{١٢} (٣) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٦: ٢٩٨ - ٣٠٣.

^{١٣} (١) يوسف: ١٠٨.

^{١٤} (٢) فاتحة الكتاب: ٧.

مقاتلته عليه السّلام: كانت الدعوة إلى الله تعالى و رسوله و الأخذ بالكتاب و السنّة، و معلوم كونها عادلة غير جائرة، لا كما فعل الأوّل في قضية خالد

ص: ٦

و تضييعه حدود الله تعالى من القصاص و حدّ الزنا في حقّه و في نظائرها، و لا كما فعل الثاني في تفضيله الأشراف و في نظائره. و واضح كونها مصلحة في الدين و الدّنيا غير مفسدة، لا كما فعل الثالث من نصبه من يصلّي بالناس الصبح أربعاً في سكره، و جعله بيت المال نهب أقاربه.

و في (خلفاء ابن قتيبة): في دعوة عدى بن حاتم الطائي قومه إلى نصرته عليه السّلام في الجمل، قال عدى لقومه: أظلكم علىّ عليه السّلام و الناس معه من المهاجرين و الأنصار، فكونوا أكثرهم عدداً، فإن هذا سبيل للحى فيه الغنى و السرور، و للقتيل فيه الحياة و الرزق.

فصاحت طى: نعم نعم حتّى كاد عدى أن يصمّ من صياحهم^{١٧}.

و فيه أيضاً: لما أقبل علىّ عليه السّلام على طى، أقبل شيخ قد هرم من الكبر فرفع له من حاجبيه فنظر إلى علىّ عليه السّلام فقال له: أنت ابن أبى طالب؟ قال: نعم، قال:

مرحبا بك و أهلاً قد جعلناك بيننا و بين الله تعالى، و الله لو أتيتنا غير مبايعين لك لنصرناك لقرابتك من النّبىّ صلّى الله عليه و آله و أيّامك الصالحة، و لئن كان ما يقال فيك من الخبر حقاً ان فى أمرك و أمر قريش لعجبا إذ أخروك و قدّموا غيرك^{١٨}.

«فأبى بعد سمعه لها إلّا النكوص» أى: الرجوع إلى العقب.

«عن نصرتك و الإبطاء» و هو ضد السرعة.

«عن إعزاز دينك» كسعد من عشرتهم و ابن عمر من أجلتهم، و جمع آخر كانوا عثمانية كحسان بن ثابت و زيد بن ثابت و كعب بن مالك و غيرهم.

و في (الطبرى): قيل لعبد الله بن الحسن كيف أبى هؤلاء بيعته عليه السّلام؟

فقال: أما حسان فكان شاعراً لا يبالي ما يصنع. و أمّا زيد بن ثابت فولّاه عثمان

ص: ٧

^{١٥} (٣) نهج البلاغة ٢: ٢١٩.

^{١٦} (٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٦٠ و لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٢٧ «فالمصلحة غير المفسدة في الدين و الدنيا» أيضاً.

^{١٧} (١) الإمامة و السياسة ١: ٥٧-٥٨.

^{١٨} (٢) المصدر نفسه ١: ٥٨.

الديوان و بيت المال فلمّا حصر عثمان قال: يا معشر الأنصار كونوا أنصار الله مرتين. فقال له أبو أيوب: ما تنصره إلّا أنّه أكثر لك من العُضدان. و أمّا كعب بن مالك فاستعمله عثمان على صدقة مزينة و ترك ما أخذ منهم له^{١٩}.

«فانا نستشهدك عليه بأكبر الشاهدين شهادة» هكذا في (المصرية):

(بأكبر)^{٢٠} و الصواب: (يا أكبر) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{٢١} و (الخطيئة)، و لأنّ الاستشهاد على الله بأكبر الشاهدين يقتضى أن يكون الأكبر شهادة غيره، مع أنّه تعالى أكبر شهادة «قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ»^{٢٢}.

«و نستشهد عليه جميع من أسكنته أرضك و سماواتك» أي: الملائكة و الجنّ و الإنس، بأنّه سمع و امتنع.

«ثم أنت بعده» هكذا في (المصرية)^{٢٣}، و الصواب: (بعد) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{٢٤} و (الخطيئة).

«المغنى عن نصره» «إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ»^{٢٥}.

«و الآخذ له بذنبه» «إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَ لَا تَنْصُرُوهُ شَيْئًا»^{٢٦}.

و في (خلفاء ابن قتيبة): قال علىّ عليه السّلام في خطبته: و قد فارقكم مصقلة بن

ص: ٨

هبيّرة فأثر الدّنيا على الآخرة و فارقكم بسر بن أرطاة فأصبح ثقیل الظهر من الدماء، مفتضح البطن من المال، و فارقكم زيد بن عدی بن حاتم فأصبح يسأل الرجعة^{٢٧}.

هذا و مر في (١٤) من فصل عثمان قوله عليه السّلام: «و إنّ العامّة لم تبايعني لسلطان غالب و لا لعرض حاضر...»^{٢٨}.

ص: ٩

الفصل الواحد و الثلاثون في الجمل و هم الناكثون

^{١٩} (١) تاريخ الطبري ٤: ٤٣٠، سنة ٣٥.

^{٢٠} (٢) نهج البلاغة ٢: ٢١٩.

^{٢١} (٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٦٠ و لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٢٧ «بأكبر» أيضا.

^{٢٢} (٤) الأنعام: ١٩.

^{٢٣} (٥) نهج البلاغة ٢: ٢١٩.

^{٢٤} (٦) في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٦٠، و شرح ابن ميثم ٤: ٢٧ «بعده» أيضا.

^{٢٥} (٧) التوبة: ٤٠.

^{٢٦} (٨) التوبة: ٣٩.

^{٢٧} (١) الإمامة و السياسة ١: ١١٤.

^{٢٨} (٢) نهج البلاغة ٣: ١٢٢ الكتاب ٥٤.

ص: ١١

يأتي في (١٠) فصل المارقين أخبار في أمر النبي صلى الله عليه وآله له عليه السلام بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين.

و في (إيضاح الفضل): و رويتم عن أبي الفضل، عن زيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث قال: سمعت أم هاني بنت أبي طالب تقول: لقد علم من جرت عليه المواسي من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أن أصحاب الجمل ملعونون على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله و قد خاب من افتري^{٢٩}.

١

الحكمة (١٠٧) و قال عليه السلام:

رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ وَ عِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ أَقُولُ: قاله عليه السلام في طلحة و الزبير فإنهما كانا عالمين بأنه عليه السلام على الحق، و أنهما على الباطل و مع ذلك قاتلاه فقتلتهما جهلهما الناشيء عن حب الدنيا

ص: ١٢

و الحرص على الإمامة و لم يغن علمهما - بكونه عليه السلام على الحق - عنهما شيئا.

رواه أبو مخنف في (جملة أبو مخنف - الجمل-) و رواه (الإرشاد الشيخ المفيد - الإرشاد- ج ١ ص ٢٤٦ و ٢٤٧-) و في الأول: لما سار الزبير و طلحة من مكة و معهما عايشة يريدون البصرة خطب علي عليه السلام فقال:

أيها الناس إن عايشة سارت إلى البصرة و معها طلحة و الزبير، و كل منهما يرى الأمر له دون صاحبه، أما طلحة فابن عمها، و أما الزبير فختنها، و الله لو ظفروا بما أرادوا- و لن ينالوا ذلك أبدا- ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد- و الله إن راكبة الجمل ما تقطع عقبه و لا تحل عقده إلا في معصية الله و سخطه، حتى تورد نفسها و من معها موارد الهلكة. أي و الله ليقتلن ثلثهم و ليهربن ثلثهم و ليتوين ثلثهم، و إنها التي تنبجها كلاب الحوآب، و إنهما ليعلمان أنهما مخطئان، و رب عالم قتلته جهله و معه علمه لا ينفعه.

حسبنا الله و نعم الوكيل، فقد قامت الفئة الباغية فأين المحتسبون؟^{٣٠}

و رواه الثاني مثله لكن فيه بدل قوله: (أما طلحة فابن عمها، و أما الزبير فختنها: «لا يدعى طلحة الخلافة إلا أنه ابن عم عايشة و لا يدعى الزبير إلا أنه صهر أبيها»^{٣١}، و هو جزء الآتي كما يأتي.

^{٢٩} (١) الإيضاح: ٨٢-٨٤.

^{٣٠} (١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد- شرح نهج البلاغة- ج ١ ص ٢٣٣: ٢٣٣.

^{٣١} (٢) الإرشاد ١: ٢٤٦-٢٤٧، بحار الأنوار ٣٢: ١١٢-١١٣.

و لم يتفطن ابن أبي الحديد و ابن ميثم للمراد، فتوهم الأول أن المراد بالقتل الظاهري فقال: جرى مثل ذلك لابن المقفع و فضله مشهور، فقتله المنصور لما كتب كتاب أمان لعمه عبد الله بن علي بأنه إن غدر بعمه، فنساؤه طوالق و الناس في حل من بيعته^{٣٢}.

و توهم الثاني أنه عليه السلام أراد بالعلم علما لا نفع فيه، كعلم السحر

ص: ١٣

و النيرنجات و علوم صناعية، و بالجهل الجهل بالشرايع^{٣٣}، و كل منهما نفخ في غير ضرام.

و من الغريب أن الأول نقل رواية (جمل أبي مخنف) عند قوله عليه السلام في الزبير: (يزعم أنه بايع بيده)^{٣٤} بلا مناسبة و هنا غفل رأسا.

ثم إنه عليه السلام و إن قال الكلام في الناكثين، إلا أنه يجري في القاسطين و المارقين و في الثلاثة المتقدمين عليه، و قد عبر بمعنى الكلام للجميع في الشقشقية، في قوله عليه السلام بعد ذكرهم: «كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ حَيْثَ يَقُولُ «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»^{٣٥}، بلى و الله لقد سمعوها و لكن حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها»^{٣٦}.

و قد قال عليه السلام قريبا من هذا الكلام في كعب بن سور قاضى البصرة، لما مر عليه السلام به قتيلا في أهل الجمل، فروى أبو مخنف في (جمله) عن الأصبع قال:

لما انهزم أهل البصرة ركب على عليه السلام بغلة النبي صلى الله عليه و آله الشهباء - و كانت باقية عنده - و سار في القتلى يستعرضهم فمر بكعب بن سور قاضى البصرة و هو قتيل، فقال: أجلسوه فأجلس فقال: «ويل أمك كعب بن سور - لقد كان لك علم لو نفعك و لكن الشيطان أضلك فأزلك فعجلك إلى النار - أرسلوه»^{٣٧}.

هذا و عدّ (فهرست الشيخ) في مصنفات حيدر بن محمد بن نعيم تلميذ

ص: ١٤

العباشي، كتاب تنبيه عالم قتله علمه الذي هو معه^{٣٨}.

^{٣٢} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٦٩.

^{٣٣} (١) شرح ابن ميثم ٥: ٢٩٥.

^{٣٤} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٣٣ عند شرح الخطبة ٨.

^{٣٥} (٣) القصص: ٨٣.

^{٣٦} (٤) نهج البلاغة ١: ٣١ الخطبة ٣.

^{٣٧} (٥) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١: ٢٤٨.

^{٣٨} (١) الطوسي: الفهرست، ص ٦٤، رقم ٢٤٩ بمنشورات المكتبة المرتضوية، النجف.

و فى (عيون القتيبي): كتب كسرى إلى بزرجمهر و هو فى الحبس: كان ثمرة علمك أن صرت بها أهلاً للحبس و القتل. فكتب إليه بزرجمهر: أمّا ما كان مع الجدّ فقد كنت أنتفع بثمره العلم، فالآن إذ لا جد صرت أنتفع بثمره الصبر، مع أنّي إن كنت فقدت كثير الخير فقد استرحت من كثير الشر^{٣٩}.

و فى (الأغانى): كان لإبراهيم بن العباس الصولى الشاعر قينة كان يهواها، فغضبت عليه فقال فيها:

و علّمكم صبرى على ظلمكم ظلمى

و علّمتنى كيف الهوى و جهلته

هواى إلى جهل فأقصر عن علمى^{٤٠}

و أعلم مالى عندكم فيردّنى

و لبعضهم:

لا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة، يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم^{٤١}.

٢

الخطبة (١٤٨) و من كلام له عليه السلام فى ذكر أهل البصرة:

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ - وَ يُعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ - لَا يَمْتَنُّ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ - وَ لَا يَمْدَانُ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ - كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ - وَ عَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ - وَ اللَّهُ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ - لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا - وَ لَيَأْتِيَنَّ هَذَا

ص: ١٥

عَلَى هَذَا - قَدْ قَامَتِ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ - فَقَدْ سَنَتْ لَهُمُ السُّنَنُ وَ قُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ - وَ لِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ وَ لِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ - وَ اللَّهُ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ الدِّم - يَسْمَعُ النَّاعِي وَ يَحْضُرُ الْبَاكِي ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ أَقُول: قد عرفت فى سابقة أن الأصل فيهما واحد رواهما أبو مخنف ١ أبو مخنف - الجمل -^{٤٢} و المفيد الشيخ المفيد - الإرشاد - ج ١ ص ٢٤٦ و ٢٤٧^{٤٣}، و غفل ابن أبي الحديد هنا كما غفل ثمة، و إنما نقل رواية أبي مخنف عند قوله عليه السلام: (يزعم أنه بايع بيده)^{٤٤}، و هى: أيها الناس إن عايشة سارت إلى البصرة معها طلحة و الزبير و كل منهما يرى الأمر له دون صاحبه.

^{٣٩} (٢) عيون الأخبار ٢: ١٢٦.

^{٤٠} (٣) الأغاني ١٠: ٦٠.

^{٤١} (٤) عيون الأخبار ٢: ١٢٥.

^{٤٢} (١) نقله عنه ابن أبي الحديد فى شرح النهج ٢ ابن أبي الحديد- شرح نهج البلاغة- ج ١ ص ٢٣٣: ٢٣٣.

^{٤٣} (٢) الإرشاد ١: ٢٤٦-٢٤٧، بحار الأنوار ٣٢: ١١٢-١١٣.

^{٤٤} (٣) نهج البلاغة ١: ٣٨، الخطبة ٨.

أما طلحة فابن عمّها، و أما الزبير فختنها و الله لو ظفروا بما أرادوا- و لن ينالوا ذلك أبدا- ليضربنّ أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد، و الله إنّ رابكة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة و لا تحل عقدة إلّا فى معصية الله و سخطه، حتى تورّد نفسها و من معها موارد الهلكة، أى و الله ليقتلنّ ثلثهم و ليهربنّ ثلثهم و ليتوبنّ ثلثهم، و إنّها التى تنبّحها كلاب الحوآب، و إنّهما ليعلمان أنّهما مخطئان، و ربّ عالم قتله جهله و معه علمه لا ينفعه، حسبنا الله و نعم الوكيل، فقد قامت الفتنة، فيها الفتنة الباغية، أين المحتسبون أين المؤمنون، مالى و لقريش أما و الله لقد قتلتهم كافرين و لأقتلنهم مفتونين، و ما لنا إلى عايشة من ذنب إلّا أنّا أدخلناها فى حيزنا، و الله لأبقرن الباطل حتّى يظهر الحقّ من خاصرته، فقل لقريش فلتضجّ ضجيجها^{٤٥}.

ص: ١٦

و مثله (الإرشاد) مع اختلاف يسير^{٤٦}.

قول المصنف «و من كلام له عليه السّلام» هكذا فى (المصرية)^{٤٧} و مثله فى (ابن ميثم)^{٤٨} و لكن فى (ابن أبى الحديد)^{٤٩} و (الخطية): «و من خطبة له عليه السّلام».

«فى ذكر أهل البصرة» كان عليه أن يقول (فى طلحة و الزبير لما سارا إلى البصرة) فإنّ المنصرف من أهل البصرة أهلها الأصليون و ليس الكلام فيهم بل فيهما.

قوله عليه السّلام «كلّ واحد منهما يرجو الأمر له و يعطفه عليه دون صاحبه» فى (الطبرى): أذن مروان حين فصل من مكّة، ثمّ جاء حتى وقف على طلحة و الزبير فقال: أيكما أسلم عليه بالامرّة و اوزنه بالصلاة، فقال عبد الله بن الزبير على أبى عبد الله، و قال محمّد بن طلحة على أبى محمّد، فأرسلت عايشة إلى مروان: مالك تريد أن تفرّق أمرنا ليصلّ ابن اختى، فكان يصلّى بهم ابن الزبير حتّى قدموا البصرة، فكان معاذ بن عبيد الله يقول: و الله لو ظفرنا لافتتنا ما خلى الزبير بين طلحة و الأمر و لا خلى طلحة بين الزبير و الأمر^{٥٠}.

و فى (المروج): تشاحّ طلحة و الزبير فى الصلاة بالناس فى البصرة، ثمّ اتّفقا على أن يصلّى ابن الزبير يوما و ابن طلحة يوما فى خطب طويل كان بين طلحة و الزبير، و جذب صاحبه حتّى فات وقت الصلاة، و صاح الناس:

الصلاة الصلاة يا أصحاب محمّد^{٥١}.

ص: ١٧

^{٤٥} (٤) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٣٣.

^{٤٦} (١) الإرشاد ١: ٢٤٦-٢٤٧.

^{٤٧} (٢) نهج البلاغة ٢: ٤٤.

^{٤٨} (٣) شرح ابن ميثم ٣: ٢٠٥.

^{٤٩} (٤) فى شرح ابن أبى الحديد ٩: ١٠٩ «من كلام له عليه السّلام» أيضا.

^{٥٠} (٥) تاريخ الطبرى ٤: ٤٥٤-٤٥٥، سنة ٣٦.

^{٥١} (٦) مروج الذهب ٢: ٣٦٧.

و فى (جمل أبى مخنف): لمّا صفت البصرة لطلحة و الزبير بعد قتل حكيم بن جبلة و أصحابه، و طرد عثمان بن حنيف عنها، اختلفا فى الصلاة و أراد كل منهما أن يؤمّ بالنّاس و خاف أن تكون صلاته خلف صاحبه تسليما و رضى بتقدمه، فأصلحت عايشة بينهما^{٥٢}.

و فى (جمل المفيد) نقلا عن ابن دأب و أبى مخنف و الواقدى و المدائنى:

أنّ طلحة و الزبير لمّا ظفرا فى البصرة بعثمان بن حنيف و حكيم بن جبلة، نزلا دار الإمارة فقدمت عايشة و حملت مالا من بيت المال لتفرّقه على أنصارها، فدخل عليها طلحة و الزبير فى طائفة معهما و احتملا منه شيئا كثيرا، فلمّا خرجا نصبا على أبوابه الأقفال و وكلا به من قبلهما قوما، فأمرت عايشة بختمه فبدر طلحة ليختمه فمنعه الزبير، و أراد الزبير أن يختمه فتدافعا، فبلغ ذلك عايشة فقالت: يختمها عنى ابن اختى عبد الله فنختم يومئذ بثلاثة ختم^{٥٣}.

«لا يمتّان» أى: لا يتوسلان.

«إلى الله بحبل و لا يمدّان إليه بسبب» أى: توصل.

فى (الطبرى) عن عوف الأعرابى قال: جاء رجل إلى طلحة و الزبير و هما فى المسجد بالبصرة فقال: نشدتكما بالله فى مسيركما أعهد النبىّ صلى الله عليه و آله إليكما فيه شيئا؟ فقام طلحة و لم يجبه، فناشد الزبير فقال: لا، و لكن بلغنا أن عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها^{٥٤}.

و عن الزهرى: أنّ طلحة و الزبير قاما خطيبين فقالا: يا أهل البصرة توبة بحوبة إنّما أردنا أن نستعتب عثمان و لم نرد قتله، فغلب سفهاء النّاس العلماء

ص: ١٨

حتى قتلوه. فقال النّاس لطلحة: قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا. فقال لهم الزبير:

فهل جاءكم منى كتاب فى شأنه؟ ثمّ ذكر قتل عثمان و ما أتى إليه و أظهر عيب علىّ عليه السّلام، فقام إليه رجل من عبد القيس فقال: أيّها الرجل انصت حتى نتكلّم، فقال له ابن الزبير: مالك و للكلام. فقال الرجل: يا معشر المهاجرين أنتم أوّل من أجاب النبىّ صلى الله عليه و آله فكان لكم بذلك فضل، ثمّ دخل النّاس فى الإسلام كما دخلتم، فلمّا توفى النبىّ صلى الله عليه و آله بايعتم رجلا منكم و الله ما استأمرتمونا فى شيء من ذلك فرضينا، ثمّ أنكرتم من عثمان فقتلتموه عن غير مشورة منا، ثمّ بايعتم عليّا عن غير مشورة، فما الذى نقيم عليه فنقاتله، هل استأثر بفىء، أو عمل بغير الحق، أو عمل شيئا تنكرونه

^{٥٢} (١) قريب منه ما فى الجمل للمفيد: ٢٨١-٢٨٢، تاريخ يعقوبى ٢: ١٨١، تاريخ الطبرى ٤: ٤٦٨، سنة ٣٦.

^{٥٣} (٢) الجمل للمفيد: ٢٨٤.

^{٥٤} (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٤٧٥، سنة ٣٦.

فنكون معكم عليه؟ وإلا فما هذا- فهموا بقتل ذلك الرجل، فقام من دونه عشيرته- فلما كان الغد و ثبوا عليه و على من كان معه فقتلوا سبعين رجلاً^{٥٥}.

«كل واحد منهم حامل ضب» فى (الأساس): (فى قلبه ضبّ) أى: غل داخل كالضب الممعن فى جحره.

قال سابق البربرى:

و لا تك ذا وجهين يبدى بشاشة
و فى صدره ضبّ من الغلّ كامن^{٥٦}

«لصاحبه و عمّا قليل يكشف قناعه به» أى: عنه، و أهل الدّنيا كلّهم كذلك، و اصطلاحهم فى الظاهر إنّما هو من حيث أنّ الدّنيا محبوبه جميعهم، فى قبال مبغضيهها. و أمّا هم فى أنفسهم و تراحمهم عليها فيتهارشون كل مع الآخر حال الكلاب و الجيفة.

«و الله لئن أصابوا الذى يريدون» أى: من نبيل الإمارة، و قد عرفت من رواية

ص: ١٩

أبى مخنف أنّه عليه السّلام أخبر بعدم نيلهما ذلك، كما أخبر عليه السّلام بقتل ثلث أهل الجمل و هرب ثلثهم و توبة ثلثهم.

«لينزعن هذا نفس هذا و ليأتين هذا على نفس هذا» قد عرفت أنّ رواية أبى مخنف بدله بقوله: (ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد).

و كذلك أهل الدّنيا فى كل عصر، فانتزع عبد الملك بن مروان لما نال الأمر نفس عمرو بن سعيد الأشدق و ذبحه بيده، و انتزع منصور الدوانيقى نفس أبى مسلم الخراسانى، و قتل المأمون الأمين. قال هارون لرجل: ما عندك فى ما كان من العهد الذى عهدت إلى ولاء العهد؟ فاستغفاه فلم يعفه. فقال:

رأيتك قد أخذت ثلاثة أسياف مشحودة فجعلتها فى غمد واحد.

و روى (أمالى الشيخ) عن الصادق عليه السّلام: أنّ إيتلاف قلوب الأبرار إذا التقوا و إن لم يظهروا التودّد بالسنتهم كسرعة اختلاط قطر السماء على مياه الأنهار، و إنّ بعد إيتلاف قلوب الفجّار إذا التقوا و إن أظهروا التودّد بالسنتهم، كبعد البهائم من التعاطف و إن طال اعتلافها على مذود واحد^{٥٧}.

^{٥٥} (١) تاريخ الطبري ٤: ٤٦٩- ٤٧٠، سنة ٣٦.

^{٥٦} (٢) أساس البلاغة: ٢٦٥، مادة: (ضبيب).

^{٥٧} (١) الأمالى للشيخ الطوسي رحمه الله ٢: ٢٥- ٢٦، بحار الأنوار ٧٤: ٢٨١.

«قد قامت الفتنة الباغية» التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وآله.

«فأين المحتسبون» في جهادهم.

«فقد» هكذا في (المصرية)^{٥٨}، ولكن في (ابن ميثم)^{٥٩}: (وقد) وفي (ابن أبي الحديد)^{٦٠} و (الخطبة): (قد).

«سنت لهم السنن» في حرب الناكثين.

«وقدم لهم الخبر» في (الطبري) عن أبي عمرة مولى الزبير قال: لما

ص: ٢٠

بايعهما أهل البصرة قال الزبير: ألا ألف فارس أسير بهم إلى عليّ، فأما بيته وأما صبحته لعلّي أقتله قبل أن يصل إلينا. فلم يجبه أحد فقال: إن هذه الهى الفتنة التي كنّا نحدّث عنها، فقال له موله: أ تسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال:

ويحك إنا نبصر ولا نصبر^{٦١}.

و في (جمل المفيد): روى عبد الله بن رباح مولى الأنصار عن عبد الله بن زياد مولى عثمان قال: خرج عمّار يوم الجمل إلينا فقال: يا هؤلاء على أى شيء تقاتلون؟ فقلنا: على أنّ عثمان قتل مؤمنا، فقال: نحن نقاتلكم على أنّه قتل كافرا. وقال: والله لو ضربتمونا حتّى نبلغ سعفات هجر، إنا على الحقّ وإنكم على الباطل. وقال: ما نزل تأويل هذه الآية «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ»^{٦٢} ألا اليوم^{٦٣}.

«و لكل ضلّة علة و لكل ناكث شبهة» يعنى و أمّا طلحة و الزبير فلا علة لضلّتهم بقتالهم معه عليه السّلام، و لا شبهة لهما فى نكث بيعته عليه السّلام، فعلة ضلّتهم كانت طلب دم عثمان و هم كانوا قاتليه، و قد عرفت أنّ الرجل العبدى قال لطلحة: جاءت كتبك بقتل عثمان، و سبب نكثهم كان عدم توليتهم الولايات، و ليس هو شبهة و إنّما تكون شبهة لو كان أمكنهم ادّعاء وقوع خلاف شرع منه عليه السّلام.

و روى (أمالى المفيد): عن أبى عثمان مؤذن بنى اقصى أنّه سمع عليّا عليه السّلام حين خرج طلحة و الزبير لقتاله تلا هذه الآية «وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَلِئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ»

ص: ٢١

^{٥٨} (٢) نهج البلاغة ٢: ٤٤.

^{٥٩} (٣) في شرح ابن ميثم ٣: ٢٠٥ «فقد» أيضا.

^{٦٠} (٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٠٩.

^{٦١} (١) تاريخ الطبري ٤: ٤٧٥-٤٧٦، سنة ٣٦.

^{٦٢} (٢) الجمل للمفيد: ٣٦٦، و الآية ٥٤ من سورة المائدة.

«لَهُمْ لَعَلَهُمْ يَنْتَهُونَ»^{٦٣}.

«و الله لا أكون كمستمع الدم» فى (الصحاح) لدمت المرأة وجهها أى:

ضربته، و التدام النساء: ضربهن صدورهن فى النياحة^{٦٤}.

«يسمع الناعى» و هو الذى يأتى بخبر الميِّت.

«و يحضر الباكي» و المراد أنى لا اساهل فى أمر طلحة و الزبير، اخليهما و إفساد البلاد.

و قال الشاعر:

و لست كمن يرضى بما غيره الرضا
و يمسح رأس الذئب و الذئب آكله

و قال ابن أبى الحديد فى معنى قوله عليه السّلام: (و الله) - إلى - مستمع الدم:

كناية عن الضبع تسمع وقع الحجر بباب حجرها من يد الصائد، فتنخذل و تكف جوارحها إليها حتى يدخل عليها فيربطها، يعنى لا أكون مقرأً بالضم أسمع الناعى المخبر عن قتل عسكر الجمل، حكيم بن جبلة و أتباعه، فلا يكون عندى من التغير و الإنكار لذلك، إلّا أن أسمع و أحضر الباكين على قتلاهم^{٦٥}.

و تبعه الخوئى^{٦٦}.

و قال ابن ميثم: أقسم عليه السّلام أنّه لا يكون معهم كمن يسمع الضرب و البكاء، الذى هو مظنة الخطر، ثم لا يصدق حتّى يجيء لمشاهدة الحال و يحضر الباكي، و قد كان الأولى أن يكتفى بذلك السماع و يأخذ فى الاستعداد للعدوّ و الهرب منه^{٦٧}.

ص: ٢٢

قلت: و هما كما ترى، أما قول ابن أبى الحديد: فلم يقل أحد ان مستمع الدم كناية عن الضبع، و إنّما قالوا: إنّ الضبع تسمع الدم، أى: الصوت فتخرج فتصاد.

^{٦٣} (١) الأمالى للمفيد رحمه الله: ٧٣، و الآية ١٢ من سورة التوبة.

^{٦٤} (٢) الصحاح ٥: ٢٠٢٨ - ٢٠٢٩، مادة: (دم).

^{٦٥} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٩: ١٠٩ - ١١٠.

^{٦٦} (٤) منهاج البراعة ٩: ١٠٩.

^{٦٧} (٥) شرح ابن ميثم ٣: ٢٠٧.

ففى (الصحيح) قال الأصمعى: اللدم صوت الحجر، أو الشيء يقع بالأرض و ليس بالصوت الشديد.

و فى الحديث: و الله لا أكون مثل الضبع تسمع اللدم حتى تخرج فتصاد...^{٦٨}، و أين هو ممّا قال و إنّما اللدم هنا ضرب المرأة وجهها و صدرها فى النباحة كما مر، و يشهد له قوله: «يسمع الناعى و يحضر الباكي». و أى ربط لسماع الناعى و حضور الباكي بالضبع؟! كما أنّ تفسيره (يسمع الناعى) بسماعه خبر قتل عسكر الجمل حكيم بن جبلة^{٦٩} من أين قاله؟ مع أنّ الأصل فى (الخطبة) كما عرفت من رواية أبى مخنف و المفيد كان عند شخوص أصحاب الجمل من مكة قبل وصولهم إلى البصرة، و قتلهم لحكيم كان بعد وصولهم إلى البصرة، اللهمّ إلّا أن يقال إنّ قوله عليه السّلام «و الله...» لم يكن من الروايتين، و إنّما أخذه الرضى من موضع آخر، حيث إنّ دأبه الجمع بين مختلفات موضوع من مواضع، و لعلّه لذا قال فى عنوانه: «فى ذكر أهل البصرة».

و أيضا قوله: «يسمع الناعى و يحضر الباكي» على سياق واحد، فكيف فسّرهما بما قال من إنّ يسمع الناعى بقتل أصحابه، فلا يكون عنده إنكار إلّا أن يحضر الباكي^{٧٠}.

ص: ٢٣

و أمّا ما ذكره ابن ميثم: فاللفظ أيضا قاصر عن إفادته مع أنّه غير السياق أيضا.

«ثم لا يعتبر» هكذا فى (المصرية)^{٧١}، و ليس هذا الكلام فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)^{٧٢} رأسا، و الظاهر أنّه كان حاشية أخذت من قول ابن أبى الحديد فى ما مرّ فى تفسيره ما قبله: «فلا يكون عندى من التغير...» و خلطت بالمتن.

٣

الخطبة (٦) و من كلام له عليه السّلام لما اشير عليه بالآ يتبع طلحة و الزبير و لا يرصد لهما القتال:

و الله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم - حتّى يصل إليها طائها و يختلها راصدها - و لكنّى أضرب بالمقبيل إلى الحقّ المذبر عنه - و بالسّامع المطيع العاصى المرّيب أبدا - حتّى يأتى على يومى قول المصنف: «لما اشير عليه عليه السّلام بالآ يتبع طلحة و الزبير و لا يرصد لهما القتال» اختلف فى المشير عليه بذلك، فروت العامة كونه ابنه الحسن عليه السّلام، و روت الخاصة كونه اسامة.

أما الأوّل، فقال ابن أبى الحديد: خرج طارق بن شهاب الأحمسى يستقبل عليّا عليه السّلام و قد صار بالربذة طالبا عايشة و أصحابها. قال طارق فقلت فى نفسى: أفاقاتل أمّ المؤمنين و حوارى النبى صلى الله عليه و آله إنّ هذا لعظيم! ثم قلت:

^{٦٨} (١) الصحيح ٥: ٢٠٢٨، مادة: (لدم).

^{٦٩} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٩: ١١٠.

^{٧٠} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٩: ١٠٩ - ١١٠، و النقل بتصرّف.

^{٧١} (١) نهج البلاغة ٢: ٤٤.

^{٧٢} (٢) كذا فى شرح ابن ميثم ٣: ٢٠٥ و لكن فى شرح ابن أبى الحديد ٩: ١٠٩ «ثم لا يعتبر» أيضا.

أَدْعَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَابْنَ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَوَصِيَّهُ هَذَا

ص: ٢٤

عَظِيمًا! ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّةَ الْقَوْمِ وَقِصَّتَهُ، فَجَاءَ الْحَسَنُ ابْنَهُ فَبَكَى بَيْنَ يَدَيْهِ. قَالَ: مَا بَالُكَ؟ قَالَ: أَبْكَى لِقَتْلِكَ غَدًا بِمَضِيعَةٍ وَلَا نَاصِرَ لَكَ، أَمَّا إِنِّي أَمَرْتُكَ فَعَصَيْتَنِي، ثُمَّ أَمَرْتُكَ فَعَصَيْتَنِي. فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَزَالُ تَحْنُ حَنِينَ الْأُمَّةِ، مَا الَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ فَعَصَيْتَكَ؟ قَالَ: أَمَرْتُكَ حِينَ أَحَاطَ النَّاسُ بِعَثْمَانَ أَنْ تَعْتَزَلَ، فَإِنَّ النَّاسَ إِذَا قَتَلُوهُ طَلَبُوكَ أَيْنَمَا كُنْتَ حَتَّى يَبَايَعُوكَ فَلَمْ تَفْعَلْ، ثُمَّ أَمَرْتُكَ لَمَّا قَتَلَ عَثْمَانَ أَلَّا تَوَافِقَهُمْ عَلَى الْبَيْعَةِ حَتَّى يَجْتَمَعَ النَّاسُ وَيَأْتِيَكَ وَفُودُ الْعَرَبِ فَلَمْ تَفْعَلْ، ثُمَّ خَالَفَكَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَأَمَرْتُكَ أَلَّا تَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنْ تَدْعَهُمْ وَشَأْنَهُمْ، فَإِنْ اجْتَمَعَتْ عَلَيْكَ الْأُمَّةُ فَذَاكَ وَإِلَّا رَضِيتَ بِقَضَائِهِ.

فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ تَنَامَ عَلَى الدَّمِ حَتَّى يَدْخُلَ إِلَيْهَا طَالِبًا فَيُعْلِقَ الْحَبْلَ بِرِجْلِهَا وَيَقُولَ لَهَا دَبَابُ دَبَابٍ حَتَّى يَقْطَعَ عِرْقُوبَهَا- إِلَى آخِرِ الْفَصْلِ-٧٣.

وَكَانَ طَارِقُ يَبْكِي إِذَا ذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ. وَنَسَبَ إِلَى (أَمَالِي الْمَفِيدِ) رَوَايَتَهُ عَنْ طَارِقِ الْخَبَرِ وَلَكِنْ لَمْ أُتَحَقِّقْهُ^{٧٣}.

وَرَوَاهُ سَيْفٌ كَمَا فِي (الطَّبْرِيِّ) عَنْ طَارِقٍ مِثْلَهُ، لَكِنْ فِيهِ فَقَالَ عَلِيٌّ: أَيُّ بَنِي أُمِّ قَوْلِكَ لَوْ خَرَجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ حِينَ أَحِيطَ بِعَثْمَانَ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَحِيطَ بِنَا كَمَا أَحِيطَ بِهِ، وَأَمَّا قَوْلُكَ لَا تَبَايِعْ حَتَّى يَأْتِيَ بَيْعَةُ الْأَمْصَارِ، فَإِنَّ الْأَمْرَ أَمْرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَكَرْهِنَا أَنْ يَضِيعَ هَذَا الْأَمْرُ، وَأَمَّا قَوْلُكَ حِينَ خَرَجَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ وَهْنَا عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَقْهُورًا مَذْلُومًا وَلَيْتَ مَنَقُوصًا لَا أَصِلُ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا يَنْبَغِي، وَأَمَّا قَوْلُكَ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ، فَكَيْفَ لِي بِمَا قَدْ لَزَمَنِي،

ص: ٢٥

أَوْ مِنْ تَرِيدَنِي؟ أَتُرِيدُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ الضَّبْعِ الَّتِي يَحَاطُّ بِهَا وَيَقَالُ دَبَابُ دَبَابٍ لَيْسَتْ هَاهُنَا حَتَّى يَحِلَّ عِرْقُوبَاهَا ثُمَّ تَخْرُجُ. وَإِذَا لَمْ أَنْظُرْ فِيمَا لَزَمَنِي مِنْ هَذَا الْأَمْرِ وَيَعْنِينِي فَمَنْ يَنْظُرُ فِيهِ^{٧٤}؟

وَرَوَى الطَّبْرِيُّ عَنِ الْعُرْنِيِّ صَاحِبِ جَمَلٍ عَائِشَةً- بَعْدَ بَيْعَةِ الْجَمَلِ مِنْ أَصْحَابِ عَائِشَةَ وَسِيرِهِ مَعَهُمْ إِلَى الْحَوَافِ وَنَيْحِ كِلَابِهَا عَلَيْهَا، وَقَوْلَهَا: رَدُّونِي أَنَا وَاللَّهِ صَاحِبَةُ كِلَابِ الْحَوَافِ. ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُمْ وَجِيئَهُ مَعَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى ذِي قَارٍ- قَالَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَدْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ، فَقَامَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ فَبَكَى، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: قَدْ جِئْتُ تَحْنُ حَنِينَ الْجَارِيَةِ. فَقَالَ: أَجَلُ أَمَرْتُكَ فَعَصَيْتَنِي، فَأَنْتَ الْيَوْمَ تَقْتُلُ بِمَضِيعَةٍ لَا نَاصِرَ لَكَ. قَالَ: حَدَّثَ الْقَوْمَ بِمَا أَمَرْتَنِي بِهِ. قَالَ: أَمَرْتُكَ حِينَ سَارَ النَّاسُ إِلَى عَثْمَانَ أَلَّا تَبْسُطَ يَدَكَ بِبَيْعَةٍ حَتَّى تَجُولَ جَائِلَةً الْعَرَبَ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَقْطَعُوا أَمْرًا دُونَكَ فَأَيَّتَ عَلِيٍّ، وَأَمَرْتُكَ- حِينَ سَارَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ وَصَنَعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مَا صَنَعُوا- أَنْ تَلْزِمَ الْمَدِينَةَ وَتَرْسَلَ إِلَى مَنْ اسْتَجَابَ لَكَ مِنْ شِيعَتِكَ. قَالَ عَلِيٌّ: صَدَقَ وَاللَّهِ، وَلَكِنْ

^{٧٣} (١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٢٦-٢٢٧.

^{٧٤} (٢) ما وجدت هذا الحديث في الأمالي.

^{٧٥} (١) تاريخ الطبري ٤: ٤٥٥-٤٥٦، سنة ٣٦.

و الله يا بنى ما كنت لأكون كالضبع و تستمع للدم، إنَّ النبىَّ صَلَّى الله عليه و آله قبض و ما أرى أحداً أحقَّ بهذا الأمر منى، فبايع الناس أبا بكر فبايعت كما بايعوا، ثمَّ إنَّه هلك و ما أرى أحداً أحقَّ بهذا الأمر منى فبايع الناس عمر فبايعت كما بايعوا، ثمَّ إنَّ عمر هلك و ما أرى أحداً أحقَّ بهذا الأمر منى، فجعلنى سهماً من ستَّة أسهم، فبايع الناس عثمان فبايعت كما بايعوا، ثمَّ سار الناس إلى عثمان فقتلوه ثمَّ أتونى فبايعونى طائعين غير مكرهين، فأنا مقاتل من خالفنى بمن اتبعنى حتَّى يحكم الله بينى و بينهم^{٧٦}.

ص: ٢٦

و أما الثانى: فروى المفيد فى (جملة): أنَّه لما جاء كتاب إلى أمير المؤمنين عليه السَّلام يخبره بخبر طلحة و الزبير و عائشة، دعا عليه السَّلام ابن عبَّاس و محمَّد بن أبى بكر و عمارا و سهل بن حنيف، و أخبرهم بما عليه القوم من المسير، فقال محمَّد بن أبى بكر: ما يريدون؟ فتبسَّم عليه السَّلام و قال: يطلبون بدم عثمان. فقال محمَّد: و الله ما قتله غيرهم.

ثم قال عليه السَّلام: أشيروا علىَّ بما أسمع منكم القول فيه. فقال عمَّار: الرأى أن نسير إلى الكوفة فإنَّ أهلها لنا شيعة و قد انطلق هؤلاء القوم إلى البصرة. و قال ابن عبَّاس: الرأى عندى أن تقدم رجالا إلى الكوفة فيبايعوا لك - إلى أن قال:-

فبيناهم فى ذلك إذ دخل اسامة بن زيد و قال له عليه السَّلام: فداك أبى و امى لا تسر، و خلَّف على المدينة رجلا، و أقم بمالك، فإنَّ العرب لهم جولة ثم يصيرون إليك.

فقال ابن عبَّاس: يا اسامة إنَّ هذا القول منك، إن كان على غير دغل فى صدرك، فقد أخطأت وجه الرأى، فبه نكون و الله كهيئة الضبع فى مغارتها.

فقال له اسامة: فما الرأى؟ قال: ما أشرت به و ما رأى أمير المؤمنين لنفسه. ثم نادى عليه السَّلام فى الناس: تجهزوا^{٧٧}.

و الصواب هذا الذى يشهد له الاعتبار، و أمَّا خبرا طارق و العرفى فخلافاً للعقل، فمع قطع النظر عن كون الحسن عليه السَّلام معصوما لا يعترض على المعصوم، إتباع طلحة و الزبير و عدمه لم يكن أمراً مشتبهاً مختلف الظاهر و الباطن حتَّى يشتبه على الحسن عليه السَّلام، فمع إتباعه عليه السَّلام لهما أفسداً تلك الإفسادات العظيمة، فكيف كان لو خلاهما.

و كذلك قبوله عليه السَّلام بيعة الناس، و أى معنى لقوله للعرب جولة، فالعرب أين كانوا يوم السقيفة و يوم الدار؟ و كيف يعبر الحسن عليه السَّلام مع أبيه بقوله:

ص: ٢٧

«أمرتك فعصيتنى» ألم يدر يقول: «أشرت عليك فما قبلت رأيتى»؟

^{٧٦} (٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٥٦-٤٥٨، سنة ٣٦.

^{٧٧} (١) الجمل للمفيد: ٢٣٩-٢٤٠.

و الخبر الأوّل و إن كان دخيلا كالثاني، إلّا أنّ سيفا زاد في غشه - كما هو دأبه - إشارته على أبيه بخروجه من المدينة حين احيط بعثمان، و إنّ أباه قال له: لقد احيط بنا كما احيط بعثمان، فإنّه كذب محض و افتراء واضح.

و لقد أغرب (خلفاء ابن قتيبة) و أتى بالمضحك من الكذب، و الطبرى و إن كان ينقل الروايات المتضادة هو يفتى بالمتناقض و المتضاد.

فقال: لمّا أتى كتاب معاوية ليس بينى و بين قيس عتاب غير طعن الكلى و ضرب الرقاب إلى على دخل عليه ابنه الحسن فقال له: قد كنت أمرتك فعصيتنى. فقال له على: و ما أمرتني به فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم عثمان أن تركب رواحلك فتلحق بمكة فلا تتهم به، و أمرتك حين دعيت إلى البيعة إلّا تبسط يدك إلّا على بيعة جماعة فعصيتنى، و أمرتك حين خالف عليك طلحة و الزبير إلّا تكرههما على البيعة و تخلى بينهما و بين وجههما و تدع الناس يتشاورون عاما كاملا، فو الله لو تشاوروا عاما ما زويت عنك، و لا وجدوا منك بدا، و أنا آمرك اليوم أن تقيلهما بيعتهما و تردّ إلى الناس أمرهم، فإن رفضوك رفضتهم و إن قبلوك قبلتهم، فإنّي قد رأيت الغدر فى رؤوسهم، و الكراهية فى وجوههم. فقال له على: أنا إذن مثلك يا بنى، و لكن اقاتل من عصانى بمن أطاعنى، و ايم الله ما زلت مبغيا علىّ منذ هلك جدك.

فقال له الحسن: يا أبة ليظهرن عليك معاوية، لأنّه من قتل مظلوما فقد جعلنا لولّيه سلطانا.

فقال على: يا بنى و ما علينا، ما ظلمناه و لا أمرنا و لا نصرنا عليه، و لا كتبت فيه إلى أحد سوادا فى بياض، و إنّك لتعلم إنّ أباك أبرأ الناس من دمه.

فقال له الحسن: دع عنك هذا، أنّى لا أظن، بل لا أشك أنّ ما فى المدينة

ص: ٢٨

عاتق و لا عذراء و لا صبيّ إلّا و عليه كفل من دمه. فقال: يا بنى إنّك لتعلم أنّ أباك قد ردّ عنه الناس مرارا، و قد أرسلتكما جميعا بسيفيكما لتنصراه و تموتا دونه، فنهاكما عن القتال و نهى أهل الدار أجمعين، و لو أمرنى بالقتال لقاتلت دونه أو أموت بين يديه. قال الحسن: دع عنك هذا حتّى يحكم الله بين عباده.

فهل أراد المخذول أن يصنع قصّة و يجعل معاوية الحسن، و لقد أراد المفتري أن يجعل قتل عثمان ظلما، فأخزاه الله حتى جعل أمير المؤمنين عليه السّلام و جميع أهل المدينة صغيرهم و كبيرهم ذكرهم و اتناهم داخلين فى دمه، فإن كان الأمر كما ذكر فهذا إجماع لا إجماع فوقه، و لن تجمع امّة النّبىّ صلى الله عليه و آله على ضلال.

و بالجملة، الأصل فى العنوان أحد تلك الأخبار، لكن عرفت أنّ الصحيح منها خبر (جمل المفيد) و المفهوم منه كون العنوان و إن لفظه أخصر لابن عبّاس لاله عليه السّلام فإن كان المصنّف وقف على مستند آخر فلعل.

«و الله لا اكون كالضّبع» سبع معروف، و قال الجوهري فى قول الشاعر:

فانّ قومي لم تأكلهم الضبع المراد بالضبع فيه: السنّة المجدبة^{٧٨}، لكن إرادة السبع المعروف الذي يأكل الجيف و أشلاء القتلى و الموتى غير بعيدة.

و المشهور أنّ الضبع الانثى و الذكر ضبعان^{٧٩}. و عن ابن الانبارى يطلق على الذكر و الانثى.

و فى كتاب الدميرى: و من أسماء الضبع جيل و جعار و جفصه، و من كناها ام خنور و ام طريق و ام عامر و ام القبور و ام نوفل، و الذكر أبو عامر

ص: ٢٩

و أبو كلدة و أبو الهنبر^{٨٠}.

و من عجيب أمرها أنّها كالأرنب، تكون سنّة ذكرا و سنّة انثى، فتلقح فى حال الذكورة و تلد فى حال الانوثة! نقله الجاحظ^{٨١}.

«تنام على طول الدم» قال الجوهرى: قال الأصمعى: الدم: صوت الحجر أو الشيء يقع بالأرض، و ليس بالصوت الشديد^{٨٢}.

و قال ابن دريد: الدم: ضربك الحجر بحجر أو غيره، و كل ضرب لدم، و النساء يلندمن فى المأتم. و فى حديث علىّ رضى الله عنه: «لا أكون كالضبع تسمع الدم»^{٨٣}.

«حتى يصل إليها طالبها و يختلها» أى: يخدعها.

«راصدها» قال ابن أبى الحديد: قال أبو عبيدة: يأتى الصائد فيضرب بعقبه الأرض عند باب مغارها ضربا خفيفا، و ذلك هو الدم، و يقول: «خامرى ام عامر» - مرارا - بصوت ليس بشديد فينام على ذلك^{٨٤}.

و قال: تزعم العرب أنّ الصائد يدخل عليها و جارها فيقول لها: اطرقى أم طريق، خامرى ام عامر. فتلجأ إلى أقصى مغارها و تنقبض. فيقول: ام عامر ليست فى و جارها، ام عامر نائمة. فتمد يديها و رجليها و تستلقى، فيدخل عليها فيوتقها و يقول لها: أبشرى ام عامر بكمر الرجال، ابشرى ام عامر بشاة هزلى و جراد عظلى، فيشدّ عراقبيها و لا تتحرك، و لو شاءت أن تقتله لأمكنها.

قال الكميت:

^{٧٨} (١) الصحاح ٣: ١٢٤٨، مادة: (ضبع).

^{٧٩} (٢) المصدر نفسه.

^{٨٠} (١) الدميرى: حياة الحيوان ١: ٦٤١ منشورات الحلبي، مصر.

^{٨١} (٢) كتاب الحيوان ٧: ١٦٨.

^{٨٢} (٣) الصحاح ٥: ٢٠٢٨، مادة: (لدم).

^{٨٣} (٤) الجمهرة ٢: ٦٨١.

^{٨٤} (٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٢٥.

فعل المقرء للمقالة

خامرى يا امّ عامر

و قال الشنفرى:

لا تقبرونى إنّ قبرى محرّم

عليكم و لكن خامرى امّ عامر^{٨٥}

و فى كتاب الديميرى: إنّ الصياد إذا أراد أن يصيدها رمى فى جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده، فتخرج لتأخذه فتصاد. و يقال لها و هى فى جحرها: اطرقى ام طريق خامرى أم عامر أبشرى بجراد عظمى و شاة هزلى.

فلا يزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها الصائد فيربط يديها و رجلها ثم يجرها.

قال: و الجاحظ يرى هذا من خرافات العرب^{٨٦}.

و فى رواية سيف المتقدمة: مثل الضبع التى يحاط بها و يقال: «دباب دباب ليست هاهنا، حتى يحل عرقوبها ثم تخرج». و مثل ذلك مثلهم: «اطرق كرا إنّ النعام فى القرى». أو «اطرق كرا يحلب لك». أو «اطرق كرا إنّك لن ترى».

و قال الخليل - كما فى (أمثال الميدانى): الكرا: الذكر من الكروان، يصيدونه بهذه الكلمة، فإذا سمعها تلبد بالأرض، فيلقى عليه ثوب فيصاد.

و هو معنى: «انّ النعام بالقرى» أى: يأتىك فيدوسك بأخفافها^{٨٧}.

«و لكنى اضرب بالمقبل إلى الحقّ المدبر عنه» هكذا فى (المصرية)^{٨٨} و مثلها (ابن أبى الحديد)^{٨٩}، و لكن فى (ابن ميثم): «وجه المدبر عنه»^{٩٠}. و لا يبعد

^{٨٥} (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٢٤.

^{٨٦} (٢) الديميرى حياة الحيوان ١: ٦٤٣ منشورات الحلبي، مصر.

^{٨٧} (٣) مجمع الأمثال ٢: ٢٨٥ تحت الرقم ٢٢٧٢.

^{٨٨} (٤) نهج البلاغة ١: ٣٧.

^{٨٩} (٥) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٢٣.

^{٩٠} (٦) فى شرح ابن ميثم المطبوع ١: ٢٨٠ «الحقّ المدبر عنه» أيضاً.

أصحّيته حيث أن نسخته بخط مصنفه.

«و بالسامع المطيع العاصي المريب أبدا حتّى يأتي على يومى» حيث إنّ الجهاد واجب أبدا مع شرائطه.

هذا و العجب أن سيفاً الذى يضع فى كلّ شيء قال: لما دخل طلحة و الزبير البصرة و اصطلحا مع عثمان بن حنيف عامل علىّ على أن يبعثوا كعب بن سور إلى المدينة يستخبرهم فى بيعتهما، فإن أخبروه بأنّ عليّاً أكرههما فالأمر أمرهما، و إن بايعاه طوعاً فالأمر أمره. و لما جاء كعب و سألهم، سكت جميع الناس خوفاً من سهل عامل علىّ إلّا اسامة، فوثب سهل عليه، فأفلته صهيب و قال له: قد علمت أن ام عامر حاقمة، أما وسعك ما وسعنا من السكوت^{٩١}.

فإنّنه وضعه فى مقابل رواية (جمل المفيد)^{٩٢} المتقدّمة فى أصل العنوان.

٤

الخطبة (٣١) و من كلام له عليه السّلام لابن عباس لما أرسله إلى الزبير يستفتيه إلى طاعته قبل حرب الجمل:

لَا تَلْقَيْنَ؟ طَلْحَةَ؟ - فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقَّاهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ - يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَ يَقُولُ هُوَ الدَّلُولُ - وَ لَكِنَّ الْقَ؟ الزُّبَيْرَ؟ فَإِنَّهُ أَلَيْنُ عَرِيكَةً - فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ - عَرَفْتَنِي؟ بِالْحِجَازِ؟ وَ أَنْكَرْتَنِي؟ بِالْعِرَاقِ؟ - فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا قَالَ الشَّرِيفُ أَقُولُ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَمِعَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ، أَعْنَى «فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا»^{٩٣}.

قول المصنف «و من كلام له عليه السّلام لابن عبّاس لما أرسله إلى الزبير يستفتيه إلى طاعته قبل حرب الجمل» هكذا فى (المصرية)^{٩٤}، و الصواب: ما فى (ابن ميثم): «و من كلام له عليه السّلام لما أنفذ عبد الله بن العبّاس إلى الزبير قبل وقوع حرب الجمل يستفتيه إلى طاعته»^{٩٥}، و مثله (ابن أبى الحديد) لكن فيه بدل «وقوع حرب الجمل»: «وقوع الحرب يوم الجمل»^{٩٦}.

و أما العنوان فقال ابن أبى الحديد ٢ ابن أبى الحديد - شرح نهج البلاغة - ج ٢ ص ١٦٩ و ١٧٠: روى الزبير بن بكار فى (موفقيات ١ الزبير بن بكار - الموفقيات -):

^{٩١} (١) تاريخ الطبري ٤: ٤٦٧ - ٤٦٨، سنة ٣٦.

^{٩٢} (٢) الجمل للمفيد: ٢٣٩ - ٢٤٠.

^{٩٣} (٣) نهج البلاغة ١: ٧٣.

^{٩٤} (١) نهج البلاغة ١: ٧٢.

^{٩٥} (٢) فى شرح ابن ميثم ٢: ٥٩ ما فى العنوان فى نهج البلاغة.

^{٩٦} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٦٢.

أنّ عليّاً عليه السّلام لما سار إلى البصرة بعث ابن عبّاس فقال: ايت الزبير فاقرأ عليه السّلام و قل له: يا عبد الله كيف عرفتنا بالمدينة و أنكرتنا بالبصرة؟ فقال ابن عبّاس: أفلا آتى طلحة؟ قال: لا، إذن تجده عاقصا قرنه فى حزن يقول هذا سهل. قال: فأتيت الزبير فوجدته فى بيت يتروح فى يوم حار و عبد الله ابنه عنده، فقال: مرحبا بك يا بن لبابة، أجئت زائرا أم سفيرا؟ قلت: كلا، إن ابن خالك يقرأ عليك السلام و يقول لك يا أبا عبد الله كيف عرفتنا بالمدينة و أنكرتنا بالبصرة؟ فقال:

علقهم أنى خلقت عصبه

قتادة تعلقت بنسبه

لن أدعهم حتّى آلف بينهم. فأردت منه جوابا غير ذلك، قال لى ابنه: «قل له بيننا و بينك دم خليفه و وصيّه خليفه و اجتماع اثنين و انفراد واحد، و ام مبرورة و مشاورة العشيرة». فعلمت أنّه ليس وراء هذا الكلام إلّا الحرب، فرجعت إلى علىّ عليه السّلام فأخبرته.

قال ابن بكار: هذا الحديث كان يرويه عمى مصعب ثم تركه، و قال: إننى

ص: ٣٣

رأيت جدّى الزبير فى المنام و هو يعتذر من يوم الجمل، فقلت له: كيف تعتذر منه و أنت القائل: «علقتهم - إلى - آلف بينهم»؟! فقال: لم أقله^{٩٧}.

و قال ابن أبى الحديد أيضا: و روى جعفر بن محمّد الصادق عن أبيه عن جدّه قال: سألت ابن عبّاس عن ذلك فقال: إننى أتيت الزبير فقلت له ... فقال: قل له إننى اريد ما تريد - كأنه يقول: الملك - لم يزد على ذلك. فرجعت إلى علىّ عليه السّلام فأخبرته.

و روى محمّد بن إسحاق الكلبيّ عن ابن عبّاس قال: قلت الكلمة للزبير، فلم يزدنى على ان قال: قل له:

إنّا مع الخوف الشديد لنطمع

و سئل ابن عبّاس عما يعنى بقوله هذا، فقال: يقول: إنّا على الخوف لنطمع أن نلى من الأمر ما وليتم.

و قال قوم: أراد أنّا مع الخوف من الله لنطمع أن يغفر لنا هذا الذنب^{٩٨}.

^{٩٧} (١) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٦٩ - ١٧٠.

^{٩٨} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٦٦ - ١٦٧.

قلت: و رواه الجاحظ في (بيان الجاحظ - البيان و التبيين -) و ابن قتيبة في (عيونه ابن قتيبة - عيون الاخبار - ج ١ ص ١٩٥) و ابن عبد ربه في (عقده ابن عبد ربه - العقد الفريد - ج ٥ ص ٦٤)، قال الأول: قال عبد الله بن مصعب: أرسل عليّ كرم الله وجهه لما قدم البصرة ابن عباس و قال له: ايت الزبير و لا تأت طلحة، فإن الزبير ألين، و أنك تجد طلحة كالثور عاقصا قرنه يركب الصعوبة و يقول هي السهل، فأقرئه السلام و قل له: يقول لك ابن خالك: عرفتنى بالحجاز و أنكرتنى بالعراق، فما عدا ممّا بدا لك! قال: فأتيت الزبير، فقال: مرحبا بابن لبابة، أ زائرا جئت أم سفيرا؟ قلت: كل ذلك. و أبلغته ما قال عليّ عليه السلام، فقال الزبير: أبلغه السلام و قل له: بيننا و بينك عهد خليفة و دم خليفة و اجتماع ثلاثة و انفراد واحد و ام

ص: ٣٤

مبرورة و مشاورة العشيرة و نشر المصاحف، فنحلّ ما أحلّت و نحرمّ ما حرّمّت^{٩٩}.

و مثله الثاني: و الثاني بدون النسبة إلى ابن مصعب^{١٠٠}.

قوله عليه السلام: «لا تلقين طلحة» عن مثالب هشام الكلبي - كما في (الطرائف):-

كانت لامّه صعبة راية بمكة و استبضعت بأبي سفيان فوقع عليها و تزوجها عبيد الله بن عثمان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم، فجاءت بطلحة لستة أشهر، فاختصم أبو سفيان و عبيد الله في طلحة، فجعل أمرهما إلى امه فألحقته بعبيد الله، فقيل لها: كيف تركت أبا سفيان؟ فقالت: يد عبيد الله طلقه و يد أبي سفيان كزه.

فقال حسّان:

أخاها زنا بابع ريش القوادم

فيا عجبا من عبد شمس و تركها

و كان أبوه يلعب به و يتخنّث^{١٠١}.

«فإنّك إن تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه» في (الجمهرة): شاء عقصاء إذا كانت منقلبة القرن^{١٠٢}. و في (الأساس): (في قرن الشاء عقص) أي التواء، و هي عقصاء القرن^{١٠٣}. هذا و في (ميزان الذهبى) في ثور بن يزيد الذى كان يرى القدر: حكى عن ابن أبى

^{٩٩} (١) العقد الفريد ٥: ٦٤.

^{١٠٠} (٢) عيون الأخبار ١: ١٩٥.

^{١٠١} (٣) الطرائف ٢: ٤٩٥ - ٤٩٦.

^{١٠٢} (٤) جمهرة اللغة ٢: ١١٧٢.

^{١٠٣} (٥) أساس البلاغة: ٣٠٩، مادة: (عقص).

رواد أنه كان يقول إذا أتاه من يريد الشام: «إن بها ثورا فاحذر لا ينطحك بقرنيه». و سئل سفيان عنه فقال: خذوا عنه و اتقوا قرنيه^{١٠٤}.

ص: ٣٥

«يركب الصعب و يقول هو الذلول» قال ابن قتيبة: كَلَّمَ عليّ طلحة و الزبير قبل القتال، فقال لهما: استحلفا عايشة بحقّ الله و بحقّ رسوله عليها أربع خصال أن تصدق فيها: هل تعلم رجلا من قريش أولى مني بالله و رسوله؟

و إسلامي قبل كافة الناس أجمعين، و كفايتي رسول الله كفّار العرب بسيفي و رمحي؟ و عليّ أني لم استكره أحدا على بيعه؟ و عليّ أني ألم أكن أحسن قولا منكما في عثمان؟

فأجابه طلحة جوابا غليظا، و رقّ له الزبير. ثم رجع عليّ عليه السّلام إلى أصحابه فقالوا: بم كلمت الرجلين؟ فقال عليه السّلام: إنّ شأنهما لمختلف، أما الزبير فقاده اللجاج و لن يقاتلكم، و أما طلحة فسألته عن الحقّ فأجابني بالباطل، و لقيته باليقين و لقيني بالشك، فو الله ما نفعه حقّي و لا ضرني باطله، مقتول غدا في الرعيل الأوّل^{١٠٥}.

و قد وصفه عمر لما عينه للشورى مع عييه فقال: أما إنني أعرفك منذ اصيبت إصبعك يوم احد بالبأو الذي حدث لك، و لقد بات النبيّ صلّى الله عليه و آله ساخطا عليك للكلمة التي قلتها يوم انزلت آية الحجاب^{١٠٦}.

قال الجاحظ: أشار عمر إلى أنّ طلحة لما انزلت آية الحجاب، قال بمحضر ممّن نقل إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله: ما الذي يغنيه حجابهنّ اليوم و سيموت غدا فننكحهنّ^{١٠٧}.

و في (المروج): سار أهل الجمل في ستمائة راكب نحو البصرة، فانتھوا في الليل إلى ماء لبني كلاب يعرف بالحوأب، فنبحت كلابهم على الركب، فقالت

ص: ٣٦

عايشة: ما اسم هذا الموضع؟ فقال سائق جملها: الحوأب، فاسترجعت و ذكرت ما قيل لها في ذلك، فقالت: ردّوني. فقال ابن الزبير: و الله ما هذا بحوأب، و لقد غلط فيما أخبرك به. و كان طلحة في ساقّة الناس فلحقها فأقسم أن ذلك ليس بالحوأب، و شهد معهما خمسون، فكان ذلك أوّل شهادة زور اقيمت في الإسلام^{١٠٨}.

«و لكن القى الزبير فأنه ألين عريكة» أي: طبيعة، في (الطبرى): قال قتادة:

^{١٠٤} (٦) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ١: ٣٧٤ دار المعرفة بيروت.

^{١٠٥} (١) الإمامة و السياسة ١: ٧١-٧٢.

^{١٠٦} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٥-١٨٦.

^{١٠٧} (٣) المصدر نفسه ١: ١٨٦.

^{١٠٨} (١) مروج الذهب ٢: ٣٥٧.

سار علىّ عليه السّلام من الزاوية يريد طلحة و الزبير و عايشة، و ساروا من الفرضة يريدون عليّا عليه السّلام، فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة سنة (٣٦)، فلمّا تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح، فقبل لعليّ عليه السّلام: هذا الزبير، أما إنّهُ أحرى الرجلين إن ذكر بالله أن يذكر، و خرج طلحة فخرج إليهما علىّ عليه السّلام فدنا منهم حتّى اختلّفت أعناق دوابهم فقال علىّ عليه السّلام لهما: لعمري لقد أعددتما سلاحا و خيلا و رجالا، إن كنتما أعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله سبحانه و لا تكونا «كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا»^{١٠٩}، ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي و احرم دماءكما فهل من حدث أحل لكما دمي؟ قال طلحة: آلبت الناس على عثمان. فقال له علىّ عليه السّلام:

«يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ»^{١١٠}، يا طلحة تطلب بدم عثمان؟ فلعن الله قتله عثمان. يا زبير أتذكر يوم مررت مع النبيّ صلى الله عليه و آله في بني غنم فنظر إلى النبيّ صلى الله عليه و آله و ضحك و ضحكت إليه، فقلت أنت:

لا يدع ابن أبي طالب زهوه. فقال لك النبيّ صلى الله عليه و آله: صه، إنّهُ ليس به زهو، و لتقاتلنه

ص: ٣٧

و أنت له ظالم؟ فقال: اللهمّ نعم، و لو ذكرت ما سرت مسيري هذا، و الله لا أقاتلك أبدا.

فانصرف علىّ عليه السّلام إلى أصحابه فقال: أمّا الزبير فقد أعطى الله عهدا ألاّ يقاتلكم، فرجع الزبير إلى عايشة فقال: ما كنت في موطن منذ عقلت إلّا و أنا أعرف فيه أمرى غير موطنى هذا. قالت: فما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أدعهم و أذهب. فقال له ابنه: جمعت بين هذين الغارين، حتّى إذا حدد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم و تذهب، أحسست رايات ابن أبي طالب، و علمت أنّها تحملها فتية أنجاد. قال: إنّى حلفت ألاّ أقاتله - و أحفظه ما قال ابنه له - فقال: كفر عن يمينك و قاتل. فدعا بغلام يقال له مكحول فأعتقه.

فقال عبد الرحمن التميمي:

لم أر كالיום أخا إخوان أعجب من مكفر الأيمان

بالتق في معصية الرحمن^{١١١}

^{١٠٩} (٢) النحل: ٩٢.

^{١١٠} (٣) النور: ٢٥.

^{١١١} (١) تاريخ الطبري ٤: ٥٠١-٥٠٢، سنة ٣٦.

قلت: قوله عليه السلام في الخبر: يا طلحة تطلب بدم عثمان فلعن الله قتله عثمان أراد: (منى و منكم يا طلحة و الزبير و عايشة) فلعنهم الله بما لا يستطيعون إنكارا و لا اعتراضا، لا إنه لعن جميع قتلته، كما لا يخفى.

و قد وصفه عمر يوم الشورى بقوله له: «أما أنت يا زبير فوقع لقس، مؤمن الرضا، كافر الغضب، يوما إنسان، و يوما شيطان، و لعلها لو أفضت إليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مد من شعير. أ فرأيت إن أفضت إليك، فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطاننا إماما، و من يكون للناس يوم تغضب إماما^{١١٢}؟

ص: ٣٨

«يقول لك ابن خالك» كان عليه السلام كالنبي صلى الله عليه و آله ابن خال الزبير لأبيه، فكانت صفيّة ام الزبير من ام حمزة دون أبى طالب و عبد الله، و كان الزبير يعدّ أولا من الهاشميين من قبل امّه - و إن كان أسديا أبا - لكونه معه عليه السلام يوم السقيفة حتّى نشأ ابنه عبد الله المبغض له عليه السلام من قبل امّه أسماء بنت أبى بكر.

و روى أبو مخنف: أنّ أبا الأسود أتى الزبير فى الجمل فقال له: عهد الناس بك يوم بويج أبو بكر آخذ بقائم سيفك تقول: لا أحد أولى بهذا الأمر من أبى طالب، و أين هذا المقام من ذاك؟ فذكر له الزبير دم عثمان، فقال له أبو الأسود: أنت و صاحبك و ليتماه فيما بلغنا. فقال له: فاذهب إلى طلحة فاسمع ما يقول لك. فذهب إليه فوجدوه سادرا فى غيّه مصرا على الحرب و الفتنة^{١١٣}.

عبّر عليه السلام بقوله: «ابن خالك» استعطافا، فقالوا نظير قول هارون «قال يا بن».

«عرفتني بالحجاز و أنكرتني بالعراق» حيث بايعه بالحجاز و نصب له الحرب بالعراق.

هذا و قال البحتري فى عتاب ابن بسطام:

فكنا بالشام أخال خيرا
لرعى الودّ منا بالعراق

و هجا بعض الشعراء المازنى فقال:

و فتى من مازن
امّه معرفة
ساد أهل البصرة
و أبوه نكره

^{١١٢} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ١٨٥.
^{١١٣} (١) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ٦: ٢٢٦.

و في (الأغاني): استأذن أبو العتاهية على عمرو بن مسعدة فحجب، فكتب إليه أبياتا منها:

ص: ٣٩

قد كان وجهي لديك معرفة فاليوم أضحي حرفا من النكرة^{١١٤}

«فما عدا» أي: جاوز.

«مما بدا» أي: ابتدأت به ان كان الأصل فيه الهمز، أو ظهر لك أولا إن كان معتلا.

و روى (جمل المفيد): أنه عليه السلام أرسل ابن عباس إلى عايشة و قال له قل لها: «إنك كنت أشد الناس على عثمان، فما عدا مما بدا»^{١١٥}.

و روى (عيون القتيبي): أن عرار بن أدهم الشامي لما دعا في صفين العباس بن ربيعة الهاشمي إلى البراز، فبرز إليه و ضربه ضربة خر لوجهه و كبر الناس تكبيرة ارتجت لها الأرض، سأل عليه السلام عن المبارز فقيل له: العباس بن ربيعة ابن أخيكم. فقال عليه السلام له: ألم أنهك و ابن عباس أن تخلأ بمركز كما أو تباشرا حربا؟ فما عدا مما بدا. قال العباس: فادعى إلى البراز فما اجيب^{١١٦}.

قول المصنف: قال الشريف أقول: هو أول من سمعت منه هذه الكلمة، أعنى «فما عدا مما بدا»، هكذا في (المصرية)^{١١٧}، و الصواب ما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{١١٨}: «و قال الرضى رحمه الله: و هو عليه السلام أول من قالها». و قد عرفت أنه عليه السلام قالها مرارا.

و عن (أوائل أبي هلال العسكري): أنه عليه السلام أول من قال: «جعلت فداك».

قاله للنبي صلى الله عليه و آله يوم عمرو بن عبدود^{١١٩}.

^{١١٤} (١) الأغاني ٤: ٢١-٢٢.

^{١١٥} (٢) الجمل للمفيد: ٣١٦.

^{١١٦} (٣) عيون الأخبار ١: ١٧٩-١٨٠.

^{١١٧} (٤) نهج البلاغة ١: ٧٣.

^{١١٨} (٥) في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٦٢ و شرح ابن ميثم ٢: ٥٩ و هو عليه السلام أول من سمعت ... أيضا.

^{١١٩} (٦) الأوائل لأبي هلال العسكري: ٢٩٦ دار الكتب العلمية.

و في (طبقات كاتب الواقدي): أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ: «لَا يَنْتَظِحُ فِيهَا عِزَّانٌ». فَالهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله فِي قَتْلِ عَمِيرِ بْنِ عَدَى عَصْمَاءَ بِنْتِ مَرْوَانَ الْيَهُودِيَّ الَّتِي كَانَتْ تُؤْذِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله^{١٢٠}.

٥

الخطبة (١٦٩) و من خطبة له عليه السَّلام عند مسير أهل الجمل إلى البصرة:

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَ أَمْرٍ قَائِمٍ - لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ - وَ إِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُسَبَّهَاتِ مِنَ الْمُهْلِكَاتِ - إِلَّا مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا - وَ إِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً لِمُرْكُم - فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَ لَا مُسْتَكْرَهَةٍ بِهَا - وَ اللَّهُ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ - ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا - حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِكُمْ إِنْ هَوُلَاءِ قَدْ تَمَالَّتُوا عَلَى سَخَطَةٍ إِمَارَتِي - وَ سَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ - فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَمُوا عَلَى فَيَالَهُ هَذَا الرَّأْيِ - انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ أَقُولُ: الْعِنَانُ كُلُّهُ مَأْخُذٌ مِنَ (الطبري الطبري - تاريخ الطبري) - ج ٤ ص ٤٤٤، سنة ٣٦) في رواية سيفه، التي إمّا مصنوعة كلا و إمّا مدخولة منه، كما أخذ منه عنوان قبله «قيل له عليه السَّلام: لو عاقبت قوما ممن اجلب على عثمان» كما مر في فصل عثمان، و مر ثمة شرح مقدار من افتعالاته و تصرفاته، و مر بعضها في من هذا الفصل.

و روايته هنا هكذا: «استأذن طلحة و الزبير عليًا في العمرة فأذن لهما،

فلحقا بمكة، و أحبَّ أهل المدينة أن يعلموا ما رأى عليٌّ في معاوية و انتقاضه، ليعرفوا بذلك رأيه في قتال أهل القبلة، أ يجسر عليه أو ينكل عنه؟ و قد بلغهم أن الحسن دخل عليه و دعاه إلى القعود و ترك الناس - إلى أن قال - و دعا عليَّ ابن الحنفية فدفع إليه اللواء، و ولَّى ابن عباس ميمنته و عمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان ميسرته، و أبا ليلى ابن أخى ابن عبيدة مقدمته، و استخلف على المدينة قثم بن عباس، و لم يولَّ ممن خرج على عثمان أحدا، و كتب إلى قيس بن سعد و إلى عثمان بن حنيف و إلى أبي موسى أن يندبوا الناس إلى الشام، و دعا أهل المدينة إلى قتال أهل الفرقة، و قال: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا مَهْدِيًا، بِكِتَابٍ نَاطِقٍ، وَ أَمْرٍ قَائِمٍ وَاضِحٍ، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ. وَ إِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ وَ الشَّبَهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتِ إِلَّا مَنْ حَفِظَ اللَّهَ، وَ إِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً لِمُرْكُم، فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوِيَةٍ وَ لَا مُسْتَكْرَهَةٍ بِهَا، وَ اللَّهُ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا. انْهَضُوا إِلَى هَوَلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَفْرَقُونَ جَمَاعَتَكُمْ، لَعَلَّ اللَّهَ يَصْلِحَ بِكُمْ مَا أَفْسَدَ أَهْلُ الْإِفَاقِ، وَ تَقْضُونَ الَّذِي عَلَيْكُمْ».

^{١٢٠} (١) الطبقات الكبرى ٢: ٢٧-٢٨.

^{١٢١} (٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٤٤، سنة ٣٦.

فبيناهم كذلك إذ جاء الخبر عن أهل مكّة بنحو آخر و تمام على خلاف، فقام فيهم بذلك، فقال: «إنّ الله جعل لظالم هذه الأمّة العفو و المغفرة، و جعل لمن لزم الأمر و استقام الفوز و النجاة، فمن لم يسعه الحقّ أخذ بالباطل. ألا و إنّ طلحة و الزبير و أمّ المؤمنين قد تمالّوا على سخط إمارتي، و دعوا النّاس إلى الاصلاح، و سأصبر ما لم أخف على جماعتكم. و أكفّ إن كفّوا و أقتصر على ما بلغني منهم».

ثمّ أتاه أنّهم يريدون البصرة لمشاهدة النّاس و الإصلاح، فتعبّى للخروج إليهم و قال: إن فعلوا هذا فقد انقطع نظام المسلمين، و ما كان عليهم

ص: ٤٢

فى المقام فينا مؤنة و لا إكراه. فاشتدّ على أهل المدينة الأمر فتشاقلوا، فبعثت إلى عبد الله بن عمر كميلا النخعي فجاء به - إلى أن قال -: فرجع ابن عمر إلى المدينة و هم يقولون: لا و الله ما ندرى كيف نصنع، فإنّ هذا الأمر مشتبه علينا، و نحن مقيمون حتّى يضىء لنا و يسفر. فخرج تحت ليلته و أخبر ام كلثوم بنت على بالذى سمع من أهل المدينة، و إنّ يخرج معتمرا مقيما على طاعة علىّ ما خلا النهوض، و كان صدوقا، فاستقرّ عندها، و أصبح علىّ فقيل له: حدث البارحة حدث هو أشدّ عليك من طلحة و الزبير و ام المؤمنين و معاوية. قال:

و ما ذلك؟ قال: خرج ابن عمر إلى الشام، فأتى على السوق و دعا بالظهر، فحمل الرجال و أعد لكل طريق طلابا و ماج أهل المدينة، و سمعت ام كلثوم بالذى هو فيه فدعت ببغلتي فركبتها فى رحل ثم أتت عليّا و هو واقف فى السوق يفرّق الرجال فى طلبه، فقالت: مالك لا تزند من هذا الرجل؟ إنّ الأمر على خلاف ما بلغته و حدثته، أنا ضامنة له. فطابت نفسه و قال: انصرفوا، لا و الله ما كذبت و لا كذب، و إنّ عندى ثقة^{١٢٢}.

فمن أكاذيبه: أنّه عليه السّلام لم يولّ أحدا ممّن خرج على عثمان، ألم يولّ محمّد بن أبى بكر و الأشتر و هما ممّن خرج عليه قطعا.

و منها قوله: إنّ الحسن دخل عليه و دعاه إلى القعود، فقد عرفت كون ما نسب إليه عليه السّلام خلاف العقل.

و منها قوله: كتب إلى قيس و عثمان بن حنيف و أبى موسى أن يندبوا النّاس إلى الشام، و إنّ ابن حنيف كان مبتلى بطلحة و الزبير، و أبو موسى إنّما كتب إليه بندب أهل الكوفة إلى البصرة، و كان عليه السّلام يومئذ مشغولا بالبصرة فما يكتب إلى قيس.

ص: ٤٣

^{١٢٢} (١) تاريخ الطبري ٤: ٤٤٤ - ٤٤٦، سنة ٣٦، و النقل بتصرّف و تلخيص.

و منها: ما نسب إليه عليه السّلام «إن الله جعل لظالم هذه الأمّة العفو والمغفرة»، هل الله ابن عمّ ظلمة هذه الأمّة حتى يجعل لهم العفو والمغفرة؟! و سيجزى الله المفترين. إلا أن أئمتّه و أشياعهم لمّا كانوا ظلمة، لا بد أن يقول ذلك حتّى يصحّ ايتمامه بهم.

و منها: قوله - و هو مضحك - أنّه عليه السّلام قال: إنّ طلحة و الزبير و امهم دعوا النّاس إلى الإصلاح. فيقال له: الإصلاح بين من و من؟ و إذا كانوا أرادوا الإصلاح فلا بد أنّه عليه السّلام أراد الإفساد! قبح الله هذا الرجل ما يدري ما يقول - و كذلك قوله: «ثمّ أتاه أنّهم يريدون البصرة لمشاهدة النّاس و الإصلاح». فهل كان أهل المدينة نسناسا فأرادوا أن يخرجوا إلى البصرة حتّى يروا النّاس؟! و منها قوله: «إنّ أهل المدينة قالوا إنّ الأمر مشتبه علينا و نحن مقيمون حتّى يضىء لنا». فإنّه إنّما تخلف عنه - باتفاق السير - سعد و ابن عمر و محمّد بن مسلمة و المغيرة معتذرين أنّ الأمر مشتبه علينا، و أمّا باقى النّاس فبايعوه شوقا و عاونوه طوعا.

و منها: قوله «قيل له عليه السّلام حدث حدث أشدّ عليك من طلحة و الزبير و عايشة و معاوية» فأى سفيه كان يتوهم ذلك؟ فإنّ الرجل لم يكن له قابلية أصلا، و لذا زجر عمر من قال له: لم لا تجعله ولى عهدك؟ و إنّما قال عليه السّلام لعمّار، لمّا دعاه و اعتذر: «دعه فإنّه ضعيف».

و أين هو من طلحة و الزبير و كانا يعدّان أنفسهما فوق عمر؟ و أين وجاهته عند النّاس من عايشة؟ و أين هو من معاوية الذى كان فى الدهاء آية و كان ذا سلطان، كان بيده الشام و كانوا يعبدونه؟ و من المضحك أنّه بدل قوله عليه السّلام فى ابن عمر بكونه ضعيفا بقوله ثقة.

و منها: قوله إنّ أمّ كلثوم دعت ببغلتها، فوضع هذا فى مقابل ركوب

ص: ٢٤

عايشة ببغلتها لمنع دفن الحسن عليه السّلام عند جدّه. و حينئذ فأى عبرة تبقى بما فيه؟ و الكذاب لا يصدق، إلّا إذا كان شاهد على صدقه، و الدخيل لا يروج إلّا أن يستخرج غشّه. و الرضى رضى الله عنه فعل ذلك هنا فأسقط قوله: «إنّ الله جعل لظالم هذه الأمّة العفو والمغفرة». و أسقط قوله: «و دعوا النّاس إلى الإصلاح».

قوله: «و إنّ المبدعات المشبهات» أى: بالسنن.

«من المهلكات» لأنّ الإنسان يغتر بها.

«إلّا ما حفظ الله منها» هكذا فى (المصرية)^{١٢٣}، و لفظه (منها) زائدة لعدم وجودها فى (ابن ميثم)^{١٢٤}، و كذا فى (المستند)، و منه يظهر أنّ وجودها فى نسخة من (ابن أبى الحديد) غير صحيحة^{١٢٥}.

«وإن في سلطان الله عصمة» أى: حفظ.

«لأمركم فأعطوه طاعتكم غير ملومة» هكذا في (المصرية)^{١٢٤}، وقال (ابن ميثم) و في نسخة (ملوية)^{١٢٧}، و هو الأنسب مع أنه كذا في (المستند).

«و الله لتفعلن أو لينقلن عنكم سلطان الإسلام، ثم لا ينقله إليكم أبدا حتى يأررز الأمر» أى: يجتمع و ينضم، يقال: «أرزت الحيّة إلى حجرها».

و قال الشاعر:

و قد أرزت من بردهنّ الأنامل

«إلى غيركم» قال ابن أبي الحديد: فإن قيل: كيف لم يعد إليهم و قد عاد بالخلافة العباسية؟ قلت: لأن الشرط - و هو عدم الطاعة - لم يقع. و قال قوم:

ص: ٤٥

خاطب الشيعة الطالبية فقال: إن لم تعطوني الطاعة المحضة نقل الخلافة عن هذا البيت حتى ينضم إلى بيت آخر البيت العباسي^{١٢٨}.

قلت: عنده عليه السلام العباسية مع الاموية سواء كالتيمية و العدوية، و الظاهر من السياق نقل سلطان الإسلام إلى غير المسلمين لقوله: «أو لينقلن سلطان الإسلام عنكم ثم لا ينقله إليكم أبدا».

فالظاهر كونه إشارة إلى الدولة الهلاكية استأصلت الخلافة العباسية، و ختم اسم الخلافة من العامة، فإنهم قبلها يدعون كون سلطنتهم الخلافة الإسلامية.

كما أن الظاهر أن المراد من قوله عليه السلام: «حتى يأررز الأمر إلى غيركم» قيام المهدي عليه السلام و دولة أهل بيته، فإن أهل بيته عليهم السلام كانوا من غير المخاطبين لاختلاف عقيدتهم معهم بأنهم لما كانوا أهل بيت النبي صلى الله عليه و آله يجب أن يكونوا خلفاءه، كما هو مقتضى العقل و جرت عليه الشرائع «ذرية بعضها من بعض»^{١٢٩}.

^{١٢٤} (٢) شرح ابن ميثم ٣: ٣٢٤ عند شرح فقرات الخطبة.

^{١٢٥} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٩٥.

^{١٢٦} (٤) نهج البلاغة ٢: ٩٩.

^{١٢٧} (٥) شرح ابن ميثم ٣: ٣٢٥.

^{١٢٨} (١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٩٦ - ٢٩٧.

هذا و من روايات سيف المجعولة: أنَّ عليًّا خرج من المدينة في تعبته التي تعبّا بها إلى الشام، لما بلغه إرادة طلحة و الزبير الخروج إلى البصرة، يرجو أن يدركهم فيحول بينهم و بين الخروج، فلقبه عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه و قال: لا تخرج منها فوالله لئن خرجت منها لا ترجع إليها و لا يعود إليها سلطان المسلمين أبدا. فسبّوه، فقال: دعوا الرجل، فنعم الرجل من أصحاب محمد^{١٣٠}.

ص: ٤٦

٦

الخطبة (١٧٢) منها في ذكر أصحاب الجمل:

فَخَرَجُوا يَجْرُونَ حُرْمَةً؟ رَسُولَ اللَّهِ ص؟ - كَمَا تُجْرُ الْأُمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا - مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى؟ الْبَصْرَةَ؟ - فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا - وَ أَبْرَزَا حَبِيسَ؟ رَسُولَ اللَّهِ ص؟ لَهُمَا وَ لغيرِهِمَا - فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَ قَدْ أُعْطَانِي الطَّاعَةَ - وَ سَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ - فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا - وَ خَزَانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا - فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْرًا وَ طَائِفَةً غَدْرًا - فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ - إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُتَعَمِّدِينَ لِقَتْلِهِ - بَلَا جُرْمَ جَرِّهِ لِحَلِّ لِي قَتْلِ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ - إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا - وَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَ لَا بِيَدٍ - دَعَا مَا إِنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ - مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ وَ الْخُطْبَةُ (٢١٨) و من كلام له عليه السلام في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام:

فَقَدِمُوا عَلَى عَمَلِي بِهَا وَ خَزَانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ - وَ عَلَى أَهْلِ؟ مِصْرَ؟ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَ عَلَى بَيْعَتِي - فَسَتُّوْا كَلِمَتَهُمْ وَ أَفْسَدُوا عَلَى جَمَاعَتِهِمْ - وَ ثَبُّوْا عَلَى شِيعَتِي فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا - وَ طَائِفَةً مِنْهُمْ عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ - فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ أَقُولُ: قد ترى أن الثاني تكرار جزء من الأول، و إنما زيد فيه فقرات، و الأصل فيهما كتاب كتبه عليه السلام للناس ليقرا عليهم لما سألوه عن الثلاثة بعد فتح معاوية لمصر، رواه (خلفاء ابن قتيبة - الإمامة و السياسة - ج ١ ص ١٥٦ ابن قتيبة) و (غارات إبراهيم الثقفي - الغارات - ج ١ ص ٣١١ إبراهيم الثقفي) و (رسائل الكليني - الرسائل -

ص: ٤٧

الكليني) و (مسترشد ابن رستم الطبري - المسترشد - ابن رستم الطبري).

ففي الأول: «فأول من بايعني طلحة و الزبير، و لو ألبيا ما أكرهتهما كما لم أكره غيرهما، فما لبثا إلّا يسيرا حتّى قيل لى قد خرجا متوجهين إلى البصرة في جيش، ما منهم رجل إلّا و قد أعطاني الطاعة و سمح لى بالبيعة، فقدما على عمالي و خزان بيت مالى و على أهل مصر كلّهم فى طاعتي و على بيعتي، فستّوا كلمتهم و أفسدوا جماعتهم، ثم و ثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة صبرا و طائفة غدرا.

^{١٢٩} (٢) آل عمران: ٣٤.
^{١٣٠} (٣) تاريخ الطبري ٤: ٤٥٥، سنة ٣٦.

و منهم طائفة غضبوا لله فشهروا سيوفهم و ضربوا بها، حتّى لقوا الله عزّ و جلّ صادقين، و الله لو لم يصيبوا منهم إلّا رجلا واحدا متعمّدين لقتله لحلّ لى بذلك قتل الجيش كلّ، مع أنّهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدد التى دخلوا بها عليهم، و قد أدال الله منهم «فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»^{١٣١} - و مثله الثانى^{١٣٢} -.

و فى الثالث: فأى خطيئة أعظم ممّا أتيا؟ إخراجهما زوجة رسول الله صلى الله عليه و آله من بيتها فكشفا عنها حجابا ستره الله عليها، وصانا حلاتهما فى بيوتهما - إلى أن قال - : ثمّ أتوا البصرة و أهلها مجتمعون على بيعتى و طاعتى، و بها شيعتى خزان بيت مال الله و مال المسلمين - إلى أن قال - : و قتلوا شيعتى، طائفة صبرا و طائفة غدرا و طائفة عضوا بأسيا فاهم حتّى لقوا الله، فو الله لو لم يقتلوا إلّا رجلا و أحدا لحلّ لى به دماؤهم و دماء ذلك الجيش لرضائهم بقتل من قتل، دع مع أنهم قد قتلوا أكثر من العدد التى قد دخلوا بها عليهم، و قد أدال الله منهم «فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

ص: ٤٨

فأما طلحة فرماه مروان بسهم فقتله ...^{١٣٣} و مثله الرابع^{١٣٤}.

قول المصنّف فى الأوّل: «منها فى ذكر أصحاب الجمل» قال ابن أبى الحديد: قال أبو مخنف: حدّثنى الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس: أن الزبير و طلحة أغمدا السير بعائشة حتّى انتهوا إلى حفر أبى موسى - قريب البصرة - فكتبنا إلى عثمان بن حنيف عامل علىّ عليه السّلام أن أخل لنا دار الامارة. فلمّا وصل كتابهما إليه، بعث إلى الأحنف فقال له: إنّ هؤلاء القوم قدموا علينا و معهم زوجة النّبىّ صلى الله عليه و آله و الناس إليها سراع.

فقال الأحنف أنّهم جاءوك بها للطلب بدم عثمان، و هم الذين ألّبو على عثمان الناس و سفكوا دمه، و أراهم و الله لا يزالونا حتّى يلقوا العداوة بيننا و يسفكوا دماءنا. و أظنهم و الله سيركبون منك خاصة ما لا قبل لك به إن لم تتأهب لهم بالنهوض إليهم فيمن معك من أهل البصرة، فإنّك اليوم والى عليها و أنت فيهم مطاع، فسر إليهم بالناس و بادهم قبل أن يكونوا معك فى دار واحدة، فيكون الناس لهم أطوع منك لك. فقال عثمان بن حنيف: الرأى ما رأيت لكنى أكره أن أبدأهم و أرجو العافية و السلامة، إلى أن يأتينى كتاب أمير المؤمنين عليه السّلام و رأيه فأعمل به.

ثم أتاه بعد الأحنف حكيم بن جبلة من بنى عمرو بن وديعة فأقرأه كتاب طلحة و الزبير، فقال له حكيم مثل قول الأحنف و أجابه بمثل جوابه للأحنف، فقال له حكيم: فائذن لى حتّى أسير إليهم بالناس، فإن دخلوا فى طاعة أمير المؤمنين عليه السّلام و إلّا فأنا بذهم على سواء. فقال له: لو كان ذلك رأى لسرت إليهم بنفسى.

ص: ٤٩

^{١٣١} (١) الإمامة و السياسة ١: ١٥٦ و الآية ٤١ من سورة المؤمنون.

^{١٣٢} (٢) الغارات ١: ٣١١.

^{١٣٣} (١) رسائل الكينى.

^{١٣٤} (٢) مسترشد الطبري.

قال حكيم: أما والله إن دخلوا عليك هذا المصر لتنتقلن قلوب كثير من الناس إليهم، و ليزيلنك عن مجلسك هذا و أنت أعلم. فأبى عليه عثمان، و كتب علىّ عليه السّلام إلى عثمان لما بلغه مشاركة القوم البصرة: «إنّ البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا و توجهوا إلى مصر و ساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به، و الله أشد بأسا و أشد تنكيلا، فان أقدموا عليك فادعهم إلى الطاعة و الرجوع إلى الوفاء بالعهد و الميثاق الذى فارقونا عليه، فإن أجابوا فأحسن جوارهم ما داموا عندك، و إن أبوا إلّا التمسك بحبل النكت و الخلاف فناجزهم حتّى يحكم الله بينك و بينهم و هو خير الحاكمين. و كتبت إليك كتابى هذا من الربذة و أنا معجل المسير إليك إن شاء الله.

فلما وصل الكتاب إلى عثمان أرسل إلى أبى الأسود و عمران بن حصين الخزاعى فأمرهما أن يسيرا حتّى يأتياه بعلم القوم، فانطلقا حتّى إذا أتيا حفر أبى موسى و به معسكر القوم، فدخلا على عايشة فسألاها و وعظاها، فقالت لهما: القيا طلحة و الزبير. فقاما من عندها و لقيا الزبير فكلّماه، فقال لهما: إنّنا جئنا للطلب بدم عثمان، و ندعو الناس إلى أن يردوا أمر الخلافة شورى ليعتار الناس لأنفسهم. فقالا له: إنّ عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها، و أنت تعلم قتله عثمان من هم و أين هم و إنّك و صاحبك و عايشة كنتم أشد الناس عليه و أعظمهم إغراء بدمه، فأقيدوا من أنفسكم.

و أمّا إعادة أمر الخلافة شورى، فكيف و قد بايعتم عليّا عليه السّلام طائعين غير مكرهين، و أنت لم تبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات النّبيّ صلى الله عليه و آله، و أنت آخذ قائم سيفك تقول: ما أحد أحقّ بالخلافة منه و لا أولى بها منه، امتنعت من بيعه أبى بكر، فأين ذلك الفعل من هذا القول؟! فقال لهما: اذهبا فالقيا طلحة، فقاما إلى طلحة فوجدها خشن اللبس شديد العريكة، قوى العزم

ص: ٥٠

فى إثارة الفتنة و اضرام نار الحرب. فانصرفا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه.

و قال له أبو الأسود:

و طاعن القوم و اجلد و اصبر

يابن حنيف قد أتيت فانفر

و ابرز لهم مستلثما و شمّر

فقال ابن حنيف: أى و الحرمين لأفعلنّ. و أمر مناديه فنادى فى الناس:

السلّاح السلّاح. فاجتمعوا إليه.

و قال أبو الأسود:

أَتَيْنَا الزَّبِيرَ فَدَانِيَ الْكَلَا	م وَ طَلَحَةُ كَالنَّجْمِ أَوْ أَبْعَدُ
و أَحْسَنَ قَوْلَيْهِمَا فَادِح	يُضِيقُ بِهِ الْخُطْبُ مَسْتَنَكِدُ
و قَدْ أَوْعَدُونَا بِجَهْدِ الْوَعَى	د فَأَهْوَنَ عَلَيْنَا بِمَا أَوْعَدُوا
فَقَلْنَا رَكُضْتُمْ وَ لَنْ تَرْمَلُوا	و أَصْدَرْتُمْ قَبْلَ أَنْ تَوْرَدُوا
و إِنْ تَلَقَّحُوا الْحَرْبَ بَيْنَ الرِّجَا	ل فَمَلَقَّحَهَا حَدَّهَ الْأُنْكَدُ
و إِنْ عَلَيَّا لَكُمْ مَصْحَرُ	آلَا إِنَّهُ الْأَسَدُ الْأَسْوَدُ
أَمَّا إِنَّهُ ثَالِثُ الْعَابِدَى	ن بِمَكَّةَ وَ اللَّهُ لَا يَعْبُدُ
فَرَحُّوْا الْخَنَاقَ وَ لَا تَعْجَلُوا	فَإِنْ غَدَا لَكُمْ مَوْعِدُ

و أقبل القوم، فلمّا انتهوا إلى المريد، قام رجل من بنى جشم فقال: أيّها النّاس إن كان هؤلاء أتوكم خائفين لقد أتوكم من المكان الذى يأمن فيه الطير و الوحش و السباع، و إن كانوا أتوكم بطلب دم عثمان فغير ولىّ قتله فأطيعونى.

أيّها النّاس ردّوهم من حيث أقبلوا، فإنّكم إن لم تفعلوا لم تسلموا من الحرب الضروس و الفتنة الصماء التى لا تبقى و لا تذر. فحصبه ناس من أهل البصرة فأمسك، و اجتمع أهل البصرة بالمريد حتّى ملئوه مشاء و ركبانا،

ص: ٥١

فقام طلحة فأشار إلى النّاس بالسكوت ليخطب فسكتوا بعد جهد، فقال: أما بعد، فإن عثمان كان من أهل السابقة و الفضيلة، و من المهاجرين الأوّلين الذين رضى الله عنهم و رضوا عنه، و نزل القرآن ناطقا بفضلهم، و أحد أئمّة المسلمين الوالين عليكم بعد أبى بكر و عمر صاحبي النّبىّ، و قد كان أحدث أحداثا نقمناها عليه، فأتيناه فاستعتبناه فأعتبنا، فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الائمة أمرها غصبا بغير رضى منها و لا مشورة، فقتله و ساعده على ذلك قوم غير أتقياء و لا أبراء، فقتل محرما بريئا تائباً. و قد جئناكم أيّها النّاس نطلب بدم عثمان، و ندعوكم إلى الطلب بدمه، فإن نحن أمكننا الله من قتلته قتلناهم به و جعلنا هذا الأمر شورى بين المسلمين، و كانت خلافة رحمة للامة جميعا، فإن كلّ من أخذ الأمر من غير رضى من العامة و لا مشورة منها ابتز. كان ملكه ملكا عضوا و حدثا كبيرا.

ثمّ قام الزبير فتكلّم بمثل كلام طلحة، فقام إليهما ناس من أهل البصرة، فقالوا لهما: ألمّ تبايعا عليّا فيمن بايعه، ففيم بايعتما ثم نكتتما؟! فقالا: ما بايعناه و لا لأحد في أعناقنا بيعه، و إنّما استكرهنا على بيعته. فقال ناس: قد صدقا و أحسنا القول و قطعنا بالصواب.

و قال ناس: ما صدقا و لا أصابا. حتّى ارتفعت الأصوات، ثم أقبلت عايشة على جملها فنادت بصوت مرتفع: أيّها النّاس أفلّوا الكلام و اسكتوا.

فأسكت النّاس لها، فقالت: إنّ أمير المؤمنين عثمان غير و بدّل، ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة حتى قتل مظلوما تائبا، و إنّما نقموا عليه ضربه بالسوط و تأميره الشّبّان و حمايته موضع الغمامة فقتلوه محرما، في حرمة الشهر و حرمة البلد ذبحا كما يذبح الجمل. ألا و إنّ قريشا رمت غرضها بنبالها و أدمت أفواهها بأيديهما، و ما نالت بقتلها إيّاه شيئا، و لا سلك به سبيلا قاصدا.

ص: ٥٢

أما و الله ليرونها بلايا عقيمة تنبّه النائم و تقيم الجالس، و ليسلطنّ عليهم قوم لا يرحمونهم يسومونهم سوء العذاب.

أيّها النّاس ما بلغ من ذنب عثمان ما يستحلّ به دمه مصصتموه كما يماص الثوب الرخيص، ثم عدوتم عليه قتلتموه بعد توبه و خروجه من ذنبه، و بايعتم ابن أبى طالب بغير مشورة من الجماعة، ابتزازا و غصبا، أترانى أغضب لكم من سوط عثمان و لسانه و لا أغضب لعثمان من سيوفكم، ألا إنّ عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتلته، فإذا ظفرت بهم فاقتلوهم، ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر، و لا يدخل فيهم من شرك فى دم عثمان.

فماج النّاس و اختلطوا، فمن قائل يقول: القول ما قالت. و من قائل يقول:

و ما هى و هذا الأمر؟ إنّما هى امرأة مأمورة بلزوم بيتها. و ارتفعت الأصوات و كثر اللغط حتّى تضاربوا بالنعال و تراموا بالحصباء.

ثمّ إنّ النّاس تمايزوا فصاروا فريقين، فريق مع عثمان بن حنيف، و فريق مع عايشة و أصحابها. فلمّا أقبل طلحة و الزبير من المريد يريدان ابن حنيف و جداه و أصحابه قد أخذوا بأفواه السكك، فمضوا حتّى انتهوا إلى موضع الدّباغين، فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف، فشجرهم طلحة و الزبير و أصحابهما بالرماح، فحمل عليهم حكيم بن جبلة فلم يزل و أصحابه يقاتلونهم حتّى أخرجوهم من جميع السكك، و رماهم النساء من فوق البيوت بالحجارة، فأخذوا إلى مقبرة بنى مازن فوقفوا بها مليا حتّى ثابت إليهم خيلهم، ثم أخذوا على مسنأة البصرة حتّى انتهوا إلى الرابوقة، ثم أتوا سبخة دار الرزق فنزلوها، و أتاهما عبد الله بن حكيم التهمى لمّا نزل السبخة بكتب كانا كتبها إليه، فقال لطلحة: أما هذه كتبك إلينا؟ قال بلى. قال: فكتبت أمس

ص: ٥٣

تدعوننا إلى خلع عثمان و قتله، حتّى إذا قتلته أتيتنا ثائرا بدمه، فلعمري ما هذا رأيك، لا تريد إلّا هذه الدّنيا، مهلا إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من عليّ عليه السّلام ما عرض عليك من البيعة فبايعته طائعا راضيا ثم نكثت بيعته، ثم جئت لتدخلنا في فتنتك؟! فقال: إن عليّا دعاني إلى بيعته بعد ما بايعه النّاس، فعلمت أنّي لو لم أقبل ما عرضه عليّ لم يتم لي، ثم يغري بي من معه.

ثم أصبحا من غد فصفا للحرب، و خرج ابن حنيف إليهما فناشدهما الله و الإسلام و أذكرهما ببيعتهما عليّا عليه السّلام، فقالا: نحن نطلب بدم عثمان. فقال لهما: و ما أنتما و ذاك، أين بنو عمّه الذين هم أحقّ به منكم؟ كلا و الله و لكنّكما حسدتما حيث اجتمع النّاس عليه، و كنتما ترجوان هذا الأمر و تعملان له، و هل كان أحد أشدّ على عثمان قولا منكما؟ فشتماه شتما قبيحا و ذكرا أمّه.

فقال للزبير: أما و الله لو لا صفيّة و مكانها من النّبيّ صلّى الله عليه و آله فإنّها أدنتك إلى الظل، و إن الأمر بيني و بينك يا بن صعبة- يعني طلحة- أعظم من القول، لأعلمنكما من أمركما ما يسوؤكما، اللهمّ إني قد أعذرت إلى هذين الرجلين. ثم حمل عليهم و اقتتل النّاس قتالا شديدا، ثم تجاوزوا و اصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح فكتب: هذا ما اصطلح عليه ابن حنيف و من معه من شيعة أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام و طلحة و الزبير و من معهما من المسلمين من شيعتهما، إن لابن حنيف دار الامارة و الرحبة و المسجد و بيت المال و المنبر، و إن لطلحة و الزبير و من معهما أن ينزلوا حيث شاءوا من البصرة، لا يضار بعضهم بعضا في طريق و لا فرضة و لا سوق و لا شريعة و لا مرفق حتّى يقدم أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام، فإن أحبوا دخلوا فيما دخلت فيه الامّة، و إن أحبوا لحق كل قوم بهواهم من قتال و سلم و خروج و إقامة. و على الفريقين بما كتبوا

ص: ٥٤

عهد الله و ميثاقه و أشد ما أخذ الله على نبي من أنبيائه من عهد و دمة.

و ختم الكتاب، و رجع ابن حنيف حتّى دخل دار الامارة و قال لأصحابه:

الحقوا رحمكم الله بأهلكم وضعوا سلاحكم و داووا جرحاكم. فمكنوا كذلك أيّاما.

ثم إنّ طلحة و الزبير قالّا: إن قدم عليّ و نحن على هذه الحال من القلّة و الضعف بأعناقنا. فأجمعا على مراسلة القبائل و استمالة العرب، فأرسلا إلى وجوه النّاس و أهل الرياسة و الشرف يدعونهم إلى الطلب بدم عثمان و خلع عليّ عليه السّلام و إخراج ابن حنيف من البصرة، فبايعهم على ذلك الأزد و ضبة و قيس عيلان كلّها، إلّا الرجل و الرجلين في القبيلة كرهوا أمرهم فتواروا عنهم.

و أرسلوا إلى هلال بن وكيع التميمي فلم يأتهم، فجاءه طلحة و الزبير إلى داره فتوارى عنهما، فقالت له أمّه: ما رأيت مثلك، أتاك شيخا قریش فتواريت عنهما! فلم تزل به حتّى ظهر لهما و بايعهما، و معه بنو عمرو بن تميم كلّهم و بنو حنظلة، إلّا بنو يربوع فإنّ عامّتهم كانوا شيعة لعليّ عليه السّلام، و بايعهم بنو دارم كلّهم إلّا نفرا من بنى مجاشع ذوى دين و فضل. فلمّا استوسق

طلحة و الزبير أمرهما، خرجا فى ليلة مظلمة ذات ريح و مطر و معهما أصحابهما قد ألبسوهما الدروع و ظاهروا فوقها بالثياب، فانتھوا إلى المسجد وقت صلاة الفجر و قد سبقهم ابن حنيف و اقيمت الصلاة، فتقدم ابن حنيف ليصلى بهم فأخّره أصحاب طلحة و الزبير و قدموا الزبير، فجاءت السبابجة، و هم الشرط حرس بين المال فأخّروا الزبير و قدموا ابن حنيف، فغلبهم أصحاب الزبير فقدموه.

- إلى أن قال:- فلما انصرف الزبير من صلاته صاح بأصحابه المتسلحين أن خذوا ابن حنيف. فأخذه بعد أن تضارب هو و مروان بسيفيهما، فلما اسر ضرب ضرب الموت، و تنف حاجباه و أشفار عينيه و كل

ص: ٥٥

شعره فى رأسه و وجهه و أخذوا السبابجة- و هم سبعون رجلا- فانطلقوا بهم و بابن حنيف إلى عايشة، فقالت لأبان بن عثمان: اخرج إليه فاضرب عنقه، فإن الأنصار قتلت أباك و أعانت على قتله. فنادى عثمان: يا عايشة و يا طلحة و يا زبير إن أخى سهل بن حنيف خليفة على بن أبى طالب على المدينة، و أقسم بالله إن قتلتمونى ليضعن السيف فى بنى أبيكم و أهليكم و رهطكم فلا يبقى منكم أحدا. فكفّوا عنه و خافوا أن يوقع سهل بعيالاتهم و أهاليهم بالمدينة، فتركوه. و أرسلت عايشة إلى الزبير أن اقتل السبابجة، فإنه قد بلغنى الذى صنعوا بك، فذبحهم الزبير- و الله- كما يذبح الغنم، ولى ذلك ابنه عبد الله- و هم سبعون رجلا- و بقيت منهم طائفة متمسكين ببيت المال، و قالوا: لا ندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين عليه السلام، فسار إليهم الزبير فى جيش ليلا فأوقع بهم، و أخذ منهم خمسين أسيرا فقتلهم صبرا.

و حدثنا الصقعب قال: كانت السبابجة القتلى يومئذ أربعمئة رجل، فكان غدر طلحة و الزبير بابن حنيف أول غدر كان فى الإسلام. و كان السبابجة أول قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبرا، و خيروا ابن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعلى، فاختار الرحيل، فخلوا سبيله فلحق بعلى عليه السلام، فلما رآه بكى و قال له: فارقتك شيخا و جئتكم أمرد. فقال على عليه السلام: إنا لله و إنا إليه راجعون- ثلاثا-.

فلما بلغ حكيم بن جبلة ما صنع القوم بعثمان بن حنيف، خرج فى ثلاثمئة من عبد القيس مخالفا لهم و منابذا، فخرجوا إليه و حملوا عايشة على جمل، فسمّى ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر، و يوم على عليه السلام يوم الجمل الأكبر، و تجالذ الفريقان بالسيوف، فشدّ رجل من الأزدي من عسكر عايشة على حكيم بن جبلة فضرب رجله فقطعها، و وقع الأزدي عن فرسه فجثا حكيم

ص: ٥٦

فأخذ رجله فرمى بها الأزدي فصرعه، ثم دب إليه فقتله متكئا عليه حتى زهقت نفسه، فمر رجل بحكيم و هو يجود بنفسه فقال: من فعل بك كذا، قال: و سادى، فنظر فإذا الأزدي تحته.

و كان حكيم شجاعا مذكورا، و قتل مع حكيم إخوة له ثلاثة، و قتل أصحابه كلهم و هم ثلاثمائة من عبد القيس و القليل منهم من بكر بن وائل، فلما صفت البصرة لطلحة و الزبير بعد قتل حكيم و أصحابه و طرد ابن حنيف، اختلفا فى الصلاة و أراد كل واحد منهما أن يؤم بالناس، و خاف أن تكون صلاته خلف صاحبه تسليما أو رضى بتقدمه، فأصلحت بينهما عيشة بأن جعلت عبد الله بن الزبير و محمد بن طلحة يصليان بالناس هذا يوما و هذا يوما.

ثم دخلا بيت مال البصرة، فلما رأوا ما فيه من الأموال قال الزبير: «وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمُ هَذِهِ»^{١٣٥}، فنحن أحق بها من أهل البصرة.

فأخذوا ذلك المال، فلما غلب على عليه السلام رد تلك الأموال إلى بيت المال و قسمها فى المسلمين^{١٣٦}.

قلت: و روى قريبا منه مع زيادة و نقصان المفيد فى (جملة) عن أبى مخنف و ابن دأب و الواقدى و المدائنى^{١٣٧}.

و قال ابن أبى الحديد أيضا: كان القسم بن محمد بن يحيى بن طلحة الملقب أبا بكرة ولى شرطه الكوفة لعيسى بن موسى العباسى، و كان كلم إسماعيل بن جعفر الصادق بكلام خرجا فيه إلى المنافرة، فقال القسم: لم يزل فضلنا و إحساننا سابغا عليكم يا بنى هاشم خاصة و على بنى عبد مناف كافة.

ص: ٥٧

فقال إسماعيل: أى فضل و إحسان أسديتموه إلى بنى عبد مناف؟ أغضب أبوك جدى بقوله: «ليموتن محمد و لنجولن بين خلاخيل نسائه كما جال بين خلاخيل نساتنا» فأنزل الله تعالى مراغمة لأبيك: «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لَا أَنْ تُنْكِحُوا أَرْوَاحَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا»^{١٣٨}، و منع ابن عمك امى حقها من فذك و غيرها من ميراث أبيها، و أجلب أبوك على عثمان و حصره حتى قتل، و نكت بيعة على عليه السلام و شام السيف فى وجهه، و أفسد قلوب المسلمين عليه، فإن كان لبنى عبد مناف قوم غير هؤلاء أسديتم إليهم إحسانا فعرفنى من هم جعلت فداك^{١٣٩}.

قلت: و فى (تاريخ بغداد): دخل أبو بكر بن عياش على موسى بن عيسى و هو على الكوفة و عنده عبد الله بن مصعب الزبيرى، فأداناه و دعا له بتكاء فاتكأ و بسط رجله، فقال عبد الله بن مصعب لموسى: من هذا الذى دخل و لم نستأذن له ثم اتكأته و بسطته؟ قال: هذا فقيه الفقهاء، و الرأس عند أهل البصرة، أبو بكر بن عياش. فقال: فلا كثير و لا طيب و لا مستحق لكل ما فعلته به.

فقال ابن عياش: أيها الأمير من هذا الذى سأل عنى بجهل ثم تتابع فى جهله بسوء قول و فعل؟ فنسبه له، فقال له ابن عياش: اسكت مسكتا، فبأيك غدر ببيعتنا، و بقول الزور خرجت امنا، و بانه هدمت كعبتنا، و بك أخرى ان يخرج الدجال فينا.

^{١٣٥} (١) الفتح: ٢٠.

^{١٣٦} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٣١١-٣٢٣، و النقل بتصرف و تلخيص.

^{١٣٧} (٣) الجمل للمفيد: ٢٧٣-٢٨٦.

^{١٣٨} (١) الأحزاب: ٥٣.

^{١٣٩} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٣٢٣-٣٢٤.

فضحك موسى حتى فحص برجله، و قال للزبيرى: أنا و الله أعلم أنه يحوط أهلك و أباك و يتولاه و لكنك مشؤوم على آبائك^{١٤٠}.

ص: ٥٨

قوله عليه السلام فى الأول: «فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله صلى الله عليه و آله كما تجرّ الأمة عند شرائها، متوجهين بها إلى البصرة فحبسا نساءهما فى بيوتهما و أبرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه و آله لهما و لغيرهما» فى (الطبرى): أقبل جارية بن قدامة السعدى إلى عايشة يوم الجمل فقال لها: لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح، إنه قد كان لك من الله ستر و حرمة فهتكت سترك و أبحت حرمتك، إنه من رأى قتالك يرى قتلك، إن كنت أتيتنا طائعة فارجعى إلى منزلك، و إن كنت أتيتنا مستكرهة فاستعينى بالناس.

و خرج غلام شاب من بنى سعد إلى طلحة و الزبير و قال: أمّا أنت يا زبير فحوارى النّبىّ صلى الله عليه و آله، و أمّا أنت يا طلحة فوقيت النّبىّ بيدك، و أرى أمكما معكما فهل جئتما بنسائكما؟ قالّا: لا، قال: فما أنا منكما فى شىء، و اعتزل و قال:

هذا لعمرك قلّة الإنصاف

صنتم حلائلكم و قد تم أمكم

فهوت تشق البيد بالايحاف

أمرت بجز ذيولها فى بيتها

بالنبيل و الخطىّ و الأسياف

غرضا يقاتل دونها أبنائها

هذا المخبر عنهم و الكافى^{١٤١}

هتكت بطلحة و الزبير ستورها

هذا، و فى (الأغانى): كانت بالمدينة قينة لآل نفيس يقال لها بصيص، و كان مولاهما صاحب قصر نفيس الذى يقول فيه الشاعر:

مثقات الأعجاز قبّ البطون

شاقنى الزائرات قصر نفيس

و كان تأتيها فتيان من قريش فيستمعون منها، و يأتيها عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، و حجّ المنصور و مر بالمدينة فى منصرفه، فقال عبد الله بن مصعب:

^{١٤٠} (٣) تاريخ بغداد ١٤: ٣٧٥-٣٧٦.
^{١٤١} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٦٥، سنة ٣٦.

أ راحل أنت أبا جعفر

من قبل أن تسمع من بصبصا

ص: ٥٩

هيهات أن تسمع منها إذا

جاوزت العيس بك الأعوصا

فخذ عليها مجلسى لذة

و مجلسا من قبل أن تشخصا

أحلف بالله يمينا و من

يحلف بالله فقد أخلصا

لو أنها تدعو إلى بيعه

بايعتها ثم شقت العصا

فبلغ ذلك المنصور فغضب، و دعا به و قال له: أمّا إنكم يا آل الزبير قديما قادتكم النساء و شقتن معهنّ العصا حتّى صرت أنت آخر الحمقى تبايع المغنّيات، فدوّنكم آل الزبير و هذا المرتع الوخيم^{١٤٢}.

«فى جيش ما منهم رجل إلّا و قد أعطانى الطاعة و سمح» أى: جاد.

«لى بالبيعة طائعا غير مكره» حتّى مروان بن الحكم، و جيشهما و إن كان مقدار منهم من مكّة و مقدار منهم من البصرة، و هم لم يحضروا بيعته عليه السّلام، إلّا أنّ عمّاله عليه السّلام كانوا أخذوا منهم البيعة.

قوله عليه السّلام فى الأوّل: «فقدّموا على عاملى بها و خزّان بيت مال المسلمين و غيرهم من أهلها» و فى الثانى: «فقدّموا على عمّالى و خزّان بيت مال المسلمين الذى فى يدى و على أهل مصر كلّهم فى طاعتى و على بيعتى» فى (فتوح البلاذرى):

كانت جماعة من السباجنة موكلين بيت مال البصرة، يقال إنهم أربعون، و يقال أربعمئة، فلمّا قدم طلحة و الزبير البصرة و عليها من قبل علىّ عليه السّلام عثمان بن حنيف، فأبوا أن يسلموا بيت المال إلى قدوم علىّ عليه السّلام، فأتوهم فى السحر فقتلوهم، و كان عبد الله بن الزبير المتولّى لأمرهم فى جماعة تسرعوا إليهم معه، و كان علىّ السباجنة يومئذ أبو سالمه الزطى و كان رجلا صالحا^{١٤٣}.

^{١٤٢} (١) الأغاني ١٥: ٢٨ - ٢٩.

^{١٤٣} (٢) فتوح البلدان: ٣٦٩ فى ذكر أمر الأساوة و الزط.

ص: ٦٠

و قد عرفت من رواية أبي مخنف أن قتل ابن الزبير كان بطلب أمّ مؤمنينهم ذلك.

هذا، و في (الصحيح): السبابة قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة و حراس السجن^{١٤٤}.

و هو كما ترى فإنهم كانوا خزان بيت المال لا حراس السجن.

قوله عليه السلام فيه: «فشتوا كلمتهم و أفسدوا على جماعتهم، و وثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدرا» و في الأول: «فقتلوا طائفة صبرا و طائفة غدرا» أما الذين قتلوا غدرا فهم على رواية أبي مخنف المتقدم السبعون من السبابة، كانوا نصروا ابن حنيف فغدروا بهم في غدرهم بآبن حنيف، فذبحهم ابن الزبير من قبل أبيه بطلب أمهم كما يذبح الغنم، و أمّا الذين قتلوهم صبرا فهم الذين أبوا تسليم بيت المال و هم خمسون في قول و أربعمئة في آخر.

و مرّ خبر أبي مخنف في أن غدر طلحة و الزبير كان أول غدر في الإسلام، و قتل أولئك صبرا أول قتل في الإسلام صبرا.

قلت: و غدرهم كان مترتبا على أول غدر في الإسلام، و هو غدرهم بصاحب الغدير، و قد أخبره النبي صلى الله عليه و آله بذلك في قوله: إنّ الأمة ستغدر بك بعدى.

قول المصنّف في الثاني: «و من كلام له» هكذا في (المصرية)^{١٤٥} و (ابن أبي الحديد)^{١٤٦}، و لكن في (ابن ميثم): «و من هذا الكلام»^{١٤٧} و في (الخطبة):

«و منه».

ص: ٦١

قوله عليه السلام في الثاني: «و طائفة منهم» هكذا في (المصرية)^{١٤٨}، و كلمة (منهم) زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطبة)^{١٤٩}.

«عضوا على أسيافهم فضاربوا بها حتّى لقوا الله صادقين» المراد بهم من قتل يوم الجمل الأصغر، خروج حكيم بن جبلة مع ثلاثة إخوة له و ثلاثمئة أكثرهم من عشيرته عبد القيس و جهادهم معهم حتّى قتلوا عن آخرهم.

^{١٤٤} (١) الصحيح ١: ٣٢١، مادة: (سج).

^{١٤٥} (٢) نهج البلاغة ٢: ٢٢٨.

^{١٤٦} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٢١.

^{١٤٧} (٤) في شرح ابن ميثم ٤: ٥٠: و من كلام له عليه السلام أيضا.

^{١٤٨} (١) نهج البلاغة ٢: ٢٢٨.

^{١٤٩} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٢١، و لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٥٠: طائفة منهم أيضا.

قوله عليه السّلام فى الأوّل: «فو الله لو لم يصيبوا من المسلمين إلّا رجلا واحدا معتمدين» أى: قاصدين لقتله.

«بلا جرم جرّه لحلّ لى قتل ذلك الجيش كله» فإنّ جميع النّاس لو اشتركوا فى قتل واحد جاز قتل الجميع، والجيش وإن لم يشترك جميعهم فى قتل من قتل، بل ابن الزبير وعدّة أو هو وحده، إلّا أنّه لما كان ذلك بقوة باقى الجيش مع عدم إنكارهم و دفاعهم كما قال عليه السّلام:

«إذ حضروه فلم ينكروه و لم يدفعوا عنه بلسان و لا بيد» هكذا فى (المصرية)^{١٥٠}، و الصواب: «و لا يد» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)^{١٥١} كان كاشترأكهم.

«دع ما انهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة التى دخلوا بها عليهم» يعنى إذا كان قتل جميع الجيش حلالا لقتل واحد عمدا، كيف لا يحل قتلهم لمثل تلك العدّة التى قتلوها، خزّان بيت المال كانوا أربعمئة على رواية أبى مخنف عن الصّعب، و أصحاب حكيم بن جبلة كانوا ثلاثمئة.

و فى رواية (رسائل الكليني): فدعوا النّاس إلى معصيتى و نقض بيعتى،

ص: ٦٢

فمن أطاعهم أكفّروه و من عصاهم قتلوه، فناجزهم حكيم بن جبلة فقتلوه فى سبعين رجلا من عبّاد أهل البصرة و مخبئهم يسمّون المثفنين، كأنّ راح أكفّهم ثفّنات الإبل. و أبى أن يبايعهم يزيد بن حارث اليشكرى فقال: اتقيا الله، إن أولكم قادنّا إلى الجنّة، فلا يقودنا آخركم إلى النار، فلا تكلفونا أن نصدق المدعى و نقضى على الغائب. أما يمينى فشغلها علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، و هذه شمالي فارغة فخذها إن شتّمنا. فخنق حتّى مات.

و قام عبد الله بن حكيم التميمي فقال: يا طلحة هل تعرف هذا الكتاب، ألك؟ قال: نعم - فإذا فيه عيب عثمان و الدعاء إلى قتله - فسبّره من البصرة، و أخذوا عاملى عثمان بن حنيف الأنصارى غدرا فمثلوا به كل مثله و تنفّوا كلّ شعرة فى رأسه و وجهه...^{١٥٢}

و أمّا عدّة طلحة و الزبير و عايشة التى دخلوا بها البصرة، ففى (الطبرى): فى اسناد عن الزهرى أنّهم خرجوا من مكّة فى سبعمئة رجل من أهل المدينة و مكّة، ثمّ لحقهم النّاس حتّى كانوا ثلاثة آلاف^{١٥٣}.

هذا و فى (صفين نصر): أنّه عليه السّلام لما ورد الكوفة بعد فتح البصرة قام إليه أبو بردة بن عوف الأزدي - و كان ممّن تخلف عنه عليه السّلام - فقال: أرايت القتلى حول عايشة و طلحة و الزبير بم قتلوا؟ فقال عليه السّلام: قتلوا شيعتى و عمّالى، و قتلوا أبا ربيعة العبدى رحمة الله عليه فى عصابة من المسلمين، قالوا لهم لا ننكت كما نكتتم و لا نغدر كما غدرتم، فوثبوا عليهم

^{١٥٠} (٣) نهج البلاغة ٢: ١٠٤.

^{١٥١} (٤) فى شرح ابن أبى الحديد ٩: ٣٠٩ و شرح ابن ميثم ٣: ٣٣١: و لا بيد أيضا.

^{١٥٢} (١) رسائل الكليني.

^{١٥٣} (٢) تاريخ الطبرى سنة ٤: ٤٥٢، ٣٦.

فقتلوه، فسألهم أن يدفعوا إلى قتل إخواني أقتلهم بهم، ثم كتاب الله حكم بيني وبينهم، فأبوا على فقاتلونى و فى أعناقهم بيعتى، و دماء قريب من ألف رجل من شيعتى فقتلتهم

ص: ٦٣

بهم. أ فى شك أنت من ذلك؟ فقال: قد كنت فى شك، فأما الآن فقد استبان لى خطوهم، و إنك أنت المهدي المصيب^{١٥٤}.

٧

الكتاب (٥٧) و من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّى خَرَجْتُ مِنْ حَبِّى هَذَا - إِمَّا ظَالِمًا وَ إِمَّا مَظْلُومًا وَ إِمَّا بَاغِيًا وَ إِمَّا مَبْغِيًّا عَلَيْهِ - وَ إِنِّى أَذْكُرُ اللَّهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِى هَذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَى - فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِنًا أَعَانَنِى - وَ إِنْ كُنْتُ مُسِيئًا اسْتَعْتَبَنِى أَقُولُ: روى هذا الكتاب أبو مخنف فى (جملة ١ أبو مخنف - الجمل -)، و قد نقله (ابن أبى الحديد ٢ ابن أبى الحديد - شرح نهج البلاغه - ج ١٤ ص ٩ تا ١١) فى شرح كتابه الأول، روى: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا نَزَلَ الرِّبْدَةَ بَعَثَ هَاشِمَ بْنَ عَتْبَةَ إِلَى أَبِي مُوسَى، فَتَوَعَّدَهُ أَبُو مُوسَى، فَكَتَبَ هَاشِمُ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ، فَبَعَثَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنَ عَبَّاسٍ وَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ إِلَى أَبِي مُوسَى فَأَبْطَأَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَرَحَلَ عَنِ الرِّبْدَةِ إِلَى ذِي قَارٍ وَ بَعَثَ مِنْهَا الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ عَمَّارًا وَ زَيْدَ بْنَ صُوحَانَ وَ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ وَ كَتَبَ مَعَهُمْ هَذَا الْكِتَابَ. وَ لَقَدْ حَكَى مِثْلَهُ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ عَمَّارٌ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ^{١٥٥}.

ففى (الطبرى): أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَتَبَ مَعَ الْحَسَنِ وَ عَمَّارٍ إِلَى أَبِي مُوسَى بِاعْتِزَالِهِ، وَ وَلايَةَ قَرْظَةَ بْنَ كَعْبٍ مَكَانَهُ، وَ لَمَّا دَخَلَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ عَمَّارٌ مَسْجِدَ الْكُوفَةِ قَالَا: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِنِّى خَرَجْتُ مَخْرَجِى هَذَا ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، وَ إِنِّى أَذْكُرُ اللَّهَ رَجُلًا دَعَى لِلَّهِ حَقًّا إِلَّا نَفَرَ، فَإِنْ كُنْتُ مَظْلُومًا

ص: ٦٤

أَعَانَنِى، وَ إِنْ كُنْتُ ظَالِمًا أَخَذَ مِنِّى. وَ اللَّهُ إِنْ طَلَحَهُ وَ الزَّبِيرَ لِأَوَّلٍ مِنْ بَايَعَنِى وَ أَوَّلٍ مِنْ غَدَرِى، فَهَلِ اسْتَأْثَرْتُ بِمَالٍ أَوْ بَدَلْتُ حَكْمًا؟ فَانْفَرُوا، فَمَرَوْا بِمَعْرُوفٍ، وَ انْهَوْا عَنْ مَنَكِرٍ^{١٥٦}.

وَ إِنَّمَا كَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ هَذَا الْكِتَابَ لِأَنَّ أَبَا مُوسَى كَانَ يَأْمُرُهُمُ بِالْتَّقَاعِدِ، وَ يَقُولُ لَهُمْ: «هَذِهِ فَتْنَةٌ صَمَاءُ، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ، وَ الْيَقْظَانُ خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ، وَ الْقَاعِدُ خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَ الْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الرَّكَّابِ. اغْمِدُوا سِيُوفَكُمْ وَ انْصَلُوا أَسْنَتَكُمْ، وَ اقْطَعُوا أَوْتَارَ قَسِيَّكُمْ حَتَّى يَلْتَمِسَ هَذَا الْأَمْرُ، وَ تَنْجَلِى هَذِهِ الْفِتْنَةُ. وَ إِنِّى سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ^{١٥٧}».

^{١٥٤} (١) وقعة صفين: ٤ - ٥.

^{١٥٥} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٤: ٩ - ١١.

^{١٥٦} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٥٠٠، سنة ٣٦.

^{١٥٧} (٢) المصدر نفسه ٤: ٤٨٦ - ٤٨٧، سنة ٣٦.

قول المصنّف: «و من كتاب له عليه السّلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة» قد عرفت من خبر أبي مخنف أنّه كان من ذى قار.

قوله: «أما بعد فإنّي خرجت من حبي هذا» هكذا فى (المصرية)^{١٥٨} و فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)^{١٥٩}: «عن حبي هذا». ثم «حبي» فى كل النسخ، قال ابن أبى الحديد: معناه منزلى^{١٦٠}. و قال ابن ميثم: قبيلتى^{١٦١}.

و أقول: «من حبي» أو «عن حبي» تصحيف من الرضى رضى الله عنه، و الأصل (مخرجى). فمستنده، و هو كتاب أبى مخنف «فانى خرجت مخرجى هذا»^{١٦٢}.

و مرّ أيضا: نقل الحسن عليه السّلام و عمّار رضى الله عنه كلامه عليه السّلام لأهل الكوفة بلفظ

ص: ٦٥

(مخرجى) و لا يخفى قريهما خطأ فاشتبه عليه.

«أما ظالما و أما مظلوما، و أما باغيا و أما مبغيا عليه» فإن من خرج لقتال لا بد أن يكون من أحدهما.

«و إنّى» هكذا فى (المصرية)^{١٦٣}، و الصواب: (و انا)، كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)^{١٦٤} و الخطيئة).

«اذكر الله» الله مفعول ثان قدّم للأهميّة.

«من» مفعول أوّل.

«بلغه كتابى هذا لما» قال ابن أبى الحديد: «لما» بمعنى إلّا كقوله تعالى:

«إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ»^{١٦٥}، و قال^{١٦٦} ابن ميثم: لَمَّا مشددة بمعنى إلّا و مخففة، و (ما) زائدة دخل عليها لام التأكيد أى: لينفرن إلى^{١٦٧}.

قلت: كون لَمَّا بمعنى إلّا إن ثبت، شرطه تقدّم (ان) نفى و ليس فى كلامه عليه السّلام فتعین الثانى.

^{١٥٨} (٣) نهج البلاغة ٣: ١٢٥.

^{١٥٩} (٤) هكذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٧: ١٤٠، و لكن فى شرح ابن ميثم ٥: ١٩٣: من حيي أيضا.

^{١٦٠} (٥) شرح ابن أبى الحديد ١٧: ١٤٠.

^{١٦١} (٦) شرح ابن ميثم ٥: ١٩٣.

^{١٦٢} (٧) شرح ابن أبى الحديد ١٤: ١١.

^{١٦٣} (١) نهج البلاغة ٣: ١٢٥.

^{١٦٤} (٢) هكذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٧: ١٤٠، و لكن فى شرح ابن ميثم ٥: ١٩٣: و إنّي أيضا.

^{١٦٥} (٣) الطارق: ٤.

^{١٦٦} (٤) شرح ابن أبى الحديد ١٧: ١٤٠.

^{١٦٧} (٥) شرح ابن ميثم ٥: ١٩٣.

«نفر» أى: شخص.

«إلى فإن كنت محسنا أعاننى» و روى الطبرى عن محمد بن الحنفية قال:

أقبلنا من المدينة بسبعمئة رجل، و خرج إلينا من الكوفة سبعة آلاف، و انضم إلينا من حولنا ألفان، أكثرهم بكر بن وائل - و يقال ستة آلاف^{١٦٨}.

و عن أبى الطفيل قال على عليه السلام: يأتىكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل

ص: ٦٦

و رجل، فقعدت على نجفة ذى قار، فأحصيتهم فما زادوا رجلا و لا نقصوا رجلا^{١٦٩}.

«و إن كنت مسينا استعبنى» أى: طلب رجوعى.

فى (خلفاء ابن قتيبة): قال عمّار لأهل الكوفة: أيها الناس إن أبا موسى ينهاكم عن الشخوص إلى هاتين الجماعتين، و ما صدق فيما قال و ما رضى الله عن عبادته بما قال، قال عزّ و جل: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَتَهُمَا فَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»^{١٧٠}. و قال تعالى: «وَقاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ»^{١٧١}، فلم يرض من عبادته بما ذكره أبو موسى، من أن يجلسوا فى بيوتهم و يخلوا الناس فيفسك بعضهم دماء بعض، فسيروا معنا إلى هاتين الجماعتين و اسمعوا من حججهم و انظروا من أولى بالنصر فاتبعوه، فإن أصلح الله أمرهم رجعتهم مأجورين، و قد قضيتهم حق الله، و إن بغى بعضهم على بعض، نظرتم إلى الفئة الباغية فقاتلتموها حتى تفيء إلى أمر الله كما أمركم الله و افترض عليكم^{١٧٢}.

و روى (جمل أبى مخنف): أن عمّارا قال لأبى موسى: أما إننى أشهد أن رسول الله صلى الله عليه و آله أمر عليّا بقتال الناس، و سمى له فيهم من سمى، و أمرهم بقتال القاسطين و إن شئت لأقيم لك شهودا يشهدون أن النبى صلى الله عليه و آله إنما نهاك

ص: ٦٧

وحدك و حذرک من الدخول فى الفتنة^{١٧٣}.

^{١٦٨} (٦) تاريخ الطبري ٤: ٥٠٦، سنة ٣٦.

^{١٦٩} (١) المصدر نفسه ٤: ٥٠٠، سنة ٣٦.

^{١٧٠} (٢) الحجرات: ٩.

^{١٧١} (٣) الأنفال: ٣٩.

^{١٧٢} (٤) الإمامة و السياسة ١: ٦٦.

^{١٧٣} (١) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرح النهج ١٤: ١٥.

قلت: ونهى النبي صلى الله عليه وآله لأبي موسى وحده، كما نقله عمّار من آيات نبوته، فأبو موسى صار منشأ لفنتين، الأولى فتنة تشبيطه الناس عن أمير المؤمنين عليه السلام، فهو كان متفرداً في ذلك، فعبد الله بن عمر و سعد بن أبي وقاص و محمد بن مسلمة و المغيرة بن شعبة اعتزلوه عليه السلام و اعتزلوا غيره و لم يشبطوا الناس مثل أبي موسى عنه عليه السلام.

و قد أشار إلى ذلك زيد بن صوحان - و كان من الجلال بمكان اعترفت به عايشة مع كونها مبغضة لشيعه أمير المؤمنين عليه السلام مثله^{١٧٤} -.

ففي (الطبري): لما أمر أبو موسى الناس بالتشبيط، قام إليه زيد بن صوحان و شال يده المقطوعة و أومى إلى أبي موسى و تلا: «الْمُ أَحْسَبُ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ»^{١٧٥} ثم نادى: سيروا إلى أمير المؤمنين صراط سيّد المرسلين، و انفروا إليه أجمعين^{١٧٦}.

و الثانية: فتنة حكميته و خطبه في ذلك أيضا واضح لا يحتاج إلى بيان.

و قد رد على أبي موسى غير عمّار و زيد عبد خير الخيواني، ففي (الطبري): أنه قال لأبي موسى: أخبرني عن هذين الرجلين ألم يبايعا علياً عليه السلام؟ قال: بلى. قال: فأحدث علياً عليه السلام حدثاً يحل به نقض بيعته؟ قال: لا أدري، قال: لا دريت و لا أتيت، إذا كنت لا تدري فنحن تاركوك حتى تدري، أخبرني هل تعلم أحداً خارجاً عن هذه الفرق الأربع على بظهر الكوفة و طلحة

ص: ٦٨

و الزبير. البصرة و معاوية بالشام و فرقة رابعة بالحجاز قعود لا يجبي بهم فيء و لا يقاتل بهم عدو؟ قال أبو موسى: أولئك خير الناس، فقال له عبد خير:

اسكت يا أبا موسى فقد غلب عليك غشك^{١٧٧}.

٨

الكتاب (٦٣) و من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري - و هو عامله على الكوفة - و قد بلغه عنه تشبيطه الناس عن الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل:

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ؟ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ إِلَى؟ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ؟ - أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَ عَلَيْكَ - فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَلِكَ - وَ اشْدُدْ مِثْرَكَ وَ اخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ وَ انْدُبْ مِنْ مَعَكَ - فَإِنْ تَحَقَّقْتَ فَأَنْفِذْ وَ إِنْ تَفَشَّلْتَ فَأَبْعُدْ - وَ ائِمُّ اللَّهَ

^{١٧٤} (٢) انظر الجمل للمفيد: ٥١، ٢٤٨، ٢٥١، ٤٣١، و أماليه: ٢١٧-٢١٨.

^{١٧٥} (٣) العنكبوت: ١-٣.

^{١٧٦} (٤) تاريخ الطبري ٤: ٤٨٤، سنة ٣٦.

^{١٧٧} (١) تاريخ الطبري ٤: ٤٨٦، سنة ٣٦.

لَتَوْتِينَ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ - وَ لَا تُتْرَكُ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَائِرِكَ - وَ ذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ - وَ حَتَّى تُعْجَلَ عَنْ قَعْدَتِكَ - وَ تَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ كَحَذَرَكَ مِنْ خَلْفِكَ - وَ مَا هِيَ بِالْهُوَيْنَى الَّتِي تَرْجُو - وَ لَكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى - يُرَكَبُ جَمَلُهَا وَ يُدَلُّ صَعْبُهَا وَ يُسَهَّلُ جَبَلُهَا - فَاعْقِلْ عَقْلَكَ وَ أَمْلِكْ أَمْرَكَ وَ خُذْ نَصِيحَكَ وَ حَظَّكَ - فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ وَ لَا فِي نَجَاءٍ - فَبِالْحَرَى لَتَكْفَيْنَ وَ أَنْتَ نَائِمٌ حَتَّى لَا يُقَالَ أَيْنَ فُلَانٌ - وَ اللَّهُ إِنَّهُ لِحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ وَ مَا أَبَالِي مَا صَنَعَ الْمُلْحِدُونَ - وَ السَّلَامُ قَوْلُ الصَّنْفِ «و من كتاب له عليه السَّلَام إلى أبي موسى الأشعري و هو عامله على الكوفة» في (تاريخ يعقوبي): عزل على عليه السَّلَام عمال عثمان عن البلدان خلا

ص: ٦٩

أبي موسى و هو الأشعري كلمه الأشر، فأقره^{١٧٨}.

«و قد بلغه عنه تشبيطه» أي: توقيفه.

«الناس عن» و في (المصرية): (على)^{١٧٩} غلط.

«و الخروج إليه لما نديهم لحرب الجمل» هكذا في (المصرية و ابن أبي الحديد)^{١٨٠} و لكن ليس في (ابن ميثم): جملة (لما نديهم)^{١٨١} و لعله سقط من النسخة.

و كيف كان ففي (المروج): لما كاتب على عليه السَّلَام أبا موسى - فنبطهم و قال:

إنما هي فتنة، فسمى ذلك إليه عليه السَّلَام - ولَّى على الكوفة قرظة بن كعب الأنصاري و كتب إلى أبي موسى: «اعتزل عملنا يابن الحائك مذؤوما مدحورا، فما هذا أول يومنا منك، و إن لك فيها لهنات و هنيات»^{١٨٢}.

و عن محمد بن إسحاق: قدم محمد بن جعفر و محمد بن أبي بكر الكوفة لاستنفار الناس، فدخل قوم منهم على أبي موسى ليلا فقالوا له: أشر علينا برأيك في الخروج مع هذين الرجلين إلى على، فقال لهم: أمّا سبيل الآخرة فالزموا بيوتكم، و أمّا سبيل الدنيا فاشخصوا معهم. فمنع بذلك أهل الكوفة من الخروج، و بلغهما ذلك فأغلظا له، فقال لهما: إن بيعت عثمان لفي عنق على و عنقي و أعناقكما ...^{١٨٣}.

ص: ٧٠

^{١٧٨} (١) تاريخ يعقوبي ٢: ١٧٩.

^{١٧٩} (٢) نهج البلاغة ٣: ١٣٣.

^{١٨٠} (٣) نهج البلاغة ٣: ١٣٣، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٦.

^{١٨١} (٤) في شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٤: لما نديهم لحرب أصحاب الجمل أيضا.

^{١٨٢} (٥) مروج الذهب ٢: ٣٦٨ - ٣٦٩.

^{١٨٣} (٦) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٩.

و مثله (خلفاء ابن قتيبة) إلّا أنّه قال: بعث عمّارا و محمّد بن أبي بكر^{١٨٤}.

و عن أبي مخنف: أنّ عليّا عليه السّلام بعث من الرّبذة هاشم بن عتبة إلى أبي موسى، و كتب إليه: أنّي قد بعثت إليك هاشما لتشخص إلى من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتي و قتلوا شيعتي و أحدثوا في الإسلام هذا الحدث العظيم، فاشخص بالناس إلىّ معه حين يقدم إليك، فاني لم أولك المصر الذي أنت فيه، و لم أفرّك عليه إلّا لتكون من أعوانى على الحقّ، و أنصاري على هذا الأمر^{١٨٥}.

و رواه الطبريّ مع اختصار^{١٨٦}.

و عن أبي مخنف: فبعث هاشم بن عتبة من الكوفة المحل بن خليفة إلى عليّ عليه السّلام بالرّبذة، و كتب معه إليه عليه السّلام: «إنّني قدمت بكتابتك على امرئ مشاق بعيد الود، ظاهر الغل و الشنآن، فتهددني بالسجن و خوفني بالقتل.

فبعث عليه السّلام ابن عبّاس و محمّد بن أبي بكر إليه و كتب معهما إليه: أما بعد يا بن الحائك يا عاضّ اير أبيه، فو الله إنّني كنت لأرى أنّ بعدك من هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلا، و لا جعل لك فيه نصيبا، سيمنعك من ردّ امرئ و الابتزاز عليّ، و قد بعثت إليك ابن عبّاس و ابن أبي بكر فخلّهما و المصر و أهله، و اعتزل عملنا مذؤوما مدحورا، فإن فعلت و إلّا فإنّني قد أمرتهما على أن ينادياك على سواء، «أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِنِينَ»^{١٨٧}، فإذا ظهرا عليك قطعاك إربا إربا، و السلام على من شكر النعمة و وفى بالبيعة و عمل برجاء العاقبة^{١٨٨}.

ص: ٧١

و رواه الطبريّ إلّا أنّه قال: بعث الحسن عليه السّلام و عمّارا يستنفران النّاس، و بعث قرظّة أميرا و كتب معه إلى أبي موسى: فقد كنت أرى أنّ عزوبك عن هذا الأمر الذي لم يجعل الله تعالى لك منه نصيبا، سيمنعك من ردّ امرئ، و قد بعث الحسن و عمّارا يستنفران النّاس، و بعث قرظّة واليا على المصر، فاعتزل عملنا مذؤوما مدحورا، فإن لم تفعل فإنّني قد أمرته أن ينادياك فإن نابذته فظفر بك ان يقطعك آرابا^{١٨٩}.

قوله عليه السّلام «من عبد الله على أمير المؤمنين» هكذا في (المصرية و ابن أبي الحديد)^{١٩٠} و لكن ليس في (ابن ميثم): كلمة (على)^{١٩١}.

«إلى عبد الله بن قيس» و هو أبو موسى الأشعريّ.

^{١٨٤} (١) الإمامة و السياسة ١: ٦٥-٦٦.

^{١٨٥} (٢) نقله عنه المفيد في الجمل: ٢٤٢ و ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٤: ٩.

^{١٨٦} (٣) تاريخ الطبري ٤: ٤٩٩، سنة ٣٦.

^{١٨٧} (٤) يوسف: ٥٢.

^{١٨٨} (٥) نقله عنه المفيد في الجمل: ٢٤٢-٢٤٣ و ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٤: ٩-١٠.

^{١٨٩} (١) تاريخ الطبري ٤: ٤٩٩-٥٠٠، سنة ٣٦.

^{١٩٠} (٢) نهج البلاغة ٣: ١٣٣: شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٦.

^{١٩١} (٣) في شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٤: عليّ أمير المؤمنين أيضا.

«أما بعد فقد بلغني عنك قول هو لك و عليك».

قال ابن أبي الحديد: أراد به أن أبا موسى كان يقول لأهل الكوفة: إن علياً إمام هدى و بيعته صحيحة، إلا أنه لا يجوز القتال معه مع أهل القبلة، و هذا القول بعضه حق و بعضه باطل^{١٩٢}.

قلت: كون المراد ما ذكر غير معلوم، فلم يعلم أولاً أن أبا موسى قال ما نسب إليه، و إنما روى المفيد في (جملة): أن ابن عباس خدعه بأن أمير المؤمنين عليه السلام يقره على حكومته، فأخذ البيعة له من الناس.

فروى أن ابن عباس قال له عليه السلام: ابعث إلى الكوفة ابنك الحسن عليه السلام و عمّاراً و أنا أخرج معهما، فلما وصلوا قال لهما: إن أبا موسى عاق، فإذا رفقنا به أدركنا حاجتنا، فقالا له: افعل ما شئت.

ص: ٧٢

فقال لأبي موسى: إن علياً عليه السلام أرسلنا إليك لما يظن من سرعتك إلى طاعة الله و رسوله، و مصيرك إلى ما أحبنا أهل البيت، و قد علمت فضله و سابقته في الإسلام و يقول لك: أن تبائع الناس يقرّك على عملك و يرضى عنك. فانخدع و صعد المنبر فبايع له عليه السلام ثم نزل^{١٩٣}.

و ثانياً: إنه لو ثبت ما نسب إليه، لم يعلم صحّة التعبير عنه بأنه (قول لك و عليك)، و لعل في الرواية تحريفاً، و أن الأصل: (قول هو عليك لا لك).

فروى ابن قتيبة و أبو مخنف: إن أبا موسى قال لرسوله عليه السلام محمد بن أبي بكر و عمّاراً و محمد بن جعفر: بأننا لو أردنا قتالاً ما كنّا نبدأ بأحد من قتلة عثمان^{١٩٤}.

و لازمه نصره له عليه السلام في حربه مع طلحة و الزبير و عايشة لاعترافه بدخالتهم في قتل عثمان، و اعتزاله عليه السلام عنه فيكون قوله عليه لا له.

و يمكن أيضاً بأن يقال: بأن قوله ذاك عليه لا له، بأن قوله يستلزم حلية قتل عمّار، مع أن المتواتر قول النبي صلى الله عليه و آله: «عمّار تقتله الفئة الباغية»، فضلاً عن كونه مجمعا على جلاله.

و في (خلفاء ابن قتيبة): أن عمّاراً قال: يا أهل الكوفة إن كان غابت عنكم أمورنا فقد انتهت إليكم أنباؤنا، إن قتله عثمان لا يعتذرون من قتله إلى الناس، و لا ينكرون ذلك، و قد جعلوا كتاب الله بينهم و بين محاجّيتهم، فيه أحيى الله من أحيى و أمات من أمات، و إن طلحة و الزبير كانا أول من طعن و آخر من أمر، و كانا أول من بايع علياً عليه السلام، فلما أخطأهما ما أملاه

^{١٩٢} (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٦.

^{١٩٣} (١) الجمل للمفيد: ٢٦١.

^{١٩٤} (٢) الإمامة و السياسة ١: ٦٦، شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٩.

نكثا بيعتهما من غير حدث^{١٩٥}.

و أي قول كان من أبي موسى له و قد بين عمّار كون قوله كلّ عليه.

ففى (خلفاء ابن قتيبة): لما صعد أبو موسى المنبر و قال: أيّها النّاس إنّ أصحاب محمّد الذين صحبوه فى المواطن أعلم باللّه و رسوله ممّن لم يصحبه، و إنّ لكم حقّا على أن أوّديه إليكم، إنّ هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان، و القاعد خير من القائم، و القائم فيها خير من الساعى، و الساعى خير من الراكب، فاغمدوا سيوفكم حتّى تنجلي هذه الفتنة، قام عمّار و قال: أيّها النّاس إنّ أبا موسى ينهاكم عن الشخوص إلى هاتين الجماعتين - و ما صدق فيما قال و لا رضى اللّه من عباده بما قال - قال عزّ و جل: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا»^{١٩٦} و قال تعالى: «وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ»^{١٩٧}، فلم يرض من عباده بما ذكر أبو موسى من أن يجلسوا فى بيوتهم و يخلوا النّاس فيسفك بعضهم دماء بعض - فسيروا معنا إلى هاتين الجماعتين و اسمعوا من حججهم، و انظروا من أولى بالنصرة فاتبعوه، فإن أصلح اللّه أمرهم رجعتهم مأجورين و قد قضيت حق اللّه تعالى، و إن بغى بعضهم على بعض نظرتهم إلى الفئة الباغية، فقاتلوهم حتّى تفيء إلى أمر اللّه كما امرتم و افترض عليكم^{١٩٨}.

و كذلك ردّ على أبي موسى قوله كلّ عبد خير الخيوانى كما مر فى العنوان السابق.

و لو صحّت رواية المصنّف: (قول هو لك و عليك)، فمحمول على أن ما نقله أن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال له: إنّ هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان، قاله له خاصة لعلمه صلّى اللّه عليه و آله بانحرافه عنه، فقال صلّى اللّه عليه و آله له: من كان فى فتنة الناكثين نائما كسعد و ابن عمرو لم يخذل النّاس عنه عليه السّلام كما لم ينصراه، خير من أبي موسى الذى كان قائما يخذل النّاس عنه عليه السّلام.

و يشهد له رواية أبى مخنف: (لما صعد أبو موسى المنبر و قال: كأنى أسمع النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله بالأمس يذكر الفتنة فيقول: أنت فيها نائما خير منك قاعدا - إلى أن قال - قام عمّار و قال له: إن كنت صادقا فإنما عناك بذلك وحدك و اتخذ عليك الحجة، فالزم بيتك و لا تدخلن فى الفتنة، أما إنى أشهد أن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله أمر عليّا بقتال الناكثين - و سمى له فيهم من سمى - و أمره بقتال القاسطين، و إن شئت لأقيم لك شهودا أن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله إنّما نهاك وحدك و حذرك من الدخول فى الفتنة - ثم قال له: اعطنى يدك على ما سمعت - فمد يده إليه - فقال له عمّار:

^{١٩٥} (١) الإمامة و السياسة ١: ٦٧.

^{١٩٦} (٢) الحجرات: ٩.

^{١٩٧} (٣) الأنفال: ٣٩.

^{١٩٨} (٤) الإمامة و السياسة ١: ٦٦.

غلب الله من غالبه و جاحده ثم جذبه فنزل^{١٩٩}.

و رواه الطبري مختصرا^{٢٠٠}.

«فاذا قدم رسولی» و لعل المراد به قرظة بن كعب الأنصاري كما مر عن (المروج)^{٢٠١}.

«عليك فارفع ذيلک» (ارفع ذيلک) كقولک شمّر ذيلک.

«و اشدّد مثزرك» كقولک: (اشدد حيازيمک).

«و اخرج من جحرک» قال ابن أبي الحديد: كناية غرض عن أبي موسى

ص: ٧٥

جعله ثعلبا أو ضبا^{٢٠٢}.

قلت: فيه أولا: أنّ الجحر لم يأت للثعلب بل للضب و الحية، و إنّما يأتي للثعلب كالأرنب المكو كما صرح به الثعالبي في (فقه لغته)^{٢٠٣}.

و قال الشاعر:

و لا ترى الضب بها ينجحر

و في كلامه عليه السلام: أو انجحر انجحر الضبة في جحرها^{٢٠٤} و ثانيا: من أين أنّه كناية غرض و ليس من قبيل قولهم: «دخلوا في مجاهرهم» أي: في مكائهم، و يشهد له كونه في سياق (ارفع ذيلک و اشدّد مثزرك)، فيكون الكل في معنى الأمر بالجد في الأمر و إنّ بعده.

«فاندب» أي: إلى حرب أهل البصرة.

^{١٩٩} (١) نقله عنه المفيد في الجمل: ٢٥٢.

^{٢٠٠} (٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٨٦-٤٨٧، سنة ٣٦.

^{٢٠١} (٣) مروج الذهب ٢: ٣٦٨-٣٦٩.

^{٢٠٢} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٧.

^{٢٠٣} (٢) فقه اللغة للثعالبي: ٤٣٦ المكتبة التجارية، مصر، ١٩٣٨ م. و في نسخة (كموء) بدل (مكو) و هو قلب مكاني.

^{٢٠٤} (٣) نهج البلاغة ١: ١١٣، الخطبة ٦٩.

«من معك» أى: من أهل الكوفة.

«فان تحققت» هكذا فى (المصرية)^{٢٠٥}، و الصواب: (فان حققت) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)^{٢٠٦}.

«فانفذ» أى: إذا تبين لك ان حرب الناكثين حق فأجر التدب إليهم.

«و إن تفشلت» أى: خفت و جبت من أن يكون حقاً.

«فابعد» من امرنا و عملنا.

«و ايم الله لتؤتين من حيث» هكذا فى (المصرية و ابن أبى الحديد)^{٢٠٧}، و لكن

ص: ٧٦

فى (ابن ميثم): (حيث)^{٢٠٨}.

«أنت و لا تترك حتى يخلط زبدك» و الزبد: خلاصة اللبن التى تحصل مخضه.

«بخاثرك» و الخاثر: بقيّة اللبن الدون، فى (الصحاح) فى المثل: «اخلط الخاثر بالزباد» و زباد اللبن بالضم و التشديد ما لا خير فيه^{٢٠٩}.

و هو كما ترى فإنّ الظاهر أنّ الزباد بمعنى الزبد و أنّه أحسن اللبن، و الخاثر أدونه.

«و ذائبك بجامدك» فى (الصحاح): فى المثل: «ما يدرى أ يخثر أم يذيب»^{٢١٠}.

«و حتى تعجل عن» و فى (المصرية): (فى)^{٢١١} غلط.

«قعدتك» اى: لا تمهل حتى تقعد، فبعث عليه السّلام إليه الأشتر و كان على المنبر فلم يمهله يتم كلامه.

ففى الطبرى: إنّ الأشتر استأذن عليا عليه السّلام فى إتيان الكوفة بعد الحسن عليه السّلام و عمّار، فأذن له فأقبل حتى دخل الكوفة، و قد اجتمع الناس فى المسجد الأعظم، فجعل لا يمر بقبيلة يرى فيها جماعة فى مجلس أو مسجد إلّا دعاهم و يقول:

^{٢٠٥} (٤) فى نهج البلاغة ٣: ١٣٣: فإن حققت.

^{٢٠٦} (٥) فى شرح ابن أبى الحديد ١٧: ٢٤٦: فإن تحققت، و فى شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٤: فإن حققت.

^{٢٠٧} (٦) نهج البلاغة ٣: ١٣٣، شرح ابن أبى الحديد ١٧: ٢٤٦.

^{٢٠٨} (١) فى شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٤: «من حيث» أيضا.

^{٢٠٩} (٢) الصحاح ٢: ٤٨٠، مادة: (زبد).

^{٢١٠} (٣) الصحاح ١: ١٢٩، مادة: (ذوب).

^{٢١١} (٤) نهج البلاغة ٣: ١٣٣.

اتبعوني إلى القصر، فانتهى إلى القصر فى جماعة من الناس فاقتحم القصر و أبو موسى قائم فى المسجد يخطب الناس و يشبطهم- إلى أن قال- قال أبو مريم الثقفى: و الله إننى لفى المسجد و عمّار يخاطب الناس إذ خرج علينا غلمان أبى موسى يشتدون ينادون يا أبا موسى هذا الأشر دخل القصر و ضربنا و أخرجنا- فنزل أبو موسى فدخل القصر و صاح به الأشر: اخرج

ص: ٧٧

من قصرنا، أخرج الله نفسك، فو الله إنك لمن المنافقين قديما- و دخل الناس ينتهبون متاع أبى موسى، فمنعهم الأشر و قال: إننى قد أخرجته فكفّ الناس عنه^{٢١٢}.

«و تحذّر من أمامك كحذرک من خلفک» و هو كناية عن كمال توجه أسباب الخطر، فإنّ الإنسان غالبا يحذر من خلفه الذى لا يراه، لا من أمامه الذى نصب عينيه.

ثمّ الظاهر كونه إشارة إلى أنّه إن أدام برأيه فى الخذلان عنه، لم ينحصر خوفه بمن يأتیه من عنده، بل يحصل له الخوف من بلد هو فيه، فقد عرفت أنّه لما جاءه الأشر و هدّده نهب الناس متاعه.

«و ما هی» أى: خصلته التى تخلق بها من خذلان الناس عنه عليه السّلام.

«بالهوين» تصغير الهون، و من الغريب عدم تعرّض كتب اللغة حتّى (القاموس) له.

«الّتى ترجو» رجا أبو موسى لما هوّن عمر أمره عليه السّلام بتفويض الأمر إلى بنى امیّة بنصب عثمان أن يكون أمره عليه السّلام هيّنا حتّى يقدر هو على مخالفته عليه السّلام.

«و لكنّها الداهية الكبرى» أى: أمر عظيم و شدّة شديدة.

«يركب جملها» فيهزم الناكثين و أهل الجمل.

«و يذلّ صعبها و يسهل جبلها» فى القاسطين، فيقتل عليه السّلام منهم حتّى أرادوا الفرار.

هذا و قال ابن أبى الحديد: معنى قوله عليه السّلام: «و ایم الله لتؤتین من حيث أنت» إن أقمت على تشييط أهل الكوفة، ليأتينكم و أنتم فى منازلكم أهل البصرة

ص: ٧٨

مع طلحة، و نأتينكم نحن بأهل المدينة فيجتمع عليكم سيفان من أمامكم و خلفكم.

^{٢١٢} (١) تاريخ الطبري ٤: ٤٨٦-٤٨٧، سنة ٣٦.

قال: و معنى قوله عليه السّلام: «و تحذّر من أمامك كحذرک من خلفک» إن أقمت على منع الناس عن الحرب معنا و معهم، يأتيك أهل البصرة و أهل المدينة فتكون كما قال تعالى: «إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ»^{٢١٣}.

قال: و معنى قوله عليه السّلام: «يركب جملها و يذل صعبها و يسهل جبلها» لا تقل إن هذا أى قصد الجيوش من الجانبين الكوفة أمر صعب فإنّه إن دام الأمر على ما أشرت إلى أهل الكوفة من التخاذل، ليرتكبن أهل المدينة و أهل البصرة هذا المستصعب فنطلب نحن و أهل البصرة ان نملك الكوفة فيجتمع عليها الفريقان^{٢١٤}.

قلت: و كلامه كما ترى بمراحل فأى وجه لأن يوعد عليه السّلام أهل الكوفة فلم يكونوا كأهل البصرة منابذين له عليه السّلام؟ و إنّما كان أبو موسى شخصه منابذا له عليه السّلام، و لم يكن سلطان الكوفة حتّى يحتاج إلى جمع جيشه عليه السّلام و جيش طلحة و الزبير عليه، فقد عرفت أنّه عليه السّلام لما بعث الأشتر وحده إليه فر، و إمارته إنّما كانت من قبله عليه السّلام بطلب الأشتر أوّلا ذلك منه، و بعزله كان يصير نفرا من عرض الناس، و من ولّاه بدله كان يقدر على عقوبته كل العقوبة.

فمرّ رواية أبي مخنف فى بعثه عليه السّلام ابن عباس و محمد بن أبى بكر إليه و كتابه عليه السّلام إليه: فإذا ظهرا عليك قطعاك اربا^{٢١٥}.

و مرّ رواية الطبرى فى بعثه عليه السّلام قرظة إليه، و كتابه إليه: فإذا نابذته

ص: ٧٩

فظفر أمرته أن يقطعك آرابا^{٢١٦}.

مع أن أبا موسى إنّما كان يثبّط الناس عنه عليه السّلام، لأنّه كان يعلم أنّه عليه السّلام لا يستعمل مثله منافقا، و أما طلحة و الزبير فإن كانا غالبا لم يخش منهما عدم توليته لكونهم جميعا على رأى واحد، و إنّما أمر أهل الكوفة بملازمة بيوتهم لأنّه لم يتوقع منهم مساعدة طلحة و الزبير، فإنّ ميلهم كان معه عليه السّلام لا معهما، و كان يقول لأهل الكوفة - كما روى أبو مخنف -: أنّ عليّا إنّما يستنفركم لجهاد امّكم عايشة و طلحة و الزبير حوارى النّبىّ. و كان يقول لأهل الكوفة - كما روى الواقدى -: إنّ عايشة كتبت إلى أن اكفنى من قبلك، و هذا علىّ قادم إليكم يريد أن يسفك بكم دماء المسلمين^{٢١٧}. و بالجملة تفسيره فى غاية السقوط.

«فاعقل عقلك» أى: احبس عقلك عن الخطأ.

«و املك أمرک» بأن لا تتبع هواك.

^{٢١٣} (١) الأحزاب: ١٠.

^{٢١٤} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٧: ٢٤٧-٢٤٨.

^{٢١٥} (٣) نقله ابن أبى الحديد فى شرح النهج ١٤: ٩-١٠.

^{٢١٦} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٥٠٠، سنة ٣٦.

^{٢١٧} (٢) الجمل للمفيد: ٢٥٧.

«و خذ نصيبك و حظك» أى: من أمرى.

«فإن كرهت» أمرى.

«فتنح» أى: ابعد.

«إلى غير رحب» أى: سعة.

«و لا فى نجاه» من بأس الله.

«فبالحرى» أى: فبالجدير.

«لتكفين و أنت نائم حتى لا يقال أين فلان» أى: يأخذ البيعة من أهل الكوفة رجال كثيرون، و لا يحتاج ذلك إليك حتى يسأل عنك و لا أثر لوجودك.

«و الله إنه لحق مع محق» قال ابن أبى الحديد: إشارة إلى قول النبىّ صلى الله عليه و آله

ص: ٨٠

فيه عليه السّلام اللهم أدر الحق معه حيثما دار^{٢١٨}.

قلت: و روى أبو مخنف: إن رجلاً قام إليه عليه السّلام فقال: أى: فتنة أعظم من هذه؟ إن البدرية تمشى بعضها إلى بعض بالسيف! فقال عليه السّلام: ويحك أتكون فتنة أنا أميرها و قائدها، و الذى بعث محمداً بالحق و كرم وجهه ما كذبت و لا كذبت، و لا ظللت و لا ضلّ بي، و لا زللت و لا زلّ بي، و إني لعلّى بيّنة من ربى بيّنها الله لرسوله و بيّنها رسوله لى^{٢١٩}.

و روى ابن ديزيل عن يحيى بن سليمان، عن يحيى بن عبد الملك، عن إسماعيل بن رجاء، عن محمد بن فضيل، عن الأعمش عن أبى سعيد الخدرى قال: كنّا مع النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فانقطع شسع نعله فألقاها إلى علىّ عليه السّلام يصلحها - ثم قال: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. فقال أبو بكر:

أنا هو؟ قال: لا - فقال عمر: أنا هو؟ قال: لا، و لكنّه خاصف النعل - و يد علىّ عليه السّلام على نعل النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم يصلحها - قال أبو سعيد: فأتييت عليّاً عليه السّلام فبشّرته بذلك، فلم يحفل به كأنه شيء كان علمه من قبل^{٢٢٠}.

و روى محمد بن يعقوب عن حفص بن غياث عن جعفر بن محمد عليه السّلام:

^{٢١٨} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٧: ٢٤٩.

^{٢١٩} (٢) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرح النهج ١: ٢٦٥.

^{٢٢٠} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٣: ٢٠٧.

أن رجلا سأل أباه عن حروب جدّه عليّ عليه السّلام فقال له: بعث الله محمّدا صلّى الله عليه وآله بخمسة أسياف ثلاثة منها شاهرة و سيف مكفوف - إلى أن قال - و أمّا السيف المكفوف فسيّف على أهل البغي و التأويل، قال تعالى: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا» - إلى - «فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفْغَى إِلَى أَمْرِ اللَّهِ»^{٢٢١}. فلمّا نزلت هذه الآية قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله: إنّ منكم من يقاتل بعدى على التأويل، كما

ص: ٨١

قاتلت على التنزيل، فسئل من هو؟ قال: خاصف النعل - و كان عليّ عليه السّلام يخصف نعله ...^{٢٢٢}.

و روى ابن ديزيل عن يحيى بن سليمان عن أبي فضيل عن إبراهيم الهجرى عن أبي صادق قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصارى العراق، فأهدت له الأزد جزرا بعثوها معي، فدخلت عليه و قلت له: يا أبا أيوب قد كرّمك الله بصحبة نبيّه و نزوله عليك، فمالى أراك تستقبل الناس بسيفك تقاتل هؤلاء مرّة و هؤلاء مرّة؟ فقال: إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله عهد إلينا أن نقاتل مع عليّ عليه السّلام الناكثين - فقد قاتلناهم - و عهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين - فهذا وجهنا إليهم - يعنى معاوية و أصحابه - و عهد إلينا نقاتل معه المارقين - و لم أرهم بعد^{٢٢٣}.

«و ما أبالي» هكذا فى (المصرية)^{٢٢٤}، و الصواب: (و ما يبالى) بالياء، و الفاعل ضمير (محق)، كما يشهد له (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)^{٢٢٥}.

«ما صنع الملحدون» كأبى موسى و من تخلف عنه، و مر قول الأشر لأبى موسى: فو الله إنك لمن المنافقين قديما.

و فى (الاستيعاب): و لم يزل أبو موسى واجدا على عليّ عليه السّلام بعد عزله عن الكوفة حتّى جاء منه ما قال حذيفة، فقد روى فيه حذيفة كلاما كرهت ذكره^{٢٢٦}.

و نقل ذلك ابن أبى الحديد عن (الاستيعاب) فى موضع آخر من الكتاب.

و قال: مراده بكلام حذيفة الذى كره ذكره، أن أبا موسى ذكر عند حذيفة

ص: ٨٢

^{٢٢١} (٤) الحجرات: ٩.

^{٢٢٢} (١) الكافي ٥: ١٠ - ١٢، و النقل يتصرّف و تلخيص.

^{٢٢٣} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٣: ٢٠٧.

^{٢٢٤} (٣) نهج البلاغة ٣: ١٣٤.

^{٢٢٥} (٤) شرح ابن أبى الحديد ١٧: ٢٤٦، شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٦.

^{٢٢٦} (٥) الاستيعاب بهامش الإصابة ٢: ٣٧٢.

بالدين فقال: أما أنتم فتقولون ذلك، و أما أنا فأشهد أنه عدو لله و لرسوله و حرب لهما في الحياة الدنيا و يوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم و لهم سوء الدار، و كان حذيفة عارفا بالمنافقين أسر إليه النبي صلى الله عليه و آله أمرهم و أعلمه أسماءهم^{٢٢٧}.

و قال أيضا: و روى أن عمّارا سئل عن أبي موسى، فقال: لقد سمعت فيه من حذيفة قولاً عظيماً يقول: «هو صاحب البرنس الأسود»- ثم كلح منه كلوحاً علمت منه أنه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط^{٢٢٨}.

و روى الطبري في (ذيله): أن أبا موسى لقي أبا ذرّ فجعل يلزمه، و يقول له أبو ذرّ: إليك عني. و يقول له أبو موسى: مرحباً بأخي. و يقول له أبو ذرّ:

لست بأخيك^{٢٢٩}.

و روى (أمالى المفيد): أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: تفترق أمتي ثلاث فرق- إلى أن قال- و فرقة مدهدهة على ملّة السامري- لا يقول لا مساس- و لكنهم يقولون: لا قتال، إمامهم أبو موسى^{٢٣٠}.

و مرّ قوله عليه السّلام في سابقه في أبي موسى- لما صار حكماً-: و إنما عهدكم بأبي موسى بالأمس يقول: إنها فتنة، فإن كان صادقاً فقد أخطأ بمسيره غير مستكره، و إن كان كاذباً فقد لزمته التهمة.

و مرّ خبر سويد بن غفلة أن أبا موسى قال أيام عثمان: قال النبي صلى الله عليه و آله إن بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتّى بعثوا حكّمين ضالّين ضلّوا و أضلّوا من اتبعهما و لا ينفك أمر امتي حتّى يبعثوا حكّمين يضلّان

ص: ٨٣

و يضلّان من تبعهما- فقال له سويد: احذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما.

فخلع قميصه و قال: أبرأ إلى الله من ذلك كما من قميصي هذا ...^{٢٣١}.

و كان عليه السّلام يقنت عليه في صلاته، كما يقنت على معاوية و عمرو بن العاص، و يقول: اللهمّ العن معاوية أولاً، و عمراً ثانياً، و أبا الأعور ثالثاً، و أبا موسى رابعاً^{٢٣٢}.

^{٢٢٧} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣١٤-٣١٥.

^{٢٢٨} (٢) المصدر نفسه ١٣: ٣١٥.

^{٢٢٩} (٣) ذيل تاريخ الطبري ١١: ٥٣٣.

^{٢٣٠} (٤) الأمالى للمفيد: ٣٠.

^{٢٣١} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣١٥.

^{٢٣٢} (٢) نقله العلامة المجلسي في البحار، ط الكمباني ٨: ٥٦٥-٥٦٦.

و كطلحة و الزبير و غيرهما من المخالفين له عليه السلام. روى الحميرى فى (قرب إسناده) عن محمد بن عبد الحميد و عبد الصمد بن محمد بن حنان بن سدير عن الصادق عليه السلام قال: دخل على أناس من أهل البصرة فسألونى عن طلحة و الزبير - فقلت لهم: كانا من أئمة الكفر، إن عليا عليه السلام يوم البصرة لما صفت الخيل قال لأصحابه: لا تعجلوا على القوم حتى أعذر فى ما بينى و بين الله تعالى، فقام إليهم فقال: يا أهل البصرة هل تجدون على جورا فى حكم؟

قالوا: لا، قال: فحيفا فى قسم؟ قالوا: لا، قال: فرغبة فى دنيا أخذتها لى و لأهل بيتى دونكم فنقمتم على؟ قالوا: لا، قال: فأقمت فيكم الحدود و عطلتها عن غيركم؟ قالوا: لا، قال: فما لبيعى تنكث و بيعه غيرى لا تنكث؟ إني ضربت الأمر أنفه و عينه، فلم أجد إلّا الكفر أو السيف، إن الله تعالى يقول فى كتابه:

«وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ»^{٢٣٣}، و الذى فلق الحبة و برأ التسمية و اصطفى محمدا صلى الله عليه و آله بالنبوة إنهم لأصحاب هذه الآية و ما قوتلوا منذ نزلت^{٢٣٤}.

ص: ٨٤

«و السلام» هكذا فى (المصرية و ابن أبى الحديد)^{٢٣٥}، و ليس فى (ابن ميثم)^{٢٣٦}.

٩

الخطبة (١٧٠) و من كلام له عليه السلام كلم به بعض العرب، و قد أرسله قوم من أهل البصرة، لما قرب عليه السلام منها، ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم، فبين له عليه السلام من أمره معهم ما علم به أنه على الحق، ثم قال له: بايع، فقال: إني رسول قوم، و لا احدث حدثا حتى أرجع إليهم. فقال عليه السلام:

أ رَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعُثُوكَ رَائِدًا - تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ - فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَ أَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلْبِ وَ الْمَاءِ - فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَ الْمَجَادِبِ مَا كُنْتَ صَانِعًا - قَالَ كُنْتُ تَارِكُهُمْ وَ مُخَالِفُهُمْ إِلَى الْكَلْبِ وَ الْمَاءِ - فَقَالَ عَ فَاْمُدُّ إِذَا يَدَكَ - فَقَالَ الرَّجُلُ - فَوَاللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أُمْنِيعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَى - فَبَايَعْتُهُ عَ وَ الرَّجُلُ يُعْرِفُ؟ بِكَلْبِ الْجَرْمِيِّ؟ أَقُولُ: الْأَصْلُ فِيهِ رَوَايَةُ الطَّبْرِيِّ الطَّبْرِيِّ - تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ - ج ٤ ص ٤٩٠ و ٤٩١ و رَوَايَةُ الْوَاقِدِيِّ الْوَاقِدِيِّ - رَوَايَةُ الْوَاقِدِيِّ - فِي الْأَوَّلِ: أَخْرَجَ زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ إِلَى كِتَابِهِ فِيهِ أَحَادِيثُ عَنْ شَيْخٍ - مِنْهَا: حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ سَلَامٍ التَّمِيمِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَوْقَةَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ كَلْبِ الْجَرْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ - قَالَ:

ص: ٨٥

^{٢٣٣} (٣) التوبة: ١٢.

^{٢٣٤} (٤) قرب الإسناد: ٩٦ - ٩٧ ح ٣٢٧، تفسير العياشي ٢: ٧٧.

^{٢٣٥} (١) نهج البلاغة ٣: ١٣٤، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٦.

^{٢٣٦} (٢) شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٤.

رأيت فيما يرى النَّائم أنَّ رجلا يلى أمور النَّاس مريضا على فراشه و عند رأسه امرأة، و النَّاس يريدونه و يبهبون إليه، فلو نهتهم المرأة لانتهاوا، و لكنها لم تفعل فأخذه فقتلوه، فكنت أقص رؤياى على النَّاس فى السفر و الحضر فيعجبون و لا يدرون ما تأويلها، فلما قتل عثمان و أتانا الخبر و نحن راجعون من غزاتنا، فقال أصحابنا: رؤياك يا كليب. فانتبهينا إلى البصرة فلم نلبث إلَّا قليلا حتَّى قيل هذا طلحة و الزبير معهما أمَّ المؤمنين فراح النَّاس و تعجبوا، فإذا هم يزعمون للناس أنَّهم خرجوا غضبا لعثمان و توبة مما صنعوا من خذلانه.

و إنَّ أمَّ المؤمنين تقول: غضبنا لكم على عثمان فى ثلاث: اماره الفتي و موقع الغمامة و ضربة السوط و العصا، فما أنصفنا إن لم نغضب له عليكم فى ثلاث جررتوها إليه حرمة الشهر و البلد و الدم.

فقال النَّاس: أفلم تبايعوا عليًا و تدخلوا فى أمره؟ فقالوا: دخلنا و اللج على أعناقنا- إذ قيل هذا علىَّ عليه السَّلام قد أظلكم- فقال قومنا لى و لرجلين معي:

انطلقوا حتَّى تأتوا عليًا عليه السَّلام و أصحابه فسلوهم عن هذا الأمر الذى قد اختلط علينا. فخرجنا حتَّى إذا دنونا من العسكر طلع علينا رجل جميل على بغلة، فقلت لصاحبي: أرايت المرأة التى كنت احدثكم عنها؟ إنَّها كانت عند رأس الوالى، فإنَّها أشبه النَّاس بهذا. ففطن أنا نخوض فيه، فلما انتهى قال: قفوا ما الذى قلتم حين رأيتموني؟ فأبيناه عليه، و قال: و الله لا تبرحون حتَّى تخبروني.

فدخلتنا منه هيبه، فأخبرناه فجاوزنا و هو يقول: و الله رأيت عجا. فقلنا لأدنى أهل العسكر إلينا: من هذا؟ فقال: محمد بن أبى بكر. فعرفنا أنَّ تلك المرأة عايشه، فازددنا لأمرها كراهية و انتهينا إلى علىَّ عليه السَّلام فسلمنا عليه ثم سألناه عن هذا الأمر، فقال: عدا النَّاس على هذا الرجل و أنا معتزل فقتلوه، ثم ولّوني و أنا كاره، و لو لا خشية على الدين لم أجبهم، ثم طفق هذان فى النكت فأخذت

ص: ٨٦

عليهما و أخذت عهدهما عند ذلك و أذنت لهما فى العمرة، فقدمنا على أمهما فرضيا لهما ما رغبنا لنسائهما عنه، و عرضاها لما لا يحل و لا يصلح، فاتبعتهما لكيلا يفتقوا فى الإسلام فتقا و لا يفرقوا جماعة. فصاح بنا أصحاب علىَّ عليه السَّلام:

«بايعوا بايعوا» فبايع صاحبائى، و أمّا أنا فأمسكت و قلت: بعثنى قومى لأمر و لا احدث شيئا حتَّى أرجع إليهم. فقال علىَّ عليه السَّلام: فإن لم يفعلوا؟ فقلت: لم أفعل، فقال: أرايت لو أنَّهم بعثوك رائدا فرجعت إليهم فأخبرتهم عن الكلا و الماء فمالوا إلى المعاطش و الجدوبة ما كنت صانعا؟ قلت: كنت تاركهم و مخالفهم إلى الكلا و الماء- قال: «فمد يدك»، فو الله ما استطعت أن امتنع فبسطت يدي فبايعت. و كان يقول: علىَّ عليه السَّلام من أدهى العرب^{٢٣٧}.

و فى الثانى - كما فى (جمل الشيخ المفيد - الجمل - ص ٢٩٠ تا ٢٩٢ المفيد) - شيبان بن عبد الرحمن عن عاصم بن كليب عن أبيه قال: لما قتل عثمان ما لبثنا إلّا قليلا، حتّى قدم طلحة و الزبير البصرة، ثم ما لبثنا إلّا يسيرا حتّى أقبل علىّ عليه السّلام بذى قار، فقال شيخان من الحى: اذهب بنا إلى هذا الرجل ننظر ما يدعو إليه، فلمّا أتينا بذى قار قدمنا إلى أذكى العرب - فو الله لدخل على نسب قومى فجعلت أقول: هو أعلم به منى و أطوع فيهم، إلى أن قال: فقال: أفلا تبايعونى؟ فبايعه الشيخان اللذان كانا معى و توقفت عن بيعته، فجعل رجال عنده قد أكل السجود وجوههم يقولون:

بايع بايع.

فقال عليه السّلام: دعوا الرجل. فقلت: إنّما بعثنى قومى رائدا و سأنهى إليهم ما رأيت، فإن بايعوا بايعت. فقال: رأيت لو أنّ قومك بعثوك رائدا فرأيت روضة و غديرا فقلت يا قومى النجعة النجعة فأبوا ما كنت بمستنجع بنفسك، فأخذت بإصبع من أصابعه، فقلت: ابايع على أن اطيعك ما أطعت الله، فإذا عصيته فلا

ص: ٨٧

طاعة لك علىّ، فقال: نعم. و طولّ صوته ...^{٢٣٨}.

قول المصنّف «و من كلام له عليه السّلام كَلِمَ به بعض العرب» هو كليب بن شهاب الجرمى.

«و قد أرسله قوم من أهل البصرة» قد عرفت من رواية الطبرى أن أولئك القوم قومه (جرم).

«لما قرب عليه السّلام منها» قد عرفت من رواية الواقدي أنّه عليه السّلام كان نزل ذاقار.

«ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل» لأنّهم كانوا قالوا لهم:

خرجنا غضبا لعثمان و كانت بيعتنا لعلّى مكرها.

«لتزول الشبهة من نفوسهم فبيّن له عليه السّلام» هكذا فى (المصرية و ابن أبى الحديد)^{٢٣٩}، و هو و إن كان صحيحا، إلّا أنّ الأوضح أن يقال: «فبيّن عليه السّلام له» كما لا يخفى.

«من أمره معهم ما علم به أنّه على الحق» و هو أنّه عليه السّلام كان معتزلا عن أمر عثمان، و لم يجبر أحدا على البيعة، و إنّما أكرهه الناس على قبوله البيعة.

«ثم قال له بايع» قد عرفت من رواية الطبرى أنّ أصحابه عليه السّلام بعد مشاهدة إتمام الحجّة عليه قالوا له و لصاحبيه: بايعوا.

^{٢٣٨} (١) الجمل للمفيد: ٢٩٠ - ٢٩٢.

^{٢٣٩} (٢) نهج البلاغة ٢: ١٠٠، شرح ابن أبى الحديد ٩: ٢٩٩.

«فقال إني رسول قوم و لا احدث حدثا حتى أرجع إليهم» قد عرفت من رواية الطبري: أنه عليه السلام قال له: فإن لم يفعلوا؟ فأجاب: إني أيضا لا أفعل.

فرد عليه السلام عليه بالعنوان.

«فقال عليه السلام» هو تأكيد و إلّا فهو زائد بعد قوله: (و من كلام له عليه السلام).

ص: ٨٨

ثم إن ما نقلنا من قول المصنف هو في (المصريّة و ابن أبي الحديد)^{٢٤٠}، و أمّا (ابن ميثم) فبدّله بقوله: (و من كلام له عليه السلام) لمّا قال لكليب الجرمي قبل وقعة الجمل: بايع. فقال: إني رسول قوم و لا احدث حدثا دونهم حتى أرجع إليهم فقال-^{٢٤١}، و نسخة (ابن ميثم) بخط المصنف، فمن المحتمل ان المصنف استنسخه ثانيا فزاد و نقص و غير فطول و اختصر.

قوله عليه السلام «أ رأيت» في (الصاح): قد يحذف همز رأيت قال: صاح هل ريت أو سمعت براع ردّ في الضرع ما فرى في الحلاب^{٢٤٢}.

«لو أن الذين من ورائك» و هم قومه جرم.

«بعثوك رائدا» في (الصاح): الرائد الذي يرسل في طلب الكلاء (راد الكلاء يروده رودا و ريادا و ارتاده ارتيادا) بمعنى، أي: طلبه^{٢٤٣}.

«تبتغي» أي: تطلب.

«لهم مساقط الغيث» مواضع نزول المطر فاخضرت و حصل كلاء.

«فرجعت إليهم و أخبرتهم عن الكلاء» أي: العشب.

«و الماء فخالقوا» من الكلاء و الماء.

«إلى المعاطش» مواضع العطش التي لا ماء فيها.

«و المجاذب» أي: محال المحل و القحط.

^{٢٤٠} (١) نهج البلاغة ٢: ١٠٠، شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٩٩.

^{٢٤١} (٢) شرح ابن ميثم ٣: ٣٢٦.

^{٢٤٢} (٣) الصاح ٦: ٢٣٤٨، مادة: (رأى) و البيت لإسماعيل بن بشّار.

^{٢٤٣} (٤) المصدر نفسه ٢: ٤٧٨، مادة: (رود).

«ما كنت صانعا» توافقهم أو تخالفهم.

«قال كنت تاركهم و مخالفهم إلى الكلاء و الماء» فان كل عاقل يفعل ذلك.

«فقال عليه السلام فامدد إذن يدك» يعنى كما يحكم العقل ثمة بوجوب مخالفتهم

ص: ٨٩

كذلك هنا بل هنا أولى، لأن ثمة يحصل إلّا من الهلكة مؤقتا و هنا أبدا.

ثم (إذن يدك) فى (المصرية و ابن أبى الحديد)^{٢٤٤}، و لكن فى (ابن ميثم):

(يدك إذن)^{٢٤٥}.

«فقال الرجل: فو الله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجّة علىّ فبايعته» و نظير بعث جرم رجلا منهم إليه عليه السلام فرآه على الحق فأقرّ به عليه السلام، بعث طلحة و الزبير و بعث عايشة رجلا فاهتدى به.

روى الكافى فى (باب ما يفصل به بين دعوى المحقّ و المبطل فى أمر الإمامة): أن طلحة و الزبير بعثا رجلا من عبد القيس يقال له (خداش) إلى أمير المؤمنين عليه السلام، و قالوا له: إنّنا نبعثك إلى رجل طال ما نعرفه و أهل بيته بالسحر و الكهانة، و أنت أوثق من بحضرتنا من أنفسنا أن تحاجّه لنا، و اعلم أنّه أعظم الناس دعوى فلا يكسرنك ذلك عنه و من الأبواب التى يخدع بها الناس الطعام و الشراب و العسل و الدهن، فلا تأكل له طعاما و لا تشرب له شرابا، و لا تمس له عسلا و لا دهنا و لا تخل معه. و احذر هذا كلّ منه فإذا رأيته فاقرا آية السخرة، و تعوّد بالله من كيده و كيد الشيطان، فإذا جلست إليه فلا تمكّنه من بصرك كلّ و لا تستأنس به. ثم قل له: إنّ أخويك فى الدين و ابني عمّك فى القرابة يناشدانك القطيعة، و يقولان لك: أما تعلم أنّا تركنا الناس لك و خالفنا عشائركا فيك منذ قبض الله محمّدا صلى الله عليه و آله، فلمّا نلت أدنى منك، ضيّعت حرمتنا و قطعت رجاءنا، ثم قد رأيت أفعالنا فيك و قدرتنا على الناس، و إنّ من كان يصرفك عنّا و عن صلّتنا كان أقلّ نفعا لك و أضعف دفعا منا، و قد وضع الصبح لذى عينين و قد بلغنا انتهاك منك لنا و دعاء علينا، فما الذى يحملك على ذلك؟ فقد كنّا نرى

ص: ٩٠

أنّك أشجع فرسان العرب، أ تتخذ اللعن ديننا و ترى أنّ ذلك يكسرنّا عنك؟ فلما أتى خداش إليه عليه السلام صنع ما أمراه به، فلمّا نظر عليه السلام إليه و هو يناجى نفسه ضحك، و أشار له إلى مجلس قريب منه: ادن هاهنا. فقال: ما أوسع المكان، اريد أن أودى إليك رسالته. فقال عليه السلام له: بل تطعم و تشرب و تحل ثيابك و تدهن ثم تؤدى رسالتك. قم يا قنبر فأنزله.

^{٢٤٤} (١) نهج البلاغة ٢: ١٠١، شرح ابن أبى الحديد ٩: ٢٩٩.

^{٢٤٥} (٢) فى شرح ابن ميثم ٣: ٣٢٦: إذا يدك أيضا.

قال: مالى إلى شىء مما ذكرت حاجة.

قال: فأخلو بك.

قال: كل سر لى علانية.

فقال عليه السلام له: هل علماك كلاما تقوله إذا أتيتنى؟ قال: اللهم نعم. قال عليه السلام:

آية السخرة؟ قال: نعم. قال: فاقرأها. و جعل عليه السلام يكررها و يرددها و يصحح عليه إذا أخطأ، حتى قرأها سبعين مرة. فقال الرجل: ما يرى أمير المؤمنين يرددها سبعين مرة. قال: أتجد قلبك اطمأن؟ قال: أى و الذى نفسى بيده. قال:

فما قال لك؟ فأخبره و قال: قل لهما كفى بنطقكما حجة عليكم، و لكن الله لا يهدى القوم الظالمين، زعمتم أنكم أخوای فى الدين و أبناء عمى فى النسب، أما النسب فلا انكره و إن كان النسب مقطوعا، إلّا ما وصله الله، و أما قولكما إنكما أخوای فى الدين، فإن كنتما صادقین فقد فارقتما كتاب الله و عصيتهما أمره، بأفعالكما فى أخيكما فى الدين، و إلّا فقد كذبتما و افتریتما بادعاءكما أنكما أخوای فى الدين. و أما مفارقتكما الناس منذ قبض الله محمدا صلى الله عليه و آله، فإن كنتما فارقتما الناس بحق فقد نقضتما ذلك الحق بفراقكما إياى أخيرا، و إن فارقتماهم بباطل فقد وقع إثم ذلك الباطل عليكم مع الحدث الذى أحدثتما، مع أن صفتكما بمفارقتكما الناس لم يكن إلّا لطمع الدنيا، زعمتما و ذلك قولكما فقطعت رجاءنا و أنتما لا تعيبان بحمد الله من دينى شيئا، و أما الذى صرفنى

ص: ٩١

عن صلتكما فالذى صرفكما عن الحق و حملكما على خلعه من رقابكما، كخلع الحرون لجامه هو الله ربى لا اشرك به شيئا فلا تقولوا أقل نفعا و أضعف دفعا، فتستحقا اسم الشرك مع النفاق.

و أما قولكما إننى اشجع فرسان العرب و هربكما من لعنى و دعائى، فإن لكل موقف عملا، فاذا اختلفت الأسنة و ماجت لبود الخيل و ملأ سحراكما أجوافكما فتم يكفينى الله بكمال القلب.

و أما إذ أبيتما بأنى أدعو الله فلا تجرعا من أن يدعو عليكم رجل ساحر من قوم سحره زعمتما، اللهم اقصد الزبير بشر قتله و اسفك دمه على ضلاله، و عرف طلحة المذلة، و ادخر لهما فى الآخرة شرا من ذلك إن كانا ظلمانى و افتريا على و كتما شهادتهما و عصياك و عصيا رسولك فى - قل آمين - قال خدش: آمين.

ثم قال خدّاش لنفسه: و الله ما رأيت لحية قط أبين خطأ منك، حامل حجة ينقض بعضها بعضا لم يجعل الله لهما مساكاً، أنا برىء إلى الله منهما- و قال عليه السّلام له: ارجع إليهما و أعلمهما ما قلت. قال: لا و الله حتّى تسأل الله أن يردّنى إليك عاجلاً، و أن يوفّقنى لرضاه فيك. ففعل فلم يلبث أن انصرف و قتل معه عليه السّلام يوم الجمل^{٢٤٦}.

و روى (بصائر الصّفار) فى (باب أنّهم عليهم السّلام يخبرون شيعتهم بأفعالهم و أفعال غيرهم و هم غيب): أنّ عائشة قالت: التمسوا لى رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل، حتّى أبعثه إليه. فأتيته به، فمثل بين يديها، فرفعت إليه رأسها فقالت له: ما بلغت من عداوتك لهذا الرجل؟

فقال: كثيراً ما أتمنى على ربّى أنّه و أصحابه فى وسطى فضربته

ص: ٩٢

ضربةً بالسيف يسبق السيف الدم. قالت: فأنت له اذهب بكتابى هذا فادفعه إليه، طاعنا رأيته أو مقيماً، أما إنّك إن رأيته طاعنا رأيته راكباً على بلغة النّبىّ صلّى الله عليه و آله متنكباً قوسه، معلقاً كنانته على قربوس سرجه و أصحابه خلفه كأنّهم طير صواف فتعطيه كتابى هذا، و إن عرض عليك طعامه و شرابه فلا تناولن منه شيئاً فإنّ فيه السحر.

قال: فاستقبلت عليّاً عليه السّلام فناولته الكتاب، ففضّ خاتمه ثم قرأه فقال: تبلغ إلى منازلنا فتصيب من طعامنا و شرابنا، فنكتب جواب كتابك. فقال: هذا ما لا يكون. فسار خلفه و أحرق به أصحابه.

ثم قال له: أسألك؟ قال: نعم. قال: و تجيبنى؟ قال: نعم. قال: نشدتك الله هل قالت عائشة: التمسوا لى رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل؟ فأتى بك، فقالت لك: ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل؟ فقلت: كثيراً ما أتمنى على ربّى أنّه و أصحابه فى وسطى، و أنا ضربته ضربةً سبق السيف الدم؟ قال: اللهمّ نعم.

قال: فنشدتك الله أقالت لك: اذهب بكتابى هذا فادفعه إليه طاعنا كان أو مقيماً أما إنّك إن رأيته على بلغة النّبىّ صلّى الله عليه و آله، متنكباً قوسه، معلقاً كنانته بقربوس سرجه و أصحابه خلفه كأنّهم طير صواف؟ قال: اللهمّ نعم.

قال عليه السّلام: فنشدتك الله هل قالت لك: إن عرض عليك طعامه و شرابه فلا تناولن منه شيئاً فإنّ فيه السحر؟ قال: اللهمّ نعم. قال: فتبلغ أنت عنى؟ فقال:

اللهمّ نعم، فانى قد أتيتك و ما فى الأرض خلق أبغض إلىّ منك، و أنا الساعة ما فى الأرض خلق أحبّ إلىّ منك، فمرنى بما شئت.

قال عليه السّلام: ارجع إليها بكتابى هذا، و قل لها: ما أطعت الله حيث أمرك بلزوم بيتك فخرجت تردد بين فى العسكر.

^{٢٤٦} (١) الكافي ١: ٣٤٣-٣٤٥ بتصرّف و تلخيص من الشارح.

و قل لهما: ما أنصفتما الله و رسوله حيث خلفتم حلائلكم فى بيوتكم

ص: ٩٣

و أخرجتم حليمة النّبىّ صلى الله عليه و آله - فجاء بكتابه فطرحه إليها و أبلغها مقاتله، ثم رجع إليه فاصيب بصفين، فقالت: ما نبعث إليه بأحد إلّا أفسده علينا^{٢٤٧}.

قول المصنّف:

«و الرجل يعرف بكليب الجرمى».

هكذا فى (المصرية و ابن أبى الحديد)^{٢٤٨}، و ليس فى (ابن ميثم)^{٢٤٩}، و كيف كان فكليب الجرمى عنوانه (الاستيعاب). و روى أنّه قال: خرجت مع أبى إلى جنازة شهدا النّبىّ صلى الله عليه و آله و أنا غلام أفهم و أعقل، فقال صلى الله عليه و آله: إنّ الله تعالى يحب من العاقل إذا عمل عملا أن يحسن^{٢٥٠}.

قلت: الأصل فى خبره كما روى (الكافى): أنّ النّبىّ صلى الله عليه و آله رأى فى قبر عثمان بن مظعون خلا فقال ذلك.

و الرجل و إن كان قال أنا فى حال كونى غلاما أفهم و أعقل، إلّا أنّه بعد صيرورته شيخا ما كان يعقل، فتوهم أنّه يجوز له تقليده قومه فى أمر الدين كأمر الدنيا، حتّى ضرب عليه السّلام له المثل مع أن مثله فطرى و لذا بايع صاحبا.

ثم إنّ بعد ما رأى منه عليه السّلام الآيات لم يعرف أنّه لا محل للشرط معه عليه السّلام، كما عرفته من خبر الواقدى.

هذا و (جرم) بالفتح و السكون ينصرف إلى جرم قضاة، و إن قالوا: إنّ فى بجيلة و عامله و طى أيضا جرم.

ص: ٩٤

١٠

الخطبة (١٥٦) و من كلام له عليه السّلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم:

فَمَنْ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ - أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ - فَإِنْ أَطْعَمُونِى - فَإِنِّى حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ - وَ إِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَ مَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ - وَ أَمَّا فَلَانَةُ فَأَذْرَكْهَا رَأَى النِّسَاءِ - وَ ضِغْنٌ غَلَا فى صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ - وَ لَوْ دُعِيَتْ لِنَتَالَ

^{٢٤٧} (١) بصائر الدرجات: ٢٦٣ - ٢٦٤.

^{٢٤٨} (٢) نهج البلاغة ٢: ١٠١، شرح ابن أبى الحديد ٩: ٢٩٩.

^{٢٤٩} (٣) و العبارة موجودة فى شرح ابن ميثم ٣: ٣٢٦ أيضا.

^{٢٥٠} (٤) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٣١٣.

مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ - وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى وَالْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ قَوْلِ الْمُصَنِّفِ «وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَاطِبٌ بِهِ» هَكَذَا فِي (المصرية و ابن أبي الحديد)^{٢٥١}، ولكن في (ابن ميثم): (و من خطبة له عليه السلام خاطب بها)^{٢٥٢}.

«أهل البصرة» بعد فتحها.

«و على جهة اقتصاص الملاحم» جمع الملحمة: الواقعة العظيمة في الفتن، و يمكن أن يريد عليه السلام ملاحم عصره من معاوية و أتباعه و ملاحم بعده.

قوله عليه السلام:

«فمن استطاع عند ذلك» أى: وقوع ملحمة اقتصها عليه السلام لهم.

«أن يعتقل» أى: يحبس.

«نفسه على الله فليفعل» فقد قال تعالى: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»^{٢٥٣}.

ص: ٩٥

«فإن أطعتموني فإنني حاملكم إن شاء الله على سبيل الجنة» سبيلها: العمل بالحق، و معلوم من حاله عليه السلام أيام النبى صلى الله عليه و آله و أيام المتقدمين عليه و أيامه التزامه بالعمل بالحق و حمل الناس عليه.

و قد كان أعداؤه معترفين بذلك، ففي (الخلفاء): قال عمر يوم الشورى له عليه السلام و إنك أحرى القوم، إن وليتها تقيم على الحق المبين و الصراط المستقيم.

و فى (الطبرى): لما بلغ عمرو بن العاص و هو بوادى السباع قتل عثمان، قال: و إن يل الأمر بعده ابن أبى طالب فلا أراه إلّا سيستنظف الحق، و هو أكره من يليه إلى^{٢٥٤}.

«و إن كان» أى: سبيل الجنة.

«ذا مشقة شديدة و مذاقة مريرة» أى: مرة «لأن الجنة حفت بالمكاره، كما أن النار حفت بالشهوات»^{٢٥٥}، «و أمّا من خاف مقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ»^{٢٥٦}.

^{٢٥١} (١) نهج البلاغة ٢: ٦٢، شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٨٩.

^{٢٥٢} (٢) شرح ابن ميثم ٣: ٢٥٨.

^{٢٥٣} (٣) الطلاق: ٢-٣.

^{٢٥٤} (١) تاريخ الطبري ٤: ٥٦٠، سنة ٣٦.

^{٢٥٥} (٢) مأخوذ من نهج البلاغة ٢: ١١٠، الخطبة ١٧٦.

^{٢٥٦} (٣) النازعات: ٤٠-٤١.

«وَأَمَّا فَلَانَةُ» هِيَ بِنْتُ فَلَانَ الَّذِي قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِ: «أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فَلَانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مُحَلًى مِنْهَا مُحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى»^{٢٥٧}.

«فَأَدْرَكَهَا رَأَى النِّسَاءَ» وَفِي (ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ)^{٢٥٨}: ضَعَفَ رَأَى النِّسَاءَ.

فِي (الْخُلَفَاءِ): أَنْكَرَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى طَلْحَةَ إِخْرَاجَهُ بِعَائِشَةَ، فَقَالَ طَلْحَةُ: إِنَّهَا إِنَّمَا جَاءَتْ لِلْإِصْلَاحِ. فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هِيَ لَعَمْرُ اللَّهِ إِلَى مَنْ يَصْلَحُ

ص: ٩٦

لَهَا أَمْرُهَا أَحْوَجُ^{٢٥٩}.

وَفِي (جَمَلِ الْمَفِيدِ): رَوَى الْوَأَقْدِيُّ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قَالَ: أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٌ يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ مَعَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ فِي أَمْرِهِمَا، فَلَمَّا رَأَى أَنَّ عَائِشَةَ تَدْبِرُهُمَا رَجَعَ عَنْهُمَا فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ لَمْ تَدْخُلْ؟ قَالَ: رَأَيْتُ امْرَأَةً تَتْلَى أَمْرَهُمَا، وَقَدْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَقَدْ ذَكَرَ مَلِكَةً سَبًّا - يَقُولُ: «لَا أَفْلَحُ قَوْمٌ تَدْبِرُ أَمْرَهُمْ امْرَأَةٌ» فَكَرِهْتُ الدَّخُولَ مَعَهُمَا^{٢٦٠}.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِ (وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ ذِكْرِ السَّائِرِينَ إِلَى الْبَصْرَةِ): فِي (غَرِيبِ حَدِيثِ ابْنِ قَتِيْبَةَ): فِي حَدِيثِ حَذِيفَةَ ذَكَرَ خُرُوجَ عَائِشَةَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: تَقَاتَلَتْ مَعَهَا مُضِرٌّ مُضِرُّهَا اللَّهُ فِي النَّارِ وَأَزَرَ عَمَانَ سَلَّتْ اللَّهُ أَقْدَامَهَا، وَإِنْ قَيْسًا لَا تَنْفَكُ تَبْغِي دِينَ اللَّهِ شَرًّا حَتَّى يَرْكَبَهَا اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ فَلَا يَمْحُو ذَنْبَ تَلْعَةٍ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لِأَنَّهُ إِخْبَارٌ عَنْ غَيْبٍ تَلْقَاهُ حَذِيفَةُ قَبْلَ الْجَمَلِ، وَهَذَا الْحَدِيثُ يُؤَكِّدُ مَذْهَبَ أَصْحَابِنَا فِي فَسْقِ أَهْلِ الْجَمَلِ، إِلَّا مَنْ ثَبَتَ تَوْبَتَهُ وَهُمْ الثَّلَاثَةُ^{٢٦١}.

قُلْتُ: لَوْ كَانَ قَالَ بِثَبُوتِ عَدَمِ تَوْبَتِهِمْ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْحَقِّ وَالْوَاقِعِ.

وَفِي (الْعَقْدِ): دَخَلَتْ أُمُّ أَوْ فِي الْعَبْدِيَّةِ بَعْدَ الْجَمَلِ عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا تَقُولِينَ فِي امْرَأَةٍ قَتَلَتْ ابْنًا لَهَا صَغِيرًا؟ قَالَتْ: وَجِبَتْ لَهَا النَّارُ.

قَالَتْ: فَمَا تَقُولِينَ فِي امْرَأَةٍ قَتَلَتْ مِنْ أَوْلَادِهَا الْأَكْبَارِ عَشْرِينَ أَلْفًا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ. قَالَتْ: خَذُوا بِيَدِ عَدُوَّةِ اللَّهِ. وَمَاتَتْ عَائِشَةُ فِي أَيَّامٍ مُعَاوِيَّةَ، وَقَدْ قَارَبَتْ

ص: ٩٧

^{٢٥٧} (٤) نَهْجُ الْبَلَاغَةِ ١: ٢٥ الْخُطْبَةُ ٣.

^{٢٥٨} (٥) شَرْحُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٩: ١٩٢.

^{٢٥٩} (١) الْإِمَامَةُ وَالسِّيَاسَةُ ١: ٧٥.

^{٢٦٠} (٢) الْجَمَلُ لِلْمَفِيدِ: ٢٩٧.

^{٢٦١} (٣) شَرْحُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ١١: ١٢١-١٢٢.

السبعين و قيل لها تدفينين مع النَّبِيِّ، فقالت: إِنِّي أحدثت بعده حدثا فادفنوني مع إخوتي بالبقيع.

و قد كان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِه قال لها: يا حميرا كَأَنِّي بك تنبحك كلاب الحوَاب، تقاتلين عليّا و أنت له ظالمة.

و الحوَاب: قرية في طريق المدينة إلى البصرة، و بعض النَّاس يسمونها الحوب، و قد زعموا أَنَّ الحوَاب ماء في طريق البصرة، قال في ذلك بعض الشيعة:

إِنِّي ادين بحبِّ آل محمّد و بنى الوصىّ شهودهم و الغيب

و أنا البريء من الزبير و طلحة و من التي نبحت كلاب الحوَاب^{٢٦٢}

و في (فصول المرتضى) المنتخبة من (محاسن المفيد): مرَّ فضّال بن الحسن بن فضّال الكوفي بأبى حنيفة - و هو في جمع كثير يملئ عليهم شيئا من فقهه و حديثه - فقال فضّال لصاحب كان معه: و الله لا أبرح أو اخجل أبا حنيفة.

فقال صاحبه: إِنَّ أبا حنيفة ممّن قد علت حاله و ظهرت حجّته. فقال: مه هل رأيت حجّة كافر علت على مؤمن. ثم دنا منه فسلم عليه و قال له: إِنَّ لى أخا يقول خير النَّاس بعد النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِه عليّ، و أنا أقول: أبو بكر ثم عمر، فما تقول أنت؟ فأطرق مليا، ثم رفع رأسه و قال: كفى بمكانهما من النَّبِيِّ كرما و فخرا، أما علمت أنّهما ضجيعاه في قبره، فأى حجّة أوضح لك من هذا؟ فقال فضال:

قد قلت ذلك لأخى، فقال: و الله إن كان الموضع للنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِه دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حقّ، و إن كان الموضع لهما فوهباه للنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِه لقد أساءا و ما أحسنا إذ رجعا في هبتهما و نكثا عهدهما - فأطرق

ص: ٩٨

أبو حنيفة ساعة. ثم قال: قل له لم يكن لهما و لا له خاصّة، و لكنّهما نظرا في حق عايشة و حفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما.

فقال له فضال: قد قلت ذلك له، فقال: أنت تعلم أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِه مات عن تسع حشايا فإذا لكل واحدة منهن تسع الثمن، ثم نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر، فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك؟ و بعد فما بال عايشة و حفصة ترثان النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِه و فاطمة ابنته عليها السّلام تمنع الميراث؟ فقال أبو حنيفة:

يا قوم نحوّه فإنّه رافضىّ خبيث ٢٦٣.

قلت: و الغريب «أنّ عمر لما طعن بعث إلى عايشة يستأذن منها فى دفنه مع النّبىّ صلّى الله عليه و آله ٢٦٤، فلم لم يستأذن ابنته حفصة كما قال أبو حنيفة؟ لكنّه أراد أن يجرئها و يعرفها مالكة للبيت، حتّى تمنع دفن بنى هاشم فيه، كما منعت من دفن الحسن عليه السّلام فيه.

ففى (مقاتل أبى الفرج): قال يحيى بن الحسن: سمعت علىّ بن طاهر بن زيد يقول لما أرادوا دفن الحسن بن علىّ عليه السّلام: ركبت عايشة بغلا و استعنوت بنى اميّة و مروان و من كان هناك منهم و من حشمهم، و هو قول القائل:

فيوما على بغل و يوما على جمل ٢٦٥

و فى (تاريخ يعقوبى): - فى دفن الحسن عليه السّلام - قيل: أنّ عايشة ركبت بغلة شهباء و قالت: بيتى لا آذن فيه لأحد، فأتاها القاسم بن محمّد بن أبى بكر فقال لها: يا عمّة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر، أ تريدن أن يقال يوم البغلة الشهباء ٢٦٦.

ص: ٩٩

و فى (الكافى) بأسانيد عن أبى جعفر عليه السّلام: لما احتضر الحسن عليه السّلام قال لأخيه عليه السّلام: اوصيك بوصيّة فأحفظها، إذا مت هيئننى ثم وجهنى إلى النّبىّ صلّى الله عليه و آله لأحدث به عهدا، ثم اصرفنى إلى امّى، ثم ردنى فادفنى بالبقيع، و اعلم أنّه سيصيبنى من الحمراء ما يعلم الناس من ضغنّها و عداوتها لله و رسوله و عداوتها لنا أهل البيت.

فلما قبض الحسن عليه السّلام وضع على سرير، و انطلقوا به إلى مصلّى النّبىّ صلّى الله عليه و آله الذى كان يصلّى فيه على الجنائز، فصلّوا على الحسن عليه السّلام، ثم حمل فلما أوقف على قبر النّبىّ صلّى الله عليه و آله بلغ عايشة الخبر، و قيل لها: إنهم أقبلوا به ليدفن مع النّبىّ صلّى الله عليه و آله فخرجت مبادرة على بغل بسرّج. فكانت أوّل امرأة ركبت فى الإسلام سرجا، فوقفت و قالت: نحوّ ابنكم عن بيتى، فإنّه لا يدفن فيه و لا يهتك على النّبىّ حجاب. فقال لها الحسين عليه السّلام: قديما هتكت أنت و أبوك حجاب النّبىّ صلّى الله عليه و آله، و أدخلت بيته من لا يحبّ قربّه و إنّ الله يسألك عن ذلك، يا عائشة إنّ أخى أمرنى أن اقربّه من أبيه رسول الله صلّى الله عليه و آله ليحدث به عهدا، و اعلمى أنّ أخى أعلم الناس بالله و رسوله، و أعلم بتأويل كتابه من أن يهتك على النّبىّ سرّه و إنّ الله تعالى يقول:

٢٦٣ (١) فصول المرتضى: ٧٤، الاحتجاج ٢: ٣٨٢.

٢٦٤ (٢) نقله ابن سعد فى الطبقات ٣: ٣٦٣.

٢٦٥ (٣) مقاتل الطالبين: ٤٩.

٢٦٦ (٤) تاريخ يعقوبى ٢: ٢٢٥.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ»^{٢٦٧}، وقد أدخلت أنت بيت النبي صلى الله عليه وآله الرجال بغير إذنه، وقد قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ»^{٢٦٨}، ولعمري لقد ضربت أنت لأبيك و فاروقه عند اذن النبي صلى الله عليه وآله المعاول. وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ»

ص: ١٠٠

«أَصْوَاتُهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى»^{٢٦٩} ولعمري لقد أدخل أبوك و فاروقه على النبي صلى الله عليه وآله بقربهما منه الأذى و ما رعى من حقّه ما أمرهما الله به على لسان رسوله ان الله حرم من المؤمنين امواتا، ما حرم منهم أحياء. و تالله يا عايشة لو كان هذا الذي كرهته من دفن الحسن عليه السلام عند أبيه جائزا فيما بيننا و بين الله تعالى، لعلمت أنه سيدفن و إن رغم معطسك.

ثم تكلم محمد بن الحنفية و قال: يا عايشة يوما على بغل و يوما على جمل، فما تملكين نفسك عداوة لبنى هاشم ...^{٢٧٠}

و فى (أمالى الشيخ) بأسانيد عن ابن عباس فى وصية الحسن عليه السلام و دفنه - إلى أن قال - قال ابن عباس: فإذا أنا بعايشة فى أربعين راكبا على بغل مرحل تقدمهم و تأمرهم بالقتال، فلما رأتنى قالت: إلىّ إلىّ يا بن عباس، لقد اجترأتم علىّ فى الدنيا تؤذوننى مرّة بعد أخرى، تريدون أن تدخلوا بيتى من لا أهوى و لا أحبّ. فقلت: و اسوأته يوم على بغل و يوم على جمل، تريدان أن تطفئى نور الله و تقتاتلى أولياء الله، و تحولى بين رسول الله صلى الله عليه وآله و بين حبيبه أن يدفن معه ارجعى فقد كفى الله المئونة، و دفن الحسن إلى جنب أمّه، فلم يزد من الله إلّا قربا و ما ازددتم منه و الله إلّا بعدا. يا سوأته انصرفى فقد رأيت ما سرّك.

فقطبت فى وجهى و ناديت بأعلى صوتها: ما نسيتم الجمل يا بن عباس إنكم لذووا أحقاد - فقلت: أم و الله ما نسيه أهل السماء فكيف ينساه أهل الأرض.

فانصرفت و هى تقول:

ص: ١٠١

كما قرّ عينا بالإياب المسافر^{٢٧١}

فألقت عصاها و استقرّت بها النوى

^{٢٦٧} (١) الأحزاب: ٥٣.

^{٢٦٨} (٢) الحجرات: ٢.

^{٢٦٩} (١) الحجرات: ٣.

^{٢٧٠} (٢) الكافي ١: ٣٠٢-٣٠٣، الإرشاد ٢: ١٧-١٩، شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٤٩.

^{٢٧١} (١) أمالى الطوسي ١: ١٥٩-١٦٢، بحار الأنوار ٤٤: ١٥١-١٥٣.

و فى (المروج): رُئى بالبصرة رجل مصظم الاذن، فسئل عن قصته، فذكر أنه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى فنظر إلى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه و هو يقول:

لقد أوردتنا حومة الموت امنا
أطعنا بنى تيم لشقوة جدنا
فلم تنصرف إلّا و نحن رواء
و ما تيم إلّا أعبد و إماء

فقلت: سبحان الله لو تشهد بدل ذلك كان خيرا لك. فصاح بى: ادن منى لقننى الشهادة. فصرت إليه، فلما قربت منه استدنانى ثم التقم اذنى فذهب بها، فجعلت ألغنه فقال: إذا صرت إلى امك فقلت: من فعل بك هذا؟ فقل: عمير بن الأهلب الضبى مخدوع المرأة التى أرادت أن تكون أميرة المؤمنين^{٢٧٢}.

و إخواننا افتعلوا لامهم روايات و ما تغنى عنها، و قد تحقّق أنّه نزل فى ذمّها آيات. قال بعض الشيعة مشيرا إلى ما ذكرت العامّة لها، أنّها حفظت أربعين ألف حديث، و لكن نست قوله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»^{٢٧٣}.

حفظت أربعين ألف حديثا
و من الذكر آية تنساها

و من الآيات التى قلنا قوله تعالى: «وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ»^{٢٧٤}.

روى الثعلبى - كما فى (غبن العترة) - أنّها نزلت فى عايشة و حفصة، سخرتا من ام سلمة، و ذلك أنّ ام سلمة ربطت حقويها بسبيبة - و هى ثوب

ص: ١٠٢

أبيض - و كان سللت طرفها خلفها فكانت تجرّه. فقالت عايشة لحفصة: انظرى ما تجر خلفها كأنه لسان كلب. إلّا أنّهما كانتا تسخران النبىّ كما يأتى فكيف تباليان من مسخرة ام سلمة^{٢٧٥}.

الثانية: قوله تعالى: «لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ»^{٢٧٦}.

^{٢٧٢} (٢) مروج الذهب ٢: ٣٧٩.

^{٢٧٣} (٣) الأحزاب: ٣٣.

^{٢٧٤} (٤) الحجرات: ١١.

^{٢٧٥} (١) مجمع البيان للطبري ٩: ١٣٥ و كذلك بحار الأنوار للمجلسي ٢٢: ٢٢٨ باب ٤.

ففى (الكشاف): روى أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَرِبَ عَسَلًا فِي بَيْتِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَتَوَاطَأَتْ عَايِشَةُ وَحَفْصَةُ فَقَالَتَا لَهُ: إِنَّا نَشْمُ مِنْكَ رِيحَ الْمَغَافِيرِ فَحَرِّمِ الْعَسَلَ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ^{٢٧٧}.

و روى الحميدى فى (الجمع بين الصحيحين): عن عائشة قالت: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَيَشْرِبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَأَلَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنْ أَتَيْنَا دَخَلَ النَّبِيُّ عَلَيْهَا فَقَوْلَ لَهُ: أَنَّى أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرٍ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ - إِلَى أَنْ قَالَ - فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَهَا: بَلْ شَرِبْتَ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ وَ لَنْ أَعُودَ، فَنَزَلَتْ: «لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ»^{٢٧٨}.

الثالثة: قوله تعالى: «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ»^{٢٧٩}.

قال فى (الكشاف): خطاب لحفصة و عايشة على طريقة الالتفات ليكون

ص: ١٠٣

أبلغ فى معاتبتهما^{٢٨٠}.

قال: و عن ابن عباس: لم أزل حريصا على أن أسأل عنهما عمر، حتّى حجّ و حججت معه، فلمّا كان ببعض الطريق عدل و عدلت معه، فسكبت الماء على يده فتوضأ - فقلت من هما؟ - فقال: عجا يابن عباس - كأنه كره ما سألته عنه - ثم قال: هما حفصة و عايشة^{٢٨١}.

و تدبر فى قوله تعالى: «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ»^{٢٨٢}، حيث جعل فى مقابل مظاهره عايشة و حفصة على عداوة نبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، معاونته تعالى له، ثم معاونه جبرئيل و صالح المؤمنين - و هو أمير المؤمنين عليه السّلام - له، ثم مظاهره ملائكته له.

قال الزمخشري: فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه^{٢٨٣}.

و فى (ذيل الطبرى): قال أبو أسيد الساعدي: تزوّج النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَسْمَاءَ ابْنَةَ النُّعْمَانِ الْجَوْثِيَّةِ، وَ أَرْسَلَنِي فَجِئْتُ بِهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ - أَوْ عَائِشَةُ لِحَفْصَةَ - : اخْضِبِيهَا أَنْتَ، وَ أَنَا امْشِطُهَا، ففعلتها، ثم قالت إحداهما لَهَا: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

^{٢٧٦} (٢) التحريم: ١.

^{٢٧٧} (٣) الكشاف.

^{٢٧٨} (٤) صحيح البخاري ٦: ١٦٧ و فى صحيح مسلم حديث رقم ٢٦٩٤. و الآية ١ من سورة التحريم التحريم.

^{٢٧٩} (٥): ٤.

^{٢٨٠} (١) الكشاف للزمخشري ٤: ٥٦٦، دار الكتاب العربى، بيروت.

^{٢٨١} (٢) المصدر نفسه ٤: ٥٦٦.

^{٢٨٢} (٣) التحريم: ٤.

^{٢٨٣} (٤) الكشاف للزمخشري ٤: ٥٦٦ - ٥٦٧.

و آله يعجبه من المرأة إذا ادخلت عليه أن تقول: أعوذ بالله منك. فلما ادخلت عليه و أغلق الباب و أرخى الستر و مدّ يده إليها قالت: أعوذ بالله منك، فجعل كمّه على وجهه و قال: عدت معاذاً- ثلاث مرّات- و خرج، و قال لأبى أسيد: الحقها بأهلها، فقالت: ادعوني الشقيّة و ماتت كمداً^{٢٨٤}.

ص: ١٠٤

فتظاهرتا على النّبيّ صلّى الله عليه و آله في منعه عمّا أحلّ الله له، و تسببتا لهلاك مؤمنة.

و روى أبو مخنف و الواقدي و المدائني - كما نقل ابن أبي الحديد في شرح (و من كتاب له عليه السّلام إلى أهل الكوفة)^{٢٨٥} - أنّ عائشة كتبت إلى حفصة: أمّا بعد فإنّي اخبرك أنّ عليّاً قد نزل ذاقار و أقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدتنا و جماعتنا، فهو بمنزلة الأشقر إن تقدّم عقر، و إن تأخّر نحر. فدعت حفصة جوارى لها يتغنين و يضربن بالدفوف، فأمرت أن يقلن في غنائهن: (ما الخبر، عليّ في السفر، كالفرس الأشقر، إن تقدّم عقر، و إن تأخّر نحر)، و جعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة و يجتمعن لسماع ذلك الغناء. فبلغ ذلك أمّ كلثوم بنت عليّ عليه السّلام، فلبست جلابيبها و دخلت عليهنّ في نسوة منكرات، ثم أسفرت عن وجهها، فلما عرفتها حفصة خجلت و استرجعت، فقالت لها أمّ كلثوم: لئن تظاهرتما على أبي منذ اليوم لقد تظاهرتما على أخيه النّبيّ صلّى الله عليه و آله فأنزل تعالى فيكما ما أنزل^{٢٨٦}.

الرابعة: قوله تعالى: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ»^{٢٨٧}.

روى إبراهيم الثقفي في (تاريخه) - كما في (تقريب الحلبي) -: أنّ عثمان صعد المنبر فنادته عائشة - و رفعت قميص النّبيّ صلّى الله عليه و آله -: لقد خالفت صاحب هذا القميص. فقال عثمان: إنّ هذه الزعراء عدوة الله، ضرب الله مثلها و مثل

ص: ١٠٥

صاحبها حفصة في الكتاب بامرأة نوح و امرأة لوط^{٢٨٨}.

و قال الزمخشري في (الكشاف) مشيراً إلى هذه الآية و إلى الآية التي بعدها: «و ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ»^{٢٨٩}، في طيّ هذين التمثيلين تعريض بامّي المؤمنين المذكورتين في أول السورة، و ما فرط منهما من التظاهر على رسول الله بما كرهه، و تحذير لهما على أغلظ وجه و أشده، لما في التمثيل من ذكر الكفر، و أشار إلى أنّ من حقهما أن تكونا

^{٢٨٤} (٥) ذيل المذيل من تاريخ الطبري ١١: ٦١٤.

^{٢٨٥} (١) نهج البلاغة ٣: ٢ الكتاب ١.

^{٢٨٦} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ١٣.

^{٢٨٧} (٣) التحريم: ١٠.

^{٢٨٨} (١) تقريب المعارف، مخطوط، و نقل مثله العلامة المجلسي رحمه الله في البحار ط الكمباني، ٨- نقلا عن كشف الغمّة.

^{٢٨٩} (٢) الزمخشري: الكشاف ٤- ٥٧١، و الآية ١١ من سورة التحريم.

فى الإخلاص و الكمال فىه كمثل هاتين المؤمتين، و آلا تتكلا على أنهما زوفا النبىؐ؁ فإن ذلك الفضل لا ينفعهما؁ إلا مع كونهما مخلصتين. و التعريض بحفصة أرجح؁ لأن امراة لوط أفشت عليه؁ كما أفشت حفصة على النبىؐ صلى الله عليه و آله.

و أسرار التنزيل و رموزه فى كل باب بالغة فى اللطف و الخفاء حدا يدق عن تطفن العالم و يزل عن تبصره^{٢٩٠}.

قلت: نعم أسرار التنزيل كما ذكر؁ إلا ان آيات امى المؤمنين لهم من اعلانها لا أسرارها؁ و من محكماتها لا متشابهاتها؁ إلا أن المكابر لا علاج له «وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا»^{٢٩١}.

الخامسة: قوله تعالى: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا»^{٢٩٢}؁ و هل فاحشة أبين مما أتت به فى الجمل؟

ص: ١٠٦

و فى (الطبرى) عن عمار الدهنى: أخذ على عليه السلام مصحفا يوم الجمل فطاف به فى أصحابه؁ و قال: من يأخذ هذا المصحف و يدعوهم إلى ما فيه و هو مقتول؟ فقام إليه فتى من أهل الكوفة عليه قباء أبيض محشو؁ فقال: أنا؁ فأعرض عنه. ثم قال: من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه و هو مقتول؟

فقال الفتى: أنا. فأعرض عنه. ثم قال: من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه و هو مقتول؟ فقال الفتى: أنا. فدفعه إليه فدعاهم؁ فقطعوا يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى؁ فدعاهم فقطعوا يده اليسرى فأخذه بصدرة و الدماء تسيل على قبائه؁ فقتل. فقالت أم الفتى:

يتلو كتاب الله لا يخشاهم

لا هم إن مسلما دعاهم

يأترون الغى لا تنهاهم^{٢٩٣}

و أمهم قائمة تراهم

و عن الزهرى؁ قال: قال على عليه السلام لأصحابه: أياكم يعرض عليهم هذا المصحف و ما فيه؁ فإن قطعت يده أخذه بيده الاخرى؁ و إن قطعت أخذه بأسنانه؟ قال فتى شاب أنا ...^{٢٩٤}.

^{٢٩٠} (٣) الكشف.

^{٢٩١} (٤) الأنعام: ١١١.

^{٢٩٢} (٥) الأحزاب: ٣٠.

^{٢٩٣} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٥١١-٥١٢؁ سنة ٣٦.

^{٢٩٤} (٢) المصدر نفسه ٤: ٥٠٩؁ سنة ٣٦.

و مرّ خير أبي مخنف- بعد ذكر غدر عائشة و طلحة و الزبير بعثمان بن حنيف و أسره- فلمّا ضرب ضرب الموت و نتف حاجباه و أشفار عينيه و كل شعرة في رأسه و وجهه و أخذوا السباجة و هم سبعون رجلاً فانطلقوا بهم و بابن حنيف إلى عائشة فقالت لأبان بن عثمان: اخرج إليه فاضرب عنقه، فإنّ الأنصار قتلت أباك و أعانت على قتله. فنأدى ابن حنيف: يا عائشة و يا طلحة و يا زبير، إنّ أخى سهل بن حنيف خليفة علىّ بن أبي طالب على المدينة، و أقسم بالله أن لو قتلتموني ليضعن السيف في بنى أبيكم و رهطكم. فكفّوا عنه

ص: ١٠٧

و خافوا أن يوقع سهل بأهلهم بالمدينة.

و أرسلت عائشة إلى الزبير أن يقتل السباجة، فإنّه قد بلغني الذي صنعوا بك- تعنى تأخير السباجة الزبير عن أمام الصفوف حتّى يصلّى بهم ابن حنيف- فذبحهم و الله كما يذبح الغنم، ولّى ذلك منهم ابن الزبير و هم سبعون رجلاً.

و الله تعالى يقول: «مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا»^{٢٩٥}، و اخواننا يقولون: إنّ عايشة و إنّ أتت بما أتت من الفواحش المبيّنات إلّا أنّ عذابها عندنا عسير.

فقال الجرزي بعد نقل رجز ربيعة العقيلي من أصحابه عليه السّلام:

و الأمّ تغزو ولدا و ترحم

يا أمنا أعقّ أمّ نعلم

و تختلى منه يد و معصم

أ لا ترين كم شجاع يكلم

كذب ربيعة، هي أبرّ أمّ نعلم.

السادسة: قوله تعالى: «وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»^{٢٩٦}.

و في (الطبري): أقبل زيد بن صوحان و معه كتاب من عائشة إليه خاصّة، و كتاب منها إلى أهل الكوفة عامّة، تتبطهم عن نصره علىّ عليه السّلام و تأمرهم بلزوم الأرض.

فقال زيد: أيّها الناس انظروا إلى هذه امرت أن تقرّ في بيتها، و امرنا نحن أن نقاتل حتّى لا تكون فتنة، فأمرتنا بما امرت به و ركبت ما امرنا به. ثم قرأ:

^{٢٩٥} (١) الأحزاب: ٣٠.

^{٢٩٦} (٢) الأحزاب: ٣٣.

«الْم أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكَوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا»

ص: ١٠٨

«الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ»^{٢٩٧}.

و في (طبقات ابن سعد) كاتب الواقدي: كانت عايشة تكشف قناعها حيث دفن أبوها مع النبي، فلما دفن عمر تقنعت فلم تطرح القناع^{٢٩٨}.

قلت: إذا كانت بذاك الحياء و تلك العفة حتى تتقن من ميت عمر تحت التراب، فلم تبرجت لآلاف من أخلاط الناس و الجنود؟ و معلوم من حالهم ان أغلبهم فسقة و طالبوا الفجور، و كيف لم تلاحظ طلحة يلزمها ركوبا و نزولا، و قد كان له فيها نظر في حياة النبي صلى الله عليه و آله حتى قال: إن مات محمد أنكح عائشة كما ينكح هو امرأة كل من مات منّا^{٢٩٩}.

و قالوا: قال ابن الجوزي يوما على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني، فسأته امرأة عما روى أن عليا عليه السلام سار في ليلة إلى سلمان فجهره و رجع، فقال: روى ذلك. فقالت: فعثمان طرح ثلاثة أيام منبذا إلى المزابل و علي حاضر؟ قال: نعم. فقالت: فقد الزم الخطأ لأحدهما، فقال لها: إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن زوجك فعليك لعنة الله و إلّا فعليه. فقالت له: فعائشة خرجت إلى حرب على بإذن النبي أو بغير إذنه؟ فانقطع و لم يحر جوابا^{٣٠٠}.

السابعة: قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^{٣٠١}.

روى كتاب الواقدي في (طبقاته): عن الواقدي عن محمد بن عبد الله عن

ص: ١٠٩

الزهرى عن عروة عن عايشة - قالت: لما ولد إبراهيم جاء به النبي صلى الله عليه و آله إليّ، فقال: انظري إلى شبهه بي - فقلت: ما أرى شيئا - فقال: ألا ترين إلى بياضه و لحمه؟ فقلت: من قصر عليه اللقاح ابيض و سمن^{٣٠٢}.

و عنه عن ابن حزم عن عروة عن عائشة مثله - إلّا أنّه قال: قالت عايشة من سقى ألبان سمن و ابيض. قال الواقدي: كانت للنبي صلى الله عليه و آله قطعة غنم تروح عليه و لبن لقاح له ...^{٣٠٣} و سيأتي زيادة كلام في نقل كلام ابن أبي الحديد.

^{٢٩٧} (١) تاريخ الطبري ٤: ٤٨٣-٤٨٤، سنة ٣٦، و الآيات ١-٣ من سورة العنكبوت.

^{٢٩٨} (٢) الطبقات لابن سعد ٢: ٢٩٤.

^{٢٩٩} (٣) الطرائف ٢: ٤٩٢-٤٩٣ و عنه البحراني في تفسير البرهان ٣: ٣٣٣-٣٣٤.

^{٣٠٠} (٤) نقله العلامة المجلسي رحمه الله في البحار ٨: ١٨٣، ط الكمباني.

^{٣٠١} (٥) النور: ٢٣-٢٤.

^{٣٠٢} (١) الطبقات لابن سعد ١: ١٣٧.

^{٣٠٣} (٢) المصدر نفسه.

و روى ابن حمدان الحضيبي - كما في (تفسير البحراني) - عن الرضا عليه السلام: أن مارية لما أهداها المقوقس إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان معها خادم ممسوح يقال له جريح، و حسن إسلامهما و إيمانهما، ثم ملكت مارية النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحسدها بعض أزواجه، فأقبلت حفصة و عائشة تشكيان إلى أبيهما ميل النبي إلى مارية و إيثاره إياها عليهما، حتى سولت لهما و لأبويهما أنفسهما بأن يقذفوا مارية بأنها حملت بإبراهيم من جريح، و هم لا يظنون أن جريحا خادم ممسوح فأقبل أبواهما و قالا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما تقولان؟ قال: يا أي من مارية الفاحشة العظمى، و إن حملها من جريح و ليس هو بخادم. فأريد وجهه و تلون، ثم قال: ويحكم ما تقولان؟ قال: إنا خلفنا جريحا و مارية في مشربتها - يعنيان حجرتها - و هو يفاكهها و يروم منها ما يروم الرجل من النساء، فابعث إلى جريح فإنك تجده على هذه الحال، فانفذ فيه حكم الله. فانتنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه و آله إلى علي عليه السلام و قال: قم يا أخي، و معك ذو الفقار حتى تمضي إلى مشربة مارية، فإن صادقتها و جريحا يصنعان

ص: ١١٠

فأخذهما بسيفك، فقام و اتشح بسيفه و اتخذته تحت ثيابه، فلما ولى قال: يا رسول الله أكون في ما أمرتني به كالسكة المحماء في العهن، أو الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ فقال: بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. فأقبل عليه السلام سيفه في يده حتى تسور من فوق مشربة مارية - و هي في جوف المشربة جالسة و يقول لها: عظمى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه و آله و كرميه و نحو هذا الكلام - حتى التفت إليه عليه السلام و سيفه مشهور في يده ففزع إلى نخله في المشربة، فصعد إلى رأسها، فنزل عليه السلام إلى المشربة و كشت الريح عن أثواب جريح فاذا خادم ممسوح.

فقال له: انزل. فقال: آما على نفسي؟ فقال: آما على نفسي. فنزل فأخذ بيده و جاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إن جريحا خادم ممسوح - إلى أن قال - فأنزل تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»^{٣٠٤}.

و في (تفسير القمي): قال ابن بكير لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتل القبطي، و قد علم أنها كذبت أو لم يعلم، و إنما دفع الله تعالى القتل عن القبطي بتثبيت علي عليه السلام ... فقال: بل كان و الله يعلم و لو كان عزيمة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه و آله ما انصرف علي عليه السلام حتى يقتله، و لكن إنما فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه و سلم ذلك لترجع عن ذنبها، فما رجعت و لا اشتد عليها قتل رجل مسلم^{٣٠٥}.

الثامنة: قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَ لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»^{٣٠٦}.

روى (العلل) مسندا عن أبي جعفر عليه السلام قال: أما لو قد قام قائمنا لقد

ص: ١١١

^{٣٠٤} (١) البرهان في تفسير القرآن ٣: ١٢٧-١٢٨، و قريب منه ما في تفسير القمي ٢: ٩٩-١٠٠ و الآية ٢٣ من سورة النور.

^{٣٠٥} (٢) تفسير القمي ٢: ٣١٩.

^{٣٠٦} (٣) النور: ٤.

ردت إليه الحميراء حتى يجلدها الحدّ، و حتى ينتقم الله لابنة محمد صلى الله عليه و آله فاطمة عليها السلام. قلت له: جعلت فداك و لم يجلدها الحدّ؟ قال: لفريتها على امّ إبراهيم^{٣٠٧}.

قلت: و لا يستنكر ما فى الخبر، فلا ريب أنّ عائشة رمت مارية باتّفاق الخاصّة و العامّة، و أنّها استحققت الحدّ، و لم يقل أحد أنّ النّبىّ صلى الله عليه و آله و سلم أجرى عليها الحدّ، و لم يكن النّبىّ ليعطّل حدا من حدود الله على قريب و لا بعيد. فلا بدّ أنّ الحكمة اقتضت تأخير إجرائه على يد المهدى من ولده عليه السلام.

و رجعة جمع فى أيام المهدى عليه السلام عند الإمامية قطعية.

و يناسب أن ننقل كلام شيخ ابن أبى الحديد، يوسف بن إسماعيل اللمعانيّ، الذى نقله عنه بعد التحقيق، ما فى الخبر من رمى عائشة لمارية و إيذاها لسيّدة نساء العالمين. و كلامه و إن كان مشتملا على الغثّ و السمين، لكن نشير بعد إلى ما فى غشه.

فقال: أوّل بدء الضغن كان بين عائشة و بين فاطمة، لأنّ النّبىّ صلى الله عليه و آله و سلم تزوّجها عقيب خديجة، و معلوم أنّ ابنة الرجل إذا ماتت أمّها و تزوّج أبوها اخرى كان بينهما كدر و شتآن، ثم اتفق أنّ النّبىّ صلى الله عليه و آله مال إليها فازداد ما عند فاطمة بحسب زيادة ميله. و أكرم النّبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فاطمة إكراما عظيما، أكثر ممّا كان الناس يظنّونه و أكثر من إكرام الرجال لبناتهم، حتّى خرج بها عن حد حبّ الآباء للأولاد، فقال بمحضر الخاص و العام مرارا لا مرّة واحدة، و فى مقامات مختلفة لا فى مقام واحد: إنّها سيّدة نساء العالمين، و إنّها عديلة مريم بنت عمران، و إنّها إذا مرّت فى الموقف نادى مناد من جهة العرش: يا أهل الموقف غصّوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد صلى الله عليه و آله، و هذا من الأحاديث الصحيحة

ص: ١١٢

و ليس من الأخبار المستضعفة.

و إنّ إنكاحه عليّا إنّما ما كان إلّا بعد أن أنكحه الله تعالى إيّاها فى السماء بشهادة الملائكة-.

و كم قال لا مرّة: «يؤذيني ما يؤذيها، و يغضبني ما يغضبها، و إنّها بضعة منى يريني ما رابها».

فكان هذا و أمثاله زيادة الضغن عند الزوجة، حسب زيادة هذا التعظيم و التبجيل، و النفوس البشرية تغيظ على ما دون هذا، فكيف هذا؟ ثم حصل عند بعلاها ما هو حاصل عندها، أعنى عليّا فإنّ النساء كثيرا ما يحصلن الاحقاد فى قلوب الرجال، لا سيّما و هنّ محدّثات الليل كما قيل فى المثل.

و كانت تكثر الشكوى من عائشة، و يغشاها نساء المدينة و جيران بيتها فينقلن إليها كلمات عن عائشة ثم يذهبن إلى بيت عائشة فينقلن إليها كلمات عن فاطمة، و كما كانت فاطمة تشكو إلى بعلاها كذلك كانت عايشة تشكو إلى أبيها، لعلمها أنّ بعلاها

^{٣٠٧} (١) علل الشرائع ٢: ٣٠٣-٣٠٤.

لا يشكيها على ابنته فحصل في نفس أبي بكر من ذلك أثر ما. ثم تزايد تقريظ النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام و تقرّيبه و اختصاصه، فأحدث ذلك حسدا له و غبطة في نفس أبي بكر عنه و هو أبوها، و في نفس طلحة و هو ابن عمّها و هي تجلس إليهما و تسمع كلامهما و هما يجلسان إليها و يحادثانها، فأعدى إليها منهما كما أعدى إليهما.

و لست أبرىء عليا عليه السلام من مثل ذلك، فإنه كان ينفس على أبي بكر سكون النبي عليه السلام إليه و ثناءه عليه، و يحب أن ينفرد هو بهذه المزايا و الخصائص دونه و دون الناس أجمعين، و من انحرف عن إنسان انحرف عن أهله و أولاده، فتأكدت البغضة بين الفريقين. ثم كان من أمر القذف ما كان، و لم يكن على عليه السلام من القاذفين، و لكنّه كان من المشيرين على النبي صلى الله عليه وآله

ص: ١١٣

بطلاقها، تنزيها لعرض النبي عليه السلام عن أقوال الشنأ و المنافقين.

و قال له لما استشاره: إن هي إلّا شسع نعلك، و قال له: سل الخادم و خوّفها و إن أقامت على الجحود فاضربها، و بلغ عائشة هذا الكلام و سمعت أضعافه ممّا جرت عادة الناس أن يتداولوه في مثل هذه الواقعة.

و نقل النساء إليها كلاما كثيرا عن علي و فاطمة، و أنّهما قد أظهرتا الشماتة بها جهارا و سراّ بوقوع هذه الحادثة لها، فتفاقم الأمر و غلظ. ثم إن النبي صلى الله عليه وآله صالحها و رجع إليها و نزل القرآن ببراءتها، فكان منها ما يكون من الإنسان ينتصر بعد أن قهر، و يستظهر بعد أن غلب، و يبرأ بعد أن اتّهم، من بسط اللسان و فلتات القول، و بلغ ذلك كلّ عليا و فاطمة، فاشتدت الحال و غلظ و طوى كل من الفريقين قلبه على الشنآن لصاحبه.

ثمّ كان بين عائشة و علي عليه السلام في حياة النبي صلى الله عليه وآله أحوال و أقوال، كلّها تهيج ما في النفوس نحو قولها له - و قد استدناه النبي صلى الله عليه وآله عليه و آله فجاء حتّى قعد بينه و بينها و هما متلاصقان: أما وجدت مقعدا لكذا - لا تكني عنه - إلّا فخذى! و نحو ما روى أن النبي صلى الله عليه وآله عليه و آله ساير عليا عليه السلام يوما و أطال مناجاته، و هي سائرة خلفهما حتّى دخلت بينهما و قالت: فيم أنتما فقد أطلتما. فيقال إن النبي صلى الله عليه وآله عليه و آله غضب ذلك اليوم.

و ما روى من حديث الجفنة من الشريد التي أمرت الخادم فوقفت لها فأكفأتها، و نحو ذلك ممّا يكون بين الأهل و بين المرأة و أحماؤها.

ثمّ اتّفق أن فاطمة ولدت كثيرا بنين و بنات و لم تلد هي ولدا، و أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يقيم بنى فاطمة مقام بنيه و يسمّى الواحد منهما ابني و يقول:

دعو إلى ابني و لا ترزموا على ابني و ما فعل ابني. فما ظنك بالزوجة إذا حرمت الولد من البعل، ثم رأت البعل تبني بنى ابنته من غيرها، و يحنو عليهم حنو

الولد المشفق، هل تكون محبة لاولئك البنين و لأمهم و لأبيهم أم مبغضة! و هل تودّ دوام ذلك و استمراره أم زواله و انقضاءه؟! ثم اتفق أن النبي صلى الله عليه و آله سدّ باب أبيها إلى المسجد و فتح باب صهره، ثم بعث أباه ببراءة إلى مكة ثم عزله عنها بصهره، فقدح ذلك أيضا في نفسها.

و ولد للنبي صلى الله عليه و آله إبراهيم من مارية فأظهر علىّ عليه السّلام بذلك سرورا كثيرا، و كان يتعصّب لمارية، و يقوم بأمرها عند النبي صلى الله عليه و آله ميلا على غيرها، و جرت لمارية نكبة مناسبة لنكبة عائشة فبرأها علىّ عليه السّلام منها و كشف بطلانها، أو كشفه الله تعالى على يده، و كان ذلك كشفا محسا بالبصر لا يتهيأ للمنافقين أن يقولوا فيه ما قالوه في القرآن المنزل ببراءة عائشة، و كلّ ذلك ممّا كان يوغر صدر عائشة عليه، و يؤكّد ما في نفسها منه، ثمّ مات إبراهيم فأبطنت شماتة و إن أظهرت كآبة، و وجم علىّ عليه السّلام من ذلك و كذلك فاطمة، و كانا يؤثران و يريدان أن تتميز مارية عليها بالولد، فلم يقدر لهما و لا لمارية ذلك و بقيت الامور على ما هي عليه و في النفوس ما فيها حتّى مرض النبي صلى الله عليه و آله المرض الذى توفى فيه فكانت فاطمة و علىّ عليهما السّلام يريدان أن يمرّضاه، و كذلك كان أزواجه، فمال إلى بيت عائشة بمقتضى المحبة القلبيةّ التى كانت لها دون نسائه، و كره أن يزاحم فاطمة و بعلاها فى بيتهما، فلا يكون عنده من الانبساط لوجودهما، ما يكون إذا خلا بنفسه فى بيت من يميل إليه بطبعه. و علم أن المريض يحتاج إلى فضل مداواة و نوم و يقظة و انكشاف و خروج حدث، فكانت نفسه إلى بيتها أسكن منها إلى بيت صهره و بنته، فإنّه إذا تصوّر حياءهما منه استحيى هو أيضا منهما، و كلّ أحد يجب أن تخلو بنفسه و يحتشم الصهر و البنت، و لم يكن له الميل إلى غيرها من الزوجات مثل ذلك الميل إليها، فمرض فى بيتها فغبطت على ذلك، و لم يمرض النبي صلى الله عليه و آله منذ قدم

المدينة مثل هذا المرض، و إنّما كان مرضه الشقيقة يوما أو بعض يوم ثم يبرأ، فتطاول هذا المرض، و كان علىّ عليه السّلام لا يشكّ أنّ الأمر له، و أنّه لا ينازعه فيه أحد من الناس. و لقد قال له عمّه و قد مات النبي صلى الله عليه و آله: امدد يدك ابايعك، فيقول الناس عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله فلا يتخلّف عليك اثنان، قال: يا عم و هل يطمع فيها طامع غيرى؟ قال: ستعلم. قال: فإننى لا احب هذا الأمر من وراء رتاج، و احبّ أن أصحر به. فسكت عنه. فلما ثقل النبي صلى الله عليه و آله فى مرضه أنفذ جيش اسامة و جعل فيه أبا بكر و غيره من أعلام المهاجرين و الأنصار. فكان علىّ بوصوله إلى الأمر إن حدث بالنبي صلى الله عليه و آله حدث أوثق. و غلب على ظنّه أنّ المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكليةّ فأخذه صفوا عفوا و يتمّ له البيعة، فلا يتهيأ فسخها لو رام ضدّ منازعته عليها. فكان من عود أبى بكر من جيش اسامة بإرسال عائشة إليه، و إعلامه أنّ النبي صلى الله عليه و آله يموت ما كان، و من حديث الصلاة بالناس ما عرف فنسب علىّ عليه السّلام عائشة إلى أنّها أمّرت بلالا مولى أبيها أن يأمر أباه فليصل بالناس، لأنّ النبي صلى الله عليه و آله كما روى قال:

يصلّى بالناس أحدهم و لم يعين - و كانت صلاة الصبح فخرج النبي صلى الله عليه و آله و سلم و هو فى آخر رمق يتهدى بين علىّ عليه السّلام و الفضل بن عباس، حتّى قام فى المحراب كما ورد فى الخبر، ثمّ دخل فمات ارتفاع الضحى. فجعل عمر

صلاته حجة في صرف الأمر إليه، و قال: أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة. و لم يحملوا خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصلاة لصرفه عنها، بل لمحافظته على الصلاة مهما أمكن، فبويج على هذه النكتة التي اتهمها علي عليه السلام أنها ابتدئت منها، و كان علي عليه السلام يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيرا، و يقول: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل: (إنكن لصويحات يوسف) إلّا إنكارا لهذه الحال و غضبا منها و حفصة تبادرتا إلى تعيين أبايهما، و أنه استدركهما

ص: ١١٦

بخروجه و صرفه عن المحراب، فلم يجد ذلك و لا أثر مع قوة الداعي الذي كان يدعو إلى أبي بكر و يمهّد له قاعدة الأمر، و تقرّر حاله في نفوس الناس و من اتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين و الأنصار، و لمّا ساعد على ذلك من الحظّ الفلكي، الأمر السمائي الذي جمع عليه القلوب و الأهواء، فكانت هذه الحال عند علي عليه السلام أعظم من كلّ عظيم و هي الطامة الكبرى و المصيبة العظمى، و لم ينسبها إلّا إلى عائشة وحدها، و لا علّق الأمر الواقع إلّا بها، فدعا عليها في خلواته و بين خواصّه، و تظلم إلى الله منها، و جرى له في تخلفه عن البيعة ما هو مشهور حتّى بايع، و كان يبلغه و فاطمة عنها كلّ ما يكرهانه منذ مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن توفيت فاطمة عليها السلام، و هما صابران على مضض و رمض، و استظهرت بولاية أبيها و استطالت و عظم شأنها و انخذل علي عليه السلام و فاطمة عليها السلام و قهرا، و أخذت فدك، و خرجت فاطمة تجادل في ذلك مرارا، فلم تظفر بشيء، و في كلّ ذلك تبلغها النساء الداخلات و الخارجات عن عائشة كلّ كلام يسوّوها، و يبلغن عائشة عنها و عن بعلها مثل ذلك، إلّا أنّ شتان ما بين الحالين، و بعد ما بين الفريقين هذه غالبه و هذه مغلوّبة، و هذه امرأة و هذه مأمورة، و ظهر التشفيّ و الشماتة، و لا شيء أعظم مرارة و مشقّة من شماتة العدو^{٣٠٨}.

قال ابن أبي الحديد قلت له: أفتقول إنّ عائشة عيّنت أباها للصلاة و النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يعيّنه؟ فقال: أمّا أنا فلا أقول ذلك، و لكنّ عليّا كان يقول و تكليفه غير تكليفه، كان حاضرا و لم أكن حاضرا، فأنا محجوج بالأخبار التي اتّصلت بي، و هي تتضمّن تعيين النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر في الصلاة، و هو محجوج بما كان قد علمه أو يغلب على ظنّه من الحال التي كان حضرها، قال:

ص: ١١٧

ثم ماتت فاطمة فجاءت نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلهن إلى بني هاشم في العزاء إلّا عائشة، فإنّها لم تأت أظهرت مرضا، و نقل إلى علي عليه السلام عنها كلام يدلّ على السرور، ثم بايع عليّ أباها فسرّت بذلك و أظهرت من الاستبشار بتمام البيعة و استقرار الخلافة و بطلان منازعة الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثرُوا، و استمرت الامور على هذه مدّة خلافة أبيها، و خلافة عمر و عثمان، و القلوب تغلي، و الأحقاد تذيب الحجارة، و كلّما طال الزمان على علي عليه السلام تضاعفت همومه و غمومه، و باح بما في نفسه إلى أن قتل عثمان - و قد كانت عائشة أشدّ الناس عليه تأليبا و تحريضا - فقالت: أبعد الله، لمّا سمعت قتله و أملت أن تكون الخلافة في طلحة فيعود الأمر تيميّة، كما كانت أوّلا، فعدل الناس عنه إلى علي عليه السلام، فلمّا

^{٣٠٨} (١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٩٢-١٩٨.

سمعت ذلك صرخت: و اعثماناه! قتل عثمان مظلوما! فنار ما فى الأنفس حتى تولد من ذلك يوم الجمل و ما بعده. قال ابن أبى الحديد:

و هذه خلاصة كلام اللمعانى و كان شديدا فى الاعتزال^{٣٠٩}.

و أقول: أما قول: (إن ابنة الرجل إذا ماتت أمها ... ففيه أن فاطمة التى قال أبوها أنها سيده نساء العالمين و عديلة مريم و ينادى المنادى فى مرورها بالموقف: غصوا أبصاركم حتى تمرّ، و إن إنكاحها عليا عليه السلام كان بعد إنكاح الله تعالى بشهادة ملائكته - و يؤذيه ما يؤذيها - و ما ينطق أبوها عن الهوى - أجل من ذلك، و لم لم يحدث بينها و بين باقى نساء أبيها من ام سلمة و غيرها كدر و شنان، و كلهن كن كالضرائر لامها؟

و فى (الطبرى): لا خلاف بين جميع أهل العلم أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم بنى بسودة قبل عائشة^{٣١٠}. فيعلم أن شنانها لتلك المرأة و لصاحبها لكونهما

ص: ١١٨

عدوتى الله بتصريح الكتاب، فى قوله تعالى: «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»^{٣١١}.

و لو كانت هذه العلل أعدارا لكان أبو جهل معذورا فى عداوته للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، فقد قال: كنا بنى مخزوم و بنى هاشم كفرسى رهان، و لقد أراد محمد السبق علينا، و لكان يزيد معذورا فى قتل الحسين عليه السلام، فقال للسجاد:

إن أباك كان يبغي الغوائل لسلطاني.

و من المضحك قوله: «و لست ابرىء عليا عليه السلام من مثل ذلك فإنه كان ينفس على أبى بكر سكون النبى إليه و ثناءه عليه». هل سكن إليه يوم الغار و هو يكثر الجزع، حتى قال له لا تحزن؟ و هل أثنى عليه يوم فر فى خير حتى قال فيه تعريضا: إنه فرار غير كرار، لا يحب الله و رسوله و لا يحبه الله و رسوله؟ و هل حسد على عليه السلام أبى بكر عزله عن (براءة)؟. و أى مزاياء كانت له حتى يحب أن يتفرد بها؟ و إنما كانت مزاياء أمران ذكرهما عمر يوم السقيفة.

الأول: كونه صاحب الغار، و هو عوار حيث إن إمامهم أحمد بن حنبل قال: إن النبى صلى الله عليه و آله خرج منفردا، و إنما ذهب أبو بكر خلفه من قبل نفسه، و لما سمع النبى صلى الله عليه و آله حسّ أبى بكر ظنه من قريش الذين أرادوا أخذه، فسعى فى المشى حتى أدمى رجله، و ان جزعه ثمة صار سببا لسلب السكون عن رسول الله صلى الله عليه و آله، حتى أنزل

^{٣٠٩} (١) المصدر نفسه ٩: ١٩٨ - ١٩٩.

^{٣١٠} (٢) تاريخ الطبري ٣: ١٦١، سنة ١٠.

^{٣١١} (١) التحريم: ٤.

تعالى سكينته عليه منفردا. فيفهم من صاحبيته في الغار عدم إيمانه، و إلاً لأنزل تعالى عليه السكينة كما أنزلها في موضع آخر على رسوله و على المؤمنين^{٣١٢}.

و الثاني: كونه قدّمه للصلاة، و هو قد شرح علنه و خافيه، و لمّا خرج

ص: ١١٩

النبيّ صلى الله عليه و آله في تلك الحال اضطرارا يجر رجله معتمدا على نفرين - و أخره و عزله عن الصلاة كما عن (براءة)، لم يبق له مجال أن يبقى في ذاك المحلّ فاضطرّ إلى خروجه إلى منزله بسنح مع قوة داعية إلى أن يبقى مراقبا لساعة موت النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم، فاضطرّ عمر لغيبته إلى أن يهدّد الناس و يقول: «إِنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَمِتْ وَ إِنَّمَا غَابَ كَغَيْبَةِ مُوسَى»، حتّى يصل أبو بكر و يفعلا بتظاهرها على الوصيّ كتظاهر ابنتيهما على النبيّ صلى الله عليه و آله.

و كيف يقول كان علىّ ينفس على أبي بكر؟ و قد كتب معاوية إلى محمد بن أبي بكر: قد كنّا و أبوك معنا في حياة من نبينا نرى حقّ ابن أبي طالب لازما و فضله مبرزا علينا، فلمّا اختار الله تعالى لنبيّه ما عنده، و أتمّ له ما وعده، قبضه الله إليه، فكان أبو بكر و فاروقه أوّل من ابتزه و خالفه على ذلك اتّفقا و اتسعا^{٣١٣}.

و أمّا قوله: و لم يكن علىّ من القاذفين و لكنّه كان من المشيرين على النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم بطلاقتها، فالله تعالى أيضا كان من المشيرين فقال تعالى بعد قوله «وَ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ» ... «وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ»^{٣١٤}: «عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَ أَبْكَارًا»^{٣١٥}.

و فيه إشارة إلى خلوّ المرأتين من صفات الإسلام و الإيمان و غيرهما، و قوله: (ثَيِّبَات) إشارة إلى حفصة و (أَبْكَارًا) إلى عائشة.

و أمّا قوله إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَام قال للنبيّ صلى الله عليه و آله خوفاً الخادم و إن أقامت على الجحود فاضربها، فهتان من عائشة. و أمّا قوله: فنزل القرآن ببراءتها فشىء

ص: ١٢٠

تفرّدوا به، و رواياتهم تنتهي إليها أنّها ادعت أنّهم قذفوها، و نزلت الآية فيها.

و ممّا يوضح افك عائشة في روايتها^{٣١٦} أنّها قالت في خبرها: فدعا النبيّ بريرة يسألها، فقام إليها علىّ فضربها ضربا شديدا، و هو يقول: اصدقني رسول الله فتقول: و الله ما أعلم إلاً خيرا. فلا ريب في عصمة أمير المؤمنين عليه السلام من أوّله إلى آخره،

^{٣١٢} (٢) كما في سورة الفتح: ٢٦.

^{٣١٣} (١) نقله العلامة المجلسي رحمه الله في البحار ٨: ٦٤٩، ط الكمباني.

^{٣١٤} (٢) التحريم التحريم: ٤.

^{٣١٥} (٣) ٥.

بإقرار مخالفيه و شهادة القرآن له، و فى خبرها قالت عائشة: و ايم الله لأننا كنت أحقر فى نفسى و أصغر شأننا من أن ينزل فىّ قرآنا يقرأ به فى المساجد و يصلّى به، و لكننى قد كنت أرجو أن يرى النبىّ فى نومه شيئاً يكذب الله به عنى لما يعلم من برائتى، أو يخبر خبراً، فأما قرآن ينزل فىّ فو الله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك.

فيقال لها: فلم كنت أحقر من أن ينزل فيك قرآن، و لقد جعلك الله أشدّ من جميع جبابرة قريش و مشركى مكة؟ حيث قال فى اولئك: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ»^{٣١٧}، و قال فى صاحبك: «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ»^{٣١٨}.

و أمّا الإماميّة فعلى أن آية الإفك نزلت فى ماريّة، فإنّ إفك عائشة مع ذويها لها محقق، كما أن طهارة ساحتها عن إفكها محققة بعد كون من رميت به خصياً، كما أقرّ به، فكيف نزلت آية الإفك فى عائشة دون ماريّة؟ هل كانت لكونها بنت أبى بكر أكرم على الله، كما هى أكرم عند إخواننا؟ و قد قال تعالى:

«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»^{٣١٩}، و لا ريب فى كونها أتقى، كما لا ريب فى

ص: ١٢١

عتوّ عائشة و طغيانها، بتصريح الله تعالى فى قوله: «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ»^{٣٢٠} و قوله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ»^{٣٢١}، بل و فوقهما «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ»^{٣٢٢}.

و أمّا قوله: (فكان منهما ما يكون من الانسان ينتصر بعد أن قهر من بسط اللسان و فلتات القول). فيه أنّه على رواياتهم لم ينحصر بسط لسانها بأمر المؤمنين عليه السلام فقط، بل بسطت لسانها على النبىّ صلى الله عليه و آله أيضاً- ففى خبرها كما فى (الطبرى)- أن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم قال لها: يا عائشة إنّ قد كان ما بلغك من قول الله، فاتقى الله و إن كنت قارفت سواء فتوبى إلى الله- إلى أن قالت:- فجعل النبىّ يمسح العرق عن جبينه و هو يقول: ابشرى يا عائشة فقد أنزل الله براءتك، فقلت: بحمد الله و ذمكم^{٣٢٣}. و الكاذب يفضحه الله فادعت أن القرآن الذى يقرأ به فى المساجد و يصلّى به نزل فيها و جعلت النبىّ صلى الله عليه و آله من المذمومين.

فان كان كل ما قالت أمهم حقاً لم ينحصر الأمر فى كون النبىّ صلى الله عليه و آله من المذمومين، بل يكون الله تعالى أيضاً من المومنين، ففى (عقد ابن عبد ربه):

^{٣١٦} (١) تاريخ الطبري ٢: ٦١٥، سنة ٦.

^{٣١٧} (٢) الأنفال: ٣٠.

^{٣١٨} (٣) التحريم: ٤.

^{٣١٩} (٤) الحجرات: ١٣.

^{٣٢٠} (١) التحريم: ٤.

^{٣٢١} (٢) الأحزاب: ٣٣.

^{٣٢٢} (٣) التحريم: ١٠.

^{٣٢٣} (٤) تاريخ الطبري ٢: ٦١٥-٦١٦، سنة ٦.

قالت عائشة يوم الجمل في خطبتها: «بى ميز بين منافقكم و مؤمنكم»^{٣٢٤}.

فعلى قولها يكون الله تعالى من المنافقين، حيث قال فيها و فى صاحبته: «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ»^{٣٢٥} و «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا»

ص: ١٢٢

«أَمْرَاتُ نُوحٍ وَ أَمْرَاتُ لُوطٍ»^{٣٢٦}.

و أما قوله: فكانت فاطمة و على يريدان أن يمرّضانه فى بيتهما، و النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم مال إلى بيت عائشة بمقتضى المحبة القلبية. فليس كما قال، بل بمقتضى تظاهرها مع صاحبته و أبويهما عليه صلى الله عليه و آله و سلم منعوه عن الوصية، و تخلّفوا عمّا أمرهم به من الخروج فى جيش اسامة، و طعنوا فى جعل اسامة أميرا عليهم، حتى قال صلى الله عليه و آله: إن قلتم فيه فقد قلتم فى أبيه من قبل^{٣٢٧}، و فى (الطبرى): عن أسامة، لمّا ثقل النبىّ صلى الله عليه و آله هبطت و هبط الناس معى إلى المدينة فدخلنا عليه، و قد أصمت فلا يتكلم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها علىّ فعرفت أنه يدعو لى^{٣٢٨} - و هو مضحك فإن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم كان أشار عليه بحركته و إخراج الرجلين معه، كما يفصح عنه أنّه صلى الله عليه و آله و سلم كان كلّما أفاق يقول جهّزوا جيش اسامة لعن الله من تخلّف عنه - و تفسيره إشارة النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم كتفسير امّ خالد بن يزيد كلام مروان لمّا سمّته، فدخل عليه ابنه عبد الملك و قد اعتقل لسانه فأشار إليها أنّها قتلتة. فقالت: جعلت فداه حتّى فى احتضاره يوصيكم بى.

و روى العياشىّ الذى كان عاميا ثم صار إماميا فى تفسير قوله تعالى:

«أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ»^{٣٢٩}: إنّ عائشة و حفصة سمّته فقتلته^{٣٣٠}.

و لدوّه أيضا، ففى (الطبرى): قالت عائشة: لدّنا النبىّ صلى الله عليه و آله فى مرضه،

ص: ١٢٣

فقال: لا تلدّونى!! فقلنا: كراهية المريض الدواء. فلما أفاق قال: لا يبقى منكم أحد إلّا لدّ غير العباس فإنّه لم يشهدكم^{٣٣١}.

^{٣٢٤} (٥) العقد الفريد ٥: ٦٥.

^{٣٢٥} (٦) التحريم: ٤.

^{٣٢٦} (١) التحريم: ١٠.

^{٣٢٧} (٢) تاريخ الطبري ٣: ١٨٦، سنة ١١.

^{٣٢٨} (٣) المصدر نفسه ٣: ١٩٦، سنة ١١.

^{٣٢٩} (٤) آل عمران: ١٤٤.

^{٣٣٠} (٥) تفسير العياشى ١: ٢٠٠.

^{٣٣١} (١) تاريخ الطبري ٣: ١٩٥، سنة ١١.

و هل كان متولى النبىّ صلى الله عليه وآله حتى قبض و متصدى تجهيزه غير أمير المؤمنين عليه السلام؟ و الباكي عليه غير بنته الصديقة؟ و القوم كانوا فى شورى الخلافة و طلب الرياسة، و فى (الطبرى): قالت عائشة: ما علمنا بدفن النبىّ صلى الله عليه وآله حتى سمعنا صوت المساحى فى جوف الليل ليلة الأربعاء^{٣٣٢}.

و فى (طبقات كاتب الواقدي): قال النبىّ صلى الله عليه وآله فى مرضه: ادعوا لى أخى فدعى له علىّ عليه السلام فقال: ادن منى. فدنوت منه فاستند الىّ، فلم يزل مستندا إلىّ و إنه ليكلمنى حتى أن بعض ريق النبىّ صلى الله عليه وآله و سلم ليصيبنى، ثم نزل بالنبىّ صلى الله عليه وآله و سلم و ثقل فى حجرى^{٣٣٣}.

و قوله: (لم يجد استدراك النبىّ صلى الله عليه وآله و سلم بخروجه، مع قوّة داعى أبى بكر و من تبعه من أعيان المهاجرين و الأنصار) غير صحيح، فإنما تبعه الطلقاء و أبناء الطلقاء، و بهم صار داعية قويا، و أمّا عمر و أبو عبيدة فإنما كانا متواطئين معه و كلّهم كنفس واحدة.

و إنّما كان القول بالمحبة القلبية شىء تدعيه لنفسها، و يدعيه لها عمر ففضلها فى العطاء على باقى نساء النبىّ صلى الله عليه وآله و سلم، بأن النبىّ كان يحبها أكثر من باقيهن. فعل ذلك بها شكرا لها لتأسيس سلطنتهم، و هى إن فعلت ذلك لأبيها، إلّا أن سلطنة أبيها كانت سلطنته، بل كان حظّه أكثر، لأنّه كان شريك أبيها فى حياته، و مستقلا بعد وفاته و لذا كان جده فى ذلك أكثر، مع أن عمر فضل - على

ص: ١٢٤

خلاف الكتاب و السنّة - مطلق الأشراف، فكيف لا يفضل عايشة؟

مع أن مثل عايشة لو لم يفضلها لأخلّت فى سلطنته، كما أخلّت فى أمر عثمان، و كانت من الأسباب القويّة لقتله، لأنّه لم يفضلها، و لقد تفتّن لذلك معاوية، ففضلها و لمّا قالت له: ما خفت الله فى قتل حجر العابد الزاهد، قال لها:

كيف أمر عطائك؟ قالت: حسن، قال: فخلينى و إياه للقيامة.

و قوله: «و كره النبىّ صلى الله عليه وآله و سلم أن يزاحم عليّا و فاطمة فى بيتهما» أيضا غير صحيح، فهل كان رأسه فى غير حجر علىّ عليه السلام حتى مات؟ و هل كان اتكاؤه لمّا خرج إلى المسجد لتأخير أبى بكر إلّا عليه عليه السلام؟

و أمّا قوله: «و ساعد على ذلك الحظ الفلكى و الأمر السمائى»، ففى غير موضعه، فلم تقل الكلمة فى هذا الموضع، و إنّما تقال تلك فى التصادفات الدنيويّة، و أمّا مثلها فيقال: إنّها كانت امتحانا من الله تعالى للناس. و لمّا قتل أمير المؤمنين عليه السلام و اضطرّ الحسن عليه السلام إلى مصالحّة معاوية، خطب و قال:

^{٣٣٢} (٢) المصدر نفسه ٣: ٢١٣، سنة ١١.

^{٣٣٣} (٣) طبقات الواقدي ٢: ٢٦٣.

«وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ»^{٣٣٤}.

و قوله: «و لم ينسب علىّ عليه السّلام الحال إلّا إلى عايشة، و لا علق الأمر إلّا بها، فدعا عليها في خلواته و بين خواصّه، و تظلم إلى الله منها» صحيح، و كان عليه أن يزيد فيه كما كانت امرأته فاطمة تدعو على أبيها في أدبار صلواتها، ففي (خلفاء ابن قتيبة): إنّ أبا بكر و عمر لمّا دخلا عليها ولّت وجهها عنهما، و لم تردّ عليهما السلام لمّا سلّما، و إنّها قالت لهما بعد قول أبي بكر لها: «يا حبيبة رسول الله، إنّك لأحبّ إليّ من ابنتي عايشة» نشدتكما الله ألم تسمعا النبيّ صلّى الله عليه و آله يقول: «رضى فاطمة من رضى و سخطها من سخطى، و من أَرْضَى فاطمة فقد أَرْضَانِي، و من أَسْخَطَ فاطمة فقد أَسْخَطَنِي؟» فقالا: نعم. فقالت: فإنّي

ص: ١٢٥

اشهد الله و ملائكته أنّكما أسخطتماني و ما أرضيتماني، و لئن لقيت النبيّ صلّى الله عليه و آله لأشكونكما إليه. فقال أبو بكر: أنا عائد بالله من سخطه و سخطك. ثم انتحب يبكي، و هي تقول: و الله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصلّيها^{٣٣٥}.

و قوله: «و أنا محجوج بالأخبار التي اتصلت بي» كما ترى، فإنّها أخبار تتناقض صدرا و ذيلا، و هي أخبار أمر بوضعها معاوية، و يكفيها اعتقاد أمير المؤمنين عليه السّلام فيها.

و قوله: «و لم تأت عايشة في وفاة فاطمة لتعزية بني هاشم» صحيح لكنها أرادت ان تحضر غسلها شماتة، فمنعتها أسماء بنت عميس مع كونها زوجة أبيها بوصيّة فاطمة عليها السّلام بمنعها، ففي (الاستيعاب): لمّا توفيت فاطمة جاءت عائشة، فقالت أسماء: لا تدخل، فشكتها إلى أبي بكر، فقال لها أبو بكر:

ما حملك على منع أزواج النبيّ؟ فقالت: أمرتنى إلّا يدخل عليها أحد^{٣٣٦}.

و من أكاذيبها: ادّعاؤها أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله توفي بين سحرها و نحرها، ففي (طبقات كاتب الواقدي): عن أبي عطفان قال: سألت ابن عباس، أرايت النبيّ صلّى الله عليه و آله توفي و رأسه في حجر أحد؟ قال: توفي و رأسه مستند إلى صدر عليّ عليه السّلام، قلت: فإنّ عروة حدّثني عن عايشة أنّها قالت: توفي النبيّ بين سحري و نحري. فقال ابن عباس: أتعقل؟ و الله لتوفي النبيّ صلّى الله عليه و آله و إنّهُ لمستند إلى صدر عليّ و هو الذي غسله...^{٣٣٧}.

و مرّ قول عمر فيها أنّها التي نزلت فيها و في صاحبته «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ»^{٣٣٨}، و لعثمان فيها أقوال، روى الجوهريّ في (سقيفته) خبرا في تكلم

^{٣٣٤} (١) الأنبياء: ١١١.

^{٣٣٥} (١) الإمامة و السياسة ١: ١٣ - ١٤.

^{٣٣٦} (٢) الاستيعاب بهامش الإصابة ٤: ٣٧٩.

^{٣٣٧} (٣) الطبقات الكبرى ٢: ٢٦٣.

^{٣٣٨} (٤) التحريم: ٤.

ص: ١٢٦

عائشة و حفصة في عثمان، فقال عثمان و قد أقبل على الناس بعد صلاته: إن هاتين لفتاتان، يحلّ لى سيّهما و أنا بأصلهما عالم^{٣٣٩}.

و عن (تاريخ الثقفى): إن عثمان صعد المنبر، فرفعت عائشة قميص النبيّ و نادى: لقد خالفت يا عثمان صاحب هذا القميص. فقال عثمان: إن هذه الزعراء عدوة الله ضرب الله مثلها و مثل صاحبها في الكتاب «أَمْرَاتُ نُوحٍ وَ أَمْرَاتُ لُوطٍ»^{٣٤٠}.

و عنه: جاءت عائشة إلى عثمان فقالت: اعطني ما كان يعطيني أبى و عمر، قال: لا أجد له موضعا في الكتاب و لا في السنة، و لكن كان أبوك و عمر يعطيانك عن طيبة أنفسهما، و أنا لا أفعل. قالت: فأعطني ميراثى من النبيّ صلى الله عليه و آله. قال: أو لم تجيء فاطمة تطلب ميراثها من النبيّ، فشهدت أنت و مالك بن أوس البصرى أن النبيّ لا يورث، و أبطلت حق فاطمة و جئت تطلبينه، لا أفعل...^{٣٤١}.

و من منكراتها خلافا على الله تعالى و رسوله: تقريرها فعل معاوية في إلحاق زياد، ففي (فتوح البلاذرى): نهر مرة منسوب إلى مرة مولى عبد الرحمن بن أبى بكر. سأل عائشة أن تكتب له إلى زياد و تبدأ به فى عنوان كتابها، فكتبت إليه بالوصاية و عنوانته (إلى زياد بن أبى سفيان من عائشة أم المؤمنين) فلما رأى زياد أنّها قد كاتبته و نسبته إلى أبى سفيان سرّ بذلك و أكرم مرة و ألطفه، و قال: هذا كتاب أم المؤمنين إلىّ فيه، و عرضه عليهم ليقروا عنوانه، ثم أقطعه مائة جريب على نهر الأبله، و أمره فحفر لها نهرا^{٣٤٢}.

ص: ١٢٧

و من أكاذيبها مع النبيّ صلى الله عليه و آله: ما رواه الخطيب فى محمد بن أحمد المؤدّب: أن النبيّ صلى الله عليه و آله أرسل عائشة إلى امرأة فقالت: ما رأيت طائلا، فقال: لقد رأيت خالا بخدّها اقشعرت منه ذؤابتك. فقالت: ما دونك ستر و من يستطع أن يكتمك؟^{٣٤٣} و من شهادة النبيّ صلى الله عليه و آله فى حقّها ما رواه الحميدى فى (الجمع بين الصحيحين) عن أبى عمر، قال: قام النبيّ صلى الله عليه و آله خطيبا - و أشار نحو مسكن عائشة - و قال: ها هنا - الفتنة - ثلاثا - منه يطلع قرن الشيطان^{٣٤٤}.

«و ضغن» أى: حقد.

^{٣٣٩} (١) السقيفة و فدك: ٨٠، شرح ابن أبى الحديد ٩: ٥.
^{٣٤٠} (٢) الأمالي للمفيد: ١٢٥، و الآية ١٠ من سورة التحريم.
^{٣٤١} (٣) الأمالي للمفيد: ١٢٥.
^{٣٤٢} (٤) فتوح البلدان للبلاذرى: ٥٠٢-٥٠٣ مؤسسة المعارف، بيروت.
^{٣٤٣} (١) تاريخ بغداد ١: ٣٠١.
^{٣٤٤} (٢) صحيح البخاري ٨: ٩٥ و صحيح مسلم ٨: ١٨١.

«غلا في صدرها كمرجل» في (الصحيح): المرجل قدر من نحاس^{٣٤٥}.

«القبين» أى: الحداد، في (الطبرى): عن عائشة قالت رجع النبىّ صلى الله عليه وآله من البقيع فى مرضه، فوجدنى وأنا أقول و
أرأساه، فقال: بل أنا و أرأساه- ثم قال لى: ما ضرّك لو مت قبلى، فقامت عليك و كفتك و صليت عليك و دفنتك، فقلت:

و الله لكأننى بك لو فعلت ذلك رجعت إلى بيتى فعرست ببعض نسائك. فتبسّم و تتام به وجعه و هو يدور على نسائه، حتّى
استعز به و هو فى بيت ميمونة، فدعا نسائه فاستأذنهنّ أن يمرض فى بيتى، فأذنّ له فخرج بين رجلين من أهله، أحدهما الفضل
بن عباس و رجل آخر تخطّ قدماه إلى الأرض، عاصبا رأسه حتّى دخل بيتى. قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: فحدّثت هذا
الحديث عن عائشة ابن عباس فقال: هل تدرى من الرجل الآخر؟ قلت: لا. قال: علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، و لكن عائشة
لا تقدّر أن تذكره بخير^{٣٤٦}.

ص: ١٢٨

و فى (الطبرى): أن عائشة لما انتهت إلى (سرف) راجعة فى طريقها إلى مكّة، لقيت عبد بن امّ كلاب- و هو عبد بن أبى سلمة
ينسب إلى امه- قالت له:

مهيم، قال: قتلوا عثمان فمكثوا ثمانيا. قالت: ثم صنعوا ما ذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع فجازت بهم الامور إلى خير
مجاز، اجتمعوا على علىّ بن أبى طالب. فقالت: و الله ليت هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك، ردّونى ردّونى.
فانصرفت إلى مكّة و هى تقول: قتل عثمان و الله مظلوما، و الله لأطلبن بدمه، فقال لها ابن امّ كلاب: فو الله إنّ أوّل من أمال
حرفه لأنّك، و لقد كنت تقولين: اقتلوا نعتلا فقد كفر. قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، و قد قلت و قالوا، و قولى الأخير خير من
قولى الأوّل.

فقال لها ابن امّ كلاب:

و منك الرياح و منك المطر

فمنك البداء و منك الغير

و قلت لنا إنّه قد كفر

و أنت أمرت بقتل الإمام

و قاتله عندنا من أمر

فهينا أطعناك فى قتله

و لم ينكسف شمسنا و القمر

و لم يسقط السقف من فوقنا

يزيل الشبا و يقيم الصعر

و قد بايع الناس ذا تدرء

^{٣٤٥} (٣) الصحيح ٤: ١٧٠٥، مادة: (رجل).
^{٣٤٦} (٤) تاريخ الطبرى ٣: ١٨٨-١٨٩، سنة ١١.

فانصرفت إلى مكة، فنزلت على باب المسجد، فقصدت للحجر و اجتمع إليها الناس، فقالت: أيها الناس، إن عثمان قتل مظلوما، و الله لأطلبن بدمه^{٣٤٧}.

و رواه محمد بن نعمان هكذا، قال: لما جاء ناعى عثمان إلى مكة، بكى لقتله قوم، فأمرت عائشة مناديا ينادى: ما بكاؤكم على نعل، أراد ان يطفىء نور الله فأطفأه الله، و أن يضيّع سنّة رسوله فقتله.

ص: ١٢٩

ثم ارجف بمكة أن طلحة بويح، فركبت مبادرة بغلتها و توجهت نحو المدينة و هى مسرورة، حتى انتهت إلى سرف، استقبلها عبد بن أبي سلمة فقالت له: ما عندك من الخبر؟ قال: قتل عثمان. قالت: فمن ولّوه؟ قال على ابن عم الرسول، فقالت: و الله لوددت أن هذه تطامن على هذه إن تمت لصاحبك.

فقال: و لم؟ فو الله ما على هذه الغبراء نسمة أكرم منه على الله^{٣٤٨}.

و فى (العقد): عن ابن عباس: لما انقضى أمر الجمل قال لى على عليه السلام:

إيت هذه المرأة فلترجع إلى بيتها الذى أمرها الله تعالى أن تقرّ فيه. فجئت فاستأذنت عليها، فلم تأذن لى، فدخلت بلا إذن، فمددت يدي إلى وسادة فى البيت فجلست عليها. فقالت: تالله يا بن عباس ما رأيت مثلك تدخل بيتنا بلا إذن، و تجلس على وسادتنا بغير أمرنا. فقلت: و الله ما هو بيتك و لا بيتك إلا الذى أمرك الله أن تقرّى فيه فلم تفعل، إن أمير المؤمنين يأمرك أن ترجعى إلى بلدك الذى خرجت منه، قالت: رحم الله أمير المؤمنين ذاك عمر بن الخطاب. قلت:

نعم، و هذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب. قالت: أبيت أبيت، قلت: ما كان إباؤك إلا فواق ناقة، ثم صرت ما تحلين و لا تمرين و لا تأمرين و لا تنهين - فبكت حتى علا نسيجها، ثم قالت: نعم أرجع، فإن أبغض البلدان إلى بلد أئتم فيه. قلت: أما و الله ما كان ذلك جزاؤنا منك، اذ جعلناك للمؤمنين أمّا، و جعلنا أباك صديقا. قالت: أئتمنى على بالنبي يا بن عباس؟ قلت: نعم نمّن عليك بمن لو كان منك بمنزلته منّا لمننت به علينا.

فأتيت عليّا فأخبرته فقبل بين عيني، و قال: «ذُرِّيَّةُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»^{٣٤٩}.

^{٣٤٧} (١) المصدر نفسه سنة ٤: ٤٥٨ - ٤٥٩، ٣٦.

^{٣٤٨} (١) حرب الجمل للمفيد: ص ٤٢٩.

^{٣٤٩} (٢) العقد الفريد ٥: ٧٦ - ٧٧، و الآية ٣٤ من سورة آل عمران.

ص: ١٣٠

و رواه أعمش الكوفي مع زيادة، و في روايته قالت عايشة لابن عباس:

أخطأت السنة، فقال لها: نحن علمناك و أباك السنة، و أنما بيتك الذي خلفك فيه النبي صلى الله عليه و آله فخرجت منه ظالمة لنفسك، غاشة لدينك، عاتبة على ربك، عاصية لرسوله^{٣٥٠}.

و في روايته قالت: رحم الله أمير المؤمنين ذاك عمر بن الخطاب، فقال ابن عباس: هذا و الله أمير المؤمنين و إن تربدت فيه وجوه و رغمت فيه معاطس، أما و الله لهو أمير المؤمنين أمس برسول الله رحما، و أقرب قرابة و أقدم سبقا و أكثر علما و أعلى منارا و أكثر آثارا من أيك و من عمر.

و في روايته: إنا جعلناك للمؤمنين اما، و أنت بنت ام رومان و أبوك ابن أبي قحافة. و في روايته: و لم لا نمنّ عليك بمن لو كانت شعرة و قلامة منه منك لمننت به علينا؟ و ما أنت إلّا حشية من تسع حشايا خلفهن بعده، لست بأبيضهن لونا و لا أحسنهن وجهها، و لا بأرشنهن عرقا، و لا بأنضرهن ورقا، و لا بأطراهن أصلا، فصرت تأمرين فتطاعين، و تدعين فتجابين، و نحن لحم النبي و دمه و منه و إليه.

فقلت: إن عليّا لا يقرّ لك بذلك. فقال: أنا لا انازعه في هذا الباب، فإنّه أقرب إلى النبي مني و أولى بعلمه و ميراثه، فإنّه أخوه، و ابن عمّه، و زوج ابنته فاطمة، و أبو ابنه الحسن و الحسين، و وصيه و باب مدينة علمه، و فارسه في غزواته، و ما أنت و هذا؟ و الله ما فعلنا لك و لأبيك لا تقدرون على شكره، و لو كنتم تقدرون لا تفعلون، كما فعلتم ما فعلتم، ثم خرج من عندها^{٣٥١}.

ص: ١٣١

و روى الإسكافي عن الزهري: أنّه كان عنده حديثان عن عروة عن عائشة في عليّ عليه السلام. قال معمر: فسألت الزهري عنهما يوما فقال: ما تصنع بهما و بحديثهما، الله أعلم بهما، إنّي لأتهمهما في بنى هاشم^{٣٥٢}.

و في (جمل المفيد)^{٣٥٣} عن عمر بن أبان قال: لما ظهر عليّ عليه السلام على أهل البصرة جاءه رجال منهم فقالوا: ما السبب الذي دعا عايشة إلى المظاهرة عليك، حتّى بلغت من خلافتك و شقاقك ما بلغت، و هي امرأة من النساء، لم يكتب عليها القتال، و لا رخص لها في الخروج من بيتها، و لا التبرج بين الرجال؟ فقال عليّ عليه السلام: سأذكر أشياء حقدتها عليّ، ليس في واحد منها ذنب عليّ، ولكنها تجرّمت بها عليّ.

^{٣٥٠} (١) كتاب الفتوح ٢: ٤٨٦.
^{٣٥١} (٢) ليس في كتاب الفتوح المطبوع ببلبنان، سنة ١٤١١ هـ ٢: ٤٨٦ - ٤٨٧ بعض هذه الفقرات، و بعض مواضع الكلام في مروج الذهب ٢: ٣٧٧ و تاريخ اليعقوبي ٢: ١٨٣.
^{٣٥٢} (١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٦٤.
^{٣٥٣} (٢) الجمل: ٤٠٩ - ٤١٢.

أحدها: تفضيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لى على أبيها وتقديمه إياى فى مواطن الخير عليه، فكانت تضطغن ذلك و يصعب عليها.

و ثانيها: إنه لما آخى بين أصحابه آخى بين أبيها و بين عمر و اختصنى باخوته، فغلظ ذلك عليها^{٣٥٤}.

و ثالثها: أوصى النبي بسد أبواب كانت فى المسجد لجميع أصحابه إلّا بابى، فلما سد باب أبيها و صاحبه، و ترك بابى مفتوحا فى المسجد، تكلم فى ذلك بعض أهله فقال النبي صلى الله عليه وآله: «ما أنا سددت أبوابكم و فتحت باب على، بل الله عز و جل سد أبوابكم و فتح باب»^{٣٥٥}، فغضب لذلك أبو بكر و عظم عليه، و تكلم فى أهله بشىء سمعته منه ابنته فاضطغنته على.

و كان النبي صلى الله عليه وآله أعطى أباهما الراية يوم خيبر، و أمره ألا يرجع حتى

ص: ١٣٢

يفتح أو يقتل، فلم يلبث لذلك و انهزم، فأعطاهما فى الغد عمر، و أمره بمثل ما أمر صاحبه، فانهزم، فساء النبي صلى الله عليه وآله ذلك و قال لهم - ظاهرا معلنا -: (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله، كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يده)^{٣٥٦}، فأعطانى الراية فصبرت حتى فتح الله على يدى، فغم ذلك أباهما، فاضطغنته على فحقدت لحقد أبيها.

و بعث النبي أباهما ليؤدى سورة (براءة)، و أمره أن ينبذ العهد للمشركين، فمضى حتى انصرف، فأوحى الله تعالى إلى نبيه أن يردّه و يأخذ الآيات منه، و يسلمها إلى فعزل أباهما بإذن الله تعالى، و كان فيما أوحى الله تعالى إليه: لا يؤذى عنك إلّا رجل منك^{٣٥٧}، و كنت من النبي صلى الله عليه وآله و كان منى، فاضطغن لذلك على أيضا و اتبعته عايشة فى رأيه.

و كانت عايشة تمقت خديجة بنت خويلد و تشنّوها شنان الضرائر، و كانت تعرف مكانها من النبي صلى الله عليه وآله فينقل ذلك عليها، و تعدى مقتها إلى ابنتها فاطمة، فتمقتنى و تمقت فاطمة و تمقت خديجة و هذا معروف فى الضرائر.

و لقد دخلت على النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم قبل أن يضرب الحجاب على أزواجه و كانت عايشة بقرب النبي صلى الله عليه وآله، فلما رآنى النبي صلى الله عليه وآله و آله رحب بى و قال:

ادن منى يا على. و لم يزل يدنينى حتى أجلسنى بينه و بينها، فغلظ ذلك عليها فأقبلت على و قالت - بسوء رأى النساء و تسرعن إلى الخطاب -: ما وجدت لاستك يا على موضعا غير فخذى، فزبرها النبي صلى الله عليه وآله و قال لها: «ألعلى تقولين هذا؟! إنه و الله أول من آمن بى و صدّقنى، و أول خلق ورودا بى على الحوض،

^{٣٥٤} (٣) السيرة لابن هشام ٢: ١٥٠، الطبقات لابن سعد ٣: ٢٢، مناقب آل أبي طالب ٢: ١٨٤ - ١٨٩.

^{٣٥٥} (٤) مسند أحمد ٤: ٣٦٩، خصائص النسائي: ٧٣، شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٧٣، كفاية الطالب: ٢٠٣ - ٢٠٤.

^{٣٥٦} (١) صحيح البخاري ٣: ١٠٨٦ ح ٢٨١٢، خصائص النسائي: ٤٩ - ٦٠.

^{٣٥٧} (٢) خصائص النسائي: ٩١ - ٩٣، المستدرک ٣: ٥١.

ص: ١٣٣

و هو أحق الناس عهدا إليّ، لا يبغيه أحد إلّا أكبه الله على منخره في النار»^{٣٥٨}، فازدادت بذلك غيضا عليّ. ولما رميت بما رميت اشتدّ ذلك على النّبىّ صلّى الله عليه وآله، فاستشارني في أمرها، فقلت له: سل جاريته بريرة و استبرئ الحال منها، فإن وجدت عليها شيئا فخل سبيلها فالتساء كثيرة. فأمرني أن أتولّى مسألة بريرة، ففعلت ذلك فحققت عليّ، و والله ما أردت بها سوءا و لكنني نصحت لله و لرسوله- و أمثال ما ذكرت- فإن شئتم فاسألوها ما الذي نقت عليّ؟ حتّى خرجت مع الناكثين لبيعتي و سفك دماء شيعتي، و التظاهر بين المسلمين بعداوتي، إلّا البغي و الشقاق و المقت لى بغير سبب يوجب ذلك في الدين.

فقال القوم: القول و الله ما قلت يا أمير المؤمنين، و لقد كشفت الغمّة، و لقد نشهد أنّك أولى بالله و رسوله ممّن دعاك، فقام الحجاج بن غزية الأنصارى و قال أبياتا^{٣٥٩}.

«و لو دعيت لتتال من غيري ما أتت إلى لم تفعل» روى الخطيب في (تاريخ بغداد): أنّ عليّا عليه السّلام لمّا فرغ من قتال أهل النهروان، قفل أبو قتادة الانصارى و معه ستون أو سبعون من الأنصار، فبدأ بعائشة فقالت له: ما وراءك؟ فشرح لها قتالهم و قتل ذى النديّة. فقالت عائشة: ما يمنعني ما بيني و بين عليّ أن أقول الحق، سمعت النّبىّ صلّى الله عليه وآله يقول: تفرق امتي على فرقتين، تمرق بينهم فرقة محلّقون رؤوسهم، محفون شواربهم، أزهم إلى أنصاف سوقهم، يقرءون القرآن، لا يتجاوز تراقيهم، يقتلهم أحبّهم إلىّ و أحبّهم الى الله تعالى.

قال أبو قتادة: فقلت يا ام المؤمنين فأنت تعلمين هذا، فلم كان الذى

ص: ١٣٤

منك؟ قالت: يا أبا قتادة و كان أمر الله قدرا مقدورا و للقدّر أسباب^{٣٦٠}.

و فى (الطبرى): قال عمّار لعائشة حين فرغ القوم: ما أبعد هذا المسير من العهد الذى عهد إليك؟ قالت: أبو اليقظان؟ قال: نعم. قالت: و الله إنّك ما علمت قوال بالحق. قال: الحمد لله الذى قضى لى على لسانك^{٣٦١}.

و لقد أجاد الحميرى فى قصيدته مشيرا إلى أنّ شجاعة عائشة و قوّة قلبها فى قتال أمير المؤمنين عليه السّلام، كانت أكثر من شجاعة أبيها يوم خيبر، فإنّه فرّ و هى ثبتت فقال:

ذئبان يكتنفانها فى أدوّب

يا للرجال لرأى ام قادها

^{٣٥٨} (١) الأمايلى للطوسى ٢: ٢١٥، كشف الغمّة ١: ٣٤٢، كشف اليقين: ٢٧٣-٢٧٤.

^{٣٥٩} (٢) الجمل للمفيد: ٤٠٩-٤١٢.

^{٣٦٠} (١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١: ١٦٠، دار الفكر بيروت.

^{٣٦١} (٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٤٥-٥٤٦، سنة ٣٦.

للحين فاقتهما بها فى منشب

منها على قتب باثم محقب

بالمؤذيات له ديبب العقرب

لاقى اليهود بخبير لم يهرب

ذئبان قادهما الشقاء و قادهما

فى ورطة لحجابها فتحملت

ام تدبّ إلى ابنها و وليها

لو أنّ والدها بقوة قلبها

و نقل المرتضى فى شرحه للقصيدة، عن كتاب (جمل نصر بن مزاحم) عن السرى بن إسماعيل، عن الشعبى عن عبد الرحمن بن مسعود العبدى، قال:

كنت بمكة- إلى أن قال- فأقبلت عايشة حتى دخلت على ام سلمة فقالت ام سلمة لها: مرحبا بعايشة، ما كنت لى بزائرة فما بدا لك؟ قالت: قدم طلحة و الزبير فخيرّا أنّ أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوما. فصرخت ام سلمة صرخة أسمعت من فى الدار. فقالت: يا عايشة أنت بالأمس تشهدين عليه بالكفر، و هو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوما فما تريدين؟ قالت: تخرجين معى، فلعن الله أن يصلح بخروجنا أمر امّة محمد، فقالت: يا عايشة أخرج و قد سمعت من النبىّ صلى الله عليه و آله ما سمعت، نشدتك يا عايشة بالله الذى يعلم صدقك إن

ص: ١٣٥

صدقت، أ تذكرين يومك من النبىّ صلى الله عليه و آله فصنعت حريرة فى بيتى فأتيته بها و هو يقول: «و الله لا تذهب الليالى و الأيام حتى تتناجى كلاب ماء بالعراق يقال له الحوآب امرأة من نسائى فى فنة باغية» فسقط الإناء من يدى، فرفع رأسه إلى فقال: مالك يا ام سلمة؟ قلت: ألا يسقط الإناء من يدى و أنت تقول ما تقول، ما يؤمننى أن أكون أنا هى؟ فضحكت أنت يا عايشة فالتفت إليك فقال: ما يضحك يا حمراء الساقين، انى لأحسبك هى، و أنشدتك بالله يا عائشة أ تذكرين ليلة أسرى بنا النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم من مكان كذا و كذا، و هو بينى و بين علىّ بن أبى طالب يحدثنا فأدخلت جملك فحال بينه و بين علىّ، فرفع مرفقة كانت معه فضرب بها وجه جملك، و قال: أما و الله ما يومه منك بواحد و لا بليته منك بواحدة، و أما إنه لا يبغضه إلّا منافق أو كذاب، و أنشدك الله يا عايشة أ تذكرين مرض النبىّ صلى الله عليه و آله الذى قبض فيه فأتاه أبوك يعوده و معه عمر و قد كان علىّ يتعاهد ثوب النبىّ صلى الله عليه و آله و نعله و خفه و يصلح ما و هى منها، و كان دخل قبل ذلك و أخذ نعل النبىّ صلى الله عليه و آله يخصفها خلف البيت، فاستأذنا عليه فأذن لهما فقالا له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحمد الله. قال: ما بد من الموت؟ قال: لا بد منه، قال: فهل استخلفت أحدا؟ فقال: ما خليفتى فيكم إلّا خاصف النعل. فخرجا فمرّا علىّ علىّ عليه السلام و هو يخصف النعل. كل ذلك تعرفينه يا عايشة و تشهدين عليه لأنك سمعته من النبىّ صلى الله عليه و آله. يا عايشة أنا أخرج علىّ علىّ عليه السلام بعد هذا الذى سمعته من النبىّ صلى الله عليه و آله.

فرجعت عايشة إلى منزلها و قالت: يا بن الزبير أبلغ طلحة و الزبير أنّي لست بخارجة بعد الذي سمعته من أمّ سلمة. فرجع فبلغهما.

قال عبد الرحمن: فما انتصف الليل حتى سمعنا رغاء إبلها ترتحل ...

قال المرتضى: و من العجائب أن يكون مثل هذا الخبر الذي يتضمن

ص: ١٣٦

النص بالخلافة، و كل فضيلة غريبة موجودة في كتب المخالفين و فيما يصححونه من رواياتهم و يصنفونه من سيرتهم و لا يتبعونه^{٣٦٢}.

هذا و قال ابن أبي الحديد: معنى كلامه عليه السلام: «و لو دعيت لتتال من غيري ما أتت إليّ لم تفعل»، أنّ عمر لو ولى الخلافة بعد قتل عثمان على الوجه الذي قتل، و الوجه الذي أنا وليت الخلافة عليه، و نسبت عمر إلى أنّه كان يؤثر قتله، و دعيت إلى ان تخرج عليه في عصابة من المسلمين إلى بعض بلاد الإسلام تثير فتنة و تنقض البيعة لم تفعل^{٣٦٣}.

قلت: ما قاله في غاية الركاكزة، فإنّها و عمر و أبوها كنفس واحدة، أسسوا ما أسسوا معا، فتفسيره نظير أن يفسر الكلام أنّ عايشة لو دعيت إلى قتال أبيها أبي بكر ما فعلت، و إنّما المراد بغيره عليه السلام عثمان، فإنّ عثمان لما قطع عنها ما كان أبوها و عمر يعطيانهما و كان لم يراع غير بنى امية بنى أبيه، قالت:

اقتلوا نعتلا فقد كفر، و حرّضت الناس على الخروج عليه، و كانت كلماتها و حركاتها فيه دخيلة في قتله، و لما سئل محمد بن طلحة عن دم عثمان قال مع كونه من أتباع عايشة: ثلثة على عايشة و ثلثة على أبيه، كانت عايشة تقنع في عثمان بأن تقول أبلى عثمان دين النبيّ و لم يبل نعلاه، و أما أن تخرج على عثمان كما خرجت عليه عليه السلام، فلا، مع أن أهل مصر و أهل الكوفة و أهل البصرة الذين جاءوا لقتل عثمان كانوا حاضرين لدعوتها إلى قتاله، فكانت ملجأهم حتى لا يأخذ عثمان رؤساءهم، لأنّه لم يكن لها مع عثمان ضغن شديد كما كان لها معه عليه السلام، و كيف تخرج عليه و هو فرع أبيها؟ و إنّما أسخطها عليه قطع زيادة كان من قبله يعطيها فلو كانوا يدعوها لم تجبهم.

ص: ١٣٧

«و لها بعد حرمتها الاولى» في (العقد الفريد): أوّل ما تكلمت به الخوارج يوم الجمل قالوا: ما أحلّ له دماءهم و حرّم علينا أموالهم؟ فقال علىّ عليه السلام: هي السنّة في أهل القبلة. قالوا: ما ندري ما هذا. قال: فهذه عايشة رأس القوم، أ تتساهمون عليها؟ قالوا: سبحان الله أمّا. قال: فهي حرام؟ قالوا: نعم. قال:

^{٣٦٢} (١) أورده المجلسي في بحار الأنوار ٣٢: ١٥١، رواية ١٢٥.

^{٣٦٣} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٩٩.

فإنه يحرم من أبنائها ما يحرم منها^{٣٦٤}.

و فى (جمل المفيد): لما عزم عليه السلام على المسير إلى الكوفة أنفذ إلى عايشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة، فتهيأت لذلك و أنفذ معها أربعين امرأة ألبسهن العمام و القلائس و قلدهن السيوف، و أمرهن أن يحفظنها و يكن عن يمينها و شمالها و من ورائها، فجعلت تقول فى الطريق: اللهم افعل بعلی و افعل، بعث معی الرجال و لم يحفظ فى حرمة النبى. فلما قدم المدينة ألقين العمام و السيوف و دخلن معها، فلما رأتهن ندمت على ذمه عليه السلام و قالت: جزى الله ابن أبى طالب خيرا، فلقد حفظ فى حرمة النبى صلى الله عليه و آله^{٣٦٥}.

و قد روى محمد بن على المعروف بأعثم الكوفى فى (فتوحه) المؤلف فى سنة (٢٠٤) و ترجمه أحمد بن محمد المتوفى فى سنة (٥٩٦) - و هما من رجالهم، و قد ذكرهما صاحب (كشف الظنون) - ما معناه: أن عايشة لم ترد الشخوص من البصرة فحوقها عليه السلام بطلاقها من النبى صلى الله عليه و آله المفوض إليه عليه السلام، فقال بعد ذكر إرساله عليه السلام ابن عباس إليها ثم دخوله بنفسه عليها، و تبكيها بما فعلت و أمرها بشخصها إلى المدينة. و بعث فى غده ابنه الحسن إليها، فقال لها: يحلف أمير المؤمنين لئن لم تشخصى الساعة أقول كلاما أنت تعلمينه فى حقك - و كانت تسرح رأسها فى تلك الساعة، و كانت نسجت إحدى

ص: ١٣٨

ذؤابتها و بقيت الاخرى - فلما سمعت ذلك من الحسن عليه السلام، تركت الاخرى بحالها و قامت و قالت: عجلوا براحلتى أرجع إلى المدينة. و كانت امرأة من المهالبة عندها، فقالت لها: يا أم المؤمنين جاءك ابن عباس و كلمك بكلمات واجبتيه بجوابات غليظة حتى رجع مغضبا و جاءك على نفسه و قد ردت بينكما كلمات، و جاءك هذا الغلام و كلمك بكلمات اضطربت منها، فما سببه؟

فقالت: قلقت من كلامه لأنه ابن النبى و إنسان عينه، فمن أراد أن يرى انسان عين النبى صلى الله عليه و آله فلينظر فى انسان عين الحسن. و كانت كلمة اخرى متعلقة بلسان على فأرسل الحسن إلى منها برمز، فلا بد من استماعها و شخوصى إلى المدينة.

فقالت المرأة: أنشدك بالذى أرسل محمدا بالحق إلّا تخبرينى ما تلك الكلمة. فقالت عايشة: لما أحلفتنى اخبرك، إنه كان اتى فى غزوة بغنائم كثيرة، و كان النبى صلى الله عليه و آله يقسمها على أصحابه، فطلبت أنا و بعض نساءه الاخرى منها شيئا و ألحنا عليه حتى ضاق صدره منا - و كان على حاضرا - فلما على إلحاحنا و قال: لا تكثرن الكلام و اسكتن فقد آذيتن النبى صلى الله عليه و آله، فأجبنه بكلمات غليظة فتلا علينا قوله تعالى: «عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ»^{٣٦٦}، فألحنا مرة اخرى و قلنا لعلى كلمات شديدة، فغضب النبى مما كلمنا عليا فقال: جعلت طلاق هؤلاء النسوة بيدك فمن شئت

^{٣٦٤} (١) العقد الفريد ٥: ٧٩.

^{٣٦٥} (٢) الجمل للمفيد: ٤١٥، مروج الذهب ٢: ٣٧٩، تذكرة الخواص: ٨٠.

^{٣٦٦} (١) التحريم: ٥.

أن تطلق منهن بعد وفاتي فافعل، فخفت إن لم أشخص هذه الساعة أن يطلقني على و يقطع سببي عن النبي صلى الله عليه و آله^{٣٦٧}.

و من الغريب أن النصاب وضعوا لها في مقابل هذه الرواية، مع كونها

ص: ١٣٩

من طريقهم: (أنا زوجته في الدنيا و الآخرة و زوجته في الجنة) و كيف هي استحييت من مجاورة جسدها لجسد النبي صلى الله عليه و آله و سلم، فأوصت ألا تدفن معه صلى الله عليه و آله و سلم لإحداثها. و الرواية و إن لم تتضمن وقوع الطلاق منه عليه السلام، إلا أن نساء الأنبياء كأبنائهم لسن و ليسوا كنساء باقى الناس و أبنائهم، فنسبتهم و نسبتهن إنما تكون باقية ما داموا سالكين على منهاج النبوة من الإيمان بالله تعالى حقيقة، و الإتيان بالعمل الصالح صدقا و إلا فلا.

قال تعالى لنوح فى ابنه: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ»^{٣٦٨}.

و قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه و آله مخاطبا نساءه: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ»^{٣٦٩} و «مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا»^{٣٧٠}.

«و الحساب على الله» فى (جمل المفيد): روى محمد بن عبد الله بن عمر بن دينار- بعد ذكر هزيمة أهل الجمل-: و قال على عليه السلام لمحمد بن أبى بكر: سلها هل وصل إليها شىء؟ فسألها، قالت: نعم، وصل إلى سهم خدش رأسى، الله بينى و بينكم. فقال لها محمد: و الله ليحكمن عليك يوم القيامة ما كان بينك و بين أمير المؤمنين، حتى تخرجين عليه و تؤلّبين الناس على قتاله، و تنبذى كتاب الله وراء ظهرک. فقالت: دعنا يا محمد، و قل لصاحبک يحرسنى - و اليهودج كالقنفذ من النبل - فرجع محمد إليه عليه السلام و أخبره بما جرى بينهما.

فقال عليه السلام: هى امرأه و النساء ضعاف العقول، فتول أمرها و احمّلها إلى دار ابن

ص: ١٤٠

خلف. فحملها، و إن لسانها لا يفتقر من السب له و لعلّى عليه السلام^{٣٧١}.

و قال ابن أبى الحديد: قوله عليه السلام: «و الحساب على الله» يدل على توقفه فى أمرها، و يجوز أن يكون قاله قبل أن يتواتر عنده توبتها، و قالت أصحابنا إنها تابت بعد قتله عليه السلام و ندمت و قالت: لوددت أن لى من النبي عشرة بنين كلهم

^{٣٦٧} (٢) كتاب الفتوح ٢: ٤٨٣ - ٤٨٤.

^{٣٦٨} (١) هود: ٤٦.

^{٣٦٩} (٢) الأحزاب: ٣٢.

^{٣٧٠} (٣) الأحزاب: ٣٠.

^{٣٧١} (١) الجمل للمفيد: ٣٦٨ - ٣٧١، أنساب الأشراف ٢: ٢٤٨ - ٢٥٠، الأخبار الطوال: ١٥١، تاريخ الطبري ٤: ٥٠٩، سنة ٣٦.

ماتوا و لم يكن يوم الجمل، و إنها كانت بعد قتله عليه السّلام تننى عليه و تنشر مناقبه، و قد أكّد وقوع التوبة منها ما روى فى الأخبار المشهورة أنّها زوجة النّبيّ فى الآخرة أيضا^{٣٧٢}.

قلت: أمّا ما ذكره من توبتها بعد قتله عليه السّلام، فإن أراد به ما قاله أبو الفرج فى مقاتله إنّ عايشة لمّا جاءها قتل أمير المؤمنين عليه السّلام سجدت و تمثّلت:

فألقت عصاها و استقر بها النوى
كما قر عينا بالإياب المسافر

ثم قالت: من قتله؟ فليل رجل من مراد، فقالت:

فإن يك نائيا فلقد بغاه
غلام ليس فى فيه التراب

فقالت لها زينب بنت ام سلمة: العلى عليه السّلام تقولين هذا؟ فقالت: إذا نسيت فذكرونى، ثم تمثّلت:

ما زالت اهداء القصائد بيننا
شتم الصديق و كثرة الألقاب
حتّى تركت كأنّ قولك فيهم
فى كل مجتمع طنين ذباب^{٣٧٣}

و لمّا أرادوا دفن الحسن عليه السّلام ركبت عايشة بغلا و استعونت بنى اميّة و بنى مروان و من كان هناك منهم و من حشمتهم، و هو قول القائل:

ص: ١٤١

«فيوما على بغل و يوما على جمل»

^{٣٧٢} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٩٩ - ٢٠٠.
^{٣٧٣} (٣) مقاتل الطالبين: ٢٦.

٣٧٤، ففعل و إلا فلم تقف على توبة لها بعده عليه السلام.

و أمّا ما ذكره من نشرها مناقبه عليه السلام و ثنائها عليه، فإنّما كان من باب إجراء الحق على لسانها، إتماما للحجة عليها و على أتباعها، كما جرى على لسان أبيها و فاروقه و باقى ستهم و عشرتهم و ساير أعوانهم، و لم ينحصر ذلك منها بكونه بعد قتله عليه السلام، بل كان ذلك طول عمرها و فى أيام خلافته عليه السلام التى تمتّ وقوع السماء على الأرض و عدم وصول الخلافة إليه عليه السلام، فقد عرفت أنّها قالت لأبى قتادة بعد فراغه من قتل الخوارج: سمعت النّبىّ صلّى الله عليه و آله يقول: يقتلهم أحبّ الخلق إلى الله و إلىّ.

مع أنّه لو أراد بأخبارهم المشهورة أخبار مثل سيف الذى يضع فى مقابل كل أمر أمرا، فقال: إنّ عايشة سئلت عن عدّة من كان معها و من كان عليها، فكلمّا نعى لها منهم واحد قالت: يرحمه الله. فقال لها رجل من أصحابها:

كيف ذلك؟ قالت: كذلك قال النّبىّ صلّى الله عليه و آله فلان فى الجنّة و فلان فى الجنّة، و قال علىّ يومئذ: إنّى لأرجو أن لا يكون أحد من هؤلاء نقى قلبه إلّا أدخله الله الجنّة^{٣٧٥}.

و قال سيف أيضا: إنّ عايشة لما أرادت الارتحال من البصرة و دعت الناس و قالت: يا بنىّ يعتب بعضنا على بعض استبطاء و استزادة، فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنّ ما كان بينى و بين علىّ فى القديم إلّا ما يكون بين المرأة و أحماؤها، و أنّه عندى - علىّ معتبى - من الأخيار. و قال علىّ: أيّها الناس صدقت و برّت، ما كان بينى و بينها إلّا ذلك، و إنّها لزوجة نبيّكم

ص: ١٤٢

فى الدّنيا و الآخرة^{٣٧٦}.

و قال أيضا: إنّ عليّا لما انتهى إلى عايشة قال لها: يغفر الله. قالت: و لك^{٣٧٧}، بل روى أن عليّا أيضا تاب كعايشة، فقال: دخل القعقاع بن عمرو على عايشة فى أوّل من دخل، فقالت له: إنّى رأيت بالأمس رجلين اجتلدا بين يدي و ارتجزا بكذا، فهل تعرف كوفيك منها؟ قال: نعم ذلك الذى قال: «أعقّ أمّ نعلم» و كذب إنّك لأبرّ أمّ نعلم، و لكن لم تطاعى. فقالت: و الله لوددت أنّى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. و خرج فأتى عليّا فأخبره أن عايشة سألته، فقال: ويحك من الرجلان؟ قال: ذاك أبو هالة الذى يقول: «كيما أرى صاحبه عليّا». فقال: و الله لوددت أنّى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. فكان قولهما واحد^{٣٧٨}.

٣٧٤ (١) المصدر نفسه: ٤٩.

٣٧٥ (٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٣٧، سنة ٣٦.

٣٧٦ (١) المصدر نفسه ٤: ٥٤٤، سنة ٣٦.

٣٧٧ (٢) المصدر نفسه ٤: ٥٣٤، سنة ٣٦.

٣٧٨ (٣) المصدر نفسه ٤: ٥٣٧، سنة ٣٦.

كما أنه بدّل خبر نبح كلاب الحوَّاب لعائشة مع تواتره و اتفاق السير عليه، بنبحها لام زمل، و قال: هي عتيقة عائشة.

ففى (الطبرى) فى سنة (١١) عن سيف: اجتمعت فلال غطفان إلى ظفر، و بها ام زمل و هى تشبه بامها امّ قرفة، و فى مثل عزّها و عندها جملها- و كانت قد سببت أيام ام قرفة، فوقعت لعائشة فأعتقها، فكانت تكون عندها ثم رجعت إلى قومها. و كان النبىّ دخل عليهن يوما فقال: إنّ إحداكن تستنبح كلاب الحوَّاب، ففعلت ام زمل سلمى ذلك حين ارتدت، فسيرت فى ما بين ظفر و الحوَّاب ليجمع إليها كل فل^{٣٧٩}.

و من أخبار سيف: أنّه قيل لعلّى: إنّ قام رجلان على الباب فقال أحدهما:

«جزيت عنا عقوقا»، و قال الآخر: «يا أمنا توبى فقد خطأت»، فبعث القعقاع بن

ص: ١٤٣

عمرو إلى الباب فأقبل بمن كان عليه، فأحالوا على رجلين فقال: اضرب أعناقهما، ثم قال: لأنهنكهما عقوبة فضربهما مائة مائة و أخرجهما من ثيابهما^{٣٨٠}.

سبحان الله من هؤلاء يعبدون هذه المرأة من دون الله؟ «و غَرَّهُمْ فِى دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ»^{٣٨١} و لا غرو فكانوا يأخذون بعرجلها و يقولون ريح بعرجل أمنا ريح المسك، و قد صرّحوا بعبادتهم لها من دون الله.

فقال الواقدى و المدائنى و غيرهما: إنّ خرج من أهل البصرة شيخ صبيح الوجه، نبيل عليه جبّة و شىء يحض الناس على الحرب و يقول:

يا معشر الناس عليكم امكم
فإنّها صلاتكم و صومكم^{٣٨٢}

و أرادوا قتل أمير المؤمنين الذى هو نفس النبىّ صلى الله عليه و آله بنص القرآن، و ابنيه سيدى شباب أهل الجنة و ريحانتي النبىّ صلى الله عليه و آله، و هم الذين شهد الله بعصمتهم و طهارتهم، لامرأة تبرّجت تبرّج الجاهليّة الاولى، و ضربها الله مثلا للذين كفروا كامرأة نوح و لوط، فقال أبو مخنف: خرج عوف بن قطن الضبى و هو ينادى: ليس لعثمان ثار إلّا علىّ و ولده، و قال:

^{٣٧٩} (٤) تاريخ الطبري ٣: ٢٦٣-٢٦٤، سنة ١١.

^{٣٨٠} (١) المصدر نفسه ٤: ٥٤٠، سنة ٣٦.

^{٣٨١} (٢) آل عمران: ٢٤.

^{٣٨٢} (٣) هو كعب بن سور الأزدي، راجع بحار الأنوار ٣٢: ١٧٩ ح ١٣٢.

يا ام يا ام خلا منى الوطن

لا أبتغى القبر و لا أبغى الكفن

من هاهنا معشر عوف بن قطن

إن فاتنا اليوم على فالغبين

أو فاتنا ابناء حسين و حسن

إذن أمت بطول همّ و حزن

و من المصيبة العظمى و ما يضحك النكلى أنّها تجعل نفسها كالنبيّ صَلَّى الله عليه و آله و يصدّقونها، فأخذت كفاً من حصى و حصبت بها أصحاب أمير

ص: ١٤٤

المؤمنين عليه السّلام و صاحت بأعلى صوتها: شامت الوجوه، و قد كان النّبيّ صَلَّى الله عليه و آله فعل ذلك يوم حنين، فقال لها قائل: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى»^{٣٨٣}.

و لقد كان الواجب أن يقال لها: (و ما رميت إذ رميت و لكن الشيطان رمى)، و لكن لا غرو إذا كانت إلهتهم أن تكون نبيّتهم، فإن كان أصحاب سجاح يقولون: «أضحت نبيّتنا انثى نطيف بها»، و هؤلاء ليقولوا: أضحت إلهتنا انثى نطيف بها.

و لأجل أخبارهم المتناقضة و مذهبهم المتضاد ذهب جمع من أئمتهم كواصل بن عطاء و عمرو بن عبيد و أبى هذيل العلاف و أبى بكر الملقب بجريال، بأنّ أحد الفريقين فاسق إمّا على و إمّا طلحة و الزبير و عايشة، أحد الفريقين فاسق لا بعينه كالمتلاعنين.

و قال هشام القوطى و عباد بن سليمان الصيمرى: إنّ الجميع كانوا على حق، و أنّهم لم يريدوا القتال أصلاً، و إنّما أنشب القتال غوغاء الفريقين و هو مذهب سيف بن عمر.

١١

الخطبة (٢١٩) و من كلام له عليه السّلام لما مرّ بطلحة و عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد و هما قتيلان يوم الجمل:

لَقَدْ أَصْبَحَ؟ أَبُو مُحَمَّدٍ؟ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيباً - أَمَا وَ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ؟ فُرَيْشٌ؟ قَتَلَى - تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ - أَدْرَكْتُ وَتَرَى مِنْ؟ بَنَى عَبْدٌ مَنَافٍ؟ - وَ أَفَلَتَنِي أَعْيَانُ؟ بَنَى جُمَحٍ؟ - لَقَدْ أَتَلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرِ - لَمْ يَكُونُوا

ص: ١٤٥

^{٣٨٣} (١) الأنفال: ١٧.

أَهْلُهُ فَوُقِّصُوا دُونَهُ أَقُولُ: الذى وقفت عليه من كلامه عليه السَّلام فى قتلى الجمل طلحة و ابن عتاب و غيرهما، من الزبير و كعب بن سور القاضى و محمد بن زهير و عبد الله بن خلف و عبد الله بن ربيعة بن رواح و سفيان بن حويطب و عبد الله بن حكيم بن حزام و عبد الله بن المغيرة بن الأخنس و عبد الله بن الأخنس بن شريق، ما رواه المبرد فى (كامله) عن التوزى عن محمد بن عباد بن حبيب - أحسبه عن أبيه - قال: لما انقضى يوم الجمل خرج علىّ عليه السَّلام فى ليلة ذلك اليوم و معه قنبر و فى يده مشعلة من نار يتصفّح القتلى حتّى وقف على رجل - قال التوزى: فقلت:

أ هو طلحة؟ قال: نعم. فلما وقف عليه قال: اعزز علىّ أبا محمد أن أراك معفراً تحت نجوم السماء و فى بطون الأودية، شفيت نفسى و قتلت معشرى إلى الله أشكو عجرى و بجرى ^{٣٨٤}.

و ما فى المدائنى فى (تاريخه): - و قد نقله ابن أبى الحديد فى موضع آخر - إنّ عليّاً عليه السَّلام مر بطلحة و هو ملبّد بنفسه، فوقف عليه و قال: أما و الله إن كنت لأبغض أن أراكم مصرّعين فى البلاد، و لكن ما حمّ واقع، ثم تمثل:

بأى الأرض يدركك المقيّل

و ما تدرى إذا أزمعت أمرا

و لا يدرى الغنى متى يعيل

و ما يدرى الفقير متى غناه

أ تنتج بعد ذلك أم تحيل. ^{٣٨٥}

و ما تدرى إذا أنتجت شولا

و ما رواه زيد بن فراس عن غزال بن مالك - كما فى (جمل المفيد) - قال:

لما قتل الزبير و جرى برأسه إلى علىّ عليه السَّلام، قال: أما و الله لو لا ما كان من أمر حاطب بن أبى بلتعة، ما اجتراً طلحة و الزبير على قتالى، و إنّ الزبير كان أقرب

ص: ١٤٦

إلىّ من طلحة، و ما زال منّا أهل البيت حتّى بلغ ابنه فقطع ما بيننا ^{٣٨٦}.

و ما رواه المفضل بن فضالة عن شداد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم قال: هرب الزبير على فرس له يدعى ذا الخمار - إلى أن قال - بعد مجيء ابن جرموز برأسه و سيفه - استلّ علىّ عليه السَّلام سيفه و قال: سيفه أعرفه، أما و الله لقد قاتل بين يدي النبىّ صلى الله عليه و آله، و لكنّه الحين و مصارع سوء ^{٣٨٧}.

^{٣٨٤} (١) الكامل للمبرّد.

^{٣٨٥} (٢) شرح ابن أبى الحديد.

^{٣٨٦} (١) الجمل للمفيد: ٣٨٩.

و عن عبد الله بن جعفر عن ابن أبي عون مثله و زاد: ثم تفرّس في وجه الزبير و قال: لقد كان لك بالنبي صلى الله عليه و آله صحبة و منه قرابة، و لكن دخل الشيطان منخرک فأوردك هذا المورد^{٣٨٨}.

و روى (جمل المفيد) أيضا: أنّه لما انجلت الحرب و قتل طلحة و الزبير و حملت عيشة إلى قصر بنى خلف، ركب على عليه السلام و تبعه أصحابه و عمّار يمشى مع ركابه، حتّى خرج إلى القتلى يطوف عليهم، فمرّ بعبد الله بن خلف الخزاعي و عليه ثياب حسان مشهرة، فقال الناس: هذا و الله رأس الناس.

فقال عليه السلام: ليس برأس الناس، و لكنّه شريف منيع النفس.

ثمّ مرّ بعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد فقال: هذا يعسوب القوم و رأسهم كما تروه. ثم جعل يستعرض القتلى رجلا رجلا، فلمّا رأى أشراف قريش صرعى في جملة القتلى قال: جدعت أنفى! أما و الله إن كان مصرعكم لبغيضا إلىّ و لقد قدّمت إليكم و حذّرتكم عضّ السيوف، و كنتم أحداثا لا علم لكم بما ترون، و لكن الحين و مصرع السوء! نعوذ بالله من سوء المصرع.

ثمّ سار حتّى وقف على كعب بن سور القاضى و هو مجدلّ بين القتلى

ص: ١٤٧

و فى عنقه المصحف، فقال: نحوا المصحف وضعوه فى مواضع الطهارة، ثم قال: أجلسوا لى كعبا، فاجلس - فقال: يا كعب بن سور قد وجدت ما وعدنى ربّى حقّا، فهل وجدت ما وعدك ربّك حقّا؟! ثم قال: اضجعوا كعبا. فتجاوزه، فمرّ فرأى طلحة صريعا، فقال:

أجلسوا طلحة، فاجلس، فقال عليه السلام: يا طلحة بن عبيد الله قد وجدت ما وعدنى ربّى حقّا، فهل وجدت ما وعدك ربّك حقّا؟ ثم قال: اضجعوه. فوقف رجل من القراء أمامه فقال: يا أمير المؤمنين ما كلامك هذه الهام قد صديت لا تسمع لك كلاما و لا تردّ جوابا! فقال عليه السلام: أنّهما ليسمعان كلامى كما تسمع أصحاب القلب كلام النّبىّ صلى الله عليه و آله، و لو اذن لهما فى الجواب لرأيت عجبا.

و مرّ بمعبد بن مقداد و هو فى الصرعى فقال عليه السلام: رحم الله أبا هذا، إنّما كان رأيه فينا أحسن من رأى هذا. فقال عمّار: الحمد لله الذى أوقعه و جعل خدّه الأسفل، إنّنا و الله يا أمير المؤمنين لا نبالى من عن الحق عند من والد و ولد.

فقال عليه السلام: رحمك الله يا عمّار و جزاك الله عن الحق خيرا.

و مرّ بعبد الله بن ربيعة بن رواح و هو فى القتلى، فقال عليه السلام: هذا البائس ما كان أخرجه نصر لعثمان، و الله ما كان رأى عثمان فيه و لا فى أبيه بحسن.

^{٣٨٧} (٢) الطبقات الكبرى ٣: ١١١ - ١١٢، تلخيص الشافى ٤: ١٣٧، الاحتجاج ١: ١٦٣.

^{٣٨٨} (٣) الجمل للمفيد: ٣٩٠.

و مرّ عليه السّلام بمعبد بن زهير بن اميّة فقال: لو كانت الفتنة برأس الثريا لتناولها هذا الغلام، و الله ما كان فيها بذى نخيرة، و لقد أخبرني من أدركه أنّه يلوذ خوفا من السيف حتّى قتل البائس ضياعا.

و مرّ بمسلم بن قرطبة فقال عليه السّلام: البر خرج هذا! و لقد سألتني أن أكلم عثمان في شيء يدعيه عليه بمكة، فلم أزل به حتّى أعطاه و قال لي: لو لا أنت ما أعطيته، إن هذا ما علمت بشئ أخو العشيرة، ثمّ جاء المشوم لحينه ينصر عثمان.

ص: ١٤٨

ثمّ مرّ بعبد الله بن عمير بن زهير و قال: هذا أيضا ممّن أوضع في قتالنا، يطلب بزعمه دم عثمان، و لقد كتب إليّ كتابا يؤدّي عثمان فأعطاه شيئا فرضى عنه.

و مرّ بعبد الله بن حكيم بن حزام فقال عليه السّلام: هذا خالف أباه في الخروج عليّ، و إنّ أباه حيث لم ينصرنا بايع و جلس في بيته، ما ألوم اليوم أحدا إذا كف عنا و عن غيرنا، و لكن الملوّم الذي يقاتلنا.

و مرّ بعبد الله بن المغيرة بن الأخنس فقال: أمّا هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان في الدار، فخرج غضبا لقتل أبيه و هو غلام لا علم له بعواقب الامور.

و مرّ بعبد الله بن الأخنس بن شريق فقال عليه السّلام: أمّا هذا فإنّي أنظر إليه و قد أخذ القوم السيوف و أنّه لهارب يعدو من الصف، فنهته عنه فلم يسمع من نهته، و كان هذا مما خفى على فتیان قريش، أغمار لا علم لهم بالحرب، خدعوا و استزلوا فلمّا وقعوا لحجوا فقتلوا^{٣٨٩}.

و رواه (الإرشاد) مختصرا و فيه: في كعب - هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف يزعم أنّه ناصر أمّه، يدعو الناس إلى ما فيه و هو لا يعلم ما فيه، ثم استفتح فخاب كل جبار عنيد، أمّا أنّه دعا الله أن يقتلني فقتله الله اجلسوا كعبا ...

و في طلحة قال عليه السّلام: هذا الناكث بيعتي و المنشىء الفتنة و المجلب عليّ و الداعي إلى قتلى و قتل عترتي، أجلسوا طلحة ...^{٣٩٠}.

و في (كافية المفيد) - على نقل البحار و نقله (الخوئي) أيضا: عن خالد بن مخلد عن زياد بن المنذر عن أبي جعفر عليه السّلام: مرّ عليّ عليه السّلام على طلحة و هو

ص: ١٤٩

^{٣٨٩} (١) الجمل للمفيد: ٣٩١-٣٩٤، الشافعي ٤: ٣٤٤، الاحتجاج ١: ١٦٣-١٦٤، بحار الأنوار ٣٢: ٢٠٧-٢٠٩.
^{٣٩٠} (٢) الإرشاد ١: ٢٥٤-٢٥٧، بحار الأنوار ٣٢: ٢٠٩.

صريع فقال: أجلسوه فقال: أم و الله لقد كان لك صحبة، و لقد شهدت و سمعت و رأيت، و لكن الشيطان أزاغك و أمالك فأوردك جهنم^{٣٩١}.

و روى أبو مخنف عن الأصبح- و قد نقله ابن أبي الحديد فى موضع آخر- قال: لما انهزم أهل البصرة ركب على عليه السلام بغلة النبى صلى الله عليه و آله الشهباء- و كانت باقية عنده- و سار فى القتلى يستعرضهم، فمر بكعب بن سور قاضى البصرة و هو قتيل فقال: أجلسوه فاجلس. فقال: ويل امك كعب بن سور، لقد كان لك علم لو نفعك، و لكن الشيطان أضلك فأذلك فعجلك إلى النار، أرسلوه.

ثم مر بطلحة قتيلًا فقال: أجلسوه، فأجلس فقال له: ويل امك طلحة، لقد كان لك قدم لو نفعك، و لكن الشيطان أضلك فأزلك فعجلك إلى النار.

ثم مر بعبد الله بن خلف الخزاعى- و كان قتيلًا بيده مبارزة، و كان رئيس أهل البصرة- فقال: أجلسوه، فأجلس، فقال: الويل لك يابن خلف لقد عانيت أمرا عظيما^{٣٩٢}.

و فى (جمل المفيد): روى إبراهيم بن نافع عن سعيد بن أبى هند قال:

أخبرنا أصحابنا ممن حضر القتال يوم البصرة أن عليًا عليه السلام قاتل يومئذ أشد القتال و سمعوه و هو يقول: تبارك الله الذى اذن لهذه السيوف تصنع ما تصنع.

و نظر عليه السلام يومئذ إلى سفيان بن حويطب بن عبد العزى و هو يسترجع من الخوف و ما التحم من الشر، فقال عليه السلام له: انحز إلى أصحابى لا تقتل.

فانحاز إليهم إلى أن حمل أصحاب الجمل جملة، فإذا هو قد صار فى حيزهم، فحمل عليه رجل من همدان و على عليه السلام يصيح: «كف عنه»، و الهمدانى لا يفهم

ص: ١٥٠

حتى قطعه اربا اربا. فقال عليه السلام: يا ويحه لفته السيوف و قد كان مقتله إلى بغضيا^{٣٩٣}.

و فى (ذيل الطبرى): مر على عليه السلام بعبد الله بن مقداد، و أمه صباغة بنت الزبير بن عبد المطلب- و كان قتل مع عايشة- فقال: بئس ابن الاخت^{٣٩٤}.

^{٣٩١} (١) كافي المفيد: ٢٥-٢٦، بحار الأنوار ٣٢: ٢٠١.

^{٣٩٢} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٨-٢٤٩.

^{٣٩٣} (١) الجمل للمفيد: ٣٦١.

^{٣٩٤} (٢) ذيل تاريخ الطبرى ١١: ٦٢٠.

قول المصنّف «و من كلام له عليه السّلام لما مرّ بطلحة» فى (جمل المفيد): و فى رواية علىّ بن زيد بن جدعان: لمّا بلغ طلحة أنّ الزبير اندفع، ذهب فى طلبه فمر بمروان فرآه، فقال: لا أطلب بثأرى بدم بعد اليوم، ثم رماه بسهم فقتله^{٣٩٥}.

«و عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد و هما قتيلان يوم الجمل» فى (جمل أبى مخنف): خرج عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن العاص بن اميّة بن عبد الشمس - و هو من أشرف قريش و كان اسم سيفه ولول - فارتجز و قال:

أنا ابن عتاب و سيفى و لول
و الموت عند الجمل المجمل

فحمل عليه الأشتر فقتله^{٣٩٦}.

و فى (جمل المفيد): روى محمّد بن عبيد الله عن عمرو بن دينار عن صفوان قال: لمّا تصاف الناس يوم الجمل، أقبل الأشتر النخعى و جندب بن زهير العامرى قبال الجمل يرفلان فى السلاح، حتّى قتلا عبد الرحمن بن عتاب و معبد بن زهير بن خلف بن اميّة^{٣٩٧}.

و روى محمّد بن عبد الله قال: قطعت يوم الجمل يد عبد الرحمن و فيها الخاتم، فأخذه نسر فطرحه باليمامة فأخذه أهل اليمامة و اقتلعوا حجره،

ص: ١٥١

و كان ياقوتا فابتاعه رجل منهم بخمسائة دينار، فقدم به مكّة فباعه بربح عظيم^{٣٩٨}.

و فى (المروج): اصيب كفّه بعد يوم الجمل بثلاثة أيّام و فى خاتمه (عبد الرحمن بن عتاب)^{٣٩٩}.

هذا و قال ابن أبى الحديد: و عبد الرحمن هو الذى قال عليه السّلام فيه و قد مر عليه: لهفى عليك يعسوب قريش، هذا فتى الفتيان، هذا اللباب المحض من بنى عبد مناف، شفيت نفسى و قتلت معشرى، إلى الله أشكو عجرى و بجرى. فقال له قائل: لشد ما أطريت الفتى منذ اليوم، فقال: إنّه قام عنى و عنه نسوة لم يقمن عنك^{٤٠٠}.

قلت: الأصل فيه (بيان الجاحظ) فعبر بمثله. و زاد بعد قوله (و بجرى):

^{٣٩٥} (٣) الجمل للمفيد: ٣٨٤.
^{٣٩٦} (٤) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٦٤ - ٢٦٥.
^{٣٩٧} (٥) الجمل للمفيد: ٣٦٤.
^{٣٩٨} (١) الجمل للمفيد: ٣٦٤، تجارب الامم ١: ٣٣١، شرح ابن أبى الحديد ١١: ١٢٤.
^{٣٩٩} (٢) مروج الذهب ٢: ٣٨٠، و الآية ٤ من سورة المنافقين.
^{٤٠٠} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٤٩.

قتلت الصناديد من بنى عبد مناف و أفلنتى الأعيار من بنى جمح. فقال إلخ ...

و كذا (مروج المسعودي) فقال: مر علىّ عليه السّلام على عبد الرحمن فقال:

لهفى عليك يعسوب قريش، قتلت الغطاريف من بنى عبد مناف، شفيت نفسى و جدعت أنفى. فقال له الأشر: ما أشدّ جزعك عليهم و قد أرادوا بك ما نزل بهم.

فقال: إنّه قامت عنى و عنهم ... و هو من أخبارهم الموضوعة، فأمر المؤمنين عليه السّلام لم يكن يثنى على المنافقين، فإنهم و إن كانوا من حيث الجسم «وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَ إِن يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ»^{٤٠١}، لكنهم من حيث الروح «كَانَهُمْ خُشْبٌ مُسَدَّدٌ»^{٤٠٢}.

ص: ١٥٢

قوله عليه السّلام على نقل المصنّف «لقد أصبح أبو محمّد» يعنى طلحة، فكان مكنيا باسم ابنه محمّد بن طلحة الذى كان يوم الجمل كلّما حمل عليه رجل قال: نشدتك ب «حم» فينصرف عنه، حتّى شد عليه رجل من بنى أسد بن خزيمه فنشده فلم يثنه ذلك و طعنه فقتله و قال:

قليل الأذى فى ما ترى العين مسلم

و أشعت سجاد بآيات ربه

فخر صريعا للدين و للقم

شككت له بالرمح جيب قميصه

عليّا و من لا يتبع الحق يندم

على غير شيء غير أن ليس تابعا

فهلا تلاحم قبل التقدم

يذكرنى حم و الرمح شاجر

ثم قد عرفت رواية أبى مخنف و روايات (جمل المفيد) و (إرشاده) و (كافيته) فيه، و أنّه عليه السّلام لما مر عليه قال: أجلسوه، فاجلس فقال له:- و الفظ للاول- لقد كان لك قدم لو نفعتك، و لكن الشيطان أضلك فأزلك فعجلك إلى النار.

و أما قول (المروج): نادى علىّ رضى الله عنه طلحة حين رجع الزبير: يا أبا محمّد ما الذى أخرجك؟ قال: الطلب بدم عثمان. فقال له: أما سمعت النّبىّ صلّى الله عليه و آله يقول:

^{٤٠١} (٤) سورة المنافقين: ٤.

^{٤٠٢} (٥) مروج الذهب ٢: ٣٨٠.

اللهم وال من والاه و عاد من عاداه، و أنت أول من بايعني ثم نكثت، و قد قال عزّ و جلّ «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ»^{٤٠٣} فقال: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ. ثم رجع.

فقال مروان: رجع الزبير و رجع طلحة ما ابالي رميت هاهنا أم هاهنا فرماه في اكحله فقتله.

فمر به علىّ عليه السّلام بعد الوقعة في موضع في قنطرة قرّة، فوقف عليه فقال: إِنَّا لِلَّهِ و إِنَّا إِلَيْهِ راجعون، و الله لقد كنت كارها، أنت و الله كما قال القائل:

ص: ١٥٣

إذا ما هو استغنى و يبعده الفقر

فتى كان يدينه الفتى من صديقه

و في خده الشعرى و في الآخر البدر^{٤٠٤}

كأنّ الثريا علقت في يمينه

فمن الأخبار الموضوعة، فلم يقل أحد أن مروان رماه لما أراد الرجوع، بل لكونه أول محرّض على عثمان حتّى قتل و منع من دفنه.

و كيف يتكلّم أمير المؤمنين بالمزخرفات الشعرية و التّرهات الباطلة، من كون الثريا في يمين رجل و الشعرى في خده و البدر في يساره. و إنّما دعاهم إلى وضع هذا الخبر أنّ قول النّبيّ صلّى الله عليه و آله فيه عليه السّلام: «اللهم وال من والاه و عاد من عاداه» متواترا، فيلزم أن يكون عدوّ الله و قد جعلوه من العشرة المبشّرة فافتروا بهذه الفرية.

و كيف تاب طلحة أم مدحه عليه السّلام و قد روى الواقدي - كما في (جمل المفيد) - أنّ عليّا عليه السّلام قام خطيبا بعد الفتح و قال: إنّى أحمد الله على نعمه، قتل طلحة و الزبير و هربت عايشة، و ما ازداد عدوّكم بما صنع الله إلّا حقدا و ما زادهم الشيطان إلّا طغيانا، و لقد جاءوا مبطلين و أدبروا ظالمين، و إنّنا لعلّى الحق و إنّهم لعلّى الباطل، و يجمعنا الله و إيّاهم يوم الفصل^{٤٠٥}.

و روى أيضا: أنّه عليه السّلام كتب بعد الفتح إلى أهل الكوفة: أمّا بعد فإنّا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا، المفرّقين لجماعتنا، الباغين علينا من امتّنا، فحاجبناهم إلى الله، فنصرنا الله عليهم و قتل طلحة و الزبير، و قد تقدمت إليهما بالندى، و أشهدت عليهما صلحاء الامّة، فما أطاعا المرشدين

^{٤٠٣} (١) سورة الفتح: ١٠.

^{٤٠٤} (١) مروج الذهب ٢: ٣٧٣ - ٣٧٤.

^{٤٠٥} (٢) الجمل للمفيد: ٤٠٢.

ص: ١٥٤

و لا أجابا الناصحين^{٤٠٦}.

و من أخبارهم الموضوعه ما فى (خلفاء ابن قتيبة): إن موسى بن طلحة دخل على على عليه السلام بعد انهزامهم، فقال له على: إننى لأرجو أن أكون أنا و أبوك ممن قال تعالى فيهم: «وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ»^{٤٠٧} - و قال له ابن الكوا: أمسيت بالبصرة، فقال: كان عندى ابن أخى.

قال: و من هو؟ قال: موسى بن طلحة. فقال ابن الكوا: لقد شقينا إن كان ابن أخيك. فقال على: ويحك إن الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد كان غفر لكم. ثم قال ابن الكوا لعلى: من أخبرك بمسيرك هذا الذى سرت فيه، تضرب الناس بعضهم ببعض و تستولى بالأمر عليهم أراى رأيته حين تفرقت الامه و اختلفت الدعوة، فرأيت أنك أحق بهذا الأمر منهم لقرايتك. فإن كان رأيا رأيته أجبنك فيه، و إن كان عهدا عهدك إليك النبى صلى الله عليه و آله، فأنت المأمون على النبى فى ما حدثت عنه. فقال: أنا أول من صدقه، فلا أكون أول من كذب عليه، أما أن يكون عندى عهد منه فلا و الله، و لكن لما قتل الناس عثمان نظرت فى أمرى فإذا الخليفان اللذان أخذاهما من النبى قد هلكا و لا عهد لهما، و إذا الخليفة الذى أخذها بمشورة المسلمين قد قتل، و خرجت ربقته من عنقى لأنه قتل و لا عهد له^{٤٠٨}.

فيقال لهم فى الآية: إنه تعالى قال فى المتقين: «وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ»^{٤٠٩} لا للمفسدين فى الأرض، و أى مفسد فى الأرض أفسد من طلحة الذى قتل عثمان ثم قتل آلافا من المسلمين باسم الطلب بدمه،

ص: ١٥٥

و موسى ابنه لم يكن بدونه فهو الذى شهد على حجر بإباحة دمه لكونه شيعته عليه السلام.

و يقال لهم فى حديثهم: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» - «اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير»^{٤١٠}.

و يقال لهم فى مسيره عليه السلام إلى أهل الجمل: إنه من المتواتر عن النبى صلى الله عليه و آله حديث الناكثين كالفاسطين و المارقين. و كيف لم يكن عنده عليه السلام عهد منه صلى الله عليه و آله، و قد علم رواية و دراية قول النبى صلى الله عليه و آله للزبير: إنك ستقاتل عليا ظالما؟ و قد أقر الزبير به و احتمل عاره فى توليته الدبر عنه، و قد قال ابنه له: إنه لا يغسل عاره عنهم إلى آخر الدهر.

^{٤٠٦} (١) الجمل للمفيد: ٤٠٣، الشافى ٤: ٣٣٠.

^{٤٠٧} (٢) الحجر: ٤٧.

^{٤٠٨} (٣) الإمامة و السياسة ١: ٧٨ - ٧٩.

^{٤٠٩} (٤) الحجر: ٤٧.

^{٤١٠} (١): ٤٠.

و يقال فى قوله: «الخليفتان اللذان أخذها من النبى» ان الأول أخذها بإحراق أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله، و الثانى بمعاودة الأول له و معاضدته له، كما أن الثالث أخذها باختيار ابن عوف له بتدبير الثانى له، لكتابتة له استخلاف الأول له فى غشوته، و إن أمضاه بعد إفاقتة.

كما أن قوله: «إن الثالث قتل و لا عهد له» أيضا كذب، فعهد إلى معاوية فجعله ولى دمه فى متواتر رواياتهم، و كان لم ير فى مروان لياقة و لا كان مالكا لنفسه، و إلّا لكان لجعله ولى عهده، و كيف لا و قد رضى بقتل نفسه، و لم يرض أن يصل إليه مكروه بفساداته فى الدين، و قد حكم بأنه أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام، أف لهم و لما يعبدون من دون الله.

و من أخبارهم الموضوعه ما فى (تذكرة سبط ابن الجوزى): دخل بعض أصحاب على عليه السلام على طلحة و هو وجود بنفسه، فقال له: اشهد على أنى بايعت أمير المؤمنين عليا - ثم مات فاخبر الرجل عليا - فقال: رحمه الله فصلت.

ص: ١٥٦

و تأسف عليه، و قال: الحمد لله الذى لم يخرج من الدنيا إلّا و بيعت فى عنقه^{٤١١}.

و ما فيه ذكر الميدانى: أن عليا لما وقف على القتلى قال: أشكو إليك عجرى و بجرى، و معشرا اغشونى على بصرى، قتلت مضرى بمضرى شفيت نفسى و قتلت معشرى^{٤١٢}.

و ما قاله ابن أبى الحديد، بعد نقل خبر أبى مخنف المتقدم: روت المعتزلة أن عليا قال: اعزز على أبا محمد أن أراك معفرا تحت نجوم السماء، أبعد جهادك فى الله و ذبك عن نبى. فجاء إليه إنسان فقال: أشهد لقد مرت عليه بعد أن أصابه السهم و هو صريع، فصاح بى: اشهد أنى بايعت عليا^{٤١٣}.

و ما قاله الجزرى: قال الشعبى: لما قتل طلحة و رآه على مقتولا جعل يمسح التراب عن وجهه و قال: عزيز أبا محمد أن أراك مجدلا تحت نجوم السماء. ثم قال: إلى الله أشكو عجرى و بجرى. و ترحم عليه، و قال: ليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. و بكى هو و أصحابه عليه، و سمع رجلا ينشد:

فتى كان يدينه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى و يبعده الفقر

فقال: ذاك أبو محمد طلحة بن عبيد الله^{٤١٤} - فإنها خلاف العقل و النقل و الدراية.

^{٤١١} (١) تذكرة ابن الجوزى: ٧٧.

^{٤١٢} (٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزى: ٧٩.

^{٤١٣} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٤٨.

^{٤١٤} (٤) الكامل فى التاريخ لابن الأثير الجزرى ٣: ٢٥٥.

و لم ينحصر جعلهم الأخبار بطلحة، و قد وضعوا لكعب بن سور القاضي و غيره من أهل الجمل، فقال سيف الوضّاع: لمّا اتى علىّ بكعب قال:

زعمتم إنّما خرج معهم السفهاء و هذا الحبر قد ترون. و جعل علىّ كلّما مر برجل فيه خير قال: زعم من زعم أنّه لم يخرج إلينا إلّا الغوغاء هذا العابد

ص: ١٥٧

المجتهد- و صلّى على قتلى أهل البصرة...^{٤١٥} - و كل ما قاله بهتان.

«بهذا المكان غريباً» لكونه من أهل المدينة، و قد قتل في البصرة.

و في رواية سفيان بن عنبسة- كما في (جمل المفيد)- عن أبي موسى عن الحسن البصرى قال: رأيت طلحة حين أصابه السهم، قال: ما رأيت كاليوم مصرع شيخ أضيع من مصرعى.

قال الحسن: و قد كان قبل ذلك جاهد جهاداً مع النّبىّ صلّى الله عليه و آله و وقاه بيده، فضيّع أمر نفسه، و لقد رأيت قبره مأوى الشقاء يضع عنده غريبه، ثم يقضى عنده حاجته، فما رأيت أعجب من هؤلاء^{٤١٦}.

«أما و الله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب» في خبر الحسن البصرى المتقدم: و أما الزبير فأنه أتى حيّاً من أحياء العرب فقال:

أجيرونى- و قد كان قبل ذلك يجير و لا يجار عليه- قال: و ما الذى أخافك و الله ما أخافك إلّا ابنك. فأتبعه ابن جرموز- ثولول من أثاليل العرب- فضاع دمه، و هذا قبره بوادى السباع مخراً للتعالب، و عز علىّ هذه الشقوة التى كتبت عليه و على صاحبه^{٤١٧}.

و في (جمل المفيد): روى محمّد بن عبد الله عن عمر بن دينار عن صفوان قال: لمّا تصاف الناس يوم الجمل صاح صائح من أصحاب علىّ عليه السّلام: يا معشر شباب قريش أراكم قد لححتم و غلبتم على أمركم هذا، و إننى انشدكم الله أن تحقنوا دماءكم و لا تقتلوا أنفسكم^{٤١٨}.

و روى محمّد بن موسى عن محمّد بن إبراهيم عن أبيه، قال: سمعت

ص: ١٥٨

^{٤١٥} (١) تاريخ الطبري ٤: ٥٣٨، سنة ٣٦.

^{٤١٦} (٢) الجمل للمفيد: ٣٨٥، و قريب منه ما في شرح ابن أبي الحديد ٩: ١١٣-١١٤.

^{٤١٧} (٣) الجمل للمفيد: ٣٨٥.

^{٤١٨} (٤) المصدر نفسه: ٣٦٤.

معاذ بن عبيد الله التميمي - و كان قد حضر الجمل - يقول: لمّا التقينا و اصطفنا نادى منادى على: يا معشر قريش أبقوا على أنفسكم، فإنّي أعلم إنكم قد خرجتم و ظننتم أنّ الأمر لا يبلغ إلى هذا، فالله الله في أنفسكم، فإنّ السيف ليس له بقيا، فإن أحببتهم فانصرفوا، حتّى نحاكم هؤلاء القوم، و إن أحببتهم فإلّى، فإنكم آمنون بأمان الله. فاستحيينا أشدّ الحياء و أبصرنا ما نحن فيه، و لكن الحفاظ حملنا على الصبر مع عايشة، حتّى قتل من قتل منّا^{٤١٩}.

هذا و من أمثالهم: (ذهب القوم تحت كلّ كوكب)^{٤٢٠} أى: تفرّقوا.

«أدركت وترى» فى (الصحاح): (الوتر) بالكسر (الفرد) و بالفتح الذحل.

هذه لغة أهل العالية. و أمّا أهل الحجاز فبالضد منهم. و أمّا تميم فبالكسر فيهما.

و الموتور الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه^{٤٢١}.

قلت: و الأصل فى الثانى الأوّل. ففى (الأساس): و ترت الرجل قتلت حميمه فأفردته منه^{٤٢٢}.

و أهل العالية أى: أهل نجد.

«من بنى عبد مناف» كانوا أربعة: بنو عبد شمس و بنو نوفل و بنو المطلب و بنو هاشم، و المراد الأولان لأنّه عليه السّلام من بنى هاشم، و بنو المطلب كانوا معهم فى الجاهلية و الإسلام، كما أنّ الأولين كانوا عليهما فيهما و لا سيما الأوّل مع الاخير، و قد فسّر قوله تعالى: «هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ»^{٤٢٣} بينى عبد شمس مع بنى هاشم، فالأولون نفوه و الآخرون أثبتوه.

ص: ١٥٩

فى تفسير محمّد بن العباس عن الصادق عليه السّلام فى قوله عزّ و جلّ: «فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ»^{٤٢٤} الله انتقم بعلّى عليه السّلام يوم البصرة، و هو الذى وعد الله رسوله^{٤٢٥}.

و عن يوسف الأزرق قال: قرأت على الأعشى فى (الزخرف) حتّى انتهيت إلى قوله تعالى: «فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ» فقال: أ تدرى فى من نزلت الآية؟ قلت: الله أعلم. قال: نزلت فى علىّ عليه السّلام^{٤٢٦}.

٤١٩ (١) المصدر نفسه: ٣٦٤ - ٣٦٥.

٤٢٠ (٢) مجمع الأمثال للميداني، تحت الرقم ١٤٨٨.

٤٢١ (٣) الصحاح ٢: ٨٤٢ - ٨٤٣، مادة: (وتر).

٤٢٢ (٤) أساس البلاغة: ٤٩١، مادة: (وتر).

٤٢٣ (٥) الحج: ١٩.

٤٢٤ (١) الزخرف: ٤١.

٤٢٥ (٢) البرهان فى تفسير القرآن ٤: ١٤٤، و قريب منه ما فى تفسير القمّي ٢: ٢٨٤.

٤٢٦ (٣) تفسير فرات الكوفي: ٤٠٣، الآية ٤١ من سورة الزخرف.

و في (تفسير الطبري): قال جابر الأنصاري: إني لأدناهم من النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع فقال: لألفينكم ترجعون بعدى كفّارا، يضرب بعضكم رقاب بعض، و ايم الله لئن فعلتموها لتعرفني في الكتيبة التي تضاربكم - ثم التفت إلى خلفه فقال (أو علي-) ثلاث مرات - فأينا أن جبرئيل غمزه. فأنزل تعالى إثر ذلك: «فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ» بعلي بن أبي طالب^{٢٢٧}.

و روى السمعاني منهم في (فضائله)، و ابن المغازلي منهم في (مناقبه) نزول الآية فيه عليه السلام^{٢٢٨}.

و في (الطبري): عن ابن أبي يعقوب: قتل علي بن أبي طالب يوم الجمل ألفين و خمسمائة - من الأزد ألف و ثلاثمائة و خمسون - و من بني ضبة ثمانمائة - و من سائر الناس ثلاثمائة و خمسون.

و قيل لأبي لبيد الأزدي: لم تسب عليّا؟ فقال: ألا أسبّ رجلا قتل منّا ألفين

ص: ١٦٠

و خمسمائة، و الشمس هاهنا^{٢٢٩}.

و في (المروج): و قتل من الناس حتّى لم يكن أحد يعزى أحدا، و اشتغل أهل كل بيت بمن لهم، و قطع على خطام الجمل سبعون يدا من بني ضبة، معهم كعب بن سور القاضي متقلدا مصحفا، كلّما قطعت يد واحد منهم قام آخر فأخذ الخطام و قال: أنا الغلام الضبي^{٢٣٠}.

و قتل من أصحابه عليه السلام في ذلك اليوم خمسة آلاف - و من أصحاب الجمل و أهل البصرة و غيرهم ثلاثة عشر ألفا. و قيل غير ذلك^{٢٣١}.

و في (جمل المفيد): فأما الأخبار عن عدد من قطعت يده يومئذ و رجليه ثم قتل بعد ذلك فهي مشهورة بأنهم كانوا نحو من أربعة عشر ألف رجل^{٢٣٢}.

هذا و قال ابن أبي الحديد: قال الراوندي: (يعني عليه السلام ببني عبد مناف طلحة و الزبير)، و هو غلط قبيح لأن طلحة من تيم بن مرة، و الزبير من أسد بن عبد العزى بن قصي^{٢٣٣}.

^{٢٢٧} (٤) لا وجود له في تفسير الطبري راجع ٢٥: ٤٥ في تفسير الآية ٤١ من سورة الزخرف، دار المعرفة، بيروت، ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦: ١٦ و الطبرسي في المجمع ٩: ٤٩.
^{٢٢٨} (٥) المناقب لابن المغازلي: ٢٧٤ - ٢٧٥.
^{٢٢٩} (١) تاريخ الطبري ٤: ٤٥٤، سنة ٣٦.
^{٢٣٠} (٢) مروج الذهب ٢: ٣٧٥.
^{٢٣١} (٣) المصدر نفسه ٢: ٣٨٠.
^{٢٣٢} (٤) الجمل للمفيد: ٤١٩.
^{٢٣٣} (٥) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٢٤.

قلت: يقال لابن أبي الحديد: اعتراضك على الراوندى صحيح، فى أن طلحة و الزبير ليسا من بنى عبد مناف، إلّا إنك لم لم تفسر المراد منهم؟ فلم يعلم قتل معروف من بنى عبد مناف ذاك اليوم سوى عبد الرحمن بن عتاب المتقدم، و أمّا مروان و ولد عثمان فإنهم و إن شهدوا الجمل إلّا أنهم لم يقتلوا، فلا بد أن يحمل لفظ المصنّف: (أدركت و ترى من بنى عبد مناف) و لفظ الجاحظ: (قتلت الصناديد من بنى عبد مناف) و لفظ المسعودى: (قتلت

ص: ١٦١

الغطاريف من بنى عبد مناف) إن صحّت روايتهم على أن مراده ليس قتلهم فى ذاك اليوم فقط، بل فى ذلك اليوم و فى أيام النبىّ صلى الله عليه و آله فى بدر و غيرها.

هذا و أراد ابن ميثم أن يصحح كلام الراوندى فأتى بأغلط فقال: «كان طلحة و الزبير من بنى عبد مناف من قبل الام»^{٤٣٤} - فواضح أنّه لا يقال بنو فلان إلّا لمن كان منسوباً إلى ذاك الفلان بالأب دون الام، مع أن طلحة لم تكن أمّه من بنى عبد مناف أصلاً، بل يمنية من حضر موت اليمن، و هى صعبة الحضرية، و كيف تكون من عبد مناف و قد وصفها أبو سفيان بعدم نسب ثاقب لها، فإنها كانت قبل عبید الله أبى طلحة تحت أبى سفيان فطلقها ثم تبعها نفسه فقال:

و الود دان قريب

إنى و صعبة فيما يرى بعيدان

فعند الفتاة جمال و طيب

فإن لم يكن نسب ثاقب

و أمّا الزبير و إن كانت أمّه صفية بنت عبد المطلب، إلّا أنّه عرفت أن المراد من بنى عبد مناف غير بنى هاشم، كما أن المراد بقريش فى قوله: «لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب» باقى طوائف قريش غيرهم. ثم إن الخوئى توهم أن كلام ابن ميثم تحته شىء، فقال: رد ابن ميثم ابن أبى الحديد بكونهما من بنى عبد مناف من قبل الام^{٤٣٥}.

«و أفلتنى» هكذا فى (المصرية)^{٤٣٦}، و الصواب: (أفلتنى) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)^{٤٣٧} و (الخطية) أى: فاتتنى من: أفلت الطائر.

هذا و فى (الأغانى): كان الحرث بن خالد المخزومى الشاعر والياً على مكة من قبل عبد الملك، و كان أبان بن عثمان ربما جاءه كتاب عبد الملك أن

^{٤٣٤} (١) شرح ابن ميثم ٤: ٥٢.

^{٤٣٥} (٢) منهاج البراعة (شرح الخوئى) ١٤: ١٨٧.

^{٤٣٦} (٣) نهج البلاغة ٢: ٢٢٩.

^{٤٣٧} (٤) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١١: ١٢٤ و لكن فى شرح ابن ميثم ٤: ٥١، و أفلتني أيضاً.

ص: ١٦٢

يصلّي بالناس و يقيم لهم حجّة، فتأخر كتابه عنه في سنة حرب ابن الأشعث و لم يأت الحرث كتاب، فلما حضر الموسم شخص أبان من المدينة فصلّي بالناس، و عاونه بنو اميّة و مواليهم فغلب الحرث على الصلاة فقال الحرث:

فإن تنج منها يا أبان مسلما فقد أفلت الحجاج خيل شبيب

فبلغ ذلك الحجاج فقال: و ما لي و للحرث، أ يغلبه أبان على الصلاة و يهتف بي، ما ذكره إياي^{٤٣٨}.

«أعيان» هكذا في (المصرية)^{٤٣٩}، و الصواب: (أعيار) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{٤٤٠} و (الخطيّة).

في (الصحاح): العير: الحمار الوحشي و الأهلي أيضا، و الانثى: عيرة و الجمع: أعيار.

قال أبو عمرو بن العلاء: ذهب من كان يعرف معنى بيت الحارث بن حلزة «زعموا ان كل من ضرب العير موال لنا و أنا الولاء».

و معنى قولهم: «ما أدري من أيّ ضرب العير هو» أيّ الناس هو. و عير القوم: سيدهم - و قولهم: «عير بعير و زيادة عشرة»، كان الخليفة من بني اميّة إذا مات و قام آخر زاد في أرزاقهم عشرة دراهم^{٤٤١}.

و في (الأساس) قولهم: (هو كجوف العير) العير: الحمار، لأنّه ليس في جوفه ما ينتفع به، و قيل رجل خرب الله واديه، قال:

لقد كان جوف العير للعين منظرا أنيقا و فيه للمجاور منفس

ص: ١٦٣

و قد كان ذا نخل و زرع و جامل فأمسى و ما فيه لباغ معرس^{٤٤٢}

^{٤٣٨} (١) الأغاني ٣: ٣٣٣ - ٣٣٤.

^{٤٣٩} (٢) نهج البلاغة ٢: ٢٢٩.

^{٤٤٠} (٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٢٣، و لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٥١ أعيان أيضا.

^{٤٤١} (٤) الصحاح ٢: ٧٦٢ - ٧٦٣، مادة: (عير).

^{٤٤٢} (١) أساس البلاغة: ٣١٨، مادة: (عير).

هذا و في (لحن العيون): قال فيل مولى زياد لزياد: اهدوا لنا همار وحش أى: حمار وحش - فقال: ويلك ما تقول فقال: (اهدوا لنا ايرا) أى: عيرا، فقال زياد: الأول خير.

بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى أحد بطون قريش.

قال ابن أبي الحديد: قال الراوندى: (مروان من بنى جمح). كان هذا الفقيه بعيدا من الأنساب، فمروان من بنى أمية، و جمح تميم بن عمرو أخو سهم بن عمرو رهط عمرو بن العاص، و قد كان جمع منهم مع عايشة، هربوا و لم يقتل منهم إلّا اثنان، هرب منهم عبد الله بن صفوان و يحيى بن حكيم و عامر بن مسعود- المسمى دحرجة الجعل لقصره و سواده- و أيوب بن حبيب، و قتل منهم عبد الرحمن بن وهب و عبد الله بن ربيعة^{٤٢٢}.

قلت: مع أن مروان لم يفلته بل شفع له الحسنان عليهما السلام فأطلقه.

ففى (المروج): جهّز علىّ عليه السلام عايشة لرجوعها إلى المدينة، ثم أتاها مع أهل بيته و شيعته، فلما بصرت به النسوان صحن فى وجهه و قلن: يا قاتل الأحبة. فقال عليه السلام: لو كانت قاتل الأحبة لقتلت من فى هذا البيت - و أشار إلى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان و ابن الزبير و عبد الله بن عامر و غيرهم. فضرب من كان معه بأيديهم إلى قوائم سيوفهم لما علموا من فى البيت، مخافة أن يخرجوا فيغتالوهم، فسألته عايشة أن يؤمن ابن اختها عبد الله بن الزبير فأمنه، و تكلم الحسنان عليهما السلام فى مروان فأمنه و آمن الوليد بن

ص: ١٦٤

عقبه و ولد عثمان و غيرهم من بنى أمية^{٤٢٤}.

ثم العجب ان ابن ميشم قال هنا أيضا: «و قيل كان مروان من جمح»^{٤٢٥}.

«لقد اتلعوا» أى: مدّوا.

«أعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهلهم فوقصوا» أى: كسروا أعناقا من (وقص يقص) بمعنى الكسر للعنق لا (وقص يوقص) بمعنى قصره.

^{٤٢٣} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٢٤-١٢٥.

^{٤٢٤} (١) مروج الذهب ٢: ٣٧٧-٣٧٨.

^{٤٢٥} (٢) شرح ابن ميشم ٤: ٥٢.

دونه أى: دون ذلك الأمر. قال ابن أبى الحديد: إن قلت: طلحة و الزبير لم يكونا أهلا تركت مذهب أصحابك، و إن لم تقله خالفت قوله عليه السلام. ثم قال: هما أهل ما لم يطلبها عليه السلام، فإذا طلبها لم يكونا هما و غيرهما أهلا، و لو لا طاعته لمن تقدّم لم نحكم بصحة خلافتهم^{٤٤٦}.

قلت: أى أثر لطاعة عن كره؟ و هو عليه السلام لم يقل إنهما لم يكونا أهلا فى مقابلى، بل أصلا مع أن فاروقهم أيضا قال بعدم أهليتهما، و إن النبى صلى الله عليه و آله مات و هو ساخط على طلحة، و إن الزبير يوما إنسان و يوما شيطان.

هذا و يمكن ألا يكون المراد بقوله عليه السلام بالأمر فى قوله: «لقد اتلّعوا إلى أمر» أمر الخلافة، بل أمر الحرب، و يكون الفاعل فى (اتلّعوا) مطلق قريش، فمر فى رواية (جمل المفيد): أنه عليه السلام لما رأى أشراف قريش صرعى فى جملة القتلى قال عليه السلام: و لقد تقدمت إليكم و حذرتكم عض السيوف، و كنتم أحداثا لا علم لكم بما ترون، و لكن الحين و مصرع السوء. و مرت روايات اخرى فى ذلك.

ص: ١٦٥

١٢

الخطبة (١٢) و من كلام له عليه السلام لما أظفره الله بأصحاب الجمل، و قد قال له بعض أصحابه - وددت أن أخى فلانا كان شاهيدنا - ليرى ما نصرَكَ اللهُ بهِ على أعدائك - فقال له ع:

أ هوى أخيك معنا فقال نعم - قال فقد شهدنا - و لقد شهدنا فى عسكرنا هذا أقوام فى أصلاب الرجال - و أرحام النساء - سيرعف بهم الزمان و يقوى بهم الإيمان أقول: و روى نظيره عنه عليه السلام فى أهل النهروان، لما أظفره الله بهم، روى البرقى فى (محاسنه) عن ابن شمون عن عبد الله بن عمرو بن الأشعث عن عبد الله بن حماد الأنصارى عن الصباح المزنى عن الحرث بن الحضير عن الحكم بن عيينه قال: لما قتل أمير المؤمنين عليه السلام الخوارج يوم النهروان قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين طوبى لنا إذ شهدنا معك هذا الموقف و قتلنا معك هؤلاء الخوارج. فقال عليه السلام: و الذى فلق الحبة و برأ النسمة، لقد شهدنا فى هذا الموقف اناس لم يخلق الله آباءهم و لا أجدادهم بعد. فقال الرجل: و كيف يشهدنا قوم لم يخلقوا؟ قال: بلى قوم يكونون فى آخر الزمان يشركوننا فى ما نحن فيه، و يسلمون لنا فأولئك شركاؤنا فى ما كنا فيه حقا حقا^{٤٤٧}.

قول المصنف: «لما أظفره الله بأصحاب الجمل»، هكذا فى (المصرية و ابن أبى الحديد)^{٤٤٨}، و لكن فى (ابن ميثم): «لما ظفر بأصحاب الجمل»^{٤٤٩}.

ص: ١٦٦

^{٤٤٦} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١١: ١٢٦.

^{٤٤٧} (١) المحاسن للبرقى ١: ٢٦٢.

^{٤٤٨} (٢) نهج البلاغة ١: ٣٩، شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٤٧.

^{٤٤٩} (٣) فى شرح ابن ميثم ١: ٢٨٨: لما أظفره الله بأصحاب الجمل أيضا.

و كيف كان فروى النعماني في (غيبته) عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال:

لَمَّا التَقَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ نَشَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَايَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَزَلَزَتْ أَقْدَامُهُمْ فَمَا أَصْفَرَتِ الشَّمْسُ حَتَّى قَالُوا: آمَنَّا يَا بَنِي أَبِي طَالِبٍ. فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ: لَا تَقْتُلُوا الْأَسْرَاءَ، وَ لَا تَجْهَزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَ لَا تَتَّبِعُوا مَوْلِيَا، وَ مِنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَ مِنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ. وَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ صَفِينَ سَأَلُوهُ نَشْرَ الرَّايَةِ فَأَبَى عَلَيْهِمْ، فَتَحَمَلُوا عَلَيْهِ بِالْحَسَنِينَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَ عَمَّارٍ. فَقَالَ: إِنَّ لِلْقَوْمِ مَدَّةً يَبْلُغُونَهَا، وَ إِنَّ هَذِهِ رَايَةٌ لَا يَنْشُرُهَا بَعْدِي إِلَّا الْقَائِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ^{٤٥٠}.

و روى ابن عبد ربه في (عقده) عن سعيد عن قتادة قال: قتل يوم الجمل مع عايشة عشرون ألفا معهم ثمانمائة من بنى ضبة، و قتل من أصحاب علي عليه السلام خمسمائة رجل لم يعرف منهم إلّا عمّار بن الحرث السدوسي و هند الجملي ...^{٤٥١}.

و في (المروج): كانت الوقعة في الموضع المعروف بالحريبة، يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة (٣٦) ٤٥٢.

و في (تاريخ اليعقوبي): كانت الحرب أربع ساعات من النهار، فروى بعضهم أنّه قتل في ذلك اليوم نيف و ثلاثون ألفا، ثم نادى مناديه عليه السلام: ألا لا يجهز على جريح ...^{٤٥٣}.

و في (جمل المفيد): روى الواقدي عن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال: كنت أنا و الأسود بن أبي البختري و الزبير قد تواعدنا و تعاهدنا بالبصرة لئن لقينا القوم لنموتن أو لنقتلن عليّا - إلى أن قال - فانظر إلى عليّ و قد انتهى

ص: ١٦٧

إلى الجمل، و سيفه يرعف دما و هو واضعه على عاتقه، و هو يصيح بمحمّد بن أبي بكر اقطع البطان. فكانت الهزيمة^{٤٥٤}.

«و قد قال له بعض أصحابه: وددت أنّ أخى فلانا كان شاهدا ليرى ما نصرک الله به على أعدائك. فقال عليه السلام له» هكذا في (المصرية)^{٤٥٥} و كلمة (له) زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{٤٥٦} و (الخطبة).

«أ هوى أخيك معنا؟ فقال: نعم، فقال: فقد شهدنا» في (خصائص النسائي):

أنّه عليه السلام قال بعد ظفره بأهل النهروان: و لقد شهدنا اناس باليمن، قالوا: كيف؟

فقال عليه السلام: هواهم معنا^{٤٥٧}.

^{٤٥٠} (١) الغيبة: ٢٠٨.

^{٤٥١} (٢) العقد الفريد ٥: ٧٤ - ٧٥.

^{٤٥٢} (٣) مروج الذهب ٢: ٣٧٧.

^{٤٥٣} (٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٨٣.

^{٤٥٤} (١) الجمل للمفيد: ٣٧٥.

^{٤٥٥} (٢) نهج البلاغة ١: ٣٩.

^{٤٥٦} (٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٧ و لكن في شرح ابن ميثم ١: ٢٨٨: قال له أيضا.

و قال ابن أبي الحديد: قال حبة العرنى: قسم على عليه السلام بيت مال البصرة على أصحابه خمسمائة خمسمائة، وأخذ عليه السلام خمسمائة كواحد منهم فجاءه إنسان لم يحضر الوقعة، فقال: يا أمير المؤمنين كنت شاهدا معك بقلبي وإن غاب عنك جسمي، فأعطني من الفىء شيئا، فدفع إليه الذى أخذه لنفسه^{٤٥٨}.

قلت: و رواه (المروج) هكذا: دخل على عليه السلام بيت مال البصرة فى جماعة من المهاجرين و الأنصار، فنظر إلى ما فيه من العين و الورق فجعل يقول: «يا صفراء غرى غرى» و أدام النظر إلى المال مفكرا، ثم قال: أقسموه بين أصحابى و من معى خمسمائة خمسمائة. ففعلوا فما نقص درهم واحد و عدد الرجال اثنا عشر ألفا. و قبض ما كان فى عسكرهم من سلاح و دابة و متاع و آلة و غير ذلك، فباعه و قسمه بين أصحابه، و أخذ لنفسه ما أخذ لكل واحد مئة

ص: ١٦٨

معه خمسمائة درهم، فأتاه رجل من أصحابه فقال: إننى لم آخذ شيئا و خلّفتى عن الحضور كذا- و أدلى بعذر- فأعطاه الخمسمائة التى له^{٤٥٩}.

و فى (عقد ابن عبد ربه): قال غندر: حدثنا شعبه عن عمرو بن مرة قال:

سمعت عبد الله بن سلمة- و كان مع على عليه السلام يوم الجمل- و الحرث بن سويد- و كان مع طلحة و الزبير- و تذاكرا وقعة الجمل، فقال الحرث: و الله ما رأيت مثل يوم الجمل، لقد أشرعوا رماحهم فى صدورنا و أشرعنا رماحنا فى صدورهم، و لو شاءت الرجال أن تمشى عليها لمشت، فو الله لوددت أنى لم أشهد ذلك اليوم، و إننى أعمى مقطوع اليدين و الرجلين. فقال عبد الله بن سلمة:

و الله ما يسرنى أنى غبت عن ذلك اليوم و لا عن مشهد شهده على عليه السلام بحمر النعم^{٤٦٠}.

و فى (غارات الثقفى): فى كتابه عليه السلام إلى أهل مصر و إلى محمد بن أبي بكر: إن الله عزّ و جلّ يعطى العبد على قدر نيّته، و إذا أحبّ الخير و أهله و لم يعمله كان كمن عمله، فإنّ النبىّ صلى الله عليه و آله قال حين رجع من تبوك: إن بالمدينة لأقواما ما سرتهم من مسير و لا هبطتهم من واد إلا كانوا معكم، ما حبسهم إلا المرض، يقول: كانت لهم نية^{٤٦١}.

هذا و فى (بلاغات البغدادى) و (عقد ابن عبد ربه): قال معاوية لزرّاء الهمدانية- بعد أن كتب إلى عامله بإيفادها و ذكره لها حضّا فى صفين عليه و خطبها فى ذلك:- و الله يا زرّاء لقد شركت عليّا فى كل دم سفكه. فقالت:

أحسن الله بشارتك مثلك من بشر بخير و سر جليسه. فقال لها معاوية: و قد

^{٤٥٧} (٤) خصائص أمير المؤمنين: ٣١٩ ح ١٨٤.

^{٤٥٨} (٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٥٠.

^{٤٥٩} (١) مروج الذهب ٢: ٣٨٠.

^{٤٦٠} (٢) العقد الفريد ٥: ٧٥.

^{٤٦١} (٣) الغارات ١: ٢٢٩-٢٣٠.

ص: ١٦٩

سرّك ذلك؟ قالت: نعم و الله لقد سرّني قولك، فإنّي بتصديق الفعل. فقال لها معاوية: و الله لوفاءؤكم لعلّي بعد موته أعجب إليّ من حبكم له في حياته^{٤٦٢}.

و لقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام، هكذا في (المصرية)^{٤٦٣}، و الصواب:

(قوم) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{٤٦٤}.

«في أصلاب الرجال و أرحام النساء» منهم السيّد الحميري حيث يقول:

إنّي ادين بما دان الوصىّ به
و شاركت كفّه كفى بصفينا
في سفك ما سفك منها إذا احتضروا
و أبرز الله للقسط الموازيها
تلك الدماء يا ربّ في عنقي
ثم اسقني مثلها آمين آمينا

و في (العقد): كانت الشيعة من تعظيمهم له يلقون له و سارا بمسجد الكوفة فينشدهم^{٤٦٥}.

قال بعض الشيعة:

إنّي ادين بحب آل محمّد
و بني الوصىّ شهودهم و الغيب
و أنا البرىء من الزبير و طلحة
و من التى نبحت كلام الحوب^{٤٦٦}

«سير عَف» الرعاف: خروج الدم من الأنف، «بهم الزمان و يقوى بهم الايمان» قال ابن أبي الحديد: قال الشاعر:

^{٤٦٢} (١) العقد الفريد ١: ٣٤٦ - ٣٤٩.

^{٤٦٣} (٢) نهج البلاغة ١: ٣٩.

^{٤٦٤} (٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٧، و لكن في شرح ابن ميثم ١: ٢٨٨: أقوام أيضا.

^{٤٦٥} (٤) العقد الفريد ٥: ٩١.

^{٤٦٦} (٥) العقد الفريد ٥: ٧٩.

و ما رعى الزمان بمثل عمرو

و لا تلد النساء له ضريبا^{٤٦٧}

قلت: و قيل لاعرأى كيف ابنك؟- و كان عاقا- فقال: عذاب رعى به الدهر

ص: ١٧٠

فليتني قد أودعته القبر، فإنه بلاء و لا يقاومه الصبر، و فائدة لا يجب فيها الشكر. و لبعضهم فى شعر كتبه بالقلم:

و بيت على ظهر المطى بنيته

باسمر مشقوق الخياشيم مرف

و وجه قوله عليه السلام: إن كل من رضى بعمل آخر من خير أو شر فكأنه عمله، و لذا نسب الله تعالى عقر ناقة صالح إلى جميع قومه، فقال سبحانه:

«فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَلَا يَخَافُ عِقَابَهَا»^{٤٦٨}، مع أن العاقر كان واحدا و هو قidar، لرضى باقيهم بعمله.

و حينئذ فكما أن من كان هواه معه عليه السلام، كان كمن شهده فى عسكره، كان من كان هواه مع مخالفه كأنه شهد حربه فى عسكر عايشة، و إخواننا السنة لا يستوحشون من ذلك، ففى سنة (٣٦٣) كما فى (الجزرى): حملوا امرأة على جمل و سموها عايشة و سمى بعضهم نفسه طلحة و بعضهم الزبير، و قاتلوا شيعة بغداد و جعلوا يقولون: نقاتل أصحاب على بن أبى طالب^{٤٦٩}.

و فى عصرنا كان المصريون يأتون فى كل سنة بمحمل باسمها إلى مكة، حتى منعتهم الوهابية بعد غلبتهم على الحجاز- و نرضى لهم ما رضوا لأنفسهم.

هذا و فى (تذكرة سبط ابن الجوزى): أنشدنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله البندنجى البغدادى، قال: أنشدنا بعض مشايخنا أن ابن الهبارية الشاعر اجتاز بكر بلاء فجعل يبكى على الحسين عليه السلام و قال:

أ حسين و المبعوث جدك بالهدى

قسما يكون الحق عند مسائلى

^{٤٦٧} (٦) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٤٧.

^{٤٦٨} (١) الشمس: ١٤-١٥.

^{٤٦٩} (٢) الكامل ٧: ٥١، سنة ٣٦٣.

لو كنت شاهد كربلا لبذلت في
تنفس كربك جهد الباذل
و سقيت حد السيف من أعدائكم
عللا و حد السمهرى الذابل
لكننى اخرت عنك لشقوتى
فبلا بلى بين الغرى و بابل
هبنى حرمت النصر من أعدائكم
فأقل من حزن و دمع سائل

ثم نام فى مكانه فرأى النَّبىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فى المنام فقال له: يا فلان جزاك الله عنى خيرا، أبشر فإن الله قد كتبك ممّن جاهد بين يدي الحسين^{٤٧٠}.

هذا و عن (المناقب): كان بالمدينة رجل ناصبى فتشيع، فسئل عن السبب؟ فقال: رأيت فى منامى عليّا عليه السّلام، فقال لى: لو حضرت صفّين مع من كنت تقاتل؟ فأطرقت افكّر. فقال: يا خسيس هذه مسألة تحتاج إلى هذا الفكر العظيم، اعطوا قفاه. فصفت حتّى انتبهت و قد ورم قفاه فرجعت إليه^{٤٧١}.

و فى (المناقب): عن أبى هريرة عن النَّبىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قال: «ليرعفن جبار من جبارة بنى اميّة على منبرى هذا» فرئى عمرو بن سعيد بن العاص سال رعاfe على المنبر^{٤٧٢}.

و فى (الخلفاء): ولّى يزيد عثمان بن محمّد بن أبى سفيان الثقفى على المدينة و مكة و على الموسم، فلمّا استولى على المنبر رعى فقال رجل مستقبلة: جئت و الله بالدم، فتلقاه رجل آخر بعمامته فقال: مه و الله عم الناس، ثم قام يخطب فتناول عصا لها شعبتان - فقال: مه شعب و الله أمر الناس^{٤٧٣}.

الخطبة (٩) و من كلام له عليه السّلام:

^{٤٧٠} (١) تذكرة الخواص: ٢٧٣.
^{٤٧١} (٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٢: ١٦٨.
^{٤٧٢} (٣) المصدر نفسه ١: ٩٦.
^{٤٧٣} (٤) الإمامة و السياسة ١: ٢٠٥.

وَقَدْ أَرَعَدُوا وَابْرُقُوا- وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفُشْلُ- وَلَسْنَا نَرَعِدُ حَتَّى نُوَقِّعَ وَلَا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ أَقُول: و رواه المفيد في (جمله الشيخ المفيد- الجمل- ص ٣٣١ و ٣٣٢) أبسط مع اختلاف، فقال: و بلغ أمير المؤمنين عليه السلام لغط القوم و اجتماعهم على حربه فقام خطيباً، ثم قال: إِنَّ طَلْحَةَ وَ الزَّيْبِرَ قَدَمَا الْبَصْرَةَ وَ قَدْ اجْتَمَعَ أَهْلُهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَ بِيَعْتِي، فَدَعَوَاهُمْ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَ خِلَافِي، فَمَنْ أَطَاعَهُمَا مِنْهُمْ فَتَنُوهُ، وَ مَنْ عَصَاهُمَا قَتَلُوهُ، وَ قَدْ كَانَ مِنْ قَتْلِهِمَا حَكِيمٌ بْنُ جَبَلَةَ مَا بَلَغَكُمْ وَ قَتْلَهُمَا السَّبَابِجَةُ، وَ فَعَلَهُمَا بَعْثَمَانُ بْنُ حَنِيفٍ مَا لَمْ يَخَفْ عَلَيْكُمْ، وَ قَدْ كَشَفُوا الْآنَ الْقِنَاعَ وَ آذَنُوا بِالْحَرْبِ. وَ قَامَ طَلْحَةُ بِالْشَّتَمِ وَ الْقَدَحِ فِي أَدْيَانِكُمْ وَ قَدْ أَرَعَدَ (هُوَ) وَ صَاحِبُهُ وَ ابْرُقَا، وَ هَذَا أَمْرَانِ مَعَهُمَا الْفُشْلُ- إِلَى أَنْ قَالَ- وَ لَسْنَا نَرَعِدُ حَتَّى نُوَقِّعَ وَ لَا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ، وَ قَدْ خَرَجُوا مِنْ هَدْيٍ إِلَى ضَلَالٍ وَ دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الرِّضَى وَ دَعَوْنَا إِلَى السُّخْطِ، فَحَلَّ لَنَا وَ لَكُمْ رَدُّهُمْ إِلَى الْحَقِّ بِالْقِتَالِ وَ حَلَّ لَهُمْ بِقِصَاصِهِمُ الْقَتْلَ، وَ قَدْ وَ اللَّهِ مَشَوْا إِلَيْكُمْ ضَرَارًا، وَ أَذَاقُوكُمْ أَمْسَ مِنَ الْجَمْرِ، فَإِذَا لَقَيْتُمُ الْقَوْمَ غَدًا فَاعْذَرُوا فِي الدَّعَاءِ وَ أَحْسَنُوا فِي التَّقِيَّةِ، وَ اسْتَعِينُوا اللَّهَ، وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ.

فقام إليه حكيم بن مناف حتى وقف بين يديه و قال:

أبا حسن أيقظت من كان نائماً و ما كل من يدعى إلى الحق يسمع^{٤٧٤}

و روى (الكافي): عن الحسن بن محبوب: إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب يوم الجمل و قال: و قد كنت و ما اهدد بالحرب و لا ارهّب بالضرب أنصف

ص: ١٧٣

القارة من رامها، فلغيري فليبرقوا و ليرعدوا، فأنا أبو الحسن الذي قللت حدّهم و فرقت جماعتهم^{٤٧٥}.

«و قد أَرَعَدُوا وَ ابْرُقُوا» في (كامل المبرد): زعم الأصمعي أن أَرَعَدَ خطأ، و أن الكميت أخطأ في قوله:

أَرَعَدُوا بَرَقَ يَا يَزِيدَ فما وعيدك لي بضائر^{٤٧٦}

و زعم أن البيت الذي يروى لمهلل:

^{٤٧٤} (١) الجمل للمفيد: ٣٣١-٣٣٢.

^{٤٧٥} (١) الكافي ٥: ٥٣.

^{٤٧٦} (٢) جمهرة اللغة ٢: ٦٣٢.

مصنوع محدث. و روى غير الأصمعي أرعد و أبرق^{٤٧٧}.

و فى (الجمهرة): قال أبو حاتم للأصمعي لا تقول فى التهديد: أرعد و أبرق، و قد قاله الكميت، فقال: هو جر مقانى من أهل الموصل. و قال: وقف علينا أعرابى محرم فقلت: أتقول: أرعد و أبرق؟ فقال: نعم. فأخبرت بذلك الأصمعي فلم يلتفت إليه و أنشدنى:

إذا ما جاوزت من ذات عرق تنية

فقل لأبى قابوس ما شئت فارعد^{٤٧٨}

قلت: و الصواب خطأ الأصمعي، فاستعمال رعد و برق لا يدل على عدم جواز استعمال أرعد و أبرق. فقال ابن السكيت: حكى ابو عبيدة و أبو عمرو اللغتين عن العرب و جوّزه أبو زيد و الفراء و غيرهما، و يدل على بطلان قوله مضافا إلى كلامه عليه السلام و بيت الكميت و قول الأعرابى و بيت مهلهل - و ادعاؤه أنّه مصنوع بلا شاهد - كلامه عليه السلام فى كتابه إلى محمد بن أبى بكر، ففى الطبرى أنّه عليه السلام كتب إليه مشيرا إلى معاوية و عمرو بن العاص (فلا يهلك

ص: ١٧٤

إرعادهما و إبراقهما)^{٤٧٩}، و بيت معاوية بن الضحاک صاحب راية بنى سليم مع معاوية فى صفين:

فلا أرى إلّا تركنا الشام جهرة

و إن أبرق الفجفاج فيها و أرعدا^{٤٨٠}

و بيت معاوية بن أبى سفيان مشيرا إلى ابن عباس:

فأبرق و أرعد ما استطعت فأنتنى

إليك بما يشجيك سبط الأنامل^{٤٨١}

^{٤٧٧} (٣) الكامل فى الأدب للمبرد: ١٠٥٧ مطبعة البابى الحلبي، مصر، ط ١.

^{٤٧٨} (٤) جمهرة اللغة ٢: ٦٣٢.

^{٤٧٩} (١) تاريخ الأمم و الملوك للطبرى ٣: ١٣٠ حوادث، سنة ٣٨.

^{٤٨٠} (٢) وقعة صفين: ٤٦٩.

^{٤٨١} (٣) وقعة صفين: ٤١٦.

ذكر كليهما (صفين نصر). و بيت شاعر تميمي في وقعة الخوارج بالأهواز أيام ابن الزبير كما في كامل المبرد:

فأرعد من قبل اللقاء ابن معمر
و أبرق و البرق اليماني خوَّان

و بيت أعشى همدان في هزيمتهم من الحجاج يوم ابن الأشعث:

و لَمَّا زحفنا لابن يوسف غدوة
و أبرق منا العارضان و أرعدا

و بيت عثمان بن ربيعة كما في (الطبري) في عنوان خبر المرتدين باليمن أيام أبي بكر:

و أبرق بارق لَمَّا التقينا
فَعَادَت خَلْبًا تِلْكَ الْبُرُوقُ^{٤٨٢}

و بيت ابن نبهان في مسلمة كما في (تاريخ ابن أعثم):

و أرعد كتاب اليمامة جهرة
و أكلب فيها باللسان و باليد

و بيت عمرو بن معد يكرب في الأشعث بن قيس و قومه كما في (أمالى القالي):

حبست سراتهم بالضحّ حتّى
أنابوا بعد إبراق و رعد

^{٤٨٢} (٤) تاريخ الطبري سنة ٣: ٣٢٠، ١١.

و بيت عبد الله بن الحرث السهمي الذي اشتهر بالمبرق له كما في

ص: ١٧٥

(الاستيعاب) و (سيرة ابن هشام):

من الأرض برّ و فضاء و لا بحر^{٤٨٣}

إذا أنا لم أبرق فلا يسعني

و في ديوان عمر بن أبي ربيعة:

إلى نحو حيزوم المجرب ذى العقل

من المرعدات الطرف تنفذ عينها

و يدلّ على بطلان قوله حديث المغيرة كما في (نهاية الجرزي): «بليّة الإرعاد» بليّة: ريح فيها ندى أى: لا يزال يرعده و يهدّده^{٤٨٤}.

و قول المختار، ففى (الطبرى): قال ابن العرق: رأيت المختار أشتّر العين فسألته، فقال: شترها ابن زياد، يابن العرق إنّ الفتنّة أرعدت و أبرقت و كان قد أينعت^{٤٨٥}.

و قول الحجاج فى كتابه إلى عبد الملك لمّا أرسل عروّة الزبير إليه ليستخرج منه الأموال - كما فى (العقد)-: كالعارض المبرق لاعدائه^{٤٨٦}.

و مما ورد بلفظ أرعد و أبرق من المتأخرين و إن لم يكن فيه حجية قول أبى العتاهية:

بلؤم الفعّال و قد أرعدوا

مالى أرى الناس قد أبرقوا

^{٤٨٣} (١) سيرة ابن هشام ١: ٣٥٥.

^{٤٨٤} (٢) النهاية ١: ١٥٤، مادة: (بل).

^{٤٨٥} (٣) تاريخ الطبري ٥: ٥٧٢، سنة ٦٤.

^{٤٨٦} (٤) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ٥: ٤٤ - ٤٥ دار الكتاب العربي، بيروت.

و قول إبراهيم بن العباس الصولى كما فى (ديوان العسكرى):

فكن كيف شئت و قل ما تشأ
و أبرق يمينا و أرعد شمالا

و قول السرى الموصلى كما فى (يتيممة الثعالبى):

و من عجب أن الغبيين أبرقا
مغيرين فى أقطار شعرى و أرعدا

و قول آخر كما فى (مناقب السروى):

ص: ١٧٦

سألنا ملحدا إثبات دين فعاندنا و مجمع فى دليله و أرعد ثم أبرق ثم ولى ...

و قال حسين بن عبد الله العباسى لعبد الله بن معاوية الجعفرى كما فى (كتاب الزبيرى):

أبرق لمن يخشى و أرعد
غير قومك بالسلاح

و بالجملة لا ريب فى جواز (أرعد و أبرق) بل أحسنيته من رعد و برق لكثرة الأول و قلة الثانى فلم نقف إلّا على ذاك البيت و ما نسب إلى المتلمس:

فإذا حللت و دون بيتى عادة
فأبرق بأرضك ما بدا لك و ارعد

و ما نسب إلى ابن أحمز:

بأجل ما بعدت عليك بلادنا
فأبرق بأرضك ما بدا لك و ارعد

مع أنَّ الأصل في البيتين واحد فكأنَّ قول: «فأبرق بأرضك ما بدا لك و ارعد» مثل لوقوعه في البيتين. و أما بيت عبيد بن الأبرص لمَّا خيَّره المنذر بن ماء السماء في أنحاء قتله لما لقيه يوم بؤسه كما في (تنبيه البكرى):

و خيّر في ذو البؤس في يوم بؤسه خلا لا أرى في كلها الموت قد رعد

فليس (رعد) فيه للتهديد بل للرعد الحقيقي استعارة.

هذا و قريب من قوله عليه السّلام قول البحترى:

خطروا خطرة الجهم و ساروا في نواحي الظنون سير السراب

و قول الكميت في أزد شنؤه - و سمّوا بارقا كما في (السيرة) لأنهم تبعوا البرق - و أزد شنؤه اندرءوا علينا:

بجمّ يحسبون لها قرونا و ما قلنا لبارق اعتبونا

«و مع هذين الفشل» أي: الجبن، روى الواقدي عن عبد الله بن عمر بن عليّ عن أبيه قال: لمّا سمع أبي أصوات النَّاس يوم الجمل و قد ارتفعت قال لابنه

ص: ١٧٧

محمد: ما يقولون؟ قال: يقولون يا ثارات عثمان. فشدّ عليهم و أصحابه يهشّون في وجهه يقولون: ارتفعت الشمس، و هو يقول: الصبر أبْلغ حجةً ثم قام خطيباً يتوكأ على قوس عريية و قال: أمّا بعد فإنّ الموت طالب حثيث لا يفوته الهارب فأقدموا و لا تتكلوا و هذه الأصوات التي تسمعونها من عدوكم فشل و اختلاف^{٤٨٧}.

و كما أنَّ الإرعاد و الإبراق و الصياح و الجلبة علامة الفشل، كذلك السكوت و الصمت علامة الاطمينان بالغلبة. و لما بعث قريش يوم بدر عمرو بن وهب الجمحي ليرى عسكر النبي صلى الله عليه و آله صعد و صوب ثم رجع إليهم و قال:

نواضح يثرب قد حملت السمَّ الناقع، أما ترونهم خرسى لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الأفاعى ما لهم ملجأ إلّا سيوفهم.

و كان أبو مسلم يقول لقواده إذا أخرجهم: لا تكلموا النَّاس إلّا رمزا و لا تلاحظوهم إلّا شزرا لتمتلى صدورهم من هيبتكم.

«و لسنا نرعد حتّى نوقع و لا نسيل حتّى نمطر» فى (جمل المفيد): قال معاذ بن عبد الله التميمي: لما قدمنا البصرة مع عائشة و أقمنا ندعو النَّاس إلى نصرتنا- إلى أن قال- و تقدم علىّ و الراية بين كتفيه و جرد سيفه و ضرب رجلا فأبان كفه ثم انتهى إلى الجمل و قد اجتمع النَّاس حوله و اختلطوا و أهدقوا به من كل جانب و استجن النَّاس تحت بطان الجمل، فأنظر و الله إلى علىّ يصيح بمحمد بن أبى بكر: «اقطع البطان» و أرى عليّا قد قتل- ممن أخذ بخطام الجمل- عشرة بيده و كلما قتل رجلا مسح سيفه فى ثيابه حتّى صرنا فى أيديهم كأننا غنم نساق فانصرفنا و تلاومنا و ندمنّا^{٤٨٨}.

ص: ١٧٨

و فى (خلفاء ابن قتيبة): شقّ علىّ عليه السّلام فى عسكر القوم يطعن و يقتل ثم خرج و هو يقول: الماء الماء فأتاه رجل بإداوة فيها غسل و قال: الماء لا يصلح لك فى هذا المقام فحسا عليه السّلام منه حسوة ثم قال إنّ عسلك هذا لطائفى. قال الرجل: لعجبا منك، و الله يا أمير المؤمنين لمعرفتك الطائفى من غيره فى هذا اليوم و قد بلغت القلوب الحناجر! فقال له علىّ عليه السّلام: و الله يابن اخى ما ملأ صدر عمك شيء قط و لا أهابه شيء. ثم اعطى الراية لابنه محمد و قال: هكذا فاصنع^{٤٨٩}.

هذا و من أمثالهم (رعدا و برقًا و الجهم جافر) (و بارقة تروق و لا تريق).

١٤

الخطبة (١١٨) و من كلام له عليه السّلام:

أَنْتُمْ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ - وَ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ - وَ الْجُنُنُ يَوْمَ الْبَاسِ - وَ الْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ - بِكُمْ أَضْرَبُ الْمُدْبِرَ وَ أَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ - فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةِ خَلِيئَةٍ مِنَ الْغَشِّ - سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ - فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَوَّلِي النَّاسِ بِالنَّاسِ قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ٢ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ - شرح نهج البلاغة - ج ٧ ص ٢٨٤: ذكر المدائني ١ المدائني - كتاب المدائني - و الواقدي ١ الواقدي - كتاب الواقدي - فى كتابيهما أنّ هذا الكلام قاله عليه السّلام للأنصار بعد فراغه من حرب الجمل^{٤٩٠}.

«أنتم الانصار على الحق» لما أحسّ عليه السّلام من قريش و أتباع معاوية اتّباع الباطل قال عليه السّلام ذلك لأنصاره، كما حكى تعالى عن عيسى عليه السّلام فى قوله: «فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ»

^{٤٨٨} (٢) الجمل للمفيد: ٣٧٣-٣٧٤.

^{٤٨٩} (١) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١: ٧٦ طبع البابي الحلبي، سنة ١٩٦٩ القاهرة.

^{٤٩٠} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٨٤.

«الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ»^{٤٩١}.

«و الإخوان في الدين» فكانوا مؤمنين و قد قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»^{٤٩٢}.

«و الجنن يوم البأس» أى: كما أن الترس يحفظ صاحبه فى الحرب كذلك أنتم.

«و البطانة دون الناس» كناية عن كونهم خواصه عليه السلام.

«بكم أضرب المدير» أهل صفين كما ضرب بهم أهل الجمل.

«و أرجو طاعة المقبل» فالحق به عليه السلام جمع كثير لما كان له أولئك الأنصار و أطاعوه و لولاهم لما كان ذلك.

«فأعينونى بمناصحة خلية من الغش سليمة من الريب» روى (أمالى المفيد) عن أبى مخنف: أن أمير المؤمنين عليه السلام لما قدم من البصرة إلى الكوفة قال قعد عن نصرى رجال منكم و أنا عليهم عاتب فاهجروهم و أسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا أو نرى منهم ما نرضى. فقام إليه أبو بردة الأزدي - و كان عثمانيا تخلف عنه يوم الجمل و حضر معه يوم صفين نية فى نصرته - فقال له عليه السلام: أرايت القتلى حول عايشه و طلحة و الزبير بم قتلوا؟

فقال عليه السلام بما قتلوا شيعتى و عمالى و بقتلهم أخا ربيعة العبدى رضى الله عنه فى عصابة من المسلمين قالوا لا ننكث البيعة و لا نغدر كما غدرتم فوثبوا عليهم فقتلوهم ظلما و عدوانا فسألتهم أن يدفعوا إلى قتل أخوانى لنقتلهم بهم، ثم كتاب الله بينى و بينهم فأبوا على و قاتلونى و فى أعناقهم بيعتى و دماء نحو ألف من شيعتى فقتلتهم بذلك. أفى شك أنت من ذلك؟ قال: كنت فى شك، و أمّا

الآن فقد عرفت و استبان خطأ القوم و إنك المهتدى المصيب - و كان مع حضوره صفين يوافق و يكاتب معاوية سرا، فلما ظهر معاوية اقطعه قطيعة بالفلوجة^{٤٩٣}.

و فى (صفين نصر) عن محمد بن مخنف قال: دخلت مع أبى على على عليه السلام حين قدم من البصرة فإذا بين يديه رجال يؤنبهم و يقول لهم: ما بطا بكم عنى و أنتم أشراف قومكم و الله لئن كان من ضعف النية و تقصير البصيرة إنكم لبود و و الله لئن كان من شك فى فضلى و مظاهرة على إنكم لعدوا قالوا: حاش لله نحن سلمك و حرب عدوك. ثم اعتذر القوم. فنظرت إليهم فعرفتهم فإذا عبد الله بن معتمر العيسى و إذا حنظلة التميمي و أبو بردة الأزدي و غريب الهمداني. و نظر على إلى أبى فقال:

^{٤٩١} (١) آل عمران: ٥٢.

^{٤٩٢} (٢) الحجرات: ١٠.

^{٤٩٣} (١) أمالى المفيد: ١٢٧ - ١٢٩.

لكن مخنف بن سليم وقومه لم يتخلفوا ولم يكن مثلهم مثل القوم الذين قال تعالى فيهم: «وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً»^{٢٩٤}.

«وَاللَّهُ إِنِّي لأولى الناس بالناس» روى ابراهيم الثقفى - كما فى (أمالى المفيد) - أن عبد الرحمن بن أبى ليلى قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال إننى سائلك لآخذ عنك وقد انتظرنا أن تقول من أمرك شيئاً فلم تقله، ألا تحدثنا عن أمرك أكان بعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله أو شىء رأيته، فإننا قد أكثرنا فيك الأقاويل وأوثقه عندنا ما سمعناه من فيك إننا كنا نقول لو رجعت إليكم بعد النبى صلى الله عليه وآله لم ينازعكم فيها أحد، والله ما أدري إذا سئلت ما أقول: أزعم أن

ص: ١٨١

القوم كانوا أولى بما كانوا فيه فعلام نصبك النبى صلى الله عليه وآله بعد حجة الوداع:

فقال «أيها الناس من كنت مولاه فعلى مولاه» وإن كنت أولى منهم بما كانوا فيه فعلام نتولاهم؟ فقال يا عبد الرحمن إن الله تعالى قبض نبيه يوم قبضه وأنا يوم قبضه أولى الناس منى بقميصى هذا، وقد كان من النبى صلى الله عليه وآله إلى عهد لو خزمنى بأنفى لأقررت سمعا وطاعة وإن أول ما انتقصناه بعد إبطال حقنا فى الخمس فلما رقى امرنا طمعت رعيان البهم من قريش فينا. فقال عبد الرحمن: أنت يا أمير المؤمنين لعمرك كما قال الأول:

و أسمعت من كانت له اذانان^{٢٩٥}

لقد أيقظت من كان نائما

١٥

الكتاب (٢٩) و من كتاب له عليه السلام إلى أهل البصرة:

وَقَدْ كَانَ مِنْ انْتِشَارِ حَيْلِكُمْ وَ شِقَاقِكُمْ - مَا لَمْ تَغْبُوا عَنْهُ - فَفَعَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ وَ رَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ - وَ قَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ - فَإِنْ خَطَّتْ بِكُمْ الْأُمُورُ الْمُرْدِيَّةُ - وَ سَفَهَ الْأَرَاءِ الْجَائِرَةُ إِلَى مُنَابَذَتِي وَ خِلَافِي - فَهَذَا أَنَا ذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي وَ رَحَلْتُ رِكَابِي - وَ لَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ - لَأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً - لَا يَكُونُ؟ يَوْمُ الْجَمَلِ؟ إِلَيْهَا إِلَّا كَلْعَقَةً لَاعِقَ - مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لَذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلُهُ - وَلَذِي النَّصِيحَةِ حَقُّهُ - غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَهَمًا إِلَى بَرِيٍّ وَ لَا نَاكِثًا إِلَى وَفِيٍّ أَقُولُ: الْأَصْلُ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا رَوَاهُ اِبْرَاهِيمُ الثَّقَفِيُّ فِي (غَارَاتِهِ اِبْرَاهِيمَ الثَّقَفِي - الْغَارَات - ج ٢ ص ٣٧٣ تا ٤٠٨)^{٢٩٦} -:

^{٢٩٤} (٢) وقعة صفين: ٧- ٨ و الآيات ٧٢- ٧٣ من سورة النساء.

^{٢٩٥} (١) أمالي المفيد: ٢٢٣- ٢٢٤.

^{٢٩٦} (٢) الغارات ٢: ٣٧٣- ٤٠٨، شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٤- ٥٣.

ص: ١٨٢

كتبه عليه السلام إليهم لما بعث معاوية إليهم ابن الحضرمي لأخذ البصرة و حث أهلها على نقض بيعته. فروى عن محمد بن يوسف عن الحسن بن علي الزعفراني عن محمد بن عبد الله بن عثمان عن ابن أبي سيف عن يزيد بن حارثة الأزدي عن عمرو بن محسن أن معاوية لما أصاب محمد بن أبي بكر بمصر و ظهر عليها دعا عبد الله بن عامر الحضرمي فقال له: سر إلى البصرة فإن جل أهلها يرون رأينا في عثمان و يعظمون قتله و قد قتلوا في الطلب بدمه فهم موتورون حنقون لما أصابهم و ودوا لو يجدون من يدعوهم و يجمعهم و ينهض بهم في الطلب بدم عثمان، و احذر ربيعه، و انزل في مضر، و تودد الأزدي فإن الأزدي كلهم معك إلا قليلا منهم و إنهم غير مخالفين.

فقال له ابن الحضرمي: أنا سهم في كنانتك و أنا من قد جربت و عدو أهل حربك و ظهيرك على قتله عثمان فوجهني إليهم متى شئت. فقال: اخرج غدا. فلما كان الليل جلس معاوية و أصحابه فقال لهم: في أي منزل ينزل القمر الليلة؟ قالوا: في سعد الذابح. فأرسل إليه: لا تبرح حتى يأتيك أمرى - إلى أن قال بعد ذكر كتابه إلى عمرو بن العاص مستشيرا به و تصويبه له و أمر معاوية له بالشخص:-

قال عمرو بن محسن: فكنت معه حين خرج فسنح لنا ظبي أعفر مارا عن شمائلنا، فنظرت إليه فو الله لرأيت الكراهية في وجهه ثم مضينا حتى نزلنا البصرة في بنى تميم فسمع بقدمونا أهل البصرة فجاءنا كل من يرى رأى عثمان، فاجتمع إلينا رءوس أهلها، و كان الأمير بالبصرة يومئذ زياد استخلفه ابن عباس و قدم على علي عليه السلام يعزيه عن محمد بن أبي بكر. و أقبل الناس إلى ابن الحضرمي و كثر تبعه ففزع لذلك زياد و هو في دار الإمارة فبعث إلى الحصين بن منذر و مالك بن مسمع و قال: إنكم أنصار أمير المؤمنين و شيعته

ص: ١٨٣

و ثقته، و قد جاءكم هذا الرجل بما قد بلغكم فأجبروني حتى يأتيني أمر أمير المؤمنين، فأما مالك بن مسمع فقال: هذا أمر فيه نظر ارجع إلى من ورائي و استشير.

و أما الحصين فقال: نعم نحن فاعلون و لن نخذلك. فلم ير زياد ما يطمئن إليه.

فبعث إلى صبرة بن سليمان الأزدي فقال له: أنت سيد قومك و أحد عظماء هذا المصر، فإن يكن فيه أحد هو أعظم أهله فأنت ذاك، أفلا تجبروني و تمنعني و تمنع بيت مال المسلمين فإنما أنا أمين عليه. فقال: بلى إن تحملت حتى تنزل داري لمنعك. قال: إني فاعل. فارتحل ليلا حتى نزل دار صبرة و كتب إلى ابن عباس - و لم يكن معاوية ادعى زيادا بعد إنما ادعاه بعد وفاة علي عليه السلام - للأمين عبد الله بن العباس من زياد بن عبيد، سلام عليك أما بعد فإن عبد الله بن عامر الحضرمي أقبل من قبل معاوية حتى نزل في بنى تميم و نعى ابن عفان و دعا إلى الحرب فباعه جل أهل البصرة فلما رأيت ذلك استجرت بالأزد بصبرة بن سليمان و قومه لنفسى و لبيت مال المسلمين و رحلت من قصر الإمارة فنزلت فيهم، فافزع ذلك إلى أمير المؤمنين ليرى فيه رأيه.

فرجع ذلك ابن عباس إليه فدعا عليه السلام جارية بن قدامة و قال له: تمنع الأزد عاملى و بيت مالى و تشاقتنى مضر و تنابذنى و بنا ابتداها الله بالكرامة و عرفها الهدى و تدعو إلى المعشر الذين حادوا الله و رسوله و أرادوا إطفاء نور الله حتى علت كلمة الله و هلك الكافرون. فقال: ابعثنى إليهم و استعن بالله عليهم. قال: قد بعثك و استعنت به.

قال كعب بن قعين: خرجت مع جارية من الكوفة إلى البصرة فى خمسين رجلا من بنى تميم ما كان فيهم يمانى غيرى، و كنت شديد التشيع،

ص: ١٨٤

فقلت لجارية: إن شئت كنت معك و إن شئت ملت إلى قومي؟ فقال: بل معى فو الله لوددت أن الطير و البهائم تنصرنى عليهم فضلا عن الإنس.

قال كعب: إن عليا عليه السلام كتب مع جارية- و قال اقرأه على أصحابك:-

من عبد الله أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابى هذا من ساكنى البصرة من المؤمنين و المسلمين سلام عليكم أما بعد فإن الله حليم ذو أناء، لا يعجل بالعقوبة قبل البينة، و لا يأخذ المذنب عند أول وهلة و لكنه يقبل التوبة و يستديم الإنابة و يرضى بالإنابة ليكون أعظم للحجة و أبلغ فى المعذرة، و قد كان من شقاق جلكم، أيها الناس ما استحققتم أن تعاقبوا عليه ف عفوت عن مجرمكم، و رفعت السيف عن مدبركم و قبلت من مقبلكم و أخذت ببيعكم فإن تفوا ببيعتي و تقبلوا نصيحتي و تستقيموا على طاعتي أعمل فيكم بالكتاب و قصد الحق، و أقيم فيكم سبيل الهدى، فو الله ما أعلم أن واليا بعد محمد صلى الله عليه و آله أعلم بذلك منى و لا أعلم بقوله منى، أقول قولى هذا صادقا غير ذام لمن مضى و لا منتقضا لأعمالهم و إن حطت بكم الامور المردية و سفه رأى الجائر إلى منابذتى تريدون خلافى فيها أنا ذا قرئت جياذى و رحلت ركابى، و ايم الله لئن ألجأتمونى إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل عندها إلّا كلعقة لاعق، و إني لظان ألّا تجعلوا إن شاء الله على أنفسكم سبيلا، و قد قدمت هذا الكتاب إليكم حجة عليكم و لن أكتب إليكم من بعده كتابا إن استغششتهم نصيحتى و نابذتم رسولى حتى أكون أنا الشاخص نحوكم و السلام. فلما قرأ الكتاب على الناس قام صبره بن سليمان فقال: سمعنا و أطعنا و نحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب، و لمن سالم سلم، إن كفيت يا جارية قومك بقومك فذاك و إن أحببت أن ننصرك نصرناك. و قام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك و نحوه فلم يأذن لأحد منهم أن يسير معه و مضى نحو بنى تميم.

ص: ١٨٥

فقام زياد فى الأزد فقال: يا معشر الأزد إن هؤلاء كانوا أمس سلما فأصبحوا اليوم حربا و إنكم كنتم حربا فأصبحتم سلما و إننى و الله ما اخترتكم إلّا على التجربة و لا أقمت فيكم إلّا على الأمل فما رضيتم أن آجرتمونى حتى نصبتم منبرا و سريرا و جعلتم لى شرطا و أعوانا و مناديا و جمعة و ما فقدت بحضرتكم شيئا إلّا هذا الدرهم لا اجيبه اليوم فإن لم اجبه اليوم اجبه غدا إن شاء الله.

فأما جارية فإنه لما كلم قومه فلم يجيبوه و خرج إليهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه و أسمعوه فأرسل إلى زياد و الأزد يستصرخهم و يأمرهم أن يسيروا إليه، فسارت الأزد بزياد و خرج إليهم ابن الحضرمي و على خيله عبد الله بن خازم السلمي فاقتتلوا ساعة و أقبل شريك بن الأعور الحارثي - و كان من شيعة علي عليه السلام و صديقا لجارية - فقال: ألا نقاتل معك عدوك؟ فقال: بلى. فما لبثوا بنى تميم أن هزموهم و اضطروهم إلى دار سنبل السعدى و حصروا مائتى رجل من بنى تميم و معهم عبد الله بن خازم السلمي فجاءت أمه و هى سوداء حبشية، فنادته فأشرف عليها فقالت: يا بنى انزل إلى.

فأبى. فكشفت رأسها و ألقت قناعها و سألته النزول فأبى. فقالت. و الله لتنزلن أو لأتعرين - و أهوت بيدها إلى ساقها - فلما رأى ذلك نزل فذهبت به. و أحاط جارية و زياد بالدار و قال جارية: على بالنار. فقالت الأزد: لسنا من الحريق بالنار فى شيء فهم قومك و أنت أعلم. فحرق جارية الدار فهلك ابن الحضرمي فى سبعين رجلا أحدهم عبد الرحمن بن عمير بن عثمان القرشى ثم التميمي و سمي جارية منذ ذلك اليوم محرقة. و سارت الأزد بزياد حتى أو طؤوه قصر الإمارة و معه بيت المال و كتب زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام: أما بعد فإن جارية بن قدامة - العبد الصالح - قدم من عندك فناهض جمع بن الحضرمي

ص: ١٨٦

بمن نصره و أعانه من الأزد فضضه و اضطره إلى دار من دور البصرة فى عدد كثير من أصحابه فلم يخرج حتى حكم الله تعالى بينهما فقتل ابن الحضرمي و أصحابه منهم من احرق بالنار و منهم من القى عليه جدار و منهم من هدم عليه البيت من أعلاه و منهم من قتل منهم بالسيف و سلم منهم نفر أنابوا^{٤٩٧}.

و من الغريب أن ابن أبى الحديد غفل عنه هنا و نقله فى موضع آخر بلا ربط^{٤٩٨} و لم يتفطن له ابن ميثم أيضا^{٤٩٩}.

«و قد كان من انتشار حبلكم و شقاقكم ما لم تغبوا عنه» فى (الصحيح):

(غيبيت عن الشيء و غيبته أيضا إذا لم يفتن له)^{٥٠٠} و المراد يوم الجمل.

«ففعوت عن مجرمكم» بنكت البيعة و نصب الحرب.

«و رفعت السيف عن مدبركم» فأمر عليه السلام ذاك اليوم أن ينادى: لا يتبعن مولاً و لا يجهز على جريح.

«و قبلت من مقبلكم» فأمر عليه السلام أن ينادى: من ألقى السلاح فهو آمن و من أغلق بابه فهو آمن.

«فإن خطت بكم» أى: جاوزتكم من الخطوة ما بين القدمين.

^{٤٩٧} (١) الغارات ٢: ٣٧٣ - ٤٠٨، شرح ابن أبى الحديد ٤: ٣٤ - ٥٣.

^{٤٩٨} (٢) نقله ابن أبى الحديد فى شرح النهج ٤: ٣٤ - ٥٣.

^{٤٩٩} (٣) انظر شرح ابن ميثم على النهج ٤: ٤٤٧ - ٤٤٨.

^{٥٠٠} (٤) الصحيح ٦: ٢٤٤٣، مادة: (غبا).

«الامور المردية» أى: المهلكة.

«و سفه الآراء الجائرة» أى: العادلة عن الحق.

«إلى منابذتى» أى: مكاشفتى بالحرب.

«و خلافتى» أى: مخالفتى.

«فها أنا ذا قد قربت جياذى» جمع الجواد، أى: الفرس الرائع.

ص: ١٨٧

«و رحلت» من رحلت البعير إذا شددت على ظهره الرحل.

قال الأعشى:

رحلت سمية غدوة أجمالها
غضبي عليك فما تقول بدا لها

و قال المثقب العبدى:

إذا ما قمت أرحلها بليل
تأوه آهه الرجل الحزين

«ركابى» فى (الصاح): الركاب الإبل التى يسار عليها، الواحدة راحلة و لا واحد لها من لفظها^{٥٠١}.

هذا و فى (المعجم): كتب إبراهيم بن العباس الصولى من قبل المتوكل إلى أهل حمص رسالة عجب المتوكل من حسننها و هى: أمّا بعد فإنّ الخليفة يرى من حق الله عليه بما قوم به من أود و عدل به من زيغ و لمّ به من منتشر استعمال ثلاث يقدم بعضهن أمام بعض، اولاهن ما يتقدم به من تنبيه و توقيف ثم ما يستظهر به من تحذير و تخويف، ثم التى لا يقع حسم الداء بغيرها:

أناء فإن لم تغن عقب بعدها
وعيدا فإن لم يغن أغنت عزائم^{٥٠٢}

^{٥٠١} (١) الصاح ١: ١٣٨، مادة: (ركب).

^{٥٠٢} (٢) معجم الأبناء لياقوت الحموي ١: ١٨٦ ترجمة رقم ١٦، دار الفكر بيروت.

«و لئن الجأتموني إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعاً لا يكون يوم الجمل إليها إلّا كلعقة لاقق» أى: لحس لا حس بالنسبة إلى أكل كامل.

فى (الأغاني): عن الشعبي أنّه أتى البصرة أيام ابن الزبير فجلس فى المسجد إلى قوم من تميم فيهم الأحنف بن قيس فتذكروا أهل البصرة و أهل الكوفة و فاخروا بينهم، فقال بصرى: و هل أهل الكوفة إلّا خولنا؟

استنقذناهم من عبيدهم - يعنى الخوارج - قال الشعبي: فهجس فى صدرى

ص: ١٨٨

أن تمثلت قول أعشى همدان:

أ فخرتم أن قتلتم أعبدا	و هزمتم مرة آل عزل
نحن سقناهم إليكم عنوة	و جمعنا أمركم بعد شمل
فإذا فاخرتمونا فاذكروا	ما فعلنا بكم يوم الجمل
بين شيخ خاضب عشونه	و فتى أبيض وضاح رفل
جاءنا يرفل فى سابعة	فذبحناء ضحى ذبح الحمل
و عفونا فنسيتم عفونا	و كفرتم نعمة الله الأجل

فضحك الأحنف، ثمّ قال: يا أهل البصرة! قد فخر عليكم الشعبي و صدق و انتصف فأحسنوا مجالسته^{٥٠٣}.

«مع أنّى عارف لذى الطاعة منكم فضله و لذى النصيحة حقه». قد عرفت أنّ فى هذه المرّة كانت الأزد ذووا طاعة و رئيسهم صبرة بن سليمان الأزدي ذا نصيحة.

«غير متجاوز متّهما إلى برىء و لا ناكثا إلى وفّى» فإنّ التجاوز عمل الجبارة، فكان زياد و ابن زياد و الحجاج يأخذون البرىء بالسقيم و لا يراعون قوله تعالى: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»^{٥٠٤}.

^{٥٠٣} (١) الأغاني ٦: ٥٤ - ٥٥.

وكان الحجاج أمر الناس باللحوق بالمهلب فقام اليشكري و قال: بى فتق رآه بشر بن مروان فعذرني. فأمر بقتله.

و مرّ في (١١) من الفصل التاسع في الملاحم قوله عليه السّلام «كنتم جند المرأة...».

ص: ١٨٩

الفصل الثاني و الثلاثون في القاسطين و ما يتعلق بصفين

ص: ١٩١

١

الكتاب (٨) و من كتاب له عليه السّلام إلى جرير بن عبد الله البجليّ لما أرسله إلى معاوية:

أَمَّا بَعْدُ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ؟ مُعَاوِيَةُ؟ عَلَى الْفَضْلِ - وَ خُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ - ثُمَّ خَيْرُهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُّجَلِيَّةٍ أَوْ سِلْمٍ مُّخْزِيَّةٍ - فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ - وَإِنْ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بِبَيْعَتِهِ وَ السَّلَامُ أَقُولُ: رواه (صفين نصر بن مزاحم - صفين - ص ٥٥ نصر) ^{٥٠٥} و (عقد ابن عبد ربّه - العقد الفريد - ج ٣ ص ٨٠ ابن عبد ربّه) ^{٥٠٦}، و في الثاني: «و خيره بين حرب معضلة» في (العقد): «مجلبه» رواه في عنوان اخبار على و معاوية.

قول المصنّف: «و من كتاب له عليه السّلام إلى جرير بن عبد الله البجليّ» عدوه في الطوال، ففي (معارف ابن قتيبة) يتفل في ذروة البعير من طوله، و كانت

ص: ١٩٢

نعله ذراعاً، و قال: اعتزل عليّاً عليه السّلام و معاوية و أقام بالجزيرة و نواحيها حتى توفي بالشراء سنة (٥٤).

«لَمَّا أَرْسَلَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ» عن (موفقيات ابن بكار): لَمَّا أَرْسَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقَامَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

و في (تاريخ اليعقوبي) ^{٥٠٧} أنّ الأشتر منع عليّاً عليه السّلام من إرسال جرير إلى معاوية، و قال: هواه هواهم و نيّته نيّتهم. فقال عليه السّلام: دعه يتوجه فإنّ نصح كان ممّن أدّى أمانته، و إن داهن كان عليه وزر من أوّتمن و لم يؤدّ الأمانة.

و يا ويحهم مع من يميلون و يدعونني! فو الله ما أردتهم إلّا على إقامة الحقّ، و لم يردهم غيري إلّا على باطل.

^{٥٠٤} (٢) فاطر: ١٨.

^{٥٠٥} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٥.

^{٥٠٦} (٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه ٣: ٨٠.

^{٥٠٧} (١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٨٤.

هذا، و في (الأغاني)^{٥٠٨}: قال علي بن زيد: قال لي الحسن البصري: قول الشاعر:

نعم الفتى و بئس القبيله

لو لا جرير هلكت بجيله

أهجاه أم مدحه؟ قلت: مدحه و هجا قومه. فقال: ما مدح من هجى قومه.

قوله عليه السّلام: «أما بعد، فإذا اتاك كتابي، فاحمل معاوية على الفصل و خذه بالأمر الجزم» - إلى قوله - «فخذ بيعته» روى هذا الكتاب نصر بن مزاحم في (صفينه)^{٥٠٩}، فقال: و في حديث محمد و صالح بن صدقة قالوا: و كتب عليّ عليه السّلام إلى جرير بعد ذلك: أما بعد، فإذا أتاك كتابي هذا، فاحمل معاوية على الفصل، و خذه بالأمر الجزم، ثم خيره بين حرب مجلية أو سلم محظية. فلما انتهى الكتاب إلى جرير، أتى معاوية فأقرأه الكتاب، و قال له: إنه لا يطبع على قلب إلا بذنب، و لا ينشرح

ص: ١٩٣

إلا بتوبة، و لا أظنّ قلبك إلا مطبوعا، أراك قد وقفت بين الحق و الباطل كأنك تنتظر شيئا في يدي غيرك. فقال معاوية: ألقاك بالفيصل أول مجلس. فلما بايعه أهل الشام، قال: الحق بصاحبك. و كتب إليه بالحرب.

و قال نصر^{٥١٠} أيضا: قال الشعبي إن عليّا عليه السّلام حين قدم من البصرة، نزع جريرا عن همدان، فأراد عليّ عليه السّلام أن يبعث إلى معاوية رسولا، فقال له جرير:

ابعتني، فإن معاوية لم يزل لي مستنصحا و وادا- إلى أن قال- قال عليه السّلام له: إيت معاوية بكتابي فإن دخل في ما دخل فيه المسلمون، و إلا فانبذ إليه، و اعلم أنّي لا أرضى به أميرا و أنّ العامة لا ترضى به خليفة. فانطلق حتى أتى الشام، و قال: يا معاوية إنه قد اجتمع لابن عمك أهل الحرمين، و أهل المصرين، و أهل الحجاز، و أهل اليمن، و أهل مصر، و أهل العروش، و عمان، و أهل البحرين، و اليمامة، و لم يبق إلا هذه الحصون التي أنت فيها لو سال عليها سيل من أوديته غرقها- إلى أن قال- خطب معاوية و قال: أيها الناس قد علمتم أنّي خليفة عمر، و أنّي خليفة عثمان، و أنّي وليه و قد قتل مظلوما و الله يقول: «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا»^{٥١١} و أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان. فقاموا بأجمعهم، و أجابوا إلى الطلب بدمه، و بايعوه على ذلك.

^{٥٠٨} (٢) الأغاني ٢١: ٣٠٥.

^{٥٠٩} (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٥.

^{٥١٠} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٧.

^{٥١١} (٢) الاسراء: ٣٣.

و فى (خلفاء ابن قتيبة)^{٥١٢}: ذكروا أنَّ معاوية قال لجريـر: رأيت رأيا، أكتب إلى على أن يجعل لى الشام و مصر، فإن حضرته الوفاة لم يجعل لأحد من بعده فى عنقى بيعة، و أسلّم إليه هذا الأمر، و أكتب إليه بالخلافة. قال جريـر:

ص: ١٩٤

أكتب ما شئت. فكتب معاوية إليه عليه السّلام يسأله ذلك. و ذكروا أنَّ عليّا عليه السّلام كتب إلى جريـر. أما بعد، فإن معاوية إنّا أراد بما طلب ألا يكون لى فى عنقه بيعة، و أن يختار من أمره ما أحب، و قد كان المغيرة أشار علىّ- و أنا بالمدينة- أن أستعمله على الشام. فأبيت ذلك عليه، و لم يكن الله ليرانى أن أتخذ المضلّين عضدا، فإن بايعك الرجل، و إلّا فأقبل.

ثمّ يظهر ممّا نقلنا من مستند الكتاب من خبر محمد و صالح أنَّ كلمة (هذا) سقطت من المصنّف فى قوله: «كتابى هذا»، فالمقام يقتضيه، و ان كلمة (مخزية) فى كلامه مصحفة (محظية) و كيف تكون السلم مخزية و قد قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً»^{٥١٣}! و فى (الصّحاح): السلم: الصلح، يفتح و يكسر، و يذكر و يؤنث. و الحرب تؤنث، و قال المبرد: قد تذكر، و أنشد:

مرجم حرب تلتقى حرايه

و هو إذا الحرب هفا عقابه

هذا، و مر فى فصل عثمان قوله عليه السّلام: «إنّ استعدادى لحرب أهل الشام و جريـر عندهم إغلاق للشام، و صرف لأهله عن خير إن أرادوه، و لكن قد وقت لجريـر وقتا لا يقيم بعده إلّا مخدوعا أو عاصيا، و الرأى عندى مع الأناة، فارودوا و لا أكره لكم الاعداد، و لقد ضربت أنف هذا الأمر و عينه، و قلبت ظهره و بطنه، فلم أرلى إلّا القتال أو الكفر» مع شرحه.

٢

الخطبة (٤٨) و من خطبة له عليه السّلام عند المسير إلى الشام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَ غَسَقَ - وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَ خَفَقَ

ص: ١٩٥

وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْضُودِ الْإِنْعَامِ وَ لَا مُكَافَأِ الْإِفْضَالِ - أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي - وَ أَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي - وَ قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ - مُوْطِنِينَ أَكْنَافَ دِجْلَةٍ - فَأَنْهَضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ - وَ أَجْعَلَهُمْ مِنْ

^{٥١٢} (٣) الخلفاء لابن قتيبة ١: ٩٥.

^{٥١٣} (١) البقرة: ٢٠٨.

أمدادِ القُوَّةَ لَكُمْ قال ^{٥١٤} الشريف: أقول: يعنى عليه السَّلام بالملطاط السمت الذى أمرهم بنزوله، و هو شاطئ الفرات، و يقال: ذلك الشاطئ البحر، و أصله ما استوى من الأرض.

و يعنى بالنطفة ماء الفرات، و هو من غريب العبارات و أعجبها.

قول المصنّف: «و من خطبة له عليه السَّلام عند المسير الى الشام» هكذا فى (المصرية) ^{٥١٥}، و يصدقه ابن ميثم ^{٥١٦}، و لكن ابن أبى الحديد ^{٥١٧} بدل «خطبة» بقوله: «كلام» و ليس بصواب، حيث إنّه قال بعد: و هذه الخطبة خطب عليه السَّلام بها و هو بالنخيلة، خارجا من الكوفة متوجها الى صفين، لخمسة بقين من شوال، ذكرها جمع من أهل السير، و زادوا فى الخطبة: «و قد أمرت على مصر عقبه بن عمرو، و لم آلكم و لا نفسى، فإياكم و التخلّف و التريّص، فإنى قد خلفت مالك بن حبيب اليربوعى، و أمرته: ألا يترك متخلفا إلّا لحقه بكم عاجلا.

و روى نصر بن مزاحم نصر بن مزاحم - صفين - ص ١٣٢^{٥١٨} عوض قوله: «إلى عدوكم». «إلى عدو الله».

قال نصر: فقام إليه معقل بن قيس الرياحى، فقال له عليه السَّلام: ما يتخلّف عنك إلّا ظنين، و لا يتربص بك إلّا منافق، فمر مالك بن حبيب يضرب أعناق المتخلفين.

ص: ١٩٦

فقال عليه السَّلام: قد أمرته بأمرى و ليس بمقصر إن شاء الله.

قلت: المستفاد من (صفين) ^{٥١٩} نصر بن مزاحم) أنّه عليه السَّلام انما خطب وقت خروجه من النخيلة من العنوان بقوله: «الحمد لله غير مفقود الانعام...» و أما قوله عليه السَّلام فى صدرها: «الحمد لله كلّما وقب ليل و غسق، و الحمد لله كلّما لاح نجم و خفق»، فكان بعد شخوصه عليه السَّلام من النخيلة و نزوله على شاطئ البرس، بين حمام أبى بردة و حمام عمر بعد صلاته عليه السَّلام المغرب بالناس. قال نصر:

فلما انصرف من الصلاة قال: «الحمد لله الذى يولج الليل فى النهار. و يولج النهار فى الليل الحمد لله كلّما وقب ليل و غسق، و الحمد لله كلّما لاح نجم و خفق» ثم أقام حتّى صلى الغداة.

و قول ابن أبى الحديد ^{٥٢٠}: «لخمسة بقين» مصحف: «لخمسة مضيّن».

^{٥١٤} (١) شرح ابن أبى الحديد ٣: ٢٠١.

^{٥١٥} (٢) الطبعة المصرية: ٩٣ الخطبة ٤٨.

^{٥١٦} (٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٢٥.

^{٥١٧} (٤) شرح ابن أبى الحديد ٣: ٢٠١.

^{٥١٨} (٥) صفين لنصر بن مزاحم: ١٣٢.

^{٥١٩} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ١٣١.

^{٥٢٠} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٣: ٢٠١.

فكذا في (صفين نصر)^{٥٢١}.

و كيف كان، فقال نصر: لما أراد عليّ عليه السّلام الشّخص قام مالك بن حبيب و هو على شرطه فقال: أخرج يا أمير المؤمنين بالمسلمين فتصيبوا أجر الجهاد و القتال و تخلفني في حشر الرجال؟ فقال عليه السّلام له: إنهم لن يصيبوا من الأجر شيئاً إلّا كنت شريكهم فيه، و أنت هاهنا أعظم عناء منك عنهم لو كنت معهم. فقال: سمعا و طاعة.

قوله عليه السّلام: «الحمد لله كلّما وقب ليل» أي: دخل.

«و غسق» أي: أظلم.

«و الحمد لله كلّما لاح نجم» أي: طلع.

ص: ١٩٧

«و خفق» أي: غرب، يقال: وردت خفوق النجم. أي: وقت غروب الثريا.

قال ابن السكيت: الخافقان افقا المشرق و المغرب، لأن الليل و النهار يخفقان فيهما.

«و الحمد لله غير مفقود الإنعام» على كلّ أحد عامّاً و خاصّاً.

«و لا مكافأ الإفضال» و كيف يكافأ - أي: يجازى - إفضاله، و القيام في عبادته بحوله و قوته و توفيقه و الإنفاق في سبيله من ماله؟

«أمّا بعد فقد بعث مقدّمتي» بعثهم عليه السّلام من النخيلة، و هم زياد بن النضر في ستّة آلاف، و شريح بن هاني في ستّة آلاف، و قال لهما - كما في (الطوال للدينوري)^{٥٢٢}: اعلمّا أن مقدّمة القوم عيونهم، و عيون المقدّمة طلائعهم، فإيكما أن تسأما عن توجيه الطلائع، و لا تسيرا بالكتائب و القبائل من لدن مسيركما الى نزولكما إلّا بتعبية و حذر.

«و أمرتهم بلزوم هذا الملطاط» أي: شاطئ الفرات.

«حتى يأتيهم أمرى» في (الطبري)^{٥٢٣}: قد كان زياد بن النضر و شريح بن هاني - و كان عليّ عليه السّلام سرحهما مقدّمة له - أخذاً على شاطئ الفرات من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات، فبلغهما أخذ عليّ عليه السّلام طريق الجزيرة، و على أنّ معاوية قد أقبل في جنود الشام من دمشق لاستقباله، فقالا: و الله ما هذا برأى أن نسير و بيننا و بين أمير المؤمنين عليه السّلام هذا البحر، و مالنا خير في أن نلقى جموع الشام في قلّة من العدد، منقطعين عن المدد. فذهبوا ليعبروا من عانات، فمنعهم

^{٥٢١} (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ١٣١.

^{٥٢٢} (١) الطوال للدينوري: ١٦٦.

^{٥٢٣} (٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٦٦.

أهلها و حبسوا عنهم السفن، فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت، و لحقوا عليا عليه السلام بقرية دون قرقيا، فلمّا لحقوا عليا عليه السلام عجب و قال:

ص: ١٩٨

مقدّمتي تأتي من ورائي! فقال له زياد و شريح ما جرى؟ فقال: قد أصبّتما رشدكما. فلما عبروا الفرات قدّمهما أمامه نحو معاوية، فلقيهما أبو الأعور السلمي في جنود من الشام و هو على مقدّمة معاوية، فدعواه إليه عليه السلام، فأبى فكتبنا إليه بذلك.

«و قد أردت» هكذا في (المصرية)^{٥٢٤} و الصواب: (و قد رأيت) كما في (ابن أبي الحديد)^{٥٢٥} و ابن ميثم^{٥٢٦} و الخطيب.

«ان اقطع هذه النطفة» و الأصل فيها: الماء الصافي، قلّ أو كثر، و المراد:

ماء الفرات.

«الى شزيمة» أي: طائفة.

«منكم موطينين أكناف» أي: جوانب.

«دجلة فأنهضهم» أي: أشخصهم و أقيمهم.

«معكم الى عدوكم و أجعلهم من إمداد» بالكسر، من: أمددت الجيش بمدد، و أمّا الإمداد بالفتح، فجمع المدّ بالضم: ربع الصاع. و قال ابن أبي الحديد:

و الإمداد جمع مدد. و هو كما ترى.

«القوم لكم» ثم الظاهر أنّ المراد (بشزيمة منهم موطينين أكناف دجلة):

أهل المدائن، فروى نصر بن مزاحم^{٥٢٧}: أنّه عليه السلام لما انتهى إليها، أمر الحارث الأعور فصاح في أهل المدائن: من كان من المقاتلة فليواف أمير المؤمنين صلاة العصر. فوافوه في تلك الساعة، فقال عليه السلام لهم: إني قد تعجبت من تخلفكم عن دعوتكم، و انقطاعكم عن أهل مصركم، في هذه المساكن الظالم

ص: ١٩٩

^{٥٢٤} (١) الطبعة المصرية: ٩٣ الخطبة ٤٨.

^{٥٢٥} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠٠.

^{٥٢٦} (٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٢٥، و فيه أيضا: «و قد أردت».

^{٥٢٧} (٤) صفين لنصر بن مزاحم: ١٤٣.

أهلها. لا معروف تأمرون به و لا منكر تنهون عنه. فقالوا: كُنَّا ننتظر أمرَك، مرنا بما أحببت. فسار و خَلَّفَ عليهم عدى بن حاتم، فأقام عليهم ثلاثا ثم خرج إليه عليه السَّلام فى ثمانمائة رجل منهم، و خَلَّفَ عدى ابنه زيدا فلحقه عليه السَّلام فى أربعمائه رجل منهم.

قول المصنّف: «قال الشريف» هكذا فى (المصرية)^{٥٢٨} و لكن فى (ابن أبى الحديد): (قال الرضى) و فى (ابن ميثم)^{٥٢٩}: (قال السيد) و هذا دليل على أنّ أحدا منها ليس كلام المصنّف.

«أقول» هكذا فى (المصرية) و هو زائد فليس فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم^{٥٣٠} و الخطيئة).

«يعنى عليه السَّلام بالملطاط» هكذا فى (المصرية) و فيها سقط، و الاصل:

«يعنى عليه السَّلام بالملطاط هاهنا» كما فى ابن (أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيئة) و انما قال: هاهنا لأنّه يأتى فى بعض المواضع بمعنى جلدة الرأس. قال الراجز:

«ننتزع العينين بالملطاط»

«السمت الذى أمرهم بنزوله» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (بلزومه) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم^{٥٣١} و الخطيئة).

«و هو شاطيء» أى: جانب.

«الفرات» و هو أحد نهري العراق.

«و يقال ذلك» أى: الملطاط.

«لشاطئ البحر» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (أيضا لشاطئ البحر)

ص: ٢٠٠

كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم^{٥٣٢} و الخطيئة)، و المراد: أن الملطاط لا يختص بشاطيء النهر، بل يقال لشاطئ البحر أيضا.

^{٥٢٨} (١) الطبعة المصرية: ٩٤.

^{٥٢٩} (٢) شرح ابن ميثم ٢: ١٢٥ و ليس فيه: «هاهنا».

^{٥٣٠} (٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٢٥ و فيه: «قال الشريف: أقول».

^{٥٣١} (٤) شرح ابن ميثم ٢: ١٢٥.

^{٥٣٢} (١) شرح ابن ميثم ٢: ١٢٥ و ليس فيه كلمة: «أيضا».

و قول ابن أبي الحديد^{٥٣٣}: «لا معنى لقوله، لأنّه لا فرق بين شاطئ الفرات و شاطئ البحر» بلا معنى ففرق النهر و البحر واضح، و من الغريب أنّه عبر أولا بما فى (الصحاح) غير ناسب إليه: الملطاط حافة الوادى و شفيره و ساحل البحر، قال رؤبة:

نحن جمعنا الناس بالملطاط.

قال الأصمعى: يعنى به ساحل البحر. و قال ابن مسعود: هذا الملطاط طريقة بقيّة المؤمنين هرابا من الدجال - يعنى به شاطئ الفرات -.

ثمّ اعترض على المصنّف بما مرّ، مع أنّه عين كلام المصنّف باختلاف لفظ، فمحصل كلام (الصحاح) أن الملطاط يأتى بمعنى حافة الوادى، أى:

شاطئ النهر، و شاهده حديث ابن مسعود، و بمعنى شاطئ البحر، و شاهده بيت رؤبة، فاذا لم يتدبر فى كلام (الصحاح) الذى جعله من إنشائه لا غرو ألاّ يتدبر فى كلام المصنّف.

كما ان قول ابن أبي الحديد^{٥٣٤}: «و كان الواجب على المصنّف أن يقول:

الملطاط السمّت فى الأرض، و يقال أيضا لشاطئ البحر» غلط فلم يقل أحد: إنّ الملطاط مطلق السمّت.

«و أصله ما استوى من الأرض» بمعنى أنّه يجمع الشاطئين، و فى (الجمهرة): «الملطاط: الغائط من الأرض المظمتن».

«و يعنى عليه السّلام بالنطفة ماء الفرات و هو من غريب العبارات و أعجبها»

ص: ٢٠١

هكذا فى (المصرية)^{٥٣٥}، و الصواب: (و عجيبها) كما فى (ابن أبي الحديد و ابن ميثم^{٥٣٦} و الخطيئة).

٣

الكتاب (١٠) و من كلام له عليه السّلام إليه أيضا:

^{٥٣٣} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠١.

^{٥٣٤} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠١.

^{٥٣٥} (١) الطبعة المصرية: ٩٤.

^{٥٣٦} (٢) شرح ابن ميثم ٢: ١٢٥.

وَ كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ- إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ- مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا وَ خَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا- دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا وَ قَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا- وَ أَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا- وَ إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقْفِكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ- فَاقْعَسْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ- وَ خُذْ أَهْبَةَ الْحِسَابِ وَ شَمْرٌ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ- وَ لَا تُمَكِّنِ الْغَوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ- وَ إِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمُكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ- فَإِنَّكَ مُتَرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَا أَخَذَهُ- وَ بَلَغَ فِيكَ أَمَلُهُ وَ جَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَ الدَّمِ- وَ مَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ؟ سَاسَةُ الرَّعِيَّةِ- وَ وِلَاةُ أَمْرِ الْأُمَّةِ- بَغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ وَ لَا شَرَفٍ بَاسِقٍ- وَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ- وَ أَحْذَرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِيًا فِي غِرَّةِ الْأُمْنِيَّةِ- مُخْتَلِفَ الْعَلَانِيَةِ وَ السَّرِيرَةِ- وَ قَدْ دَعَوْتُ إِلَى الْحَرْبِ فَدَعِ النَّاسَ جَانِبًا- وَ اخْرُجْ إِلَيَّ وَ أَغْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ- لِيُعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ وَ الْمُعْطَى عَلَى بَصَرِهِ- فَأَنَا؟ أَبُو حَسَنٍ؟- قَاتِلُ جَدِّكَ وَ أَخِيكَ وَ خَالِكَ شَدْخَا؟ يَوْمَ بَدْرٍ؟- وَ ذَلِكَ السَّيْفُ مَعِيَ- وَ بِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي- مَا اسْتَبْدَلْتُ دِينًا وَ لَا اسْتَحْدَثْتُ نَبِيًّا- وَ إِنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ- وَ دَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ

ص: ٢٠٢

أقول: رواه نصر بن مزاحم نصر بن مزاحم- صفين- ص ١٠٨^{٥٣٧} إلى قوله: «و قد دعوت إلى الحرب...» مع اختلاف و زيادة و نقصان، فقال في سياق كتبه عليه السلام الى معاوية من الكوفة:

و كتب على عليه السلام الى معاوية: «أما بعد، فإنك قد رأيت مرور الدنيا و انقضاءها و تصرمها بأهلها، و خير ما اكتسب من الدنيا ما أصابه العباد الصالحون منها من التقوى، و من يقس الدنيا بالآخرة يجد بينهما بونا بعيدا، و اعلم يا معاوية أنك قد ادّعت أمرا لست من أهله لا في القدم و لا في الحدث، و لست تقول فيه بأمر يبين تعرف لك به أثر، و لا لك عليه شاهد من كتاب الله، و لا عهد تدّعيه، فكيف أنت صانع إذا انقضت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا قد فتنت بزِينَتِهَا، و ركنت الى لذتها و خلى بينك و بين عدوك فيها، و هو عدوّ كلب مضلّ جاهد ملح مع ما قد ثبت في نفسك من جهتها؟ دعتك فأجبته، و قادتك فاتبعته، و أمرتك فأطعتها، فاقعس عند هذا الأمر، و خذ أهبة الحساب، فإنه يوشك أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن. و متى كنتم يا معاوية ساسة الرعية أو ولاة أمر هذه الامّة، بلا قدم حسن، و لا شرف سابق على قومكم؟

فاستيقظ من سنتك و ارجع الى خالقك، و شمّر لما سينزل بك، و لا تمكّن عدوك الشيطان من بغية فيك. مع أنّي أعرف أنّ الله و رسوله صادقان، نعوذ بالله من لزوم سابق الشقاء، و إلا تفعل فإنني أعلمك ما أغفلت من نفسك: إنك مترف قد أخذ منك الشيطان مأخذه فجرى منك مجرى الدم في العروق، و لست من أئمة هذه الامّة و لا من رعاتها. و اعلم أنّ هذا الأمر لو كان الى الناس أو بأيديهم، لحسدونا و امتنوا به علينا، و لكنه قضاء ممّن منحناه و اختصنا به على لسان نبيّه الصادق المصدّق. لا أفلح من شك بعد العرفان و البيّنة. ربنا احكم بيننا و بين عدونا بالحقّ و أنت خير الحاكمين.

ص: ٢٠٣

و اما قوله عليه السلام: «فدع الناس جانبا الى قوله و بذلك القلب القى عدوى» فرواه المدائني المدائني - كتاب المدائني - مستقلاً. و كيف يكون جزء ذاك الصدر، و ذاك عرفت كتبه عليه السلام من الكوفة، و هذا قاله له في صفين كما سترى؟

و كيف كان، فنقل العنوان عن (تاريخ دمشق ابن عساكر - تاريخ دمشق - ترجمة معاوية ج ٢٥ ص ٣٢ ابن عساكر)^{٥٣٨} في ترجمة معاوية عن الكلبي و لم يحقق الناقل مقداره.

قول المصنف: «و من كتاب له عليه السلام إليه أيضا» و الصواب: (إلى معاوية أيضا) كما في (ابن ميثم)^{٥٣٩}، و كذا في (ابن أبي الحديد)^{٥٤٠}.

قوله عليه السلام «و كيف أنت صانع إذا تكشفت عنك جلايب» أى: ملاحف.

«ما أنت فيه من دنيا قد تبهجت بزيتها و خدعت بلذتها» «و حيل بينهم و بين ما يشتهون كما فعل بأشباعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب»^{٥٤١}.

«دعتك فأجبتها و قادتك فاتبعتها و أمرتك فأطعتها» «يوم يتذكر الإنسان ما سعى و برزت الجحيم لمن يرى فأما من طغى و آثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى»^{٥٤٢}.

«و أنه يوشك» أى: يقرب.

«أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن» هكذا في (المصرية)^{٥٤٣}، و في (ابن أبي الحديد)^{٥٤٤}: «منج». و قال: و في رواية «مجن». و الاولى أصح. و مثله

ص: ٢٠٤

(ابن ميثم)^{٥٤٥} إلا أنه جعل «منج» رواية.

و كيف كان، فالمجن هو الجنة، قال تعالى «فليس له اليوم هاهنا حميم»^{٥٤٦}.

«فاقعس» أى: تأخر.

^{٥٣٨} (١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٥: ٣٢.

^{٥٣٩} (٢) شرح ابن ميثم ٤: ٣٧٠.

^{٥٤٠} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٧٩.

^{٥٤١} (٤) سبأ: ٥٤.

^{٥٤٢} (٥) النازعات: ٣٥ - ٣٩.

^{٥٤٣} (٦) الطبعة المصرية ١٠: ١٢.

^{٥٤٤} (٧) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٧٩.

^{٥٤٥} (١) شرح ابن ميثم ٤: ٣٧٠.

^{٥٤٦} (٢) الحاقة: ٣٥.

«عن هذا الأمر وخذ اهبة الحساب» أى: استعداده وتهيئته، قال تعالى:

«اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا»^{٥٤٧}.

«و شمّر» أى: جدّ و خفّ، كمن شمّر عن ساقه، قال: قد شمّرت عن ساق شمري.

«لما قد نزل بك» من أمر الآخرة.

«و لا تمكّن الغواء من سمعك» فكان كذلك، فأشار عليه المغيرة باستلحاق زياد و باستخلاف يزيد، ففعل.

«و الا تفعل أعلمك ما أغفلت من نفسك فإنك مترف» و قد وصف تعالى المترفين فى قوله: «و أصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم و حميم و ظلّ من يحموم لا بارد و لا كريم إنهم كانوا قبل ذلك مترفين و كانوا يصرون على الحنث العظيم»^{٥٤٨} «و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمرناها تدميراً»^{٥٤٩}.

«قد أخذ الشيطان منك مأخذه و بلغ فيك أمله» «إنا جعلنا الشياطين»

ص: ٢٠٥

«أولياء للذين لا يؤمنون»^{٥٥٠}.

«و جرى منك مجرى الروح و الدّم» و كان عمر يمدحه بترفه و شيطانيته، ففى (الاستيعاب)^{٥٥١}: ذمّ معاوية عند عمر يوما فقال: دعونا من ذمّ فتى قريش، من يضحك فى الغضب، و لا ينال ما عنده إلّا على الرضا، و لا يأخذ ما فوق رأسه إلّا من تحت قدميه.

«و متى كنتم يا معاوية ساسة الرعية و ولاء أمر الامة بغير قدم سابق» فى (مروج المسعودى): حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدى و ابن الكواء اليشكرى و رجالا من أصحاب على عليه السلام مع رجال من قريش، فقال: نشدتكم بالله إلا ما قلتم حقًا و صدقا، أى الخلفاء رأيتموني؟ فقال ابن الكواء: لو لا أنّك عزمت علينا ما قلنا، لأنك جبار عنيد، لا تراقب الله فى قتل الأخيار، و لكنّا نقول:

إنّك ما علمنا: واسع الدنيا، ضيق الآخرة، قريب الثرى، بعيد المرعى، تجعل الظلمات نورا و النور ظلمات - الى أن قال - ثم تكلم صعصعة فقال: تكلمت يا بن أبى سفيان فأبلغت، و لم تقصر عما أردت، و ليس الأمر على ما ذكرت. أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهرا، و دانهم كبرا و استولى بأسباب الباطل كذبا و مكرًا؟ أما و الله مالک فى يوم بدر مضرب و لا مرمى، و ما

^{٥٤٧} (٣) الاسراء: ١٤.

^{٥٤٨} (٤) الواقعة: ٤١ - ٤٦.

^{٥٤٩} (٥) الاسراء: ١٦.

^{٥٥٠} (١) الأعراف: ٢٧.

^{٥٥١} (٢) الاستيعاب ٣: ٣٩٧.

كنت فيه إلّا كما قال القائل: لا حلى ولا سبرى. ولقد كنت أنت و أبوك فى العير و النفير ممن أجلب على النبى صلى الله عليه وآله. و انما أنت طليق ابن طليق، أطلقكم النبى، فأنى تصلح الخلافة لطلق^{٥٥٢}؟

و فيه أيضا: قال معاوية لصعصعة: أنت ذو معرفة بالعرب - الى أن

ص: ٢٠٦

قال - و اخبرنى عن أهل الحجاز. قال: أسرع الناس فتنه، و أضعفهم عنها، و أقلهم غناء فيها، غير أن لهم ثباتا فى الدين، و تمسكا بعروة اليقين، يتبعون الأئمة الأبرار و يخلعون الفسقة الفجّار. فقال معاوية: من البررة و الفسقة؟

فقال: يابن أبى سفيان ترك الخداع من كشف القناع. علىّ و أصحابه من الأئمة الأبرار، و أنت و أصحابك من أولئك الفسقة الفجّار^{٥٥٣}.

«و لا شرف باسقى» أى: طويل. و منه قوله تعالى: «و النَّخْلَ بَاسِقَاتٍ»^{٥٥٤}.

و قال الشاعر:

و اذا ما الناس عدّوا شرفا
كنتم من ذاك فى مال رخی

و فى (صفين نصر)^{٥٥٥}: جمع معاوية كلّ قرشى بالشام و قال لهم: ليس لأحد منكم فى هذه الحرب فعال يطول به لسانه غدا، فما بالكم؟ و أين حمية قريش؟ فغضب الوليد بن عقبة فقال: و أىّ فعال تريد؟ و الله ما نعرف فى أكفائنا من قريش العراق من يغنى غنانا باللسان و لا باليد. فقال معاوية: إن أولئك وقوا عليّا بأنفسهم. قال الوليد: كلا بل علىّ وقاهم بنفسه. قال معاوية:

ويحكم! أما منكم من يقوم لقرنه منهم مبارزة أو مفاخرة؟ فقال مروان: أما البراز فان عليّا لا يأذن لحسن و لا لحسين و لا لمحمد بنيه، و لا لابن عباس و اخوته و يصلّى هو بالحرب دونهم فلايهم نبارز؟ و أما المفاخرة فيما ذا نفاخرهم؟ أبا لاسلام؟ أم بالجاهلية؟ فإن كان بالاسلام فالفخر لهم بالنبوة، و إن كان بالجاهلية فالملك فيه لليمن، فإن قلنا: قريش قالت العرب. فأقرّوا لبنى عبد المطلب.

ص: ٢٠٧

^{٥٥٢} (٣) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٥٠.

^{٥٥٣} (١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٥١.

^{٥٥٤} (٢) ق: ١٠.

^{٥٥٥} (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٦٢.

«و نعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء» «أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ»^{٥٥٦}.

و في (صفين نصر)^{٥٥٧} مسندا عن ابن عمر قال: أرسل النبي صَلَّى الله عليه و آله الى معاوية يدعو، فجاء الرسول فقال: هو يأكل. فأعاد عليه الثانية و الثالثة و يقول الرسول: هو يأكل. فقال: لا أشبع الله بطنه. و نظر النبي صَلَّى الله عليه و آله يوما إلى أبي سفيان و هو راكب و معاوية و أخوه، أحدهما قائد و الآخر سائق، فلما نظر إليهم النبي صَلَّى الله عليه و آله قال: اللهم العن القائد و السائق و الراكب.

«و احذرک أن تكون متماديا» أى: ماذا الى المدى و الغاية.

«فى غرة الامنية» أى: الأمل و الهوى «أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ»^{٥٥٨}.

«مختلف العلانية و السريّة» منافقا.

«و قد دعوت الى الحرب فدع الناس جانبا و اخرج الى و أعف الفريقين من القتال ليعلم أينما المرين على قلبه» فى (الصحيح): قال أبو عبيدة فى قوله تعالى: «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»^{٥٥٩}: أى: غلب، و كلّ ما غلبك فقد ران بك و رانك و ران عليك.

«و المغطى على بصره» فى (صفين نصر)^{٥٦٠}: قام على عليه السّلام بين الصفين ثم نادى يا معاوية - يكررها - فقال: اسألوه ما شأنه؟ قال: أحب أن يظهر لى فأكلمه كلمة واحدة، فبرز و معه عمرو بن العاص، فلما قارباه لم يلتفت الى

ص: ٢٠٨

عمرو و قال: ويحك علام يقتل الناس بينى و بينك، و يضرب بعضهم بعضا؟

ابرز إلى فأينا قتل صاحبه فالأمر له. فالتفت معاوية الى عمرو فقال: ما ترى ابارزه؟ فقال عمرو: لقد أنصفك، و إن نكلت عنه لم تزل سبّه عليك و على عقبك ما بقى عربى. فقال معاوية: ليس مثلى يخدع عن نفسه. و الله ما بارز ابن أبى طالب رجلا قط إلّا سقى الأرض من دمه. ثم انصرف راجعا حتى انتهى الى آخر الصفوف.

^{٥٥٦} (١) المؤمنون: ١٠٥ - ١٠٨.

^{٥٥٧} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٢٠.

^{٥٥٨} (٣) الجاثية: ٢٣.

^{٥٥٩} (٤) المطففين: ١٤.

^{٥٦٠} (٥) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٧٤.

و فيه عن الشعبي^{٥٦١} قال: أرسل على عليه السلام الى معاوية: أن ابرز إليّ و أعف الفريقين عن القتال، فأينا قتل صاحبه كان الأمر له. قال عمرو: لقد أنصفك الرجل. فقال معاوية: إنني لأكره أن ابرز الأهوج الشجاع. لعلك طمعت فيها يا عمرو؟ فقال على عليه السلام: وا نفساه! أ يطاع معاوية و اعصى؟ ما قاتلت أمة أهل بيت نبيها و مقرّة بنيتها إلّا هذه الامّة.

و ذكروا أن معاوية قال يوما بعد صفين لعمر بن العاص: أينما أدهى؟

قال: أنا للبديهة و أنت للرؤية. قال معاوية: قضيت لي على نفسك في الرؤية، و أنا أدهى منك في البديهة أيضا، قال عمرو: فأين كان دهاؤك يوم رفعت المصاحف؟ قال معاوية: بها غلبتني، أفلا أسألك عن شيء تصدقني فيه؟ قال عمرو: و الله إنّ الكذب لقبيح فاسأل عما بدا لك اصدقك. قال: هل غششتني منذ نصحتني؟ قال: لا. قال: بلى و الله لقد غششتني. أما إنني لا أقول في كلّ المواطن، و لكن في موطن واحد. قال: و أي موطن؟ قال: يوم دعاني علىّ للمبارزة فأشرت علىّ بمبارزته، و أنت تعلم من هو، قال: إنّما دعاك رجل عظيم الشرف فكنت من مبارزته على إحدى الحسينيين. إمّا أن تقتله فتكون قد قتلت قتال الأقران، و تزداد به شرفا إلى شرفك و تخلو بملكك، و إمّا أن كان قتلك فكنت

ص: ٢٠٩

تجعل الى مرافقة الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا. فقال معاوية: هذه شرّ من الاولى. و الله إنني أعلم أن لو قتلته دخلت النار، و لو قتلني دخلت النار.

قال عمرو: فما حملك على قتاله؟ قال: الملك، و الملك عقيم، و لن يسمعها مني أحد بعدك.

و في (المروج)^{٥٦٢}: لما قتل العباس بن ربيعة الهاشمي رجلا من شجعان الشام تأسف معاوية عليه و قال: من قتل العباس فله مائة اوقية من التبر، و مائة اوقية من اللجين، و مائة برد. فانتدب له لخميان و دعواه الى البراز، فقال على عليه السلام: يود معاوية أنّه ما بقى من بنى هاشم نافخ ضرمه إلّا طعن في بطنه إطفاء لنور الله **(وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ)**^{٥٦٣}، أما و الله ليملكنهم منّا رجال يسومونهم سوء الخسف حتى تغفو الآثار. و أخذ عليه السلام سلاح العباس و وثب على فرسه، فلم يمهلهما أن قتلهما، فقال معاوية: قبح الله اللجاج إنّه لعقور، ما ركبته قط إلّا خذلت. فقال عمرو: المخذول و الله اللخميان. فقال معاوية: اسكت أيها الرجل. فقال عمرو: و إن لم يكن رحم الله اللخميين، و لا أراه يفعل. فقال معاوية: ذلك أضيق لحجتك و أخسر لصفتك. قال: قد علمت ذلك و لو لا مصر لركبت المنجاة، فإنني أعلم أن عليّا على الحق و أنا على الباطل.

فقال معاوية: مصر و الله أعمتك. و لو لا مصر لألفيتك بعيرا. ثم ضحك معاوية ضحكا ذهب به كلّ مذهب، قال عمرو: مم تضحك؟ قال معاوية: أضحك من حضور ذهنك يوم بارزت عليّا و إبدائك سؤأتك. أما و الله لقد رأيت الموت عيانا، و لو شاء ابن أبي طالب لقتلك، و لكنّه أبى إلّا تكرّما. فقال عمرو: أما و الله إنني لعن يمينك حين دعاك علىّ الى البراز، فاحولت عيناك و بدا سحرک، و بدا

^{٥٦١} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٨٧.

^{٥٦٢} (١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٨.

^{٥٦٣} (٢) التوبة: ٣٢.

منك ما أكره ذكره، فأضحك أو دع.

و في (صفين نصر)^{٥٦٤}: غلس على عليه السّلام يوما بصلاة الصبح بالناس، ثم زحف بهم الى أهل الشام. فقام أبرهه الحميري - و كان من رؤساء أصحاب معاوية - فقال: يا معشر أهل اليمن، إنني لأظنّ و الله أنّ الله قد أذن بفنائكم، و يحكم خلّوا بين هذين الرجلين فليقتلا، فأبهما قتل صاحبه ملنا معه جميعا.

فبلغ ذلك عليّا عليه السّلام فقال: صدق أبرهه، و و الله ما سمعت بخطبة - منذ وردت الشام - أنا بها أشدّ سرورا مني بهذه. و بلغ كلام أبرهه معاوية، فتأخّر آخر الصفوف و قال لمن حوله: إنني لأظنّ أبرهه مصابا في عقله. فأقبل أهل الشام يقولون: و الله لأبرهه أفضلنا رأيا و دينا، و لكن كره معاوية مبارزة علي. و برز يومئذ عروة بن داود الدمشقي، فقال: يا أبا الحسن، إن كان معاوية يكره مبارزتك فهلّمّ إليّ فتقدّم عليه السّلام إليه، فقال له أصحابه: ذر هذا الكلب فإنّه ليس بخطر. فقال عليه السّلام و الله ما معاوية اليوم بأغلظ لي منه، دعوني و إياه. ثم حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين، سقطت احدهما يمنة و الاخرى يسرة، فارتج العسكران لهول الضربة، ثم قال عليه السّلام: يا عروة اذهب فأخبر قومك، أما و الذي بعث محمّدا صلّى الله عليه و آله بالحق لقد عاينت النار و أصبحت من النادمين.

«فأنا أبو الحسن قاتل جدك و خالك و أخيك شدخا» في (الصحاح) الشدخ:

كسر الشيء الأجوف.

و في (الأساس): شدخ الشيء الأجوف أو الرخص. اذا كسره أو غمز.

و يقال شدخ الرأس و الحنظل. و من المجاز شدخ دماءهم تحت قدمه. أي:

أبطلها.

و منه قيل ليعمر بن الملوّح - الذي حكم بين خزاعة و قصي حين اقتتلوا،

فأبطل دماء خزاعة، و قضى بالبيت لقصى -: الشدّاخ، و له يقول قصي:

و مد البحر من ليث بن بكر

اذا خطرت بنو الشدّاخ حولى

^{٥٦٤} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٥٧.

«يوم بدر» أمّا أخوه حنظلّة و خاله الوليد بن عقبة فقتلها عليه السّلام منفردا، و أمّا جدّه عتبة فقتله عليه السّلام بمشاركة عبيدة بن الحارث على الأصح، من كون المقابل لعبيدة عتبة، كما نقله الطبري^{٥٦٥} عن محمد بن إسحاق دون ما رواه الواقدي من استقلال حمزة بقتل عتبة و مشاركته عليه السّلام لعبيدة في قتل شيبه عمّ أمّه، فكلامه عليه السّلام في هذا الكتاب و في الكتاب (٦٤): «و عندى السيف الذى أعضضته بجذّك و خالك و أخيك فى مقام واحد» يصدق الرواية الاولى.

و يشهد له أيضا قول هند فى رثاء أبيها عتبة:

تداعى له رهطه غدوة
بنو هاشم و بنو المطلب

فبنو هاشم هو عليه السّلام، و بنو المطلب عبيدة، و لو كان حمزة قتله منفردا لما كان لبنى المطلب فيه شركة.

و كيف كان، فشيبه أيضا قتل فى بدر، قتله حمزة أو قتله عبيدة بمشاركته عليه السّلام.

و أمّا من قال مشيرا إلى هند:

فإن تفخر بحمزة يوم ولّى
مع الشهداء محتسبا شهيدا
فإنّا قد قتلنا يوم بدر
أبا جهل و عتبة و الوليدا
و شيبه قد تركنا يوم احد
على أثوابه علقا جسيدا

فوهم من قائله، لعدم اطلاعه بالتاريخ، و ضلّ ابن طلحة الشافعى فى (مطالب سؤوله): فنسب الأبيات إليه عليه السّلام، و لم يتفطن البحار^{٥٦٦} فنقل

ص: ٢١٢

ما فيه مقرر له.

^{٥٦٥} (١) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٥-٤٤٦.
^{٥٦٦} (٢) البحار ٢٠: ١١٨-١١٩.

و كيف كان فقال أسيد بن إياس في فعله عليه السّلام بيدر بهم محرّضا لهم عليه:

في كلّ مجمع غايّة أخزاكم	جذع ابر على المذاكى القرح
هذا ابن فاطمة الذى أفناكم	ذبحا و قتلا قعصه لم يذبح
أفناكم قعصا و ضربا يعتري	بالسيف يعمل حدّه لم يصفح

«و ذلك السيف معي» في (صفين نصر)^{٥٦٧}: خطب علىّ عليه السّلام في صفّين، فقال: و الذى نفسى بيده لنظر إلىّ النّبي صلّى الله عليه و آله أضرب قدامه بسيفى، فقال:

لا سيف إلّا ذو الفقار ر و لا فتى إلّا علىّ

«و بذلك القلب القى عدوى» في (الطبرى)^{٥٦٨}: لما قتل علىّ عليه السّلام أصحاب الألوية في احد أبصر النّبي صلّى الله عليه و آله جماعة من مشركى قريش، فقال لعلى عليه السّلام:

احمل عليهم. فحمل عليهم ففرّق جمعهم، و قتل عمرو بن عبد الله الجمحى، ثم أبصر النّبي صلّى الله عليه و آله جماعة من مشركى قريش، فقال لعلى عليه السّلام: احمل عليهم.

فحمل عليهم ففرّق جماعتهم، و قتل شيبه بن مالك أحد بنى عامر بن لؤى، فقال جبرئيل: يا رسول الله، إنّ هذه للمواساة. فقال النّبي صلّى الله عليه و آله: إنّهُ منّى و أنا منه.

فقال جبرئيل: و أنا منكما. فسمعوا صوتا:

لا سيف إلّا ذو الفقار ر و لا فتى إلّا علىّ

^{٥٦٧} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣١٣ و ٣١٥.
^{٥٦٨} (٢) تاريخ الطبرى ٢: ٥١٤.

«ما استبدلت دينا و لا استحدثت نبيا، و إنني لعلی المنهاج الذى تركتموه طائعين و دخلتم فيه مكرهين» فى (صفين نصر)^{٥٦٩} :
قال عمّار: و الله ما أسلم

ص: ٢١٣

القوم، و لكن استسلموا و أسروا الكفر، حتّى وجدوا عليه أعوانا.

و فيه^{٥٧٠}: عن شامى قال: لمّا رأيت معاوية يبائع عند باب لد، ذكرت قول النبی صلی الله عليه و آله: «شرّ خلق الله خمسة: إبليس، و ابن آدم الذى قتل أخاه، و فرعون ذو الأوتاد، و رجل من بنى إسرائيل ردّهم عن دينهم، و رجل من هذه الامة يبائع على كفره عند باب لد» فلحقت بعلی عليه السّلام فكننت معه.

و فيه^{٥٧١}: خطب علىّ عليه السّلام فى صفين، و قال: و إنّ من أعجب العجائب: أنّ معاوية و عمرو بن العاص أصبحا يحرضان الناس على طلب الدين بزعمهما، و ايم الله ما اختلفت امة قطّ بعد نبیّها إلّا ظهر باطلها على أهل حقّها، إلّا ما شاء.

فقال عمّار: أمّا أمير المؤمنين عليه السّلام فقد أعلمكم أنّ الامة لن تستقيم عليه. ثم تفرّق الناس و قد نفذت بصائرهم.

و فيه^{٥٧٢} قيل لعلی عليه السّلام حين أراد أن يكتب الكتاب بينه و بين معاوية و أهل الشام: أتقرّ أنّهم مؤمنون مسلمون؟ فقال: ما أقرّ لمعاوية و لا لأصحابه أنّهم مؤمنون و لا مسلمون، و لكن يكتب ما شاء، و يسمّى نفسه و أصحابه ما شاء.

و فيه^{٥٧٣}: جاء رجل الى علىّ عليه السّلام فقال: هؤلاء الذين نقتلهم، الدعوة واحدة فبم نسميهم؟ قال عليه السّلام: بما سمّاهم الله فى كتابه. أ ما سمعت الله يقول:

«تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» - الى - «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ»

ص: ٢١٤

«اللَّهُ مَا أَفْتَلَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ»^{٥٧٤} فلما وقع الاختلاف كنّا نحن أولى بالله و بالكتاب و بالنبي و بالحق، فنحن الذين آمنوا، و هم الذين كفروا و شاء الله قتالهم، فقاتلناهم هدى بمشيئة الله ربنا و إرادته.

^{٥٦٩} (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٢١٥.

^{٥٧٠} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٢١٧.

^{٥٧١} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٢٣ و ٢٢٤.

^{٥٧٢} (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٠٩.

^{٥٧٣} (٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٢٢.

^{٥٧٤} (١) البقرة: ٢٥٣.

الخطبة (٥١) و من خطبة له عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة الفرات بصفين و منعوهم من الماء:

قَدْ اسْتَطَعُمُوكُمُ الْقِتَالَ - فَأَقْرُوا عَلَى مَذَلَّةٍ وَ تَأْخِيرٍ مَحَلَّةٍ - أَوْ رَوْوَا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرَوْوَا مِنَ الْمَاءِ - فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ - وَ الْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ - أَلَا وَ إِنِّ؟ مُعَاوِيَةُ؟ قَادُ لُئْمَةٍ مِنَ الْغَوَاةِ - وَ عَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرُ - حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيِّ أَقُولُ: الْأَصْلُ فِي الْعِنَانِ مَا رَوَاهُ نَصْرُ بْنُ مَزَاحِمٍ ١ نَصْرُ بْنُ مَزَاحِمٍ - كِتَابُ نَصْرِ بْنِ مَزَاحِمٍ - وَ قَدْ نَقَلَهُ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ٢ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ - شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ - ج ٣ ص ٢٤٤^{٥٧٥} - أَيْضًا - عَنْ عَمْرِو بْنِ شَمْرٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: خَطَبَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ بَدَّوْكُمْ بِالظُّلْمِ، وَ فَاتَحَوْكُمْ بِالْبَغْيِ، وَ ابْتَدَءُوكُم بِالْعُدْوَانِ وَ اسْتَطَعُمُوكُمُ الْقِتَالَ حَيْثُ مَنَعُوكُمُ الْمَاءَ، فَأَقْرُوا عَلَى مَذَلَّةٍ وَ تَأْخِيرٍ مَحَلَّةٍ...».

قول المصنف: «و من خطبة له عليه السلام» هكذا في (المصرية)^{٥٧٦}، و الصواب:

(و من كلام له عليه السلام) كما (في ابن أبي الحديد و ابن ميثم^{٥٧٧} و الخطبة)، و إن عرفت من نصر أن الكلام كان خطبة.

«لَمَّا غَلَبَ أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ أَصْحَابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى شَرِيعَةِ الْفَرَاتِ» قَالَ

ص: ٢١٥

الدينوري في (طواله)^{٥٧٨}: أَقْبَلَ مُعَاوِيَةُ بِالْخَيْلِ نَحْوَ صَفِينٍ، وَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ سَفِيَانُ بْنُ عَمْرٍو أَبُو الْأَعْوَدِ السَّلْمِيُّ، وَ عَلَى سَاقَتِهِ بَسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاءَ الْعَامِرِيُّ - وَ صَفِينُ قَرْيَةٍ خَرَابٌ مِنْ بَنَاءِ الرُّومِ مِنْهَا إِلَى الْفَرَاتِ غُلُوءٌ، وَ عَلَى شَطِّ الْفَرَاتِ مِمَّا يَلِيهَا غِيضَةٌ مُتَلَفَةٌ، فِيهَا نَزُوزٌ، طَوْلُهَا نَحْوَ مِائَةِ فَرَسَخِينَ، وَ لَيْسَ فِي ذَيْنِكَ الْفَرَسَخِينَ طَرِيقٌ إِلَى الْفَرَاتِ، إِلَّا طَرِيقٌ وَاحِدٌ مَفْرُوشٌ بِالْحِجَارَةِ، وَ سَاطِرٌ ذَلِكَ خِلَافٌ وَ غَرْبٌ مُتَلَفٌ لَا يَسْلُكُ، وَ جَمِيعُ الْغِيضَةِ نَزُوزٌ وَ وَحْلٌ، إِلَّا ذَلِكَ الطَّرِيقَ الَّذِي يَأْخُذُ مِنَ الْقَرْيَةِ إِلَى الْفَرَاتِ - فَأَقْبَلَا حَتَّى سَبَقَا إِلَى مَوْضِعِ الْقَرْيَةِ، فَتَزَلَا هُنَاكَ مِنْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ، وَ وَافَاهُمَا مُعَاوِيَةُ بِجَمِيعِ الْفَيْلِقِ حَتَّى نَزَلَ مَعَهُمَا، وَ أَمَرَ مُعَاوِيَةُ أَبَا الْأَعْوَرِ أَنْ يَقِفَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ، فَيَمْنَعُ مَنْ أَرَادَ السُّلُوكَ إِلَى الْمَاءِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَ أَقْبَلَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى وَافَى الْمَكَانَ، فَصَادَفَ أَهْلَ الشَّامِ احْتَوُوا عَلَى الْقَرْيَةِ وَ الطَّرِيقِ، فَأَمَرَ النَّاسَ فَتَزَلَوْا بِالْقَرَبِ مِنْ عَسْكَرِ مُعَاوِيَةَ، وَ انْطَلَقَ السَّقَاوُونَ وَ الْغُلَمَانُ إِلَى طَرِيقِ الْمَاءِ، فَحَالَ أَبُو الْأَعْوَرِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَهُ، فَخَبَرَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ، فَقَالَ لَصَعْصَعَةُ: إِيَّتَ مُعَاوِيَةَ فَقُلْ لَهُ: إِنَّا سَرْنَا إِلَيْكُمْ لِنَعْذَرَ قَبْلَ الْقِتَالِ، فَإِنْ قَبِلْتُمْ كَانَتْ الْعَافِيَةُ أَحَبَّ إِلَيْنَا، وَ أَرَاكَ قَدْ حَلَّتْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ الْمَاءِ، فَإِنْ كَانَ أَعْجَبَ إِلَيْكَ أَنْ نَدْعَ مَا جِئْنَا لَهُ، وَ نَذَرَ النَّاسَ يَقْتَتِلُونَ عَلَى الْمَاءِ حَتَّى يَكُونَ الْغَالِبُ هُوَ الشَّارِبُ فَعَلْنَا. فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ مَا قَالَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ لِمُعَاوِيَةَ: امْنَعَهُمُ الْمَاءَ كَمَا مَنَعُوهُ عَثْمَانُ. اقْتَلَهُمْ عَطْشًا، قَتَلَهُمُ اللَّهُ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِعَمْرٍو

^{٥٧٥} (٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣: ٢٤٤.

^{٥٧٦} (٣) الطبعة المصرية: ٩٦ الخطبة ٥١.

^{٥٧٧} (٤) شرح ابن ميثم ٢: ١٣٥.

^{٥٧٨} (١) الأخبار الطوال: ١٦٧.

بن العاص: ما ترى؟ قال: أرى أن تخلّى عن الماء، فإنّ القوم لن يعطشوا و أنت ريّان. فقال عبد الله بن أبي سرح: امنعهم الماء الى الليل لعلّهم أن ينصرفوا الى طرف الغيضة، فيكون انصرافهم هزيمة.

فقال صعصعة لمعاوية: ما الذى ترى؟ قال ارجع فسيأتيكم رأيي. فانصرف

ص: ٢١٦

و ظلّ أهل العراق يومهم ذلك و ليلتهم بلا ماء، إلّا من كان ينصرف من الغلمان الى طرف الغيضة، فيمشى مقدار فرسخين فيستقي، فغمّ عليّا عليه السّلام أمر الناس غمّا شديدا، فأتاه الأشعث فقال: أ يمنعنا القوم الماء و أنت فينا و معنا سيوفنا؟

ولّنى الزحف إليه، فو الله لا أرجع أو أموت، و مر الأشتر فلينضم إليّ فى خيله.

فقال له علىّ عليه السّلام: إيت فى ذلك ما رأيت. فلما أصبح زاحف أبا الأعور فاقتتلوا، و صدقهم الاشر و الأشعث حتى نفيا أبا الأعور عن الشريعة، و صارت فى أيديهما، فقال عمرو لمعاوية: ما ظنّك بالقوم اليوم ان منعوك كما منعتهم؟

فقال معاوية: دع ما مضى، ما ظنّك بعليّ؟ قال: ظنّى أنّه لا يستحلّ منك ما استحلت منه، لأنّه أتاك فى غير أمر الماء. ثم توادع الناس

ثمّ إنّ معاوية كما تصرّف الماء فى أوّل وروده، و منع أصحابه عليه السّلام الماء، كذلك تصرفها بحيلة بعد ذلك، ففى (صفين نصر)^{٥٧٩}: كتب معاوية فى سهم: من عبد الله الناصح، فإنّى اخبركم أنّ معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات فيغرقكم، فخذوا حذرکم. ثمّ رمى بالسهم فى عسكر على عليه السّلام، فوقع السهم فى يدى رجل من أهل الكوفة. فقرأه ثمّ أقرأه صاحبه، فلما قرأه و أقرأه الناس قالوا: هذا أخ لنا ناصح، كتب إليكم يخبركم بما أراد معاوية.

فلم يزل السهم يقرأ حتى دفع الى أمير المؤمنين عليه السّلام، و قد بعث معاوية مائتى رجل من الفعلة الى عاقول من النهر، بأيديهم المروء و الزنبيل يحفرون فيها بحيال عسكر على عليه السّلام، فقال على عليه السّلام: ويحكم! إنّ الذى يعالج معاوية لا يستقيم له، و إنّما يريد أن يزيلكم عن مكانكم، فاهلوا عن ذلك. فقالوا له:

هم و الله يحفرون الساعة. فقال: ويحكم! لا تغلبونى على رأيي. فقالوا:

و الله لنرتحلن، فإن شئت فارتحل و إن شئت فأقم. فارتحلوا، و ارتحل على عليه السّلام

ص: ٢١٧

فى اخريات الناس، و هو يقول:

^{٥٧٩} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ١٩٠.

و لو آتَى اطعت عصبت قومي

الى ركن اليمامة أو شام

و لكنّي اذا أبرمت أمرا

منيت بخلف آراء الطّعام

و ارتحل معاوية حتى نزل على معسكر على عليه السّلام الذي كان فيه.

فدعا علىّ عليه السّلام الاشر فقال: ألم تغلبنى على رأيي، أنت و الأشعث؟ فقال الأشعث: أنا اكفيك، سأداوى ما أفسدت. فجمع بنى كندة فقال: يا معشر كندة، لا تفضحوني اليوم و لا تخزوني، إنّما اقارع بكم أهل الشام. فخرجوا معه رجالا يمشون. و بيد الأشعث رمح له يلقيه على الأرض، و يقول:

امشوا قيس رمحي

فلم يزل يقيس لهم على الأرض برمحه ذلك، و يمشون معه رجالة قد كسروا جفون سيوفهم، حتى لقوا معاوية وسط بنى سليم واقفا على الماء و قد جاءه أدنى عسكره، فاقتتلوا على الماء ساعة، و انتهى أوائل أهل العراق فنزلوا، و أقبل الأشر في خيل من أهل العراق فحمل على معاوية، و الأشعث يحارب في ناحية، فردوا وجوه إبل معاوية قدر ثلاثة فراسخ، ثم نزل و وضع أهل الشام أثقالهم، و الأشعث يهدر و يقول: أرضيتك يا أمير المؤمنين؟ و لما غلب على عليه السّلام على الماء فطرد عنه أهل الشام، بعث الى معاوية: أنا لا نكافيك بصنعك، هلم الى الماء، فنحن و أنتم سواء. فأخذ كلّ واحد منهما بالشرعة مما يليه، و قال عليه السّلام لأصحابه: إنّ الخطب أعظم من منع الماء.

هذا، و نظير حيلة معاوية هذه مع أصحابه عليه السّلام حيلة أبي مسلم في قتاله لعبد الله بن علي عم المنصور، فأقبل أبو مسلم الى عبد الله و نزل ناحية لم يعرض له، و أخذ طريق الشام و كتب الى عبد الله: إنّني لم أوامر بقتالك إنّما ولّاني المنصور الشام، و إنّما اريدها. فقال من كان مع عبد الله من أهل الشام: كيف

ص: ٢١٨

نقيم معك، و هذا يأتى بلادنا و فيها حرمننا، فيقتل من قدر عليه من رجالنا، و يسبى ذرارينا؟ و لكنّا نخرج الى بلادنا، فنمنعه حرمننا و ذرارينا، و نقاتله إن قاتلنا. فقال لهم عبد الله: إنّ الله ما يريد الشام و ما وجهه إلّا لقتالكم، و لئن أقمتم ليأتينكم. فأبوا إلّا المسير، فأقبل أبو مسلم فعسكر قريبا، و ارتحل عبد الله من معسكره نحو الشام، فتحول أبو مسلم حتى نزل في موضعه، و عور ما كان حوله من المياه، و ألقي فيها الجيف، فقال عبد الله لأصحابه: ألم أقل لكم؟

هذا، و فى (القاموس): بلیل - کزیر - شریعة صفین.

«بصفین» فى (فتوح البلاذرى): بالس، و بولس، و قاصرین، و عابدين، و صفین: قرى منسوبة الى الروم.

و فى (مصباح الفيومى)^{٥٨٠}: صفین: موضع على الفرات من الجانب الغربى بطرف الشام، مقابل قلعة نجم، و هو فعيل من الصف، أو فعيل من الصفون.

قلت: و حيث إنها كانت من بناء الروم - كما عرفته من الدينورى و البلاذرى - فلا وجه لكونه من الصف.

و قد ذكره الجوهري^{٥٨١} و الفيروز آبادى^{٥٨٢} و الجزرى فى صفن. و قال الأخير: فى اعرابه قولان، أحدهما: أن يقرأ بالياء و فتح النون مطلقا، و الثانى: أن يعرب بالنون.

«و منعوهم الماء» هكذا فى (المصرية)^{٥٨٣}، و الصواب: (من الماء) كما فى

ص: ٢١٩

(ابن أبى الحديد^{٥٨٤} و ابن ميثم^{٥٨٥} و الخطيب).

قوله عليه السلام: «قد استطعموكم القتال» جعله عليه السلام منعهم عن شرب الماء كاستطعام للقتال أحسن كناية.

و فى (صفين نصر)^{٥٨٦}: قال الأشعث لعمرو: و الله إن كنت لأظن لك رأيا، فاذا أنت لا عقل لك، أترانا نخليک و الماء؟ فقال له عمرو: كنت مقهورا على ذلك رأى فكايدتك بالتهدد.

«فأقروا على مذلة و تأخير محلة» بالرضا بأن تبقى الشريعة فى أيديهم.

و لما قتل عبد الله بن معديكرب أراد أخوه عمرو بن معديكرب أخذ ديتة و ترك ثأره، فقالت اخته كبشة:

فإن أنتم لم تتأروا بأخیکم

فمشوا بأذان النعام المصلّم

و دع عنک عمرا إن عمرا مسالم

و هل بطن عمرو غیر شبر لمطعم^{٥٨٧}

^{٥٨٠} (١) المصباح للفيومي ١: ٤١٤.

^{٥٨١} (٢) الصحاح للجوهري ٦: ٢١٥٢.

^{٥٨٢} (٣) الفيروز آبادي ٤: ٢٤٢.

^{٥٨٣} (٤) الطبعة المصرية الخطبة: ٩٦ ٥١.

^{٥٨٤} (١) شرح ابن أبى الحديد ٣: ٢٤٤.

^{٥٨٥} (٢) شرح ابن ميثم ٢: ١٣٥، و فيه: «منعوهم الماء».

^{٥٨٦} (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ١٦٩ و ١٧٠.

^{٥٨٧} (٤) الأغاني ١٥: ٢٣٠.

و لما كان أسماء بن خارجة ذهب بهاني بن عروة الى عبيد الله بن زياد فقتله، قال عبد الله بن الزبير الأسدي مخاطبا لمذحج قوم هاني:

فإن أنتم لم تتأروا بأخيك
فكونوا بغايا ارضيت بقليل^{٥٨٨}

«أو رووا السيوف من الدماء ترووا من الماء» و في (صفين نصر)^{٥٨٩}: أن الأشر روى سيفه من دماء سبعة من فرسانهم: صالح بن فيروز العكي، و كان مشهورا بشدة البأس، شد عليه بالرمح و فلق ظهره، ثم مالک بن أدهم

ص: ٢٢٠

السلماني و كان من فرسانهم، ثم رماح بن عتيك الغساني، ثم إبراهيم بن وضاح الجمحي، ثم أزمّل عتيك الحزامي و كان من أصحاب ألويتهم، ثم أجّاح بن منصور الكندي و كان من أعلام العرب و فرسانها و ماتت اخته حبلّة حزنا عليه، ثم محمد بن روضة الجمحي، خرج و هو يقول:

يا قاتلي عثمان ذاك المؤتمن
أضربكم و لا أرى أبا حسن

فشدّ عليه الأشر و هو يقول:

لا يبعد الله سوى عثمان
مخالف قد خالف الرحمانا

نصرتموه عابدا شيطانا

فقتله. و قال أيضا- و قد كان قتل من آل ذي يزن رجلا، و من آل ذي لقوه فارس الأردن-.

^{٥٨٨} (٥) الأغاني لأبي الفرج ١٤: ٢٢٩، و فيه أورد مطلع القصيدة.
^{٥٨٩} (٦) صفين لنصر بن مزاحم: ١٧٤.

بين الكماء الغلاظ

اليوم يوم الحفاظ

نحفرها و المظاظ

هذا، و ذكر أعرابي قوما تحاربوا، فقال: أقبلت الفحول تمشي مشى الوعول، فلما تصافحوا بالسيوف، فغرت المنايا أفواهها.

و قال صخر أخو خنساء في أخذه ثار أخيه معاوية من بني مرة:

فروينا الأسنة غير فخر^{٥٩٠}

و مرة قد صبحناها المنايا

و في (عيون القتبي)^{٥٩١}: لما صرف أهل مزة الماء عن أهل دمشق، و وجهوه الى الصحارى، كتب إليهم أبو الهنداء: إلى بني استها- أهل مزة- ليمسى الماء أو لتصبحنكم الخيل. فوافاهم الماء قبل أن يعتموا، فقال أبو الهنداء:

ص: ٢٢١

الصدق ينبي عنك لا الوعيد

«فالموت في حياتكم مقهورين، و الحياة في موتكم قاهرين» هو في جمع المعنى و رفع المغزى، كقوله تعالى: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ»^{٥٩٢}.

كان عمليق الطسمى قضى على جدیس: ان يذهبوا ببنايتهم ليلة زفافهم قبل ازواجهم إليه فيفترعن هو، فذهبوا بعفيرة بنت عباد الجدیسى إليه فافترعها، فخرجت الى قومها شاقة درعها من قبل و من دبر في أقبح منظر، قائلة:

أ هكذا يفعل بالعروس

لا أحد أذل من جدیس

^{٥٩٠} (١) الأغاني لأبي الفرج ١٥: ١٠١.

^{٥٩١} (٢) العيون للقتبي ١: ١٩٧.

^{٥٩٢} (١) البقرة: ١٧٩.

و قالت فى تحريض قومها:

فموتوا كراما أو أميتوا عدوكم
فلبين خير من تماد على أذى
و إن أنتم لم تغضبوا بعد هذه
و دونكم طيب العروس فإنما
و دبوا لنار الخطب بالخطب الجزل
و للموت خير من مقام على الذل
فكونوا نساء لا تعاب من الكحل
خلقتم لأثواب العروس و للنسل

فصار تحريضها سببا لقتل العمليق^{٥٩٣} و قال صخر أخو خنساء لما طال مرضه، و سئلت امرأته عنه فقالت: لا حى فيرجى و لا ميت فينعى :-

و للموت خير من حياة كأنها
محلة يعسوب برأس سنان^{٥٩٤}

و تمثل زيد بن على يوم قتل بقول القائل:

ص: ٢٢٢

اذل الحياة و عز الممات
فإن كان لا بدّ من واحد
و كلّا أراه طعاما وبيلا
فسيروا إلى الموت سيرا جميلا

^{٥٩٣} (٢) الأغاني لأبي الفرج ١١: ١٦٥ - ١٦٦.
^{٥٩٤} (٣) الأغاني لأبي الفرج ١٥: ٧٩.

و ذكروا: أنَّ عبد الجبار الأزدي خرج على المنصور، فانهزم، فحمل إليه فقال للمنصور: قتله كريماً. قال تركتها وراءك يابن اللخناء.

و قال البحترى فى بنى حميد، و قد قتلوا فى الحرب، لأبيهم:

أبا غانم أردى بنبك اعتقادهم	بأن الردى فى الحرب أكبر مغنم
مضوا يستلذون المنايا حفيظة	و حفظا لذاك السؤدد المتقدم
ولما رأوا بعض الحياة مذلة	عليهم و عز الموت غير محرم
أبوا أن يذوقوا العيش و الدم واقع	عليه و ماتوا ميتة لم تدم

«ألا و ان معاوية قاد لمة» بتخفيف الميم، أى: جماعة. ذكره الجوهري فى لام، و قال: و الهاء عوض عن الهمزة الزاهية فى وسطه. و فى (الجمهرة): اللمة - منقوصة -: الجماعة، و الجمع لمات، و ظاهره كون الأصل: لما.

و كيف كان فالظاهر أنه ليس بمعنى مطلق الجماعة، بل جماعة موافقة، ففى (النهاية)^{٥٩٥}: فى الخبر: ليتزوج الرجل لمتة من النساء، و لتتزوج المرأة لمتها من الرجال. و حينئذ فمعنى كلامه عليه السلام: أنه قاد جماعة موافقة له فى الخبث، و يشهد له موارد استعماله.

قال الشاعر:

سبحان من منتطق المأثور	جهلا لدى سراق الحصير
وسط لمات الملاء الحضور	إن السباب و غر الصدور

فالحصير: الملك، و الملاء: جماعته.

«من الغواة» جمع الغاوى. أى: الضالين.

ص: ٢٢٣

«وعمس» في (الصحاح) العمس أن ترى أنك لا تعرف الأمر و أنت عارف به. قال ابن السكيت: أمر عموس و عماس، أي: مظلّم لا يدرى من أين يؤتى له، و منه قولهم جاءنا بامور معمسات، أي: مظلّمة ملوئية عن جهتها.

«عليهم الخبر حتى جعلوا نحورهم» جمع النحر، بمعنى: المنحر.

«أغراض» جمع الغرض، أي: الهدف.

«المنية» أي: الموت، ففي (صفين نصر)^{٥٩٦}: أن معاوية لما أتاه كتاب على عليه السلام بعزله عن الشام بعد عثمان صعد المنبر، و قال: يا أهل الشام، قد علمتم أنّي خليفة أمير المؤمنين عمر و خليفة عثمان و قتل مظلوما. و تعلمون أنّي وليّه. و الله يقول: «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا»^{٥٩٧}....

و وضع من يقوم في الناس و يروى لهم أن النبي صلى الله عليه و آله قال: إنّ عثمان كان على الحق، و بث فيهم أن عليّا لا يصلّي.

و في (صفين نصر)^{٥٩٨}: ذكروا أنّه لما غلب أهل الشام على الفرات فرحوا بالغلبة، فقال لهم: يا أهل الشام هذا و الله أوّل الظفر، سقاني الله و لا سقى أبا سفيان إن شربوا منه، حتى يقتلوا بأجمعهم عليه.

و فيه^{٥٩٩}: خرج رجل من أهل الشام، فقال: من يبارز فخرج إليه رجل من أصحاب على عليه السلام فاقتتلا ساعة، ثم إنّ العراقي ضرب رجل الشامي فقطعها، فقاتل و لم يسقط الى الأرض، ثم ضرب يده فقطعها، فرمى الشامي سيفه بيده اليسرى الى أهل الشام و قال لهم: دونكم سيفي هذا، فاستعينوا به على عدوكم. فأخذه، فاشتري معاوية ذلك السيف

ص: ٢٢٤

من أولياء المقتول بعشرة آلاف.

٥

من الخطبة (٢٤) (و منها):

وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا - فَلَا ظَفِيرَتَ يَدِ الْبَائِعِ وَ خَزَيْتُ أَمَانَةَ الْمُبْتَاعِ - فَخَذُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهَا وَ أَعَدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا - فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا وَ عَلَا سَنَاهَا - وَ اسْتَشْعَرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ أَقُولُ: رواه الثقفى في (غاراته الثقفى - الغارات -

^{٥٩٦} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٨١.

^{٥٩٧} (٢) الإسرائاء: ٣٣.

^{٥٩٨} (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ١٦٣.

^{٥٩٩} (٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٨٨.

ج ١ ص ٣١٧، ضمن رسالة لأصحابه عليه السلام^{٦٠٠} و ابن قتيبة في (خلفائه ابن قتيبة - الإمامة و السياسة-) و الكليني في (رسائله الكليني - الرسائل-) جزء كتاب كتبه عليه السلام ليقراً على الناس، لما سألوه عن قوله في الثلاثة المتقدمين بعد فتح مصر، مع زيادة و نقيصة و اختلاف.

ففي الأول: «لقد انهى إلى أن ابن النابغة لم يبايع معاوية حتى أعطاه و شرط له: أن يؤتیه إتاوة هي أعظم مما في يده من سلطانه، ألا صفت يد هذا البايع دينه بالدنيا، و خزيت أمانة هذا المشتري بنصرة فاسق غادر بأموال المسلمين - الى أن قال بعد كلام طويل - خذوا للحرب اهبتها و أعدوا لها عدتها، فقد شب نارها، و علا سناها، و تجرد لكم الفاسقون، كي يعذبوا عباد الله، و يطفئوا نور الله ...» و مثله الثاني و الثالث.

قول المصنف: «و منها» هكذا في (المصرية)^{٦٠١}، و مثلها (ابن أبي الحديد) و المراد من تلك الخطبة، أي: الخطبة (٢٥)، و لكن في (ابن ميثم)^{٦٠٢}: «و من خطبة له عليه السلام يذكر فيها عمرو بن العاص».

ص: ٢٢٥

قوله عليه السلام «و لم يبايع» هكذا في (المصرية) و مثله (ابن أبي الحديد) و لكن في (ابن ميثم)^{٦٠٣}: «و لم يبايع معاوية».

«حتى شرط» عليه.

«أن يؤتیه» أي: يعطيه.

«على البيعة» أي: بيعته معه.

«ثمنا فلا ظفرت يد البايع» قال ابن أبي الحديد: و في أكثر النسخ «المبايع».

«و خزيت» أي: ذلت و هانت.

«أمانة المبتاع» قال ابن أبي الحديد^{٦٠٤}: يعني عليه السلام بالمبتاع: عمرا، و بالبايع معاوية.

قلت: بل بالعكس، فعمر و بايع دينه بدنيا معاوية و هذا واضح، قال تعالى: «و لَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»^{٦٠٥}، «و لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ»^{٦٠٦}، «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَ لَا

^{٦٠٠} (١) الغارات للثقي ١: ٣١٧، ضمن رسالة لأصحابه عليه السلام.

^{٦٠١} (٢) الطبعة المصرية: ٦٣ الخطبة ٢٦.

^{٦٠٢} (٣) شرح ابن ميثم ٢: ٢٧، و فيه: «و منها».

^{٦٠٣} (١) شرح ابن ميثم ٢: ٧٢، و فيه: «و لم يبايع حتى ...».

^{٦٠٤} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٦٠.

^{٦٠٥} (٣) البقرة: ١٠٢.

^{٦٠٦} (٤) البقرة: ١٠٢.

هُمْ يُنْصَرُونَ»^{٦٠٧} «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ»^{٦٠٨} «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ»^{٦٠٩}، «وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُخْسَ مَا يَشْتَرُونَ»^{٦١٠}.

ص: ٢٢٤

و ننقل كيفية بيعته من كتاب (صفين نصر)^{٦١١} بمعناه، و قد نقله ابن أبي الحديد^{٦١٢} بلفظه، ففيه: لما كتب معاوية الى عمرو يستدعيه الى نصرته - و قد كان اعتزل أيام عثمان في فلسطين - شاور ابنه عبد الله و محمدا، فقال له ابنه عبد الله: قر في بيتك، فلست مجعولا خليفة، و لا ترد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة، أوشك أن تهلك فتشقى فيها. و قال له ابنه محمد: أرى أنك شيخ قريش، و صاحب أمرها و إن تصرّم هذا الأمر و أنت فيه خامل تصاغر أمرك، فالحق بجماعة أهل الشام. و دعا غلامه وردان أيضا - و كان راهبا ماردا - فقال له: أرحل أخط؟ فقال: إن شئت أنبأتك بما في نفسك. قال: هات، قال: اعترك الدنيا و الآخرة على قلبك، فقلت على معه الآخرة في غير دنيا، و في الآخرة عوض الدنيا، و معاوية معه الدنيا بغير آخرة، و ليس في الدنيا عوض من الآخرة، فأنت واقف بينهما. قال: و الله ما أخطأت، فما ترى يا وردان؟ قال أرى أن تقييم في بيتك، فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم، و إن ظهر أهل الدنيا لن يستغنوا عنك. قال: الآن لما شهدت العرب مسيرى الى معاوية؟ فارتحل و هو يقول:

أبدى لعمر ما في النفس وردان

يا قاتل الله وردانا و قرحته

بحرص نفسى و فى الأطباع إدهان

لما تعرضت الدنيا عرضت لها

و المرء يأكل تبنا و هو غرثان

نفس تعف و اخرى الحرص يقلبها

دنيا و ذاك له دنيا و سلطان

أما على فدين ليس يشركه

و ما معى بالذى أختار برهان

فاخترت من طمعى دنيا على بصر

فسار الى معاوية، فقال له معاوية: أدعوك الى جهاد هذا الرجل الذى عصى ربّه، و قتل الخليفة، و أظهر الفتنة، و فرق الجماعة. قال عمرو: إلى جهاد

ص: ٢٢٧

^{٦٠٧} (٥) البقرة: ٨٦.

^{٦٠٨} (٦) البقرة: ١٦.

^{٦٠٩} (٧) البقرة: ١٧٥.

^{٦١٠} (٨) آل عمران: ١٨٧.

^{٦١١} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٤، ٣٦ - ٣٩.

^{٦١٢} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٦١ - ٦٢.

من؟ قال: عليّ. فقال عمرو: والله ما أنت و عليّ بعكمي بعير، مالك هجرته و لا سابقته و لا صحبتته و لا جهاده و لا فقهه و لا علمه، فما تجعل لي إن شايعتك عليّ حربه، و أنت تعلم ما فيه من الغرر و الخطر؟ قال حكمك: قال: مصر. قال:

إنّي أكره أن يتحدّث عنك العرب: أنّك إنّما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا.

قال: دعني عنك. قال معاوية: إنّي لو شئت أن أخدعك لفعلت. قال: مثلي يخدع؟

قال له: ادن مني اسارك. فدنا منه ليسارّه، فعض معاوية أذنه، و قال: هذه خدعة، هل ترى في بيتك أحدا غيري و غيرك؟ فأنشأ عمرو يقول:

معاوى لا اعطيك ديني و لم أنل	بذلك دنيا فانظرن كيف تصنع
فإن تعطيني مصرا فأريح بصفقة	أخذت بها شيخا يضرّ و ينفع
و ما الدين و الدنيا سواء فإنّني	لأخذ ما تعطى و رأسى مقنع
و لكنّني اغضى الجفون و إنّني	لأخدع نفسي و المخادع يخدع
و اعطيك أمرا فيه للملك قوّة	و إنّني به إن زلّت النعل اصرع
و تمنعني مصرا و لست نزعته	و إنّني بذّا الممنوع قدما لمولع

قال له معاوية: أ لم تعلم أنّ مصر مثل العراق؟ قال: بلى، و لكنها إنّما تكون لي إذا كانت لك، و إنّما تكون لك إذا غلبت عليّا على العراق. فدخل عتبة بن أبي سفيان فقال لمعاوية: أما ترضى أن تشتري عمرا بمصر ان صفت لك وليتك لا تغلب عليّ الشام؟ فأعطاه و كتب له كتابا، و كتب معاوية: «عليّ ان لا ينقض شرط طاعته». فكتب عمرو: «و لا تنقض طاعته شرطا». و كاید كلّ واحد منهما صاحبه، فلمّا بلغ عليّا عليه السّلام ما صنعا، قال:

يا عجباً لقد سمعت منكرا	كذبا على الله يشيب الشعرا
ما كان يرضى أحمد لو خبرا	أن يقرنوا وصيّيه و الاثبرا
شاني الرسول و اللعين الأخزرا	كلاهما في جنده قد عسكرا

من ذا بدنيا بيعه قد خسرا

قد باع هذا دينه فأفجرا

بملك مصر ان أصاب الظفرا

إلى أن قال^{٦١٣}: فقال له عمرو: رأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندي، وهو عدو جرير البجلي الذي أرسله اليك على، فأرسل إليه ووطن له ثقاتك فليفشوا في الناس: أن عليًا قتل عثمان، و ليكونوا أهل الرضا عند شرحبيل، فإنها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحب و إن تعلّق بقلبه لم يخرج به شيء أبدا. فكتب معاوية إليه في ذلك، و دعا يزيد بن أسد و بسر بن أرطاة و عمر بن سفيان و مخارق بن الحرث و حمزة بن مالك و حابس بن سعد - رءوس قحطان و اليمن و كانوا خاصة معاوية و بنى عم شرحبيل - فأمرهم أن يلقوه و يخبروه: أن عليًا قتل عثمان - إلى أن قال - ثم خرج شرحبيل فلقبه هؤلاء النفر الموطّون له، فكلهم يخبره بأن عليًا قتل عثمان، فدخل على معاوية فقال له: أباي الناس إلّا أن عليًا قتل عثمان، و الله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام أو لنقتلنك. فقال له معاوية: ما كنت لاخالف عليكم، ما أنا إلّا رجل من أهل الشام. فقال شرحبيل: فردّ هذا الرجل - أي: جريرا - إلى صاحبه. فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب العراق، و أن الشام كلّها معه.

و فيه^{٦١٤}: أن معاوية طلب من عمرو ان يسوى له صفوف أهل الشام، فقال له عمرو: على أن لي حكمي إن قتل على بن أبي طالب، و استوسقت لك البلاد. فقال: أليس حكمك في مصر؟ قال: و هل مصر تكون عوضا عن الجنة، و قتل ابن أبي طالب ثمننا لعذاب النار الذي «لا يُفتر عنهم و هم فيه»

«مُبْلِسُونَ»^{٦١٥}؟ فقال له معاوية: إن لك حكمك إن قتل، رويدا لا يسمع أهل الشام كلامك.

و فيه^{٦١٦}: جاء رجل الى عمّار فقال له: إن صلاتنا واحدة و كتابنا واحد و رسولنا واحد. فقال له عمّار: هل تعرف الراية السوداء في مقابلتي؟ إنها راية عمرو بن العاص قاتلتها مع النبي صلى الله عليه و آله ثلاث مرات، و هذه الرابعة، ما هي بخيرهن و لا أبرهن، بل شرهن و أفجرهن.

«فخذوا للحرب» أي: الحرب الثانية مع معاوية، فقد عرفت أنه عليه السلام قاله بعد فتح مصر.

^{٦١٣} (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٧٠.

^{٦١٤} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٣٧.

^{٦١٥} (١) الزخرف: ٧٥.

^{٦١٦} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٢١.

«اهبتها» أى: تهيئتها.

«وَأَعِدُّوا لَهَا عِدَّتَهَا» أى: استعدادها، و الأصل فيه قوله تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ»^{٦١٧}.

«فقد شب» أى: توقد، و الشبوب: ما توقد به النار.

«لظاها» أى: التهاب نارها.

«و علا سناها» أى: ضوؤها.

«و استشعروا الصبر» أى: اجعلوه شعارا لكم كالثوب الملصق بالبدن.

«فإنه» أى: الصبر.

«أدعى الى النصر» «قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»^{٦١٨}.

ص: ٢٣٠

٤

الكتاب (١٧) و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابا عن كتاب منه إليه:

فَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ؟ الشَّامُ؟- فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسَ- وَ أَمَّا قَوْلُكَ- إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتْ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ- أَلَا وَ مَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ- وَ مَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ- وَ أَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَ الرِّجَالِ- فَلَسْتُ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنْ عَلَى الْيَقِينِ- وَ لَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا- مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ؟ عَلَى الْآخِرَةِ- وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا؟ بَنُو عَبْدِ مَنْفَى؟- فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَ لَكِنْ لَيْسَ؟ أُمِيَّةٌ؟ كَهَاشِمٌ؟- وَ لَا؟ حَرْبٌ؟ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ وَ لَا؟ أَبُو سُفْيَانَ؟ كَأَبِي طَالِبٍ؟- وَ لَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيْقِ وَ لَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيْقِ- وَ لَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَ لَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ- وَ لَبَسَ الْخَلْفُ خَلْفَ يَتْبَعُ سَلْفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ- وَ فِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذَلَّلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ- وَ نَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ- وَ لَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا- وَ أَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا وَ كَرْهًا- كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَ إِمَّا رَهْبَةً- عَلَى حِينِ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ- وَ ذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ- فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيْبًا- وَ لَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيْلًا قَوْلِ الْمَصْنَفِ: «و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابا عن كتاب منه إليه» ليس في (ابن أبي الحديد)^{٦١٩} و (الخطبة) كلمة «إليه»، روى الكتابين

^{٦١٧} (٣) الانفال: ٦٠.

^{٦١٨} (٤) الاعراف: ١٢٨.

^{٦١٩} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١١٧.

نصر بن مزاحم فى (صفينه نصر بن مزاحم - صفين - ص ٤٧١) ^{٦٢٠}، و المسعودى فى (مروجه المسعودى - مروج الذهب - ج ٣ ص ٢٢ تا ٢٣) ^{٦٢١} و ابن قتيبة فى

ص: ٢٣١

(خلفائه ابن قتيبة - الخلفاء - ص ١١٧، ١١٨) ^{٦٢٢}، و كذا عن البيهقى فى (محاسنه البيهقى - المحاسن -).

فى الأوّل - و نقله ابن أبى الحديد ^{٦٢٣} أيضا مع اختلاف -: ذكروا ^{٦٢٤} أنّ عليّا عليه السّلام أظهر يوما أنّه مصبح غدا معاوية و مناجزته، فبلغ ذلك معاوية و فزع أهل الشام لذلك و انكسروا لقوله - الى أن قال: - و قال الأشتر حين قال عليه السّلام ذلك:

قد دنا الفضل فى الصباح و للسلم	رجال و للحروب رجال
فرجال الحروب كلّ حدب	مقحم لا تهدّه الأهوال
يضرب الفارس المدجج بالسيف	إذا فلّ فى الوغى الأكفال
يا بن هند شد الحيازيم للموت	و لا يذهبن بك الآمال
إنّ فى الصبح إن بقيت لأمرأ	تتفادى من هو له الأبطال
فيه عز العراق أو ظفر الشام	بأهل العراق و الزلزال
فاصبروا للطعان بالأسل السمر	و ضرب يجرى به الأمثال
ان تكونوا قتلتم النفر البيض	و غالت اولئك الآجال
فلنا مثلهم و إن عظم الخطب	قليل أمثالهم أبدال
يخضبون الوشيج طعنا اذا جرّت	إلى الموت بينهم أذيال
طلب الفوز فى المعاد و فى ذا	تستهان النفوس و الأموال

^{٦٢٠} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٧١.

^{٦٢١} (٣) مروج الذهب للمسعودى ٣: ٢٢ - ٢٣.

^{٦٢٢} (١) الخلفاء لابن قتيبة: ١١٧، ١١٨.

^{٦٢٣} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٥: ١١٧.

^{٦٢٤} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٥: ١٢٠، صفين لنصر بن مزاحم: ٤٦٨.

فلما انتهى الى معاوية شعر الأشتر قال: شعر منك من شاعر منك، رأس أهل العراق و عظيمهم، و مسعر حربهم، و أول الفتنه و آخرها. و قد رأيت أن أكتب الى على كتابا أسأله الشام - و هو الشيء الأول الذي ردني عنه - و القى

ص: ٢٣٢

فى نفسه الشك و الرقة. فضحك عمرو بن العاص و قال له: أين أنت من خدعة على؟ فقال: ألسنا بنى عبد مناف؟ قال: بلى، و لكن لهم النبوة دونك، و إن شئت أن تكتب فاكذب. فكتب مع رجل من السكاسك يقال له: عبد الله بن عقبة - و كان من ناقلة أهل العراق: أما بعد، فإننى أظنك أن لو علمت و علمنا أن الحرب تبلغ بنا و بك ما علمت، لم يجننها بعضنا على بعض، و إنا و إن كنا قد غلبنا على عقولنا، فقد بقى لنا ما نندم به على ما مضى و نصلح به ما بقى، و قد كنت سألتك الشام على ألا يلزمنى لك طاعة و لا بيعه، فأبيت ذلك على فأعطاني الله ما منعت، و أنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس، فإننى لا أرجو من البقاء إلّا ما ترجو، و لا أخاف من الموت إلّا ما تخاف، و قد و الله رقت الأجناد و ذهب الرجال، و نحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل، إلا فضل لا يستدل به عزيز و لا يسترق به حرّ. و السلام. فلما انتهى كتاب معاوية الى على عليه السلام قرأه، ثم قال:

العجب لمعاوية و كتابه. ثم دعا عبيد الله بن أبى رافع - كاتبه - فقال له: اكتب الى معاوية: «أما بعد، فقد جاءني كتابك تذكر أنك لو علمت و علمنا أن الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت لم يجننها بعضنا على بعض، فأنا و إياك منها فى غاية لم تبلغها، و إننى لو قتلت فى ذات الله و حييت، ثم قتلت ثم حييت سبعين مرة لم أرجع عن الشدة فى ذات الله، و الجهاد لأعداء الله. و أما قولك: إنه قد بقى من عقولنا ما نندم به على ما مضى، فإننى ما نقصت عقلى و لا ندمت على فعلى.

فأما طلبك الشام فإننى لم أكن لاعطيك اليوم ما منعتك أمس. و أما استواؤنا فى الخوف و الرجاء فإنك لست بأمضى على الشك منى على اليقين، و ليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة. و أما قولك: أنا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل، فلمرى إنا بنو أب واحد، و لكن ليس امية كهاشم، و لا حرب كعبد المطلب، و لا أبو سفيان كأبى طالب، و لا المهاجر

ص: ٢٣٣

كالطليق، و لا المحق كالمبطل، و فى أيدينا فضل النبوة التى أذللنا بها العزيز و أعززنا بها الذليل». فلما أتى معاوية كتاب على عليه السلام كتبه عن عمرو أياما، ثم دعاه بعد ذلك فأقرأه الكتاب، فشمت به. و لم يكن أحد من قريش أشد تعظيما لعلى عليه السلام من عمرو، منذ يوم لقيه و صفح عنه.

و فى الأخير - بعد ذكر معنى ما مرّ عن نصر - فقال معاوية لعمرو: قد علمت أن إعظامك لعلى لما فضحك، فقال عمرو: لم يفتضح امرؤ بارز عليّا، و إنما افتضح من دعاه الى البراز فلم يجبه.

قوله عليه السّلام: «فأَمَّا طلبك إلىّ الشّام فإنّي لم أكن أعطيك اليوم ما منعك أمس» في (الاستيعاب)^{٦٢٥}: نادى حوشب الحميري عليّاً عليه السّلام يوم صفين، فقال:

انصرف عنّا يابن أبي طالب، فأنا ننشدك الله في دمائنا ودمك، و نخلى بينك وبين عراقك، و تخلى بيننا وبين شامنا، و تحقن دماء المسلمين. فقال عليّ عليه السّلام: هيهات يابن امّ ظليم و الله لو علمت أنّ المداينة تسعني في دين الله لفعلت، و لكان أهون عليّ في المؤنة، و لكن الله لم يرض من أهل القرآن بالسكوت و الإدهان، إذا كان الله يعصى و هم يطيقون الدفاع و الجهاد، حتى يظهر أمر الله.

و في (الأغاني)^{٦٢٦}: سار زياد بن الأشهب - و كان شريفا سيّدا - الى أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام يصلح بينه و بين معاوية، فلم يجبه و في ذلك يقول نابغة بنى جعدة يعتدّ على معاوية:

و قام زياد عند باب ابن هاشم يريد صلاحا بينكم و يقرب

ص: ٢٣٤

و في (صفين نصر)^{٦٢٧}: و خرج رجل من أهل الشام ينادى بين الصّفين:

يا أبا الحسن ابرز لى. فخرج إليه عليّ عليه السّلام حتى اذا اختلفت أعناق دابتيهما بين الصّفين قال له: يا على إنّ لك قدما في الاسلام و هجرة، فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء و تأخير هذه الحروب، حتى ترى من رأيك؟ فقال له عليّ عليه السّلام: و ما ذاك؟ قال: ترجع الى عراقك، فنخلى بينك و بين العراق، و نرجع الى شامنا، و تخلى بيننا و بين شامنا. فقال له عليّ عليه السّلام: لقد عرفت أنّما عرضت هذا نصيحة و شفقة، و لقد أهتمنى هذا الأمر و أسهرنى، و ضربت أنفه و عينه فلم أجد إلّا القتال، أو الكفر بما أنزل على محمّد صلى الله عليه و آله. إنّ الله تعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض و هم سكوت مذعنون، لا يأمرّون بالمعروف و لا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون عليّ من معالجة الأغلال في جهنم. فرجع الشامي و هو يسترجع.

«و أمّا قولك: ان الحرب قد أكلت العرب إلّا حشاشات» في (الصّحاح):

الحشاش و الحشاشة: بقية الروح في جسد المريض.

^{٦٢٥} (١) الاستيعاب ١: ٣٩٥.
^{٦٢٦} (٢) الأغاني لأبي الفرج ١٢: ٢٣.
^{٦٢٧} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٧٤.

«أنفس بقيت» فى (المروج)^{٦٢٨}: اختلف فى عدة من قتل من الفريقين، فعن يحيى بن معين: قتل من الشام تسعون ألفا، و من أهل العراق عشرون ألفا.

و ذكر الهيثم بن عدى و الشرقى بن القطامى و أبو مخنف: أنه قتل من أهل الشام خمسة و أربعون ألفا، و من أهل العراق خمسة و عشرون ألفا، فيهم خمسة و عشرون بدرىا. و كان الاحصاء للقتلى يقع بالقضيب.

«ألا و من أكله الحق فإلى الجنة و من أكله الباطل فإلى النار» هكذا فى

ص: ٢٣٥

(المصرية)^{٦٢٩} و لكن فى (ابن أبى الحديد)^{٦٣٠} و (ابن ميثم)^{٦٣١} إنما هكذا: «ألا من أكله الحق فإلى النار». و لم يشر ابن ميثم الى رواية اخرى. و أما ابن أبى الحديد^{٦٣٢} فقال: رواية «ألا و من أكله الحق فإلى النار» أليق من الرواية المذكورة فى أكثر الكتب ...

و أشار الى مثل ما فى (المصرية) و ظاهر كلامه كون النهج بلفظ: «ألا و من أكله الحق فإلى النار»، حيث نسب مثل ما فى (المصرية) إلى كتب اخرى لا نسخ النهج، و يشهد له اقتصار ابن ميثم - مع كون نسخه بخط المصنف - على ما مر. و حينئذ المراد بقوله عليه السلام «من أكله الحق» أى: من أمر الحق بقتله، و الأصل فيه قوله تعالى «وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ»^{٦٣٣} و أما ما فى (المصرية) فالمراد واضح: أن من قتل فى سبيل الحق فإلى الجنة، و من قتل فى سبيل الباطل فإلى النار. و يمكن تأييده بما روى (صفين نصر)^{٦٣٤}:

أن عتبة بن أبى سفيان - أخوا معاوية - قال لجعدة بن هبيرة ابن اخت أمير المؤمنين عليه السلام: ما أفبح بعلى أن يكون فى قلوب المسلمين أولى الناس بالناس، حتى اذا أصاب سلطانا أفنى العرب! فقال له جعدة: و أما قتل العرب فإن الله كتب القتال، فمن قتله الحق فإلى الله.

و كيف كان، ففى (صفين نصر)^{٦٣٥}: أن الأحنف قال فى صفين لأصحابه

ص: ٢٣٦

- و كان مع على عليه السلام: هلكت العرب. قالوا: و إن غلبنا؟ قال: نعم. قالوا: و إن غلبنا؟ قال: نعم. قالوا: ما جعلت لنا مخرجا. قال: إن غلبنا لم نترك بها رئيسا إلّا ضربنا عنقه، و إن غلبنا لم يعرج رئيس عن معصية الله.

^{٦٢٨} (٢) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤٠٤.

^{٦٢٩} (١) الطبعة المصرية: ١٩، الكتاب ١٧.

^{٦٣٠} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٥: ١١٧.

^{٦٣١} (٣) شرح ابن ميثم ٤: ٣٨٨ و فيه: «ألا و من أكله الحق فإلى الجنة...».

^{٦٣٢} (٤) شرح ابن أبى الحديد ١٥: ١١٨.

^{٦٣٣} (٥) الأنعام: ١٥١.

^{٦٣٤} (٦) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٦٤.

^{٦٣٥} (٧) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٨٧.

«وَأَمَّا اسْتَوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتُ بِأَمْضَى عَلَى الشُّكِّ مَنَّى عَلَى الْيَقِينِ» فِي (صَفِينِ نَصْر) ٦٣٦: نَادَى عْتَبَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ جَعْدَةَ الْمَخْزُومِيِّ ابْنَ اخْتِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاذْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَيْهِ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِكَلَامِهِمَا، فَقَالَ عْتَبَةُ: يَا جَعْدَةُ، وَاللَّهِ مَا أَخْرَجَكَ عَلَيْنَا إِلَّا حَبًّا خَالِكًا، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَزَعْنَا أَنَّ مَعَاوِيَةَ أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ مِنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْ لَا أَمْرُهُ فِي عَثْمَانَ، وَلَكِنْ مَعَاوِيَةُ أَحَقُّ بِالشَّامِ لِرِضَا أَهْلِهَا بِهِ، فَاعْفُوا لَنَا عَنْهَا، فَوَاللَّهِ مَا بِالشَّامِ رَجُلٌ بِهِ ظَرْفٌ إِلَّا وَهُوَ أَجَدُّ مِنْ مَعَاوِيَةَ فِي الْقِتَالِ، وَلَيْسَ بِالْعِرَاقِ مِنْ لَهُ جَدٌّ مِنْ مِثْلِ جَدِّ عَلِيٍّ، وَنَحْنُ أَطْوَعُ لِصَاحِبِنَا مِنْكُمْ لِصَاحِبِكُمْ. فَقَالَ لَهُ جَعْدَةُ: إِنْ كَانَ لَكَ خَالٌ مِثْلِي لَنَسِيتُ أَبَاكَ، وَأَمَّا رِضَاكَ الْيَوْمَ بِالشَّامِ فَقَدْ رَضِيتُمْ بِهَا أَمْسًا. وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِالشَّامِ رَجُلٌ إِلَّا وَهُوَ أَجَدُّ مِنْ مَعَاوِيَةَ، وَلَيْسَ بِالْعِرَاقِ لِرَجُلٍ مِثْلِ جَدِّ عَلِيٍّ، فَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ، مَضَى بِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقِينَهُ، وَقَصَرَ بِمَعَاوِيَةَ شُكَّهُ، وَقَصَدَ أَهْلَ الْحَقِّ خَيْرَ مَنْ جَاهِدَ أَهْلَ الْبَاطِلِ.

«وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ» فِي (صَفِينِ نَصْر) ٦٣٧: قِيدَتْ عَمَكُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَرْجُلُهَا بِالْعَمَائِمِ، ثُمَّ طَرَحُوا حَجَرًا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَقَالُوا لَا نَفَرَ حَتَّى يَفِرَّ هَذَا الْحَكْرُ - أَيْ: الْحَجَرُ، فَعَكَ تَقَلَّبَ الْجَيْمُ كَافًا - وَفَعَلَ أَهْلُ الْعِرَاقِ كَذَلِكَ، وَتَجَادَلُوا حَتَّى أَدْرَكَهُمُ اللَّيْلُ، فَقَالَتْ هَمْدَانُ: يَا مَعْشَرَ عَمَكِ إِنَّا وَاللَّهِ لَا نَنْصَرِفُ حَتَّى تَنْصَرِفُوا. وَقَالَ عَمَكُ مِثْلَ ذَلِكَ. فَأَرْسَلَ

ص: ٢٣٧

مَعَاوِيَةَ إِلَى عَمَكِ: أَبْرُوا قِسْمَ الْقَوْمِ. فَانْصَرَفَتْ عَمَكُ، ثُمَّ انْصَرَفَتْ هَمْدَانُ.

وَفِيهِ ٦٣٨: أَرْسَلَ ابْنُ حَنْشَلٍ رَأْسَ خَنْعَمٍ مَعَ مَعَاوِيَةَ إِلَى أَبِي كَعْبٍ رَأْسَ خَنْعَمٍ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ شِئْتَ تَوَافَقْنَا فَلَمْ نَقْتَتِلْ، فَإِنْ ظَهَرَ صَاحِبُكَ كُنَّا مَعَكُمْ، وَإِنْ ظَهَرَ صَاحِبُنَا كُنْتُمْ مَعَنَا وَلَمْ يَقْتُلْ بَعْضُنَا بَعْضًا. فَأَبَى أَبُو كَعْبٍ ذَلِكَ. وَقَالَ ابْنُ حَنْشَلٍ لِقَوْمِهِ: قَدْ عَرَضْتُ لِقَوْمِنَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ الْمَوَادِعَةَ، صَلَّةً لِأَرْحَامِهِمْ وَحِفْظًا لِحَقِّهِمْ، فَأَبَوْا إِلَّا قِتَالَنَا - إِلَى أَنْ قَالَ - فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَأَخَذَ أَبُو كَعْبٍ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: يَا مَعْشَرَ خَنْعَمِ خُذُوا - أَيْ: اضْرِبُوهُمْ فِي سَوْقِهِمْ - وَأَخَذَ صَاحِبُ الشَّامِ يَقُولُ: يَا أَبَا كَعْبٍ قَوْمُكَ فَأَنْصَفُ.

وَفِيهِ ٦٣٩: خَرَجَ إِثَالُ بْنُ حَجَلٍ مِنْ عَسْكَرِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَادَى: هَلْ مِنْ مَبَارِزٍ؟

فَدَعَا مَعَاوِيَةَ حَجَلًا فَقَالَ: دُونَكَ الرَّجُلُ. وَكَانَا مُسْتَبْصِرَيْنِ فِي رَأْيِهِمَا، فَبَرَزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ، فَبَدَّرَهُ الشَّيْخُ بَطْعَنَةً، فَطَعَنَهُ الْغَلَامُ وَانْتَمَى، فَذَا هُوَ ابْنُهُ! فَتَزَلَّاهُ فَاعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ وَبَكِيًا، فَقَالَ لَهُ الْأَبُ: أَيْ إِثَالُ، هَلَمْ إِلَى الدُّنْيَا. فَقَالَ لَهُ الْغَلَامُ: يَا أَبُ هَلَمْ إِلَى الْآخِرَةِ، وَاللَّهِ يَا أَبُ هَلْ لَوْ كَانَ مِنْ رَأْيِي الْانْصِرَافُ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ، لَوَجِبَ عَلَيْكَ أَنْ يَكُونَ مِنْ رَأْيِكَ لِي أَنْ تَنْهَانِي، وَاسْوَأَتَاهُ! فَمَاذَا أَقُولُ لِعَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ؟ كُنْ أَنْتَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَأَنَا أَكُونُ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ. وَانْصَرَفَ حَجَلُ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ وَإِثَالُ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَخَبَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابَهُ.

٦٣٦ (١) صَفِينِ لِنَصْرِ بْنِ مَزَاحِمٍ: ٤٦٣ - ٤٦٤.

٦٣٧ (٢) صَفِينِ لِنَصْرِ بْنِ مَزَاحِمٍ: ٤٣٤.

٦٣٨ (١) صَفِينِ لِنَصْرِ بْنِ مَزَاحِمٍ: ٢٥٧.

٦٣٩ (٢) صَفِينِ لِنَصْرِ بْنِ مَزَاحِمٍ: ٤٤٣.

«وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ فَكَذَلِكَ» الْأَصْلُ فِي شَبْهَةِ كَوْنِ كُلِّ مِنْهُمَا ابْنَ عَبْدِ مَنْفٍ عَمْرٍ، حَيْثُ أَرَادَ فِي شَوْرَاهُ جَعْلَ عَثْمَانَ فِي مَقَابِلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «وَلَكِنَّ السَّنَةَ عَلَى وَ عَثْمَانَ ابْنَا عَبْدِ مَنْفٍ ...» فَيُقَالُ لِعَمْرٍ: عَلَى قَاعِدَتِكَ يَتَسَاوَى

ص: ٢٣٨

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ أَبُو سَفْيَانَ، فَكُلُّ مِنْهُمَا ابْنُ عَبْدِ مَنْفٍ.

«وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِيَّةٌ» قَالَ جَارِيَةُ بَنِ قَدَامَةَ لِمَعَاوِيَةَ فِي مَنَافَرَةٍ بَيْنَهُمَا: مَا مَعَاوِيَةُ إِلَّا كَلْبَةٌ تَعَاوَى الْكَلَابُ، وَ مَا أُمِيَّةٌ إِلَّا تَصْغِيرُ الْأُمَةِ.

«كَهَاشِمٍ» فِي (الطَّبَرِيِّ) ^{٦٤٠}: اسْمُهُ عَمْرُو، وَ إِنَّمَا قِيلَ لَهُ: هَاشِمٌ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ بِمَكَّةَ وَ أَطْعَمَهُمْ. وَ لَهُ يَقُولُ مَطْرُودُ الْخَزَاعِيِّ: وَ قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: يَقُولُ ابْنُ الزُّبَيْرِ:-

و رجال مكة مستنون عجاف

عمرو الذي هشم الثريد لقومه

ذَكَرُوا أَنَّ قَوْمَهُ مِنْ قَرِيْشٍ كَانَتْ أَصَابَتُهُمْ لَزْبَةٌ وَ قَحْطٌ، فَحَلَّ إِلَى فِلَسْطِينَ فَاشْتَرَى مِنْهَا الدَّقِيقَ، فَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ فَأَمَرَ بِهِ فُخِيزَ لَهُ، وَ نَحَرَ جُزُورًا، ثُمَّ اتَّخَذَ لِقَوْمِهِ مَرَقَةً ثَرِيدَ بِذَلِكَ الْخَبِيزِ.

قال وهب بن عبد قصي في ذلك:

و أعيى أن يقوم به ابن بيض

تحمل هاشم ما ضاق عنه

من ارض الشام بالبر النفيز

أتاهم بالغرائر متأنقات

و شاب الخبز باللحم الغريض

فأوسع أهل مكة من هشيم

من الشيزى و حائرها يفيض

فظل القوم بين مككلات

فَحَسَدَهُ أُمِيَّةٌ، وَ كَانَ ذَا مَالٍ، فَتَكَلَّفَ أَنْ يَصْنَعَ صَنِيعَ هَاشِمٍ، فَعَجَزَ عَنْهُ فَشَمَتَ بِهِ نَاسٌ مِنْ قَرِيْشٍ، فَغَضِبَ وَ نَالَ مِنْ هَاشِمٍ وَ دَعَاهُ إِلَى الْمَنَافَرَةِ، فَكَرِهَ هَاشِمٌ ذَلِكَ لِسَنَةِ وَ قَدَرِهِ، وَ لَمْ تَدْعُهُ قَرِيْشٌ وَ أَحْفَظُوهُ. قَالَ: فَإِنِّي أَنَا فَرَكْتُ عَلَى خَمْسِينَ نَاقَةً سَوْدَ الْحَدَقَةِ نَنَحِرُهَا بِبَطْنِ مَكَّةَ، وَ الْجَلَاءُ عَنْ مَكَّةَ عَشْرَ سَنِينَ.

^{٦٤٠} (١) تاريخ الطبري ٢: ٢٥١.

فرضى بذلك امية، و جعلاً بينهما الكاهن الخزاعي، فنفر هاشما على امية، فأخذ هاشم عن أمية الإبل، فبحرها و أطعمها من حضره، و خرج امية الى

ص: ٢٣٩

الشام فأقام بها عشر سنين، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم و امية.

و فى (لطائف التعالبي): و قيل فى هاشم:

ما أحد كهاشم و ان هشم لا لا و لا كحاتم و ان حتم

و فى (إثبات وصية المسعودي)^{٦٤١} - فى خطبته عليه السلام فى انتقال نور النبى صلى الله عليه و آله من آدم أباً بعد أب الى ولادته -: حتى نقلت نوره الى هاشم خير آبائه بعد إسماعيل، فأى أب و جدّ و والد أسرة و مجمع عترة و مخرج طهر و مرضع فخر جعلت - يا رب - هاشما! لقد أقمته لدن بيتك و جعلت له المشاعر و المتاجر.

و قال الجاحظ - و قد نقله ابن أبى الحديد^{٦٤٢} فى موضع آخر -: صنع امية فى الجاهلية صنعا لم يصنعه أحد من العرب: زوج ابنه أباً عمرو امرأته فى حياته منه، فأولدها أباً معيط. و المقتيون فى الاسلام هم الذين نكحوا نساء آبائهم بعد موتهم. فأما ان يتزوجها فى حياة الأب و يبنى عليها و هو يراه، فإنه شئ لم يكن قط ... و يأتى أن عبد المطلب بن هاشم حرّم زوجة الأب فى الجاهلية، فأمضاه الاسلام.

و عن كتاب (هاشم و عبد شمس) للدباس: روى هشام الكلبي: أن امية لما كان غلاماً كان يسرق الحاج، فسمّى حارساً.

و عنه: قال عثمان لرجل من حضر موت: أ فرأيت امية؟ قال: نعم، رأيت رجلاً آدم دميماً قصيراً أعمى، يقال: أنه كان أنكد و إن فيه نكدا - أى: مشؤوماً و فيه عسر - فقال عثمان: يكفيك من شرّ سماعه. و أمر بإخراجه.

و عن (أنساب قريش ابن بكار): اصطلحت قريش على ان يولّى هاشم

ص: ٢٤٠

بعد موت أبيه السقاية و الرفادة، و ذلك انّ عبد شمس كان يسافر و قلّ أن يقيم بمكة - و كان رجلاً معيلاً، و كان له ولد كثير - و كان هاشم رجلاً موسراً، فكان إذا حضر الحج قام فى قريش فقال: إنكم جيران الله و أهل بيته، و إنه يأتىكم فى هذا الموسم

^{٦٤١} (١) إثبات الوصية للمسعودي: ١٠٩.

^{٦٤٢} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٥: ٢٠٧.

زوّار الله يعظمون حرمة بيته، فهم لذلك ضيف الله، و أحق ضيف بالكرامة ضيف الله، و قد خصّكم الله بذلك و أكرمكم به، ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره، فأكرموا ضيفه و زوّاره، فإنّهم يأتون شعنا غبرا من كلّ بلد، ضوامر كالقداح و قد ارجفوا و تفلوا و قملوا و ارسلوا، فأقروهم و أعينوهم.

فكانت قريش تتراقد على ذلك، و كان هاشم يخرج في كلّ سنة مالا كثيرا، و كان يقول لقريش: فوربّ هذه البنية لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتموه، ألا و إني مخرج من طيّب مالي و حلاله ما لم يقطع فيه رحم و لم يؤخذ بظلم، و لم يدخل فيه حرام. و أسألكم بحرمة هذا البيت ألا يخرج منكم رجل من ماله لكرامة زوّار بيت الله و معونتهم إلّا طيبا، لم يؤخذ ظلما، و لم يقطع فيه رحم، و لم يغتصب. فكانت قريش تخرج من صفو أموالها ما تحتمله أحوالها، و تأتي بها الى هاشم فيضعه في دار الندوة لضيفة الحاج، و كان هاشم يأمر بحياض من ادم، يجعل في موضع زمزم من قبل أن تحتفر، يستقى فيها من البئار التي بمكة فيشرب الحاج، و كان يطعمهم أوّل ما يطعم قبل يوم التروية بيوم، بمكة و منى و بجمع و بعرفة، و كان يرثد لهم الخبز و اللحم و السمن و السويق و التمر، و يحمل لهم الماء فيسقون بمنى - و الماء يومئذ قليل - الى أن يصدروا.

و قال الجاحظ: كان يقال لهاشم: القمر. كان بين مطرود الخزاعي و بعض قريش شيء، فدعاه الى المحاكمة الى هاشم، و قال:

و مطعمهم في الازل من قمع الجزر

الى القمر السارى المنير دعوته

و قال ابن بكار: قالوا لهاشم: عمرو العلى لمعاليه، و كان أول من سن

ص: ٢٤١

الرحلتين: رحلة الى الحبشة و رحلة الى الشام، و كانت قريش لا تعدو تجارتهم مكة، إنّما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم و يتبايعون بها بينهم، و يبيعون من حولهم من العرب حتى رحل هاشم الى الشام، فنزل بقيصر فكان يذبح كلّ يوم شاء، و يضع جفنة من ثريد يدعو الناس فيأكلون. و كان من أحسن الناس خلقا و تماما، فذكر لقيصر و قيل له: هاهنا رجل من قريش يهشم الخبز ثم يصبّ عليه المرق و يفرغ عليه اللحم و يدعو الناس. و كانت الأعاجم و الروم تضع المرق في الصحف تأتدّم عليه بالخبز، فدعا به قيصر، فلمّا رآه و كلمه اعجب به، و جعل يرسل إليه فيدخل عليه، فلمّا رأى مكانه منه سأله أن يأذن لقريش في القدوم عليه بالمتاجر، و أن يكتب لهم كتاب الأمان في ما بينهم و بينه، ففعل. فبذلك ارتفع هاشم من قريش.

«و لا حرب كعبد المطلب» عن (الأغاني): أن معاوية قال لدغفل النسابة:

أ رأيت عبد المطلب كيف كان؟ قال: رأيت رجلا نبيلًا و ضيئًا كأنّ على وجهه نور النبوة.

و في (الكافي)^{٦٤٣}: عن الصادق عليه السلام: جاء النبي صلى الله عليه وآله وهو طفل يدرج حتى جلس على فخذه عبد المطلب، فأهوى بعض ولده إليه لينحيه عنه، فقال له: دع ابني فإن الملك قد أتاه^{٦٤٤}.

و عنه عليه السلام: قال النبي صلى الله عليه وآله: سنَّ عبد المطلب في الجاهلية خمس سنن أجراها الله له في الاسلام: حرَّم نساء الآباء على الأبناء، فأُنزل تعالى: «وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ»^{٦٤٥}. و وجد كنزا فأخرج منه الخمس

ص: ٢٤٢

و تصدَّق به، فانزل تعالى: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ»^{٦٤٦}. و لما حفر زمزم سمَّاها سقاية الحاج، فأُنزل تعالى: «أَجْعَلْنَاهُ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»^{٦٤٧}. و سن في القتل مائة من الإبل، فأجرى الله تعالى ذلك في الاسلام. و لم يكن للطواف عدد عند قريش، فسنَّ فيهم عبد المطلب سبعة أشواط، فأجرى الله تعالى ذلك في الاسلام.

و كان لا يستقسم بالأزلام، و لا يعبد الأصنام، و لا يأكل ما ذبح على النصب، و يقول: أنا على دين إبراهيم.

و عنه عليه السلام: أنَّ عبد المطلب أوَّل من قال بالبداء. يبعث يوم القيامة و عليه بهاء الملوك و سيماء الأنبياء، و كان يفرش له بفناء الكعبة لا يفرش لأحد غيره، و كان له ولد يقومون على رأسه، فيمنعون من دنا منه.

و في (الطبري)^{٦٤٨}: تنافر عبد المطلب بن هاشم و حرب بن امية الى النجاشي الحبشي، فأبى أن ينفر بينهما، فجعل بينهما نفيل بن عبد العزى العدوي، فقال لحرب: أتنافر رجلا هو أطول منك قامه، و أعظم منك هامة، و أوسم منك و سامه، و أقل منك لامة، و أكثر منك ولدا، و أجزل منك صفدا، و أطول منك مذودا؟ فنفره عليه.

و رواه الجاحظ: قال نفيل لحرب:

أبوك معاهر و أبوه عف و ذاد الفيل عن بلد حرام

قال في شرح قوله: «أبوك معاهر»: إنَّ امية تعرَّض لامرأة من زهرة، فضربه

^{٦٤٣} (١) الكافي ١: ٤٤٨ ح ٢٦.

^{٦٤٤} (٢) ذكره شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٢٢٩ الباب ٢٨.

^{٦٤٥} (٣) النساء: ٢٢.

^{٦٤٦} (١) الأنفال: ٤١.

^{٦٤٧} (٢) التوبة: ١٩.

^{٦٤٨} (٣) تاريخ الطبري ٢: ١٣.

ص: ٢٤٣

رجل منهم بالسيف، فأراد امية إخراج زهرة من مكة، فقام دونهم قيس بن عدى السهمي - وكانوا أخواله، وكان منيع الجانب - وصاح: «اصبح ليل».

فذهبت مثلاً، و نادى: «الآن الطاعن مقيم». وفي هذه القصة يقول وهب بن عبد مناف جدّ النبي صَلَّى الله عليه وآله لا مّه:

لا يكسبنك يوم ذكره شرّ

مهلا امية فإن البغي مهلكة

يصبّ في الكأس منه الصبر والمقر

تبدو كواكبه والشمس طالعة

و في (أنساب البلاذري): كان كعب بن لؤي عظيم القدر في العرب، فأرخوا بموته إعظاماً له، ثم بعام الفيل، ثم أرخوا بموت عبد المطلب.

و في خبر النسابة مع أبي بكر: أمنكم شبيهة الحمد مطعم طير السماء؟

قال: لا.

و قال النبي صَلَّى الله عليه وآله: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، ما عادانا بيت إلا و قد خرب و لا كلب إلا و قد جرب^{٦٤٩}.

و في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: لما أقبل صاحب الحبشة بالفيل يريد هدم الكعبة، مروا بإبل لعبد المطلب فاستاقوها، فتوجّه عبد المطلب الى صاحبهم يسأله رد إبله، فقيل له: إنه عظيم قريش، و هو رجل له عقل و مروءة.

فأكرمه و أدناه. ثم قال لترجمانه: سل ما حاجتك؟ فقال: إن أصحابك مروا بإبل لي فاستاقوها فأحببت أن تردّها عليّ. فتعجب من سؤاله ردّ الإبل، و قال:

هذا الذي زعمتم أنه عظيم قريش و ذكرتم عقله، يدع أن يسألني أن أنصرف عن بيته الذي يعبد، أما لو سألتني أن أنصرف عن هدمه لانصرفت. فأخبره الترجمان بمقالة الملك، فقال له عبد المطلب: إنّ لذلك البيت ربّاً يمنع، و إنّما سألتك ردّ إبلي. فأمر بردّها عليه، ثم مضى عبد المطلب حتّى لقي الفيل على

ص: ٢٤٤

^{٦٤٩} (١) بحار الأنوار ٤: ١٢٧ الباب ٥٦.

طرف الحرم، فقال له: محمود فحرّك رأسه، فقال له: أ تدرى لم جىء بك؟ فقال برأسه: لا. فقال: جاءوا بك لتهدم بيت ربك، أ فتفعل؟ فقال برأسه: لا. فانصرف عبد المطلب و جاءوا بالفيل ليدخل الحرم، فلمّا انتهى الى طرف الحرم امتنع

و عن (انساب ابن بكار)^{٦٥٠}: أنّ ركبا من جذام خرجوا صادرين عن الحج من مكة، فوجدوا رجلا من عالية بيوت مكة يقال له: حذافة، فربطوه و انطلقوا به، فتلقاهم عبد المطلب مقبلا من الطائف و معه ابنه أبو لهب يقود به - و حينئذ قد ذهب بصره - فلما نظر إليه حذافة هتف به، فقال لابنه: ويلك من هذا؟ قال:

حذافة بن غانم العذرى مربوطا مع ركب. قال: فالحقهم و أطلق الرجل. فلحقهم و قال لهم: قد عرفتم تجارتي و مالي، أحلف لكم لاعطينكم عشرين أوقية ذهباً، و عشرا من الإبل، و فرسا، و هذا ردائي رهنا. فقبلوا ذلك و أطلقوا حذافة، فلمّا أقبل به و قربا سمع عبد المطلب صوت أبي لهب، و لم يسمع صوت حذافة، فصاح بابنه: إنّك لعاص، ارجع لا أمّ لك فأتت به. قال: يا أبتاه هذا الرجل معي.

فناداه عبد المطلب: يا حذافة، أسمعني صوتك. قال: ها أنا ذا بأبي أنت و امي يا ساقى الحجيح. أردفني. فأردفه حتّى دخل مكة، فقال حذافة يوصي ابنه خارجة بالانتماء الى بنى هاشم:

لهم شاكرا حتى تغيب في القبر

أ خارج إمّا أهلكنّ فلا تزل

يضىء ظلام الليل كالقمر البدر

بنى شبيبة الحمد الكريم فعالة

و عنه^{٦٥١}: أنّ عبد المطلب اتى فى المنام، فقيل له: «احفر زمزم خبيئة الشيخ الأعظم». فاستيقظ فقال: «اللهم بين لي» فارى فى المنام مرة أخرى:

«احفر مكتم، بين الرّفث و الدم، فى مبحث الغراب فى قرية النمل مستقبلة

ص: ٢٤٥

الانصاب الحمر». فقام فمشى حتى جلس فى المسجد الحرام ينتظر ما سمى له من الآيات، فنحر بقرة بالجزورة فأفلتت من جازرها بحشاشة نفسها حتى غلبها الموت فى المسجد فى موضع زمزم، فاحتمل لحماها من مكانها، و أقبل غراب يهوى حتى وقع فى الفرث، يبحث عن قرية النمل، فقام عبد المطلب يحفر، و قال: إنّى لحافر هذا البئر و مجاهد من صدنى عنها. فطفق يحفر هو و ابنه الحارث - و ليس له يومئذ ولد غيره - فيسفه عليهما الناس من قريش و ينازعونهما، و تناهى عنه ناس من قريش لما يعلمون من زعيق نسبه و صدقه، حتى إذا أتعبه الحفر نذر إن و فى له عشرة من الولد أن ينحر أحدهم.

^{٦٥٠} (١) لا وجود له فى أنساب قريش لابن بكار، و لكن ما يتضمن معناه موجود فى نسب قريش لمصعب الزبيرى: ٣٧٥.

^{٦٥١} (٢) نقله عن نهج البلاغة ١٥: ٢١٤ - ٢١٥.

ثم حفر فأدرك سيوفا دفنت في زمزم حين دفنت، فلما رأت قريش أنه قد أدرك السيوف قالت له: أجدنا ما وجدت. فقال: هذه السيوف لبیت الله. ثم حفر حتى أنبط الماء، فحفرها في القرار، ثم بحرّها حتى لا تنزف، ثم بنى عليها حوضاً، و طفق هو و ابنه ينزعان فيملآن ذلك الحوض، ليشرب منه الحاج، و كان قوم من قريش يكسرون الحوض حسداً له بالليل، فيصلحه حين يصبح، فلما أكثروا دعا ربّه، فأرى فقيل له: قل: «اللهم إني لا احلها لمغتسل، و هي لشارب حلّ و بل». ثم كفيتهم، فقام حين اختلفت قريش في لمسجد، فنادى بالذي أرى ثم انصرف، فلم يكن يفسد حوضه عليه أحد من قريش إلا رمى في جسده بدءاً، حتى تركوا حوضه ذلك و سقايته، ثم تزوّج النساء فولد له عشرة رهط، فقال: «اللهم إني كنت نذرت لأنحر أحدهم و إني أقرع بينهم، فأصب بذلك من شئت» فأقرع بينهم فطارت القرعة على عبد الله - و كان أحبّ ولده إليه - فقال:

اللهم هو أحب اليك أم مائة من الإبل

و قال: و يقال: كان يعرف في عبد المطلب سيماء النبوة، و هيبة الملك.

و عن (سيرة محمد بن إسحاق): لما أنبط عبد المطلب الماء في زمزم

ص: ٢٤٦

حسدته قريش، فقالت له: إنها بئر أبينا إسماعيل، و إنّ لنا فيها حقاً فاشركنا معك. قال: ما أنا بفاعل، إنّ هذا الأمر خصصت به دونكم. قالوا: فإنّا غير تاركيك. قال: فاجعلوا بيني و بينكم حكماً احاكمكم إليه. قالوا: كاهنئ بني سعد بن هذيم. قال: نعم. و كانت بأشراف الشام، فركب عبد المطلب في نفر من عبد مناف، و خرج من كل قبيلة من قريش قوم، و الأرض إذ ذاك مفاوز، حتّى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز و الشام، نفذ ما كان مع عبد المطلب و بنى أبيه من الماء، فعطشوا عطشاً شديداً، فاستسقوا قومهم فأبوا ان يسقوهم، و قالوا: نحن بمفازة و نخشى على أنفسنا مثل الذي أصابكم، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم و خاف على نفسه و أصحابه الهلاك، قال لأصحابه:

ما ترون؟ قالوا: ما رأينا إلّا تبع لرأيك، فمرنا بما أحببت. قال: فإنّي أرى أن يحفر كل رجل منّا حفرة لنفسه بما معه الآن من القوة، فكلما مات رجل دفنه أصحابه حتى يكون رجل واحد، فضيعة واحد أيسر من ضيعة ركب. قالوا:

نعم ما أشرت. فقام كلّ رجل منهم فحفر حفيرة و قعدوا ينتظرون الموت، ثمّ إنّ عبد المطلب قال لهم: و الله ان لقاءنا بأيدينا كذا للموت لعجز، قوموا فعسى الله ان يرزقنا ماء ببعض الأرض، ارتحلوا. فارتحلوا و من معهم من قبائل قريش ينظرون ما هم صانعون، فتقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعث به انفجر من تحت خفها عين ماء عذب، فكبرّ و كبرّ أصحابه، ثم نزل فشرّب هو و أصحابه و ملاؤوا اسقيتهم، ثمّ دعا القبائل من قريش، فقال لهم:

هلموا إلى الماء، فقد أسقانا الله فاشربوا. فقالوا: قد قضى الله لك علينا، و الله لا نخاصمك في زمزم ابداً. إنّ الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو سقاك زمزم فارجع إليها.

و روى كاتب الواقدي في (طبقاته): قصة أخرى لعبد المطلب في ماء له

بالطائف، يقال له: ذو الهرم، مع جندب الثقفي، و أنهما تنافرا إلى الكاهن العذرى بالشام، و نفذ ماء عبد المطلب و من معه، فانفجرت عين من تحت جران بعير عبد المطلب.

و عن القمى رفعه، قال: كان في الكعبة غزالان من ذهب و خمسة أسياف، فلما غلبت خزاعة جرهما ألقت جرهم الأسياف و الغزالين في بئر زمزم، و ألقوا فيها الحجارة و طموها و عموا أثرها، فلما غلبت قصى على خزاعة لم يعرفوا موضع زمزم و خفى عليهم موضعها. فلما بلغ عبد المطلب و كان يفرش له في فناء الكعبة، و لم يكن يفرش لأحد هناك غيره، فبينما هو نائم في ظل الكعبة رأى في منامه: أن أتابه آت فقال له: احفر بره. فقال: و ما بره؟ ثم أتاه في اليوم الثاني فقال له: احفر طيبة. فقال: و ما طيبة؟ ثم أتاه في اليوم الثالث فقال: احفر المصونة؟ قال: و ما المصونة؟ ثم أتاه في اليوم الرابع فقال:

«احفر زمزم، لا تبرح و لا تدم، تسقى الحجيج الأعظم، عند الغراب الأعصم، عند قرية النمل. و كان عند زمزم جحر يخرج منه النمل، فيقع عليه غراب أعصم يلتقط النمل كل يوم، فلما رأى عبد المطلب هذه الرؤيا عرف موضع زمزم، فقال لقريش: إنني عبرت في أربع ليال في حفر زمزم، و هي مأثرتنا و عزنا فهلما نحفرها، فلم يجيبوه، فأقبل يحفرها هو بنفسه، و كان له ابن واحد و هو الحرث، و كان يعينه على الحفر، فلما صعب عليه ذلك تقدم إلى باب الكعبة، ثم رفع يديه و دعا الله تعالى، و نذر له إن رزقه عشرة بنين أن ينحر أحبهم إليه تقرباً إليه تعالى، فلما أن حفر و بلغ الطوى - طوى إسماعيل - و علم أنه قد وقع على الماء، كبر و كبرت قريش و قالوا: يا أبا الحرث هذه مأثرتنا و لنا فيها نصيب. فقال: لم تعينوني على حفرها، هي لى و لولدى في الدهر.

و في (الطبري)^{٦٥٢}: كان سبب بدء الحلف الذي كان بين بنى هاشم و خزاعة - الذي افتتح النبي صلى الله عليه و آله بسببه مكة و قال: لتنصب هذه السحابة بنصر بنى كعب - أن نوفل بن عبد مناف - و كان آخر من بقى من عبد مناف - ظلم عبد المطلب على اركاح له - و هي الساحات - و كانت أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو النجاري من الخزرج فتتصف عبد المطلب عمه فلم ينصفه، فكتب إلى أخواله:

هل من رسول إلى النجار أخوالى

يا طول ليلى لأحزاني و أشغالى

فقدم عليه منهم ثمانون راكباً فأناخوا بفناء الكعبة، فلما رأهم نوفل قال لهم: أنعموا صباحاً. فقالوا له: لا نعم صباحك أيها الرجل! نصف ابن اختنا من ظلامته. قال: أفعل بالحب لكم و الكرامة. فرد عليه الأركاح، فدعا ذلك عبد المطلب إلى الحلف مع خزاعة - إلى أن قال - و اسمه شيبه لأنه كان في رأسه شيبه، و قيل له: عبد المطلب، لأن أباه كان شخص في تجارة له إلى

الشام، فسلک طريق المدينة إليها، فلما قدم المدينة نزل على زيد بن عمرو الخزرجي - أو عمرو بن زيد الخزرجي على اختلاف الروايات - فرأى ابنته سلمى فأعجبته فخطبها إلى أبيها، فأنكحه و شرط عليه: ألا تلد ولداً في أهلها. ثم مضى هاشم لوجهته قبل أن يبنى بها، ثم انصرف راجعاً، فبنى بها في أهلها فحملت منه، ثم ارتحل إلى مكة و حملها معه، فلما أثقلت ردها إلى أهلها و مضى إلى الشام، فمات بها بغزةً، فولدت سلمى عبد المطلب، فمكث يثرب سبع سنين أو ثمانى.

ثم إن رجلاً من بنى الحرث بن عبد مناف مرّ يثرب، فإذا غلمان ينتضلون، فجعل شبيهة إذا خسق قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيد البطحاء. فقال

ص: ٢٤٩

له الحارثي: من أنت؟ قال: أنا شبيهة بن هاشم. فلما أتى الحارثي مكة قال للمطلب، و هو جالس في الحجر: تعلم أنّى وجدت غلماناً ينتضلون يثرب، و فيهم غلام إذا خسق، قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيد البطحاء؟ فقال المطلب:

و الله لا أرجع إلى أهلى حتى آتى به. فقال له الحارثي: هذه ناقتى بالفناء فاركيها. فجلس المطلب عليها، فورد يثرب عشاء حتى أتى بنى عدى بن النجار، فإذا غلمان يضربون كرة بين ظهري مجلس، فعرف ابن أخيه، فقال للقوم: أ هذا ابن هاشم؟ قالوا: نعم، هذا ابن أخيك، فإن كنت تريد أخذه فالساعة قبل أن تعلم به أمّه، فإنّها إن علمت لم تدعه، و حلنا بينك و بينه. فدعاه و قال: يا بن أخى، أنا عمّك أردت الذهاب بك إلى قومك. و أناخ راحلته، فما كذب أن جلس على عجز الناقة، فانطلق به و لم تعلم به أمّه، حتى كان الليل فقامت تدعو بحربها على ابنه، فاخبرت أن عمّه ذهب به. و قدم به المطلب ضحوةً و الناس في مجالسهم فجعلوا يقولون: من هذا؟ فقال: عبد لى. ثم خرج المطلب حتى أتى الجزورة، فاشتري حلةً فألبسها شبيهة، ثم خرج به حين كان العشى إلى مجلس بنى عبد مناف

و قال الجاحظ مع نصبه: و قد أعطى الله عبد المطلب في زمانه، و أجرى على يديه، و أظهر من كرامته ما لا يعرف مثله إلّا لنبيّ مرسل، و أنّ في كلامه لأبرهة صاحب الفيل، و توعدّه إتياء ربّ الكعبة، و تحقيق قوله من الله تعالى و نصره و عيده بحبس الفيل، و قتل أصحابه بالطير الابابيل و حجارة السجيل حتّى تركوا كالعصف المأكول، لأعجب البرهانات و أسنى الكرامات - إلى أن قال - و لو شئنا أن نذكر ما أعطى الله عبد المطلب من تفجير العيون، و ينابيع الماء من تحت كل كل بعيره، و اخفائه بالارض النفسى، و بما أعطى من المساهمة و عند المقارعة من الامور العجيبة و الخصال البائنة، لقلنا.

ص: ٢٥٠

و روى ابن بكار عن ابن شهاب قال: أوّل ما ذكر من عبد المطلب أن قريشا خرجت فارّة من الحرب خوفاً من أصحاب الفيل - و عبد المطلب يومئذ غلام شاب - فقال: و الله لا أخرج من حرم الله أبغى العزّ في غيره. فجلس في البيت، و أجلت قريش عنه، فقال عبد المطلب:

نع رحله فامنع حلالك

اللهم إنّ المرء يم

فلم يزل تائباً في الحرم حتى أهلك الله الفيل و أصحابه، فرجعت قريش و قد عظم فيهم بصيرته و تعظيمه.

و في (الكافي)^{٦٥٣}: أنَّ عبد المطلب قال لبعض مواليه لما جاء أبرهه: اعل الجبل فانظر، ترى شيئاً؟ فقال: أرى سواداً من قبل البحر. فقال له: يصيبه بصرك أجمع؟ قال: لا، و أوشك أن يصيب. فلما أن قربت قال: هو طير كثير و لا اعرف، يحمل كل طير في منقاره حبة حصاة مثل حصاة الحذف أو دونها.

فقال عبد المطلب: و ربَّ عبد المطلب ما تريد إلّا القوم. حتى لما صارت فوق رؤوسهم أجمع، ألقت الحصاة فوقعت كل حصاة على هامئة رجل، فخرجت من دبره فقتلته، فما انفلت منهم إلّا رجل واحد يخبر الناس، فلما أخبرهم ألقت عليه حصاة فقتلته.

و في (حياء حيوان الدميري): في عنوان الغراب: ذكر المسعودي^{٦٥٤}: أنَّ أمية بن أبي الصلت كان مصحوباً يبدو له الجن، فخرج في غير من قريش، فمرت به حية فقتلها، فاعترضت لهم حية أخرى تطلب به ثأرها، و قالت: قتلتم فلانا. ثمَّ ضربت الأرض بقضيب، فنفرت الإبل فلم يقدروا عليها إلّا بعد عناء

ص: ٢٥١

شديد، فلما جمعوها جاءت ثانية، فضربت فنفرت فلم يقدروا عليها إلّا بعد نصف الليل، ثم جاءت فضربت ثالثة، فنفرتها فلم يقدروا عليها حتى كادوا أن يهلكوا عطشا و عناء، و هم في مفازة لا ماء بها، فقالوا لامية: هل عندك من حيلة؟ قال: لعلها. ثم ذهب حتى جاوز كتيبا، فرأى ضوء نار على بعد فاتبعه، حتى أتى على شيخ في حناء، فشكا إليه ما نزل به و بصحبه - و كان الشيخ جنياً - فقال: فاذهب فإن جاءكم فقولوا: «باسمك اللهم» سبعا. فرجع إليهم، و قد أشرفوا على الهلاك، فأخبرهم بذلك، فلما جاءتهم الحية قالوا ذلك، فقالت:

تبا لكم، من علمكم هذا؟ ثم ذهبت. و أخذوا إبلهم و كان فيهم حرب ابن أمية، فقتلته الجن بعد ذلك بثأر الحية المذكورة، و قالوا فيه:

و ليس قرب قبر حرب قبر

و قبر حرب بمكان قفر

^{٦٥٣} (١) الكافي ١: ٤٤٨ ح ٢٥.
^{٦٥٤} (٢) المسعودي ٢: ١٦١.

و فى (الأغانى)^{٦٥٥}: مرّ حرب ابن اميّة و مرداس - أبو العباس بن مرداس - بغیضة ملتفتة الشجر، فاحرقا شجرها ليتخذها مزرعة، فكانت تخرج من الغیضة حباب بیض فتطير حتى تغیب، و مات حرب و مرداس عقیب ذلك، فتحدّث قومهما: أنّ الجن قتلتهما لإحراقهما منازلهما من الغیضة. و ذلك قبل البعثۃ بحین. ثمّ كانت بین أبی سفیان بن الحرب و العباس بن مرداس منازعة فى هذه القرية.

«و لا أبو سفیان كأبى طالب» أمّا الأوّل فقال الجاحظ: قام أبو سفیان مقام أبیه فخالفه أبو الأزیهر الدوسى، و كان عظیم الشأن فى الأزد، و كانت بینه و بین بنی الولید بن مغیره محاکمة فى مصاهرة كانت بین الولید و بینة، فجاء هشام بن الولید و أبو الأزیهر كان قاعدا فى مقعد أبی سفیان بذی المجاز، ف ضرب عنقه، فلم يدركه به أبو سفیان عقلا و لا قودا فى بنی المغیره.

ص: ٢٥٢

و لمّا كتب معاوية إلى زیاد لمّا كان على فارس بعد أمير المؤمنین علیه السّلام و هدّده و عبّره، أجابه زیاد: و أمّا تعییرک لى بسمیة فإن كنت ابن سميّة، فأنت ابن حمامة! و یأتى أنّ حمامة امّ أبی سفیان كانت بغیا صاحبة رایة فى الجاهلیة.

و أمّا الثانی فقال ابن بکار: كان كافل النبیّ صلّى الله علیه و آله و حامیه من قریش، و ناصره و الرفیق به، و الشفیق علیه و وصیّ عبد المطلب فیه، و كان سید بنی هاشم فى زمانه، و لم یکن أحد من قریش یسود فى الجاهلیة إلّا بمال، إلّا أبو طالب، و أبو طالب أوّل من سنّ القسامۃ فى دم عمرو بن علقمة، ثم أثبتتها السنّة فى الاسلام، و كانت السقایة بیده، ثم سلّمها إلى أخیه العباس.

و قال معاوية لعمرو بن العاص - بعد ضرب الخارجی صاحبه له ضربة عالج منها، و قتل الخارجی صاحب أمير المؤمنین علیه السّلام له، و عدم ظفر صاحب عمرو به:-

من ابن أبی - شیخ الأباطح

نجوت و قد بل المرادیّ سیفه

- طالب و فى خبر^{٦٥٦} الكندی الذى رأى النبیّ صلّى الله علیه و آله فى أوّل أمره یصلی و معه غلام و امرأة، و سأل العباس عنه، و أجابه بأنّه ابن أخیه محمّد بن عبد الله یزعم أنّه نبیّ، و لم یتبعه إلّا هذا الغلام: و هو ابن أخی علیّ بن أبی طالب، و هذه المرأة: و هى امرأته خدیجة بنت خویلد. قال له: فما تفعلون؟ قال ننظر ما یفعل الشیخ. یعنى: أبا طالب.

و كان اسمه عبد مناف، فلمّا مات عبد المطلب أوصى إلیه بالنبی، و قال لأبى طالب فى آیات:

^{٦٥٥} (١) الأغانى ٦: ٣٤١.
^{٦٥٦} (١) نهج البلاغة ١: ٢٩.

ص: ٢٥٣

فارقه و هو ضجيع المهد

فكنت كالام له فى الوجد

و عن ابن عساكر^{٦٥٧}: قال جلهمة بن عرفة: قدمت مكة و هم فى قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب أفحط الوادى، و أجذب العيال، فهلّم لنستسقى. فخرج أبو طالب و معه غلام كأنّ وجهه شمس دجى تجلت عنه سحابة قتما، فأخذه و ألصق ظهره بالكعبة، و لاذ الغلام بإصبعه و ما فى السماء قزعة، فأقبل السحاب من هاهنا و هاهنا و أغدق و انفجر الوادى، و أخصب النادى و البادى، فقال أبو طالب:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمّال اليتامى عصمة للأرامل

تطوف به الهلاك من آل هاشم

فهم عنده فى نعمة و فواضل

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذب

لدينا و لا يعبأ بقول الأباطل

فأيّده ربّ العباد بنصره

و أظهر ديننا حقّه غير ناصل

قلت: و الظاهر أنّ أبا طالب قال الأبيات بعد ذلك، و أشار فى قوله:

«و أبيض ...» إلى تلك الواقعة.

و فى (تفسير القمى): حمل علىّ عليه السّلام و حمزة يوم بدر عبيدة بن الحارث بن المطلب لما ارتث إلى النّبىّ صلّى الله عليه و آله، فنظر إليه و استعبر، و قال له: أنت أوّل شهيد من أهل بيتى. فقال عبيدة: أمّا إنّ عمك لو كان حيّا لعلم أنّى أولى بما قال منه، حيث يقول:

^{٦٥٧} (١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢: ١٦١ - ١٦٢.

كذبتهم و بيت الله نخلی محمدا
و لنصره حتّى نصرع حوله
و لما نطاعن دونه و نناضل
و نذهل عن أبنائنا و الحلائل

فقال له النبىّ صلّى الله عليه و آله أما ترى ابنه كالليث العادى بين یدى الله و رسوله، و ابنه الآخر فى جهاد الله بأرض الحبشة؟ فقال عبيدة للنبىّ صلّى الله عليه و آله: أسخطت

ص: ٢٥٤

علىّ فى هذه الحالة؟ قال: لا، و لكن ذكرت عمى فانقبضت.

و فى (الكافى)^{٦٥٨} عن الصادق عليه السّلام و قد قيل له: إنهم يزعمون أنّ أبا طالب كان كافرا. فقال: كذبوا كيف؟ و هو يقول:

الم يعلموا أنّا وجدنا محمدا
نبيا كموسى خط فى أوّل الكتب

و عنه عليه السّلام^{٦٥٩} فى خبر آخر: كيف يكون كافرا؟ و هو يقول:

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذب
لدينا و لا نعبأ بقليل الأباطل

و اشتهر عن المأمون قال: أسلم و الله أبو طالب بقوله:

نصرت الرسول رسول الاله
اذبّ و احمى رسول الاله
ببيض تلالا كلمع البروق
حمایة عمّ عليه شفيق

^{٦٥٨} (١) الكافى ١: ٤٤٨ ح ٢٩.
^{٦٥٩} (٢) الكافى ١: ٤٤٨ ح ٢٩.

و روى المهدى العباسى عن أبيه المنصور - كما رواه (تاريخ بغداد) ^{٦٦٠} فى عنوان معاوية بن عبيد الله كاتب المهدى - عن عطاء عن ابن عباس قال:

عارض النبىّ صلى الله عليه وآله جنازة أبى طالب و قال له: وصلتک رحم و جزاک خیرا یا عم.

و فى (الكافى) ^{٦٦١} عن الصادق عليه السلام: لمّا توفّى أبو طالب قال جبرئيل للنبىّ عليه السلام: اخرج من مكة فليس لك فيها ناصر.

و فى (الكافى) ^{٦٦٢}: عن الكاظم عليه السلام قال لدرست بن أبى منصور كان أبو طالب مستودعا للوصايا، فدفعها إلى النبىّ صلى الله عليه وآله، فمات من يومه.

هذا، و روى (نوادرج الكافى) ^{٦٦٣}: عن داود الرقى قال: دخلت على أبى

ص: ٢٥٥

عبد الله عليه السلام، ولى على رجل مال قد خفت تواه، فشكوت إليه ذلك، فقال لى: إذا صرت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافا، و صلّ ركعتين عنه، و طف عن أبى طالب طوافا، و صلّ عنه ركعتين، و طف عن عبد الله طوافا، و صلّ عنه ركعتين، و طف عن آمنه و صلّ عنها ركعتين، و طف عن فاطمة بنت أسد و صلّ عنها ركعتين، ثم ادع أن يردّ عليك مالک. قال: ففعلت ذلك ثم خرجت من باب الصفا، و إذا غريمى واقف يقول: يا داود حبستنى، تعال فاقبض مالک.

و إخواننا يعتقدون أنّ غير فاطمة بنت أسد كل من فى الخبر كافر.

«و لا الصريح كاللصيق» عن الزمخشري فى (ربيع الابرار): كان معاوية يعزى إلى أربعة: مسافر بن أبى عمرو، و عمارة بن الوليد بن المغيرة، و الصباح مغنى عمارة، و العباس.

و روى ابن أبى الحديد ^{٦٦٤} فى موضع آخر: أنّ عقيلاً دخل بعد وفاة أخيه عليه السلام على معاوية و حوله جلساؤه فقال له: أخبرنى عن عسكرى و عسكر أخيك، فقد وردت عليهما. قال: أخبرك. مررت و الله بعسكر أخى، فإذا ليل كليل رسول الله، و نهار كنهار رسول الله صلى الله عليه وآله، ما رأيت إلّا مصلّياً و لا سمعت إلّا قارياً. و مررت بعسكرك فاستقبلنى قوم من المنافقين ممن نفر بالنبىّ صلى الله عليه وآله ليلة العقبة، ثم قال لمعاوية: من هذا عن يمينك يا معاوية؟ قال: عمرو بن العاص. قال: هذا الذى اختصم فيه ستة نفر فغلب عليه جزار قریش، فمن الآخر؟ قال: الضحاک بن قيس الفهري. قال: أما و الله لقد

^{٦٦٠} (٣) تاريخ بغداد ١٣: ١٩٦.

^{٦٦١} (٤) الكافى ١: ٤٤٩ ح ٣١.

^{٦٦٢} (٥) الكافى ١: ٤٤٥ ح ١٨.

^{٦٦٣} (٦) الكافى ٤: ٥٤٤ ح ٢١.

^{٦٦٤} (١) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٢٤ - ١٢٥.

كان أبوه جيد الأخذ لعصب التيوس، فمن هذا الآخر؟ قال: أبو موسى الأشعري. قال: هذا ابن السراقة. فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلساءه، علم أنه إن استخبره عن نفسه، قال فيه سوءاً فأحب أن يسأله ليقول فيه ما يعلمه من سوء، فيذهب

ص: ٢٥٦

بذلك غضب جلسائه، فقال له: فما تقول في؟ قال: دعني من هذا. قال: أتعرف حمامة؟ قال: و من حمامة؟ قال: قد أخبرتك. ثم قام فمضى، فأرسل معاوية إلى نسابه، فقال: من حمامة؟ قال: لى الأمان؟ قال: نعم. قال: أم أبي سفيان أيبك كانت بغياً في الجاهلية صاحبة راية. فقال معاوية لجلسائه: قد ساويتكم و زدت عليكم فلا تغضبوا.

و فى (الطرائف) عن (منال هشام الكلبي): كانت لحمامة جدة معاوية راية بذي المجاز، و كان معاوية لأربعة - إلى أن قال - و كانت أمه من المغتلمات.

و فى (تذكرة سبط ابن الجوزي) - فى قصة طلب عمرو بن العاص و الوليد بن عقبة و المغيرة من معاوية أن يحضر الحسن عليه السلام لتخجيله - : قال الحسن عليه السلام لمعاوية: «و قد علمت الفراش الذى ولدت عليه» قال الكلبي: عامة الناس على أن معاوية من مسافر بن أبى عمرو لأنه كان أشد حبا لهند. فلما حملت هند بمعاوية خاف مسافر أن يظهر أنه منه، فهرب إلى ملك الحيرة هند بن عمرو، ثم إن أبا سفيان قدم الحيرة فلقية مسافر، و هو مريض من عشقه لهند و قد سقى بطنه - إلى أن قال - ثم مات مسافر من عشقه لهند - إلى أن قال - و جرى بين إسحاق بن طابة و يزيد بن معاوية كلام بين يدي أبيه. فقال يزيد لإسحاق: إن خيرا لك أن يدخل بنو حرب كلهم الجنة. أشار إلى أن أم إسحاق كانت تتهم ببعض بنى حرب، فقال له إسحاق: إن خيرا لك أن يدخل بنو العباس كلهم الجنة. فلم يفهم يزيد مراده و فهمه معاوية، فلما قام إسحاق قال معاوية ليزيد: كيف تشاتم الرجال قبل أن تعلم ما يقال فيك؟ قال: قصدت شين إسحاق. قال: و هو أيضا قصد شينك. قال: و كيف؟ قال: أما علمت أن بعض قريش فى الجاهلية يزعمون أنى للعباس؟ فسقط فى يدي يزيد.

ص: ٢٥٧

و قال الشعبى: و قد أشار النبى صلى الله عليه و آله إلى هند يوم فتح مكة بشيء من هذا، فأنها لما جاءت تباعه - و كان قد أهدر دمها - قالت: علام ابايحك؟ فقال:

على آلا تزنين. فقالت: و هل تزنى الحرة؟ فعرفها النبى صلى الله عليه و آله، فنظر إلى عمر فتبسم.

هذا، و قالوا: من حمقى بنى امية بكار بن عبد الملك بن مروان، و كان أبوه ينهاه إلى ان يجلس إلى خالد بن يزيد. فجلس يوما إليه فقال بكار: أنا و الله كما قال الأول:

يرددنى بنى اللخاء ترديدا

هذا و في (أصنام ابن الكلبي): كانت لقريش أصنام في جوف الكعبة، و كان أعظمها عندهم هبل، و كان في جوف الكعبة قدامه سبعة أقدح، مكتوب في أولها: «صريح» و الآخر: «ملصق». فإذا شكوا في مولود، اهدوا هدية، ثم ضربوا بالقداح فإن خرج «صريح» الحقوه به، و إن خرج «ملصق» دفعوه.

هذا، و يقال لربيعة و مضر: الصريحان من ولد نزار، و كان ولده أربعة:

هما مع إياد و أنمار. و يقال لقصى و زهرة ابني كلاب: صريحا قريش.

«و لا المحق كالمبطل» في (مناقب ابن طلحة الشافعي): قدمت سودة بنت عمارة الهمدانية بعد عليّ عليه السلام على معاوية، فجعل يؤنّبها على تحريضها عليه أيام صفين - إلى أن قال - قال معاوية لها: ما حاجتك؟ قالت: إن الله سائلك عن أمرنا، و لا يزال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك، و يبطش بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبيل، و يدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف و يذيقنا الحتف، و هذا بسر بن أرطاة قدم علينا فقتل رجالنا و أخذ أموالنا فإن عزلته عنا شكرناك و إلّا كفرناك. فقال معاوية: إياي تهديدن بقومك؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس فأردك إليه، فينفذ فيك حكمه.

ص: ٢٥٨

فأطرقت سودة ساعة، ثم قالت:

قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

صلّى الإله على روح تضمنها

فصار بالحق و الإيمان مقرونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلا

فقال معاوية: من هذا يا سودة؟ فقالت: هذا و الله أمير المؤمنين على بن أبي طالب و الله لقد جئت في رجل كان ولّاه صدقاتنا، فجار علينا، فجئته فصادفته قائما يصلّي، فلما رآني انفلت من صلاته، ثم أقبل علىّ برحمة و رفق و رأفة و تعطف، و قال: ألك حاجة؟ فقلت: نعم. و أخبرته، فبكى ثم قال: «اللهم أنت الشاهد علىّ و عليهم أنى لم أمرهم بظلم خلقك. و لا بترك حقك، ثم أخرج من جيبه قطعة جلد، فكتب فيها: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ... «قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزَانَ وَ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَ لَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ» ... «ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»^{٦٦٥} فإذا قرأت كتابي فاحفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم من يقبضه منك. ثم رفع الرقعة إلىّ فو الله ما ختمها بطين و لا خزمها، فجئت بالرقعة إلى صاحبه، فانصرف عنا معزولا.

«و لا المؤمن كالمدغل» أى: المفسد و الغاش «أ فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ»^{٦٦٦}.

و قد أجمعوا على أنه عليه السّلام المراد من المؤمن فى الآية.

و فى (صفين نصر)^{٦٦٧} قال الأصمغ: جاء رجل إلى علىّ عليه السّلام فقال: هؤلاء القوم الذين نقاتلهم، الدعوة واحدة و الرسول واحد و الصلاة واحدة و الحج واحد، فبم نسميهم؟ قال: بما سمّاهم الله فى كتابه - قال: ما كل ما فى الكتاب

ص: ٢٥٩

أعلمه. قال: أما سمعت الله يقول: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» - إلى - «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ»^{٦٦٨}؟ فلمّا وقع الاختلاف كنا نحن أولى بالله و بالكتاب و بالنبي و بالحق، فنحن الذين آمنوا، و هم الذين كفروا و شاء الله قتالهم، فقاتلناهم هدى بسنة الله ربنا و ارادته.

و فى (مروج المسعودي)^{٦٦٩}: قال ابن بكار فى (موفقيات): سمعت المدائني يقول: قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: وفدت مع أبى إلى معاوية، فكان أبى يتحدث عنده ثم ينصرف إلىّ، فيذكر معاوية و يذكر عقله، و يعجب مما يرى منه، إذ جاءت ذات ليلة فأمسك عن العشاء، فظننت أنه لشيء حدث فينا أو فى عملنا، فقلت له: مالى أراك مغتما منذ الليلة؟ قال: يا بنى إننى جئت من عند أخبت الناس. قلت له: و ما ذاك. قال: قلت له و قد خلوت به: إنك قد بلغت مناك فلو أظهرت عدلا و بسطت خيرا فانك قد كبرت، و لو نظرت الى إختوتك من بنى هاشم فوصلت أرحامهم، فو الله ما عندهم اليوم شيء تخافه. فقال لى: هيهات، ملك أخو تيم فعدل و فعل ما فعل، فو الله ما عدا ان هلك، فهلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: أبو بكر. ثم ملك أخو عدى فاجتهد و شمر عشر سنين، فو الله ما عدا أن هلك، فهلك ذكره إلّا أن يقول قائل: قال عمر. ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد مثل نسبه، فعمل ما عمل و عمل به، فو الله ما عدا أن هلك، فهلك ذكره و ذكر ما فعل به، و إنّ أخا هاشم يصرخ به فى كلّ يوم خمس مرّات: أشهد أنّ محمدا رسول الله، فأى عمل يبقى مع هذا، لا أمّ لك؟ و الله ألا دفنا دفنا.

ص: ٢٦٠

«و لبئس الخلف خلفا» هكذا فى (المصرية)^{٦٧٠} و هو غلط، و الصواب:

(خلف) كما هو القاعدة و كما فى (ابن أبى الحديد)^{٦٧١} و (ابن ميثم)^{٦٧٢}.

^{٦٦٦} (٢) السجدة: ١٨.

^{٦٦٧} (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٢٢.

^{٦٦٨} (١) البقرة: ٢٥٣.

^{٦٦٩} (٢) مروج الذهب للمسعودي ٤: ٤٠ - ٤١.

^{٦٧٠} (١) الطبعة المصرية: ١٨ الكتاب ١٧.

^{٦٧١} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٥: ١١٧.

^{٦٧٢} (٣) شرح ابن ميثم ٤: ٣٨٩.

و فى (مقاتل أبى الفرج)^{٦٧٣}: لَمَّا بُويع معاويةَ خطب فذكر عليًا عليه السَّلام، فنال منه و نال من الحسن عليه السَّلام، فقام الحسين عليه السَّلام ليرد عليه، فأخذ الحسن عليه السَّلام بيده فأجلسه، ثم قام فقال: أَيُّهَا الذَّاكِرُ عَلِيًّا، أَنَا الْحَسَنُ وَ أَبِي عَلِي، وَ أَنْتَ مُعَاوِيَةُ وَ أَبُوكَ صَخْر وَ أُمِّي فَاطِمَةُ وَ أُمُّكَ هِنْد، وَ جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ وَ جَدُّكَ حَرْب، وَ جَدَّتِي خَدِيجَةُ وَ جَدَّتُكَ قَتِيلَةُ، فَلَعَنَ اللَّهُ الْأَمَنَّا ذَكَرًا، وَ أَحْسَنَّا حَسَبًا وَ شَرَفًا، وَ أَقْدَمْنَا كَفْرًا وَ نِفَاقًا. فقال طوائف من المسجد: آمين.

«يتبع سلفا فى نار جهنم» فى (لهوف ابن طاوس): لَمَّا جَعَلَ يَزِيدُ يَنْكُتُ بِقَضِيْبِهِ ثَنَاءً الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلام وَ يَتَمَثَّلُ بِأَيَّاتِ ابْنِ الزَّبْعَرِيِّ وَ يَزِيدُ عَلَيْهَا:

ليت أشياخى ببدر شهدوا

جزع الخزرج من وقع الأسل

ثمَّ قالوا يا يزيد لا تشل

لأهلوا و استهلوا فرحا

قامت زينب و قالت فى ما قالت له: تهتف بأشياخك؟! فلتردن و شيكا موردھم، و لتودنَّ أنك شللت و بكمت و لم يكن فعلت ما فعلت و قلت ما قلت.

«و فى أيدينا بعد فضل النبوة» فى (مناقب ابن طلحة الشافعى): قال جابر الأنصارى: سمعت عليًا عليه السَّلام ينشد و النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَسْمَعُ:

أنا أخو المصطفى لا شك فى نسبى

«التي أذللتنا بها العزيز» كَأَبِي سَفِيَّانِ أَبِيهِ.

«و نعشنا» أَيْ: رَفَعْنَا.

ص: ٢٦١

«بها الذليل» كَسَلْمَانَ وَ مَقْدَادَ وَ عَمَّارَ، هَذَا وَ فِى (تاريخ بغداد)^{٦٧٤}: قَالَ أَعْرَابٌ مِنْ كِلَابٍ لِدَعْبَلٍ - وَ كَانَ هَجَاهُمْ -: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَكَرِهَ دَعْبَلٌ أَنْ يَقُولَ: مِنْ خِرَازَةِ فِيهِجُوهُمْ فَقَالَ: أَنَا أَنْتُمُ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ يَقُولُ فِيهِمُ الشَّاعِرُ:

^{٦٧٣} (٤) المقاتل لأبي الفرج: ٤٦.
^{٦٧٤} (١) تاريخ بغداد ٨: ٣٨٣.

اناس على الخير منهم و جعفر
و حمزة و السجاد ذو النفات
و جبريل و القرآن و السورات
إذا افتخروا يوما أتوا بمحمد

فوثب الاعرابى و هو يقول: محمد و جبريل و القرآن و السورات! مالى الى هؤلاء مرتقى، مالى الى هؤلاء مرتقى.

و فى (الأغاني)^{٦٧٥}: وفد عمر بن أبى ربيعة على عبد الملك، فقال له:

أخبرنى عن منازعتك اللهبى فى المسجد الجامع، فقد أتانى نبأ ذلك، و كنت أحبّ أن أسمعك منك. فقال: بينا أنا جالس فى المسجد الحرام فى جماعة من قريش، إذ دخل علينا الفضل بن العباس بن عتبة فسلم و جلس، و وافقنى و أنا أتمثل بهذا البيت:

و أصبح بطن مكة مقشعرا
كان الأرض ليس بها هشام

فأقبل على، فقال: يا أبا بنى مخزوم و الله إنّ بلدة تبجح بها عبد المطلب، و بعث فيها النبى صلى الله عليه و آله، و فيها بيت الله تعالى، لحقيقة ألا تقشعر لهشام. و إنّ أشعر من هذا البيت و أصدق، قول من يقول:

إنما عبد مناف جوهر
زين الجوهر عبد المطلب

فأقبلت عليه فقلت: يا أبا بنى هاشم إنّ أشعر من صاحبك، الذى يقول:

إنّ الدليل على الخيرات أجمعها
أبناء مخزوم للخيرات مخزوم

فقال لى: أشعر - و الله - من صاحبك، الذى يقول:

جبريل أهدى لنا الخيرات أجمعها
آرام هاشم لا أبناء مخزوم

فقلت فى نفسى: غلبنى و الله، ثم حملنى الطمع فى انقطاعه عنى، فقلت له:

بل أشعر منه الذى يقول:

أبناء مخزوم الحريق اذا
يخرج منه الشرار مع لهب
حرّكته تارة ترى ضرما
من حاد عن حدّه فقد سلما

فو الله ما تلعثم أن أقبل علىّ بوجهه، فقال: يا أخا بنى مخزوم، أشعر من صاحبك و أصدق، الذى يقول:

هاشم بحر اذا سما و طما
و اعلم- و خير القول أصدقه-
أحمد حر الحريق و اضطرما
بأن من رام هاشما هشما

فتمنيت و الله أن الأرض ساخت بى، ثم تجلدت عليه، فقلت: يا أخا بنى هاشم أشعر من صاحبك، الذى يقول:

أبناء مخزوم أنجم طلعت
تجود بالنيل قبل تسأله
للناس تجلو بنورها الظلما
جودا هنيئا و تضرب البهما

فأقبل علىّ بأسرع من اللحظ، ثم قال: أشعر من صاحبك و أصدق، الذى يقول:

هاشم شمس بالسعد مطلعها

إذا بدت أخفت النجوم معا

اختارنا الله في النبي فمن

قارعنا بعد أحمد قرعا

فاسودّت الدنيا في عيني، فانقطعت فلم أجد جوابا، ثم قلت له: يا أبا بني هاشم إن كنت تفتخر علينا بالنبي صلى الله عليه و آله، فما تسعنا مفاخرتك. فقال: كيف لا نفتخر به و لو كان منك لفخرت به عليّ؟ فقلت: صدقت، إنّه لموضع الفخار.

و سررت بقطعه الكلام، ثم إنّه ابتدأ المناقضة، ففكر هنيئاً ثم قال: قد قلت فلم أجد بدا من الاستماع. فقلت: هات. فقال:

ص: ٢٦٣

نحن الذين إذا سما بفخارهم

ذو الفخر أقعده هناك القعدد

افخر بنا إن كنت يوما فاخرا

تلق الألى فخروا بفخرک افردوا

قل يا بن مخزوم لكلّ مفاخر

مناّ المبارك ذو الرسالة أحمد

ما ذا يقول ذوو الفخار هنا لكم

هيهات ذلك هل ينال الفرقد

فحصرت و تبلّدت، ثم قلت له: انظرني. و أفكرت ملياً ثم أنشأت أقول:

لا فخر إلّا قد علاه محمد

فاذا فخرت به فأنّى أشهد

ان قد فخرت وفقت كلّ مفاخر

و إليك في الشرف الرفيع المقصد

ولنا دعائم قد تناهى أول

في المكرمات جرى عليها المولد

من رامها حاشى النبيّ و أهله

في الأرض غطّطه الخليج المزبد

دع و ذا و رح بفناء خود بضه

مما نطقت به و غنّى معبد

مع فتية تندى بطون أكفهم

جودا إذا هز الزمان الأنكد

يتناولون سلافة عامية

طابت لشاربها و طاب المقعد

فو الله لقد أجبني بجواب كان أشدّ على من الشعر، فقال لي: يا أخا بني مخزوم اريك السها، و تريني القمر. و هذا مثل، أى: تخرج من المفاخرة الى شرب الراح - الى أن قال - فقلت: لا أرى شيئا أصلح من السكوت. فضحك و قام عنى. قال: فضحك عبد الملك حتى استلقى، و قال: يا بن أبى ربيعة أما علمت أن لبني عبد مناف السنة لا تطاق؟

قلت: قول عبد الملك نظير قول معاوية: «إنا بنو عبد مناف».

«و لما أدخل الله العرب فى دينه أفواجا» قال تعالى: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا»^{٦٧٦}.

«و أسلمت له هذه الامة طوعا و كرها» بعد فتح مكة.

ص: ٢٤٤

«كنتم ممن دخل الدين إما رغبة و إما رهبة» لأنّ إسلامهم كان بعد الفتح، و قال صلى الله عليه و آله بعد الفتح لأهل مكة كما فى (الطبرى)^{٦٧٧}: «أذهبوا فأنتم الطلقاء» فاعتقهم و قد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة و كانوا له فيثا. و انما قوله عليه السلام:

«إما رغبة و إما رهبة» نظير قوله تعالى: «وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»^{٦٧٨}. و إلّا فمعلوم كون دخولهم فى الدين رهبة.

«على حين فاز أهل السبق بسبقهم و ذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم» فى (الطبرى)^{٦٧٩}: قال العباس لأبى سفيان قبل أن يرد النبى صلى الله عليه و آله مكة: اركب عجز بغلتى لاستأمن لك النبى صلى الله عليه و آله، فو الله لئن ظفر ليضربن عنقك - الى أن قال - فلما رأى النبى صلى الله عليه و آله أبا سفيان قال له: ويحك! ألم يأن لك أن تعلم أنّ الله إلّا الله؟

فقال: و الله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره، لقد أغنى عنى شيئا. فقال: ويحك! ألم يأن لك أن تعلم أنّى رسول الله؟ فقال: أمّا هذه ففى النفس منها شيء. فقال له العباس: ويلك! تشهد شهادة الحق قبل أن يضرب عنقك. فتشهد، فقال النبى صلى الله عليه و آله للعباس: احبسه عند خطم الجبل بمضيق الوادى، حتى تمرّ عليه جنود الله - الى أن قال - فقال أبو سفيان للعباس:

^{٦٧٦} (١) النصر: ١ - ٢.

^{٦٧٧} (١) تاريخ الطبرى ٣: ٦١.

^{٦٧٨} (٢) سبأ: ٢٤.

^{٦٧٩} (٣) تاريخ الطبرى ٣: ٥٣.

لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً. فقال له العباس: ويحك! إنها النبوة. فقال: نعم إذن - إلى أن قال - قال الواقدي: وأمر النبي صلى الله عليه وآله بقتل ستة نفر، وأربع نسوة، منهن هند أم معاوية - إلى أن قال - فجاءته هند متنقبة متنكرة، لحدثها و ما كان من صنعها بحمزة، في بيعه النساء - إلى أن قال - قال لهن: «و لا تسرفن». فقالت هند: والله إن كنت لاصيب من مال أبي سفيان الهنة الهنة. فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: وإنك لهند؟ قالت:

ص: ٢٦٥

أنا هند، فاعف. قال: «و لا تزنين» قالت: و هل تزني الحرة؟ فقال: «و لا تقتلن أولادكن». فقالت: «ربينا هم صغاراً و قتلتهم يوم بدر كباراً»، فانت و هم أعلم.

فضحك عمر من قولها حتى استغرب.

«فلا تجعلن للشيطان فيك نصيباً و لا على نفسك سبيلاً» بادعاء الباطل، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله - كما رواه (صفين نصر) ٦٨٠: - إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري، فاضربوا عنقه.

و فيه ٦٨١: خرج عمار يوم الثالث، و خرج إليه عمرو بن العاص، فجعل عمار يقول: يا أهل الاسلام أ تريدون أن تنظروا إلى من عادى الله و رسوله، و جاهدهما و بغى على المسلمين، و ظاهر المشركين، فلما أراد الله أن يظهر دينه، و ينصر رسوله أتى النبي صلى الله عليه وآله فأسلم، و هو و الله ما يرى راهب غير راغب، و قبض الله رسوله و إنا و الله لنعرفه بعداوة المسلم، و مودة المجرم؟ ألا و إنه معاوية، فالعنوه لعنه الله، و قاتلوه فإنه يطفىء نور الله، و يظهر أعداء الله.

و مر في (١١) فصل الإمامة العامة: أن قوما استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين و الأنصار، و لكل فضل، حتى اذا استشهد شهيدنا قيل: سيد الشهداء و خصه رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بسبعين تكبيراً

٧

الخطبة (٥٥) و من كلام له عليه السلام و قد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين:

أَمَّا قَوْلُكُمْ أَكُلَ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ - فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي - دَخَلْتُ إِلَى

ص: ٢٦٦

الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ - وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ شَكَا فِي أَهْلِ؟ الشَّامُ؟ - فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا - إِلَّا وَ أَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي - وَ تَعْشُوا إِلَيَّ ضَوْئِي - وَ ذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا - وَ إِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا أَقُولُ: قَالَ ابْنُ

٦٨٠ (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣١٦.

٦٨١ (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢١٤.

أبى الحديد^{٦٨٢}: لما ملك أمير المؤمنين عليه السّلام الماء بصفين، ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه، استماله لهم و أظهرها للمعدلة و حسن السيرة فيهم، مكث أياما لا يرسل إلى معاوية و لا يأتيه من عنده أحد، فاستبطن أهل العراق إذنه لهم في القتال و قالوا له عليه السّلام: خلفنا ذرارينا و نساءنا بالكوفة و جئنا إلى أطراف الشام لتتخذها وطنا؟ ائذن لنا في القتال، فإنّ الناس قد قالوا.

فقال عليه السّلام: ما قالوا؟ فقل: إنّ الناس يظنون أنّك تكره الحرب كراهية للموت، و إنّ من الناس من يظن أنّك في شكّ من قتال أهل الشام. فقال عليه السّلام: و متى كنت كارها للحرب قطّ؟ إنّ من العجب حبى لها غلاما و يافعا، و كراحتى لها شيخا بعد نفاذ العمر و قرب الموت، و أمّا شكى في القوم فلو شككت فيهم، لشككت في أهل البصرة، و الله لقد ضربت هذا الأمر ظهرا و بطنًا، فما وجدت يسعنى إلّا القتال، أو أن أعصى الله و رسوله، و لكننى استأنى بالقوم عسى ان يهتدوا أو تهتدى منهم طائفة فإنّ النبى صلى الله عليه و آله قال لى يوم خيبر لئن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس. ثم نقل ابن أبى الحديد^{٦٨٣}: رواية نصر بن مزاحم فى (صفينه)^{٦٨٤}: بعثه عليه السّلام جمعا إلى معاوية و مشى القراء بينهما - إلى أن قال - فقال القراء له عليه السّلام: إنّ معاوية يقول لك: إن كنت صادقا فى عدم

ص: ٢٦٧

قتلك عثمان و عدم أمرك بقتله، فأقدنا من قتلته، فإنّهم فى عسكر و جندك و عضدك. فقال عليه السّلام لهم: إنّ القوم تأولوا عليه القرآن و وقعت الفرقة، فقتلوه فى سلطانه، و ليس على ضربهم قود. ثم قال ابن أبى الحديد^{٦٨٥}: و لا أدرى لم عدل عليه السّلام عن الحجّة بما هو أوضح من هذا الكلام؟ و هو أن يقول: إنّ الذين باشروا قتل عثمان بأيديهم كانا اثنين، و هما قتر بن وهب و سودان بن حمران، و كلاهما قتل يوم الدار، قتلها عبيد عثمان، و الباقران الذين جندى و عضدى - كما ترعمون - لم يقتلوا بأيديهم و إنّما اغروا به و حصروه، و أجلبوا عليه و هجموا على داره، كمحمّد بن أبى بكر و الأشتر و عمرو بن الحمق و غيرهم، و ليس على هؤلاء قود. و قوله عليه السّلام: و ليس على ضربهم قود.

أى: على مثلهم.

قلت: هل هو أعلم بالقضية و بقضائها منه عليه السّلام؟ و كيف أنكر تصدّى اولئك و قد طعنه عمرو بن الحمق تسع طعنات؟ و كون عمّار من قتلته مسلم، فقال معاوية لجمع أرسلهم عليه السّلام إليه: ألستم تعلمون أنّ قتله صاحبنا أصحاب صاحبكم؟ فليدفعهم إلينا فنقتلهم به، ثم نجيبكم إلى الطاعة. فقال له شيب:

أيسرك بالله إن امكنت من عمّار فقتلته؟ فقال: و الله لو أمكننى صاحبكم من ابن سميّة ما قتلته بعثمان، و لكننى أقتله بنائل مولاه. فقال له شيب: و إله السماء ما عدلت معدلا.

^{٦٨٢} (١) شرح ابن أبى الحديد ٤: ١٣.

^{٦٨٣} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٤: ١٦.

^{٦٨٤} (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ١٨٩.

^{٦٨٥} (١) شرح ابن أبى الحديد ٤: ٥٩.

كما أن كون محمد بن أبي بكر من قتلته أيضا مسلم، ففي (الطبري)^{٦٨٤}:

كتب معاوية إليه: سعت عليه في الساعين و سفكت دمه في السافكين - إلى أن قال - و عدوك على عثمان يوم تطعن بمشاقصك بين أحشائه و أوداجه. و ما

ص: ٢٦٨

ينفعه تأويله لفظ «ضربهم»؟

و كون عثمان عنده عليه السلام مباح الدم أمر واضح، فلما جاء شرحبيل و معن من قبل معاوية إليه عليه السلام - و قد نقله بعد عن (صفين نصر)^{٦٨٧} قال له عليه السلام:

أتشهد أن عثمان قتل مظلوما؟ فقال لهما: إني لا أقول ذلك. قالوا: فمن لم يشهد أن عثمان قتل مظلوما فنحن منه براء. ثم قاما فانصرفا، فقال على عليه السلام «فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ»^{٦٨٨}.

«أما قولكم أكل» و في (ابن ميثم)^{٦٨٩}: «كل» ثم الظاهر كون (كل) بالرفع مبتدأ. و يجوز أن يقرأ بالنصب، لقوله بعد (أو): «أما قولكم: «شكا في أهل الشام» فيقدر له ناصب كما له.

«ذلك» أى: تأخير الحرب.

«كراهية الموت فو الله ما ابالي» أى: لا اكرث.

«أدخلت» هكذا في (المصرية)^{٦٩٠}، و الصواب: (دخلت) كما في (ابن أبي الحديد)^{٦٩١} و (ابن ميثم)^{٦٩٢} و (الخطبة).

«إلى الموت أو خرج الموت» لعل لإظهار مع كون المقام مقام الإضمار، لتأكيد عدم مبالاته عليه السلام بالموت.

«إلى» فإنه عليه السلام كان يقول - لما كانوا يقولون: سكت عن طلب الملك جزعا من الموت -: و الله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي امه.

ص: ٢٦٩

^{٦٨٦} (٢) تاريخ الطبري ٤: ٧٦.

^{٦٨٧} (١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٠١-٢٠٢.

^{٦٨٨} (٢) الروم: ٥٢.

^{٦٨٩} (٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٤٥، و فيه: «أما قولكم: أكل ذلك».

^{٦٩٠} (٤) الطبعة المصرية: ٩٩ الخطبة ٥٥.

^{٦٩١} (٥) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٢.

^{٦٩٢} (٦) شرح ابن ميثم ٢: ١٤٥.

و فى (صفين نصر)^{٦٩٣}: عن زيد بن وهب قال مر على عليه السلام يومئذ و معه بنوه نحو الميسرة، و إني لأرى النبل يمر بين عاتقه و منكبيه، ثم إن أهل الشام دنوا منه، و الله ما يزيده قريهم منه سرعة في مشيه، فقال له الحسن عليه السلام: ما ضرك لو سعت حتى تنتهى إلى هؤلاء الذين صبروا لعدوك من أصحابك؟

فقال: يا بنى لأبيك يوم لن يعدوه، و لا يبطل به عنه السعى، و لا يعجل به إليه المشى. إن أباك و الله ما يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه.

و عن ^{٦٩٤} عبد الرحمن بن حاطب: كان على عليه السلام اذا أراد القتال هلل و كبر، ثم قال:

أى يومى من الموت أفر
يوم ما قدر أم يوم قدر

«و أمّا قولكم: شكا فى أهل الشام، فو الله ما دفعت الحرب يوما إلّا و أنا أطمع أن تلحق بى طائفة فتتهدى بى» ممّن لحق به عليه السلام ابن عم لعمر بن العاص، ففى (صفين نصر)^{٦٩٥}: أن ابن عمّ لعمر و قال له: إنك ان لم ترد معاوية، لم يردك، و لكنك تريد دنياه و يريد دينك. فبلغ معاوية قوله، فطلبه فلحق بعلى عليه السلام، فحدثه بأمر عمرو و معاوية، فسرّ ذلك عليا عليه السلام و قرّبه.

و لحق به عليه السلام ابن اخت لشرحبيل بن السمط، ففى (صفين نصر)^{٦٩٦}: لما كتب جرير إلى شرحبيل ينصحه، دعر و فكر فلفف له معاوية الرجال يعظمون عنده قتل عثمان، و يرمون به عليا عليه السلام، و يقيمون الشهادة الباطلة، و الكتب المختلفة، حتى أعادوا رأيه. فقال ابن اخت له من بارق - و كان لحق أهل الشام -:

لعمر أبى الأشقى ابن هند لقد رمى
شرحبيل بالسهم الذى هو قاتله

ص: ٢٧٠

فقال شرحبيل: و الله لأسيرن إلى صاحب هذا الشعر، أو ليفوتنى. فهرب الفتى إلى الكوفة و كان أصله منها. و كاد أهل الشام أن يرتابوا ...

^{٦٩٣} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٤٩.

^{٦٩٤} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٩٥.

^{٦٩٥} (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٢.

^{٦٩٦} (٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٩ - ٥٠.

و لحق به عليه السّلام صديق لعمر بن العاص، ففى (صفين نصر)^{٦٩٧}: ذكروا أنّه لما غلب أهل الشام على الفرات فرحوا بالغلبة، و قال معاوية: هذا أول الظفر. فقام إليه رجل يقال له ابن الأقبل - و كان ناسكا، و كان له فى ما يذكر همدان لسان، و كان صديقا لعمر - فقال له: أما تعلم ان فيهم العبد و الأمة و الأجير و الضعيف، و من لا ذنب له؟ هذا و الله أول الجور، لقد شجعت الجبان، و بصّرت المرتاب، و حملت من لا يريد قتالك على كتفيك. فأغلظ له، فقال الرجل أبياتا: و لحق فى سواد الليل بعلى عليه السّلام.

و لحق به عليه السّلام شامى سمع قول النّبي صلّى الله عليه و آله فى معاوية، لمّا رأى بيعه أهل الشام معه، ففى (صفين نصر)^{٦٩٨}: عن أبى حرب بن الأسود عن رجل من أهل الشام عن أبيه، قال: سمعت النّبي صلّى الله عليه و آله يقول: «شرّ خلق الله خمسة:

إبليس، و ابن آدم الذى قتل أخاه، و فرعون ذو الأوتاد، و رجل من بنى إسرائيل ردّهم عن دينهم، و رجل من هذه الامة يبايع على كفره عند باب لد». قال الرجل:

فلما رأيت معاوية يبايع عند باب لد ذكرت قول النّبي صلّى الله عليه و آله، فلحقت بعلى عليه السّلام فكنت معه.

و لحق به شمر بن أبرهة الحميرى، و جمع من القرّاء، ففى (صفين نصر)^{٦٩٩}: عن الزهرى قال: خرج فى اليوم الخامس من صفر شمر بن ابرهة الحميرى فى ناس من قرّاء أهل الشام، فلحق بعلى عليه السّلام، ففت ذلك فى عضد

ص: ٢٧١

معاوية و عمرو بن العاص، فقال عمرو لمعاوية: إنّك تريد أن تقتاتل بأهل الشام رجلا له من محمد قرابة قريبة، و رحم ماسة، و قدم فى الاسلام لا يعتد أحد بمثله، و نجدة فى الحرب لم تكن لأحد من أصحاب محمد، و إنّ قد سار إليك بأصحاب محمد المعدودين، و فرسانهم و قرّائهم، و أشرافهم و قدمائهم فى الاسلام، و لهم فى النفوس مهابة، فبادر بأهل الشام محاش الوعر، و مضائق الغيظ، و آتهم من باب الطمع قبل أن ترفههم، فيحدث عندهم طول المقام مللا، فيظهر فيهم كآبة الخذلان، و مهما نسيت فلا تنس أنّك على باطل و أنّه على الحق.

و لحق به عليه السّلام عبد الله بن عمر العنسى لسماع ذى الكلاع حديث: (قتل الفئة الباغية لعمار) فى أيام عمر من عمرو بن العاص، ففى (صفين نصر)^{٧٠٠}، عن الإفريقى بن أنعم قال: قال أبو نوح الحميرى: كنت فى خيل على عليه السّلام، اذا أنا برجل من أهل الشام يقول: من دل على الحميرى؟ قلت: أيهم تريد؟ قال: أبو نوح. قلت: قد وجدته، فمن أنت؟ قال: أنا ذو الكلاع، سرّ إلى. فقلت: معاذ الله أن أسير إليك إلّا فى كتيبة. قال: سرّ فلك ذمّة الله و ذمّة رسوله و ذمّة ذى الكلاع، حتى ترجع إلى خيلك، فإنما أريد أن أسألك عن أمر فيكم تمارينا فيه. فسارا حتى التقيا، فقال له ذو الكلاع: إنّما دعوتك احذّثك حديثنا

^{٦٩٧} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ١٦٣ - ١٦٤.

^{٦٩٨} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢١٧.

^{٦٩٩} (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٢٢.

^{٧٠٠} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٣٢ - ٣٣٩.

حدّثنا به عمرو بن العاص أيام إمارة عمر: أنّ النبي صَلَّى الله عليه وآله قال: «يلتقى أهل الشام وأهل العراق، وفي إحدى الكنيبتين الحق وإمام الهدى ومعه عمّار بن ياسر». فقال له: إنّ عمّارا والله لفينا. قال: أجادّ هو في قتالنا؟ قال: نعم وربّ الكعبة، هو أشدّ على قتالكم منّي، ولوددت أنّكم خلق واحد فذبحته، وبدأت بك قبلهم وأنت ابن عمي. قال: ويلك علام تتمنى ذلك منّي؟ والله ما قطعتك في ما بيني وبينك، وإنّ

ص: ٢٧٢

رحمك لقريبة، وما يسرّني أنّي أقتلك. قال أبو نوح: إنّ الله قد قطع بالإسلام أرحاما قريبة، وصل به أرحاما متباعدة، وأنّي يكون بيننا وصل ونحن على الحق، وأنتم على الباطل مقيمون مع أئمة الكفر وريوس الأحزاب؟ فقال ذو الكلاع هل تستطيع أن تأتي معي صف أهل الشام، فانا جار لك منهم، حتى تلقى عمرو بن العاص فتخبره بجدّ عمّار في قتالنا؟ - إلى أن قال - ثم سار أبو نوح حتى أتى عمرا، وهو عند معاوية، فقال ذو الكلاع لعمرو: هل لك في رجل ناصح لبّيب شفيق يخبرك عن عمّار لا يكذبك؟ قال عمرو: ومن هو؟ قال: ابن عمي هذا، وهو من أهل الكوفة. فقال عمرو لأبي نوح: إنّني لأرى عليك سيما أبي تراب. قال أبو نوح: على عليه السّلام عليه سيما محمّد صَلَّى الله عليه وآله وأصحابه، و عليك سيما أبي جهل و سيما فرعون - إلى أن قال بين ذكر جمعه بين عمّار وعمرو - فقال عمّار لعمرو: أ لست تعلم - أيها الأتر - أنّ النبي صَلَّى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السّلام: من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه - إلى أن قال - فقال عمرو: فما ترى في قتل عثمان؟ قال عمّار: فتح لكم باب كلّ سوء.

قال عمرو: فعليّ قتله؟ قال عمّار: بل الله ربّ عليّ قتله، وعلى معه. قال عمرو:

أ كنت في من قتله؟ قال: كنت مع من قتله؟ وأنا اليوم أقاتل معهم. قال عمرو:

فلم قتلتموه؟ قال عمّار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه - إلى أن قال - ومشى عبد الله بن سويد سيد جرش إلى ذي الكلاع فقال له: لم جمعت بين الرجلين؟ قال:

لحديث سمعته من عمرو، ذكر أنّه سمعه من النبي صَلَّى الله عليه وآله، وهو يقول لعمّار:

«تقتلك الفئة الباغية» فخرج عبد الله بن عمر العنسي - وكان من عبّاد أهل زمانه - ليلا فأصبح في عسكر على عليه السّلام، و قال لذي الكلاع:

و الراقصات بركب عامدين له

إنّ الذي جاء من عمرو لمأثور

قد كنت اسمع - و الأنباء شائعة

هذا الحديث فقلت الكذب و الزور

حتى تلقيته من أهل عيبته
و اليوم أبرأ من عمرو و شيعته
لا، لا اقاتل عمّارا على طمع
تركت عمرا و أشياعا له نكدا
يا ذا الكلاع فدع له معشرا كفروا
ما فى مقال رسول الله فى رجل
فاليوم أرجع و المغرور مغرور
و من معاوية المحدو به العير
بعد الرواية حتى ينفخ الصور
إنى بتركهم يا صاح معذور
أو لا فدينك عين فيه تغير
شكّ و لا فى مقال الرسل تحيير

فلما سمع معاوية بهذا الشعر بعث إلى عمرو: أن أفسدت على أهل الشام، أكل ما سمعته من النبي صلى الله عليه وآله تقوله؟ فقال عمرو: قلتها و لست أعلم الغيب، و لا أدري أن صفين تكون، و قد رويت أنت فى عمّار مثل الذى رويت.

كما أن جمعا من أصحابه عليه السلام الذين كانوا حريصين على الدنيا لحقوا بمعاوية لغلبة الشقاوة عليهم، منهم بشر بن عصفه المزني، و قيس بن قرّة التميمي، كما فى (الطبرى)^{٧٠١}. و ذو نواس بن هذيم العبدى، و قيس بن زبد الكندى، كما فى (صفين نصر)^{٧٠٢}.

«و تعشو إلى ضوئى» فى (الصحيح): عشوت إلى النار: اذا استدلت عليها ببصر ضعيف، قال الحطّيئة:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره
تجد خير نار عندها خير موقد

قلت: و الأصح ما فى (الجمهرة) من أن العشو: القصد بالليل لا ببصر ضعيف. فقال: العشو مصدر عشوت إلى ضوئك: اذا قصدته بليل، ثم صار كل قاصد شيئا عاشيا، ثم ذكر بيت الحطّيئة.

و إنما قال عليه السلام ذلك، لأن معاوية لبس الأمر على أهل الشام، ففى (صفين

^{٧٠١} (١) تاريخ الطبرى ٥: ٢٨ - ٢٩.

^{٧٠٢} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٧٠ و ٢٨٥.

نصر^{٧٠٣}: مضى هاشم المرقال في عصابة من القراء، إذ خرج عليهم فتى شاب يقول:

أنا ابن أرباب الملوك غسان
و الدائن اليوم بدين عثمان
أنبانا أقواما بما كان
ان عليّا قتل ابن عفان

ثمّ شدّ، فلا يثنى يضرب بسيفه، ثمّ يلعن و يشتم و يكثر الكلام، فقال له المرقال: انّ هذا الكلام بعده الخصام، و إنّ هذا القتال بعده الحساب، فاتّق الله فانّك راجع إلى ربّك فسائلك عن هذا الموقف. قال: فإنّي اقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّي كما ذكر لي، و أنّكم لا تصلّون، و اقاتلكم لأنّ صاحبكم قتل خليفتنا، و أنتم وازرتموه على قتله. فقال له هاشم: و ما أنت و ابن عفان؟ إنّما قتله أصحاب محمد صلى الله عليه و آله، و قرّاء الناس حين أحدث أحداثا و خالف حكم الكتاب، و إنّ أصحاب محمد صلى الله عليه و آله هم أصحاب الدين و أولى بالنظر في امور المسلمين.

و أمّا قولك: إنّ صاحبنا لا يصلّي، فهو أولّ الناس من صلى لله مع النبي صلى الله عليه و آله، و أفقه الناس في دين الله، و أولاهم برسوله، و أمّا من ترى معه فكّلهم قارئ لكتاب الله لا ينامون الليل تهجّدا، فلا يغررك عن دينك الأشقياء المغرورون.

فقال الفتى لهاشم: أنّي لأظنّك امرأ صالحا، هل تجد لي من توبة؟ قال: نعم، تب إلى الله إنّهُ يتوب عليك، فإنّه «يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ يَغْفُو عَنْ السَّيِّئَاتِ»^{٧٠٤} و «يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ»^{٧٠٥}. فذهب الفتى راجعا، فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي. قال: لا، و لكن نصحني.

«و ذلك» و في (ابن ميثم)^{٧٠٦}: (فهو).

«أحبّ إلىّ من أن اقتلها على ضلالها و ان كانت تبوء» أي: ترجع.

«بآثامها» في (الطبري)^{٧٠٧}: مكث الناس في صفين حتى اذا دنا انسلاخ المحرم، أمر على عليه السّلام مرثد بن الحارث الجشمي، فنادى أهل الشام عند غروب الشمس: ألا انّ أمير المؤمنين يقول لكم: أنّي قد استدمتكم لتراجعوا الحق و تنيبوا إليه،

^{٧٠٣} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥٤، ٣٥٥.

^{٧٠٤} (٢) الشورى: ٢٥.

^{٧٠٥} (٣) البقرة: ٢٢٢.

^{٧٠٦} (٤) شرح ابن ميثم ٢: ١٤٥.

^{٧٠٧} (١) تاريخ الطبري ٦: ١٠.

و احتججت عليكم بكتاب الله عز و جلّ فدعوتكم إليه، فلم تناهوا عن طغيان، و لم تجيبوا إلى حق. و إنّي قد نبذت إليكم على سواء «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ»^{٧٠٨}.

و روى الطبري^{٧٠٩}: أنّه ابتدئ بالقتال في أوّل يوم من صفر، و كان يوم الأربعاء فخرج الأشر من أصحابه عليه السّلام، و خرج في مقابله أبو الأعور، و خرج اليوم الثالث عمّار، و خرج في مقابله عمرو بن العاص، و خرج اليوم الرابع محمد ابن الحنفية، و خرج في مقابله عبيد الله بن عمرو، و خرج في اليوم الخامس ابن عباس، و خرج في مقابله الوليد بن عقبة، و خرج في اليوم السادس قيس بن سعد ابن عباد، و خرج في مقابله ابن ذى الكلاع، و خرج في اليوم السابع أيضا الأشر و حبيب بن مسلمة. فخطب عليه السّلام عشية الثلاثاء بعد العصر فقال: حتى متى لا نناهض القوم بأجمعنا؟ و قال: الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض، و ما أبرم لا ينقضه الناقضون، و لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه، و لا تنازعت الامّة في شيء من أمره، و لا جحد المفضول ذا الفضل فضله. و قد ساقتنا و هؤلاء القوم الأقدار، فلقت بيننا في هذا المكان، نحن من ربّنا بمرأى و مسمع، فلو شاء عجلّ النعمة و كان منه التغيير، و لكن جعل الدنيا

ص: ٢٧٦

دار الأعمال، و جعل دار الآخرة عنده هي دار القرار، «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى»^{٧١٠}. ألا إنكم ملاقوا القوم غدا فأطيلوا الليلة القيام، و أكثروا تلاوة القرآن، و سلوا الله الصبر و النصر، و القوهم بالجدّ و الحزم، و كونوا صادقين. و عبّأ عليه السّلام الناس ليلته كلّها، و خرج إليهم غداة الأربعاء فاستقبلهم، و قال: اللهم ربّ السقف المرفوع المحفوظ المكفوف، الذي جعلته مغبضا لليل و النهار، و جعلت فيه مجرى الشمس و القمر و منازل النجوم، و جعلت سكانه سبطا من الملائكة لا يسأمون العبادة، و ربّ هذه الأرض التي جعلتها قرارا للأنام و الهوام و الأنعام، و ما لا يحصى مما يرى و ما لا يرى من خلقك العظيم، و ربّ الفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس، و ربّ السحاب المسخر بين السماء و الأرض، و ربّ البحر المسجور المحيط بالعالم، و ربّ الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتادا، و للخلق متاعا، إن أظهرتنا على عدونا فجنّبنا البغي، و سدّدنا للحق، و إن أظهرتهم علينا فارزقني الشهادة، و اعصم بقية أصحابي من الفتنة.

و ازدلف الناس يوم الأربعاء، و اقتتلوا أشدّ قتال حتى الليل، لا ينصرف أحد إلّا للصلاة و كثرت القتلى، فأصبحوا من الغد فصلّى عليه السّلام بهم غداة الخميس، فغلس بالصلاة أشدّ التغليس، و أقبل - و على ميمنته ابن بديل، و على ميسرته ابن عباس، و هو عليه السّلام في القلب - في أهل المدينة، بين أهل الكوفة و أهل البصرة، و رفع معاوية قبة عظيمة قد ألقى عليها الكرايس، و بايعه معظمهم على الموت، و أحاطت خيل دمشق بقبّته، فزحف ابن بديل في ميمنته عليه السّلام، و قال: قد قاتلناهم مع النبي صليّ الله عليه و آله مرّة، و هذه ثانية، و الله ما هم في هذه بأتقى و لا أزكى و لا أرشد. فلم يزل يكشف خيل حبيب بن مسلمة من

ص: ٢٧٧

^{٧٠٨} (٢) الأنفال: ٥٨.

^{٧٠٩} (٣) تاريخ الطبري ٤: ٧ - ٩.

^{٧١٠} (١) النجم: ٣١.

الميسرة، حتى اضطرهم إلى قبة معاوية.

٨

الخطبة (٢٤) و من خطبة له عليه السلام:

وَلَعَمْرِي مَا عَلَى مَنْ قِتَال مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَ خَابَطَ الْغَيَّ - مِنْ إِذْهَانٍ وَ لَا إِيْهَانٍ - فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَ امْضُوا فِي الْأَذَى نَهْجَهُ لَكُمْ - وَ قُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ؟ - فَعَلَيْ؟ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ أَجَلًا إِنْ لَمْ تُنْصَحُوا عَاجِلًا أَقُول: يمكن أن يكون قاله عليه السلام، لما أراد المسير إلى معاوية ابتداءً أو ثانياً، و يمكن الاستيناس للأول بما في (صفين نصر)^{٧١١}: أن علياً عليه السلام لما أراد المسير إلى الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين و الأنصار، فحمد الله و أثنى عليه و قال: إنكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، مباركو الفعل و الأمر. و قد أردنا المسير إلى عدونا و عدوكم فأشيروا علينا برأيكم.

فقام هاشم بن عتبة و قال: أنا بالقوم جد خبير، إنهم لك و لأشباعك أعداء، و لمن يطلب حرث الدنيا أولياء، و هم مقاتلوك و مجاهدوك لا يبقون جهداً، مشاحةً على الدنيا، و ضناً بما في أيديهم منها، و ليس لهم إربة غيرها إلّا ما يخدعون به الجهال من الطلب بدم عثمان. و قام عمار و قال له عليه السلام: إن استطعت إلّا تقيم يوماً واحداً، فاشخص بنا قبل استعار نار الفجرة، و اجتماع رأيهم على الصدود و الفرقة، و ادعهم إلى رشدكم. و قام قيس بن سعد بن عبادة و قال له:

انكمش بنا إلى عدونا، و لا تعرج، فو الله لجهادهم أحبّ إليّ من جهاد الترك و الروم، لإدهانهم في دين الله، و استذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد صلى الله عليه و آله، من المهاجرين و الأنصار و التابعين باحسان، فإذا غضبوا على رجل حبسوه،

ص: ٢٧٨

أو ضريبوه، أو حرموه، أو سيروه، و فيئنا لهم حلال، و نحن لهم في ما يزعمون قطين. يعني: رقيق.

و يمكن الاستيناس للثاني بما في (خلفاء ابن قتيبة)^{٧١٢}: أنه عليه السلام لما آيس من رجوع الخوارج، رأى أن يدعهم و يمضى بالناس إلى معاوية، فقام خطيباً و قال: أما بعد، فإن من ترك الجهاد، و داهن في أمر الله، كان على شفا هلكة، إلّا أن يتداركه الله برحمته، فاتقوا الله عباد الله. قاتلوا من حادّ الله و حاول أن يطفئ نور الله، قاتلوا الخاطئين القاتلين لأولياء الله، المحرّفين لدين الله، الذين ليسوا بقرّاء الكتاب، و لا فقهاء في الدين، و لا علماء بالتأويل، و لا لهذا الأمر بأهل في دين، و لا سابقة. في الاسلام و الله لو ولوا عليكم، لعملوا فيكم بعمل كسرى و قيصر.

«و لعمري ما على من قتال من خالف الحق» كائنا من كان، و لو كان قريبه أو صديقه.

^{٧١١} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٩٢.

^{٧١٢} (١) الخلفاء لابن قتيبة: ١٤٤.

«و خابط» فى (الصحيح): خبط البعير الأرض بيده: ضربها، و منه قيل:

خبط عشواء، و هى التى فى بصرها ضعف، تخبط اذا مشت لا تتوقى شيئاً.

«الغى من إدهان» أى: مصانعة، قال تعالى لنبىه صلى الله عليه و آله: «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ»^{٧١٣}.

«و لا إيهان» أى: تضعيف، من: و هن - بالكسر - أى: ضعف.

«فاتقوا الله عباد الله» اقتصر فى (المصرية)^{٧١٤} على الكلام، و فيها سقط، و الأصل: «فاتقوا الله عباد الله و فروا إلى الله من الله» كما يشهد له (ابن أبى

ص: ٢٧٩

الحديد)^{٧١٥} و (ابن ميثم)^{٧١٦} و (الخطبة). و معنى الفرار إليه منه: أنه لا ملجأ منه إلا إليه، بمعنى أنه لا يتصور الفرار منه تعالى، و الفرار منه هو الفرار إليه.

«و امضوا فى الذى نهجه» أى: فى الطريق الذى أوضحه.

«لكم» و كان أعداؤه مقرين بذلك، فكان عمر يقول: لو ولى الخلافة على، ليحملن الناس على المحبة البيضاء و الصراط المستقيم.

«و قوموا بما عصبه» أى: شدّه.

«بكم» من جهاد أعداء الله.

«فعلى ضامن لقلجكم» أى: ظفركم و فوزكم و فلاحكم.

«آجلا» فى الآخرة.

«إن لم تمنحوه» أى: تعطوه.

«عاجلا» أى: فى الدنيا، فشيعته هم الفائزون فى الآخرة. رواه سبط ابن الجوزى، عن أبى سعيد الخدرى، عن النبى صلى الله عليه و آله.

^{٧١٣} (٢) القلم: ٩.

^{٧١٤} (٣) الطبعة المصرية: ٥٩ الخطبة ٢٤.

^{٧١٥} (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٣١.

^{٧١٦} (٢) شرح ابن ميثم ٢: ١٤، و فيه: «فاتقوا الله عباد الله».

الخطبة (١٠٥) و من كلام له عليه السلام:

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ - وَ انْحِيَا زُكُم عَنْ صُفُوفِكُمْ - تَحُوزُكُمُ الْجَفَاءُ الطَّعَامُ - وَ اَعْرَابُ أَهْلِ؟ الشَّامِ؟ - وَ أَنْتُمْ لَهَا مَيْمُ الْعَرَبِ - وَ يَأْفِيخُ الشَّرَفِ - وَ الْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ - وَ السَّنَامُ الْأَعْظَمُ - وَ لَقَدْ شَفَى وَ حَاوَحَ صَدْرِي - أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخْرَةٍ - تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَارُوكُمْ - وَ تُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ - حَسًّا بِالنُّضَالِ وَ شَجْرًا بِالرَّمَاكِ - تَرَكَبُ أَوْلَاهُمْ - أَخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهَيْمِ

ص: ٢٨٠

الْمَطْرُودَةُ - تُرْمَى عَنْ حِيَاظِهَا - وَ تُدَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا أَقُولُ: رواه الطبري الطبري - تاريخ الطبري - ج ٥ ص ٢٥٧^{١٧٧} و (صفين نصر بن مزاحم - صفين - ص ٢٥٦ نصر)^{١٧٨} و (الكافي الكليني - الكافي - ج ٥ ص ٤٠ ح ٤)^{١٧٩}. و نقل الأول أخيراً.

قول المصنف: «و من كلام له عليه السلام» هكذا في (المصرية)^{٢٢٠} و فيه تحريف و سقط، و الصواب: (و من خطبة له عليه السلام في بعض أيام صفين) كما في (ابن أبي الحديد)^{٢٢١} و (ابن ميثم)^{٢٢٢} و (الخطبة).

«و قد رأيت جولتكم و انحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاء» جمع الجافى.

«الطعام» أى: الأرذال و الأوغاد.

«و أعراب أهل الشام» قال عليه السلام ذلك لأصحابه لما هزمهم في الميمنة أصحاب معاوية ففى (الطبري)^{٢٢٣}: أقبل الذين تبايعوا من أهل الشام على الموت إلى معاوية، فأمرهم أن يصمدوا لابن بديل في الميمنة و بعث إلى حبيب بن مسلمة في الميسرة: يحمل بمن كان معه على الميمنة، فأنكشف أهل العراق من قبل الميمنة، حتى لم يبق منهم إلا ابن بديل في مائتين أو ثلاثمائة من القراء، قد أسند بعضهم ظهره إلى بعض، فأمر على عليه السلام سهل بن حنيف، فاستقدم في من كان معه من أهل المدينة، فاستقبلتهم جموع لأهل الشام عظيمة، فاحتلتهم حتى ألحقهم بالميمنة - إلى أن قال - لما انهزمت ميمنة

ص: ٢٨١

العراق و أقبل على عليه السلام نحو الميسرة، مرّ به الأشر و هو يركض نحو الفرع قبل الميمنة، فقال عليه السلام له: إيت هؤلاء القوم فقل لهم: أين فراركم من الموت الذى لن تعجزوه إلى الحياة التى لن تبقى لكم؟ فمضى الأشر، و استقبل الناس منهزمين،

^{١٧٧} (١) تاريخ الطبري ٥: ٢٥.

^{١٧٨} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٥٦.

^{١٧٩} (٣) الكافي ٥: ٤٠ ح ٤.

^{٢٢٠} (٤) الطبعة المصرية: ٢٠٥ الخطبة ١٠٥.

^{٢٢١} (٥) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٧٩.

^{٢٢٢} (٦) شرح ابن ميثم ٣: ٣٧، و فيه: «من خطبة له عليه السلام».

^{٢٢٣} (٧) تاريخ الطبري ٥: ١٨.

فقال لهم هذه الكلمات التي قالها له على عليه السلام، و قال: إلى أيها الناس أنا مالك بن الحرث. ثم ظنَّ أنه بالأشتر أعرف في الناس، فقال: أنا الأشتر إلى أيها الناس.

«و أنتم لهاميم العرب» وردت الفقرة في العنوان (١٢٠)، و الكلام استعارة من قولهم: فرس لهيم. اذا كان جوادا غزير الجرى صرَّح بالمعنى ابن دريد، و ليس المراد: أنتم صاحبو الجود، كما توهمه الشراح أخذوا من الجوهرى، فهو زلّ في قوله: الهموم الجواد من الناس و الخيل.

«و يافيخ» جمع اليافوخ: الموضع الذى يتحرّك من رأس الطفل.

«الشرف و أنف» هكذا في (المصرية)^{٧٢٤}، و الصواب: (و الانف) كما في (ابن أبى الحديد)^{٧٢٥} و (ابن ميثم)^{٧٢٦} و (الخطبة).

«المقدم و السنام» في (الصحاح): واحد أسنمة البعير.

«الأعظم» و الكل استعارات، كلها ميم العرب، و في (الطبرى)^{٧٢٧} - بعد ما مرَّ من قول الأشتر للمنهزمين: أنا الأشتر، إلى أيها الناس - فأقبلت إليه طائفة و ذهبت عنه طائفة، فنادى: أيها الناس عضضتم بهن آبائكم، ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم! أيها الناس اخلصوا لى مذحجا. فأقبلت إليه مذحج، فقال لهم:

عضضتم بسم الجندل، ما أرضيتم ربكم و لا نصحتم له فى عدوكم، و كيف

ص: ٢٨٢

بذلك، و أنتم أبناء الحروب، و أصحاب الغارات، و فتيان الصباح، و فرسان الطراد، و حتوف الأقران، و مذحج الطعان، الذين لم يكونوا يسبقون بثأرهم، و لا تطل دماؤهم، و لا يعرفون بخسف فى موطن، و أنتم أحدّ أهل مصركم، و أعد حىّ فى قومكم؟ و ما تفعلوا فى هذا اليوم، فإنّه مأثور بعد اليوم؟ فاتقوا مأثور الأحاديث فى غد، و أصدقوا عدوكم اللقاء، فإنّ الله مع الصابرين. و الذى نفس مالك بيده، ما من هؤلاء - و أشار بيده إلى الشام - رجل على مثل جناح بعوضة من محمد صلى الله عليه و آله، و إنّما أنتم ما أحسنتم القراع، اجلوا سواد وجهى يرجع فى وجهى دمي عليكم بهذا السواد الأعظم فإن الله لو قد فضه تبعه من بجانبه، كما يتبع مؤخر السيل مقدمه. قالوا خذ بنا حيث أحببت

و فيه^{٧٢٨}: إنّ الأشتر كان يومئذ يقاتل على فرس له، و فى يده صحيفة يمانية إذا طأطأها خلت فيها ماء منصبا، و اذا رفعها كاد يغشى البصر شعاعها، و جعل يضرب بسيفه و يقول: الغمرات ثم تنجلينا، و رآه منقذ و حمير ابنا قيس الناعطيان، فقال منقذ

^{٧٢٤} (١) الطبعة المصرية: ٢٠٥ الخطبة ١٠٥.

^{٧٢٥} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٧: ١٧٩.

^{٧٢٦} (٣) شرح ابن ميثم ٣: ٣٧ و فيه: «و أنف المقدم».

^{٧٢٧} (٤) تاريخ الطبري ٥: ٢٠.

^{٧٢٨} (١) تاريخ الطبري ٥: ٢٢.

لحمير: ما فى العرب مثل هذا، إن كان ما أراه من قتاله من النية. فقال له حمير: و هل النية إلّا ما تراه يصنع؟ قال: إننى أخاف أن يكون حاول ملكا

«و لقد شفى و حاوح» و فى (الطبرى): «أحاح».

فى (الجمهرة): يقال للمرأة اذا طلقت: تركتها توحوح بين القوابل.

و سمعت بفلان أحة و أحاحا و أحيا: اذا رأيته يتوجع من غيظ، أو حزن. و فى قلبه أحاح و أحيح، قال الراجز:

يطوى الخيازيم على أحاح

«صدرى أن رأيتمكم بأخرة» بفتح الهمزة أى: أخيرا.

ص: ٢٨٣

«تحوزونهم كما حازوكم و تزيلونهم عن مواقفهم كما أزالوكم حسا» أى:

استيصالا بالقتل، قال تعالى «إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ»^{٧٢٩}.

«بالنضال» هكذا فى (المصرية)^{٧٣٠}، و نسب النضال - و هى المراماة - (ابن أبى الحديد)^{٧٣١} إلى رواية. و لكن فى (ابن ميثم)^{٧٣٢}:

«بالنضال» بالمهملة. و فى (الصاح): النضل: نضل السهم و السيف و السكين و الرمح و الجمع: نضول و نضال.

«و شجرا» أى: طعنا.

«بالرماح تركب أولاهم اخراهم كالابل الهيم» أى: العطاش.

«المطرودة ترمى عن حياضها و تزداد» أى: تدفع و تطرد.

«عن مواردها» أى: المحال التى تردّها لشرب الماء، فى (الطبرى)^{٧٣٣}: لما اجتمع إلى الأشر عظم من كان انهزم عن الميمنة

حرّضهم - إلى أن قال - ثم حمل على الخصم حتى كشفهم، فألحقهم بصفوف معاوية بين صلاة العصر و المغرب، و انتهى إلى

^{٧٢٩} (١) آل عمران: ١٥٢.

^{٧٣٠} (٢) الطبعة المصرية: ٢٠٥ الخطبة ١٠٥.

^{٧٣١} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٧: ١٨٠.

^{٧٣٢} (٤) شرح ابن ميثم ٣: ٣٧، و فيه: «بالنضال».

^{٧٣٣} (٥) تاريخ الطبرى ٥: ٢٣.

عبد الله بن بديل، و هو فى عصبه من القراء بين المائتين و الثلاثمائة، و لقد لصقوا بالأرض كأنهم جثى، فكشف عنهم أهل الشام، فأبصروا اخوانهم قد دنوا منهم، فقالوا: ما فعل أمير المؤمنين عليه السلام؟ قالوا:

حى صالح فى الميسره يقاتل الناس أمامه. فقالوا: الحمد لله، قد كنا ظننا ان قد هلك هو و هلكتم. و قال عبد الله بن بديل لأصحابه: استقدموا بنا. فأرسل الأشتر إليه: لا تفعل، اثبت مع الناس فقاتل، فإنه خير لهم و أبقي لك و لأصحابك. فأبى،

ص: ٢٨٤

فمضى كما هو نحو معاوية، و حوله كأمثال الجبال، و فى يده سيفان و قد جرح فهو أمام أصحابه، فأخذ كلما دنا منه رجل ضربه فقتله، حتى قتل سبعة، و دنا من معاوية فنهض إليه الناس من كل جانب، و احيط به و بطائفة من أصحابه، فقاتل حتى قتل، و قتل ناس من أصحابه، و رجعت طائفة قد جرحوا منهزمين.

فبعث الأشتر بن جمهان الجعفى، فحمل على أهل الشام الذين يتبعون من نجا من أصحاب ابن بديل، حتى نفسوا عنهم و انتهوا إلى الأشتر، فقال لهم: ألم يكن رأى لكم خير لكم من رأيكم لأنفسكم؟ ألم آمركم أن تثبتوا مع الناس؟ و كان معاوية قال فى ابن بديل - و هو يضرب قدما-: أ ترونه كبش القوم؟ فلما قتل أرسل إليه: من هو؟ فقال ناس من أهل الشام: لا نعرفه. فأقبل هو حتى وقف عليه، فقال: بلى، هذا عبد الله بن بديل، و الله لو استطاعت نساء خزاعة أن يقاتلنا فضلا عن رجالها لفعلت، مدوه. فمدوه، فقال: هذا و الله كما قال الشاعر:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها و إن شمّرت يوما به الحرب شمرا

- و البيت لحاتم - و زحف الأشتر اليهم، فاستقبله معاوية بعك و الاشعريين، فقال الأشتر لمذحج: اكفونا عكا. و وقف فى همدان، و قال لكندة:

اكفونا الأشعريين. فاقتتلوا قتالا شديدا، و أخذ الأشتر يخرج إلى قومه، فيقول:

إنما هم عك فاحملوا عليهم. فيجتئون على الركب و يرتجزون:

يا ويل أمّ مذحج من عك هاتيك أمّ مذحج تبكى

فقاتلوههم حتى المساء. ثم أنه قاتلهم في همدان و ناس من طوائف الناس، فحمل عليهم فأزالهم عن مواقعهم حتى ألحقهم بالصفوف الخمسة المعقلة بالعمائم حول معاوية، ثم شدّ عليهم شدة أخرى، فصرع الصفوف الأربعة، و كانوا معقلين بالعمائم حتى انتهوا إلى الخامس الذي حول معاوية،

ص: ٢٨٥

و دعا معاوية بفرس فركب، و كان يقول: أردت أن أنهزم فذكرت قول ابن أظنابة - كان ابن أظنابة جاهليا، و أظنابة امه امرأة من بلقين -

أبت لى عفتى و حياء نفسى
و إعطائى على المكروه مالى
و إقدامى على البطل المشيح
و أخذى الحمد بالثمن الربيح
و قولى كلما جشأت و جاشت
مكانك تحمدى أو تستريحى

فمنعنى هذا القول من الفرار.

هذا، و الأصل فى العنوان ما رواه الطبرى^{٧٣٤} و غيره^{٧٣٥}، كما مر عن زيد بن وهب: أن عليّا عليه السلام لما رأى ميمنته قد عادت إلى مواقعها و مصافها، و كشفت من بإزائها من عدوّها، حتى حاربوهم فى مواقعهم و مراكزهم، أقبل حتى انتهى إليهم، فقال: إني رأيت جولتكم و انحيازكم عن صفوفكم، يحوزكم الطغاة الجفأة و أعراب أهل الشام، و أنتم لهاميم العرب، و السنام الأعظم، و عمّار الليل بتلاوة القرآن، و أهل دعوة الحق إذ ضل الخاطئون، فلو لا إقبالكم بعد إيدباركم، و كرّكم بعد انحيازكم، و جب عليكم ما و جب على المولى يوم الزحف دبره، و كنتم من الهالكين، و لكن هوّ و جدى و شفى بعض أحاح نفسى أنّى رأيتم بأخرة حزموهم كما حازوكم، و أزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم، تحسونهم بالسيوف تركب أولاهم أخراهم كالإبل المطردة، فالآن فاصبروا، نزلت عليكم السكينة و ثبتكم الله تعالى باليقين، ليعلم المنهزم أنّه مسخط ربه و موبق نفسه، إنّ فى الفرار موجد الله عز و جل عليه، و الذلّ اللازم، و العار الباقي، و اعتصار الفىء من يده، و فساد العيش عليه، و إنّ الفار منه لا يزيد فى عمره و لا يرضى ربه، فموت المرء محقا قبل إتيان هذه

ص: ٢٨٦

الخصال خير من التلبس بها و الاقرار عليها».

^{٧٣٤} (١) تاريخ الطبرى ٥: ٢٥.
^{٧٣٥} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٥٦.

من الخطبة (١٨٠) أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا - وَ أَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا - وَ أَرْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ - وَ بَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى - بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى - مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَ هُمْ؟ بَصَفَيْنَ؟ - أَلَا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ يُسَيِّغُونَ الْعُصَصَ - وَ يَشْرَبُونَ الرَّنَقَ قَدْ وَ اللَّهُ لَقُوا اللَّهَ فَوْقَاهُمْ أُجُورَهُمْ - وَ أَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ - أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ - وَ مَضَوْا عَلَى الْحَقِّ أَيْنَ؟ عَمَّارٌ؟ وَ أَيْنَ؟ ابْنُ التَّيَّهَانِ؟ - وَ أَيْنَ؟ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ - وَ أَيْنَ نَظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ - وَ أُبْرِدَ بَرُءُوسِهِمْ إِلَى الْفَجْرِ - قَالَ ثُمَّ ضَرَبَ يَدَهُ إِلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ - فَأَطَالَ الْبُكَاءَ ثُمَّ قَالَ ع - أَوْهَ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ قَرَأُوا؟ الْقُرْآنَ؟ فَأَحْكُمُوهُ - وَ تَدَبَّرُوا الْفُرْضَ فَأَقَامُوهُ - أَحْيَاوُا السُّنَّةَ وَ أَمَاتُوا الْبِدْعَةَ - دُعَاوُا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا وَ وَتَقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ، فَأَطَالَ الْبُكَاءَ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أقول: قال ابن أبي الحديد^{٧٣٦}: هذه الخطبة آخر خطبة خطب عليه السَّلَامُ بها قائما.

قلت: إن وجد في ذلك خبرا، و إلّا فالمحقق كونه قرب شهادته عليه السَّلَامُ بأسبوع. ففي ذيلها «قال نوف: و عقد للحسين عليه السَّلَامُ في عشرة آلاف - إلى أن قال - و هو يريد الرجعة إلى صفين، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون»

ص: ٢٨٧

و أمّا كونها أخيرها فغير معلوم.

«أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا» بغلبة أهل الجور.

«ما كان مقبلا» بكون الأمر في يدى أهل الحق، زمن النبي صَلَّى الله عليه و آله.

«و أقبل منها ما كان مدبرا» بتصدى أهل الباطل للأمر بعد النبي صَلَّى الله عليه و آله لا سيما في زمن عثمان، لخلوص الأمر لبنى اميَّة، كما صرَّح به أبو سفيان.

«و أزمع» أى: عزم. و الأصح قول الكسائي من عدم تعديده بعلى، دون قول الفراء بجوازه، فلم نقف إلّا على تعديته بنفسه، ككلامه عليه السَّلَامُ هنا، و قول عنترة:

إن كنت أزمعت الفراق فإنما

و قول الأعشى:

^{٧٣٦} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١١٢.

أُزِمَّتْ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْتِكَارًا

و من الغريب أنّ ابن دريد أتى بالتناقض هنا، فقال أولاً: أزمع فلان كذا و كذا: إذا عزم عليه، و لا يكادون يقولون: أزمع على كذا و كذا. و قال ثانياً: و لا تكاد العرب تقول: الا أزمعت على ذلك.

«الترحال» أى: الارتحال.

«عباد الله الأخيار، و باعوا قليلاً من الدنيا» فكل شريف أو وضيع لا يمتّع من الدنيا إلّا قليلاً.

«لا يبقى، بكثير من الآخرة» فمن كان أدنى أهل الآخرة ثواباً، كان له من النعمة سبعين ضعفاً من نعيم الدنيا، من أولها إلى آخرها.

«لا يفنى» أخذ كلامه عليه السلام من أوله إلى هنا سليمان بن صرد الخزاعي، لما أراد الطلب بدم الحسين عليه السلام، فكتب إلى سعد بن حذيفة اليماني بالمدائن:

إنّ الدنيا دار قد أدبر منها ما كان معروفاً، و أقبل منها ما كان منكراً، و أصبحت

ص: ٢٨٨

قد تشنّأت إلى ذوى الألباب، و أزمع الترحال منها عباد الله الأخيار و باعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى بجزيل مثوبة عند الله لا يفنى^{٧٣٧}.

و نظير كلامه عليه السلام كلام ابنه الحسين عليه السلام فى خطبته أصحابه بذى حسم، حين وصل الحر مع ألف فارس من قبل ابن زياد إليه، ففى (الطبرى)^{٧٣٨}:

قام عليه السلام فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال لأصحابه: إنّ قد نزل من الأمر ما قد ترون، و إنّ الدنيا قد تغيّرت و تنكّرت، و أدبر معروفها و استمرت حذاء فلم يبق منها إلّا صباغة كصباغة الإناء، و خسيس عيش كالمرعى الويل، ألا ترون أنّ الحق لا يعمل به، و أنّ الباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن فى لقاء الله محققاً، فإنّنى لا أرى الموت إلّا شهادة، و لا الحياة مع الظالمين إلّا بر ما. فقام زهير بن القين البجلي فقال لأصحابه: تكلمون أم أتكلم؟ قالوا: بل تتكلم. فقال له: قد سمعنا يا ابن رسول الله مقاتلك، و الله لو كانت الدنيا لنا باقية، و كنّا فيها مخلصين إلّا أنّ فراقها فى نصرك و مواساتك، لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها.

^{٧٣٧} (١) تاريخ الطبرى ٣: ٣٩٢ سنة ٦٤.

^{٧٣٨} (٢) تاريخ الطبرى ٥: ٤٠٣.

فدعا له الحسين عليه السلام، و أقبل الحر يسايره و هو يقول له: يا حسين إني اذكرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن. فقال عليه السلام له: أ فبالموت تخوفني؟

و هل يعدو بكم الخطب إلّا أن تقتلوني؟ أقول لك ما قال أخو الأوس لابن عمه - لما لقيه و هو يريد نصره النبي صلى الله عليه وآله، و قال له أين تذهب؟ فإنك مقتول:-

إذا ما نوى حقاً و جاهد مسلماً

سأمضى و ما بالموت عار على الفتى

و فارق مثيراً يغش و يرغماً

و آسى الرجال الصالحين بنفسه

«ما ضرَّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم و هم» هكذا في (المصرية)^{٧٣٩} و الكلمة

ص: ٢٨٩

زائدة، لعدم وجودها في (ابن ميثم)^{٧٤٠} و (ابن أبي الحديد)^{٧٤١}، و لأن المعنى معها غير مستقيم.

«بصفين» في (صفين نصر)^{٧٤٢}: أصيب بصفين من أهل الشام خمسة و أربعون ألفاً، و من أهل العراق خمسة و عشرون ألفاً.

و في (مروج المسعودي)^{٧٤٣}: كانت عدة الوقائع بين أهل العراق و الشام سبعين وقعة، و قد تنوع في مقدار من قتل بها من الفريقين، فعن يحيى بن معين: قتل منهما مائة ألف و عشرة آلاف، في مائة يوم و عشرة أيام، تسعون ألفاً من أهل الشام، و عشرون ألفاً من أهل العراق. و أما الهيثم بن عدي الطائي و الشرقي بن القطامي و أبو مخنف لوط بن يحيى فذكروا: أن جملة من قتل منهما سبعون ألفاً خمسة و أربعون من أهل الشام، و خمسة و عشرون ألفاً من أهل العراق، فيهم خمسة و عشرون بدرية. و العدّ كان يقع بالقضيب، و الإحصاء للقتلى في كل وقعة. و تحصيل هذا يتفاوت، لأن فيهم من لا يعرف، و من غرق، و من قتل فأكله السباع.

«لّا يكونوا اليوم أحياء يسبغون» من: ساغ الشراب، أى: سهل مدخله في الحلق. قال الجوهري: يتعدى و لا يتعدى، و الأجود في المتعدى أساغ، قال تعالى: «يَتَجَرَّعُهُ وَ لَا يَكَادُ يُسَبِّغُهُ»^{٧٤٤}.

«الغصص» - بالفتح - مصدر غصّ بالطعام، أو - بالضم - جمع الغصة.

^{٧٣٩} (٣) الطبعة المصرية: ١٣٠ الخطبة ١٨٠.

^{٧٤٠} (١) شرح ابن ميثم ٣: ٣٩١.

^{٧٤١} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٩٩.

^{٧٤٢} (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٥٨.

^{٧٤٣} (٤) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤٠٤.

^{٧٤٤} (٥) إبراهيم: ١٧.

«و يشربون الرنق» أى: المكدر، قال ابن الرومى.

ص: ٢٩٠

للموت ألف فضيلة لا تعرف

قد قلت اذ مدحوا الحياة فأكثرُوا

و فراق كلّ معاشر لا ينصف

فيها أمان لقائه بلقائه

«قد و الله لقوا الله فوفاهم أجورهم، و أحلّهم دار الأمن من بعد خوفهم» فى (صفين نصر)^{٧٤٥}: قال عتبة بن جويرية يوم صفين: ألا إن مرعى الدنيا قد أصبح شجرها هشيمًا، و أصبح زرعها حصيدًا، و جديدها سملًا، و حلوها مرًا.

ألا و إنى أنيئكم نبأ امرئ صادق: إنى سئمت الدنيا، و عزفت نفسى عنها، و قد كنت أتمنى الشهادة و أتعرض لها فى كلّ حين، فأبى الله إلّا أن يبلغنى هذا اليوم، ألا و إنى متعرض ساعتي هذه لها، و قد طمعت ألا احرمها. فما تنتظرون عباد الله جهاد الله، أ تستبدلون الدنيا بالنظر إلى وجه الله عز و جل، و مرافقة النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين فى دار القرار؟ ما هذا بالرأى السديد. ثم قال لإخوته: إنى قد بعث هذه الدار بالتى أمامها، و هذا وجهى إليها.

فنبهه أخواه عبيد الله و عوف ابنا مالك، و قالوا: لا نطلب رزق الدنيا بعدك، قبح الله العيش بعدك، اللهم إنا نحتسب أنفسنا عندك. ثم استقدموا فقاتلوا، حتى قتلوا.

و فيه^{٧٤٦}: قال أبو عرفاء جبلة بن عطية الدهلى فى صفين للحضين بن المنذر: هل لك أن تعطينى رايتك أحملها، فيكون لك ذكرها و يكون لى أجرها، أعيرها عنك ساعة فما أسرع ما ترجع إليك؟ فعلم أنه يريد أن يستقتل، فقال:

فما شئت. فاخذ أبو عرفاء الراية، فقال: يا أهل هذه الراية، إن عمل الجنة كره كره، و إن عمل النار خف كره، و إن الجنة لا يدخلها إلّا الصابرون الذين صبروا أنفسهم على فرائض الله و أمره، و ليس شىء مما افترض الله على العباد أشدّ من الجهاد، و هو أفضل الأعمال ثوابًا، فاذا رأيتمونى قد شددت فشدوا،

ص: ٢٩١

ويحكم! أما تشتاقون إلى الجنة؟ أما تحبون أن يغفر الله لكم؟ فشدد و شدوا معه، حتى قتل.

^{٧٤٥} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٦٤.

^{٧٤٦} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٠٤ - ٣٠٥.

و في (الطبري)^{٧٤٧}: قاتلت النخع في صفين قتالا شديدا فأصيب منهم يومئذ بكر بن هوزة، و حيان بن هوزة، و شعيب بن نعيم من بني بكر النخع، و ربيعة بن مالك، و أبي بن قيس أخو علقمة الفقيه، و قطعت رجل علقمة يومئذ، فكان يقول: ما أحب أن رجلى أصح ما كانت، و أنها لمّا أرجو به حسن الثواب من ربّي عز و جل، و لقد كنت أحبّ أن أرى في نومي أخي أو بعض إخواني، فرأيت أخي فقلت: ما ذا قدمتم عليه؟ فقال: التقينا نحن و القوم فاحتججنا عند الله عز و جل، فحججناهم. فما سررت منذ عقلت مثل سروري بتلك الرؤيا.

هذا، و أخذ كلامه عليه السلام من قوله: «ما ضر إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين» إلى هنا سليمان بن صرد الخزاعي أيضا، فكتب إلى سعد بن حذيفة أيضا: ما ضر أهل عذراء - يعني حبرا و أصحابه - الذين قتلوا ألا يكونوا اليوم أحياء، و هم عند ربهم يرزقون، شهداء قد لقوا الله صابرين محتسبين، فأثابهم ثواب الصابرين؟ و ما ضرّ إخوانكم المقتلين صبرا، المصلين ظلما، و الممثول بهم، المعتدى عليهم ألا يكونوا أحياء مبتلين بخطاياكم، قد خيرّ لهم فلقوا ربهم و وفاهم أجرهم؟

«أين إخواني الذين ركبوا الطريق» أي: طريق الله عز و جل.

«و مضوا على الحق» كما أمرهم سبحانه «و أن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»^{٧٤٨}.

ص: ٢٩٢

في (الطبري)^{٧٤٩}: قال أبو عبد الرحمن السلمي: رأيت عمّارا لا يأخذ واديا من أودية صفين إلّا تبعه من كان هناك من أصحاب محمد صلى الله عليه و آله، و رأيته جاء إلى هاشم بن عتبة المرقال صاحب راية على عليه السلام، فقال: يا هاشم أعورا وجبنا؟ لا خير في أعور لا يغشى البأس، اركب يا هاشم. فركب هاشم و مضى و هو يقول:

أعور يبغى أهله محلا
قد عالج الحياة حتى ملا
لا بدّ أن يفلا أو يفلا

و في (الاستيعاب)^{٧٥٠}: قال عبد الرحمن بن ابزى: شهدنا مع على عليه السلام صفين ممن بايع بيعه الرضوان، فقتل منا ثلاثة و ستون، منهم عمّار.

^{٧٤٧} (١) تاريخ الطبري ٥: ٣٢.

^{٧٤٨} (٢) الانعام: ١٥٣.

^{٧٤٩} (١) تاريخ الطبري ٥: ٤٠.

^{٧٥٠} (٢) الاستيعاب ٢: ٤٧٨.

«أين عمار» في (ذيل الطبري)^{٧٥١}: عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوديم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام ابن عنس. قدم أبوه من اليمن إلى مكة في طلب أخ له، فأقام و حالف أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي، فزوجه أبو حذيفة أمة له يقال لها:

سمية بنت خباط، فولدت له عمارا، فأعتقه أبو حذيفة و لم يزل هو و أبوه مع أبي حذيفة إلى أن جاء الله بالاسلام، فأسلم هو و أبوه و أمه.

هذا، و في (الاستيعاب): قال ابن قتيبة: خلف على ام عمار بعد ياسر، الأزرق و كان غلاما روميا للحارث بن كلفة، فولدت له سلمة بن الأزرق، فهو أخو عمار لأمه. و هذا غلط فاحش من ابن قتيبة، و إنما خلف الأزرق على سمية أم زياد، زوجة مولاه الحارث بن كلفة منها، لأنه كان مولى لهما، فسلمة

ص: ٢٩٣

الأزرق أخو زياد لأمه لا أخو عمار، و ليس بين سمية ام عمار و سمية ام زياد نسب و لا سبب.

قلت: لم يتفرد بما قال من تزوج الأزرق بسمية ام عمار، و كون سلمة بن الأزرق أبا عمار لأمه ابن قتيبة فقط، بل قال به قبله البلاذري في (نسبه)، و بعده الطبري في (ذيله)^{٧٥٢}. و التحقيق: أن الأزرق تزوج بام عمار قبل ياسر أبيه، كما صرح به البلاذري، و توهم ابن قتيبة و الطبري في العكس، فام عمار لم تفارق أباه حتى قتلت معه، ففي (البلاذري): «كان عمار و أبوه و امه و أخوه عبد الله يعذبون في الله، فمر بهم النبي صلى الله عليه و آله فقال: صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة. فمات ياسر في العذاب، و أغلظت سمية لأبي جهل، فطعنها في قلبها فماتت...» كتوهم صاحب (الاستيعاب) في كون سلمة بن الأزرق أبا زياد لأمه، فلم يقل ذلك أحد، و إنما كان لزياد أخوان من أمه: نافع و أبو بكر.

و في (الطبري)^{٧٥٣}: هاجر - في قول جميع أهل السير - إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، و قالوا جميعا: شهد بدرا و احدا و الخندق و المشاهد، و أخى النبي صلى الله عليه و آله بينه و بين حذيفة.

و في (الحلية): لقي على عليه السلام رجلين خرجا من الحمام متدهنين، فقال:

من أنتما؟ قالوا: من المهاجرين. قال: كذبتما، إنما المهاجر عمار.

و في (موفقيات الزبير بن بكار): عن ابن عباس قال عثمان لعمار: أما و الله إنك ما علمت من أعوان الشر الحاضين عليه، الخذلة عند الخير و المثبتين. فقال عمار: مهلا يا عثمان فقد سمعت النبي صلى الله عليه و آله يصفني بغير ذلك. قال عثمان: و

^{٧٥١} (٣) تاريخ الطبري ١١: ٥٠٨.

^{٧٥٢} (١) تاريخ الطبري ١١: ٥٠٨.

^{٧٥٣} (٢) تاريخ الطبري ١١: ٥٠٨.

متى؟ قال: يوم دخلت عليه منصرفه من الجمعة و ليس عنده غيرك، و قد ألقى ثيابه و قعد فى فضله، فقُبِلت صدره و نحره و جبهته، فقال: يا

ص: ٢٩٤

عمّار إنّك لتحبنا و إنّنا لنحبك، و إنّك من الأعوان على الخير المثبطين عن الشر.

فقال عثمان: أجل، و لكنّك غيّرت و بدّلت. فرفع عمّار يده يدعو، و قال: آمّن يا بن عباس. فقال: اللهم من غير فعير به. قاله ثلاث مرات.

و فى (الاستيعاب)^{٧٥٤}: و نقله ابن أبى الحديد^{٧٥٥} أيضا: و للحلف و الولاء الذى بين مخزوم و بين عمّار و أبيه كان اجتماع مخزوم إلى عثمان، حين نال غلمان عثمان من عمّار ما نالوا من الضر، حتى انفتق له فتق فى بطنه، و زعموا أنّهم كسروا ضلعا من أضلاعه، فقالوا: و الله لئن مات عمّار، لا قتلنا به أحدا غير عثمان.

و فيه: عن ابن عباس: نزل قوله تعالى «أَ وَ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا»^{٧٥٦} فى عمّار و أبى جهل. و أجمع أهل التفسير أنّه نزل فى عمّار قوله تعالى «إِنَّا مَنْ أَكْرَهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»^{٧٥٧} لما عذب فى الله فأعطاهم ما أرادوا بلسانه.

و هاجر إلى الحبشة و صلّى القبليتين.

قلت: و ربط جعل أبى جهل فى قبالة، لكون أبى جهل، من مخزوم و عمّار كان حليف مخزوم.

و فى (كامل الجزرى): قال عمّار لعائشة بعد الجمل: ما أبعد هذا المسير من العهد الذى عهد إليك. فقالت عائشة: و الله إنّك ما علمت لقوَال بالحق. قال:

الحمد لله الذى قضى لى على لسانك.

ص: ٢٩٥

و فى (الاستيعاب)^{٧٥٨}: فى اسنادين عن عائشة: ما من أحد من أصحاب النبى صلّى الله عليه و آله ان أشأ أن أقول فيه قلت إلّا عمّارا، فإنّى سمعت النبى صلّى الله عليه و آله يقول:

^{٧٥٤} (١) الاستيعاب ٢: ٤٧٧.

^{٧٥٥} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٠: ١٠٢.

^{٧٥٦} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٠: ١٠٢، و الآية ١٢٢ من سورة الأنعام.

^{٧٥٧} (٤) النحل: ١٠٦.

^{٧٥٨} (١) الاستيعاب ٢: ٤٧٨.

عمّار حشّى ما بين أخمص قدميه إلى شحمة أذنيه إيماناً.

وفيه^{٧٥٩}: و من حديث خالد بن الوليد: قال النبي صَلَّى الله عليه و آله: من أبغض عمّاراً أبغضه الله. قال خالد: فما زلت احبه من يومئذ. و عن أنس قال النبي صَلَّى الله عليه و آله:

اشتأقت الجنّة إلى عليّ و عمّار و سلمان و بلال.

و من^{٧٦٠} حديث^{٧٦١} علي عليه السّلام: جاء عمّار يستأذن على النبي صَلَّى الله عليه و آله فعرف صوته، فقال: مرحباً بالطيّب المطيّب ايدنوا له. و رواه نصر: (مرحباً بالطيّب ابن الطيّب)^{٧٦٢}.

و فى (الاستيعاب)^{٧٦٣}: كان يوم صفين، أصحاب محمّد صَلَّى الله عليه و آله يتبعونه كأنّه علم لهم، و يقول:

فاليوم نضربكم على تأويله

نحن ضربناكم على تنزيهه

و يذهل الخليل عن خليله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله

و فى (كامل الجزرى): قيل: إنّ أبا الغادية عاش إلى زمن الحجاج، فدخل عليه فأكرمه و قال له: أنت قتلت ابن سميّة؟ قال: نعم. قال: من سرّه أن ينظر إلى عظيم الباع يوم القيامة فينظر إلى هذا الذى قتل ابن سميّة. ثم سأله حاجته، فلم يجبه إليها، فقال: نوّطىء لهم الدنيا، و لا يعطوننا منها، و يزعم أنّى

ص: ٢٩٦

عظيم الباع يوم القيامة. فقال الحجاج: أجلّ و الله، من كان ضرسه مثل احد، و فخذته مثل جبل ورقان، و مجلسه مثل المدينة و الربذة، إنّ لعظيم الباع يوم القيامة، و الله لو أنّ عمّاراً قتله أهل الأرض لدخلوا كلّهم النار.

و فى (الاستيعاب): كان أبو الغادية إذا استأذن على معاوية و غيره، قال:

قاتل عمّار بالباب. و كان يصف قتله اذا سئل عنه لا يباليه، و فى قصّته عجب عند أهل العلم: روى عن النبي صَلَّى الله عليه و آله قوله فى عمّار، ثم قتله.

^{٧٥٩} (٢) الاستيعاب ٢: ٤٧٩.

^{٧٦٠} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٠٤.

^{٧٦١} (٤) الاستيعاب ٢: ٤٧٩.

^{٧٦٢} (٥) صفين لنصر بن مزاحم الاستيعاب: ٣٢٣.

^{٧٦٣} (٦) ٢: ٤٧٩.

و فى (معارف ابن قتيبة): عن الزيادة عن عبد الوارث عن زمعة بن كلثوم عن ابيه عن أبى الغادية قال سمعت النبى صلى الله عليه وآله يقول: ألا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإن الحق يومئذ لمع عمار. قال أبو الغادية: و سمعت عمارا يذكر عثمان فى المسجد، قال يدعى فينا جبانا، و يقول: إن نعثلا هذا يفعل و يفعل. يعيبه فلو وجدت يومئذ ثلاثة أعوان، لوطنته حتى أقتله، فبينما أنا بصفين إذا أنا به فى أول الكتيبة، فطعنه رجل فى كتفه، فانكشف المغفر عن رأسه، فضربت رأسه، فإذا رأس عمار قد ندر. قال زمعة:

قال أبى: فما رأيت شيئا أضل منه، يروى أنه سمع النبى صلى الله عليه وآله يقول ما قال، ثم ضرب عنق عمار.

قلت: بل العجب من جميع إخواننا، كيف يقولون بإمامة عثمان مع أن عمارا كان يكفره و يجعله مباح الدم؟ فلما قال له عمرو بن العاص: أعلّى قتل عثمان؟ قال: بل الله ربّ على قتله. قال: أ كنت ممن قتله؟ قال: كنت معهم، و أنا اليوم اقاتل معهم. قال: لم قتلتموه؟ قال: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه.

و فى (الطبرى)^{٧٤٤}: قال عمار يوم صفين: اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين يبيعون دم ابن عفان، و يزعمون أنه قتل مظلوما

ص: ٢٩٧

و فى (الطبرى):^{٧٤٥} قال حبة العرنى: انطلقت أنا و أبو مسعود إلى حذيفة بالمدائن، و قلنا: حدثنا فإننا نخاف الفتن. فقال: عليكمما بالفئة التى فيها ابن سميّة، إننى سمعت النبى صلى الله عليه وآله يقول: تقتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق، و إن آخر رزقه ضياح من لبن. قال حبة: فشهدته يوم صفين و هو يقول: إيتونى بأخر رزق من الدنيا. فاتى بضياح من لبن فى قدح أروح، له حلقة حمراء، فما أخطأ حذيفة مقياس شعرة. فقال عمار:

محمدا و حزبه

اليوم ألقى الأحبه

و الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعات هجر، لعلمنا أنا على الحق و أنهم على الباطل. و جعل يقول: الموت تحت الأسل، و الجنة تحت البارقة.

و فى (ذيل الطبرى)^{٧٤٦}: روى الواقدي عن لؤلؤة مولاة أمّ الحكم بنت عمار، قالت: لما كان اليوم الذى قتل فيه عمار، و الراية يحملها هاشم بن عتبة، و قد قتل أصحاب على عليه السلام ذلك اليوم حتى كانت العصر، ثم تقرّب عمار من وراء هاشم يقدمه، و قد جنحت الشمس للغروب، و مع عمار ضياح من لبن ينتظر وجوب الشمس أن يفطر، فقال حين وجبت الشمس و شرب الضيخ:

^{٧٤٤} (١) تاريخ الطبرى ٥: ٣٩.

^{٧٤٥} (١) تاريخ الطبرى ٥: ٣٨.

^{٧٤٦} (٢) ذيل تاريخ الطبرى ١١: ٥٠٩.

سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «آخر زادك من الدنيا ضييح من لبن» ثم اقترب فقاتل حتى قتل، و هو ابن أربع و تسعين سنة.

و روى^{٧٦٧} عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: طعن أبو غادية المزني عمارة برمح فسقط، فلما وقع أكب عليه رجل آخر فاحتز رأسه، فأقبلا يختصمان فيه، كلاهما يقول: أنا قتلته. فقال عمرو بن العاص: و الله، إن يختصمان إلّا في النار. فسمعها منه معاوية، فلما انصرف الرجلان قال

ص: ٢٩٨

معاوية لعمرو: ما رأيت مثل ما صنعت، قوم بذلوا أنفسهم دوننا، تقول لهما:

إنكما تختصمان في النار! فقال عمرو: هو و الله ذاك، و الله إنك لتعلمه، و لوددت أنّي متّ قبل هذا بعشرين سنة.

و عن ابى مخنف^{٧٦٨} قال: إنّ عمارة لم يزل بهاشم بن عتبة - و معه اللواء - حتى حمل، فنهض عمارة في كتيبة، و نهض إليه ذو الكلاع في كتيبة، فاقتتلوا فقتلا جميعا، و استوصلت الكتيبتان، و حمل على عمارة حوى السكسكى و أبو غادية المزني فقتلاه، فقبل لأبى الغادية: كيف قتلته؟ قال: لما دلف إلينا في كتيبة، و دلفنا إليه نادى: هل من مبارز؟ فبرز إليه رجل من السكاسك، فاضطربا بسيفيهما فقتل عمارة السكسكى، ثم نادى: هل من مبارز؟ فبرز إليه رجل من حمير، فاضطربا بسيفيهما فقتل عمارة الحميرى، و أثخنه الحميرى و نادى: من يبارز؟ فبرزت فاختلفنا ضربتين - و كانت يده ضعفت - فانتجيت عليه بضربة أخرى، فسقط فضربته بسيفى حتى برد، و نادى الناس: قتلت أبا اليقظان قتلك الله. فقلت: اذهب إليك، فو الله ما ابالى من كنت. و ما أعرفه يومئذ، فقال له محمد بن المنتشر: يا أبا الغادية خصمك يوم القيمة مازندر - يعنى:

ضخم - فضحك.

و فى (الطبرى)^{٧٦٩}: قال أبو عبد الرحمن السلمى: لما قتل عمارة و كان الليل قلت: لأدخلن إليهم حتى أعلم هل بلغ منهم قتل عمارة ما بلغ منا؟ و كنّا إذا توادعنا من القتال تحدثوا إلينا و تحدثنا إليهم، فركبت فرسى و قد هدأ الليل، ثم دخلت فاذا أنا بأربعة يتسايرون: معاوية و أبو الأعور و عمرو بن العاص و ابنه عبد الله، فأدخلت فرسى بينهم مخافة أن يفوتنى ما يقول أحد الشقين،

ص: ٢٩٩

فقال عبد الله لأبيه: يا أبة قتلتم هذا الرجل فى يومكم هذا، و قد قال فيه النبي صلى الله عليه وآله ما قال؟ قال: و ما قال؟ قال: ألم تكن معنا و نحن نبنى المسجد، و الناس ينقلون حجرا حجرا، و لبننة لبننة، و عمارة ينقل حجرا حجرا و لبنتين

^{٧٦٧} (٣) ذيل تاريخ الطبرى ١١: ٥٠٩.

^{٧٦٨} (١) ذيل تاريخ الطبرى ١١: ٥١٠.

^{٧٦٩} (٢) تاريخ الطبرى ٥: ٤١.

لبنتين، فغشى عليه فأتاه النبي صلى الله عليه وآله، فجعل يمسح التراب عن وجهه، و يقول: «ويحك يا بن سمية! الناس ينقلون لبنه لبنه و أنت تنقل لبنتين لبنتين رغبة منك في الأجر، و أنت ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية» فدفع عمرو صدر فرسه، ثم جذب معاوية إليه، فقال: يا معاوية ألم تسمع ما يقول عبد الله؟ قال: و ما يقول؟

فأخبره، فقال معاوية: إنك شيخ أخرج، و لا تزال تحدث بالحديث و أنت تدحض في بولك، أو نحن قتلنا عمّاراً؟! إنما قتل عمّاراً من جاء به. فخرج الناس من فساطيطهم و أخبيتهم يقولون: إنما قتل عمّاراً من جاء به. فلا أدري من كان أعجب، هو أو هم؟! و في (صفين نصر)^{٧٧٠}: كان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول: قال النبي صلى الله عليه وآله لعمار: تقتلك الفئة الباغية، و آخر شربة تشربها ضياح من لبن.

فكان ذو الكلاع يقول لعمرو: ما هذا ويحك؟ فيقول عمرو: إنه سيرجع إلينا.

فقتل ذو الكلاع قبل عمّار، فقال عمرو بعد قتل عمّار لمعاوية: ما أدري يقتل أيهما أشدّ فرحاً بقتل عمّار، أو بقتل ذي الكلاع، و الله لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمّار، لمال بعامة أهل الشام إلى عليّ.

و فيه^{٧٧١}: عن السدي عن يعقوب بن الأوسط قال: احتج رجلان بصفين في سلب عمّار و في قتله، فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال لهما: ويحكما! اخرجنا عنى، فإن النبي صلى الله عليه وآله قال: «ولعت قريش بعمّار، مالهم و لعمّار؟»

ص: ٣٠٠

يدعوههم إلى الجنة و يدعونه إلى النار، قاتله و سالبه في النار» قال السدي:

فبلغني أن معاوية قال: إنما قتله من أخرجه. يخدع بذلك طعام أهل الشام.

«و أين ابن التيهان» قال ابن أبي الحديد^{٧٧٢}: هو مالك بن عتيك الأنصاري.

قلت: بل مالك بن التيهان بن مالك، كما في أسماء (الاستيعاب)^{٧٧٣}: و قال البلاذري في (أنسابه) ولده يقولون: ابن التيهان بن مالك بن عتيك. و أمّا قول (الاستيعاب)^{٧٧٤} في كناه: «و التيهان اسمه مالك بن عمرو» فغلط لكونه خلاف قوله في أسمائه، و لأنّه روى في كناه بعد عن أبي نعيم^{٧٧٥}، قال: «و التيهان اسمه عمرو بن الحارث». و إن كان خلاف قوله في أسمائه أيضاً.

و كيف كان، فروى (الاستيعاب)^{٧٧٦} عن صالح بن الوجيه، و عن أبي نعيم قتله بصفين، و يشهد له كلامه عليه السلام، فالأقوال الآخر في موته في زمان النبي صلى الله عليه وآله، و في سنة (٢٠) و في سنة (٢١) لا عبرة بها.

^{٧٧٠} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٤١، ٣٤٢.

^{٧٧١} (٢) المصدر السابق.

^{٧٧٢} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٠٧ لا يوجد فيه: «ابن عتيك».

^{٧٧٣} (٢) الاستيعاب ٣: ٣٦٨.

^{٧٧٤} (٣) الاستيعاب ٤: ٢٠٠.

^{٧٧٥} (٤) أبو نعيم قال: «و التيهان اسمه عمرو بن الحارث» و إن كان خلاف قوله في أسمائه أيضاً.

هذا و فى (اشتقاق ابن دريد): شهد ابن التيهان العقبة و بدرا و كان تقيبا.

و التيهان فيعلان من تاه يتيه.

و فى (كامل المبرد)^{٧٧٧}: يقال لأبى الهيثم الأنصارى: ذو السيفين، لأنه كان يتقلد سيفين فى الحرب.

و روى (عيون ابن بابويه)^{٧٧٨}: أن فى جملة ما كتب الرضا عليه السلام للمأمون

ص: ٣٠١

من شرايع الاسلام: الولاية لأمر المؤمنين عليه السلام و الذين مضوا على منهاج نبيهم، و لم يغيروا و لم يبدلوا، مثل سلمان الفارسى، و أبى ذر الغفارى، و المقداد، و عمّار، و حذيفة، و أبى الهيثم بن التيهان.

و مما يحقق قتله فى صفين ما رواه نصر بن مزاحم فى (صفينه)^{٧٧٩} أن أمينة الأنصارية رأته و قالت:

مالك إذ مضى و كان عمادا

منع اليوم ان أذوق رقادا

صرت للهّم معدنا و وسادا

يا أبا الهيثم بن تيهان إنى

إنّه كان مثلها معتادا

إذ غدا الفاسق الكفور عليهم

يرحم الله تلكم الأجسادا

أصبحوا مثل من توى يوم احد

«و أين ذو الشهادتين» و اسمه خزيمة بن ثابت. و سمى ذو الشهادتين لما رواه البلاذرى عن الواقدى قال: قال محمد بن يحيى بن سهل: اتباع النبى صلى الله عليه و آله فرسه المرتجز من أعرابى من بنى مرة، فرأى الأعرابى فيه رغبة، فجدد أن يكون باعه إياه، فشهد له على ابتياعه هذا الفرس خزيمة بن ثابت الأنصارى - و لم يكن شاهدا شراءه - فقال له النبى صلى الله عليه و آله: كيف شهدت و لم تحضر؟ قال:

بتصديقى إياك، و إن قولك كالمعينة. قال: أنت ذو الشهادتين. فسمى ذا الشهادتين. و وقع فى خبر (عيون) المتقدم كابن التيهان.

^{٧٧٦} (٥) الاستيعاب ٤: ٢٠١.

^{٧٧٧} (٦) الكامل للمبرد ٢: ٣٨٧.

^{٧٧٨} (٧) العيون لابن بابويه ٢: ١٢٥.

^{٧٧٩} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٦٥.

قال ابن أبي الحديد^{٧٨٠}: روى حديث مقتله بصفين من وجوه كثيرة عن ولد ولده محمد بن عمار بن خزيمة، و من غريب ما وقفت عليه من العصبية القبيحة أن أبا حيان التوحيدى قال فى (بصائر): إنَّ خزيمة بن ثابت المقتول بصفين ليس ذا الشهادتين، بل آخر صحابى من الأنصار، فإنَّ كتب الحديث

ص: ٣٠٢

و النسب تنطق أنه: لم يكن فى الصحابة خزيمة بن ثابت غيره، و إنما الهواء لا دواء له. على أن الطبرى^{٧٨١} سبق أبا حيان، و من كتابه نقل أبو حيان، ثم أى حاجة لناصرى أمير المؤمنين عليه السلام أن يتكثروا بخزيمة، و ابن الهيثم، و غيرهم لو أنصفوه؟

قلت: الطبرى قال ذلك فى (الجمال) فى رواياته عن سيف التى كلها مفتعلة، إلا أنه فى (ذيله) قال بعد رفع نسبه إلى أوس: و هو ذو الشهادتين يكنى أبا عمار، شهد صفين و قتل يومئذ سنة (٣٧).

«و أين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا» أى: تعاقدوا.

«على المنية» أى: الموت. منهم هاشم المرقال، و أصحابه. و فى (صفين نصر)^{٧٨٢}: لما قتل هاشم جزع الناس عليه جزعا شديدا، و اصاب معه عصابة من القراء من أسلم، فمرّ عليهم علىّ عليه السلام و هم قتلى حوله، فقال:

صباح الوجوه صرعوا حول هاشم

جزى الله خيرا عصبه أسلمية

و سفیان و ابنا هاشم ذى المكارم

يزيد و عبد الله بشر و معبد

إذا اخترطت يوما خفاف الصوارم

و عروة لا يبعد تناء و ذكره

و روى^{٧٨٣}، عن عبد خير الهمداني قال: قال هاشم: أيها الناس إننى رجل ضخم فلا يهولنكم مسقطى إن أنا سقطت، فإنه لا يفرغ منى أقل من نحر جزور. ثم حمل فصرع، فمرّ عليه زجل و هو صريع بين القتلى، فقال له: أقرىء أمير المؤمنين السلام و رحمة الله، و قل له: انشدك بالله ألا اصبحت و قد ربطت مقاود خيلك بأرجل القتلى، فإنَّ الدبرة تصبح عندك لمن غلب على القتلى.

ص: ٣٠٣

^{٧٨٠} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٠٩.

^{٧٨١} (١) ذيل تاريخ الطبرى ١١: ٥١١.

^{٧٨٢} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥٦.

^{٧٨٣} (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥٣.

فأخبر الرجل عليًا عليه السّلام بذلك، فسار عليّ عليه السّلام في بعض الليل، حتى جعل القتلى خلف ظهره، وكانت الدبره له عليهم.

و روى ^{٧٨٤}، عن أبي سلمة: أن هاشم بن عتبة دعا الناس، فقال: ألا من كان يريد الله و الدار الآخرة فليقبل. فأقبل إليه ناس، فشدّ في عصابة من أصحابه على أهل الشام مرارا، فليس يحمل من وجه عليهم إلّا صبروا له، و قوتل فيه قتالا شديدا، فقال لأصحابه: لا يهولنكم ما ترون، فو الله ما ترون إلّا حمية العرب و صبرها تحت راياتها و عند مراكزها، و إنهم لعلّ الضلال و إنكم لعلّ الحق، يا قوم اصبروا و صابروا، و اجتمعوا و امشوا بنا على تودة رويدا، ثم تأسوا و تصابروا، و اذكروا الله، و لا يسلم رجل أخاه، و لا تكثروا الالتفات، و جالدوهم محتسبين «حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» ^{٧٨٥} إذ خرج عليهم فتى شاب - إلى أن قال - فقال له هاشم: و ما أنت و ابن عفان؟ إنما قتله أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و قرأ الناس، حين أحدث أحداثا و خالف حكم الكتاب، و أصحاب محمد هم أصحاب الدين و أولى بالنظر في امور المسلمين - إلى أن قال - و قاتل هاشم و أصحابه قتالا شديدا حتى أتت كتيبة لتنوخ، فشدوا فقاتلهم حتى قتل تسعة أو عشرة، و حمل عليه الحرث بن المنذر التنوخي فطعنه فسقط، و بعث إليه على عليه السّلام: أن قدّم لواءك. فقال للرسول: انظر إلى بطني. فاذا هو قد انشق، و أخذ اللواء بعد قتله ابنه عبد الله و قال:

أعز بشيخ من قريش هالك

أ هاشم بن عتبة بن مالك

في أسود من نقعهن حالك

تخبطه الخيول بالسنايك

و الروح و الريحان عند ذلك

أبشر بحور العين في الأرائك

ص: ٣٠٤

و في (المروج) ^{٧٨٦}: حمل هاشم و معه جماعة من أسلم قد آلا يرجعوا، أو يفتحوا، أو يقتلوا. و شرطة الخميس الذين بايعوه على الموت كانوا خمسين.

و منهم أبو عمرة عمرو بن محصن النجاري في (صفيين نصر) ^{٧٨٧}: كان من أعلام أصحاب عليّ عليه السّلام، فلما قتل جزع عليّ عليه السّلام لقتله، و قال النجاشي يرثيه:

إذا صائح الحيّ المصبح ثوبا

لنعم فتى الحيين عمرو بن محصن

^{٧٨٤} (١) صفيين لنصر بن مزاحم: ٣٥٣ - ٣٥٤.

^{٧٨٥} (٢) الأعراف: ٨٧.

^{٧٨٦} (١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٨٠ - ٨١.

^{٧٨٧} (٢) صفيين لنصر بن مزاحم: ٣٥٧.

لقد فجّع الأنصار طرا بسيد
أخى ثقّة في الصالحات مجربا
فان تقتلوا الحر الكريم ابن محصن
فنحن قتلنا ذا الكلاع و حوشبا

و قالت شامية:

و لا تعدموا قوما أذاقوا ابن ياسر
شعوبا و لم يعطوكم بالخزائم
فنحن قتلنا البشري ابن محصن
خطيبكم و ابني بديل و هاشم

و منهم عبد الله بن بديل الخزاعي، و في (صفين نصر)^{٧٨٨}: كان عليه يومئذ سيفان و درعان، فجعل يضرب الناس بسيفه قدما، و هو يقول:

لم يبق إلّا الصبر و التوكل
واخذك الترس و سيفا مصقل
ثم التمشي في الرعيل الأول
مشى الجمال في الحياض المنهل

فلم يزل يضرب بسيفه حتى انتهى إلى معاوية، فأزاله عن موقفه، فأقبل أصحاب معاوية يرضخونه بالصخر، حتى أثخنوه و قتل.
فقال معاوية: هذا كبش القوم و ربّ الكعبة.

ص: ٣٠٥

«و أبرد برءوسهم إلى الفجرة» قال ابن أبي الحديد^{٧٨٩} أي: حملت رؤوسهم مع البريد إلى الفجرة أي: امراء عسكر الشام.

قلت: لم ينقل في السير قطع الرؤوس في صفين بعد القتل و إرسالها إلى الامراء، ثم امراء الشام كانوا شاهدين صفين، فلم تحمل الرؤوس إليهم مع البريد؟ ثم لم يكن أحد يرسل إليه رأس غير أمير الفجرة معاوية. و يمكن أن يكون المراد بقوله عليه السلام: «و أين نظراؤهم إلى و ابرد برءوسهم إلى الفجرة» في غير صفين، و إنه عليه السلام أشار إلى حمل رأس محمد بن أبي بكر،

^{٧٨٨} (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٤٥.

^{٧٨٩} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١١٠.

فالخطبة - كما عرفت - كانت بعد قتل محمد قرب قتله عليه السلام، و في (العقد)^{٧٩٠}: ضرب معاوية بن حديج عنق محمد، و بعث برأسه إلى معاوية، فكان أول رأس طيف به في الاسلام.

و كلامه عليه السلام بلفظ الماضي، و إلّا فحمل رأس عمرو بن الحمق الذي كان أحد أجلاء شيعة - كحجر بن عدي - إلى معاوية بعشر سنين بعده عليه السلام، هرب زمان إمارة زياد على الكوفة إلى الموصل، و دخل غارا فنهشته حيّة فقتلته، فبعث عامل الموصل من أخذ رأسه و بعثه إلى زياد، فبعثه زياد إلى معاوية و قالوا: إن رأسه أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد.

و اللعين أول من أسس هذه الصناعة في الإسلام، و تبعه من بعده من الجبابرة، و في (صلة تاريخ الطبري)^{٧٩١}: ورد في سنة (٣٠٤) الكتاب من خراسان: أنه وجد بالقندهار في أبراج سورها برج متصل بها، فيه خمسة آلاف رأس في سلال من حشيش، و من هذه الرؤوس: تسعة و عشرون رأسا،

ص: ٣٠٤

في اذن كل رأس منها رقعة مشدودة بخيط إبريسم، باسم كل رجل منهم، و الأسماء: شريح بن حيان، خباب بن الزبير، الخليل بن موسى التميمي، الحارث بن عبد الله، طلق بن معاذ السلمي، حاتم بن حسنة، هاني بن عزة، عمر بن علان، جرير بن عباد المدني، جابر بن خبيب بن الزبير، فرقد بن الزبير السعدي، عبد الله بن سليمان بن عمارة، سليمان بن عمارة، مالك بن طرخان صاحب لواء عقيل بن سهيل بن عمرو، عمرو بن حيان، سعيد بن عتاب الكندي، حبيب بن أنس، هارون بن عروة، غيلان بن العلا، جبرئيل بن عباد، عبد الله البجلي، مطرف بن صبح ختن عثمان بن عفان، وجدوا على حالهم، إلّا أنه قد جفت جلودهم و الشعر عليها بحالته. و في الرقاع من سنة (٧٠) من الهجرة.

هذا، و في الخبر: أن الحسين عليه السلام كان في شخوصه من مكة إلى العراق لا ينزل منزلا و لا يرحل، إلّا كان يذكر أمر رأسه عليه السلام، و بعثه إلى عبيد الله و يزيد، و كان عليه السلام يقول: من هوان الدنيا أن رأس يحيى بن زكريا اهدى إلى ملك بغي.

«قال» ليس في (ابن ميثم)^{٧٩٢}، و انما هو في (ابن أبي الحديد) (كالمصرية)^{٧٩٣}.

«ثم ضرب بيده» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (يده) كما في (ابن ميثم)^{٧٩٤} و (ابن أبي الحديد)^{٧٩٥} و (الخطبة).

«على لحيته الشريفة الكريمة» هكذا في (المصرية) و الصواب: (على

^{٧٩٠} (٢) العقد لابن عبد ربه ١: ١٢٣.

^{٧٩١} (٣) صلة تاريخ الطبري ١١: ٥٩.

^{٧٩٢} (١) شرح ابن ميثم ٣: ٣٩٢، و فيه: قال ثم ضرب.

^{٧٩٣} (٢) الطبعة المصرية: ١٣١ الخطبة ١٨٠.

^{٧٩٤} (٣) شرح ابن ميثم ٣: ٣٩٢، و فيه: «ضرب بيده».

^{٧٩٥} (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٩٩.

لحيته) بدون زيادة لعدم وجود الوصفين في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{٧٩٦}.

«فأطال البكاء ثم قال عليه السّلام» هكذا في (المصرية)، و ليس في (ابن ميثم و ابن أبي الحديد): عليه السّلام.

«أوه» - بسكون الواو - قال الجوهري: توجع، قال الشاعر:

فأوه لذكرها إذا ما ذكرتها
و من بعد أرض بيننا و سماء

«على اخواني الذين قرءوا» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (تلوا) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم).

«القرآن فأحكموه، و تدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة و أماتوا البدعة» في (صفين نصر)^{٧٩٧}: قتل عبد الله بن كعب يوم صفين، فمر عليه الأسود بن قيس و هو بآخر رمق، فقال له الأسود: عز علىّ و الله مصرعك، أما و الله لو شهدتك، لآسيتك و لدافعت عنك، و لو أعرف الذي أشعرك لأحببت ألا يزايلني حتى يلحقني بك. ثم نزل إليه، و قال له: و الله إن كان جارك ليأمن بوائتك، و إن كنت من الذاكرين الله كثيرا، أوصني رحمك الله. قال: أوصيك بتقوى الله، و ان تناصح أمير المؤمنين، و أن تقاتل معه المحلين حتى يظهر الحق، أو تلحق بالله، و أبلغه عنى السلام، و قل له: قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك، فمن أصبح و المعركة خلف ظهره كان الغالب. ثم لم يلبث أن مات، فأقبل الأسود إلى على عليه السّلام فأخبره، فقال رحمه الله جاهد معنا عدونا في الحياة، و نصح لنا في الوفاء.

«دعوا للجهاد فأجابوا، و وثقوا بالقائد» يعنى عليه السّلام نفسه.

«فاتبعوه» هكذا في (المصرية)^{٧٩٨}، و الصواب: (فاتبعوا) كما في (ابن أبي الحديد)^{٧٩٩} و (ابن ميثم)^{٨٠٠}.

في (صفين نصر)^{٨٠١}: لما خرج على عليه السّلام إلى صفين قال له عمرو بن الحمق: إني و الله ما بايعتك على قرابة بيني و بينك، و لا إرادة مال تؤتيهني، و لا التماس سلطان ترفع ذكرى، و لكن أجبتك لخصال خمس: أنك ابن عمّ النبي صلى الله

^{٧٩٦} (١) شرح ابن ميثم ٣: ٣٩٢، و فيه: «على لحيته الشريفة الكريمة».

^{٧٩٧} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٥٦.

^{٧٩٨} (١) الطبعة المصرية: ١٣١ الخطبة ١٨٠.

^{٧٩٩} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٩٩.

^{٨٠٠} (٣) شرح ابن ميثم ٣: ٣٩٢.

^{٨٠١} (٤) صفين لنصر بن مزاحم: ١٠٣.

عليه وآله، و أول من آمن به، و زوج سيّدة نساء الامة، و أبو الذريّة التي بقيت فينا من النبي صلى الله عليه وآله، و أعظم رجل من المهاجرين في الجهاد. فلو أنّي كلّفت نقل الجبال الرواسي، و نزح البحور الطوامي، حتى يأتي عليّ يومى فى أمر أقوى به وليّك و اوهن به عدوك، ما رأيت أنّي قد أدّيت فيه كلّ الذى يحقّ عليّ من حقك. فقال عليه السّلام: اللهمّ نور قلبه بالتقى، و اهده إلى صراط مستقيم، ليت فى جندى مائة مثلك. ثم قام حجر بن عدى، فقال له عليه السّلام: نحن بنو الحرب و أهلها، نلهبها و ننتجها، قد ضار ستنا و ضار سناها، و لنا أعوان ذوو صلاح و عشيرة ذات عدد، و رأى مجرّب و بأس محمود، و أزمّتنا منقاداً لك بالسمع و الطاعة، فإن شرّقت شرّقنا، و إن غربّت غربّنا، و ما أمرتنا به من أمر فعلناه.

و فى (رجال الكشي): قال أبو الجارود: قلت للأصمغ: ما كان منزلة هذا الرجل فيكم؟ قال: ما أدري ما تقول، إلّا أنّ سيوفنا كانت على عواتقنا، فمن أومى إليه ضربناه بها، و كان يقول لنا: تشرطوا، فوالله ما اشتراطكم لذهب و لا فضة، و ما اشتراطكم إلّا للموت، إنّ قوماً قبلكم من بنى اسرائيل تشرطوا بينهم، فما مات أحد منهم حتى كان نبيّ قومه، أو نبيّ قريته، أو نبيّ نفسه،

ص: ٣٠٩

و إنّكم بمنزلتهم غير أنّكم لستم بأنبياء.

و فى (المروج)^{٨٠٢}: كان حذيفة اليماني فى سنة (٣٦) عليلاً بالكوفة، فبلغه قتل عثمان و بيعه الناس لعلّى عليه السّلام، فقال: أخرجونى و ادعوا: الصلاة جامعة.

فوضع على المنبر، فحمد الله و أثنى عليه، و صلى على النبي و آله، ثم قال: أيّها الناس، إنّ الناس قد بايعوا عليّاً عليه السّلام، فعليكم بتقوى الله، و انصروا عليّاً، و وازروه، فوالله إنّ لعلّى الحقّ آخراً و أولاً، و إنّّه لخير من مضى بعد نبيكم، و من بقى إلى يوم القيامة. ثم أطبق يمينه على يساره، ثم قال: اللهمّ اشهد أنّي قد بايعت عليّاً. و قال: الحمد لله الذى أبقانى إلى هذا اليوم. و قال لابنيه صفوان و سعيد: احملانى و كونا معه، فسيكون له حروب كثيرة، فيهلك فيها خلق من الناس، فاجتهدا أن تستشهدا معه، فإنّه و الله على الحق، و من خالفه على الباطل. و مات حذيفة بعد ذلك بسبعة أيام، و استشهد ابنه فى صفين، و استشهد عبد الله بن الحرث النخعي أخو الأشر.

١١

الحكمة (٣٢٢) و روى: أنّه ع لَمَّا وَرَدَ الْكُوفَةَ؟ - قَادِمًا مِنْ؟ صِفِّينَ؟ مَرَّ بِالشَّبَامِيِّينَ - فَسَمِعَ بُكَاءَ النِّسَاءِ عَلَى قَتْلِ؟ صِفِّينَ؟ - وَ خَرَجَ إِلَيْهِ؟ حَرْبُ بْنُ شَرْحَبِيلَ الشَّبَامِيِّ؟ - وَ كَانَ مِنْ وَجْهِ قَوْمِهِ فَقَالَ ع لَهُ - أ تَغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَى مَا أَسْمَعُ - أَلَا تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هَذَا الرَّيْنِ - وَ أَقْبَلَ؟ حَرْبُ؟ يَمْشِي مَعَهُ وَ هُوَ رَاكِبٌ - فَقَالَ ع ارْجِعْ فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي - فِتْنَةٌ لِلْوَالِي وَ مَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ

ص: ٣١٠

^{٨٠٢} (١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٩٤.

أقول: رواه نصر بن مزاحم - نصر بن مزاحم - صفين - ص ٥٣١^{٨٠٣}، و الطبري الطبري - تاريخ الطبري - ج ٤ ص ٤٥^{٨٠٤} في كتابيهما مع زيادة قبله و بعده. فروى الأوّل عن عمر عن عبد الله بن عاصم، قال: لما مرّ على عليه السّلام بالثوريين - يعني ثور همدان - سمع البكاء، فقال: ما هذه الأصوات؟ قيل: هذا البكاء على من قتل بصفين. قال: أما إنّي أشهد لمن قتل منهم صابرا محتسبا بالشهادة. ثم مرّ بالشبابيين، فسمع رنةً شديدة، و صوتا مرتفعا عاليا، فخرج إليه حرب بن شريحيل الشبامي، فقال له على عليه السّلام: أ تغلبكم نساؤكم؟ ألا تنهونهن عن هذا الصياح و الرنين؟ قال: لو كانت دارا أو دارين أو ثلاثا قدرنا على ذلك، و لكن من هذا الحى ثمانون و مائة قتيل، فليس من دار إلّا و فيها بكاء.

أمّا نحن معاشر الرجال فإنّا لا نبكى، و لكن نفرح لهم بالشهادة. فقال عليه السّلام:

رحم الله قتلاكم و موتاكم. و أقبل يمشى معه، و علىّ عليه السّلام راكب فقال له على عليه السّلام: ارجع فإنّ مشى مثلك فتنّة للوالى. و مدّله للمؤمن. ثمّ مضى حتّى مرّ بالناعطين، فسمع رجلا منهم يقال له عبد الرحمن بن مرثد، يقول: ما صنع علىّ شيئا؟ ذهب ثم انصرف فى غير شىء. فلما نظر علىّ عليه السّلام إليه أبلس، فقال عليه السّلام: وجوه قوم ما رأوا الشام العام. ثم قال عليه السّلام لأصحابه: قوم فارقتهم أنفا خير من هؤلاء. ثم قال:

من الدهر لم يبرح لبثك واجما

أخوك الذى إن أحرضتك ملمة

عليك امور ظل يلحاك لاثما

و ليس أخوك بالذى إن تمنّعت

ثمّ مضى عليه السّلام فلم يزل يذكر الله حتى دخل الكوفة.

و فى حديث^{٨٠٥} عمرو ابن شمر: لمّا صدر علىّ عليه السّلام من صفين أنشأ

ص: ٣١١

يقول:

من اشمط موتور و شمطاء ثاكل

و كم قد تركنا فى دمشق و أرضها

فأضحت تعد اليوم احدى الأرامل

و غانية صاد الرماح حليها

^{٨٠٣} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٣١.

^{٨٠٤} (٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٥.

^{٨٠٥} (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٣٢-٥٣٣.

و ليس إلى يوم الحساب بقافل

إذا ما طعنا القوم غير المقاتل

تبكى على بعل لها راح غاديا

و إنا لناس ما تصيب رماحنا

و روى الثاني^{٨٠٦} بإسناده عن أبي مخنف عن عبد الله بن عاصم مثله، إلى قوله: «حتى دخل الكوفة» لكن فيه: «حتى مر بالناعطيين و جلهم عثمانية» و فيه: «فلما نظروا إلى علي عليه السلام ألبسوا».

قول المصنف: «و روى» قد عرفت أن الراوى عبد الله بن عاصم الفائضى.

«أنه عليه السلام لما ورد الكوفة قادما من صفين مرّ» قد عرفت من الرواية المتقدمة أن مروره عليه السلام بمن قال، كان قبل وروده الكوفة.

«بالشبابيين» بكسر الشين، فى (الجمهرة): شبام: قبيلة من العرب. قال ابن الكلبي: هم منسوبون إلى جبل و ليس بامّ و لا أب.

و فى (السمعاني): شبام: مدينة باليمن. و فى (لبابه): شبام: بطن من همدان، و هو شبام بن أسعد بن جشم بن حاشد بن خيران بن نوف بن همدان، و تلك المدينة بهم سميت.

و فى (القاموس): «موضع بالشام، و جبل لهمدان باليمن، و بلد لحمير تحت جبل كوكبان، و بلد لبنى حبيب عند ذمرمر، و بلد فى حضر موت».

قلت: و الأصح فى الحى ما قاله ابن الكلبي.

«فسمع بكاء النساء على قتلى صفين» قد عرفت فى خبره: «فسمع رنة شديدة، و صوتا مرتفعا عاليا» و يشهد له قوله عليه السلام: «أ لا تنهونهن عن هذا

ص: ٣١٢

الرنين». لا أنه عليه السلام نهى عن مطلق البكاء. كيف و قد سمع عليه السلام قبل الشبابيين من ثور همدان بكاء نساءهن فلم ينهاه؟

«و خرج اليه حرب بن شرحبيل الشبامى و كان من وجوه قومه» كان من التابعين و قوله له عليه السلام فى خبره: «أما نحن معاشر الرجال فلا نبكى و نفرح لهم بالشهادة» يدل على حسن حاله.

^{٨٠٦} (١) تاريخ الطبري ٥: ٦٢.

«فقال عليه السّلام أ تغلبكم نساؤكم على ما أسمع» من الصياح.

«أ لا تنهونهن عن هذا الرنين» صوت البكاء الممتد، و في (الجمهرة): الرنة:

الصوت الشديد يخالطه فزع أو صراخ. سمعت رنة القوم، ثم كثر حتى قالوا:

سمعت رنة الطير. أى: أصواتها، و هو الرنين أيضا.

«و أقبل حرب» ليس (حرب) في (ابن ميثم)^{٨٠٧} بل في (ابن أبي الحديد)^{٨٠٨} و أخذته (المصرية)^{٨٠٩} منه.

«يمشى معه عليه السّلام و هو راكب فقال عليه السّلام»: هكذا في (المصرية)، و الصواب: (فقال عليه السّلام له) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطبة)^{٨١٠}.

«ارجع فإنّ مشى مثلك مع مثلى فتنة للوالى و مذلة للمؤمن» روى (الروضة)^{٨١١}: عن جويرية بن مسهر قال: اشتدّت خلف أمير المؤمنين عليه السّلام، فقال: يا جويرية إنّ له لم يهلك هؤلاء الحمقى إلّا بخفق النعال خلفهم، ما جاء بك؟

قلت: جئت أسألك عن ثلاث: الشرف و المروءة و العقل

و في (معارف القتيبي): قال ميمون بن مهران: أول من مشى معه

ص: ٣١٣

الرجال و هو راكب: الأشعث بن قيس.

١٢

الخطبة (٢٠٦) و من كلام له عليه السّلام قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أَحْبَبْتُ - حَتَّى نَهَكْتُكُمْ الْحَرْبُ - وَقَدْ وَاللَّهِ أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَ تَرَكَتْ - وَ هِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنَهَكَ - لَقَدْ كُنْتُ أَمْسُ أَمِيرًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا - وَ كُنْتُ أَمْسَ نَاهِيًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مِنْهِيًا - وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ وَ لَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ أَقُولُ: ذكره (صفين نصر بن مزاحم - صفين - ص ٤٨٤ نصر بن مزاحم)^{٨١٢}، مع أدنى اختلاف و مع بيان سببه، فقال: ذكروا أنّ أهل الشام جزعوا فقالوا: يا معاوية ما نرى أهل العراق أجابوا إلى ما دعوناهم إليه، فأعدها جذعة،

^{٨٠٧} (١) شرح ابن ميثم ٥: ٤٠٣.

^{٨٠٨} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٣٤.

^{٨٠٩} (٣) الطبعة المصرية: ٢٣٠ الحكمة ٣٢٢.

^{٨١٠} (٤) شرح ابن ميثم ٥: ٤٠٣.

^{٨١١} (٥) روضة فروع الكافي ٨: ٢٤١ - ح ٣٣١.

^{٨١٢} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٨٤.

فإنّك قد غمرت بدعائك القوم، و اطمعتهم فيك. فدعا معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص و أمره أن يكلم أهل العراق، فأقبل حتى إذا كان بين الصّفين: نادى يا أهل العراق أنا عبد الله بن عمرو بن العاص، إنّها قد كانت بيننا و بينكم أمور للدين أو الدنيا، فإن تكن للدين فقد و الله اعذرنا و اعذرتم و إن تكن للدنيا فقد أسرفنا و أسرفتم، و قد دعوناكم إلى أمر لو دعوتمونا لأجبناكم، فإن يجمعنا و إياكم الرضا فذلك من الله، فاغتنموا هذه الفرجة لعلّ أن يعيش فيها المحترف و ينسى فيها القتيل، فإنّ بقاء المهلك بعد الهالك قليل. فخرج سعيد بن قيس الهمداني فأتى عليّاً عليه السّلام، فأخبره بقول عبد الله بن عمرو - إلى أن قال - و قام الناس إلى علي عليه السّلام، فقالوا: أجب القوم إلى ما دعوك إليه، فإنّا قد فنيّا - إلى أن قال - ذكروا: أن الناس ماجوا و قالوا: أكلنا الحرب، و قتلنا الرجال. و قال قوم: نقاتل

ص: ٣١٤

القوم على ما قاتلناهم عليه أمس. و لم يقل هذا إلّا قليل من الناس، ثم رجعوا عن قولهم مع الجماعة و ثارت الجماعة بالموادعة، فقام على عليه السّلام و قال: «إنّه لم يزل أمرى معكم على ما احب إلى أن أخذت الحرب منكم، و قد و الله أخذت منكم و تركت، و أخذت من عدوكم و لم تترك، و إنّها فيهم أنكى و أنهك، إلّا أنّى كنت أمس أميراً، فأصبحت اليوم مأموراً، و كنت ناهياً، فأصبحت منهيّاً، و قد أحببتكم البقاء و ليس لى أن أحملكم على ما تكرهون» ثم تكلم رؤساء القبائل، فأما من ربيعة - و هى الجبهة العظمى - فقام كردوس بن هانى البكرى فقال:

أيّها الناس و الله ما تولينا معاوية منذ تبرّأنا منه، و لا تبرّأنا من على عليه السّلام منذ توليناه، و إنّ قتلنا لشهداء، و احياءنا لأبرار، و إنّ عليّاً عليه السّلام لعلّى بيّنة من ربّه، و ما أحدث إلّا الانصاف، و كان محقّاً منصفاً، فمن سلّم له نجا، و من خالفه هلك. ثم قام شقيق بن ثور البكرى فقال: أيّها الناس إنّنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله، فردّوه علينا، فقاتلناهم عليه. و إنّهم دعونا إلى كتاب الله، فإن ردّدناه عليهم حل لهم ممّا حل لنا منهم، و لسنا نخاف أن يحيف الله علينا و لا رسوله، و إنّ عليّاً عليه السّلام ليس بالمراجع الناكص، و لا الشاك الواقف، و هو اليوم على ما كان عليه أمس، و قد أكلتنا هذه الحرب و لا نرى إلّا الموادعة. ثم قام حريث بن جابر البكرى فقال: أيّها الناس إنّ عليّاً عليه السّلام لو كان خلوا من هذا الأمر لكان المفزع إليه فكيف و هو قائده و سائقه و أنّه و الله ما قبل من القوم اليوم إلّا ما دعاهم إليه أمس - إلى أن قال - و قام الحضيرى الربعى - و كان أصغر القوم سناً - فقال: أيّها الناس إنّما بنى هذا الدين على التسليم، فلا توقروه بالقياس، و لا تهدموه بالشفقة. فإنّا و الله لو لا تقبل لا نقبل إلّا ما نعرف لأصبح الحق فى أيدينا قليلاً، و لو تركنا و ما نهوى لكان الباطل فى أيدينا كثيراً، و إنّ لنا داعياً قد حمدنا وردّه و صدره، و هو المصدق على ما قال، المأمون على ما فعل، فإن قال لا:.

ص: ٣١٥

قلنا: لا. و إن قال: نعم. قلنا: نعم.

و ذكره (خلفاء ابن قتيبة - الخلفاء - ص ١١٥ ابن قتيبة)^{٨١٣} أيضا، فقال: ذكروا أن أهل العسكرين باتوا بشدة من الألم، و نادى على عليه السلام أصحابه، فأصبحوا على راياتهم و مصافهم، فلما رأهم معاوية و قد برزوا للقتال، قال لعمر بن العاص: ألم ترع ما أنتك ما وقعت في أمر قط إلا و خرجت منه؟ قال: بلى. قال: أفلا تخرج مما ترى؟ قال:

و الله لأدعونهم - إن شئت - إلى أمر افرق به جمعهم، و يزداد جمعك إليك اجتماعا، إن أعطوكه اختلفوا، و إن منعوكه اختلفوا. قال: و ما ذاك؟ قال تأمر بمصاحف فترتفع، ثم تدعوهم إلى ما فيها فو الله لئن قبله ليفرقن عنه جماعته، و لئن رده ليكفرن أصحابه. فدعا معاوية بالمصحف، ثم دعا رجلا من أصحابه يقال له: ابن هند، فنشره بين الصفين، ثم نادى: الله الله في دمائنا و دمائكم، البقية البقية، بيننا و بينكم كتاب الله. فلما سمع الناس ذلك ثاروا إلى على عليه السلام فقالوا: أعطاك معاوية الحق، و دعاك إلى كتاب الله فاقبل منه - إلى أن قال - فقام على عليه السلام خطيبا فقال: «أيها الناس إنه لم أزل من أمرى على ما أحب حتى قد نهكتكم الحرب، و قد و الله أخذت منكم و تركت، و هي لعدوكم أنهك، و قد كنت بالأمس أميرا، فأصبحت اليوم مأمورا، و كنت ناهيا، فأصبحت اليوم منهيّا، و ليس لى أن أحملك على ما تكرهون».

قول المصنف: «و من كلام له عليه السلام لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة» هكذا في (المصرية)^{٨١٤} و كذا (ابن أبي الحديد)^{٨١٥} و في (ابن ميثم)^{٨١٦}:

«و قال عليه السلام لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة».

ص: ٣١٦

قوله عليه السلام: «أيها الناس إنه لم يزل أمرى معكم على ما أحب» يأترون ما أمرهم به، و يزدجرون عما زجرهم عنه.

«حتى نهكتكم» من: نهكته الحمى، إذا جهدت و نقصت لحمه، أو من:

نهكت الثوب، إذا لبسته حتى خلق.

«الحرب» مؤنث و قد تذكر، قال: إذا الحرب هفا عقابه.

«و قد و الله أخذت» الحرب.

«منكم» رجالا.

«و تركت» أكثر.

^{٨١٣} (١) الخلفاء لابن قتيبة: ١١٥.

^{٨١٤} (٢) الطبعة المصرية ٢: ٢١٢.

^{٨١٥} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٩.

^{٨١٦} (٤) شرح ابن ميثم ٤: ١٥.

«و هي لعدوكم أنهلك» فقتلى أصحاب معاوية كانوا أكثر من قتلى أصحابه عليه السلام، ففي (المروج)^{٨١٧}: عن يحيى بن معين: قتل من أهل الشام تسعون ألفا، و من أهل العراق عشرون ألفا. و عن أبي مخنف و الشرقي و الهيثم: قتل من أهل الشام خمسة و أربعون ألفا، و من أهل العراق خمسة و عشرون.

«لقد كنت أمس أميرا فأصبحت اليوم مأمورا» في (صفين نصر)^{٨١٨}: لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن، قال عليّ عليه السلام: عباد الله أنا أحق من أجاب إلى كتاب الله، و لكن معاوية و عمرو بن العاص و ابن أبي معيط و حبيب بن مسلمة و ابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن، إني أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالا و صحبتهم رجالا، فكانوا شر أطفال و شر رجال. إنها كلمة حق يراد بها باطل، إنهم و الله ما رفعوها إلّا أنهم يعرفونها و لا يعملون بها، و ما رفعوها لكم إلّا خديعة و مكيدة. أعيروني سواعدكم

ص: ٣١٧

و جماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحق مقطعه، و لم يبق إلّا أن يقطع دابر الذين ظلموا. فجاءه زهاء عشرين ألفا مقنعين في الحديد، شاكي السلاح، سيوفهم على عواتقهم، و قد اسودّت جباههم من السجود، يتقدمهم مسعر بن فذكي، و زيد بن حصين و عصابة من القرأ الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين: يا عليّ أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه، و إلّا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فو الله لنفعلنها إن لم تجبهم. فقال عليّ عليه السلام لهم:

و يحكم أنا أوّل من دعا إلى كتاب الله، و أوّل من أجاب إليه، و ليس يحلّ لي و لا يسعني في ديني، أن ادعي إلى كتاب الله فلا أقبله، إني إنّما اقاتلتهم ليدنوا بحكم القرآن، فإنهم قد عصوا الله في ما أمرهم، و نقضوا عهده، و نبذوا كتابه، و لكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم و أنهم ليسوا بالعمل بالقرآن يريدون. قالوا فابعث إلى الأشر ليأتينك. و قد كان الأشر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على عسكر معاوية ليدخله، و حدثني فضيل بن خديج عن رجل من النخع قال رأيت إبراهيم بن الاشر دخل على مصعب فسأله عن الحال: كيف كانت؟ فقال: كنت عند عليّ عليه السلام حين بعث إلى الأشر أن يأتيه، فقال لرسوله: قل له: ليس هذه الساعة ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقعي، إني قد رجوت أن يفتح الله لي.

فرجع رسوله، فما هو إلّا أن انتهى إلينا حتى ارتفع الوهج، و علت الأصوات من قبل الأشر و ظهرت دلائل الفتح لأهل العراق و الخذلان على أهل الشام، فقال له القوم: و الله ما نراك إلّا أمرته بقتال القوم. قال عليه السلام: رأيتموني ساررت رسولي؟ أليس إنّما كلمته على رؤوسكم علانية و أنتم تسمعون؟ قالوا:

فابعث إليه فليأتك، و إلّا فو الله اعتزلناك. فقال لرسوله: ويحك قل له: أقبل فإنّ الفتنة قد وقعت. فأتاه فأخبره، فقال الأشر: الرفع هذه المصاحف؟ قال: نعم.

قال: اما و الله لقد ظننت أنّها حين رفعت ستوقع اختلافا و فرقة، أنّها من مشورة

^{٨١٧} (١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤٠٤.

^{٨١٨} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٨٩.

ص: ٣١٨

ابن النابغة- يعنى: عمرو بن العاص- ثم قال لرسوله: ألا ترى إلى الفتح؟ ألا ترى إلى ما يلقون؟ ألا ترى إلى الذى يصنع الله لنا؟ أ ينبغي أن ندع هذا ونصرف عنه؟ فقال له رسوله: أ تحب أنك ظفرت هاهنا و أن أمير المؤمنين بمكانه الذى هو به يسلم إلى عدوه؟ قال: سبحان الله! و الله ما احب ذلك. قال:

إنهم قالوا له: لترسلن إلى الأشر فليأتك، أو لنقتلنك كما قتلنا عثمان، أو لنسلمنك إلى عدوك. فأقبل الأشر حتى انتهى إليهم فصاح: يا أهل الذل و الوهن، أ حين علوتم القوم فظنوا أنكم لهم ظاهرون، و رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها، و قد و الله تركوا ما أمر الله فيها و سنه من انزلت عليه؟ فلا تجيبوهم، أمهلونى فواقا، فإننى قد أحسست بالفتح. قالوا: لا. قال: فامهلونى عدو الفرس، فإننى قد طمعت فى النصر. قالوا: إذن ندخل معك فى خطيئتك.

قال: فحدثونى عنكم- و قد قتل أمثالكم و بقى أراذلكم- متى كنتم محقين؟

أ حين تقتلون أهل الشام، فأنتم الآن حين أمسكنم مبطلون؟ أم الآن محقون؟

فقتلاكم إذن لا تنكرون فضلهم، و كانوا خيرا منكم فى النار. قالوا: دعنا منك يا أشر قاتلناهم فى الله، و ندع قتالهم فى الله، إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا. قال:

خدعتم و الله فانخدعتم، و دعيتم إلى وضع الحرب فأجبتكم. يا أصحاب الجباه السود، كنّا نظنّ أن صلاتكم زهاده فى الدنيا و شوقا إلى لقاء الله، فلا أدرى فراركم إلّا إلى الدنيا من الموت، ألا فقبحا يا أشباه النيب الجلالة، ما أنتم برائين عزا بعدها أبدا، فابعدوا كما بعدا للقوم الظالمين. فسبّوه و سبّهم، و ضربوا بسياطهم وجه دابته، و ضرب بسوطه وجه دوابهم، فصاح بهم على عليه السلام فكفوا، فقال الأشر له عليه السلام: احمل الصف على الصف يصرع القوم. فقالوا له:

إنّ عليّا قبل الحكومة و رضى. فقال: إن كان قد قبل و رضى فقد رضيت بما رضى به أمير المؤمنين عليه السلام. فأقبل الناس يقولون قد رضى أمير المؤمنين،

ص: ٣١٩

قد قبل أمير المؤمنين. و هو عليه السلام ساكت لا يلفظ بكلمة، مطرق إلى الأرض.

«و كنت أمس ناهيا فأصبحت اليوم منهيّا» فى (صفين نصر)^{٤٩٩}: جاء الأشعث إلى على عليه السلام فقال: ما أرى الناس إلّا و قد رضوا أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه، فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد، و نظرت ما الذى يسأل.

^{٤٩٩} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٩٨ - ٤٩٩.

قال: إِيَّاهُ إِن شِئْتَ. فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَأَيَّ شَيْءٍ رَفَعْتُمُ الْمَصَاحِفَ؟ قَالَ: لَنَرْجِعَ نَحْنُ وَ أَنْتُمْ إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، فَأُبْعَثُوا مِنْكُمْ رَجُلًا تَرْضَوْنَ بِهِ، وَ نَبْعَثُ مِنْكُمْ رَجُلًا، ثُمَّ نَأْخُذُ عَلَيْهِمَا أَنْ يَعْمَلَا بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ لَا يَعْدُوَانِهِ، ثُمَّ نَتَّبِعُ مَا اتَّفَقَا عَلَيْهِ. فَقَالَ الْأَشْعَثُ: هَذَا هُوَ الْحَقُّ. فَانصَرَفَ إِلَى عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ قَبِلْنَا وَ رَضِينَا. فَبَعَثَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَرَاءً مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَ بَعَثَ مَعَاوِيَةَ قَرَاءً مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَاجْتَمَعُوا بَيْنَ الصَّفِينِ وَ مَعَهُمُ الْمَصْحَفُ، فَنَظَرُوا فِيهِ وَ تَدَارَسُوهُ وَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَحْيُوا مَا أَحْيَا الْقُرْآنَ، وَ أَنْ يَمِيتُوا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ رَجَعَ كُلُّ فَرِيقٍ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ أَهْلُ الشَّامِ: إِنَّا قَدْ رَضِينَا وَ اخْتَرْنَا عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ. وَ قَالَ الْأَشْعَثُ وَ الْقَرَاءُ الَّذِينَ صَارُوا خَوَارِجَ فِي مَا بَعْدَ: فَإِنَّا قَدْ رَضِينَا وَ اخْتَرْنَا أَبَا مُوسَى. فَقَالَ لَهُمْ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي لَا أَرْضَى بِأَبِي مُوسَى، وَ لَا أَرَى أَنْ أُولِيَهُ. فَقَالَ الْأَشْعَثُ وَ يَزِيدُ بْنُ حَصِينٍ وَ مَسْعَرُ بْنُ فَذَكِي فِي عَصَابَةِ مَنْ الْقَرَاءُ: إِنَّا لَا نَرْضَى إِلَّا بِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ حَذَرْنَا مَا وَقَعْنَا فِيهِ. قَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَإِنَّهُ لَيْسَ لِي بَرِئَاءٌ وَ قَدْ فَارَقَنِي، وَ خَذَلَ النَّاسَ عَنِّي، ثُمَّ هَرَبَ حَتَّى أَمَنَتْهُ بَعْدَ أَشْهُرٍ، وَ لَكِنْ هَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ أَوْلِيَهُ ذَلِكَ. قَالُوا: وَ اللَّهُ مَا نَبَالِي أَنْتَ كُنْتَ أَوْ ابْنُ عَبَّاسٍ لَا تَرِيدُ إِلَّا رَجُلًا هُوَ مِنْكَ وَ مِنْ مَعَاوِيَةَ سِوَاءٍ، لَيْسَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنْكُمَا بِأَدْنَى مِنَ الْآخَرِ. قَالَ: فَإِنِّي أَجْعَلُ الْأَشْتَرِ. قَالَ الْأَشْعَثُ: وَ هَلْ سَعَرَ الْأَرْضَ عَلَيْنَا غَيْرَ الْأَشْتَرِ؟ وَ هَلْ نَحْنُ إِلَّا فِي حَكْمِ الْأَشْتَرِ؟ قَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَ مَا حَكْمُهُ؟

ص: ٣٢٠

قال ان يضرب بعضنا بعضا بالسيوف حتى يكون ما أردت و ما أراد- إلى أن قال- قال على عليه السلام: قد أبيتم إلا أبا موسى. قالوا: نعم. قال: فاصنعوا ما أردتم.

«و قد أحببتكم البقاء و ليس لي أن أحملكم على ما تكرهون» «و كرهوا أن يجاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله و قالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفتقون»^{٨٢٠}.

ص: ٣٢١

الفصل الثالث و الثلاثون في المارقين

ص: ٣٢٣

١

الخطبة (٣٥) و من خطبة له عليه السلام بعد التحكيم:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ إِنِّ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ - وَ الْحَدَّثِ الْجَلِيلِ - وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ - لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ - وَ أَنْ؟ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ ص - أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرَّبِ - تُورِثُ الْحَيَرَةَ وَ تُعْقِبُ النَّدَامَةَ - وَ

^{٨٢٠} (١) التوبة: ٨١.

قَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي - وَ نَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي - لَوْ كَانَ يُطَاعُ؟ لِقَصِيرٍ؟ أَمْرٌ - فَأَيُّكُمْ عَلَى إِبَاءِ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاءَ وَالْمُنَابِذِينَ الْعَصَا - حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ وَ ضَنَّ الزَّئِدُ بِقَدْحِهِ - فَكُنْتُ وَ إِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو؟ هَوَازَن؟

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي؟ بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى؟

فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ

ص: ٣٢٤

أقول: قال ابن أبي الحديد ٢ ابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة - ج ٢ ص ٢٥٩^{٨٢١}: قال نصر في (صفينه ١ نصر بن مزاحم - صفين -): لما خدع عمرو بن العاص أبا موسى، غمّ ذلك علياً عليه السلام و ساء له و وجم له، فخطب الناس و قال:

الحمد لله و إن أتى الدهر بالخطب الفادح - إلى آخر الخطبة - و زاد: الا أن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب، و أحيا ما أمات، و اتبع كلّ منهما هواه، و حكم بغير حجة و لا بينة، و لا سنة ماضية، و اختلفا في ما حكما، فكلاهما لم يرشده الله فاستعدوا للجهاد، و تاهبوا للمسير و أصبحوا في معسكرهم

قلت: و رواه الطبري الطبري - تاريخ الطبري - ج ٥ ص ٧٦^{٨٢٢}، و كذا المسعودي المسعودي - مروج الذهب - ج ٢ ص ٤١١^{٨٢٣}، و القتيبي ابن قتيبة - الخلفاء - ص ١٤٣^{٨٢٤}، و البلاذري البلاذري - أنساب الاشراف - أنساب الرابع.

و في الأول: لما خرجت الخوارج و هرب أبو موسى إلى مكة، و ردّ على عليه السلام ابن عباس إلى البصرة، قام على عليه السلام في الكوفة فخطبهم، فقال: الحمد لله و إن أتى الدهر بالخطب الفادح ... مع الزيادة.

و في (المروج)^{٨٢٥}: و لمّا بلغ علياً عليه السلام ما كان من أمر أبي موسى و عمرو قال: إنّي كنت تقدّمت إليكم في هذه الحكومة و نهيتكم عنها، فأبيتم إلّا عصياني، فكيف رأيتم عاقبة أمركم إذ أبيتم علي؟ و الله إنّي لأعرف من حملكم على خلافي و الترك لأمرى، و لو أشاء أخذه لفعلت، و لكن الله من ورائه - يريد بذلك الأشعث و الله أعلم - و كنت في ما أمرت به كمال قال أخو بني جشم:

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى

فلم يستبينوا الرشداً إلّا ضحى الغد

^{٨٢١} (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٥٩.

^{٨٢٢} (٢) تاريخ الطبري ٥: ٧٦.

^{٨٢٣} (٣) المسعودي ٢: ٤١١.

^{٨٢٤} (٤) القتيبي: ١٤٣.

^{٨٢٥} (٥) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤١٢.

من دعا إلى هذه الخصومة فاقتلوه قتله الله و لو كان تحت عمامتي هذه.

ص: ٣٢٥

ألا إن هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموهما حكمين قد تركا حكم الله، و حكما بهوى أنفسهما بغير حجة و لا حقّ معروف، فأماتا ما أحيا القرآن، و أحيا ما أماته، و اختلف في حكمهما كلامهما، و لم يرشدهما الله و لم يوفقهما، فبرىء الله منهما و رسله و صالح المؤمنين، فتأهبوا للجهاد

و في (الخلفاء)^{٨٢٦}؛ قالوا: لما توافى الخوارج إلى النهروان قام على عليه السلام بالكوفة على المنبر، ثم قال: أما بعد، فإنّ معصية العالم الناصح يورث الحسرة، و تعقب الندامة، و قد كنت أمرتكم في أمر هذين الرجلين، و في هذه الحكومة بأمرى، فأبيتم إلّا ما أردتم، فأحييا ما أمات القرآن و أماتا ما أحيا القرآن، و اتبع كلّ واحد منهما هواه يحكم بغير حجة و لا سنّة ظاهرة، و اختلفا في أمرهما و حكمهما فكلاهما لم يرشده الله، فبرىء الله منهما و رسله و صالح المؤمنين، فاستعدوا للجهاد و تأهبوا للمسير، ثم أصبحوا في معسكرهم بالنخيلة، و و الله لأغزونهم، و لو لم يبق أحد غيرى لجاهدتهم.

و في (أنساب الرابع) بإسناده عن أبي مخنف، عن أبي روق الهمداني، عن عامر الشعبي و عن معلى بن كليب، عن أبي الوداك جبر بن نوف، و غيرهما، قالوا: لما هرب أبو موسى إلى مكة، و رجع ابن عباس واليا على البصرة، و أتت الخوارج النهروان، خطب على عليه السلام الناس بالكوفة، فقال: الحمد لله و إن أتى الدهر بالخطب الفادح و الحدث الجليل، و أشهد أن لا إله إلّا الله و أنّ محمدا عبده و رسله. أمّا بعد، فإنّ معصية الناصح الشفيق المجرب تورث الحسرة، و تعقب الندم، و قد كنت أمرتكم في هذين الرجلين و هذه الحكومة بأمرى، و نخلت لكم رأيى لو يطاع لقصير رأى، و لكنكم أبيتم إلّا ما أردتم، فكنت و أنتم كما قال أخو هوازن:

ص: ٣٢٦

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى

فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

ألا إن الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين، قد نبذا حكم الكتاب وراء ظهورهما، و ارتأيا الرأى قبل أنفسهما، فأماتا ما أحيا القرآن، و أحيا ما أمات القرآن، ثم اختلفا في حكمهما، فكلاهما لا يرشد و لا يسدد، فبرىء الله منهما و رسله و صالح المؤمنين، فاستعدوا للجهاد، و تأهبوا للمسير، و أصبحوا في معسكرهم.

«الحمد لله و ان أتى الدهر بالخطب» في (الجمهرة): الخطب الأمر العظيم و الجمع خطوب.

^{٨٢٦} (١) الخلفاء لابن قتيبة: ١٤٣.

«الفادح» أى: المثقل.

«و الحدث الجليل» و أنّما قال عليه السّلام ذلك، لأنّه يجب حمده تعالى على كلّ حال. و كان الصادق عليه السّلام إذا ورد عليه أمر يسره قال: الحمد لله على هذه النعمة. و إذا ورد عليه أمر يغتمّ به قال: الحمد لله على كلّ حال^{٨٢٧}.

«و أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره» هكذا فى (المصرية)^{٨٢٨}. و قوله: «وحده لا شريك له» من زيادات المحشين، لعدم وجوده فى (ابن أبى الحديد)^{٨٢٩} و ابن ميثم^{٨٣٠} و الخطيئة).

«أما بعد، فإن معصية الناصح الشفيق، العالم المجرب توجب الحيرة» هكذا فى (المصرية)^{٨٣١}، و الصواب: (الحسرة) كما فى (ابن أبى الحديد

ص: ٣٢٧

و ابن ميثم)^{٨٣٢} و (الخطيئة).

«و تعقب الندامة» قال القطامى كما فى (عيون القتيبي)^{٨٣٣}:

و يزيدك مرة منه استماعا	و معصية الشفيق عليك مما
و ليس بأن تتبعه اتباعا	و خير الأمر ما استقبلت منه
إلى ما جرّ غاويهم سراعا	كذلك و ما رأيت الناس إلّا
و يجتنبون من صدق المصاعا	تراهم يغمرون من استركبوه

و قال سبيع لأهل اليمامة لما خالفوه: يا بنى حنيفة بعدا لكم كما بعدت عاد، أما و الله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه، كأنى أسمع جرسه و أسمع غيبه، و لكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندم، و أصبحتم و فى أيديكم من تكذيبى التصديق، و من تهمتى الندامة، و أصبح فى يدى من هلاككم البكاء، و من ذلكم الجزع، و أصبح ما فات غير مردود، و ما بقى غير مأمون، و إننى لما رأيتمكم تنهمون النصيح، و تسفهون الحليم استشعرت منكم اليأس، و خفت عليكم البلاء

^{٨٢٧} (١) الكافي ٢: ٩٧، و البحار ٧١: ٣٣.

^{٨٢٨} (٢) الطبعة المصرية ١: ٨٠.

^{٨٢٩} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٢٠٤.

^{٨٣٠} (٤) شرح ابن ميثم ٢: ٨٤.

^{٨٣١} (٥) الطبعة المصرية ١: ٨١.

^{٨٣٢} (١) شرح ابن ميثم ٢: ٨٤، و فيه: «تورث الحيرة».

^{٨٣٣} (٢) العيون للقتيبي ١: ٣٣.

و في (الطبري)^{٨٣٤}:- في قصة خروج ابن الأشعث على الحجاج- كتب المهلب إلى الحجاج: إن أهل العراق قد أقبلوا إليك و هم مثل السيل المنحدر من علّ، ليس يرده شيء حتّى ينتهي إلى قراره. و إنّ لأهل العراق شرّة في أوّل مخرجهم، و صباة إلى أبنائهم و نساءهم، فليس شيء يردهم حتّى يسقطوا إلى أهليهم، و يشمّوا أولادهم، ثمّ واقعهم عندها. فلمّا قرأ كتابه قال: فعل الله به و فعل، لا و الله مالى نظر، و لكن لابن عمّه نصح. و عزم على استقبال ابن

ص: ٣٢٨

الأشعث، فسار بأهل الشام حتّى نزل تستر، و قدّم بين يديه مطهر بن الحر العكي، و عبد الله بن رميثة الطائي، فجاءوا حتّى انتهوا إلى دجيل، و قد قطع ابن الأشعث خيلا له عليها عبد الله بن أمان الحارثي في ثلاثمائة فارس، و كانت مسلحة له و للجنّد. فلما انتهى إليه مطهر أمر ابن رميثة فأقدم عليهم فهزمت خيله حتّى انتهت إليه، و جرح أصحابه، و أقحم أصحاب ابن الأشعث خيولهم دجيل، و هزموا العكي و الطائي في يوم الأضحى سنة (٨١) و قتلوهم قتلا ذريعا. و أتت الحجاج الهزيمة و هو يخطب، فقال: ارتحلوا إلى البصرة. و حين صدم تلك الصدمة دعا بكتاب المهلب فقراه، ثم قال لله أبوه! أى صاحب حرب هو؟ أشار علينا بالرأى و لكنّا لم نقبل.

«و قد كنت أمرتكم فى هذه الحكومة أمرى و نخلت لكم مخزون رأى» كشيء ينخل و يغربل، فكان عليه السلام قال لهم: إنّ معاوية و ابن العاص، و ابن أبى معيط، و ابن أبى سرح ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن، إنّى أعرف بهم منكم، و ما رفعوها لكم إلّا خديعة و مكيدة.

«لو كان يطاع لقصير أمر» مثل تمثّل عليه السلام به، و الأصل فيه كما فى (الطبري)^{٨٣٥}: أنّ جذيمة الأبرش- و كان من أفضل ملوك العرب رأيا، و أبعدهم مغارا، و أشدّهم نكاية. و كان أوّل من استجمع له الملك بأرض العراق، و كان به برص، فهابت العرب أن تنسبه إليه إعظاما له، فقال: جذيمة الوضاح، و جذيمة الأبرش. و كانت منازلها بين الحيرة و الأنبار، و بقّة و هيت و ناحيتها، و عين التمر و أطراف البر إلى الغمير، و القطقطانة و خفية و ما والاها- غزا عمرو بن ظرب ملك الشام، فقتله، فملك بعده ابنته الزباء، فأجمعت لغزو جذيمة تطلب بثأر أبيها، فقالت لها اختها- و كانت ذات رأى و دهاء:- إن ظفرت

ص: ٣٢٩

أصبت ثأرك، و إن قتلت ذهب ملكك، و لا تدريين لمن تكون العاقبة. فانصرفت عن هذا الرأى، فأتت أمرها من وجوه الخدع و المكر، فكتبت إلى جذيمة تدعوه إلى نفسها و ملكها، و أن يصل بلاده ببلادها، و أنّها لم تجد ملك النساء إلّا إلى قبّيح فى السماع، و ضعف فى السلطان، و أنّها لم تجد لنفسها كفوا غيره، فأقبل إلىّ فاجمع ملكى إلى ملكك، و صل بلادى ببلادك، و تقلّد أمرى مع أمرك. فلمّا انتهى كتابها إلى جذيمة استخفه ما دعت إليه، و رغب فى ما أطمعته فيه، و جمع إليه أهل النهى من ثقاته، و هو بالبقّة من شاطئ الفرات، فعرض عليهم ما دعت إليه فصوبوا ذلك كلّهم إلّا قصيرا- و هو قصير بن سعد بن عمرو

^{٨٣٤} (٣) تاريخ الطبري ٦: ٣٣٩.
^{٨٣٥} (١) تاريخ الطبري ١: ٦١٣.

بن جذيمه بن قيس بن ربي بن نمارة بن لحم - و قال: «رأى فاتر و غدر حاضر» فذهبت مثلاً. فنازعه الرأي فقال: «إني لأرى أمراً ليس بالخسا و لا الزكا» فذهبت مثلاً.

و قال لجذيمه: اكتب إليها، فإن كانت صادقة فلتقبل إليك، و إلّا لم تمكنها من نفسك و قد قتلت أباهاً. فلم يوافق جذيمه رأى قصير، فقال قصير:

إني امرؤ لا يميل العجز ترويتي إذا أتت دون شيء مرة الوزم

فقال جذيمه: «و لكنك امرؤ رأيك في الكن لا في الضح» فذهبت مثلاً.

فدعا جذيمه ابن اخته عمرو بن عدى، فاستشاره فشجعه على المسير، و قال:

إنّ نمارة قومي مع الزباء، و لو قدروا لصاروا معك. فأطاعه و عصى قصيرا، فقال قصير: «لا يطاع لقصير أمر». فاستخلف على ملكه عمرو بن عدى، و سار في وجوه من أصحابه، فأخذ على الفرات من الجانب الغربي، فلما نزل الفرضة دعا قصيرا، فقال: ما الرأي؟ قال: «ببقّة تركت الرأي» فذهبت مثلاً.

و استقبلته رسل الزباء بالهدايا و الألفاف، فقال: يا قصير كيف ترى؟ قال:

«خطر يسير في خطب كبير» فذهبت مثلاً. و قال له: ستلقاك الخيول، فإن سارت أمامك فإن المرأة صادقة، و إن أخذت جنبيك و أحاطت بك من خلفك

ص: ٣٣٠

فإن القوم غادرون، فاركب العصا - و كانت عصا فرسا لجذيمه لا تجارى - فإني راكبها و مسيرك عليها. فلقيته الخيول و الكتائب، فحالت بينه و بين العصا، فركبها قصير، و نظر إليه جذيمه موليا على متنها، فقال: «ويل امه حزما على ظهر العصا» فذهبت مثلاً. فقال: «ياضل ما تجرى به العصا».

و جرت به إلى غروب الشمس ثم نفقت و قد قطعت أرضا بعيدة، فبنى عليها برجاً يقال له: برج العصا. و سار جذيمه و قد أحاطت به الخيول حتى دخل على الزباء، فلما رآته تكشف، فإذا هي مضفورة الاست، فقالت: يا جذيمه «أ دأب عروس ترى؟» فذهبت مثلاً. و قالت: إني انبئت أن دماء الملوك شفاء من الكلب.

ثم أجلسه على نطح، و أمرت بطست من ذهب فأعدته له و سقته من الخمر حتى أخذت مأخذها منه، و أمرت براهشيه فقطعا، و قد قيل لها: إن قطر من دمه شيء في غير الطست طلب بدمه. و كانت الملوك لا تقتل بضرب العنق إلّا في القتال تكرمه

للملك. فلما ضعفت يده سقطنا فقطر من دمه، فقالت: لا تضيعوا دم الملك. فقال: «دعوا دما ضيعه أهله» فذهبت مثلاً. فهلك جذيمة و استنشفت الزباء دمه، فجعلته في برس قطن في ربة لها. و خرج قصير من الحى الذى هلك العصى بين أظهرهم، حتى قدم على عمرو بن عدى بالحيرة، فقال له:

«أ دائر أم نائر» قال: «نائر سائر» فذهبت مثلاً. فقال له قصير: «تهياً و لا تطل دم خالك». قال: و كيف لى بها و هى «امنع من عقاب الجو»؟ فذهبت مثلاً. و كانت اتخذت نفقا من مجلسها الذى كانت تجلس فيه إلى حصن لها داخل مدينتها، و قالت ان فجأنى أمر دخلت النفق إلى حصنى - فقال له قصير: اجدع أنفى و اضرب ظهري، و دعنى و إياها. فقال عمرو: ما أنا بفاعل ذلك و ما أنت بذلك بمستحق منى. فقال قصير: «خلّ عنى إذن و خلاك دم» فذهبت مثلاً. فقال له عمرو: فأنت أبصر. فجذع قصير أنفه و أثر بظهره، فقالت العرب: «لمكر ما جذع

ص: ٣٣١

قصير أنفه». ثم خرج كأنه هارب، و أظهر أن عمرا فعل به ذلك، و أنه يزعم أنه مكر بخاله جذيمة، و غره من الزباء. فسار حتى قدم على الزباء فقيل لها: إن قصيرا بالباب. فأمرت به فادخل عليها، فإذا أنفه قد جذع، و ظهره قد ضرب، فقالت: ما الذى أرى بك يا قصير؟ فقال زعم عمرو بن عدى أنني غررت خاله، و زينت له المسير إليك و غششته و مالأتك عليه، ففعل بى ما ترين، فأقبلت إليك و عرفت أنني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك. فأكرمته، و أصابت عنده بعض ما أرادت من الرأى و المعرفة بامور الملوك. فلما عرف أنها قد ثقّت به قال: إن لى بالعراق أموالا كثيرة، و بها طرائف و ثياب و عطر، فابعثينى إلى العراق لأحمل مالى، و أحمل إليك من بروزها و طرائف ثيابها، و صنوف ما يكون بها من الأمتعة و الطيب و التجارات، فتصيبين فى ذلك أرباحا عظاما، و بعض ما لا غنى بالملوك عنه. فلم يزل يزين لها ذلك حتى سرحته و دفعت معه عيرا، و قالت له: بع ما جهّزناك به، و ابتع لنا من طرائف ما يكون بها. فسار قصير حتى قدم العراق و أتى الحيرة متنكرا، فدخل على عمرو بن عدى فأخبره بالخبر، و قال: جهّزنى بالبز و الطرف و الأمتعة، لعلّ الله يمكن منها فتصيب ثأرك. فجّهّزه بصنوف الثياب و غيرها، فرجع بذلك كله إلى الزباء فأعجبها ما رأت، و ازدادت به ثقة. ثم جهّزته بعد ذلك بأكثر مما فى المرة الاولى، فسار حتى قدم العراق، و لقي عمرو بن عدى، و حمل من عنده ما ظنّ أنه موافق لها، و لم يدع طرفه قدر عليها إلّا حملها، ثم عاد الثالثة، و قال لعمرو:

اجمع لى ثقات أصحابك و جندك، و هيّء لهم الغرائر و المسوح - و قصير أوّل من عمل الغرائر - و احمل كلّ رجلين على بعير فى غرارتين، و اجعل معقد رءوس الغرائر من باطنها، فإذا دخلوا مدينة الزباء أقمتك على باب نفقها، و أخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة، فمن قاتلهم قتلوه، و إن

ص: ٣٣٢

أقبلت الزباء تريد النفق جليتها بالسيف. ففعل عمرو ما قال، ثم وجّه إلى الزبا العير عليها الرجال و أسلحتهم، فلما كانوا قريبا من مدينتها تقدّم قصير إليها، فبشّرها و أعلمها كثرة ما حمل إليها من الثياب و الطرائف، و سألها أن تخرج فتتنظر إلى قطارات

تلك الإبل، و قال لها: «إني جئت بما صاء و صمت» فذهبت مثلا. و كان قصير يكمن النهار و يسير الليل، و هو أول من فعل ذلك - فخرجت، فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل أحمالها، فقالت: يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا

أجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفانا باردا شديدا

أم الرجال جثما قعودا

فدخلت الإبل المدينة حتى كان آخرها، نخس بواب نبطى بمنخسته الغرائر التي تليه، فأصابته خاصرة الرجل الذي فيها، فضرط، فقال: «بشقا بسقا» - يعني في الجوالق شر - فذهبت مثلا. فلما توسطت الإبل المدينة انيخت، و دل قصير عمرا على باب النفق، و خرجت الرجال من الغرائر، و صاحوا بأهل المدينة، و وضعوا فيهم السيف. و قام عمرو على باب النفق، و أقبلت الزباء موليئة مبادرة لتدخل النفق فأبصرت عمرا قائما - و كان المصورون صوروا لها صورته قبل، لأن كاهنتها أخبرتها أنه قاتلها - فمصّت خاتمها، و كان فيه سم و قالت: «بيدي لا بيدك يا عمرو» فذهبت مثلا. و تلقاها عمرو، فجللها بالسيف فقتلها.

و المثل بعدم إطاعة أمر قصير كما تمثّل عليه السّلام به معروف، قال نهشل بن حري التميمي:

و مولى عصاني و استبدّ برأيه

كما لم يطع بالبقيتين قصير

فلما تيقن غبّ أمرى و أمره

و ولّت بأعجاز الامور صدور

ص: ٣٣٣

تمنى بئيسا أن يكون أطاعنى

و قد حدثت بعد الامور امور

«فأبيتهم على إباء المخالفين الجناة» هكذا في (المصرية)^{٨٣٦}، و الصواب:

(الجفاء) كما في (ابن أبي الحديد)^{٨٣٧} و ابن ميثم و الخطيئة).

«و المنابذين العصاء» في (مقاتل أبي الفرج)^{٨٣٨} - في قضايا أبي السرايا في خروج محمد بن جعفر أيام المأمون و قتاله مع عسكر المأمون و عليهم هرثمة ابن أعين:- ان هرثمة صاح: يا أهل الكوفة علام تسفكون دماءنا و دماءكم؟ إن كان قتالكم كراهية لإمامنا فهذا منصور بن المهدي رضا لنا و لكم نبيعه، و إن أحببتم إخراج الأمر من ولد العباس فانصبوا إمامكم، و اتفقوا معنا ليوم الإثنين نتناظر فيه و لا تقتلونا و أنفسكم. فأمسك أهل الكوفة أصحاب أبي السرايا عن الحملة، فناداهم أبو السرايا: ويحكم! إن هذه حيلة من هؤلاء لما أيقنوا بالهلاك، فاحملوا عليهم. فامتنعوا و قالوا: لا يحل لنا قتالهم، و قد أجابوا.

فغضب أبو السرايا، و لما كان يوم الجمعة خطب و قال: يا أهل الكوفة يا قتلة على عليه السلام، و يا خذلة الحسين عليه السلام إن المغتر بكم لمغرور، و إن المعتمد على نصركم لمخدول، و إن الذليل لمن أعزتموه، و الله ما خمد على عليه السلام أمركم في حمده، و لا رضى مذهبكم في رضاه، و لقد حكمكم فحكمتم عليه، و ائتمنكم فخنتم أمانته، و وثق بكم فحلتم عن ثقته، ثم لم تنفكوا عليه مختلفين، و لطاعته ناكثين، إن قام قعدتم، و إن قعدتم، و إن تقدّم تأخرتم، و إن تأخر تقدمتم خلافا عليه، و عصيانا لأمره، حتى سبقت فيكم دعوته، و خذلكم الله بخذلانكم إياه، أى عذر لكم في الهرب عن عدوكم، و النكول عمّن لقيتم و قد عبروا

ص: ٣٣٤

خندقكم، و علوا قبائلكم، ينتهبون أموالكم و يستباحون حريمكم؟ هيهات لا عذر لكم إلّا العجز و المهانة و الرضا بالصغار و الذلة، إنّما أنتم كفىء الظل، و تهزمكم الطبول بأصواتها، و يملأ قلوبكم الخرق بسوادها. أما و الله لأستبدلن بكم قوما يعرفون الله حق معرفته، و يحفظون محمدا صلى الله عليه و آله في عترته. قال:

لكم شبيها في ما وطئت من الأرض

و مارست أقطار البلاد فلم أجد

و وهنا و عجزا في الشدائد و الخفض

خلافا و جهلا و انتشار عزيمة

فلا فيكم راض و لا فيكم مرضى

لقد سبقت فيكم إلى الحشر دعوة

فدوقوا إذا وليت عاقبة النقص

سأبعد دارى عن قلى من دياركم

«حتى ارتاب الناصح» بأن نصحه لعلّه خطأ، حيث لا يقبلونه.

«و ضنّ» أى: يخل.

^{٨٣٧} (٢) شرح نهج ابن أبي الحديد ٢: ٢٠٤.

^{٨٣٨} (٣) مقاتل لأبي الفرج: ٣٦٣.

«الزند» فى (الصباح) الزند: العود الذى تقدح به النار، و هو الأعلى، و الزندة السفلى فيها ثقب، و هى الانثى و هما زندان ... و من ضنة الزند قالوا:

فلان مزند. أى: بخيل، و عطاء مزند. أى: قليل، و ثوب مزند، أى: ضيق، و مزادة مزندة: قليلة الماء.

«بقدحه» أى: اشتعاله.

«فكنت و إياكم كما قال أخو هوازن» و هوازن ابن منصور بن عكرمة بن حفصة ابن قيس عيلان، و المراد بأخى هوازن: دريد بن الصمة.

«أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح الا ضحى الغد»

و الأصل فى قول أخى هوازن ما رواه أبو الفرج فى (أغانيه)^{٨٣٩}: أَنَّ عبد الله بن الصمة - أبا دريد - غزا غطفان فظفر بهم و ساق أموالهم فى يوم

ص: ٣٣٥

يقال له: يوم اللوى، و مضى بها، و لما كان منهم غير بعيد قال: انزلوا بنا. فقال أخوه دريد: نشدتك الله ألا تنزل، فإن غطفان ليست بغافلة عن أموالها. فأقسم لا يريم حتى يأخذ مرباعه، و ينقع نقيعته، فيأكل و يطعم و يقسم البقية بين أصحابه. فبينا هم فى ذلك و قد سطعت الدواخن، إذا بغبار قد ارتفع اشد من دخانهم، و إذا عبس و فزارة و أشجع قد أقبلت، فقالوا لربيئتهم: انظر ما ذا ترى؟

فقال: أرى قوما جادا كأن سرايلهم قد غمست فى الجادى. قال: تلك أشجع ليست بشيء. ثم نظر، فقال: أرى قوما كأنهم الصبيان أسنتهم عند آذان خيلهم. قال: تلك فزارة. ثم نظر فقال: أرى قوما أدما كأنهم يحملون الحبل بسوادهم، يخذون الأرض بأقدامهم خذاً، و يجرون رماحهم. قال: تلك عبس و الموت معهم، فتلاحقوا بالمنعرج من رميلة اللوى، فاقتتلوا فقتل عبد الله بن الصمة، فتنادوا: قتل أبو دفافة. فعطف دريد فذب عنه فلم يغن شيئاً، و جرح دريد فسقط فكفوا عنه و هم يرون أنه قد قتل، و استنقذوا المال. قال دريد:

فأمهلت حتى إذا كان الليل، مشيت و أنا ضعيف قد نزفنى الدم حتى ما أكاد أبصر، فجرت بجماعة تسير فدخلت فيهم، فوقع بين عرقوبى بغير طعينة، ففر البعير فنادت: نعوذ بالله منك. فانتسبت لها، فاعلمت الحى بمكانى فغسل عنى الدم و زودت زادا و سقاء فنجوت. و قال يرثى أخاه:

^{٨٣٩} (١) الأغاني لأبي الفرج ١٠: ٥.

أَعَاذَلَنِي كُلَّ أَمْرٍ وَأَبْنِ أُمِّهِ
أَعَاذَلُ إِنَّ الرِّزَّءَ أَمْثَالُ خَالِدٍ
نَصَحْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ
فَقُلْتُ لَهُمْ ظَنُّوا بِالْفَنَى مَدَجَجٍ
أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى

مَتَاعُ كَزَادِ الرَّكَّابِ الْمَتَزَوِّدِ
وَلَا رِزْءَ مِمَّا أَهْلَكَ الْمَرْءَ عَنْ يَدِ
وَرَهْطِ بَنِي السُّودَاءِ وَالْقَوْمِ شَهْدِ
سِرَاتِهِمْ فِي الْفَارَسِيِّ الْمَسْرَدِ
فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرَّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
غَوَايَتِهِمْ أَوْ أَنَّنِي غَيْرُ مَهْتَدِ

ص: ٣٣٦

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ
دَعَانِي أَخِي وَالْخَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرَدْتُ الْخَيْلَ فَارْسَا
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَّى مَكَانَهُ
وَلَا يَرْمَا إِذَا مَا الرِّيحُ تَنَاحَتْ
نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَّاحُ تَنَوَّشَهُ
فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلُ حَتَّى تَبَدَّدَتْ
فَمَا رَمَتْ حَتَّى خَرَقْتَنِي رِمَاحِهِمْ
قَتَلَ أَمْرِيءَ وَأَسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ
صَبُورٌ عَلَى وَقْعِ الْمَصَائِبِ حَافِظُ

غَوِيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةٌ أَرَشَدُ
فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِقَعْدٍ
فَقُلْتُ أَعْبَدُ اللَّهَ ذَلِكَمُ الرَّدَى
فَلَمْ يَكُ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ الْيَدِ
بِرْطَبِ الْعِضَاءِ وَالْهَشِيمِ الْمَعْضَدِ
كَوَقْعِ الصِّيَاصِي فِي النَّسِيحِ الْمَمْدَدِ
وَحَتَّى عِدَانِي أَشْقَرُ اللَّوْنِ مَزِيدِ
وَعُودَرْتُ أَكْبُو فِي الْقَفَا الْمَتَقَصْدِ
وَأَيُّقُنُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مَخْلَدٍ
مِنَ الْيَوْمِ أَعْقَابُ الْأَحَادِيثِ فِي الْغَدِ

و تمثل عليه السلام أيضا ببيته، لما ندمت الخوارج عن التحكيم، و طلبوا منه عليه السلام الرجوع، فروى (الأغاني) أيضا^{٨٤٠} عن أبي مخنف عن رجاله: أن عليا عليه السلام لما اختلفت كلمة أصحابه في أمر الحكمين و تفرقت الخوارج، و قالوا له: ارجع عن أمر الحكمين، و تب و اعترف بأنك كفرت إذ حكمت، فلم يقبل ذلك منهم و فارقه، تمثل بقول دريد:

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا الرشدا إلّا ضحى الغد

هذا و قد عرفت أن (المروج)^{٨٤١} بدل قوله: «أخو هوازن» بقوله: «أخو بني خثعم» و لا تنافي حيث إنّ جشما بطن من هوازن، فجشم ابن معاوية بن بكر بن هوازن، كما أن جشما أيضا بطون، منها غزية بن جشم، و كان دريد منهم، و لذا قال:

«و هل أنا إلّا من غزية إن غوت...»

ص: ٣٣٧

و تمثل عليه السلام بذاك البيت أيضا على ما روى أبو مخنف كما في (الطبري)^{٨٤٢}، ففيه: قيل لعلي عليه السلام بعد ما كتب الصحيفة: إنّ الأشر لا يقرّ بما في الصحيفة، و لا يرى إلّا قتال القوم. قال على عليه السلام: و أنا و الله ما رضيت، و لا أحببت أن ترضوا، فإذا أبيتم إلا أن ترضوا فقد رضيت، فإذا رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا، و لا التبديل بعد الإقرار، إلّا أن يعصى الله عز و جل و يتعدّى كتابه، فقاتلوا من ترك أمر الله عز و جل، و أمّا الذى ذكرتم من تركه أمرى و ما أنا عليه، فليس مالک من اولئك، و لست أخافه على ذلك، يا ليت فيكم مثله اثنين، يا ليت فيكم مثله واحدا يرى فى عدوى ما أرى، إذن لخفت على مؤنتكم و رجوت أن يستقيم لى بعض أودكم، و قد نهيتكم عما أتيتم فعصيتموني، فكنت أنا و أنتم كما قال أخو هوازن:

و هل أنا إلّا من غزية إن غوت
غويت و إن ترشد غزية أرشد

^{٨٤٠} (١) الأغاني لأبي الفرج ١٠: ١٠.
^{٨٤١} (٢) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤١٣.
^{٨٤٢} (١) تاريخ الطبري ٥: ٥٩.

فَإِنْ أُبَيِّنْتُمْ أَنْ تَرْغُمُوا إِلَّا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ - فَلِمَ تُضَلُّونَ عَامَّةً أُمَّةً؟ مُحَمَّدٌ ص؟ بَضَلَالِي - وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَائِي - وَتُكْفَرُونَهُمْ بِذُنُوبِي - سُبُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ - تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرِّ وَالسُّقْمِ - وَتَخْلُطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يَذْنِبْ - وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ؟ رَسُولَ اللَّهِ ص؟ رَجَمَ الزَّانِيَ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلُهُ - وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلُهُ - وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ - ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ - فَأَخَذَهُمْ؟ رَسُولُ اللَّهِ ص؟ بِذُنُوبِهِمْ - وَأَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهِمْ -

ص: ٣٣٨

وَلَمْ يَمْنَعَهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ - وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ - ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ - وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ وَضَرَبَ بِهِ تَبِيهَهُ - وَسَيِّهْلُكُمْ فِي صِنْفَانٍ - مُحِبٌّ مُفْرَطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ - وَمُبْغِضٌ مُفْرَطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ - وَخَيْرُ النَّاسِ فِي حَالِ النَّمَطِ الْأَوْسَطِ فَالزُّمُوهُ - وَالزُّمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ - فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ - وَإِيَّاكُمْ وَالْفِرْقَةَ - فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ - كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْعَنَمِ لِلذَّئْبِ - أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشَّعَارِ فَاقْتُلُوهُ - وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ - فَإِنَّمَا حُكْمُ الْحَكَمَانِ لِيُحْيَا مَا أَحْيَا؟ الْقُرْآنُ؟ - وَيُمَيِّتَا مَا أَمَاتَا؟ الْقُرْآنُ؟ - وَإِحْيَاؤُهُ لِاجْتِمَاعٍ عَلَيْهِ - وَإِمَاتَتُهُ لِإِفْتِرَاقٍ عَنْهُ - فَإِنْ جَرَنَا؟ الْقُرْآنُ؟ إِلَيْهِمْ أَتَبِعْنَاهُمْ - وَإِنْ جَرَهُمْ إِلَيْنَا أَتَّبَعُونَا - فَلَمْ آتِ لَّا أَبَا لَكُمْ بُجْرًا - وَلَا خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ - وَلَا لَبَسْتُهُ عَلَيْكُمْ - إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلِكِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ - أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَلَّا يَتَعَدَّيَا؟ الْقُرْآنُ؟ فَتَاهَا عَنْهُ - وَتَرَكَ الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ - وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ - وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ - وَالصَّمْدُ لِلْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا **الخطبة (١٧٥)** و من كلام له عليه السلام في معنى الحكمين:

فَاجْتَمَعَ رَأْيُ مَلِكِكُمْ عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ - فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجْعِلَا عِنْدَ الْقُرْآنِ؟ وَ لَا يُجَاوِزَاهُ - وَ تَكُونُ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَ قُلُوبُهُمَا تَبْعُهُ فَتَاهَا عَنْهُ - وَ تَرَكَ الْحَقَّ وَ هُمَا يُبْصِرَانِهِ - وَ كَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا وَ الْاِعْوَجَاجُ رَأْيَهُمَا - وَ قَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ - وَ الْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَ جَوْرَ حُكْمِهِمَا - وَ الثَّقَةُ فِي أَيْدِينَا

ص: ٣٣٩

لِأَنْفُسِنَا حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ - وَ أَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ أَقُولُ: العنوان الثاني تكرر لذيل العنوان الأول من قوله: «انما اجتمع رأى ملككم على اختيار رجلين...» مع أدنى اختلاف و زيادة كما ترى، و عذره ما قاله في أول الكتاب: «و ربما بعد العهد بما اختير أولا، فأعيد بعضه سهوا أو نسيانا، لا قصدا و اعتمادا» و لم يتفطن الشراح أيضا لتكراره.

و كيف كان، فالأصل فيهما ما رواه الطبري الطبري - تاريخ الطبري - ج ٥ ص ٨٤^{٨٣} عن أبي مخنف، عن أبي سلمة الزهري ابن بنت أنس بن مالك: أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِأَهْلِ النُّهْرِ: «يَا هَؤُلَاءِ إِنَّ أَنْفُسَكُمْ قَدْ سَوَّلَتْ لَكُمْ فِرَاقَ هَذِهِ الْحُكُومَةِ، الَّتِي ابْتَدَأْتُمُوهَا وَ سَأَلْتُمُوهَا وَ أَنَا لَهَا كَارِهِ، وَ أَنْبَأْتُكُمْ أَنَّ الْقَوْمَ سَأَلَكُمُوهَا مَكِيدَةً وَ دَهْنًا، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمَخَالِفِينَ، وَ عَدَلْتُمْ عَنِّي عَدُولَ النُّكَدَاءِ الْعَاصِينَ، حَتَّى صَرَفْتُمْ رَأْيِي إِلَى رَأْيِكُمْ، وَ أَنْتُمْ وَ اللَّهُ مَعَاشِرَ أَخْفَاءِ الْهَامِ سَفَهَاءِ الْأَحْلَامِ، فَلَمْ آتِ - لَا أَبَا لَكُمْ - حَرَامًا، وَ اللَّهُ مَا اخْتَلَتَكُمْ عَنْ أُمُورِكُمْ، وَ لَا أَخْفَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ عَنْكُمْ، وَ لَا أَوْطَأْتُكُمْ عَشْوَةً، وَ لَا دَبَبْتُ لَكُمْ الضَّرَاءَ، وَ

إن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهرا، فأجمع ملؤكم على أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن و لا يعدوا، فتأها و تركا الحقّ و هما يبصرانه، و كان الجوهر هواهما، و قد سبق استيثاقنا عليهما في الحكم بالعدل و الصمد للحقّ سوء رأيهما و جور حكمهما، و الثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحقّ و أتيا بما لا يعرف، فبيّنوا لنا بماذا تستحلّون قتالنا و الخروج عن جماعتنا؟ ان اختار الناس رجلين، أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم، ثمّ تستعرضوا الناس تضربون رقابهم و تسفكون دماءهم، أن هذا لهو الخسران المبين. و الله لو قتلتم على هذا

ص: ٣٤٠

دجاجة لعظم عند الله قتلها، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام؟ قال أبو سلمة: فتنادوا لا تخاطبوهم و تهيئوا للقاء الربّ، الرواح الرواح إلى الجنة.

و خرج علىّ فعباّ الناس ...

قول المصنّف في العنوان الأول: «و من كلام له عليه السّلام» هكذا في (المصرية)^{٨٤٤}، و الصواب: ما في (ابن أبي الحديد)^{٨٤٥}، و كذا (ابن ميثم)^{٨٤٦}: «و من كلام له عليه السّلام قاله للخوارج أيضا». و لكن في (ابن ميثم) «و من كلام له عليه السّلام أيضا للخوارج». و أشار بقوله: «أيضا». إلى أن قبله في (١٢١): «و من كلام له عليه السّلام في التحكيم». لكن توسط بينهما: «و من كلام له عليه السّلام لما عوتب على التسوية في العطاء» و كأنّه غفل عن فصله.

قوله عليه السّلام: «فان أبيتم أن تزعموا إلّا أنّي أخطأت و ضللت» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (فان أبيتم إلّا أن تزعموا أنّي أخطأت و ضللت) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{٨٤٧}.

قال المبرد في (كامله)^{٨٤٨}: يروى أن عليّا عليه السّلام في أوّل خروج القوم عليه دعا صعصعة بن صوحان العبدى - و قد كان وجهه إليهم - و زياد بن النضر الحارثي مع عبد الله بن العباس، فقال: بأى القوم رأيتم أشدّ إطفاء؟ فقال:

ببزياد ابن قيس الأرحبى. فركب على عليه السّلام إليهم إلى حروراء، فجعل يتخلّلهم حتى صار إلى مضرب يزيد، فصلّى فيه ركعتين ثم خرج، فاتكأ على قوسه و أقبل على الناس، ثم قال: هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة، أنشدكم الله

ص: ٣٤١

أعلمتم أحدا منكم كان أكره للحكومة مني؟ قالوا: اللهم لا. قال: أفعلتم أنكم أكرهتموني حتى قبلتها؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فعلام خالفتموني و نابتموني؟ قالوا: إنّنا أتينا ذنبا عظيما فتبنا إلى الله، فتب إلى الله منه و استغفره، نعد لك. فقال علىّ عليه

^{٨٤٤} (١) الطبعة المصرية ٢: ١١٧.

^{٨٤٥} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٥٥.

^{٨٤٦} (٣) شرح ابن ميثم ٣: ٣٦٧.

^{٨٤٧} (٤) شرح ابن ميثم ٣: ١٣٣.

^{٨٤٨} (٥) الكامل للمبرد ٢: ١٧٥.

السَّلام: إِنِّي استغفر الله من كلِّ ذنب. فرجعوا معه و هم ستة آلاف، فلمَّا استقرَّوا بالكوفة أشاعوا: أنَّ عليًّا عليه السَّلام رجع عن التحكيم و رآه ضالًّا، و قالوا: إِنَّمَا ينتظر أمير المؤمنين أن يسمَّن الكراع، و يجبى المال، فينهض إلى الشام. فأتى الأشعث بن قيس عليًّا عليه السَّلام و قال له: إنَّ الناس قد تحدَّثوا أنَّك رأيت الحكومة ضالًّا، و الاقامة عليها كفرًا. فخطب عليه السَّلام الناس فقال: من زعم أنَّى رجعت عن الحكومة فقد كذب، و من رآها ضالًّا فهو أضلَّ.

فخرجت الخوارج من المسجد، فحكمت، فقبل لعلى عليه السَّلام: إِنَّهم خارجون عليك.

فقال: لا اقاتلهم حتى يقاتلوني، و سيفعلون.

«فلم تزلون عامة أمّة محمد صلى الله عليه و آله بضاللي، و تأخذونهم بخطائي، و تكفرونهم بذنوبي» في (كامل المبرد)^{٨٤٩}: أصاب الخوارج مسلما و نصرانيا فقتلوا المسلم و أوصوا بالنصراني، فقالوا: احفظوا ذمّة نبيكم. و لقيهم عبد الله بن خباب و فى عنقه مصحف، و معه امرأته و هى حامل، فقالوا: إنَّ الذى فى عنقك يأمرنا أن نقتلك. قال: ما أحيا القرآن فأحيوه، و ما أماته فأميتوه. فوثب رجل منهم على رطبة فوضعها فى فيه، فصاحوا به فلفظها تورعا. و عرض لرجل منهم خنزير، فضربه الرجل فقتله، فقالوا: هذا فساد فى الأرض. فقال عبد الله بن خباب: ما على منكم بأس أنى لمسلم. قالوا له: حدّثنا عن أبيك. قال:

سمعت أبى يقول: سمعت النبی صلی الله عليه و آله يقول: «تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يمسى مؤمنا و يصبح كافرا، فكن عبد الله المقتول و لا تكن

ص: ٣٤٢

القاتل» قالوا: فما تقول فى أبى بكر و عمر؟ فأثنى خيرا، فقالوا: فما تقول فى علىّ قبل التحكيم، و فى عثمان ست سنين؟ فأثنى خيرا، قالوا: فما تقول فى الحكومة و التحكيم؟ قال: أقول إنَّ عليًّا عليه السَّلام أعلم بكتاب الله منكم، و أشدّ توقيا على دينه، و أنفذ بصيرة. قالوا: إنَّك لست تتبع الهدى، إنَّما تتبع الرجال على اسمائها. ثم قربوه إلى شاطئ النهر فذبحوه، فامزق دمه. أى: جرى مستطيلا على دقة. و ساموا رجلا نصرانيا بنخلة له، فقال: هى لكم. قالوا: ما كنّا لناخذها إلّا بثمان. قال: ما أعجب هذا! أ تقتلون مثل عبد الله بن خباب، و لا تقبلون منا جنى نخلة؟

و فى (الطبرى)^{٨٥٠}: قتلوا عبد الله بن خباب و ذبحوه و سال دمه فى الماء، و قتلوا امرأته بقروا بطنها، و قتلوا ثلاثة نسوة من طى، و قتلوا امّ سنان الصيداوية.

«سيوفكم على عواتقكم، تضعونها مواضع البرء» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (البراءة) كما فى (ابن أبى الحديد)^{٨٥١} و ابن ميثم^{٨٥٢} و الخطية).

^{٨٤٩} (١) الكامل للمبرد ٢: ١٧٦-١٧٧.

^{٨٥٠} (١) تاريخ الطبري ٥: ٨١-٨٢.

^{٨٥١} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٨: ١١٢.

^{٨٥٢} (٣) شرح ابن ميثم ٣: ١٣٣.

«و السقم، و تخلطون من أذنّب بمن لم يذنّب» في (كامل المبرد)^{٨٥٣}: خرج قريب بن مرّة الأزدي و زحاف الطائي - و كانا مجتهدين بالبصرة في أيام زياد - فاعترضا الناس، فلقيا شيخا ناسكا من بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار فقتلاه، و تنادى الناس، فخرج رجل من بنى قطيعة من الأزدي و في يده السيف، فناداه الناس من ظهور البيوت: الحرورية، انج بنفسك. فناده: لسنا حرورية نحن الشرط. فوقف فقتلوه، ثم جعل لا يمران بقبيلة إلّا قتلّا من وجدا.

ص: ٣٤٣

و مورد خطابه عليه السّلام: «سيوفكم على عواتقكم، تضعونها مواضع البراءة و السقم» خوارج البصرة، فإنّهم كانوا هكذا دون خوارج الكوفة، ففي (العقد)^{٨٥٤} - في محاجة عمر بن عبد العزيز مع شوذب الخارجي، في اعتراضه عليه بعدم لعن عمر لأهل بيته، و عدم براءته منهم -: أخبرني عن أهل النهروان، أليسوا من صالحى أسلافكم و ممن تشهد لهم بالنجاة؟ قال: نعم.

قال: فهل تعلمون أنّ أهل الكوفة حين خرجوا كفّوا أيديهم، فلم يسفكوا دما، و لم يخيفوا آمنا، و لم يأخذوا مالا؟ قال: نعم. قال: فهل علمتم أنّ أهل البصرة حين خرجوا مع مسعر بن فديك استعرضوا يقتلونهم، و لقوا عبد الله بن خباب صاحب النّبي صلّى الله عليه و آله، فقتلوه و قتلوا جاريته، ثم قتلوا النساء و الأطفال، حتى جعلوا يلقونهم في قدور الأقط و هى تفور؟ قال: قد كان ذلك. و مثله في (المروج)^{٨٥٥}.

«و قد علمتم أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله رجم الزانى، ثم صلّى عليه» و أمّا ما رواه (الكافي)^{٨٥٦} عن محمّد بن حكيم عن الصادق عليه السّلام: «لو أنّ رجلا مات صائما في السفر ما صلّيت عليه» فمحمول على ما ذا اعتقد مشروعيّته، فيكون غير عارف، فلا تكون الصلاة عليه واجبة.

و روى^{٨٥٧} معاوية بن وهب: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: ذكر لنا أنّ رجلا من الأنصار مات و عليه ديناران دينا، فلم يصلّ عليه النّبي صلّى الله عليه و آله، و قال: «صلّوا على صاحبكم» حتى ضمنها عنه بعض قرابته. فقال عليه السّلام: ذلك الحق. ثم قال:

إنّما فعل ذلك ليتّعظوا، و ليردّ بعضهم على بعض، و لئلاّ يستخفوا بالدين، و قد

ص: ٣٤٤

مات صلّى الله عليه و آله و عليه دين، و مات الحسن عليه السّلام و عليه دين، و قتل الحسين عليه السّلام و عليه دين.

^{٨٥٣} (٤) الكامل للمبرد ٢: ١٩٨ - ١٩٩.

^{٨٥٤} (١) العقد الفريد ٢: ٢٤٣.

^{٨٥٥} (٢) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٠٠ - ٢٠١.

^{٨٥٦} (٣) الكافي ٤: ١٢٨ - ح ٧.

^{٨٥٧} (٤) الكافي ٥: ٩٣ ح ٢.

«ثم ورثه أهله» و ممن رجمه صلى الله عليه و آله ما عز بن مالك، فروى (الكافي)^{٨٥٨}: أنه أقر عند النبي صلى الله عليه و آله بالزنا، فأمر به أن يرجم فهرب من الحفيرة، فرماه الزبير بساق بعير فعقله فسقط، فلحقه الناس فقتلوه، ثم أخبروا النبي صلى الله عليه و آله بذلك، فقال لهم: فهلّا تركتموه إذا هرب يذهب؟ فإنما هو الذى أقر على نفسه، أما لو كان على حاضرنا معكم لما ضللتهم.

«و قتل القاتل و ورث ميراثه أهله» هكذا فى (المصرية)^{٨٥٩} و ابن أبى الحديد^{٨٦٠} و الخطبة^{٨٦١} و لكن فى (ابن ميثم)^{٨٦٢}: «و ورث أهله ميراثه».

«و قطع السارق - إلى - و لم يخرج أسماءهم من بين أهله» أى: الاسلام، بل ورد أنه صلى الله عليه و آله نهى عن لعنهم، ففى (اسد الغابة)^{٨٦٢}: كان رجل اسمه عبد الله يلقب حمارا يضحك النبى صلى الله عليه و آله، و كان النبى صلى الله عليه و آله جلده فى الشراب، فاتى به يوما فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به النبى صلى الله عليه و آله! فقال صلى الله عليه و آله: لا تلعه، فو الله ما علمت إلّا أنه يحب الله و رسوله.

رد عليه السلام على مذهبهم الباطل فى تكفير مرتكب الكبائر، استنادا إلى آيات مجملات بالسنة المبيّنة، قال ابن أبى الحديد^{٨٦٣}: استندوا إلى قوله تعالى فى

ص: ٣٤٥

الحج: «وَمَنْ كَفَرَ»^{٨٦٤} و قوله تعالى: «إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ»^{٨٦٥}، «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»^{٨٦٦}. و ذكر آيات اخر لا ربط لها أصلا، كقوله تعالى «فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى»^{٨٦٧}، «وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ»^{٨٦٨}، «فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ»^{٨٦٩}....

«ثم أنتم شرار الناس» قالت عايشة لمسروق - كما فى (مسند أحمد بن حنبل)^{٨٧٠}: - إنك من ولدى و من أحبهم إلى، فهل عندك علم من المخدج؟ قال:

^{٨٥٨} (١) الكافي ٧: ١٨٥ - ح ٥.

^{٨٥٩} (٢) الطبعة المصرية ٢: ١١.

^{٨٦٠} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٨: ١١٢.

^{٨٦١} (٤) شرح ابن ميثم ٣: ١٣٣.

^{٨٦٢} (٥) اسد الغابة ٢: ٤٥.

^{٨٦٣} (٦) شرح ابن أبى الحديد ٨: ١١٤.

^{٨٦٤} (١) آل عمران: ٩٧.

^{٨٦٥} (٢) يوسف: ٨٧.

^{٨٦٦} (٣) المائدة: ٤٤.

^{٨٦٧} (٤) الليل: ١٤ - ١٦.

^{٨٦٨} (٥) العنكبوت: ٥٤.

^{٨٦٩} (٦) آل عمران: ١٠٦.

^{٨٧٠} (٧) ذكره البحار ٣٨: ١٥.

قتله على بن أبي طالب على نهر يقال له تامر، و لأسفله النهروان، بين تخافيق و طرفاء. قالت: أبغى على ذلك بيّنة. فأقام رجالا شهدوا، ثم قال لها: سألتك بصاحب القبر، ما الذى سمعت فيهم؟ قالت: سمعت النبي صلى الله عليه و آله يقول: «إنهم شرّ الخلق و الخليفة، يقتلهم خير الخلق و الخليفة، و أقربهم عند الله وسيلة».

«و من رمى به الشيطان مراميه» جمع المرمى، أى: مقاصده.

«و ضرب به تيهه» التيه: المفازة يتاه فيها.

«و سيهلك فى صنفان: محبّ مفرط يذهب به الحب الى غير الحق، و مبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحق» قال ابن أبى الحديد^{٨٧١}: روى المحدثون أنّ النبي صلى الله عليه و آله قال له عليه السّلام: «فيك يا مثل من عيسى بن مريم، أبغضته اليهود

ص: ٣٤٤

فبهتت أمّه، و أحبّته النصارى فرفعته فوق قدره». و قد كان عليه السّلام عثر على قوم من أصحابه، خرجوا من حد محبّته باستحواذ الشيطان عليهم، إلى أن كفروا برّبهم و جحدوا ما جاء به نبيّهم صلى الله عليه و آله، فاتخذوه ربا و قالوا له: أنت خالقنا و رازقنا، فاستتابهم و توعّدهم، فأقاموا على قولهم، فحفر لهم حفرا دخن عليهم طمعا فى رجوعهم، فأبوا فحرقهم و قال:

أ لا ترونى قد حفرت حفرا

إنّى إذا رأيت أمرا نكرا

أو قدت نارى و دعوت قنبرا

و روى أبو العباس الثقفى، عن المصيصى المعروف بنوين، و عن النوفلى عن مشيخته: أنّ عليّا عليه السّلام مر بقوم و هم يأكلون فى شهر رمضان، فقال: أسفر أم مرضى؟ قالوا: و لا واحدة. قال: فمن أهل الكتاب فتعصمكم الذمّة و الجزية؟ قالوا: لا. قال: فما بال الأكل فى نهار شهر رمضان؟ قالوا: أنت أنت - يؤمون إلى ربوبيته - فنزل عليه السّلام عن فرسه و ألصق خدّه بالأرض و قال:

ويلكم! أنا عبد من عبيد الله، فاتقوا الله و ارجعوا إلى الاسلام. فأبوا فدعاهم مرارا، فأقاموا على كفرهم، فنهض إليهم و قال: شدّوهم وثاقا، و علىّ بالفعلة و النار و الحطب. ثمّ أمر بحفر بئرين فحفرتا فجعل إحداهما سربا و الاخرى مكشوفة، و ألقى الحطب فى المكشوفة و فتح بينهما فتحا، و ألقى النار فى الحطب فدخن عليهم، و جعل يهتف بهم و يناشدهم ليرجعوا إلى الاسلام فأبوا، فأمر بالحطب و النار فالقى عليهم فاحرقوا - فقال الشاعر:

^{٨٧١} (٨) شرح ابن أبى الحديد ٨: ١١٩.

لترم بى المنية حيث شاءت

إذا لم ترم بى فى الحفرتين

إذا ما حشّتا حطبا بنار

فذاك الموت نقدا غير دين

فلم يبرح حتى صاروا حمما.

ص: ٣٤٧

قلت: و روى (الكافي)^{٨٧٢} القضية فى آخر صومه، و أنّه عليه السّلام أحرقتهم لأنّهم أنكروا نبوة النّبيّ صلّى الله عليه و آله دون توحيد الله، قال ابن أبى الحديد^{٨٧٣}: ثم استترت هذه المقالة سنة أو نحوها، ثم ظهر عبد الله بن سبأ - و كان يهوديا يستتر بالإسلام - بعده عليه السّلام فأظهرها، و اتبعه قوم فسموا السبئية، و قالوا: إنّ عليّا لم يمت، و إنّّه فى السماء، و الرعد صوته و البرق ضوءه. و إذا سمعوا صوت الرعد قالوا: السلام عليك يا أمير المؤمنين. و قالوا فى النّبيّ صلّى الله عليه و آله أغلظ قول، و افتروا عليه أعظم فرية فقالوا: كنتم تسعة أعشار الوحى. فنعى عليهم قولهم الحسن بن على بن محمّد بن الحنفية، فى رسالته التى يذكر فيها الارعاء، روى سليمان بن أبى شيخ، عن الهيثم بن معاوية، عن عبد العزيز بن إبان، عن عبد الواحد بن أيمن المكي، قال: شهدت الحسن يملئ هذه الرسالة، و فيها: و من قول هذه السبئية اهدينا لوحى ضلّ عنه الناس، و علم خفى عنهم، و زعموا أنّ النّبيّ صلّى الله عليه و آله كنتم تسعة أعشار الوحى و لو كنتم النّبيّ صلّى الله عليه و آله شيئا مما أنزل الله عليه، لكنتم شأن امرأة زيد، و قوله تعالى «تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ»^{٨٧٤}. ثم ظهر المغيرة بن سعيد مولى بجيلة، فأراد أن يحدث لنفسه مقالة، فغلا فى علىّ عليه السّلام و قال: لو شاء علىّ لأحيا عادا و ثمود و قرونا بين ذلك كثيرا. - إلى أن قال - ثم تفاقم الغلاة و أمعنوا فى الغلو، فادّعوا حلول الذات الإلهية فى قوم من سلالة أمير المؤمنين عليه السّلام - إلى أن قال - و كان اسحاق بن زيد بن الحرث - و كان من أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر - يقول بالإباحة و إسقاط التكليف، و يثبت لعلى عليه السّلام شركة مع النّبيّ صلّى الله عليه و آله فى

ص: ٣٤٨

النبوة، على وجه غير هذا الظاهر الذى يعرفه الناس

قلت: و ذكر الكشى جمعا من الغلاة منهم: محمّد بن الفرات، و أنّ الرضا عليه السّلام قال: «آذانى أذى ما آذى أبو الخطاب جعفر بن محمّد عليه السّلام» و منهم:

^{٨٧٢} (١) الكافي ٤: ١٨١ - ح ٧.
^{٨٧٣} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٨: ١٢٠.
^{٨٧٤} (٣) التحريم: ١.

أبو الغمر، و جعفر بن واقد، و هاشم بن أبي هاشم، و أن الجواد عليه السلام قال: «إنهم يدعون الناس إلى ما دعا إليه أبو الخطاب لعنه الله» و منهم: القسم اليقطيني، و علي بن حسكة، و الحسن بن محمد المعروف بابن بابا، و محمد بن نصير، و فارس بن حاتم، و أن الهادي عليه السلام لعنهم، و أمر بقتل فارس، فقتل.

«و خير الناس في حال النمط الأوسط فالزموه» و هم الذين لم يرفعوه عليه السلام عن درجته، حتى يجعلوه إلها كالغلاة، و لم يحطّوه عن رتبته التي هي خلافة الرسول صلى الله عليه و آله بمقتضى أدلة العقول، فضلا عن تواتر النقول، قال تعالى:

«أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»^{٨٧٥} و الآيات القرآنية من قوله تعالى: «وَأَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ»^{٨٧٦}، و قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»^{٨٧٧} و قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ»^{٨٧٨}، و قول النبي صلى الله عليه و آله فيه - بعد تقرير الناس بكونه أولى بهم من أنفسهم -: «من كنت مولاه فعلي مولاه» و قوله صلى الله عليه و آله له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» و إجماع الأمة على كونه عليه السلام أعلم الناس بالكتاب و السنة، و كيف و قد اعترف فاروقهم: بأنه لو

ص: ٣٤٩

وليها ليحملنهم على المحجة البيضاء.

و ادعاء أهل السنة: كونهم النمط الأوسط لم يأتوا لها ببيّنة، بل البرهان على خلافهم، و قد قال النّظام - استاذ الجاحظ و أحد شيوخ معتزلتهم، كما في (السروي)^{٨٧٩} -: «علي بن أبي طالب محنة على المتكلم، إن وفاه حقه غلا، و إن بخسه حقه أساء، و المنزلة الوسطى دقيقة الوزن، حادة الشاف، صعب الترقى إلّا على الحاذق الدين.

و روى (أمالى المفيد)^{٨٨٠} مسندا عن جميل بن صالح، عن أبي خالد الكابلي، عن الأصبع، قال: دخل الحارث الهمداني على عليه السلام في نفر من الشيعة - و كنت فيهم - فجعل الحارث يتأود في مشيته و يخط الأرض بمحجته - و كان مريضا - فأقبل عليه على عليه السلام، و كانت له منه منزلة، فقال له:

كيف تجدك يا حارث؟ فقال: نال الدهر مني، و زادني اوارا و غليلا اختصام أصحابك. قال: و فيهم اختصاصهم؟ قال: فيك و في الثلاثة من قبلك، فمن مفرط منهم غال، و مفرط قال، و من متردد مراتب لا يدرى أ يقدم أم يحجم؟

^{٨٧٥} (١) يونس: ٣٥.

^{٨٧٦} (٢) آل عمران: ٦١.

^{٨٧٧} (٣) الأحزاب: ٣٣.

^{٨٧٨} (٤) المائدة: ٥٥ - ٥٦.

^{٨٧٩} (١) السروي ٣: ١٦.

^{٨٨٠} (٢) الأمالي للمفيد: ٣ - ٤، المجلس ١.

فقال عليه السّلام: حسبك يا أخا همدان، ألا إنّ خير شيعتي النمط الأوسط، إليهم يرجع الغالى و بهم يلحق التّالى. فقال له الحارث: لو كشفت- فداك أبى و امى- الرين عن قلوبنا، و جعلتنا فى ذلك على بصيرة من أمرنا. فقال عليه السّلام: إنّ دين الله لا يعرف بالرجال، بل بآية الحق، فاعرف الحق تعرف أهله، يا حارث إنّ الحق أحسن الحديث، و الصادع به مجاهد، و بالحق اخبرك فأرعنى سمعك ثمّ خبر به من كان له حصافة من أصحابك. ألا إنّى عبد الله و أخو رسوله و صديقه الأكبر، صدّقته و آدم بين الروح و الجسد، ثم إنّى صديقه الأوّل فى امتكم حقا،

ص: ٣٥٠

فنحن الأوّلون و نحن الآخرون، و نحن خاصّته و خالصته، و أنا صنوه و وصيّيه و وليّيه و صاحب نجواه و سرّه، اوتيت فهم الكتاب، و فصل الخطاب، و علم القرون و الأسباب، و استودعت الف مفتاح يفتح كلّ مفتاح ألف باب، يفضى كلّ باب إلى ألف ألف عهد، و ائدت و امددت بليّة القدر نفلا، و أنّ ذلك يجرى لى و لمن استحفظ من ذريتي ما جرى الليل و النهار، حتى يرث الله الأرض و من عليها، و ابشرك يا حارث: لتعرفنى عند الممات، و عند الصراط، و عند الحوض، و عند المقاسمة، قال الحارث: و ما المقاسمة؟ قال عليه السّلام:

مقاسمة النار اقسامها قسمه صحيحة أقول: هذا وليّ فاتركيه، و هذا عدوى فخذيه. ثم أخذ عليه السّلام بيد الحارث، و قال: أخذت بيدك كما أخذ النبى صلى الله عليه و آله بيدي، فقال لى- و قد شكوت إليه حسد قريش و المنافقين لى:- «إنّه إذا كان يوم القيامة أخذت بحبل الله و حجزته- يعنى عصمته من ذى العرش- و أخذت أنت يا على بحجزتى، و أخذت ذريّتك بحجزتك، و أخذ شيعتكم بحجزتكم، فما ذا يصنع الله بنبيّه، و ما يصنع نبيّه بوصيّيه؟» خذها إليك يا حارث قصيرة من طويّلة. أنت مع من أحببت و لك ما كسبت.- يقولها ثلاثا- فقام الحارث و هو يقول: ما ابالى بعدها متى لقيت الموت أو لقينى.

قال جميل: و أنشدنى السيد الحميرى فى ما تضمنه هذا الخبر:

قول علىّ لحارث عجب	كم ثم اعجوبة له حملا
يا حار همدان من يمت يرنى	من مؤمن أو منافق قبلا
يعرفنى طرفه و أعرفه	بنعته و اسمه و ما عملا
و أنت عند الصراط تعرفنى	فلا تخف عشرة و لا زلا
أسقيك من بارد على ظمأ	تخاله فى الحلاوة العسلا
أقول للنار حين نوقف	للعرض دعيه لا تقربى الرجالا

دعيه لا تقريه إن له

حبلا بحبل الوصى متصلا

«و الزموا السواد الأعظم، فإن يد الله على الجماعة، و إياكم و الفرقة، فإن الشاذ من الناس» أى: المنفرد منهم، قال:

يضم شذاذ إلى شذاذ

من الرباب دائم التلواذ

«للسيطان، كما أن الشاذ» هكذا فى (المصرية)^{٨٨١} و كذا فى (ابن ميثم)^{٨٨٢} و لكن فى (ابن أبى الحديد)^{٨٨٣} و الخطيئة): (الشاذة).

«من الغنم للذئب» و لذا جَوَزَ التقاطها، فقال النبى صلى الله عليه و آله لمن سألَه عنها:

«هى لك أو لأخيك أو للذئب»، و فى (تحف عقول ابن أبى شعبة الحلبي)^{٨٨٤}: سأل رجل عليًا عليه السلام عن السنّة و البدعة و الفرقة و الجماعة، فقال: أمّا السنّة فسنة النبى صلى الله عليه و آله، و أم البدعة فمن خالفها، و أمّا الفرقة فأهل الباطل و إن كثروا، و أمّا الجماعة فأهل الحقّ و ان قَلَّوا.

و قال ابن أبى الحديد^{٨٨٥}: قال النبى صلى الله عليه و آله لا تجتمع امتى على خطأ، سألت الله ألاّ تجتمع امتى على خطأ فأعطانيها، و سألت الله ألاّ تجتمع امتى على ضلالة فأعطانيها.

قلت: صدق النبى صلى الله عليه و آله، لم تجتمع امته يوما على الخطأ و على الضلالة، فاجتمع أجلاء أصحابه المتفق على جلالتهم - كسلمان و أبى ذر و المقداد و عمّار و حذيفة و نظرائهم - على إمامته، و كذلك كانوا شيعته عليه السلام فى كلّ عصر. و أمّا اغترارهم بالإجماع على بيعه أبى بكر، فإنما كان أبو بكر و عمر

و أبو عبيدة تواطؤوا، فقال أبو بكر: بايعوا عمرا و أبا عبيدة. و قالوا: لا نتقدّمك.

^{٨٨١} (١) الطبعة المصرية ٢: ١٢.

^{٨٨٢} (٢) شرح ابن ميثم ٣: ١٣٣.

^{٨٨٣} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٨: ١١٢.

^{٨٨٤} (٤) تحف العقول: ٢١١.

^{٨٨٥} (٥) شرح ابن أبى الحديد ٨: ١٢٣.

و أمّا باقى الناس فأخذوا البيعة منهم بالضرب بالعصا، و من أهل بيته بإحراقهم لو لم يبايعوا، فهم موضع قوله تعالى: «و غَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ»^{٨٨٦}.

«ألا من دعا الى هذا الشعار فاقتلوه و لو كان تحت عمامتى هذه» و رواه المسعودى^{٨٨٧}: «من دعا إلى هذه الخصومة^{٨٨٨} فاقتلوه و لو كان تحت عمامتى هذه»، قال ابن أبى الحديد: ^{٨٨٩} كان شعار الخوارج أنّهم يحلقون وسط رؤوسهم، و يبقى الشعر مستديرا حوله كالاكليل.

قلت: روى (صفين نصر بن مزاحم)^{٨٩٠} عن شيخ من حضر موت شهد صفين معه عليه السلام قال: أرسل علىّ عليه السلام إلى الناس: ان احمّلوا. فحملوا على راياتهم كلّ قوم بحيالهم، فتجالدوا بالسيوف، و عمل الحديد، لا يسمع إلّا صوت الحديد و مرّت الصلاة كلّها لم يصلّوا إلّا تكبيرا، حتى تفانوا ورق الناس فخرج رجل بين الصفين، فقال: أخرج فيكم المحلقون؟ قلنا: لا. قال: أنّهم سيخرجون، ألسنتهم أحلى من العسل و قلوبهم أمرّ من الصبر، لهم حمة كحمة الحيات. ثم غاب الرجل و لم يعلم من هو.

و فى (تذكرة سبط ابن الجوزى) مسندا عن أبى قتادة، قال: كنّا مع على عليه السلام فى قتال أهل النهروان، و كنّا ستين أو سبعين من الأنصار، و كنت على الرجالة، فلما رجعنا إلى المدينة دخلنا على عايشة، فسألتنا عن مقدمنا

ص: ٣٥٣

فأخبرناها بقتل الخوارج، فقالت: ما كانوا يقولون؟ قلت: يسوّون أمير المؤمنين و عثمان و أنت و يكفرونكم فلم نزل نقاتلهم و على عليه السلام بين أيدينا و تحته بغلة النبى صلّى الله عليه و آله، لله أبوه! وقف على بعض القتلى، فقال: اقلبوهم فقلبناهم، فاذا رجل أسود على كتفيه مثل حلمة الثدى، فقال علىّ: الله أكبر و الله ما كذبت و لا كذبت، كنّا مع النبى صلّى الله عليه و آله و هو يقسم غنائم حنين فجاء هذا، فقال:

يا محمّد اعدل فو الله ما عدلت منذ اليوم. فقال النبى صلّى الله عليه و آله: و من يعدل إذا لم أعدل؟ فقام عمر فقال: دعنى اضرب عنق هذا المنافق. فقال النبى صلّى الله عليه و آله: دعه فإنّ له من يقتله، سيخرج من ضئى هذا أقوام يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. فقالت عايشة لأبى قتادة: أنت رأيت هذا؟ قال: نعم، فقالت: فما يمنعنى ما كان بينى و بين علىّ أن أقول الحق: صدق علىّ، أنا سمعت النبى صلّى الله عليه و آله يقول: «تفترق امتى فرقتين، يمرق بينهما فرقة محلقة رؤوسهم، محفوفة شواربهم أزرقهم إلى أنصاف سوقهم، يقرءون القرشآن لا يجاوز تراقيهم، يقتلهم أحبّ الخلق إلى الله و رسوله». قال أبو قتادة، فقلت لعايشة: فقد علمت هذا فلم كان إليه منك ما كان؟ فقالت: «و كان أمر الله قدراً مقدوراً»^{٨٩١}.

^{٨٨٦} (١) آل عمران: ٢٤.

^{٨٨٧} (٢) المسعودى ٢: ٤٠٢.

^{٨٨٨} (٣) في الأصل (الحكومة).

^{٨٨٩} (٤) شرح ابن أبى الحديد ٨: ١٢٣.

^{٨٩٠} (٥) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٩٣-٣٩٤.

^{٨٩١} (١) الاحزاب: ٣٨.

و فى (الطبرى)^{٨٩٢} - فى قصة خروج المستورد أيام ولاية المغيرة على الكوفة من قبل معاوية، و تهديد المغيرة الناس على ايوائهم و مساعدتهم:-

فقام صعصة بن صوحان رئيس الشيعة فى قومه عبد القيس فخطبهم فقال:

معشر عباد الله، إن الله - و له الحمد كثيرا - لما قسم الفضل بن المسلمين خصكم منه بأحسن القسم، فأجبتهم إلى دين الله الذى اختاره لنفسه و ارتضاه

ص: ٣٥٤

لملائكته و رسله، ثم أقمتهم عليه حتى قبض الله رسوله، ثم اختلف الناس بعده فنبتت طائفة و ارتدت طائفة و ادهنت طائفة و تربصت طائفة، فلزمتهم دين الله ايمانا به و برسوله و قاتلتهم المرتدين حتى قام الدين و أهلك الله الظالمين، فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيرا فى كل شىء و على كل حال، حتى اختلفت الامة بينها، فقالت طائفة: نريد طلحة و الزبير و عايشة، و قالت طائفة: نريد أهل المغرب، و قالت طائفة نريد عبد الله بن وهب الراسبي، و قلتهم أنتم: لا نريد إلا أهل البيت الذين ابتدأنا الله من قبلهم بالكرامة تسديدا من الله لكم و توفيقا، فلم تزالوا على الحق لازمين له آخذين به، حتى أهلك الله بكم و بمن كان على مثل هداكم و رأيكم، الناكثين يوم الجمل و المارقين يوم النهرو - و سكت عن أهل الشام لأن السلطان كان حينئذ سلطانهم - و لا قوم أعدى لله و لكم و لأهل بيت نبيكم و لجماعة المسلمين، من هذه المارقة الخاطئة، الذين فارقوا إمامنا و استحلو دماءنا و شهدوا علينا بالكفر فأياكم أن تؤوهم فى دوركم أو تكتموا عليهم، فإنه ليس ينبغى لحي من أحياء العرب أن يكون أعدى لهذه المارقة منكم، و قد و الله ذكر لى أن بعضهم فى جانب من الحى و أنا باحث عن ذلك، فان كان حكى لى ذلك حقا تقربت إلى الله تعالى بدمائهم، يا معشر عبد القيس، إن ولاتنا هؤلاء هم أعرف شىء بكم و برأيكم، فلا تجعلوا لكم عليهم سبيلا

و مراده بقوله لقومه: ان ولاتكم - كالمغيرة - أعرف الناس بكونهم شيعة ينتهزون الفرصة لقتلهم، فلا يجعلوا لهم وسيلة بعدم جديتهم فى المارقة مع أنهم أحق الناس بقتلهم لقولهم: بكفر إمامهم.

«و إنما حكم الحكماء ليحييا ما أحيا القرآن و يميتا ما أمات القرآن، و احياءه الاجتماع عليه و اماتته الافتراق عنه، فان جرنّا القرآن إليهم اتبعناهم و إن جرّهم إلينا

ص: ٣٥٥

اتبعوننا» فى (الطبرى)^{٨٩٣}: كتب كاتب التحكيم: هذا ما تقاضى عليه على بن أبى طالب و معاوية بن أبى سفيان، قاضى على عليه السلام على أهل الكوفة و من معهم من شيعتهم من المؤمنين و المسلمين، و قاضى معاوية على أهل الشام و من كان معهم من المؤمنين و المسلمين: انا ننزل عند حكم الله عز و جل و كتابه، و لا يجمع بيننا غيره، و إن كتاب الله عز و جل بيننا من فاتحه

^{٨٩٢} (٢) تاريخ الطبرى ٥: ١٨٥.
^{٨٩٣} (١) تاريخ الطبرى ٥: ٥٣.

إلى خاتمه نحى ما أحيا و نमित ما أمات، فما وجد الحكماء - و هما أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري و عمرو بن العاص القرشي - فى كتاب الله عزّ و جلّ عملا به و ما لم يجدا فى كتاب الله عز و جل، فالسنّة العادلة الجامعة غير المفرقة.

«فلم آت - لا أبا لكم - بجرا» فى (الصحيح): البجر - بالضم - الشر و الأمر العظيم.

«و لا ختلتكم» أى: خدعتكم.

«عن أمركم و لا لبسته» بالتخفيف و التشديد، أى: عميته.

«عليكم، إنما اجتمع رأى ملتكم على اختيار رجلين، أخذنا عليهما ألا يتعديا القرآن».

قوله عليه السّلام فى العنوان الثانى:

«فأجمع رأى ملتكم على أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يجعجا» من:

جعجع البعير، إذا برک و استناخ.

«عند القرآن و لا يجاوزاه، و تكون ألسنتهما معه و قلوبهما تبعه» أى: تبع القرآن. أفرد التبع، لأنّه مصدر، يقال: هو له تبع، و هم له تبع.

قوله عليه السّلام فيهما: «فتاها عنه» أى: تحيّرًا.

ص: ٣٥٦

«و تركا الحق و هما يبصرانه، و كان الجور هواهما» فى (الطبري)^{٨٩٤}: قال عمرو بن العاص لأبى موسى: أ أنت على أن نسّمى رجلا يلى أمر هذه الامّة؟

فسمّى لى، فإن أقدر على أن اتابعك فلك على أن اتابعك و إلّا فلى عليك أن تتابعنى. قال أبو موسى: اسمى لك عبد الله بن عمر - و كان فى من اعتزل - و قال: أنى اسمى لك معاوية. فلم يبرحا حتى استبّا، ثم خرجا إلى الناس فقال أبو موسى: إننى وجدت مثل عمرو مثل الذى قال تعالى «وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا»^{٨٩٥} - فلما سكت أبو موسى تكلم عمرو، فقال: أيها الناس إننى وجدت مثل أبى موسى كمثل الذين قال تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْإِمَارِ يُحْمَلُ أَشْفَارًا»^{٨٩٦}. و كتب كلّ منهما مثله الذى ضربه لصاحبه إلى الأمصار.

^{٨٩٤} (١) تاريخ الطبري ٥: ٥٨.

^{٨٩٥} (٢) الأعراف: ١٧٥.

^{٨٩٦} (٣) الجمعة: ٥.

قلت: و صدق كلّ منهما فى مثله لصاحبه، كما صدقت اليهود و النصارى فى قول كلّ منهما للآخر: «وَ قَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَ قَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ».

و فى (تاريخ اليعقوبى)^{٨٩٧} - بعد ذكر تساهبهما -: فتنادى الناس حكم - و الله - الحكمان بغير ما فى كتاب الله، و الشرط عليهما غير هذا.

هذا، و قالوا: شكّا أبو العيّناء إلى محمّد بن سليمان من ابن المدير تأخيرهُ لأرزاقه، فقال له: أنت اخترته. فقال: و ما علىّ «وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا»^{٨٩٨} فما كان منهم رجل رشيد، فأخذتهم الرجفة، و اختار

ص: ٣٥٧

النبي صلّى الله عليه و آله ابن أبى سرح كاتباً، فلحق بالمشرّكين، و اختار على بن أبى طالب عليه السّلام أبا موسى الأشعريّ حكماً، فحكم عليه.

و فى (أنساب البلاذرى): أنّ أهل البصرة اجتمعوا - أى: بعد موت يزيد - فقلّدوا أمرهم النعمان بن صهيان الأزديّ، ثم الراسبيّ و رجلاً من مضر، ليختاروا لهم رجلاً يولونه عليهم، فقالوا: من رضىتماه لنا فقد رضىنا به.

و كان رأى المضرى فى بنى اميّة، و رأى النعمان فى بنى هاشم، فقال النعمان للمضرى: ما أرى أحداً أولى بهذا الأمر من فلان - يعنى: رجلاً من بنى اميّة - قال: أو ذاك رأيك؟ قال: نعم. قال: فقد قلدتك أمرى و رضىت بمن رضىت به. ثم خرجا إلى الناس، و قالوا لهما: ما صنعتما؟ فقال المضرى: رضىت بمن رضى به النعمان، فمن سمّى فأنا راض به. فقال الناس للنعمان: ما تقول؟ فقال: ما أرى أحداً غير عبد الله بن الحارث - يعنى به - فقال المضرى: ما هذا الذى سمّيت. فقال: إنّهُ لهو. فرضى الناس به فبايعوه.

قوله عليه السّلام فى الأول: «فمضياً عليه» و فى الثانى: «و الاعوجاج رأيهما» باحث هشام بن الحكم بعض المخالفين فى الحكمين، قال المخالف: كانا يريدان للإصلاح. فقال: بل غير مرّدين له، قال تعالى فى حكمى الزوجين «إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا»^{٨٩٩}، فلما لم يوفق الله بينهما علمنا أنّهما لم يريدا الإصلاح.

قوله عليه السّلام فيهما «و قد سبق استئناؤنا» هكذا قال المصنف فى العنوانين، و الصواب: (استئناؤنا) كما عرفته من الطبرى^{٩٠٠} و لما يأتى.

«عليهما فى الحكومة بالعدل و الصمد» - بالتسكين - أى: القصد.

^{٨٩٧} (٤) تاريخ اليعقوبى ٢: ١٩٠.

^{٨٩٨} (٥) الأعراف: ١٥٥.

^{٨٩٩} (١) النساء: ٣٥.

^{٩٠٠} (٢) تاريخ الطبرى ٥: ٨٥.

«للحق» فى الأول.

«فى الحكم بالعدل و العمل بالحق» فى الثانى.

«سوء رأيهما و جور حكمهما» السوء و الجور مفعولان ل (سبق)، و الفاعل (استيثاقنا)، و مما يدل على كون (استثنائنا) محرف (استيثاقنا) أن نصر بن مزاحم^{٩٠١} روى كتاب العهد عن زيد بن حسن هكذا: «و على الحكيمين عهد الله و ميثاقه أن لا يألوا اجتهدا، و لا يعتمدا جورا، و لا يدخلوا فى شبهة، و لا يعدوا حكم الكتاب و سنة الرسول صلى الله عليه و آله، فان لم يفعلا برئت الذمة من حكمهما، و لا عهد لهما و لا ذمة».

قوله عليه السلام فى الثانى: «و الثقة فى أيدينا لأنفسنا، حين خالفا سبيل الحق، و أتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم» فى (خلفاء ابن قتيبة)^{٩٠٢}: لما خدع عمرو أبا موسى و تشاتما، و انصرف عمرو إلى معاوية و لحق أبو موسى بمكة، و انصرف القوم إلى على عليه السلام قال عدى له عليه السلام: أما و الله لقد قدمت القرآن، و أخرت الرجال، و جعلت الحكم لله. فقال على عليه السلام: أما إننى قد أخبرتكم أن هذا يكون بالأمس، و جهدت أن تبعثوا غير أبى موسى فأبيتم على- إلى ان قال- فقال على عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: قم فتكلم فى أمر هذين الرجلين. فقام فقال:

أيها الناس قد أكثرتم فى أمر أبى موسى و عمرو، إنما بعثنا ليحكم بالقرآن دون الهوى، فحكمما بالهوى دون القرآن، فمن كان هكذا لم يكن حكما، و لكنه محكوم عليه، و قد كان من خطأ أبى موسى أن جعله لعبد الله بن عمر، فأخطأ فى ثلاث خصال: خالف أباه عمر، إذ لم يرضه لها و لم يره أهلا لها، و كان أبوه أعلم به من غيره، و لا أدخله فى الشورى إلا على الاشياء له فيها، شرطا

مشروطا من عمر على أهل الشورى، فهذه واحدة، و ثانية: لم يجمع عليه المهاجرون و الأنصار الذين يعتقدون الإمامة و يحكمون على الناس، و ثالثة: لم يستأمر الرجل فى نفسه، و لا علم ما عنده من رد أو قبول.

قلت: ذكره عليه السلام الخطأ الثانى عدم قبول المهاجرين و الأنصار إنما كان جدلا، و إلا فيدل كتابه عليه السلام إلى معاوية أيام بيعته الناس له أن أهل البيت عليهم السلام هم خيرة الله، و أنه لا خيرة للناس المهاجرين و الأنصار و غيرهما.

و لقد صدق خطأه الأول و الثانى ابن عمر نفسه، ففى (الخلفاء)^{٩٠٣}: أن ابن عمر لما بلغه ما فعل أبو موسى كتب إليه: فأنك تقربت إلى بامر لم تعلم هواى فيه، أ كنت تظن أنى أبسط يدا إلى أمر نهانى عنه أبى عمر؟ أو كنت ترانى أ تقدم على على عليه

^{٩٠١} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٠٥.

^{٩٠٢} (٢) الخلفاء لابن قتيبة: ١٣٨.

^{٩٠٣} (١) الخلفاء لابن قتيبة: ١٣٨.

السَّلام؟- إلى أن قال- ثم أعظم من ذلك: خديعة عمرو إياك- إلى أن قال- إنَّ أبا موسى كتب في جوابه: و أما خديعة عمرو
فو الله ما ضرَّ بخديعته عليًّا ولا نفع معاوية، وقد كان الشرط ما اجتمعنا عليه، لا ما اختلفنا فيه.

و فيه^{٩٠٤}، و في (العقد)^{٩٠٥}: أنَّه عليه السَّلام أمر ابن عباس أن يتكلَّم في الحكمين بعد الحسن عليه السَّلام، فقام و قال: أيُّها
الناس إنَّ للحقَّ أهلاً أصابوه بالتوفيق، و الناس بين راض به و راغب عنه، و إنَّما بعث أبو موسى بهدى إلى ضلالة، و بعث عمرو
بضلالة إلى هدى، فلما التقيا رجع أبو موسى عن هداه، و مضى عمرو بضلاله- إلى أن قال- و قال عليُّ عليه السَّلام لعبد الله
بن جعفر: قم فتكلم. فقام و قال: أيُّها الناس، إنَّ هذا الأمر كان النظر فيه لعليٍّ عليه السَّلام و الرضا فيه إلى غيره، جئتم بأبي
موسى مبرنسا، فقلتم: قد رضينا هذا فارض به، و ايم الله ما استفدنا به علما، و لا انتظرنا منه غائبا، و ما نعرفه صاحباً، و ايم
الله ما أصلحاً

ص: ٣٤٠

بما فعلا الشام، و لا أفسدا العراق، و لا أمانا حقَّ عليٍّ، و لا أحيبا باطل معاوية، و لا يذهب الحق رقية راق، و لا نفخة شيطان،
و نحن اليوم على ما كنّا عليه أمس.

هذا، و قال ابن أبي الحديد^{٩٠٦} عن أبي عبيدة، قال: أمر بلال بن أبي بردة- و كان قاضيا- بتفريق بين رجل و امرأته، فقال
الرجل: يا آل أبي موسى، إنَّما خلقكم الله للتفريق بين المسلمين.

و بعث^{٩٠٧} عبد الملك روح بن زنباع، و بلال بن أبي بردة بن أبي موسى إلى زفر بن الحارث الكلابي بكلام، و حذرهما من
كيدِه و خصَّ بالتحذير روحا، فقال له: انَّ أباه كان المخدوع يوم دومة الجندل لا أبي، علام تخوفني الخداع و الكيد. فغضب بلال
و ضحك عبد الملك.

و كتب معاوية إلى عمرو بن العاص- و هو على مصر و قد قبضها بالشرط الذي اشترط معاوية-: أمّا بعد فإنَّ سؤال أهل
الحجاز، و زوَّار أهل العراق كثروا عليٍّ، و ليس عندي فضل عن أعطيات الحجاز، فأعني بخراج مصر هذه السنة. فكتب إليه
عمرو: أن تدرِّكك نفس شحيحة، فما مصر إلَّا كالهباء في التراب، و ما نلتها عفوا و لكن شرطتها، و قد دارت الحرب العوان على
قطب، و لو لا دفاعي الأشعري و رهطه لألفيتها ترغو كراغية السَّقب ثم كتب في ظاهر الكتاب:

و عن سنن الحق لا تعدل

معاوى حظي لا تغفل

و ما كان في دومة الجندل

أتنسى مخادعة الأشعري

^{٩٠٤} (٢) الخلفاء لابن قتيبة: ١٣٨.

^{٩٠٥} (٣) العقد الفريد ٥: ٩٨.

^{٩٠٦} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٥٦.

^{٩٠٧} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٥٧.

ألين فيطمع في غرتي

و سهمي قد خاض في المقتل

ص: ٣٤١

المظه عسلا باردا

و اخبا من تحته الحنظل

و أعليته المنبر المشمخر

كرجع الحسام إلى المفصل

فأضحى لصاحبه خالعا

كخلع النعال من الأرجل

و أثبتّها فيك موروثة

ثبوت الخواتيم في الأئمل

وهبت لغيري وزن الجبال

و أعطيتني زنة الخردل

و أنّ عليّا غدا خصمنا

سيحتج بالله و المرسل

و ما دم عثمان منج لنا

و ليس عن الحق من مرجل

فلما بلغ الجواب إلى معاوية لم يعاوده في شيء من أمر مصر بعدها^{٩٠٨}.

قلت: و في (العقد)^{٩٠٩}: كان رجل يحدث بأخبار بني إسرائيل، فقال له الحجاج ابن خيثمة: ما كان اسم بقرة بني إسرائيل؟ قال: خيثمة. فقال له رجل من ولد أبي موسى: أين وجدت هذا؟ قال في كتاب عمرو بن العاص.

و فيه: بعث بلال بن أبي بردة في ابن أبي علقمة الممرور، فلما أتى قال:-

أ تدرى لم بعثت إليك؟ قال: لا. قال: بعثت إليك لأضحك منك. فقال له الممرور:

^{٩٠٨} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٥٦.

^{٩٠٩} (٢) العقد الفريد ٤: ١٣٠.

لقد ضحك أحد الحكمين من صاحبه - عرض له بجده أبى موسى، و ضحك عمرو من خداعه له - فغضب عليه بلال، و أمر به إلى الحبس، فكلمه الناس و قالوا: إن المجنون لا يعاقب و لا يحاسب. فأمر بإطلاقه و أن يؤتى به إليه، فاتى به يوم السبت، و فى كمه طرائف اتحف بها فى الحبس، فقال له بلال:

ناولنى من هذا الذى فى كمك. قال: هو يوم سبت ليس يعطى فيه و لا يؤخذ.

عرض به بعمه كانت له من اليهود.

ص: ٣٤٢

٣

الخطبة (١٢٣) و من كلام له عليه السلام فى التحكيم:

إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ - وَ إِنَّمَا حَكَّمْنَا؟ الْقُرْآنَ؟ وَ هَذَا؟ الْقُرْآنُ؟ - إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَتَيْنِ - لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ وَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ - وَ إِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ - وَ لَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ - إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا؟ الْقُرْآنَ؟ - لَمْ نَكُنْ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلَّى - عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى - وَ قَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ - «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ» -^{٩١٠} فَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نُحَكِّمَ بَكِتَابِهِ - وَ رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ؟ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ - فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ - فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ - وَ إِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ؟ رَسُولِ اللَّهِ ص؟ - فَنَحْنُ أَوْلَاهُمْ بِهِ - وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ - لَمْ جَعَلْتُ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ أَجَلًا فِي التَّحْكِيمِ - فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ - وَ يَتَبَيَّنَ الْعَالِمُ - وَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ - أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ - وَ لَا تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا - فَتَعَجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ - وَ تَتَفَادَى لِأَوَّلِ الْغَى - إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ - مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ - وَ إِنْ نَقَصَهُ وَ كَرَّثَهُ مِنَ الْبَاطِلِ - وَ إِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةٌ وَ زَادَهُ - أَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ - وَ مِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ - اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى - عَنْ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ - وَ مُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ لَا يَعْدِلُونَ بِهِ - جُفَاءً عَنِ الْكِتَابِ - نُكِبَ عَنِ الطَّرِيقِ - مَا أَنْتُمْ بِوَيْقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا - وَ لَا زَوَافِرٍ عَزَّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا - لِبَنَسِ حُشَّاشٍ نَارَ الْحَرْبِ أَنْتُمْ - أَفْ لَكُمْ - لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرَحًا يَوْمًا أَنْادِيكُمْ - وَ يَوْمًا أَنْاجِيكُمْ - فَلَا أحرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النَّدَاءِ - وَ لَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ

ص: ٣٤٣

أقول: العنوان مأخوذ من كلامه عليه السلام فى ثلاثة مواضع، فمن أوله إلى قوله: «و تنقاد لأول الغى» كلامه عليه السلام مع الخوارج، رواه الطبري الطبري - تاريخ الطبري - ج ٤ ص ٥٠ و ٥١^{٩١١} و (إرشاد الشيخ المفيد - الإرشاد - ص ٢٧١، مؤسسة آل البيت عليهم السلام (المفيد)^{٩١٢} إلى قوله: «و لعل الله أن يصلح فى هذه الهدنة أمر هذه الامة»، و من قوله: «إن أفضل الناس عند الله - إلى - و إن جرَّ إليه فائدة و زاده» نصحه لعمرو بن العاص فى حكميته، رواه الطبري^{٩١٣} مع زيادات، ففيه: قال أبو

^{٩١٠} (١) النساء: ٥٩.

^{٩١١} (١) تاريخ الطبري ٤: ٥٠ - ٥١.

^{٩١٢} (٢) الإرشاد للمفيد: ٢٧١، مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

^{٩١٣} (٣) تاريخ الطبري ٥: ٦٩.

مخنف: قال النضر بن صالح العبسي: كنت مع شريح بن هانئ في غزوة سجستان، فحدثني أنَّ عليًّا عليه السَّلام أو صاه بكلمات إلى عمرو بن العاص، قال: قل له: إنَّ عليًّا يقول لك «إنَّ أفضل الناس عند الله عز و جل: من كان العمل بالحق أحبَّ إليه - و ان نقصه و كرثه - من الباطل و ان حن إليه و زاده. و الله يا عمرو أنَّك لتعلم أين موضع الحق، فلم تجاهل إن اوتيت طمعا يسيرا كنت به لله و أوليائه عدوًّا، فكان و الله ما اوتيت قد زال عنك؟ ويحك ف «لَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا»^{٩١٤} و لا للظالمين ظهيرا أما إنِّي أعلم بيومك الذي أنت فيه نادم، و هو يوم وفاتك، تمنى أنَّك لم تظهر للمسلم عداوة، و لم تأخذ على حكم رشوة» قال شريح: فبلغته ذلك فتمعر وجهه، ثم قال: متى كنت أقبل مشورة عليٍّ، أو أنتهي إلى أمره، أو أعتد برأيه؟ فقلت له: و ما يمنحك يابن النابغة أن تقبل من مولاك و سيد المسلمين - بعد نبيِّهم - مشورته، فقد كان من هو خير منك أبو بكر و عمر يستشيرانه و يعملان برأيه؟ فقال: إنَّ مثلي لا يكلم مثلك. فقلت له: و بأى أبويك ترغب عني، أبأبيك الوشيط، أم بأمك النابغة؟

و من قوله: «استعدوا للمسير...» حث لأصحابه لقتال معاوية بعد قتل

ص: ٣٦٤

أهل النهروان، رواه الطبري^{٩١٥} أيضا، ففيه: قال زيد بن وهب: إنَّ عليًّا عليه السَّلام قال للناس - و هو أوَّل كلام قاله لهم بعد النهروان: «أيُّها الناس استعدوا للمسير إلى عدوِّ في جهاده القربة إلى الله، و درك الوسيلة عنده، حيارى في الحق، جفاء عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون في الطغيان و يكونون في غمرة الضلال ف «أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ»^{٩١٦}، و توكّلوا على الله «وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا»^{٩١٧} «وَ كَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا»^{٩١٨} قال زيد: فلا نفروا و لا تيسروا فتركهم أياما حتى إذا أيس من أن يفعلوا، دعا رؤساءهم و وجوهم فسألهم عن رأيهم، فمنهم المعتل و منهم المكره و أقلّهم من نشط، فقام فيهم خطيبا فقال: عباد الله ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا «ثَأَقَلُّنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيَّتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ»^{٩١٩}، و بالذل و الهوان من العزِّ؟ أو كلّمنا ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكرة، و كأنّ قلوبكم مالوسة فأنتم لا تعقلون، و كأنّ أبصاركم كمه فأنتم لا تبصرون؟ لله أنتم! ما أنتم إلّا اسود الشرى في الدعة، و ثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس، ما أنتم لى بثقة سجييس الليالى، ما أنتم بركب يصال بكم، و لا ذى عز يعتصم إليه، لعمر الله لبئس حشّاش الحرب أنتم! تكادون و لا تكيدون، و ينتقص أطرافكم و لا تتحاشون، و لا ينام عنكم و أنتم فى غفلة ساهون، إنَّ أخا الحرب اليقظان، و بات لذل من وادع، و غلب المتخاذلون، و المغلوب مقهور و مسلوب.

ص: ٣٦٥

^{٩١٤} (٤) النساء: ١٠٥.

^{٩١٥} (١) تاريخ الطبري ٥: ٩٠.

^{٩١٦} (٢) الأنفال: ٦٠.

^{٩١٧} (٣) النساء: ٨١.

^{٩١٨} (٤) النساء التوبة: ٤٥.

^{٩١٩} (٥): ٣٨.

كما أن الصدر رواه الطبري^{٩٢٠} أيضا مع زيادة و نقصان، ففيه: خرج على عليه السلام إلى الخوارج و قال: اللهم إن هذا مقام من أفلح فيه كان أولى بالفتح يوم القيامة، و من نطف فيه أو عسف «فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَ أَضَلُّ سَبِيلًا»^{٩٢١}. ثم قال عليه السلام لهم: من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء. فقال: فما أخرجكم علينا؟ قالوا: حكومتكم يوم صفين. قال: أنشدكم بالله أ تعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف، فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله، قلت لكم: «إني أعلم بالقوم منكم إنهم ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن، إني صحبتهم و عرفتهم أطفالا و رجالا، فكانوا شرّ أطفال و شرّ رجال، امضوا على حقكم و صدقكم، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعة و دهنا و مكيدة» فرددتهم على رأيي و قلتم: لا بل نقبل منهم. فقلت لكم: «اذكروا قولي لكم و معصيتكم إياي» فلمّا أبيتهم إلّا الكتاب اشترطت على الحكمين: أن يحييا ما أحيا القرآن، و أن يميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكما يحكم بما في القرآن، و إن أبيا فنحن من حكمهما براء. قالوا له: فخبّرنا أ تراه عدلا تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال: إنا لسنا حكمنا الرجال، إنّما حكمنا القرآن، و هذا القرآن إنّما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق، إنّما يتكلم به الرجال. قالوا: فخبّرنا عن الأجل، لم جعلته في ما بينك و بينهم؟ قال: ليعلم الجاهل و يتثبت العالم، و لعل الله عز و جل يصلح في هذه الهدنة هذه الامة. ادخلوا مصركم رحمكم الله.

فدخلوا من عند آخرهم.

و حيث إنّ الكلام كلّ خطاب و عتاب للخوارج، و لأحد الحكمين و للناس بعد قتلهم، جمع المصنف بينها و جعلها تحت عنوان واحد، كما هو دأبه.

ص: ٣٤٤

«و من كلام له عليه السلام في التحكيم» هكذا في (المصرية)^{٩٢٢} و (ابن ميثم)^{٩٢٣} و (الخطيئة) و لكن في (ابن أبي الحديد)^{٩٢٤} «و من كلام له عليه السلام في الخوارج لما أنكروا تحكيم الرجال، و يذمّ فيه أصحابه في التحكيم». و لا بدّ أنّه حاشية خلطه ابن أبي الحديد نفسه أو كاتب نسخته بالمتن.

قوله عليه السلام: «إنا لم نحكم الرجال» «إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ»^{٩٢٥}.

«و إنّما حكمنا القرآن» كلام الله و كتابه.

«و هذا القرآن إنّما هو خط مستور» هكذا في (المصرية)^{٩٢٦} و هو غلط و الصواب: (مسطور) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{٩٢٧} و غيرهما.

^{٩٢٠} (١) تاريخ الطبري ٥: ٦٥-٦٦.

^{٩٢١} (٢) الاسراء: ٧٢.

^{٩٢٢} (١) الطبعة المصرية ٢: ٧.

^{٩٢٣} (٢) شرح ابن ميثم ٣: ١٢٤.

^{٩٢٤} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٠٣.

^{٩٢٥} (٤) الأنعام: ٥٧.

^{٩٢٦} (٥) الطبعة المصرية ٢: ٧.

«بين الدفتين» قال ابن أبي الحديد^{٩٢٨}: دفنا المصحف: جانباه اللذان يكتنفانه، و كان الناس يعملانها قديما من خشب، و يعملونها الآن من جلد.

قلت: و في (الجمهرة) الدف: صفحة الجنب.

«لا ينطق بلسان و لا بد له من ترجمان» ذكره (الصحاح) في: رجم، و (القاموس) في: ترجم، و قال: الفعل منه ترجمه يدل على أصالة التاء، و الترجمان - كعنفوان و زعفران - مفسر اللسان. و ذكره كتاب لغة في الأفعال، في الرباعي أيضا.

«و إنما ينطق عنه الرجال» فالحاكم في الحقيقة هو، لا الرجال، كالمرجم عن القاضي.

ص: ٣٤٧

«و لما دعانا القوم الى أن نحكم بيننا القرآن» و ان كانت دعوتهم مجرد لفظ.

«لم نكن الفريق المتولى على» هكذا في (المصرية) و الصواب: (عن) كما في (ابن ميثم)^{٩٢٩} و غيره.

«كتاب الله» لأنه عليه السلام أول من آمن بالله، فكيف يعقل توليه عن كتابه؟! «و قد قال الله سبحانه: «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» و الآية في سورة النساء، و قبلها: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ». و بعدها: «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ»^{٩٣٠}.

«فرده الى الله أن نحكم بكتابه و رده الى الرسول ان نحكم بسنته» بيان للمراد من الآية.

«فإذا حكم بالصدق في كتاب الله» لا كما حكم الحكماء.

«فنحن أحق الناس به، و إن حكم بسنة رسول الله صلى الله عليه و آله فنحن أولاهم به» إلّا أنهم أرادوا المكيدة، لا الكتاب أرادوا و لا السنة.

و في (العقد)^{٩٣١}: قالوا: إن عليا عليه السلام لما اختلف عليه أهل النهروان و أصحاب البرانس، و نزلوا قرية يقال لها حرورا، رجع إليهم فقال: يا هؤلاء من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء. قال: فليبرز الى. فخرج إليه ابن الكواء، فقال عليه السلام له:

ما الذي أخرجكم بعد رضاكم بالحكمين؟ قال: قاتلت بنا عدوا لا نشك في جهاده، فزعمت أن قتلانا في الجنة و قتلهم في النار، فبينما نحن كذلك إذ أرسلت منافقا و حكمت كافرا، و كان من شكك في أمر الله أن قلت للقوم - حين

^{٩٢٧} (٦) شرح ابن ميثم ٣: ١٢٦.

^{٩٢٨} (٧) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٠٤.

^{٩٢٩} (١) شرح ابن ميثم ٣: ١٢٦.

^{٩٣٠} (٢) النساء: ٥٩.

^{٩٣١} (٣) العقد الفريد ٥: ٩٩.

دعوتهم -: «كتاب الله بيني وبينكم، فإن قضى علىّ بايعتكم، وإن قضى عليكم بايعتموني» فلو لا شكك لم تفعل هذا والحق في يدك. فقال عليه السلام: يا ابن الكواء إنما الجواب بعد الفراغ، أفرغت؟ قال: نعم. قال: أمّا قتالك معي عدوا لا نشك في جهاده فصدقت، ولو شككت فيهم لم اقاتلهم، و أمّا قتلاهم و قتلانا، فقد قال الله في ذلك ما يستغنى به عن قولي، و أمّا إرسالي المنافق و تحكيمي الكافر، فأنت أرسلت أبا موسى مبرنسا و معاوية حَكَمَ عمرا، أتيت بأبي موسى مبرنسا فقلت: «لا نرضى إلّا أبا موسى» فهلا قام إلىّ رجل منكم، فقال: لا نعطي هذه الدنية فإنّها ضلالة؟ و أمّا قولي لمعاوية: إن جرنى إليك كتاب الله تبعتك و إن جرّك إلىّ تبعتنى، زعمت أنّي لم أعط ذلك إلّا من شك، فحدّثني ويحك! عن اليهود و النصارى و مشركي العرب. أهم أقرب إلى كتاب الله أم معاوية و أهل الشام؟ قال: بل معاوية و أهل الشام. قال: ا فالنبي صلى الله عليه و آله كان أوثق بما في يده من كتاب الله أو أنا؟ قال: بل النبي. قال: أ فرأيت الله تعالى حين يقول «قُلْ فَاتَّبِعُوا بَكِتَابِ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا اتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^{٩٣٢} أما كان النبي صلى الله عليه و آله يعلم أنّه لا يؤتى بكتاب هو أهدى فيما في يديه؟ قال: بلى. قال: فلم أعطى النبي صلى الله عليه و آله القوم ما أعطاهم؟ قال: انصافا و حجة. قال: فإنّي أعطيت القوم ما أعطاهم النبي صلى الله عليه و آله. قال ابن الكواء: هذه واحدة، زدني. قال: فما أعظم ما نقمتم علىّ؟ قال: تحكيم الحكّمين، نظرنا في أمرنا فوجدنا تحكيمهما شكا.

قال علىّ عليه السلام: فمتى سمّى أبو موسى حكما، حين ارسل أو حين حكم؟ قال:

حين ارسل. قال: أ ليس قد سار و هو مسلم، و أنت ترجو أن يحكم بما أنزل الله؟

قال: نعم. قال: فلا أرى الضلال في إرساله. فقال ابن الكواء: سمّى حكما حين حكم. قال: نعم، إذن فارساله كان عدلا، أ رأيت يابن الكواء لو أنّ النبي بعث

مؤمنا إلى قوم مشركين يدعوههم إلى كتاب الله، فارتد على عقبه كافرا كان يضرّ النبي صلى الله عليه و آله شيئا؟ قال: لا. قال عليه السلام: فما كان ذنبى أن كان أبو موسى ضلّ؟ هل رضيت حكومته حين حكم أو قوله إذا قال؟ قال: لا، و لكنك جعلت مسلما و كافرا يحكمان في كتاب الله. قال عليه السلام: ويلك يابن الكواء! هل بعث عمرا غير معاوية؟ و كيف احكمه و حكمه على ضرب عنقي؟ إنّما رضى به صاحبه كما رضيت أنت بصاحبك، و قد يجتمع المؤمن و الكافر يحكمان في أمر الله، أ رأيت لو أنّ رجلا مؤمنا تزوج يهودية أو نصرانية، فخافا شقاق بينهما، فضرع الناس إلى كتاب الله و في كتابه: «فَاتَّبِعُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا»^{٩٣٣}، فجاء رجل من اليهود أو النصارى و رجل من المسلمين، أ ليسا اللذين لهما أن يحكما كما في كتاب الله فحكما؟ قال ابن الكواء: و هذه أيضا، أمهلنا حتى ننظر ...

^{٩٣٢} (١) القصص: ٤٩.

^{٩٣٣} (١) النساء: ٣٥.

و لابن أبي الحديد هنا كلام رث لم تتعرض له.

«و أمّا قولكم لم جعلت بينكم و بينهم أجلا فى التحكيم؟ فإنّما فعلت ذلك ليتبين الجاهل و يتثبت العالم، و لعلّ الله أن يصلح فى هذه الهدنة» أى: المصالحة و المتاركة.

«أمر هذه الامّة» كما فى صلح الحديبية.

«و لا تؤخذ باكظامها» جمع الكظم، أى: مخرج النفس، يقال: أخذت بكظمه.

«فتعجل عن تبين الحق و تنقاد لأوّل الغى» إن لم يكن أجل فى البين.

«إنّ أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحق أحبّ إليه و ان نقصه و كثره» فى (الجمهرة): كثرنى هذا الأمر كثرنا: إذا ثقل عليك.

«من الباطل» متعلق بقوله: «أحب».

ص: ٣٧٠

«و إن جرّ إليه فائدة و زاده» قد عرفت أنّ قوله عليه السّلام: «إنّ أفضل الناس...» كلامه عليه السّلام لعمر بن العاص، قال عليه السّلام ذلك لأنّه لازم الايمان، فالحق - و ان نقص و كثر فى الدنيا - يزيد فى الآخرة و يسر، و الباطل و إن جرّ فائدة فى الدنيا إلّا أنّه خسران فى الآخرة.

«أين» هكذا فى (المصرية)^{٩٣٤} و الصواب: (فأين) كما فى الثلاثة، ثم قد عرفت أنّه من هنا عتاب لأصحابه فى تركهم معاودة قتال معاوية.

«يتاه بكم» أى: فى أى مكان تذهبون متحيّرين؟

«من» هكذا فى (المصرية)^{٩٣٥} و الصواب: (و من) كما فى الثلاثة.

«أين أتيتم» أتاكم الشيطان، أو أتاكم الخصم حتى صرتم هكذا بلا حمية.

«استعدوا للمسير فى قوم» هكذا فى (المصرية)^{٩٣٦}، و الصواب: (إلى قوم) كما فى (ابن ميثم) و غيره.

«حيارى عن الحقّ لا يبصرونه» أى: معاوية و أهل الشام.

^{٩٣٤} (١) الطبعة المصرية ٢: ٨.

^{٩٣٥} (٢) الطبعة المصرية ٢: ٨.

^{٩٣٦} (٣) الطبعة المصرية ٢: ٩.

«و موزعين بالجور» أى: مغرون به. أوزعته بالشيء، أى: أغريته. و قول ابن أبي الحديد^{٩٣٧} «أى ملهمون» غلط، فلا معنى للالهام هنا، كما فى قوله تعالى «أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ»*^{٩٣٨}.

«جفاء» أى: مرتفعين.

«عن الكتاب» الذى أنزله تعالى.

«نكب» أى: عادلين.

ص: ٣٧١

«عن الطريق» إلى الله تعالى.

«ما أنتم بوثيقة» أى: عروء محكمة.

«يعلق بها» فيحصل فيكم الانفصام.

«و لا زوافر» أى: أعمدة و أسباب التقوى، قال الحطية:

فان تك ذا عز حديث فإنهم ذوو إرث مجد لم تخنه زوافره

«عزّ يعتصم إليها» فيقدح فيكم الانهدام «لبس حشاش» أى: موقدو:

«نار الحرب أنتم. اف لكم» و الاف: إظهار تضجر، و فى (الجمهرة): قال أبو زيد فى قولهم: اف و تف: الاف الأظفار، و التف: وسخ الأظفار.

«لقد لقيت منكم برحا» أى: شدة شديدة، قال جران العود:

الاقى الخنا و البرح من امّ جابر و ما كنت ألقى من رزينة أبرح

^{٩٣٧} (٤) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٠٦ - ١٠٧.
^{٩٣٨} (٥) النمل: ١٩.

و فى (الجمهرة): إذا أصاب الرامى قالوا: مرعى. وإذا أخطأ قالوا: برعى.

«يوما نادىكم و يوما اناجىكم، فلا أحرار صدق عند النداء» أى: للحرب.

«و لا إخوان ثقة عند النجاء» مصدر (ناجى) كالمناجاة، أى: لكشف المعضلات و دفع المحذورات.

٤

الخطبة (١٢٠) و من كلام له عليه السلام قاله للخوارج- و قد خرج إلى معسكرهم و هم مقيمون على إنكار الحكومة، فقال عليه السلام:

أَكُلُّكُمْ شَهِدٌ مَعَنَا؟ صَفِين؟- فَقَالُوا مِنَّا مَنْ شَهِدَ- وَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ- قَالَ فَاِمْتَاذُوا فِرْقَتَيْنِ- فَلَيْكُنْ مَنْ شَهِدَ؟ صَفِين؟ فِرْقَةٌ- وَ مَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا

ص: ٣٧٢

فِرْقَةٌ- حَتَّى أَكَلَمَ كُلًّا بِكَلَامِهِ- وَ نَادَى النَّاسَ فَقَالَ أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ- وَ انصِتُوا لِقَوْلِي- وَ أَقْبِلُوا بِأَفْدَتِكُمْ إِلَيَّ- فَمَنْ نَشَدَنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بَعْلَمِهِ فِيهَا- ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عَ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ مِنْهُ- أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَ غِيْلَةً- وَ مَكْرًا وَ خَدِيعَةً- إِيَّاهُمْ وَ أَهْلَ دَعْوَتِنَا- اسْتَقَالُونَا وَ اسْتَرَاخُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ- فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ- وَ التَّنْفِيسُ عَنْهُمْ- فَقُلْتُ لَكُمْ هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيْمَانٌ- وَ بَاطِنُهُ عُدْوَانٌ- وَ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَ آخِرُهُ نَدَامَةٌ- فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ- وَ الزَّمُوا طَرِيقَتَكُمْ- وَ عَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ- وَ لَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقِ نَعَقٍ- إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ وَ إِنْ تَرَكَ ذَلَّ- وَ قَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْفَعْلَةُ وَ قَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطِيتُمُوهَا- وَ اللَّهُ لَئِنْ أُبِيَّتْهَا مَا وَجَبَتْ عَلَى فَرِيضَتِهَا- وَ لَا حَمَلَنِي اللَّهُ ذَنْبَهَا وَ اللَّهُ إِنْ جَنَّتْهَا إِنِّي لِلْمُحِقِّ الَّذِي يُتَّبَعُ- وَ إِنْ الْكِتَابَ لَمَعَى مَا فَارَقْتُهُ مِذْ صَحَبْتُهُ فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص؟- وَ إِنْ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى الْأَبَاءِ وَ الْأَبْنَاءِ- وَ الْإِخْوَانَ وَ الْقَرَابَاتِ- فَلَا نَزْدَادَ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَ شِدَّةٍ- إِلَّا إِيْمَانًا وَ مُضِيًّا عَلَى الْحَقِّ- وَ تَسْلِيمًا لِلْأَمْرِ- وَ صَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ- وَ لَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِيَّاهُمْ فِي الْإِسْلَامِ- عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَ الْإِغْوِجَاجِ- وَ الشُّبْهَةِ وَ التَّأْوِيلِ- فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ اللَّهُ بِهِ شَعْنَنَا- وَ نَتَدَانِي بِهَا إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا- رَغِبْنَا فِيهَا وَ أَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا قَوْلُ الْمُصَنِّفِ: «و من كلام له عليه السلام قاله» ليس (قاله) فى نسخة ابن ميثم^{٩٣٩}.

ص: ٣٧٣

«للخوارج و قد خرج الى معسكرهم» أى: محل عسكرهم.

«وهم مقيمون على انكار الحكومة» ليست هذه الجملة في نسخة ابن ميثم^{٩٤٠}.

في (تاريخ اليعقوبي)^{٩٤١}: صارت الخوارج إلى قرية يقال لها حروراء، وبينها وبين الكوفة نصف فرسخ، وبها سموا الحرورية، ورئيسهم عبد الله بن وهب الراسبي وابن الكواء وشبث بن ربعي، فجعلوا يقولون: لا حكم إلّا لله.

فلما بلغ علياً عليه السلام ذلك قال: كلمة حق أريد بها باطل. ثم خرجوا في ثمانية آلاف - وقيل في اثني عشر ألفاً - فوجه عليه السلام إليهم ابن عباس، فكلمهم واحتجوا عليه، فخرج إليهم علي عليه السلام فقال: أفتشهدون عليّ بجهل؟ قالوا: لا. قال: فتنفذون أحكامي؟ قالوا: نعم. قال: ارجعوا إلى كوفتكم حتى تتناظر. فرجعوا من عند آخرهم، ثم جعلوا يقومون فيقولون: لا حكم إلّا لله. فيقول عليه السلام: حكم الله أنتظر فيكم.

«فقال عليه السلام» ليست الكلمة في نسخة ابن ميثم^{٩٤٢}، وعليها يكون (أكلكم ...) إلخ مبتدأ لقوله: «و من كلام له» و لا يرد على المصنف ما يأتي على نقل غيره.

«أكلكم شهد معنا صفين؟ قالوا: منّا من شهد و منّا من لم يشهد. قال:

فامتازوا فرقتين، فليكن من شهد صفين فرقة، و من لم يشهدا» و في نسخة ابن ميثم^{٩٤٣}: «و من لم يشهد».

«فرقة حتى أكلّم كلّاً» و زاد ابن أبي الحديد: «منكم».

«بكلامه. و نادى الناس فقال: أمسكوا عن الكلام و أنصتوا» أي: اسكتوا.

ص: ٣٧٤

«و اقبلوا بأفئدتكم إليّ، فمن نشدناه شهادة» ليست الكلمة في نسخة ابن ميثم^{٩٤٤}.

«فليقل بعلمه فيها. ثم كلمهم عليه السلام بكلام طويل منه» هكذا في (المصرية)^{٩٤٥} و الصواب: ما في (ابن أبي الحديد)^{٩٤٦} و ابن ميثم^{٩٤٧}: «ثم كلمهم عليه السلام بكلام طويل من جملته أن قال».

و كيف كان، ففي (تاريخ اليعقوبي)^{٩٤٨} - بعد ما مرّ - و خرجت الحرورية من الكوفة، فوثبوا على ابن خباب فقتلوه، فخرج عليّ عليه السلام إليهم، و قال لابن عباس: قل لهم: ما نقيم على أمير المؤمنين؟ ألم يحكم فيكم بالحق، و يقيم فيكم العدل، و لم

^{٩٤٠} (١) شرح ابن ميثم ٣: ١١٨.

^{٩٤١} (٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩١.

^{٩٤٢} (٣) شرح ابن ميثم ٣: ١١٨.

^{٩٤٣} (٤) شرح ابن ميثم ٣: ١١٨.

^{٩٤٤} (١) شرح ابن ميثم ٣: ١١٨.

^{٩٤٥} (٢) الطبعة المصرية ٢: ٢.

^{٩٤٦} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٩٧.

^{٩٤٧} (٤) شرح ابن ميثم ٣: ١١٨.

يبخسكم شيئاً من حقوقكم؟ فناداهم ابن عباس بذلك، فقالت طائفة منهم: والله لا نجيبه. وقالت الأخرى: والله لنجيبه ثم لنخصمه، نعم يا بن عباس، نقمنا عليه خصالاً كلها موبقة، ولو لم نخصمه إلّا بخصلة خصمناه: محاسمه من إمرة المؤمنين يوم كتب إلى معاوية، ورجعنا عنه يوم صفين فلم يضرنا بسيفه حتى نفى إلى أمر الله، وحكم الحكمين، وزعم أنه وصى فضيع الوصية، وجئنا يابن عباس في حلة حسنة جميلة تدعونا إلى مثل ما يدعونا إليه. فقال بن عباس له عليه السلام: قد سمعت مقالة القوم وأنت أحقّ بالجواب. فقال عليه السلام: حججهم وأذى فلق الحبة وبرأ النسمة، قل لهم: أستم راضين بما في كتاب الله وبما فيه من أسوة رسول الله؟ قالوا:

بلى. فقال عليه السلام: كتب كاتب النبي صلى الله عليه وآله يوم الحديبية - إذ كتب إلى سهيل بن

ص: ٣٧٥

عمرو و صخر بن حرب و من قبلهما من المشركين-: «من محمد رسول الله» فكتبوا إليه: «لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك، فكتب إلينا: من محمد بن عبد الله لنجيبك». فمحا النبي صلى الله عليه وآله اسمه بيده وقال: إن اسمي و اسم أبي لا يذهبان بنبوتى. فكتب: «من محمد بن عبد الله». ففى برسول الله أسوة حسنة. و أمّا قولكم: إنى لم أضربكم بسيفى حتى تفتبوا إلى أمر الله، فإن الله عز و جل يقول: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ»^{٩٤٩}، كنتم عددا جمّا و أهل بيتى فى عدة يسيرة. و أمّا قولكم: إنى حكمت الحكمين، فإن الله عز و جل حكم فى أرنب يباع بربع درهم فقال: «يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ»^{٩٥٠} و لو حكم الحكمان بما فى كتاب الله لما وسعنى الخروج من حكمهما. و أمّا قولكم:

إنى كنت وصيا فضيعة الوصية، فإن الله عز و جل يقول: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ»^{٩٥١}. أ فرأيتم هذا البيت لو لم يحجّ إليه أحد كان البيت يكفر، أم لو تركه من استطاع إليه سبيلا كفر؟ أنتم كفرتم بترككم إياى، لا أنا كفرت بتركى لكم. فرجع منهم ألفان.

قوله عليه السلام: «أ لم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة و غيلة» من: «أرضعته غيلة»، أى: على حبل، و هو مفسد للصبي، يقال: الارضاع غيلة كالقتل غيلة.

«و مكر و خديعة» كلها مفعول له لقوله: «رفعهم».

«إخواننا» مقول قولهم.

«و أهل دعوتنا استقالونا» من القتال.

ص: ٣٧٦

^{٩٤٨} (٥) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩١-١٩٢.

^{٩٤٩} (١) البقرة: ١٩٥.

^{٩٥٠} (٢) المائدة: ٩٥.

^{٩٥١} (٣) آل عمران: ٩٧.

«و استراحوا الى كتاب الله سبحانه، فالرأى القبول منهم و التنفيس» أى:

الترفيه.

«عنهم. فقلت لكم: هذا أمر ظاهره ايمان و باطنه عدوان، و أوله رحمة و آخره عداوة، فأقيموا على شأنكم و الزموا طريقتكم» فى (الطبرى)^{٩٥٢} - فى حرب يزيد بن المهلب مع مسلمة بن عبد الملك أيام يزيد بن عبد الملك -: دعا ابن المهلب رءوس أصحابه، فقال لهم: قد رأيت أن أجمع اثنى عشر ألف رجل، فأبعثهم مع محمد أخى حتى يبيتوا مسلمة، و يحملوا معهم البراذع و الأكف و الزبل، لدفن خنادقهم فنقاتلهم على خندقهم بقيه ليلتهم، فاذا أصبحت نهضت إليهم بالناس فنناجزهم. قال السميذع: إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله و سنه نبيه، و قد زعموا أنهم قابلوا هذا منا، فليس لنا أن نمكر و لا نغدر و لا نريدهم بسوء، حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه، فقال لهم يزيد بن المهلب: ويحكم! أ تصدقون بنى امية أنهم يعملون بالكتاب و السنه، و قد منعوا ذلك منذ كانوا أنهم أرادوا أن يكفوكم عنهم حتى يعملوا فى المكر؟ إني قد لقيت بنى مروان، و ما لقيت رجلا هو أكر من هذه الجراة الصفراء - يعنى: مسيلمه -. فقالوا: لا نرى أن نفعل ذلك حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا

«و عضوا على الجهاد بنواجذكم» النواجذ أربعة فى أقصى الأسنان بعد الأرحاء.

«و لا تلتفتوا الى ناعق نعق» أى: لا تكونوا كالأغنام، يقال: نعق الراعى بغنمه. - بالكسر - أى: صاح بها.

قال الأخطل لجريز:

أنع بضأنك يا جريز فإنما
منتك نفسك فى الخلاء ضالا

ص: ٣٧٧

«إن اجيب أضل» فنعق أهل الشام صار سببا لضلال الخوارج.

«و إن ترك ذل» فلو كانوا لم يمشوا بنعقهم، لصاروا ذليلين و اسراء مقهورين.

«و قد كانت هذه الفعله، و قد رأيتمكم أعطيتموها، و الله لئن أبيتها ما وجبت على فريضتها و لا حملنى الله ذنبها، و و الله إن جئتها إني للمحق الذى يتبع، و إن الكتاب لمعى ما فارقت مذ صحبت» هذه الفقرات كلها من قوله: «و قد كانت» - إلى هنا، ليس منها فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) أثر و لا إشارة بوجودها فى نسخة أو رواية، و نسختها هى الصحيحة، لا سيما

الثانى الذى نسخه بخط المصنّف، فالظاهر أنّ بعضهم رأى هذا الكلام زائداً فى كلامه عليه السّلام فى موضع آخر، فنقله حاشية، فخلط بالمتن.

و لقد وقفت فى كلامه عليه السّلام على ما يناسبه، ففى (الطبرى)^{٩٥٣} قال عليه السّلام للناس بعد التحكيم: قد فعلتم فعلةً ضعفت قوّة، واسقطت منّة، وأورثت وهنا و ذلّة، ولما كنتم الأعلين و خاف عدوكم الاجتياح، و استحرم بهم القتل و وجدوا ألم الجراح، رفعوا المصاحف و دعوكم إلى ما فيها ليفتتوكم عنهم، و يقطعوا الحرب فى ما بينكم و بينهم، و يترصون ريب المنون خديعةً و مكراً، فأعطيتموهم ما سألوا، و أبيتم إلّا أن تدهنوا و تخوروا، و ايم الله ما أظنّكم بعدها توافقون رشداً، و لا تصيبون باب حزم.

«فلقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله و أنّ القتل ليدور على» هكذا فى (المصرية)^{٩٥٤}، و الصواب: (بين) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم^{٩٥٥} و الخطيئة).

ص: ٣٧٨

«الآباء و الأبناء و الاخوان و القرابات، فلا نزداد على كلّ مصيبةً و شدةً إلّا إيماناً و مضياً على الحق، و تسليمًا للأمر، و صبرا على مضض» أى: ألم.

«الجراح» مرّ فى فصل النبوة نظير هذا الكلام من قوله: «و لقد» من العنوان (٥٥): «و من كلام له عليه السّلام: و لقد كنّا مع رسول الله نقتل آباءنا و أبناءنا و إخواننا و أعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلّا إيماناً و تسليمًا و مضياً على اللقم، و صبرا على مضض الألم، و جدا على جهاد العدو، و لقد كان الرجل منّا و الآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما: أيّهما يسقى صاحبه كأس المنون؟ فمرة لنا من عدوّنا و مرة لعدوّنا، فلمّا رأى الله صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت، و أنزل علينا النصر، حتى استقر الاسلام ملقياً جراحه و متبوءاً أو طانه، و لعمرى لو كنّا نأتى ما أتيت ما قام للدين عمود، و لا أخضر للإيمان عود».

مرّ ثمة أن نصر بن مزاحم^{٩٥٦} روى: أنّه عليه السّلام قال ذلك الكلام يوم صفين، حين أقرّ الناس بالصلح، فالظاهر أن الأصل فيهما واحد.

و كيف كان فقول ابن أبى الحديد: «إنّ قوله عليه السّلام: و لقد كنّا ... غير مربوط بسابقه، و إنّما نقله الرضى على حسب عادته» فى غير محله، فربطه بسابقه و هو قوله: «و عضوا على الجهاد بنوا جدكم - إلى و إن ترك ذل» على نقله واضح، و المراد حتّ أصحابه على التأسى بأصحاب النبى صلى الله عليه وآله فى ثباتهم.

^{٩٥٣} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٠.

^{٩٥٤} (٢) الطبعة المصرية ٢: ٣.

^{٩٥٥} (٣) شرح ابن ميثم ٣: ١١٩.

^{٩٥٦} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٢٠.

«و لكنّا إنّما أصبحنا نقاتل اخواننا فى الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ و الاعوجاج و الشبهة و التأويل، فاذا طمعنا فى خصلة يلم الله به شعتنا، و نندانى بها إلى البقية فى ما بيننا، رغبتنا فيها، و أمسكنا عمّا سواها» قال ابن أبى الحديد^{٩٥٧}: هذا

ص: ٣٧٩

الكلام من قوله: «و لكنّا» مخالف فى الظاهر للفصل الأول، لأنّ الأول فيه إنكار الإجابة للتحكيم و هذا يتضمن تصويبها، و ظاهر الحال أنّه بعد كلام طويل - و قد قال المصنف فى أول الفصل: إنّ من جملة كلام طويل - و أنّه لما ذكر التحكيم قال ما كان يقوله دائماً، و هو: إنّى إنّما حكمت على أن نعمل فى هذه الواقعة بحكم الكتاب، و إنّى كنت احارب قوما ادخلوا فى الاسلام زيفاً، و أحدثوا به اعوجاجاً، فلما دعونى إلى تحكيم الكتاب أمسكت عن قتلهم و أبقيت عليهم، لأنّى طمعت فى أمر يلم الله به شعث المسلمين.

قلت: بل الظاهر أنّه حرّف عن موضعه، و أنّه كان مقول قول الخوارج فى أول الأمر، لما حملوه عليه السّلام على التحكيم بعد قولهم فى أول الفصل: «اخواننا و أهل دعوتنا استقالونا و استراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأى القبول منهم و التنفيس عنهم» كما لا يخفى، و إلّا فكيف يقول عليه السّلام: أصبحنا نقاتل إخواننا فى الاسلام؟ و كيف يقول عليه السّلام فى أول كلامه: «إنّ رفعهم المصاحف إنّما كان حيلة و غيلة و مكرا و خديعة»، و يقول فى آخر كلامه: «فاذا طمعنا فى خصلة يلم الله به شعتنا...»؟

و إنّما كان عليه السّلام يقول للخوارج: إنّى و ان كنت كارها للتحكيم، إلّا أنّه لما أكرهتمونى، عليه صرفته إلى المشروع بقبول حكم الحكم إذا كان من كتاب الله، و عقد بذلك عهد يجب الجرى عليه، حتى نرى ما يحكم الحكمان.

و كيف يقول عليه السّلام: معاوية و عمرو بن العاص و أهل الشام اخواننا فى الإسلام، و طمعنا منهم فى خصلة يلم الله به شعتنا؟ و يقول صاحبه عمّار - حين نظر إلى راية عمرو بن العاص -: و الله انّ هذه الراية قد قاتلتها ثلاث مرات، و ما هذه بأرشدهنّ. ثم قال:

فاليوم نضربكم على تأويله

نحن ضربناكم على تنزيله

ص: ٣٨٠

أو يرجع الحقّ إلى سبيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله

الخطبة (١١٩) و من كلام له عليه السلام، و قد قام إليه رجل من أصحابه، فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندر أى الأمرين أرشد؟ فصق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى، ثم قال:

هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ - أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ - بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ - الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا - فَإِنْ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ - وَإِنْ اغْوَجْتُمْ قَوْمُكُمْ - وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ لَكَانَتِ الْوُثْقَى - وَلَكِنْ بَيْنَ وَ إِلَى مَنْ - أُرِيدُ أَنْ أَدَاوِيَ بِكُمْ وَ أَنْتُمْ دَائِي - كَنَاقِشِ الشُّوكَةَ بِالشُّوكَةِ - وَ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلَعَهَا مَعَهَا - اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطْبَاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوَى - وَ كَلَّتِ النَّزْعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ - أَتَيْنَ الْقَوْمَ الَّذِينَ دَعَا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ - وَ قَرَأُوا؟ الْقُرْآنَ؟ فَأَحْكَمُوهُ - وَ هَيَّجُوا إِلَى الْقِتَالِ فَوَلَّوْهُ - وَلَهُ اللَّقَاحُ إِلَى أَوْلَادِهَا - وَ سَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا - وَ أَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفًا زَحْفًا - وَ صَفًّا صَفًّا بَعْضُ هَلَكَ وَ بَعْضُ نَجَا - لَا يُبَشِّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ - وَ لَا يُعَزِّوْنَ بِالْمَوْتِ - مُرُّهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ - خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ - ذُبُلُ الشِّفَاءِ مِنَ الدُّعَاءِ - صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ - عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبْرَةُ الْخَاشِعِينَ - أُولَئِكَ إِخْوَانِي الدَّاهِبُونَ - فَحَقٌّ لَنَا أَنْ نُنْظِمَ إِلَيْهِمْ - وَ نَعَصَّ الْأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ - إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسْنِي لَكُمْ طَرَفَهُ - وَ يُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً - وَ يُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ - فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَ نَفَثَاتِهِ - وَ اقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ - وَ اعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ

ص: ٣٨١

أقول: رواه ابن عبد ربّه في (عقده ابن عبد ربّه - العقد الفريد - ج ٤ ص ١٦٢)^{٩٥٨} مع اختلاف، فروى عن نافع بن كليب، قال: دخلت الكوفة للتسليم على أمير المؤمنين على عليه السلام، فأنني لجالس تحت منبره، و عليه عمامة سوداء و هو يقول: «انظروا هذه الحكومة، فمن دعا إليها فاقتلوه و إن كان تحت عمامتي هذه» فقال له عدى بن حاتم: قلت لنا أمس:

من أبى عنها فاقتلوه، و تقول لنا اليوم: من دعا إليها فاقتلوه، و الله ما ندرى ما نضع بك؟ و قام إليه رجل أحذب من أهل العراق، فقال: أمرت بها أمس و تنتهى عنها اليوم؟ فأنت كما قال الأول: «آكلك و أنا أعلم ما أنت» فقال عليه السلام: إلى يقال هذا؟ (أصبحت اذكر أرحاما و أصره بدلت منها هوى الريح بالقصب) أما و الله لو أني حين أمرتكم بما أمرتكم به، و نهيتكم عما نهيتكم، حملتكم على المكروه الذى جعل الله عاقبته خيرا، إذن كان فيه، و لكانت الوثقى التى لا تقلع، و لكن بمن والى من ادأويكم؟ كأنى و الله بكم كناقش الشوكة بالشوكة! يا ليت لى بعض قومى، و ليت لى من بعد خير قومى. اللهم إن دجلة و الفرات نهران أعجمان أصمان أبكمان، اللهم سلط عليهما بحرك، و انزع منهما نصرك، وبل للنزعة بأشطان الركى! دعوا إلى الاسلام فقبلوه، و قرءوا القرآن فأحسنوه، و نطقوا بالشعر فأحكموه، و هيجوا إلى الجهاد فولهوا و له اللقاح أولادها، ضربا ضربا و زحفا زحفا، لا يتباشرون بالحياة، و لا يعززون على القتلى، و لا يغيرون على العلى:

اولئك إخوانى الزاهبون

فحقّ البكاء لهم أن يطيبا

رزقت حبيبا على فاقة

و فارقت بعد حبيب حبيبا

ثم نزل تدمع عيناه. فقلت: إنا لله و إنا إليه راجعون على ما صرت إليه.

فقال: نعم إنا لله و إنا إليه راجعون، أقومهم - و الله - غدوة و يرجعون إلى عشيّة

ص: ٣٨٢

مثل ظهر الحية! حتى متى، و إلى متى؟ حسبي الله و نعم الوكيل ...

هكذا وجدت في نسخته، و لا يخلو من تصحيّفات، كما لا يخفى.

قول المصنف: «و من كلام له عليه السّلام و قد قام إليه» ليست الكلمة في (ابن أبي الحديد^{٩٥٩} و ابن ميثم^{٩٦٠}).

«رجل من أصحابه» قد عرفت من رواية (العقد) أنّه كان رجلا أحذب.

«فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندر» هكذا في (المصرية)^{٩٦١}، و الصواب: (فما ندرى) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب). أي: الأمرين، الحكومة و تركها.

«أرشد» أي: أقرب إلى الصواب.

«فصفق عليه السّلام» أي: ضرب.

«إحدى» و في (ابن ميثم): «باحدى».

«يده على الاخرى ثم قال هذا جزاء من ترك العقدة» أي: استحكام الأمر، كمن يشدّ الشيء بحبل، قال ابن أبي الحديد^{٩٦٢}: في هذا الكلام اعتراف بأنّه ظهر له - في ما بعد - أنّ الرأى الأصح كان الاصرار و الثبات على الحرب، و أنّ للإمام أن يعمل بموجب ما يغلب على ظنّه، فلما نهاهم كان نهيه مصلحة، و لما أمرهم كانت المصلحة في ظنّه قد تغيّرت، كالطبيب الذى ينهى المريض اليوم عن أمر و يأمره بمثله غدا.

^{٩٥٩} (١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٩١.

^{٩٦٠} (٢) شرح ابن ميثم ٣: ١١٤.

^{٩٦١} (٣) الطبعة المصرية ١: ٢٣٣.

^{٩٦٢} (٤) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٩٢.

قلت: هو تفسير غلط، كغلط اعتراض المعترضين، فنهاهم أولاً عن الحكومة لكونها مفسدة محضة، و لما أجبروه عليها و عقد عهداً، نهاهم عن

ص: ٣٨٣

نقض العهد، لا أنه أمرهم بالحكومة، فلمّا كتبوا كتاب الصلح و ندموا.

قام محرز بن حريش - كما فى (صفين نصر)^{٩٦٣} - و قال له عليه السّلام: ما إلى الرجوع من هذا الكتاب سبيل، فو الله إننى لأخاف أن يورث إلّا؟ فقال عليه السّلام: أمّا بعد أن كتبناه ننقضه، إن هذا لا يحلّ.

و لا غرو أن يعترضوا عليه عليه السّلام، فقد اعترض فاروقهم على النّبي صلّى الله عليه و آله يوم الحديبية، ففى (الطبرى)^{٩٦٤} - بعد ذكر كتابة الصلح بين النّبي صلّى الله عليه و آله و قريش فى الحديبية -: أتى عمر النّبي صلّى الله عليه و آله و قال له: أ لست برسول الله؟ قال: بلى. قال:

أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أو ليسوا بالمشرّكين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطى الدّنية فى ديننا؟ فقال له النّبي صلّى الله عليه و آله: أنا عبد الله و رسوله، لن اخالف أمره و لن يضيعنى.

و فيه^{٩٦٥}: كان على عليه السّلام ذات يوم فى خطبته إذ حكمت المحكمة فى جوانب المسجد، فقال على عليه السّلام: الله أكبر، كلمة حق يراد بها باطل، إن سكتوا عممناهم، و إن تكلموا حججناهم، و إن خرجوا علينا قاتلناهم. فوثب يزيد بن عاصم المحاربى، فقال: اللهم إنّنا نعوذ بك من اعطاء الدّنية فى ديننا، فإنّ إعطاء الدّنية فى الدين إدهان فى أمر الله، و ذلّ راجع بأهله إلى سخط الله

و فى (ملل الشّهرستانى)^{٩٦٦}: شبهات امّة كل نبي فى آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء أوّل زمانه، فإن خفى علينا ذلك فى الامم السالفة، فلم يخف فى هذه الامّة أنّ شبهاتها نشأت من شبهات منافقى زمان النّبي صلّى الله عليه و آله، إذ لم يرضوا بحكمه فى ما كان يأمر و ينهى

ص: ٣٨٤

و من العجب أنّ الناس لم يريدوا أمير المؤمنين الذى كان نفس النّبي صلّى الله عليه و آله علماً و عملاً، و أرادوا عمر الذى منع النّبي صلّى الله عليه و آله من الوصية قائلاً:

إنّه يهجر. و صار سبباً لحصول هذه الفرق الباطلة، مع أنّ النّبي صلّى الله عليه و آله قال:

^{٩٦٣} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥١٩.

^{٩٦٤} (٢) تاريخ الطبرى ٢: ٦٣٤.

^{٩٦٥} (٣) تاريخ الطبرى ٥: ٧٢.

^{٩٦٦} (٤) الملل للشّهرستانى ١: ١٠.

«أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي».

فلما خطبهم قيس بن سعد بن عبادة بعد غدر الحكيمين، و قال لهم:

عودوا بنا إلى قتال عدونا و عدوكم. قال عبد الله بن شجرة السلمى له: إنَّ الحقَّ قد أضاء لنا، فلسنا نتابعكم أو تأتونا بمثل عمر.

قاتلهم الله، يكفرون أمير المؤمنين عليه السَّلام بحكمية القرآن، و لا يكفرون عمر بحكمية عبد الرحمن بن عوف، حتى يختار لإمامتهم رئيس بنى امية، حتى يتخذوا دين الله دغلا و عباده خولا.

و يقول أبو سفيان يوم بويع عثمان بتدبير عمر: تداولوا الخلافة بينكم تداول الكرة فلا جنَّة و لا نار. و يصلَّى الوليد بن عقبة - أخا عثمان لامَّة أيام ولايته على الكوفة من قبله - بالناس سكران، و يصلَّى الصبح بهم أربعا، و يقول: لو شتتم أزيدكم على الأربع.

و إذا اسس الأمر على ولاية صديقهم و فاروقهم يصير المرجع هكذا.

و من العجب أنَّهم كانوا يرجحون سنَّتهما على سنَّة النبي صلَّى الله عليه و آله، فلمَّا خرجت الخوارج من الكوفة أتاه عليه السَّلام أصحابه و قالوا له: نحن أولياء من و البيت، و أعداء من عاديت. فشرط لهم سنَّة النبي صلَّى الله عليه و آله، فجاءه ربيعة بن شداد الخثعمي - و كان شهد معه الجمل و صفين، و معه راية خثعم - فقال عليه السَّلام له:

بايع على كتاب الله و سنَّة رسوله. فقال له ربيعة: على سنَّة أبى بكر و عمر.

فقال عليه السَّلام له: ويلك! لو أنَّ أبَا بكر و عمر عملا بغير كتاب الله و سنَّة رسوله لم يكونا على شيء من الحق، أما و الله لكأننى بك و قد نفرت مع هذه الخوارج

ص: ٣٨٥

فقتلت، و كأننى بك و قد وطئت الخيل بحوافرها. فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة، و وطئته الخيل و شدخوا وجهه و رأسه.

كما أنَّ أبَا موسى يقول لعمر و بن العاص: نخلع عليّا و نحیی سنَّة عمر.

لكن لا غرو هذه سنَّة فطرية: كلَّ يميل إلى سنخه، و كلَّ يعمل على شاكلته، فأبو موسى الذى شهد حذيفة صاحب سر النبي صلَّى الله عليه و آله بنفاقه، و سعد و المغيرة بن شعبة و نظراؤهم - من الذين اتفق على نفاقهم - لم يريدوا غير عمر، كما أنَّ سلمان و أبَا ذر و المقداد و عمَّار و حذيفة و نظراءهم - ممَّن اتفق على إيمانه - لم يريدوا غير أمير المؤمنين عليه السَّلام.

و خطب الحجاج فقال - كما فى (العقد)-: يا أهل العراق بلغنى أنّكم تروون أنّ من ملك عشرة رقاب من المسلمين جىء به يوم القيامة مغلولاً يده إلى عنقه، حتى يفكّه العدل أو يوبقه الجور، و ايم الله إننى لأحب إلى أن أحشر مع أبى بكر و عمر مغلولاً، من أحشر معكم مطلقاً.

و نظير عدم تمييزهم بين نهيه عن الحكومة، و أمره بالوفاء بالعهد بعد الكتابة: أنّ شيعته عليه السلام لما بايعوه ثانية و قالوا له: «نحن أولياء من واليت و أعداء من عاديت» قالوا لهم: استبقتم أنتم و أهل الشام إلى الكفر كفرسى رهان، بايع معاوية أهل الشام على ما أحبوا و كرهوا، و بايعتم أنتم عليّاً على أنّكم أولياء من و إلى و أعداء من عادى. و معلوم أنّه عليه السلام لم يحب إلّا كتاب الله و سنّة نبيّه، و لم يكره إلّا تركهما، كما أنّ معاوية بالعكس.

و أجابهم زياد بن النضر من شيعته فقال لهم: و الله ما بسط علىّ عليه السلام يده فبايعناه إلّا على كتاب الله و سنّة نبيّه، و هو على الحق و الهدى، و من خالفه ضال مضل. و لكونه عليه السلام كذلك ترك يوم الشورى حقّه لمّا أراد ابن عوف - حكم عمر منه - قبول سنّة أبى بكر و عمر، كما أنّ معاوية قال لهم عام

ص: ٣٨٦

الجماعة: ما بايعتكم على أن تصلّوا و تصوموا، بل لأنّا أمر عليكم. و قال: كلّ ما شرطت فى بيعته الحسن فهو تحت قدمى.

و من العجب أنّهم رووا من صدّيقهم و فاروقهم، و كذا ذى نوريهم فى الست الاولى من خلافته الذين تولوه فيها، تلك الخزايا المذكورة فى محلّها، و المطوّقة عليهم طوق الحمام و لم يقولوا شيئاً. و أمّا طعنهم عليه فى السنّى الأخيرة حتى قتله فلم يكن غضبا لله بل لأنفسهم، حيث خصّ الدنيا ببنى امية، حتى إنّه عزل عمرو بن العاص، و بخص عايشة زيادة يعطيها أبوها و عمر، و أمّا بالنسبة إليه عليه السلام فأجبروه على التحكيم، و قالوا له: إنّ قتال معاوية الغدار و لعين النّبى صلّى الله عليه و آله لمّا قال لهم مكرًا و خديعة: «بيننا كتاب الله» كفر. ثم قالوا له بعد الإجماع: إنّ قبوله عليه السلام الحكم بالقرآن كفر، و بيعته الناس له على الكتاب و السنّة كفر. و لا غرو فإنّ فرعون الذى استخف قومه فقال لهم:

«أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى»^{٩٦٧} لم يقولوا له: أنت بشر مثلنا. و يقول فرعون لموسى - لمّا قال له: أنا رسول من ربكم إليكم - إيت بآية إن كنت من الصادقين. فأتاه بآيتين عظيمتين، فقالوا له: أنت ساحر عليم.^{٩٦٨}

و من العجب أنّهم لم يقبلوا من أمير المؤمنين عليه السلام أن يحكم ابن عباس، و يقولون له: إنّه منلك. مع أنّ بينه عليه السلام و بين ابن عباس ما بين السماء و الأرض، و لم يقولوا لمعاوية: لا نقبل حكمية عمرو بن العاص - مع أنّهما كانا كنفس واحدة، من طفولتهما إلى موتهما - و نقاتلك حتى تحكّم حكماً عدلاً.

«اما و الله لو أنّى حين أمرتكم بما أمرتكم به، حملتكم على المكروه الذى يجعل

^{٩٦٧} (١) النازعات: ٢٤.

^{٩٦٨} (٢) معنى الآيات ١٠٤ - ١٠٩ من سورة الأعراف.

اللَّهِ فِيهِ خَيْرًا» قَالَ تَعَالَى «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ»^{٩٦٩}.

«فإن استقمتم هديتكم، و إن اعوججتم قومتمكم، و إن أبيتم تداركتكم، وكانت الوثقى» قال ابن أبي الحديد معنى قوله: «أما و الله ...» أى: لو كنت أحملك على الحرب فإن استقمتم اهتديتم، و إن اعوججتم بفتور و قلّة جد قومتمكم بالتحريض، و إن امتنعتم تداركت الأمر، إمّا بالاستنجد بغيركم من قبائل العرب، كانت هى العقدة الوثقى. أى: الرأى الأصوب.

قلت: هذا أيضا غلط منه، فلما زاغ فى الكلام الأول حصل له الزيغ إلى الآخر، فإن المراد إنّما هو أنّه عليه السّلام لو كان فعل ذلك كان العقدة الوثقى، أى:

الاستحكام الكامل للأمر حتى لا يؤل إلى ما آل، إذا كان متمكنا من ذلك، و لكن لم يتمكن كما قال بعد: «و لكن بمن و إلى من ...».

و من الغريب أنّ ابن أبي الحديد^{٩٧٠} مع ادعائه المعرفة قال - تفريعا على تفسيره الغلط -: إنّ عليّا عليه السّلام ما أخطأ، بمعنى: ارتكاب الإثم، و لكنّه ترك الرأى الأصوب، كما قال الحسن البصرى: «هلا مضيت قدما لا أبا لك» و قد قيل: إنّ قول على عليه السّلام:

لقد عثرت عثرة لا انجبر سوف اكيس بعدها و استمر

و اجمع الرأى الشيت المنتشر إشارة إلى هذا المعنى. و قيل فيه غير ذلك، و قال الجاحظ: من عرفه عرف أنّه غير ملوم فى الانقياد معهم إلى التحكيم، فإنّه ملّ من القتل و تجريد السيف ليلا و نهارا، و ملّت الخيل من تقحّم الأهوال بها، و ضجر من دوام تلك الخطوب الجليّة و الارزاء العظيمة، و استلاب الأنفس و تطاير الأيدى و الأرجل بين يديه،

و أكلت الحرب أصحابه و أعداءه و عطلت السواعد، و خدرت التى سلمت من وقايح السيوف بها، و لو أنّ أهل الشام لم يستعفوا من الحرب و يستقيلوا من المقارعة و المصارمة، لأدت الحال إلى قعود الفيلقين معا، و لزومهم الأرض و القائهم السلاح

^{٩٦٩} (١) البقرة: ٢١٦.
^{٩٧٠} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٩٢-٢٩٣.

قلت: الحسن البصرى و الجاحظ أيضا غلطا. أمّا قول الحسن: «هلا مضيت قدما» أين يمضى قدما؟ فكانوا يقتلونهم لو كان مضى، و قد أراد الأشر المضى فما خلوه، و أجبروه عليه السّلام على منعه، فقال إبراهيم بن الأشتر لمصعب:

كنت عند على عليه السّلام حين أكرهه الناس على الحكومة، و قالوا له: ابعث إلى الأشتر فليأتك. فأرسل، فقال لرسوله: قل له: ليس هذه الساعة التى ينبغى لك أن تزيلنى فيها عن موقفى، إننى قد رجوت أن يفتح لى، فلا تعجلنى. فرجع الرسول إليه، و قال له، قالوا له عليه السّلام: لترسلنّ إلى الأشتر فليأتينك، أو لنقتلنك كما قتلنا ابن عفان. فرجع الأشتر و قال لهم: أمهلونى عدو فرس. قالوا: اذن ندخل فى خطيئتك.

و فى (العقد): أن الخوارج اعترضوا عليه اعتراضات، فأجابهم عنها، و منها: و أمّا قولكم: إننى لم أضربكم بسيفى يوم صفين حتى تفتيوا إلى أمر الله، فإن الله عز و جل يقول: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ»^{٩٧١}، و كنتم عددا، و أنا و أهل بيتى فى عدّة يسيرة.

و أمّا قول الجاحظ، فكيف كان عليه السّلام يملّ من الحرب و قد كان كتب إلى معاوية: جاءنى كتابك تذكر أنك لو علمت و علمنا أن الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت، لم يجنّها بعضنا على بعض. فإنّا و إياك منها فى غاية لم تبلغها بعد، و إننى لو قتلت فى ذات الله و حييت، ثم قتلت ثم حييت سبعين مرّة، لم أرجع عن

ص: ٣٨٩

الشدة فى ذات الله، و الجهاد لأعداء الله. ذكره صفين نصر^{٩٧٢}.

و فيه^{٩٧٣}: أن رجلا من أهل الشام خرج بين الصفين، و دعاه عليه السّلام فخرج إليه فقال له عليه السّلام: إن لك قدما فى الاسلام و هجرة، فهل لك فى أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء و تأخير هذه الحروب؟ ترجع و ترجع. فقال عليه السّلام له:

لقد عرفت أنك إنما عرضت هذا نصيحة و إشفافا، و لقد أهمنى هذا الأمر و أسهرنى، و ضربت أنفه و عينه فلم أجد إلّا القتال، أو الكفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه و آله، إن الله تعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى فى الأرض و هم سكوت مذعنون، لا يأمرّون بالمعروف و لا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون علىّ من معالجات الأغلال فى جهنم. فرجع الشامى و هو يسترجع.

نعم ما ذكره من ملل أصحابه صحيح، و هو السبب فى إجبارهم له على القبول.

^{٩٧١} (١) البقرة: ١٩٥.

^{٩٧٢} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٧١.

^{٩٧٣} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٧٤.

و فيه ^{٩٧٤}، في رجوعه عليه السّلام عن صفين: لقي عليه السّلام عبد الله بن وديعه الأنصاري، قال: ما سمعت الناس يقولون في أمرنا هذا؟ قال: يقولون: إنّ عليّاً كان له جمع عظيم ففرّقه، و حصن حصين فهدمه، فحتى متى يبني مثل ما قد هدم، و يجمع مثل ما قد فرق؟ فلو أنّه كان مضى بمن أطاعه - إذ عصاه من عصاه - فقاتل حتى يظهره الله أو يهلك، إذن كان ذلك هو الحزم. فقال على عليه السّلام:

أنا هدمت أم هم هدموا: أنا فرقّت أم هم تفرّقوا، و أمّا قولهم: لو أنّه مضى بمن أطاعه - إذ عصاه من عصاه - يقاتل حتى يظفر أو يهلك، إذن كان ذلك هو الحزم، فو الله ما غبي عن رأيي ذلك، و إن كنت سخي النفس عن الدنيا، طيب

ص: ٣٩٠

النفس بالموت، و لقد هممت بالإقدام فنظرت إلى هذين قد استقدما، فعلمت أنّ هذين إن هلكا انقطع نسل محمّد صلى الله عليه و آله من هذه الامة. فكرهت ذلك و أشفقت على هذين أن يهلكا، و لقد علمت أنّ لو لا مكاني لم يستقدما - يعني ابنه الحسين عليهما السّلام - و ايم الله لئن لقيتهم بعد يومى هذا، لقيتهم و ليسا معى فى عسكر

و كيف يمكنه عليه السّلام المضى و لم يقنعوا بجبره على ترك الحرب، فأجبروه على جعل أبى موسى - مع عداوته معه و مبغضيته له عليه السّلام - حكما له عليه السّلام؟

«و لكن بمن و إلى من اريد أن أداوى بكم و أنتم دائى؟» فجمع من أصحابه صاروا خوارج كفّروه بقبوله حكمية القرآن، و جمع أغلقوا أبوابهم على أنفسهم، كلّما حرّضهم لم يتحرّكوا.

«كنافش الشوكة بالشوكة» فى (الجمهرة): نقشت عن الشوكة: إذا كشفت عنها اللحم و الجلد حتى تستخرجها بالمنقاش، و أصل النقش: استقصاؤك الكشف عن الشىء، و منه الحديث: من نقش الحساب عذب.

«و هو يعلم ان ضلعها معها» أى: ميل المنقوش بها مع المنقوش عنها، و فى (الصاح) فى المثل: «لا تنقش الشوكة بالشوكة، فإنّ ضلعها معها»: يضرب للرجل يخاصم الآخر، فيقول: اجعل بينى و بينك فلانا. لرجل يهوى هواه.

«اللهم قد ملّت أطباء هذا الداء الدوى» هو كقوله عليه السّلام - فى موضع آخر - ما داؤكم و ما دواؤكم؟

«وكلّت» أى: أعيت.

«النزعة» جمع النازع: من نزع الدلو من البئر.

«بأشطان» جمع الشطن: الحبل الطويل.

ص: ٣٩١

«الرکی» أى: البئر.

«أین القوم الذین دعوا الى الاسلام فقبلوه» فى (صفین نصر)^{٩٧٥} عن عمر بن سعد، عن مسلم الملاى، عن حبة العرنى، قال: لما نزل على علیه السلام الرقة بمكان يقال له: بلیخ، على جانب الفرات، نزل راهب من صومعته، و قال له علیه السلام:

إنّ عندنا کتابا توارثناه عن آبائنا، کتبه عیسی بن مریم علیه السلام، أعرضه علیک؟

قال على علیه السلام: نعم، فما هو؟ قال الراهب: بسم الله الرحمن الرحيم الذى قضى ما قضى و سطر ما سطر: أنّه باعث فى الامیین رسولا منهم، یعلمهم الکتاب و الحکمة، و يدلهم على سبیل الله، لا فظّ و لا غلیظ، و لا صخّاب فى السواق، و لا یجزى بالسیئة السيئة، و لكن یعفو و یصفح، أمّته الحمادون الذین یحمدون الله على کلّ نشز، و فى کلّ صعود و هبوط، تذلل ألسنتهم بالتهلیل و التکبیر، و ینصره الله على کلّ من ناواه، فاذا توفاه الله اختلفت أمّته ثم اجتمعت، فلبثت بذلك ما شاء الله ثم اختلفت، فیمرّ رجل بشاطيء هذا الفرات، یأمر بالمعروف و ینهى عن المنکر، و یقضى بالحق، و لا یرتشى فى الحکم، الدنیا أهون علیه من الرماد فى یوم عصفت الريح، و الموت أهون علیه من شرب الماء على الظمّ، یخاف الله فى السرّ و ینصح له فى العلانیة، و لا یخاف فى الله لومة لائم، من أدرك ذلك النبى من أهل هذه البلاد فأمن به، کان ثوابه رضوانى و الجنة، و من أدرك ذلك العبد الصالح فلینصره، فإنّ القتل معه شهادة. فأنا مصاحبک غیر مفارکک حتى یصیبنى ما أصابک. فبکی على علیه السلام ثم قال: الحمد لله الذى لم یجعلنى عنده منسیّا، الحمد لله الذى ذکرنى فى کتب الأبرار. و مضى الراهب معه، و کان فى ما ذکره یتغدى مع علىّ علیه السلام و یتعشى، حتى اصیب یوم صفین، فلما خرج الناس یدفنون قتلاهم، قال علىّ علیه السلام: اطلبوه. فلما وجدوه

ص: ٣٩٢

صلّى علیه و دفنه، و قال: هذا منّا أهل البيت. و استغفر له مرارا.

«و قرءوا القرآن فاحکموه، و هیجوا الى القتال» هکذا فى (المصرية)^{٩٧٦}، و الصواب: (إلى الجهاد) كما فى (ابن أبى الحديد)^{٩٧٧} و ابن میثم^{٩٧٨} و الخطیبة).

«فولھوا و له اللقاح» جمع اللقحة و اللقوح، أى: الناقة الدرور و الحلوب، قال ابو عمرو: إذا نتجت الناقة فهى لقوح، شهرین أو ثلاثة، ثم هی لبون.

^{٩٧٥} (١) صفین لنصر بن مزاحم: ١٤٧.

^{٩٧٦} (١) الطبعة المصرية ١: ٢٣٤.

^{٩٧٧} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٧: ٢٩١.

^{٩٧٨} (٣) شرح ابن میثم ٣: ١١٥.

«إلى أولادها، و سلبوا السيوف أغمادها» كناية عن مقاتلتهم و استماتتهم، و فى (صفين نصر)^{٩٧٩}: كان الأشتر يقاتل و فى يده صحيفة يمانية، إذا طأطأها خلت فيها ماء منصبا، و إذا رفعها كان يغشى البصر شعاعها، يضرب بسيفه قدما و هو يقول: «غمرات ثم ينجلين» فبصر به الحارث بن جهمان الجعفى، فدنا منه و قال له: جزاك الله عن أمير المؤمنين، و جماعة المسلمين خيرا. و قال منقذ الناعطى لأخيه حمير: ما فى العرب رجل مثل هذا.

«و أخذوا بأطراف الأرض زحفا زحفا» أى: يجرون أنفسهم إلى العدو، كالصبي الذى يزحف على الأرض قبل أن يمشى.

و فى (صفين نصر)^{٩٨٠}: خرج عمّار إلى القتال و صفّت الخيول و زحف الناس، و على عمّار درع و هو يقول: أيّها الناس الرواح إلى الجنة. فاقتتل الناس قتالا شديدا لم يسمع الناس بمثله، و كثرت القتل حتى أن كان الرجل ليشد طنبا فسطاطه بيد رجل أو رجله.

ص: ٣٩٣

و فيه^{٩٨١}: قال الأحنف: كنت إلى جانب عمّار، حتى إذا دنونا من هاشم بن عتبة فقال له عمّار: احمل فداك أبى و امى. فقال له هاشم: رحمك الله إنك رجل تأخذك خفة فى الحرب، و إنى إنّما أزحف باللواء زحفا و أرجو أن أنال بذلك حاجتى، و إنى إن خفت لم آمن الهلكة. و قد كان معاوية قال لعمر: ويحك! إنّ اللواء اليوم مع هاشم، و قد كان من قبل يرقل به إرقالا، و إنّه إن زحف به اليوم أنّه لليوم الأطول لأهل الشام.

«بعض هلك» كزيد بن صوحان فى الجمل، و عمّار و المرقال و ابن بديل من المعروفين فى صفين.

«و بعض نجا» كالأشتر و محمد بن أبى بكر من معروفهم، نجيا من القتل فى الجمل و صفين، و لكن استشهدا بعد.

و فى (صفين نصر)^{٩٨٢}: قال الأشتر لمذحج: عليكم بهذا السواد الأعظم، فإنّ الله لو قد فضه تبعه من بجانيه، كما يتبع السيل مقدمه. قالوا: خذ بنا حيث أحببت. و استقبله سنام من همدان و كانوا ثمانمائة مقاتل، و كانوا صبروا فى ميمنة علىّ عليه السلام حتى أصيب منهم ثمانون و مائة رجل، و قتل منهم أحد عشر رئيسا، كلّما قتل منهم رجل أخذ الراية آخر - إلى أن قال - اذ مرّ الأشتر بزياد بن النضر يحمل إلى العسكر، فقال: من هذا؟ قيل: زياد بن النظر، استلحم هو و أصحابه فى الميمنة، فتقدّم زياد فرفع لأهل الميمنة رايته، فصبروا و قاتل حتى صرع. ثم لم يمكثوا إلّا كلا شيء حتى مرّوا بيزيد بن قيس محمولا إلى العسكر، فقال: من هذا؟ قالوا: يزيد بن قيس، لما صرع زياد بن النضر رفع لأهل الميمنة رايته، فقاتل حتى صرع، فقال الأشتر: هكذا و الله

ص: ٣٩٤

^{٩٧٩} (٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٥٤ - ٢٥٥.

^{٩٨٠} (٥) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٣٩.

^{٩٨١} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٤٠.

^{٩٨٢} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٥٢.

الصبر الجميل، و الفعل الكريم.

«لا يبشرون بالأحياء ولا يعزّون بالموتى» هكذا فى (المصرية)^{٩٨٣}، و الصواب: (عن الموتى) كما فى (ابن أبى الحديد)^{٩٨٤} و ابن ميثم^{٩٨٥} و الخطيئة).

و كيف كان، فالمراد بمن لا يبشر و لا يعزى: من كان من غير الأشراف من المؤمنين، و فى (صفات شيعة ابن بابويه) عن الباقر عليه السلام لجابر الجعفى:

شيعة علىّ عليه السلام من لا يهرّ هرير الكلب، و لا يطمع طمع الغراب، و لا يسأل الناس و ان مات جوعا، اولئك الخفيفة عيشتهم، المنتقلة ديارهم، ان شهدوا لم يعرفوا، و ان ماتوا لم يشهدوا، و ان مرضوا لم يعادوا، فى قبورهم يتزاورون.

فقال له جابر: أين أطلبهم؟ قال: فى أطراف الأرض، و بين الأسواق.

«مره» فى (الصحيح): قال أبو عبيدة: المره: البياض الذى لا يخالطه، غيره و إنما قيل للعين التى ليس فيها كحل: مرهء، لهذا المعنى.

«العيون من البكاء، خمس البطون» أى: ضامرة.

«من الصيام» فى (ذيل الطبرى)^{٩٨٦} عن امّ الحكم بنت عمّار: لما كان اليوم الذى قتل فيه عمّار، كان معه ضيح من لبن، ينتظر وجوب الشمس أن يفطر، فحين وجبت شرب الضيح و قال: سمعت النبى صلى الله عليه و آله يقول: «آخر زادك من الدنيا ضيح من لبن» ثم اقترب فقاتل حتى قتل.

و زاد (الارشاد)^{٩٨٧} فى وصف شيعته عليه السلام: حذب الظهور من القيام.

«ذبل» من: ذبل البقل، أى: زوى.

ص: ٣٩٥

«الشفاء من الدعاء» فى (الطبرى)^{٩٨٨}: قتل عبد الله بن كعب المرادى فى صفين، فمرّ به الأسود المرادى بآخر رمق، فقال له: أما و الله أن كان جارك ليأمن بوائكك، و أن كنت من الذاكرين الله كثيرا، أوصنى رحمك الله. فقال:

^{٩٨٣} (١) الطبعة المصرية ١: ٢٣٤.
^{٩٨٤} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٧: ٢٩١.
^{٩٨٥} (٣) شرح ابن ميثم ٣: ١١٥.
^{٩٨٦} (٤) ذيل المذيل للطبرى ٨: ١٥.
^{٩٨٧} (٥) الإرشاد: ٢٣٧، مؤسسة آل البيت عليهم السلام.
^{٩٨٨} (١) تاريخ الطبرى ٥: ٤٦.

أوصيك بتقوى الله، و أن تناصح أمير المؤمنين عليه السلام، و قاتل معه المحليين.

«صفر اللون من السهر» أى: الأرق و عدم النوم.

«على وجوههم غبرة الخاشعين» فى (صفين نصر)^{٩٨٩}: قال ذو الكلاع الحميرى - و هو من أصحاب معاوية لأبى نوح الحميرى، و هو من أصحاب على عليه السلام -: حدّثنا عمرو بن العاص فى إمارة عمر بن الخطاب أنّ النبى صلى الله عليه و آله قال: «يلتقى أهل الشام و أهل العراق، و فى إحدى الكتبتين الحق و إمام الهدى، و معه عمّار». فقال له أبو نوح: إنّ عمّارا لفينا - إلى أن قال - بعد مسير أبى نوح مع ذى الكلاع إلى عمرو بن العاص بالأمان - فقال له عمرو إننى لأرى عليك سيماء أبى تراب؟ قال له أبو نوح: نعم على سيماء النبى صلى الله عليه و آله و أصحابه، و عليك سيماء أبى جهل و سيماء فرعون. فقام أبو الأعور فسلّ سيفه، فقال: لا أرى هذا يشاتمنا بين أظهرنا و عليه سيماء أبى تراب. فقال له ذو الكلاع: لئن بسطت يدك إليه لأحطمن أنفك بالسيف، عقدت له بذمتى و جئت به إليكما، ليخبر كما عمّا تماريتم فيه من أمر عمّار.

«ولئك إخوانى الذاهبون» فى (صفات شيعة ابن بابويه) عن محمد بن الحنفية: لما قدم أبى البصرة - بعد قتال أهل الجمل - دعاه الأحنف و اتخذ له طعاما، فقال عليه السلام له: ادع لى أصحابى. فدخل عليه قوم متخشعون كأنهم شنان بوال، فقال الأحنف له عليه السلام: ما هذا الذى نزل بهم؟ أمن قلة الطعام، أم من

ص: ٣٩٦

هول الحرب؟ فقال عليه السلام له: يا أحنف إنّ لله سبحانه عبادا تنسكوا إليه فى دار الدنيا، تنسك من هجم على ما علم، من قربهم من يوم القيامة من قبل ان يشاهدوها، فحملوا أنفسهم على مجهودها، و كانوا إذا ذكروا صباح يوم العرض على الله تعالى، توهّموا خروج عنق تخرج من النار تحشر الخلائق إلى ربهم، و كتاب يبدو على رءوس الأشهاد فيه فضائح لهم، فكادت أنفسهم تسيل سيلانا، أو تطير قلوبهم بأجنحة الخوف طيرانا، فكانوا يحنون حنين الواله فى دجى الظلم، فمضوا ذبل الأجسام، حزينه قلوبهم، كالحة وجوههم، ذابلة شفاههم، خامصة بطونهم.

و عن الأصبع قال: خرج على عليه السلام ذات يوم و نحن مجتمعون، فقال: من أنتم، و ما اجتماعكم؟ قلنا: قوم من شيعتك. فقال: مالى لا أرى سيماء شيعتى عليكم؟ فقلنا: و ما سيماهم؟ فقال: صفر الوجوه من صلاة الليل، عمش العيون من مخافة الله، ذبل الشفاه من الصيام، عليهم غبرة الخاشعين.

«فحق لنا أن نظمأ إليهم» فيه عن السجاد عليه السلام: كان جالسا فى البيت إذ قرع عليهم قوم الباب، فقال: للجارية انظرى من بالباب؟ فقالوا: قوم من شيعتك.

فوثب عجلان حتى كاد أن يقع، و لما فتح الباب و نظر إليهم رجع، و قال: كذبوا، فأين السميت فى الوجوه و أين أثر العبادة

«و نعص الأیدی علی فراقهم» فی (الطبری)^{٩٩٠}: حزن علی علیه السّلام علی محمّد بن أبی بکر لما بلغه قتله، حتی رئی ذلك فی وجهه و تبین فیهِ، فقام خطيباً و قال: و إنّ محمّد بن أبی بکر قد استشهد رحمه الله، فعند الله نحتسبه، أما و الله أن كان ما علمت: لمن ينتظر القضاء، و يعمل للجزاء، و يبغض شكل الفاجر، و يحب هدى المؤمن.

ص: ٣٩٧

و فيه^{٩٩١}: قام الحسين عليه السّلام بذی حسم بعد التقائه بالحرّ و أصحابه، و قال: إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، و إنّ الدنيا قد تغيّرت و تنكرت، و أدبر معروفها و استمریت جدّاً، فلم يبق منها إلّا صباية كصباية الإناء، و خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحقّ لا يعمل به، و أنّ الباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن فی لقاء الله محققاً، فإنّی لا أرى الموت إلّا شهادة، و لا الحياة مع الظالمين إلّا برماً. فقام زهير بن القين فقال لأصحابه: تكلّمون أم أتكلم؟ قالوا: بل تكلّم. فقال: سمعنا مقاتلك: لو كانت الدنيا لنا باقية، و كنّا فيها مخلصين، لآثرنا الخروج معك علی الإقامة فيها.

«إنّ الشيطان يسنى» أى: يسهل.

«لكم طرقه و يريد أن يحلّ» أى: يفتح.

«دينكم عقدة عقدة، فاصدقوا» أى: اعرضوا.

«عن نزغاته» أى: إغراءاته.

«و نفثاته» أى: نفحاته.

«و اقبلوا النصيحة ممن أهداها إليكم، و اعقلوها» أى: احبسوها.

«على أنفسكم».

٤

الخطبة (٤٠) و من كلام له عليه السّلام فی الخوارج لما سمع قولهم: «لا حكم إلّا لله» قال عليه السّلام:

كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا الْبَاطِلُ - نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ - وَ لَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلَّهِ - وَ إِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ - يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ

ص: ٣٩٨

^{٩٩٠} (١) تاريخ الطبري ٥: ١٠٨.
^{٩٩١} (١) تاريخ الطبري ٥: ٤٠٣ - ٤٠٤.

الْمُؤْمِنُ - وَ يَسْتَمْتَعُ فِيهَا الْكَافِرُ - وَ يُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ وَ يُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ - وَ يُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ وَ تَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ - وَ يُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوَى - حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَ يُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ - وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ عَ لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ قَالَ - حُكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ - وَ قَالَ أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقَى - وَ أَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقَى - إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ وَ تُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ وَ

الحكمة (١٩٨) وَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَ الْخَوَارِجِ:

كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ وَ **الحكمة (٣٣٢)** وَ قَالَ ع: السُّلْطَانُ وَزَعَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ أَقُولُ: الْعُنَانُ الثَّانِي جُزْءٌ مِنَ الْعُنَانِ الْأَوَّلِ، فَهُوَ مِنْ تَكَرَّرِ غَفْلٍ عَنْهُ الْمَصْنَفُ.

ثُمَّ فِي الْعُنَانِ الْأَوَّلِ رَوَايَاتٌ، إِحْدَاهَا مَا فِي (أَنْسَابِ الْبِلَازْدَرِيِّ - أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ - الْبِلَازْدَرِيِّ) عَنْ رُوحِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيِّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَاصِمٍ: إِنَّ حُرُورِيَّةً عَلَى عَهْدِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالُوا: «لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ» فَقَالَ عَلِيٌّ: «إِنَّهُ كَذَلِكَ، وَ لَكُنْهُمْ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ. وَ لَا بَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ، بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَ يَسْتَمْتَعُ الْكَافِرُ، وَ يَبْلُغُ الْكِتَابُ أَجْلَهُ».

وَ رَوَى أَيْضًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ آدَمَ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ مَجَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ إِلَى الْحُرُورِيَّةِ - إِلَى أَنْ

ص: ٣٩٩

قَالَ - ثُمَّ خَرَجُوا فَتَوَافَوْا بِالنَّهْرَوَانِ، وَ أَقْبَلُوا يَحْكُمُونَ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ. وَ لَا بَدَّ مِنْ أَمِيرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَ يَسْتَمْتَعُ الْفَاجِرُ، وَ يَبْلُغُ الْكِتَابُ الْأَجَلَ، وَ إِنَّهَا لِكَلِمَةٍ حَقٍّ يَعْتَزُونَ بِهَا الْبَاطِلُ، فَإِنْ تَكَلَّمُوا حُجَجْنَاهُمْ، وَ إِنْ سَكَتُوا غَمَمْنَاهُمْ».

وَ رَوَى عَنْ بَكْرِ بْنِ الْهَيْثَمِ عَنْ أَبِي الْحَكَمِ الْعَبْدِيِّ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ الزَّهْرِيِّ فِي خَبَرٍ: فَإِذَا صَلَّى عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ خُطِبَ حُكْمًا، فَيَقُولُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَلِمَةُ حَقٍّ يَعْتَزُونَ بِهَا بَاطِلٌ.

وَ رَوَى عَنْ عَبَّاسِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي جَرَّةٍ الْحَنْفِيِّ: أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ فَخُطِبَ، فَإِنَّهُ لَفِيَ خُطْبَتَهُ إِذْ حَكَمَتِ الْمَحْكَمَةُ فِي جَوَانِبِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَلِمَةُ حَقٍّ يَعِزُّ بِهَا - أَوْ قَالَ: يَرَادُ بِهَا بَاطِلٌ - نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، وَ لَكُنْهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ لَا إِمْرَةَ. وَ لَا بَدَّ مِنْ أَمِيرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَ يَسْتَمْتَعُ الْفَاجِرُ، فَإِنْ سَكَتُوا تَرَكْنَاهُمْ - أَوْ قَالَ:

عَذَرْنَاهُمْ - وَ إِنْ تَكَلَّمُوا حُجَجْنَاهُمْ، وَ إِنْ خَرَجُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ.

قول المصنف في الأوّل «و من كلام له عليه السّلام في الخوارج» هكذا في (المصرية)^{٩٩٢}، و الصواب: ما في (ابن أبي الحديد)^{٩٩٣} و ابن ميثم)^{٩٩٤}: «في معنى الخوارج».

«لما سمع قولهم: لا حكم إلّا لله» في (كامل المبرد)^{٩٩٥}: قيل: إنّ أول من حكم من الخوارج عروة بن أدية: و قيل: بل سعيد، رجل من بنى محارب بن خصفة بن قيس عيلان. و قيل: بل الحجاج بن عبد الله المعروف بالبرك، و هو

ص: ٢٠٠

الذي ضرب معاوية على أليته. و أول من حكم بين الصّفين رجل من بنى يشكر، قتل رجلا من أصحابه عليه السّلام غيلة، ثم مرق بين الصّفين و حكم، و حمل على أهل الشام، فكثره فرجع، و حمل على أصحابه عليه السّلام، فخرج إليه رجل من همدان فقتله، فقال شاعر همدان:

و ما كان أغنى يشكرى عن التى
تصلى بها جمرا من النار حاميا

«قال عليه السّلام» هكذا في (المصرية)^{٩٩٦}، و ليس في (ابن أبي الحديد)^{٩٩٧} و ابن ميثم)^{٩٩٨} و الخطيئة) كلمة: «عليه السّلام»، و في (ابن ميثم): «فقال».

و كيف كان فكلّمة: «قال» أو «فقال» زائدة بعد قوله: «و من كلام له عليه السّلام».

قوله عليه السّلام في العنوانين: «كلمة حق» أى: قولهم «لا حكم إلّا لله»، ورد في القرآن كرارا، قال تعالى: «إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ أَمْرًا أَلَّا تُعْبَدُوا إِلَّا إِيَّاهُ»^{٩٩٩} «إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ»^{١٠٠٠} «إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ يَقِصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ»^{١٠٠١}.

«يراد بها الباطل» هكذا في (المصرية) في الأوّل، و الصواب: (باطل) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)، و كما في الثانى، و لأنّ المراد (باطل) مخصوص كالحق و لأنّ مستنده بلفظ (باطل)، فروى الطبرى^{١٠٠٢} أنّه عليه السّلام خرج ذات يوم يخطب إذ حكمت المحكمة في جوانب المسجد، فقال علىّ عليه السّلام: الله

^{٩٩٢} (١) الطبعة المصرية ١: ٨٧.

^{٩٩٣} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٠٧.

^{٩٩٤} (٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٠١.

^{٩٩٥} (٤) الكامل للمبرد ٢: ١٥٩ - ١٦٠.

^{٩٩٦} (١) الطبعة المصرية ١: ٨٧.

^{٩٩٧} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٠٧.

^{٩٩٨} (٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٠١.

^{٩٩٩} (٤) يوسف: ٤٠.

^{١٠٠٠} (٥) يوسف: ٦٧.

^{١٠٠١} (٦) الأنعام: ٥٧.

أكبر، كلمة حق يراد بها باطل، إن سكتوا عممناهم، و إن تكلموا حججناهم، و ان خرجوا علينا قاتلناهم. فوثب يزيد بن عاصم المحاربي، و قال: اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنيا في ديننا- إلى أن قال- ثم خرج هو و إخوة له ثلاثة، فاصيبوا مع الخوارج بالنهر، و اصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة.

و روى الخطيب^{١٠٠٣} في أبي قتادة الأنصاري عنه: أنه لما فرغنا من قتال أهل النهروان قفلت، و معي ستون أو سبعون من الأنصار، فبدأت بعائشة فقالت: قصّ عليّ القصة. فقلت: تفرقت المحكمة و هم نحو من اثني عشر الفا ينادون: لا حكم إلّا لله، فقال عليّ عليه السلام: كلمة حق يراد بها باطل- إلى أن قال- فقالت عائشة: ما يمنعني ما بيني و بين عليّ أن أقول الحق: سمعت النبي صلى الله عليه و آله يقول: «تفترق امتي على فرقتين، تمرق بينهما فرقة محلقة رؤوسهم، محفون شواربهم، ازهرهم إلى أنصاف سوقهم، يقرءون القرآن لا يتجاوز تراقيهم، يقتلهم أحبهم إليّ و أحبهم إلى الله تعالى». فقلت لعائشة: فأنت تعلمين هذا، فلم الذي كان منك؟ قالت: يا أبا قتادة، كان أمر الله قدرا مقدورا، و للقدور أسباب.

و روى في عبيد الله بن أبي رافع عنه: أن الحرورية لما خرجت فقالت: «لا حكم إلّا لله» قال عليّ عليه السلام: كلمة حق يراد بها باطل، إن النبي صلى الله عليه و آله وصف لى ناسا، إنني لأعرف صفتهم في هؤلاء، يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا- و أشار إلى حلقه- و هم من أبغض خلق الله إليه و فيهم أسود إحدى يديه كأنها طوى شاء أو حلمة ثدى. فلما قتلهم قال: انظروا. فنظروا فلم يجدوا شيئا، فقال:

ارجعوا فوالله ما كذبت و لا كذبت- مرتين أو ثلاثا-. فوجدوه في خربة.

ثم إن المصنف إنما قال: «إنه عليه السلام قال قوله: (كلمة حق يراد بها باطل) لما سمع قول الخوارج: (لا حكم إلّا لله)» مع أنه لم ينحصر به، فقال عليه السلام لما دعا

أهل الشام أصحابه إلى حكم القرآن، ففي (صفين نصر)^{١٠٠٤}: لما رفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى حكم القرآن، قال عليّ عليه السلام عباد الله أنا أحقّ من أجاب إلى كتاب الله، و لكن معاوية و عمرو بن العاص و ابن أبي معيط و حبيب بن مسلمة و ابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن، إنني أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالا و صحبتهم رجالا، فكانوا شرّ أطفال و شرّ رجال، إنها كلمة حق يراد بها باطل، إنهم و الله ما رفعوها لكم إلّا خديعة و مكيدة، أعيروني سواعدكم و جماجمكم ساعة واحدة ف، قد بلغ الحق مقطعه و لم يبق إلّا أن يقطع دابر الذين ظلموا. فجاءته زهاء عشرين ألفا مقنعين في الحديد، شاكي السلاح، سيوفهم على عواتقهم، و قد أسودت وجوههم من السجود، فنادوه باسمه: أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، و إلّا قتلناك كما قتلنا ابن عفان.

^{١٠٠٢} (٧) تاريخ الطبري ٥: ٧٢.
^{١٠٠٣} (١) الخطيب ١: ١٥٩-١٦٠.
^{١٠٠٤} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٨٩.

هذا، و فى (كامل المبرد)^{١٠٠٥}: خطب الحجاج، فلما توسّط كلامه سمع تكبيرا عاليا من ناحية السوق، فقطع خطبته ثم قال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق، يا بنى الكيعة، و عبيد العصا، و بنى الإمام، إننى لأسمع تكبيرا ما يراد به الله، و إنما يراد به الشيطان.

هذا، و قالوا: إن على بن هارون المنجم كانت له جارية صفراء و كان معجبا بها، فصار مريضا فراجع الطبيب، فقال له: غلبك الصفراء. فقال:

جسّ الطبيب يدى و قال مخبرا: هذا الفتى أودت به الصفراء

فعجبت منه اذ أصاب - و ما درى - قولا و ظاهر ما أراد خطأ و قريب منه قول الوزير المهلبى:

و قالوا للطبيب: أشر فإننا نعدك للعظيم من الامور

ص: ٤٠٣

فقال: شفاؤه الرمان مما تضمّنه حشاه من السعير

فقلت لهم: أصاب بغير قصد و لكن ذاك رمان الصدور

«نعم إنه لا حكم إلّا لله» فهو كلمة حق، و كلام صدق.

«و لكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلّا لله» لم أقف على من روى أنّه عليه السّلام قال: إنّ الخوارج أرادوا بقولهم: «لا حكم إلّا لله»: «لا إمرة إلّا لله» سوى المبرد فى (كامله)^{١٠٠٦} مرفوعا، و تبعه ابن عبد ربه فى (عقده)، فقال الأوّل: لما سمع على عليه السّلام نداءهم: لا حكم إلّا لله. قال: كلمة عادلة يراد بها جور، إنّما يقولون: لا إمارة، و لا بدّ من إمارة برّة أو فاجرة.

^{١٠٠٥} (٢) الكامل للمبرد ١: ٢٢٢.
^{١٠٠٦} (١) الكامل للمبرد ٢: ١٧٢.

و قال الثانى: لما سمع علىّ عليه السّلام نداءهم قال: كلمة حق يراد بها باطل، و إنّما مذهبهم أنّ يكون أمير، و لا بدّ من أمير، برّا كان أو فاجرا.

و مرّ أيضا عن البلاذرى.

و الذى رواه غيرهم و معلوم بالدراية أنّهم أرادوا بقولهم: «لا حكم إلّا لله» عدم صحّة حكمية أبى موسى و عمرو بن العاص، لا عدم إمارة أمير، ففى (المروج)^{١٠٠٧} قال يحيى بن معين: حدّثنا وهب بن جابر، عن الصلت بن بهرام قال: لما قدم علىّ عليه السّلام الكوفة جعلت الحرورية تناديه و هو على المنبر: جزعت من البلية، و رضيت بالقضية، و قبلت الدنية، لا حكم إلّا لله. فيقول عليه السّلام: «حكم الله أنتظر فيكم». فيقولون: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ»^{١٠٠٨}.

و فى (صفين نصر)^{١٠٠٩} عن شقيق بن سلمة: أنّ الأشعث خرج فى الناس

ص: ٤٠٤

بكتاب الصلح يعرضه على الناس، و يمرّ به على صفوف أهل الشام فرضوا به، ثم مرّ به على صفوف أهل العراق و راياتهم، حتى مرّ برايات عنزة- و كان معه عليه السّلام منهم بصفين أربعة آلاف مجفف- فلما مرّ بهم الأشعث فقرأه عليهم، قال فتیان منهم: لا حكم إلّا لله. ثم حملا على أهل الشام بسيوفهما حتى قتلا على باب رواق معاوية، و هما أوّل من حكم، و كانا أخوين، ثم مرّ الأشعث بالصحيفة على مراد، فقال صالح بن شقيق- و كان من رؤسائهم:-

ما لعلّى فى الدماء قد حكم
لو قاتل الأحزاب يوما ما ظلم

لا حكم إلّا لله و لو كره المشركون. ثم مرّ على رايات بنى راسب فقرأها عليهم، فقالوا: لا حكم إلّا لله، لا نرضى و لا نحكم الرجال فى دين الله. ثم مرّ على رايات بنى تميم فقرأها عليهم، فقال رجل منهم: لا حكم إلّا لله، تقضى بالحق و أنت خير الفاصلين. و خرج عروة بن أديه أخو مرداس، فقال: أتحكمون الرجال فى أمر الله، لا حكم إلّا لله، فأين قتلانا يا أشعث؟ ثم شدّ بسيفه ليضرب به الأشعث فأخطأه، فانطلق إلى علىّ عليه السّلام فقال له: قد عرضت الحكومة عليهم فقالوا جميعا: قد رضينا، حتى مررت برايات بنى راسب، و نبذ سواهم، قالوا:

لا نرضى إلّا حكم الله. قال: دعهم. فما راعه إلّا نداء الناس من كلّ جهة: لا حكم إلّا لله لا لك يا علىّ، لا نرضى بأن يحكم الرجال فى دين الله، إنّ الله قد أمضى حكمه فى معاوية و أصحابه: أن يقتلوا أو يدخلوا فى حكمنا عليهم، و قد كانت زلّة منا

^{١٠٠٧} (٢) مروج الذهب ٢: ٤٠٦.

^{١٠٠٨} (٣) الزمر: ٦٥.

^{١٠٠٩} (٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٥١٢.

حين رضينا بالحكمين، فرجعنا و تبنا، فارجع أنت كما رجعنا، وإلا برئنا منك. فقال عليه السلام: و يحكم! أبعد الرضا و العهد نرجع؟ أو ليس الله تعالى قال: «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ»^{١٠٠}، و قال: «وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْمَائِدَةَ»

ص: ٤٠٥

«الْإِيمَانُ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ»^{١٠١}.

فأبى علىّ عليه السلام أن يرجع، و أبت الخوارج إلا تضليل التحكيم.

مع أن نصب الناس أميرا لهم أمر فطرى للبشر لا ينكره أحد: مبتدع و غيره، و كيف، و الخوارج أنفسهم - من أولهم إلى آخرهم - كانوا يجعلون امراء لأنفسهم حتى يجمع كلمتهم؟

ففى (الطبرى)^{١٠٢}: أن عليّا لما بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة، لقيت الخوارج بعضها بعضا، فقال عبد الله بن وهب الراسبى: اخرجوا بنا «مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا»^{١٠٣}. فقال حمزة بن سنان الأسدى: رأى ما رأيتم، فولوا أمركم رجلا منكم، فإنه لا بدّ لكم من عماد و سناد و راية تحفون بها، فبايعوا عبد الله بن ٤ و هب و سار إلى النهروان، فقالوا: إن هلك ولينا الأمر زيد بن حصين أو حرقوص بن زهير. و أمّا خوارج البصرة فاجتمعوا فى خمسمائة رجل، و جعلوا عليهم مسعر بن فدكى التميمى، و أقبل يعترض الناس - و على مقدمته الأشرس بن عوف الشيبانى - حتى لحق عبد الله بالنهر.

«وإنه لا بد للناس من أمير برّ أو فاجر، يعمل فى إمرته المؤمن و يستمتع فيها الكافر و يبلغ الله فيها الأجل و يجمع به الفىء و يقاتل به العدو و تأمن به السبيل و يؤخذ به للضعيف من القوى» هذا كلام فى نفسه صحيح، و كيف لا، و به قوام الدنيا و نظام العالم و مقتضى الحكمة؟ فلعله عليه السلام كان هذا الكلام منه عليه السلام، مع كلامه فى الخوارج المذكورين فى كتاب متواليين، فحصل الخلط بينهما، و الأصل فى الخلط المتقدم، و تبعه من تأخر، و يستأنس لكونهما غير

ص: ٤٠٦

مربوطين قوله فى الرواية الثانية: «إنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال: حكم الله أنتظر فيكم. و قال: إمّا الإمرة البرّة فيعمل فيها التقى...».

و كيف كان، ففى (صفين نصر)^{١٠٤} قال علىّ عليه السلام لنرسا الذى أسند أهل السواد أمرهم إليه: أخبرنى عن ملوك فارس، كم كانوا؟ قال: كانت ملوكهم فى هذه المملكة الأخيرة اثنين و ثلاثين ملكا. قال: فكيف كانت سيرتهم؟ قال: ما زلت سيرتهم فى عظم أمرهم واحدة حتى ملكنا كسرى بن هرمز، فاستأثر بالمال و الأعمال، و خالف أولينا، و أخرب الذى للناس و عمر الذى

^{١٠٠} (١): ١.

^{١٠١} (١) النحل: ٩١.

^{١٠٢} (٢) تاريخ الطبرى ٥: ٧٤.

^{١٠٣} (٣) النساء: ٧٥.

^{١٠٤} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ١٤.

له، و استخفّ بالناس فأوغر نفوس فارس حتى ثاروا إليه فقتلوه. فقال عليه السّلام: يا نرسا إنّ الله تعالى خلق الخلق بالحق و لا يرضى من أحد إلّا بالحق، و فى سلطان الله تذكرة مما خول الله، و إنّها لا تقوم مملكة إلّا بتدبير، و لا بد من اماره

و عنه عليه السّلام: أسد خطوم خير من سلطان ظلوم، و سلطان ظلوم خير من فتن تدوم.

و عن الصادق عليه السّلام- فى قصة إبراهيم عليه السّلام:- لما خرج سائرا بجميع ما معه خرج الملك القبطى يمشى خلف إبراهيم عليه السّلام اعظاما له، فأوحى الله تعالى:

آلّا تمش قدام الجبار المتسلّط و امش خلفه، و عظّمه و هيّبه، و لا بد للناس من إمرة فى الأرض، برّة أو فاجرة.

و عن ابن مقفع: السلطان و ما للناس من كثرة المنافع و كثرة المضار، كالشمس فى النهار، و فساد الرعية بلا سلطان، كفاسد الجسم بلا روح.

و قال الافوه الأودى:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
و لا سراة إذا جهّالهم سادوا
تهد الامور بأهل الرأى ما صلحت
فان تولت فبالأشرار تنقاد

ص: ٤٠٧

و البيت لا يبتنى إلّا له عمد
و لا عماد إذا لم ترش أوتاد
فإن تجمع أوتاد و أعمدة
فقد بلغوا الأمر الذى كادوا

هذا، و فى (المروج)^{١٠١٥} عن يحيى بن أكنم: دخل بعض الصوفية على المأمون فقال له: هذا المجلس الذى قد جلسته: أ باجتماع من المسلمين عليك، أم بالمغالبة لهم بسلطانك؟ قال: لا بأحدهما، و إنّما كان يتولى أمر المسلمين سلطان قبلى أحمداه المسلمين، إمّا على رضا و إمّا على كره، فعقد لى و لآخر معى ولاية هذا الأمر بعده فى أعناق من حضر، فأعطوا ذلك إمّا طائعين أو كارهين، فمضى الذى عقد له معى، فلما صار إلى علمت أنّى أحتاج إلى اجتماع كلمة المسلمين فى مشارق الأرض

^{١٠١٥} (١) مروج الذهب ٤: ١٩- ٢٠.

و مغاربيها على الرضا، ثم نظرت فرأيت أنّي متى تخلّيت عن المسلمين، اضطرب جبل الاسلام و انتقضت أطرافه، و غلب الهرج و الفتنة و وقع التنازع، فتعطلت أحكام الله سبحانه، و لم يحجّ أحد بيته و لم يجاهد في سبيله و لم يكن له سلطان يجمعهم و يسوسهم، و انقطعت السبل و لم يؤخذ لمظلوم من ظالم، فقامت بهذا الأمر حياة للمسلمين و مجاهدا لعدوّهم، و ضابطا لسبلهم، و آخذا على أيديهم إلى أن يجتمع المسلمون على رجل، تتفق كلمتهم عليه - على الرضا - به فاسلم الأمر إليه و أكون كرجل من المسلمين، و أنت أيها الرجل رسولى إلى جماعة المسلمين، فمتى اجتمعوا على رجل و رضوا به خرجت إليه من هذا الأمر. فقال ذاك الرجل: السلام عليكم. و قام فذهب، فبعث المأمون فى أثره فانتهى الرسول إلى مسجد فيه خمسة عشر رجلا مثله، فقالوا له: لقيته؟ قال: نعم، ذكر أنّه ناظر فى امور المسلمين إلى أن تأمن سبلهم و لا يعطل الأحكام، فإذا رضى المسلمون برجل يسلم الأمر إليه. فقالوا: ما نرى بهذا بأسا. فقال المأمون:

كفينا مؤنتهم بأيسر الخطب.

ص: ٤٠٨

«حتى يستريح بر» عن المدائنى: قدم قادم على معاوية فقال له: من مغربة خبر؟ قال: نعم، نزلت بماء من مياه الأعراب، فبينما أنا عليه إذ أورد أعرابى إليه، فلمّا شربت ضرب على جنوبها و قال: عليك زيادا. فقلت له: ما أردت بهذا؟ قال: هى سدى ما قام لى بها راع مذ ولى زياد.

«و يستراح من فاجر» عن الشعبى^{١١٦}: قال الحجاج: دلّونى على رجل للشرط: دائم العيوس، طويل الجلوس، سمين الأمانة، أعجف الخيانة، لا يحقّ فى الحق على جره، يهون عليه سبال الأشراف فى الشفاعة. فقلت له: عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمى. فأرسل إليه فقال له: لست أقبلها إلّا أن تكفينى ولدك و حاشيتك. قال: يا غلام ناد فى الناس: من طلب إليه من لدى و حاشيتى حاجة فقد برئت منه الذمة. قال الشعبى: فو الله ما رأيت صاحب شرطة قطّ مثله، كان لا يجسّ إلّا فى دين، و كان إذا اتى برجل قد نقب على قوم وضع منقبة فى بطنه حتى يخرج من ظهره، و إذا اتى بنباش حفر له قبرا فدفنه فيه، و إذا اتى برجل قاتل بحديدة أو شهر سلاحا قطع يده، و إذا اتى برجل قد أحرق على قوم منزلهم أحرقه، و إذا اتى برجل يشكّ فيه ضربه ثلاثمائة سوط. قال الشعبى: فكان ربما أقام اربعين ليلة لا يؤتى باحد، فضمّ إليه الحجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة.

قول المصنف: «و فى رواية اخرى أنّه عليه السّلام لما سمع تحكيمهم قال: حكم الله انتظر فيكم» قد عرفت أنّ المسعودى^{١١٧} رواه عن الصلت بن بهرام، و رواه الطبرى^{١١٨} عن أبى كريب باسناده قال: جعل علىّ عليه السّلام يقلب بيديه يقول هكذا

ص: ٤٠٩

و هو على المنبر، فقال: حكم الله عزّ و جلّ ينتظر فيكم - مرتين - ان لكم عندنا ثلاثا لا نمنعكم: صلاة فى هذا المسجد ...

^{١١٦} (١) العقد الفريد ١: ١٦.
^{١١٧} (٢) المسعودى ٢: ٣٩٥.
^{١١٨} (٣) تاريخ الطبرى ٥: ٧٤.

و رواه ابن ديزيل في (صفينه)، هكذا قال: لما رجع علىّ عليه السّلام من صفين إلى الكوفة خرجوا إلى صحراء بالكوفة تسمى حروراء، فنادوا: لا حكم إلّا لله و لو كرّه المشركون، ألا إنّ عليا و معاوية اشركا في حكم الله. فأرسل علىّ عليه السّلام إليهم: ما هذا الذي أحدثتم، و ما تريدون؟ قالوا: نريد أن نخرج نحن و انت و من كان منا بصفين ثلاث ليال، و نتوب إلى الله من أمر الحكمين، ثم نسير إلى معاوية فنقاتله حتى يحكم الله بيننا و بينه، فقال علىّ عليه السّلام: هذا حيث بعثنا الحكمين و اخذنا منهم العهد و أعطيناهموه، هلا قلتم هذا قبل؟ قالوا: كنا قد طالت الحرب علينا و اشتد البأس و كثر الجراح و حلا الكراع و السلاح. فقال لهم: أ فحين اشتد البأس عليكم عاهدتم، فلما وجدتم الحمام قلتم: ننقض العهد، ان النبيّ صلى الله عليه و آله كان يفي للمشركين، أ فتأمروني بنقضه؟ فمكثوا مكانهم لا يزال الواحد منهم يرجع إلى علىّ عليه السّلام، و لا يزال الآخر يخرج من عند علىّ عليه السّلام، فدخل واحد منهم عليه بالمسجد و الناس حوله فصاح: لا حكم إلّا لله و لو كرّه المشركون، فتلفت الناس فنادى: لا حكم إلّا لله و لو كرّه المتلفتون. فرفع علىّ عليه السّلام رأسه إليه فقال: لا اله إلّا الله و لو كرّه أبو حسن. فقال: ان أبا حسن لا يكره أن يكون الحكم إلّا لله. ثم قال: حكم الله أنتظر فيكم.

«و قال» هكذا في (المصرية و ابن أبي الحديد)^{١١٩} و لكن في (ابن ميثم)^{١٢٠}:

«ثم قال».

«أما الامرة البرّة فيعمل فيها التقى، و أمّا الإمرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقى

ص: ٤١٠

إلى أن تنقطع مدته و تدركه منيته» قد عرفت خلو رواية المسعودي و الطبري و ابن ديزيل عن هذه الفقرات، ثم ان كان لقوله: «و لكن هؤلاء يقولون: لا إمرة الا لله ...» في الرواية الاولى ربط لفظي بقوله: «كلمة حق يراد بها باطل» فهنا ليس للفقرات ربط لفظي أيضا بقوله: «حكم الله انتظر فيكم» كما لا يخفى. نعم هي في نفسها صحيحة كما عرفت.

و في (صفين نصر)^{١٢١}: لما أراد عمرو اللقوق بمعاوية قال لغلامه وردان: أرحل أخط يا وردان؟ فقال له وردان: ان شئت انبأتك بما في نفسك:

اعترك الدنيا و الآخرة على قلبك، فقلت: علىّ معه الآخرة في غير دنيا، و في الآخرة عوض الدنيا، و معاوية معه الدنيا بغير آخرة، و ليس في الدنيا عوض من الآخرة، فأنت واقف بينهما. قال عمرو: ما أخطأت، فما ترى؟ قال: أرى أن تقيم في بيتك، فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم، و إن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك. فقال عمرو: الان و قد شهدت العرب مسيرى إلى معاوية؟

^{١١٩} (١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٧.

^{١٢٠} (٢) شرح ابن ميثم ٢: ١٠١.

^{١٢١} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥.

فارتحل.

ثم الغريب أن ابن أبي الحديد^{١٠٢٢} قال - بعد ذكر-: العنوان «هذا نصّ صريح منه عليه السّلام بان الإمامة واجبة...» فإنّه ليس فيه تلويح إلى ما قال، فضلا عن تصريح، فإنّ كلامه عليه السّلام في الإمامة الدنيوية، سواء كان الناس أهل دين أو غير أهل دين.

قوله عليه السّلام في الثالث: «السلطان وزعة الله في أرضه» هو نظير قوله عليه السّلام:

«لا بد للناس من أمير» فقالوا: لا بد للناس من وزعة، أي: من يكف أهل الفساد عنهم. و في (الجمهرة): الوازع: الذي يتقدم الصف في الحرب فيصلحه، و يرد

ص: ٤١١

المتقدم إلى مركزه. و يسمى الكلب وازعا لأنّه يكف الذئب عن الغنم.

و في (النهاية): الوزعة: جمع الوازع.

و في (عيون القتيبي)^{١٠٢٣} قال كسرى: لا تنزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء:

سلطان قاهر، و قاض عادل، و سوق قائمة، و طبيب عالم، و نهر جار.

و مثل^{١٠٢٤} مزار السلطان في جنب منافعه، مثل الغيث الذي هو سقيا الله و بركات السماء و حياة الأرض و من عليها، و قد يتأذى به السفر و يتداعى له البنيان.

هذا، و كسر المغيرة أنف رجل أغلظ لأبى بكر و آدماء، فقال عمر لأبى بكر - كما في (النهاية)^{١٠٢٥} -: اقص هذا من هذا بأنفه. فقال: أنا لا اقص من وزعة الله فأمسك.

قلت: هو نظير عمله مع خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة ظلما، فقال له عمر: اقد من خالد. فقال: لا أغمد سيفاً سلّه الله.

٧

الخطبة (١٨٢) و من كلام له عليه السّلام قاله للبرج بن مسهر الطائيّ و قد قال له بحيث يسمعه: لا حكم إلّا الله و كان من الخوارج:

^{١٠٢٢} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٠٧ - ٣٠٨.

^{١٠٢٣} (١) العيون للقتبي ١: ٦.

^{١٠٢٤} (٢) العيون للقتبي ١: ٣.

^{١٠٢٥} (٣) النهاية ٥: ١٨٠.

اسْكُتْ قَبْحَكَ اللَّهُ يَا أَثْرُمُ- فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتُ فِيهِ ضَبِيلًا شَخْصُكَ- خَفِيًّا صَوْتُكَ حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمَتْ نُجُومٌ
قَرْنِ الْمَاعِزِ قول المصنف: «و من كلام له عليه السلام قاله للبرج بن مسهر الطائي» الذي

ص: ٤١٢

وقفت عليه في الخوارج: زرع بن برج الطائي، ففي (الطبري)^{١٠٢٦} عن عون بن أبي جحيفة: أن علياً لما أراد أن يبعث أبا موسى
للحكومة أتاه رجلان من الخوارج: زرع بن برج الطائي و حرقوص بن زهير السعدي، فدخلوا عليه فقالا له: «لا حكم إلّا لله»
فقال عليّ عليه السلام: «لا حكم إلّا لله» فقال حرقوص: تب من خطيئتك و ارجع عن قضيتك، و أخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم
حتى نلقى ربنا.

فقال لهم عليّ عليه السلام: قد أردتكم على ذلك فعصيتُموني، و قد كتبنا بيننا و بينهم كتابا و شرطنا شروطا و أعطينا عليها
عهودنا و مواعيثنا، و قد قال عزّ و جلّ:

«وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ»^{١٠٢٧}. فقال
له حرقوص ذلك ذنب ينبغي أن نتوب منه. فقال عليّ عليه السلام: ما هو ذنب و لكنّه عجز من الرأي و ضعف من الفعل، و قد
تقدّمت إليه منكم في ما كان منه و نهيتكم عنه. فقال له زرع بن البرج: اما و الله يا علي، لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب
الله عزّ و جلّ قاتلتك أطلب بذلك وجه الله و رضوانه. فقال له عليّ عليه السلام: بؤسالك ما اشقاك! كأنّي بك قتيلا تسفّي
عليك الريح. قال: وددت أن كان ذلك. فقال له عليّ عليه السلام: لو كنت محققا كان في الموت على الحق تعزية عن الدنيا، إنّ
الشیطان قد استهوأك فاتقوا الله عزّ و جلّ، إنّّه لا خير لكم في دنيا تقاتلون عليها. فخرجا من عنده عليه السلام يحكمان ...

و لعلّ من ذكره المصنّف أبو من في خبر الطبري، وقف عليه في خبر آخر، و يؤيده اختلاف مكالمتهما.

ص: ٤١٣

و ذكر (الأغانى)^{١٠٢٨} في الحصين بن حمام المرى الذي كان قبيل الاسلام:

أنّ برج الجلاس الطائي كان نديما له، فشرب البرج معه يوما فسكر، فانصرف إلى اخته فافتضّها، فلمّا أفاق قال لقومه: إن علم
بذلك أحد ركبت رأسي فلا تروني أبدا. لكن أخبر الحصين بذلك أمة من طي، فقال الحصين له:

رجل بخبرك لست كالعلماء

لا تحسبن أخا العفاطة أنّي

من بيت امك و الذبول دوام

فاستنزلوك و قد بللت نطاقتها

^{١٠٢٦} (١) تاريخ الطبري ٥: ٧٢.

^{١٠٢٧} (٢) النحل: ٩١.

^{١٠٢٨} (١) الأغاني ١٤: ١٠.

- و العفافة اسم اخته - فقال لقومه: فضحتموني. فلحق ببلاد الروم فلم يعرف له خبر.

«و قد قال له» هكذا فى طبعة (المصرية^{١٠٢٩} و ابن أبى الحديد)^{١٠٣٠} و ليس (له) فى (ابن ميثم)^{١٠٣١} (و الخطيئة) و قوله:

«بحيث يسمعه» ينفيه و فى (ابن ميثم)^{١٠٣٢}: «يسمع».

«لا حكم إلّا لله و كان من الخوارج» قوله: «و كان من الخوارج» بعد ذكر قوله: «لا حكم إلّا لله» واضح، فذاك كان شعار الخوارج، و لو كان ذكره بعد قوله: «للبرج بن مسهر الطائي» كان وجيهاً.

«اسكت قبحك الله» يجوز فيه التخفيف و التشديد، أى: نَحَاكَ الله عن الخير.

«يا أترم» و الأترم من سقطت ثنيته.

«فو الله لقد ظهر الحق» قبل وقوع الاختلاف و جدّ الناس فى الجهاد.

«فكنت فيه» أى: فى ظهور الحق.

«ضئلاً» أى: نحيفاً.

ص: ٤١٤

«شخصك» لم يظهر منك عمل.

«خفيا صوتك» لم يسمع منك كلام و قول، كالعائبين و الأموات.

«حتى إذا نعر الباطل» شبّه عليه السّلام الباطل - بدخول الشبهات و الفتن فيه - بحمار دخل فى أنفه نعره، قال الجوهري: النعرة - كهزمة -: ذباب ضخّم أزرق العين أخضر، له ابرة فى طرف ذنبه يلسع بها ذوات الحوافر خاصة، و ربما دخل فى أنف الحمار، فيركب فى رأسه و لا يرده شيء تقول: منه نعر الحمار.

بالكسر.

^{١٠٢٩} (٢) الطبعة المصرية ٢: ١٣٧.

^{١٠٣٠} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٣٠.

^{١٠٣١} (٤) شرح ابن ميثم ٣: ٤٠٨.

^{١٠٣٢} (٥) شرح ابن ميثم ٣: ٤٠٨.

«نجمت» أى: طلعت و ظهرت.

«نجوم» مصدر نجم.

«قرن الماعز» فى (بديع ابن المعتز) عنه عليه السّلام لبعض الخوارج: «و الله ما عرفت حتى نعر الباطل، فنجمت نجوم قرن الماعز» الماعز: واحد المعز - مثل صاحب - و صحب و الأشخاص اللّثام، كما وصف عليه السّلام هذا الرجل: فى الحق ابترون و فى الباطل ذوو قرن طويل.

قال الحطيئة فى أبيه:

و بئس الشيخ أنت لدى المعالى

لنعم الشيخ أنت لدى المخازى

و قال الوزير المغربى:

سفيه يضام العلى باعتلائه

إذا ما الامور اضطر بن اعتلى

و سأل سليمان بن عبد الملك ابن الاهتم عمن يصلح لخراسان، فكل من سمّاه ذكر سليمان له عيبا، إلى أن ذكر وكيع بن أبى الأسود فقال له سليمان:

إنّ وكيعا لم يجتمع له مائة عنان قط إلّا حدّث نفسه بغدره، هو خامل فى الجماعة، ثابت فى الفتنة.

و فى رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان فى ذكر أصناف الناس: و من

ص: ٤١٥

صاحب للفتنة، خامل فى الجماعة، رئيس فى الفرقة، نَعّاق فى الهرج.

و فى (معارف ابن قتيبة) قال الحزین الدئلى فى عمرو بن عمرو بن الزبير:

تناول رأسه عمرو بن عمرو

لو أنّ اللّوم مع الثريا

و في قصار الكتاب: و أتى عليه السّلام بجان و معه غوغاء: فقال عليه السّلام: لا مرحبا بوجوه لا ترى إلّا عند كل سوءاً.

هذا، و قد عرفت من خبر الطبري أنّه كان من الخوارج غير الطائى حرقوص السعدى، و منهم حكيم البكالى، و فى (الطبرى) ١٠٣٣: أنّه أتى إليه عليه السّلام و هو يخطب فقال «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ تَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» ١٠٣٤. فقال علىّ عليه السّلام: «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ» ١٠٣٥.

هذا و قال المسعودى فى (مروجه) ١٠٣٦: ظهر من فعل صاحب الزنج تصديق ما رمى به من كونه على رأى الخوارج، من قتله النساء و الأطفال و الشيخ الفانى، و قال فى خطبته: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلّا الله و الله أكبر، لا حكم إلّا الله.

٨

الحكمة (٩٧) و قد سمع رجلا من الحرورية يتهجّد و يقرأ فقال:

نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ فِي شَكٍّ

ص: ٤١٦

أقول: رواه سبط ابن الجوزى فى (تذكرته سبط ابن الجوزى - تذكره الخواص -) عن ابن عباس عنه عليه السّلام.

قول المصنف: «و قد سمع» هكذا فى (المصرية) ١٠٣٧ و لكن فى (ابن أبى الحديد) ١٠٣٨ و (الخطبة): «و سمع» و فى نسخة ابن ميثم ١٠٣٩: «و قال عليه السّلام: و قد سمع».

«رجلا من الحرورية» فى (كامل المبرد) ١٠٤٠: ناظر علىّ عليه السّلام الخوارج فرجع معه منهم الفان من حروراء - و كانوا تجمعوا بها - فقال لهم: ما نسبيكم؟ ثم قال: أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء.

و فى (الكشى) عن المسيب بن نجبة: لما أتانا سلمان قادما تلقيناه - إلى أن قال - ثم سار حتى انتهى إلى حروراء، فقال: ما تسمون هذه الأرض؟ قالوا:

١٠٣٣ (١) تاريخ الطبري ٥: ٧٤ - ٧٣.

١٠٣٤ (٢) الزمر: ٦٥.

١٠٣٥ (٣) الروم: ٦٠.

١٠٣٦ (٤) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١٩٤.

١٠٣٧ (١) الطبعة المصرية ٣: ١٧٢.

١٠٣٨ (٢) ابن أبى الحديد ١٨: ٢٥٣.

١٠٣٩ (٣) شرح ابن ميثم ٥: ٢٨٩.

١٠٤٠ (٤) الكامل للمبرد ٢: ١٥٥.

حروراء. فقال: خرج بحروراء شرّ الأولين، و يخرج بها شرّ الآخرين.

«يتهجّد» أى: يصلى صلاة الليل. و فى (الصحيح): هجد و تهجد، أى: نام ليلا، و هجد و تهجد، أى: سهر، و هو من الأضداد، و منه قيل لصلاة الليل:

التهجد.

فى (كامل المبرد)^{١٠٤١}: لمّا صار ابن عباس إلى الخوارج رأى منهم جباها قرحة بطول السجود، و أيديا كتفنتا الإبل، عليهم قمص مرحضة، و هم مشمرون.

و فى (الطبرى)^{١٠٤٢}: أنّ القرّاء الذين أجبروا الأشتر على ترك القتال ثم صاروا خوارج، قال الأشتر - لهم لمّا رجع من الحرب -: يا أصحاب الجباه

ص: ٤١٧

السود! كنا نظن صلاتكم زهادة فى الدنيا و شوقا إلى لقاءه تعالى، فلا أرى فراركم إلّا إلى الدنيا من الموت، يا اشباه النيب الجلّالة، قبحا لكم! ما أنتم برائين بعدها عزا ابداء، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون.

«و يقرأ» أى: القرآن، و فى (ذيل الطبرى)^{١٠٤٣} عن أبى ذر قال: قال النبى:

سيكون من امتى قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون، فيه شرار الخلق و الخليفة

«فقال: نوم على يقين خير من صلاة فى شك» هو نظير قوله عليه السّلام المذكور فى الحكمة (١٤٥): «كم من صائم ليس له من صيامه إلّا الظمأ، و كم قائم ليس له من قيامه إلّا السهر، حبّذا نوم الأكياس و إفطارهم».

و مرّ فى سابقه قوله عليه السّلام لزراعة بن برج الطائى: «لو كنت محقا كان فى الموت على الحق تعزية عن الدنيا».

و فى (المروج)^{١٠٤٤} ضرب أبو أيوب عبد الله بن وهب الراسبى يوم النهر على كتفه فأبان يده، و ضربه صعصة ضربة أبان بها رجله، و أدركه باخرى فى بطنه، ثم احتز رأسه و اتياه عليها عليه السّلام و قال: هذا رأس الفاسق المارق عبد الله بن وهب. فنظر عليه السّلام إليه و قال: شاه هذا الوجه - حتى خيّل إلينا أنّه يبكى - ثم قال: قد كان أخو راسب حافظا لكتاب الله، تاركا لحدود الله.

^{١٠٤١} (٥) الكامل للمبرد ٢: ١٧٥.

^{١٠٤٢} (٦) تاريخ الطبرى ٥: ٥٠.

^{١٠٤٣} (١) تاريخ الطبرى ١١: ٥٦٧.

^{١٠٤٤} (٢) المروج الذهب ٣: ٥٦.

و فى (كامل المبرد)^{١٠٤٥}: حمل رجل من الخوارج على صف علىّ عليه السّلام - و كان عليه السّلام قال: لا ابتدائهم - فقتل من أصحابه ثلاثة و هو يقول:

و لو بدأ أو جرته الخطيا

أقتلهم و لا أرى عليا

ص: ٤١٨

فخرج إليه علىّ عليه السّلام فقتله، فلمّا خالطه السيف قال: حبّذا الروحة إلى الجنة. فقال عبد الله بن وهب: ما ادرى أ إلى الجنة أم إلى النار؟ فقال رجل من سعد: إنّما حضرت اغترارا بهذا و أراه قد شكّ. فانخزل بجماعة من أصحابه.

و فى (ادباء الحموى) فى ترجمته عليه السّلام: و كان الخوارج أربعة آلاف عليهم عبد الله بن وهب الراسبي من الازد، و ليس براسب بن جرم بن ريان و ليس فى العرب غيرهما، فلمّا نزل علىّ عليه السّلام بنهروان تفرقوا فبقى منهم ألف و ثمانمائة، و قتل ألف و خمسمائة، و كان سبب تفرّقهم أنّهم عند الإحاطة بهم قالوا: أسرعوا الرواح إلى الجنة. فقال عبد الله بن وهب: و لعلها إلى النار. فقال من فارقه: نرانا نقاتل مع رجل شكّ.

و فى (الطبرى)^{١٠٤٦}: لمّا خرج علىّ عليه السّلام إلى النهروان رفع رايات أمان مع أبى أيوب فنادى أبو أيوب الخوارج: من جاء منكم ممّن لم يقتل و لم يستعرض فهو آمن، و من انصرف منكم إلى الكوفة أو المدائن، و خرج من هذه الجماعة فهو آمن. فقال فروة بن نوفل الأشجعي: و الله ما أدرى على أى شيء نقاتل عليّ؟ إلّا أن انصرف حتى تنفذ بصيرتى فى قتاله أو أتباعه. فانصرف فى خمسمائة فارس حتى نزل البندنيجين و الدسكره، و خرجت طائفة اخرى متفرقين فنزلت الكوفة، و خرج إلى علىّ عليه السّلام منهم نحو من مائة، و كانوا أربعة آلاف، فكان الذين بقوا مع عبد الله بن وهب منهم ألفين و ثمانمائة، زحفوا إلى علىّ عليه السّلام ...

و روى (التهذيب)^{١٠٤٧} فى باب قتال أهل البغي، عن جميل بن دراج، قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: الخوارج شكاك؟ فقال: نعم. فقال له بعض أصحابه: كيف

ص: ٤١٩

و هم يدعون إلى البراز؟ قال: ذلك ممّا يجدون فى أنفسهم.

^{١٠٤٥} (٣) الكامل للمبرد ٢: ١٥٩.

^{١٠٤٦} (١) تاريخ الطبرى ٥: ٨٦.

^{١٠٤٧} (٢) التهذيب ٦: ١٤٥ ح ٢٥١.

هذا، و في (بيان الجاحظ): كان مرّة الهمداني يقول: لمّا قتل عثمان حمدت الله ألا أكون دخلت في شيء من قتله فصليت مائة ركعة، فلمّا وقع الجمل و صفين حمدت إلّا أكون دخلت في شيء و زدت مائتي ركعة، فلمّا كانت وقعة النهروان حمدت الله إذ لم أشهدها و زدت مائة ركعة، فلمّا كانت فتنة ابن الزبير حمدت الله إذ لم أشهدها و زدت مائة ركعة. قال الجاحظ: لا نعرف فقيها من أهل الجماعة لا يستحل قتال الخوارج، كما لا نعرف أحدا منهم لا يستحل قتال اللصوص.

و في (تذكرة سبط ابن الجوزي): لمّا قتل عمّار عطش قاتله، قال ابن سعد: فأتى بقدح من زجاج - و قال غيره من فضّة - فأبى الشرب فيه، فقال بعضهم: انظروا إلى هذا الأحمق، يمتنع من الشرب في هذا الإناء و ينسى أنّه قتل عمّارا، و قد قال النبيّ صلى الله عليه و آله له: تقتلك الفئة الباغية! (و فيه): لمّا لام ابن الزبير يوم الجمل أباه في تركه قتال عليّ عليه السّلام، و قال له: لقد فضحتنا فضيحة لا نغسل منها رؤوسنا أبدا. قال له: حلقت ألا أقاتله.

فقال له: كفر عن يمينك. فاعتق غلامه مكحولا، فقال بعضهم:

كفارة لله عن يمينه

يعتق مكحولا لصون دينه

و النكت قد لاح على جبينه

٩

الكتاب (٧٧) و من وصيّة له عليه السّلام لعبد الله بن العباس لمّا بعثه للاحتجاج إلى الخوارج:

لَا تُخَاصِمُهُمْ بِالْقُرْآنِ؟ - فَإِنَّ الْقُرْآنَ؟ حَمَالٌ ذُو وُجُوْهٍ - تَقُولُ وَ يَقُولُونَ

ص: ٢٢٠

وَلَكِنْ حَاجِبُهُمْ بِالسُّنَنِ - فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً قول المصنف: «و من وصيّته له عليه السّلام لعبد الله بن العباس لمّا بعثه للاحتجاج» الروايات في بعثه عليه السّلام لابن عباس إلى الخوارج مختلفة، فروى الطبري^{١٠٤٨} عن أبي رزين: أن عليّا عليه السّلام لمّا رجع من صفين و دخل الكوفة و نزلت الخوارج بحروراء بعث إليهم ابن عباس، فرجع و لم يصنع شيئا

و عن^{١٠٤٩} عمارة بن ربيعة: بعث عليّ عليه السّلام ابن عباس إليهم، و قال: لا تعجل إلى جوابهم و خصومتهم حتى آتيك. فخرج إليهم حتى أتاهاهم فأقبلوا يكلمونه فلم يصبر حتى راجعهم، فقال: ما تقمتم من الحكمين و قد قال تعالى: «إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا»^{١٠٥٠} فكيف بأمّة محمد صلى الله عليه و آله؟ فقالت الخوارج:

قلنا: أمّا ما جعل حكمه إلى الناس و أمر بالنظر فيه و الإصلاح له، فهو إليهم كما أمر به، و ما حكم فامضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه، حكم فى الزانى مائة جلدة و فى السارق بقطع يده، فليس للعباد أن ينظروا فيه. قال: فإنّه تعالى يقول: «يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ»^{١٠٥١}. فقالوا: أو تجعل الحكم فى الصيد، و الحدث يكون بين المرأة و زوجها كالحكم فى دماء المسلمين؟ فهذه الآية بيننا و بينك، أعدل عندك ابن العاص و هو بالامس يقاتلنا و يسفك دماءنا؟ فان كان عدلا فلسنا بعدول و نحن أهل حرب، و قد حكمتهم فى أمر الله الرجال، و قد أمضى الله عزّ و جلّ حكمه فى معاوية و حزبه أن يقتلوا أو يرجعوا، و قبل ذلك دعوناهم إلى كتاب الله فأبوه، ثم كتبتم بينكم و بينه كتابا و جعلتم بينكم و بينه المودعة، و لا مودعة بين المسلمين و أهل الحرب منذ نزلت (براءة) إلّا من أقرّ

ص: ٤٢١

بالجزية- إلى أن قال- ثم خرج علىّ عليه السّلام حتى انتهى إليهم و هم يخاصمون ابن عباس، فقال: انتّه عن كلامهم، ألم أنهك رحمك الله؟ ثم قال: قال لهم: من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء. فقال عليه السّلام: فما أخرجكم علينا؟ قالوا: حكومتكم يوم صفين. قال: أنشدكم بالله أ تعلمون حيث رفعوا المصاحف فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله. قلت لكم: إننى أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن، إننى صحبتهم و عرفتهم أطفالا و رجالا، فكانوا شرّ أطفال و شرّ رجال، امضوا على حقكم و صدقكم، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعة و دهنًا و مكيدة. فرددتم على رأبى و قلتم: لا بل نقبل منهم. فقلت لكم: اذكروا قولى لكم و معصيتكم إياى. فلما أبيتم إلّا الكتاب اشترطت على الحكمين: أن يحييا ما أحيا القرآن و أن يميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكما يحكم بما فى القرآن، و إن أبيا فنحن من حكمهما برآء- قالوا له:

أ ترى عدلا تحكيم الرجال فى الدماء؟ فقال: انا لسنا حكّما الرجال إنّما حكمنا القرآن، و هذا القرآن فإنما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق، إنّما يتكلّم به الرجال. قالوا: فخبّرنا عن الأجل: لم جعلته فى ما بينك و بينهم؟ قال: ليعلم الجاهل و يتثبت العالم، و لعل الله عزّ و جلّ يصلح فى هذه الهدنة هذه الامّة

و فى (كامل المبرد)^{١٠٥٢}: ذكر أهل العلم من غير وجه: أنّ عليا لمّا وجّه إليهم ابن عباس ليناظرهم قال لهم: ما الذى نقمتم على أمير المؤمنين عليه السّلام؟

قالوا: قد كان للمؤمنين أميرا فلما حكم فى دين الله خرج من الإيمان، فليتّب بعد إقراره بالكفر نعد له. فقال ابن عباس: لا ينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه شك بأن يقر على نفسه بالكفر. قالوا: إنّه قد حكم. قال: إنّ الله عزّ و جلّ قد أمرنا بالتحكيم

ص: ٤٢٢

^{١٠٤٩} (٢) تاريخ الطبري ٥: ٦٤.

^{١٠٥٠} (٣) النساء: ٣٥.

^{١٠٥١} (٤) المائدة: ٩٥.

^{١٠٥٢} (١) الكامل للمبرد ٢: ١٤٢.

فى قتل سيد، فقال عزّ وجلّ: «يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ»^{١٠٥٣} فكيف فى إمامة قد أشكلت على المسلمين؟ فقالوا: إنه قد حكم عليه فلم يرض. فقال: إنّ الحكومة كالإمامة و متى فسق الإمام وجبت معصيته، وكذلك الحكماء لما خالفا نبذت أقاويلهما. فقال بعضهم لبعض: لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم فإنّ هذا من القوم الذين قال تعالى فيهم: «بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ»^{١٠٥٤}، وقال «وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا»^{١٠٥٥}.

وفيه^{١٠٥٦}: وجه علىّ عليه السّلام إليهم ابن العباس فرحبوا به وقالوا: ما جاء بك؟

قال: جئتكم من عند صهر النّبىّ صلّى الله عليه وآله وابن عمه وأعلمنا برّبّه وسنّة نبيّه، ومن عند المهاجرين والأنصار. فقالوا: إنّنا أتينا عظيمًا حين حكمنا الرجال فى دين الله فإن تاب كما تبنا رجعنا. فقال لهم: نشدتكم الله أما علمتم أنّ الله أمر بتحكيم الرجال فى أرب يساوى درهما، وفى شقاق رجل وامرأته، وأنّ النّبىّ صلّى الله عليه وآله أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية؟ قالوا: نعم ولكن محاً نفسه من الإمارة. فقال لهم: وقد محاً النّبىّ صلّى الله عليه وآله اسمه من النبوة، وقد أخذ علىّ عليه السّلام على الحكمين ألا يجورا....

و روى (مسترشد محمد بن جرير الطبرى): أنّه عليه السّلام لمّا بعث ابن العباس قالوا له: نقمنا على صاحبك خصالاً: محاً اسمه من إمارة المؤمنين، وشكّ فى نفسه حيث قال للحكمين: «انظرا ان كان معاوية أحقّ بها منى فأثبتناه»، وجعل الحكم إليه غيره وقد كان عندنا من أحكم الناس، وحكم الرجال فى دين الله ولم يكن ذاك إليه، وقسم بيننا الكراع والسلاح يوم البصرة

ص: ٢٢٣

ومنعنا النساء والذرية، وأنّه كان وصيّاً فضيع الوصية. فقال ابن عباس له عليه السّلام: سمعت مقاتلهم وأنت أحقّ بالجواب. فقال عليه السّلام له: قل لهم: أستم ترضون بحكم الله وحكم رسوله؟ قالوا: نعم. فقال: ابدأ على ما بدأت: كنت أكتب للنّبىّ صلّى الله عليه وآله يوم صالح أبا سفيان وسهل بن عمرو، فكتبت: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما صالح عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو وصخر بن حرب» فقال سهيل: إنّنا لا نعرف (الرحمن الرحيم) ولا نقرّ أنّك رسول الله.

فأمرنى النّبىّ صلّى الله عليه وآله فمحوت (الرحمن الرحيم) وكتبت: «باسمك اللهم» ومحوت (رسول الله) وكتبت: «محمد بن عبد الله» فقال لى: يا علىّ إنّك تدعى إلى مثلها فتجيب وأنت مكره. فقالوا: هذه لك قد خرجت منها. فقال: وأما قولكم:

إنى شككت فى نفسى حيث قلت للحكمين: انظرا فان كان معاوية أحقّ بها منى، فإنّ ذلك لم يكن شكا ولكنّه نصفاً من القول، وقد قال تعالى: «وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»^{١٠٥٧}، وقد علم الله أنّ نبيّه كان على الحق.

^{١٠٥٣} (١) المائدة: ٩٥.

^{١٠٥٤} (٢) الزخرف: ٥٨.

^{١٠٥٥} (٣) مريم: ٩٧.

^{١٠٥٦} (٤) الكامل للمبرد ٢: ١٧٥.

^{١٠٥٧} (١) سبأ: ٢٤.

قالوا: وهذه لك أيضا. قال: وأما قولكم: إنني جعلت الحكم إلى غيري وقد كنت من أحكم الناس، فهذا النبي صلى الله عليه وآله جعل الحكم إلى سعد بن معاذ يوم بنى قريظة وقد كان أحكم الناس، وقد قال تعالى: «لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»^{١٠٥٨} فتأسيت به صلى الله عليه وآله. قالوا وهذه لك أيضا- إلى أن قال- وأما قولكم:

إنني قسّمت يوم البصرة الكراع والسلاح ومنعتكم النساء والذرية، فإنني مننت على أهل البصرة كما منّ النبي صلى الله عليه وآله على أهل مكة وقد عدوا علينا، فأخذناهم بذنوبهم ولم نأخذ صغيرا كبيرا، وبعد فأيتكم يأخذ عايشة في سهمه؟ قالوا:

وهذه قد خرجت منها أيضا. قال: وأما قولكم: إنني كنت وصيا فضيحت

ص: ٢٢٤

الوصاية، فأنتم كفرتم بي وقدمتم على غيري ولم أك أنا كفرت بكم، وليس على الأوصياء الدعاء إلى انفسهم وإنما تدعو الأنبياء إلى انفسهم، والوصى مدلول عليه مستغن عن الدعاء إلى نفسه، ذلك لمن آمن بالله ورسوله، وقد قال تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»^{١٠٥٩}، فلو ترك الناس الحج لم يكن البيت يكفر بتركهم إياه، ولكن يكفرون بتركه لأن الله تعالى قد نصبه لهم علما، وكذلك نصّبي النبي صلى الله عليه وآله علما حيث قال: أنت بمنزلة الكعبة. فخرج معه منهم أربعة آلاف.

و رواه البيهقي^{١٠٦٠} مع زيادة و نقصان.

«إلى الخوارج» هكذا في (المصرية)^{١٠٦١} والصواب: (على الخوارج) كما في (ابن أبي الحديد)^{١٠٦٢} و ابن ميثم^{١٠٦٣} و الخطيب و حينئذ فهو متعلق بالاحتجاج.

قوله عليه السلام: «لا تخصمهم بالقرآن فإن القرآن حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون» حاج منصور بن حازم- وهو أحد أجلة أصحاب الصادق عليه السلام- مع الناس فقال لهم: من الحجّة على الخلق بعد النبي صلى الله عليه وآله؟ فقالوا له: القرآن. فقال لهم:

القرآن يخاصم به المرجى والقدرى بل الزنديق الذى لا يؤمن به، يخاصم به حتى يغلب الرجال بخصومته، فلا بدّ أن القرآن لا يكون حجّة إلّا بقيم يكون كل شيء قال فيه يكون حقا، فمن قيّمه؟ قالوا: ابن مسعود قد كان يعلم، و عمر قد يعلم، و حذيفة قد يعلم. فقال لهم: يعلمون كلّهم؟ قالوا: لا. قال لهم: فليس أحد يعرف القرآن كلّهم إلّا علىّ عليه السلام فلا بدّ أنّه قيم القرآن،

^{١٠٥٨} (٢) الأحزاب: ٢١.

^{١٠٥٩} (١) آل عمران: ٩٧.

^{١٠٦٠} (٢) تاريخ البيهقي ٢: ١٩٢.

^{١٠٦١} (٣) الطبعة المصرية ٣: ١٥٠.

^{١٠٦٢} (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٧١.

^{١٠٦٣} (٥) شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٤.

وَأَنَّ طَاعَتَهُ مَفْرُوضَةٌ كَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

قال ابن أبي الحديد^{١٠٦٤} قوله عليه السلام: «القرآن حمّال ذو وجوه، تقول و يقولون» كلام لا نظير له في شرفه و علو معناه، و ذلك أن القرآن فيه مواضع يظن في الظاهر أنها متناقضة نحو قوله: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ»^{١٠٦٥} مع قوله «إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ»^{١٠٦٦}، و قوله: «وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ»^{١٠٦٧}، مع قوله: «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى»^{١٠٦٨} و نظائرها، و أمّا السنّة فليست كذلك - إلى أن قال - و قد كان في الصحابة من يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن كلمة في القرآن يفسره له تفسيراً موجزاً فلا يحصل له كلّ الفهم، و لمّا نزلت آية الكلاله - و في آخرها «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ الْكُلَّ»^{١٠٦٩} - سأله عمر عن الكلاله: ما هو؟ فقال له: يكفيك آية الصيف. لم يزد على ذلك، فلم يراجع عمر و انصرف و لم يفهم مراده، و بقي عمر على ذلك إلى أن مات، و كان يقول بعد ذلك: اللهم مهما بيّنت فإنّ عمر لم يتبين. يشير إلى قوله تعالى: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ الْكُلَّ»...

بيان: آية الصيف، أي: آية نزلت في الصيف، كما رواه (التبيان).

قلت: إذا كان فاروقهم نفسه لم يفهم المراد من القرآن في آية قال تعالى فيها: يبينها لكم لئلا تضلّوا، و فسرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، له كيف منع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من الوصية و قال: حسبنا القرآن و لم نحتج إلى وصيته؟

ففي (طبقات كاتب الواقدي) - و كان ناصبياً - عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس، قال: لمّا حضرت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الوفاة و في البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده. فقال عمر: إنّ رسول الله قد غلبه الوجد، و عندكم القرآن حسبنا كتاب الله.

فاختلف أهل البيت و اختصموا، فمنهم من قال: قرّبوا يكتب لكم النبي، و منهم من يقول ما قال عمر، فلمّا كثر اللغط و الاختلاف و غمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عليه و آله قال: قوموا عني. قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إنّ الرزية كلّ الرزية ما حال بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عليه و آله و بين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم و لغطهم.

و روى عن عكرمة عن ابن عباس: أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عليه و آله قال في مرضه الذي مات فيه: إيتوني بدواة و صحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. فقال عمر: من لفانّة و فلانّة - مدائن الروم - إنّ النبي ليس بميت حتى نفتتحها، و لو مات

^{١٠٦٤} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٧١.

^{١٠٦٥} (٢) الأنعام: ١٠٣.

^{١٠٦٦} (٣) القيامة: ٢٣.

^{١٠٦٧} (٤) يس: ٩.

^{١٠٦٨} (٥) فصلت: ١٧.

^{١٠٦٩} (٦) النساء: ١٧٦.

لانتظرناه كما انتظرت بنو اسرائيل موسى. فقالت زينب زوج النبي صلى الله عليه وآله: ألا تسمعون النبي صلى الله عليه وآله يعهد إليكم؟ فلعطوا فقال: قوموا عني. فلما قاموا قبض النبي صلى الله عليه وآله مكانه.

و عن زيد بن اسلم عن أبيه عن عمر قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وبين النساء حجاب فقال: غسلوني بسبع قرب، و ائتوني بصحيفة و دواة أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا. فقال النسوة: إيتوا النبي صلى الله عليه وآله بحاجته. قال عمر:

فقلت: اسكنن فإنكن صواحبه، إذا مرض عصرتن أعينكن و إذ صح أخذتن بعنقه. فقال: هن خير منكم.

و عن سعيد بن جبير قال: إن ابن عباس كان يقول: يوم الخميس و ما يوم الخميس؟- و كآنى أنظر إلى دموعه كأنها نظام اللؤلؤ- قال النبي صلى الله عليه وآله: إيتوني بالكتف و الدواة أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا.

ص: ٢٢٧

فقالوا: إنما يهجر رسول الله.

كان فاروقهم يعلم أن القرآن لا يكفى الناس، و كيف لا، و هو الذى كان فاروقهم لا يفهم شيئا من معارفه إلا أنه صد النبي صلى الله عليه وآله عن الوصية فى تلك الساعة، لأنه علم أن النبي صلى الله عليه وآله أراد أن يعين أمير المؤمنين عليه السلام فى الكتابة كما عينه فى مقالاته يوم غدير خم و غيره، فلا يمكنه التشكيك فيها لأن الكتابة أمر ثابت، فروى أحمد بن أبى طاهر صاحب (تاريخ بغداد) فى كتابه مسندا عن ابن عباس قال: دخلت على عمر فى أول خلافته فقال: هل بقى فى نفس ابن عمك شىء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم. قال: أ يزعم أن النبي نصّ عليه؟ قلت:

نعم. قال: لقد أراد النبي فى مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفافا و حيطة على الإسلام، لا و ربّ هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبدا، و لو وليها لا انتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم النبي أنّى علمت ما فى نفسه فأمسك

إنما منع منه إشفافا و حيطة على سلطنته و سلطنة صاحبه، و هل كان هو أشفق على الإسلام من رسول الله صلى الله عليه وآله و آله؟ فكأن الله لا يعلم حيث يجعل رسالته، إذا كان هو أشفق على الإسلام و لم يشفق نبيّه! و قوله بعدم اجتماع قريش عليه كانتقاض العرب مغالطة، فقريش كانوا أعداء النبي صلى الله عليه وآله و إنما وصلوا إلى ما وصلوا بمساعدة و مساعدته صاحبه، و لو لا هما لكانوا يستسلمون له و يسرون كفرهم، كما استسلموا للنبي و أسروا كفرهم، و العرب إنما انتقضت على صاحبه حيث لم يجعل هو سلطان النبي صلى الله عليه وآله و آله فى أهل بيته، و قيام أهل الجمل و صفين عليه إنما كان من قريش بسببه و سبب صاحبه.

وهب أن النبي صلى الله عليه وآله لم يرد النصّ على أمير المؤمنين، ألم يكن حدوث هذه الفرق الضالة فى الإسلام- و منها الخوارج- من منع عمر للنبي صلى الله عليه وآله عن

ص: ٤٢٨

الوصية؟ ألم يقل لهم: أكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده أبدا؟

ثم إنّه مع منعه له عن الوصية - و هي الرّزية العظمى التي لو بكى الدم منها كان قليلا - لم نسب الهجر إليه؟ أليس الله تعالى قال في نبيه: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ»^{١٠٧٠}؟

و لم قال: «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لَا يَمُوت وَ لَوْ أَنَّهُ مَاتَ يَرْجِعُ»، فيصير سببا لتولّد مذاهب فاسدة، كالكيسانية و النواسية و الواقفية و الإسماعيلية و غيرها، فليس منشأ شبهات المذاهب الفاسدة التي تولدت بعده إلّا شبهات مثله، كما اعترف به الشهرستاني^{١٠٧١} منهم.

و لم يقول لنسائه: «اسكتن، إذا مرض عسرتن أعينكن، و إذا صحّ أخذتن بعنقه» بمعنى أنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ليس له قابلية، و أنّه رجل زيرى، و النساء غالبات عليهن.

و ما نسبته إلى نسائه إنّما كان عمل بنته و بنت صاحبه اللتين قال تعالى فيهما: «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»^{١٠٧٢} دون النسوة التي قلن - كزينب و أمّ سلمة - إيتوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بحاجته. لكن يكفيه شرفا أنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قال له: هنّ خير منك.

هذا و ممّا يناسب قوله عليه السّلام: «**حمال ذو وجوه**» ما ورد: أنّ رجلا قال لهشام القوطى: كم تعدّ؟ قال: من واحد إلى ألف ألف و أكثر. قال: لم ارد هذا، كم تعدّ من السنّ؟ قال: اثنتين و ثلاثين، ست عشرة من أعلى و ست عشرة من أسفل. قال: لم ارد هذا، كم لك؟ من السنين قال: و الله مالى فيها شيء السنون

ص: ٤٢٩

كلّها لله تعالى. قال: يا هذا ما سنّك؟ قال: عظم. قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن اثنتين:

رجل و امرأة. قال: كم أتى عليك؟ قال: لو أتى على شيء لقتلنى. قال: فكيف أقول؟ قال: تقول: كم مضى من عمرى؟

«و لكن حاججهم بالسنة، فإنّهم لن يجدوا عنها محيصا» قال ابن أبى الحديد^{١٠٧٣} لم يعمل ابن عباس بما أوصاه فلم يحاجّهم بالسنة بل بالقرآن، و لذلك لم يرجعوا.

^{١٠٧٠} (١) النجم: ٣- ٤.
^{١٠٧١} (٢) الملل و النحل للشهرستاني ١: ١٨- ٢١.
^{١٠٧٢} (٣) التحريم: ٤.
^{١٠٧٣} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٧٦.

قلت: بل حاجّهم بالكتاب و السنة كما عرفت من رواياته، بل حاجّهم مرتين: فى أوّل خروجهم إلى حروراء، و بعد رجوعهم و خروجهم ثانيا، كما يظهر من خبر المبرد الثانى، بل قال المبرد^{١٠٧٤}: إنّه عليه السّلام بعثه إلى خوارج النخيلة أيضا بعد النهروان و قالوا له: إذا كان علىّ على حق لم يشكّ و حكم مضطرا، فما باله حيث ظفر فى الجمل لم يسب؟ فقال لهم ابن عباس: سمعتم الجواب فى التحكيم، فأما قولكم فى السباء، أ فكنتم سابين أمكم عايشة؟ فوضعوا أصابعهم فى آذانهم و قالوا أمسك عنّا غربّ لسانك يا بن عباس، فإنّه طلق زلق غواص على موضع الحجة. و حاجّهم بالسنة بتعليم أمير المؤمنين عليه السّلام له فى تحكيم النّبىّ صلّى الله عليه و آله سعد بن معاذ يوم بنى قريظة، و غير ذلك ممّا مرّ فى تلك الأخبار.

قال ابن أبى الحديد^{١٠٧٥} إن قيل ما السنة التى أمر عليه السّلام ابن عباس أن يحاجّ الخوارج؟ قلت: كان له عليه السّلام فى ذلك غرض صحيح و إليه أشار و حوله كان يطوف و يحرم، و ذلك أنّه أراد أن يقول لهم: قال النّبىّ صلّى الله عليه و آله: «على مع الحقّ

ص: ٤٣٠

و الحقّ مع علىّ يدور معه حيثما دار»، و قوله عليه السّلام: «اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله» و نحو ذلك من الأخبار التى كانت الصحابة قد سمعتها من فلق فيه صلّى الله عليه و آله و قد بقى ممّن سمعها جماعة تقوم بهم الحجة و تثبت بنقلهم، و لو احتجّ بها على الخوارج فى أنّه لا يحل مخالفتة و العدول عنه بحال لحصل من ذلك غرض أمير المؤمنين عليه السّلام فى محاجّتهم، و أغراض اخرى أرفع و أعلا منهم، فلم يقع بموجب ما أراد و قضى عليهم بالحرب حتى أكلتهم عن آخرهم «وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا»^{١٠٧٦}.

قلت: لو كان عليه السّلام حاجّهم بأقوال النّبىّ صلّى الله عليه و آله فيه لصار أمر صديقهم و فاروقهم باطلا، كما أنّ محمد بن أبى بكر لمّا حاج معاوية بذلك ناقضه معاوية بذلك.

و لم يدر الإنسان أىّ شىء يقول فى مثل هذه الامور؟

ألّم يكن أمير المؤمنين عليه السّلام أتمّ الحجة عليهم بنفسه: بأنّى ما حكمت الرجال بل حكمت القرآن، و لكنّ القرآن خط مسطور لا ينطق، ينطق عنه الرجال، فان حكما بما فيه يقبل و إلّا فيضرب حكمهما على رأسهما، و لم يجعل حكما مطلقا يحكمان بما يريدان، و أنّه و إن تبيّن للخوارج - كما كان متبيّننا له عليه السّلام و لعار فى أصحابه - أنّه كان مكيدة إلّا أنّه لمّا كان كتب كتاب عهد و جب العمل به بمقتضى الكتاب و السنة، بل وجوب الوفاء بالعهد يحكم به العقل، و كان جميع ملل الدنيا عملهم عليه؟

ثم أىّ شىء تصوّروا فى قول معاوية - لمّا أمر برفع المصاحف -:

^{١٠٧٤} (٢) المبرد ٢: ١٩٤.
^{١٠٧٥} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٧٢ - ٧٣.
^{١٠٧٦} (١) الأحزاب: ٣٧.

«بيننا و بينكم كتاب الله»؟

أ لم يعرفوا أن كتاب الله يقول فى قوله تعالى: «فَقَاتِلُوا آلَ بَنِي نَدْبَعِي حَتَّىٰ»

ص: ٤٣١

«تَفِىءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ»^{١٠٧٧} بوجوب قتال معاوية حتى يفىء إلى أمر الله و يصير تسليماً لأمر المؤمنين عليه السلام- كما قالوا ذلك لما أنكروا الحكيمه-؟

ألم يعلموا أن معاوية من الفئة الباغية مع قول النبى صلى الله عليه و آله: «عمّار تقتله الفئة الباغية» و قد كان قتل قبيل رفع المصاحف؟

و كيف هم لم يتفطنوا و قد تفتن كثير من أهل الشام، إلّا أغبياء قال لهم معاوية: «إنّا ما قتلناه و إنّما قتلناه على الذى جاء به لحرّبا»؟ و لحق به عليه السلام بعضهم كعبد الله بن عمر العنسى لذلك، و قال:

هذا الحديث فقلت: الكذب و الزور

قد كنت أسمع و الأنباء شائعة

فاليوم أرجع و المغرور مغرور

حتى تلقّيته من أهل عيبته

و من معاوية المحدو به العير

و اليوم أبرأ من عمرو و شيعته

أ لم يعلموا أن معاوية كان عدو النبى صلى الله عليه و آله، و قاتله حتى صار أسيراً فجعله من الطلقاء؟

أ لم يعلموا أن معاوية كان لعين النبى صلى الله عليه و آله فى غير موطن، و أنّه كان مظهر كل كفر و فجور؟

أ لم يعلموا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان المتصدى لجميع حروب النبى صلى الله عليه و آله و شريكه فى شدائده فى سبيل الإسلام، و أن النبى صلى الله عليه و آله كان يجعله بمنزلة نفسه، و أنّه كان مظهر الإيمان و العدالة و الورع و التقوى، و أنّه كان أعلم الناس بالكتاب و السنة و شريعة الإسلام باجماع الامّة حتى من صديقهم و فاروقهم؟

و أ لم يكن من العجب ألا يقبلوا منه عليه السلام حكمية ابن عباس و الأشتر و الأحنف، و يجبروه على أبى موسى، و يقبلوا من معاوية حكمية عمرو؟

ثم من أين أنّهم لم يكونوا سمعوا ما قاله النبيّ صَلَّى الله عليه وآله فيه؟ بل رأوا ورووا جميع ذلك، إلّا أنّ تقدّم الرجلين عليه جعل جميع أقوال النبيّ صَلَّى الله عليه وآله فيه نسيا، منسيا - روى محمد بن يعقوب في روضته^{١٠٧٨} مسندا: أنّ عبد الله بن نافع الأزرق كان يقول: لو أنّي علمت أنّ بين قطريها أحدا تبلغني إليه المطايا، يخصمني: أنّ عليّا قتل أهل النهروان و هو لهم غير ظالم، لرحلت إليه. فقيّل له:

و لا ولده؟ فقال: أ في ولده عالم؟ فقيّل له: هذا أوّل جهلك، أو هم يخلون من عالم؟ قال: فمن عالمهم اليوم؟ قيل: محمد بن علي بن الحسين بن علي. فرحل إليه في صناديد أصحابه حتى أتى المدينة فاستأذن عليه عليه السّلام، و بعث أبو جعفر عليه السّلام إلى جميع أبناء المهاجرين و الأنصار فجمعهم، ثم خرج في ثوبين مغيرين كأنّه فلقه قمر و أقبل على الناس و قال - بعد الحمد و التّناء -: يا معشر أبناء المهاجرين و الأنصار من كانت عنده منقبة في عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه فليقم و ليحدّث. فقام الناس فسرّدوا تلك المناقب، فقال عبد الله بن نافع:

أنا أروى لهذه المناقب من هؤلاء: و إنّما أحدث على الكفر بعد تحكيم الحكمين حتى انتهوا في المناقب إلى حديث خبير: «لاعطين الرّاية غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله، كرارا غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه» فقال له أبو جعفر: ما تقول في هذا الحديث؟ فقال: هو حق لا شك فيه، و لكن أحدث الكفر بعد. فقال أبو جعفر عليه السّلام له: ثكلتك أمك أخبرني عن الله تعالى: أحبّ عليّا يوم أحبه و هو يعلم أنّه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟ قال ابن نافع: أعد عليّ. فاعاده، فقال: إنّ قلت: لا، فقد كفرت. قال: فقل: قد علم. فقال:

قد علم. قال فأحبّه الله على أن يعمل بطاعته أو يعمل بمعصيته؟ فقال: بل بطاعته. فقال: قم مخصوما. فقام ابن نافع و هو يقول:

«حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ»

«الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ»^{١٠٧٩} «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ»^{١٠٨٠}.

هذا، و قال عليه السّلام: حاجّوهم بسنة النبيّ صَلَّى الله عليه وآله حتى تغلبوهم. و هم كانوا يريدون منه عليه السّلام سنة أبي بكر و عمر فلا يقبلها منهم، و في (الطبري)^{١٠٨١}: لمّا خرجت الخوارج من الكوفة أتى عليا عليه السّلام أصحابه و شيعته فبايعوه و قالوا:

^{١٠٧٨} (١) روضة الكافي لمحمد بن يعقوب ح ٨: ٥٤٨ ٣٤٩.

^{١٠٧٩} (١) البقرة: ١٨٧.

^{١٠٨٠} (٢) الأنعام: ١٢٤.

^{١٠٨١} (٣) تاريخ الطبري ٥: ٧٦.

نحن أولياء من واليت و أعداء من عاديت. فشرط لهم فيه سنة النبي صلى الله عليه و آله، فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخنعمي - وكان شهد معه الجمل و صفين و معه راية خنعم - فقال له بايع على كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و آله. فقال ربيعة: على سنة أبي بكر و عمر. فقل له عليّ عليه السلام: ويلك! لو أن أبا بكر و عمر عملا بغير كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و آله لم يكونا على شيء من الحق. فبايعه ربيعة و نظر إليه عليّ عليه السلام فقال: اما و الله لكأنني بك و قد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت و كأنني بك و قد وطئت الخيل بحوافرها. فقتل يوم النهر

و كان إخواننا السنة يحاجون الخوارج في أحداث عثمان - بعدم جناح فيها - بسنة أبي بكر و عمر فيغلبونهم بذلك، قال مصعب الزبيري في (نسب قريشه): قال هشام بن عروة: قال عبد الله بن الزبير: لقيني ناس ممن كان يطعن على عثمان ممن يرى رأى الخوارج، فراجعوني في رأيهم و حاجوني بالقرآن، فو الله ما قمت معهم و لا قعدت، فرجعت إلى الزبير منكسرا فذكرت ذلك له فقال: إن القرآن تأوله كل قوم على رأيهم و حملوه عليه، و لعمر الله إن القرآن لمعتدل مستقيم و ما التقصير إلا من قبلهم، و من طعنوا عليه من الناس فإنهم لا يطعنون في أبي بكر و عمر، فخذهم بسنتهما و سيرتهما. قال عبد الله:

ص: ٢٣٤

فكأنما أيقظني بذلك، فلقيتهم فحاججتهم بسنن أبي بكر، فلما أخذتهم بذلك قهرتهم، و ضعف قولهم حتى كأنهم صبيان يمعنون

«و غَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ»^{١٠٨٢}، «فَذَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ»^{١٠٨٣} فإخواننا ينكرون الامور الفطرية و القواعد العقلية، فكون أحداث عثمان امورا منكرة فطرى كل موحد و ملحد، و بطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم، فعليهم أن يقولوا ببطلان سنة صديقهم و فاروقهم لبطلان سنة ذى نوريهم، لا أن يجعلوا سنة ذى نوريهم حقاً بسنة صديقهم و فاروقهم! فمن أعمال ذى نوريهم: نفى أبي ذر و كسر ضلع عمار، و قد قال النبي صلى الله عليه و آله فيهما: أمرني الله تعالى بحبهما، و أن الجنة لمشتاقه إليهما.

و تولية الوليد الذي صلى الصبح بالناس سكران أربعاً و تغنى.

و تولية ابن أبي سرح الذي أهدر النبي صلى الله عليه و آله دمه.

و رده الحكم الذي نفاه النبي صلى الله عليه و آله.

و أمره بقتل جمع من المؤمنين حتى أجمع المهاجرون و الأنصار على قتله، و حتى إن أمير المؤمنين اباح قتله، فلما قال شرحبيل - الذي أرسله معاوية إليه عليه السلام له -: أشهد أن عثمان قتل مظلوما؟ فقال: لا أشهد. فقال شرحبيل: فمن لم يزعم أن عثمان قتل مظلوما فنحن منه برآء و انصرف فقال عليه السلام: «إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وُلُّوا

^{١٠٨٢} (١) آل عمران: ٢٤.

^{١٠٨٣} (٢) المؤمنون: ٥٤.

مُدْبِرِينَ وَ مَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ»^{١٠٨٤}. و حتى قال هاشم بن عتبة المرقال للشامي الذي قال له: «إِنَّ

ص: ٢٣٥

صاحبكم قتل خليفتنا» ما أنت و ابن عفان؟ إنما قتله أصحاب محمد و أبناء أصحابه و قرأ الناس، حين احدث الأحداث و خالف حكم الكتاب. و حتى إنَّ عمَّاراً لما قال له عمرو بن العاص: «لم قتلتم عثمان» قال: لأنَّه أراد أن يغيّر ديننا، و أن الله قتله و علىّ معه. و عمر يعرف عثمان حتى قال له: كأنّي أراك تولّي بنى أبيك على رقاب الناس حتى يضطرّ الناس إلى ضرب رقبتك. و مع ذلك دبر الأمر له بجعل صهره ابن عوف حكماً من السنّة! هذا و السنّة و إن كانت أوضح من الكتاب، إلّا أنّه لما كان ما بيّن فيها محدوداً مثل ما بيّن في ظاهر الكتاب كانا غير كافيين في رفع اختلاف الناس، فكان واجبا على الله الحكيم أن يجعل معهما للناس حجة يكون كالنبيّ صلى الله عليه و آله ذا اتصال به تعالى، لا يقول ما يقول إلّا عنه تعالى، و أن يجعل عليه دلالة و آية، قال يونس بن يعقوب - كما في (الكافي)^{١٠٨٥} - كنت عند أبي عبد الله عليه السّلام فورد عليه رجل من أهل الشام و قال له عليه السّلام: إنّي رجل صاحب كلام و فقه و فرائض و قد جئت لمناظرة أصحابك. فقال عليه السّلام: كَلِّمْ هذا الغلام - يعني هشام بن الحكم - فقال له: يا غلام سلني في امامة هذا - يعني أبا عبد الله عليه السّلام - فغضب هشام حتى ارتعد، ثمّ قال له: أخبرني يا هذا أربك أنظر لخلقه أم هم لأنفسهم؟

فقال: بل ربي أنظر لخلقه. قال: ففعل بنظره لهم في دينهم ما ذا؟ قال: كلّفهم و أقام لهم حجة و دليلاً على ما كلّفهم، و أزاح في ذلك علمهم. فقال له هشام: فما هذا الدليل الذي نصبه لهم؟ قال: هو النبيّ صلى الله عليه و آله. قال: فمن بعده؟ قال: الكتاب و السنّة. قال: فهل ينفعا اليوم الكتاب و السنّة في ما اختلفنا فيه، حتى يرفع عنّا الاختلاف و يمكّننا من الاتفاق؟ قال: نعم. قال: فلم اختلفنا نحن و أنت و جئتنا من الشام تخالفنا، و تزعم أن الرأى طريق الدين و أنت تقرّ بأن الرأى لا يجمع

ص: ٢٣٦

المختلفين على القول الواحد؟ فسكت كالمفكر فقال له أبو عبد الله عليه السّلام: مالك لا تتكلم؟ قال: إن قلت: إنّنا ما اختلفنا كابر، و إن قلت: إنّ الكتاب و السنّة يرفعان الاختلاف أبطلت لأنهما يحتملان الوجوه، و لكن لي عليه مثل ذلك. فقال عليه السّلام له: سلّه تجده ملياً. فقال الشامي لهشام: من أنظر للخلق ربه أم أنفسهم؟ قال هشام: بل ربّهم. فقال: فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم و يرفع اختلافهم و يبيّن لهم حقهم من باطلهم؟ قال: نعم. قال: من هو؟ قال: أمّا في ابتداء الشريعة فالنبي، و أمّا بعد النبيّ صلى الله عليه و آله فغيره. قال: و من غيره؟ قال: في وقتنا هذا أم قبله؟

قال: بل في وقتنا هذا. قال هشام: هذا الجالس - يعني أبا عبد الله - الذي يشدّ إليه الرحال و يخبرنا بأخبار السماء وراثته عن أب و جد. قال الشامي: و كيف لي بعلم ذلك؟ قال: سلّه عمّا بدا لك. قال الشامي: قطعت عذري فعلى السؤال. قال له أبو عبد الله عليه السّلام: أنا أكفيك المسألة يا شامي، أخبرك عن مسيرك و سفرك:

^{١٠٨٤} (٣) النمل: ٨٠ - ٨١.
^{١٠٨٥} (١) الكافي: ١: ١٧١ ح ٤.

خرجت يوم كذا و كان طريقك كذا و مررت على كذا و مرّ بك كذا. و أقبل الشامي كلما وصف عليه السلام له شيئا من أمره يقول: صدقت و الله. ثم قال الشامي: أسلمت لله الساعة. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: بل آمنت به الساعة، إنّ الإسلام قبل الإيمان و عليه يتوارثون و يتناكحون، و على الإيمان يثابون. قال الشامي: صدقت، فأنا الساعة أشهد أنّ الله و أنّ محمدا صلى الله عليه و آله رسوله و أنّك وصي الأوصياء.

١٠

من الخطبة (١٩٠) أَلَا وَ قَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ - بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَ النَّكَثِ وَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ - فَأَمَّا؟ النَّاكِثُونَ؟ فَقَدْ قَاتَلْتُ - وَ أَمَّا؟ الْفَاسِقُونَ؟ فَقَدْ جَاهَدْتُ - وَ أَمَّا؟ الْمَارِقَةُ؟ فَقَدْ دَوَّخْتُ - وَ أَمَّا شَيْطَانُ الرَّذَّةِ فَقَدْ كُفِّيتُهُ - بِصَعْقَةٍ سَمِعْتُ لَهَا وَجْبَةً قَلْبِهِ وَ رَجَّةً صَدْرِهِ - وَ بَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ - وَلَئِنْ أَذِنَ اللَّهُ فِي الْكَرَّةِ

ص: ٤٣٧

عَلَيْهِمْ - لَأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَدَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَدُّرًا «أَلَا وَ قَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ» في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَ بئْسَ الْمَصِيرُ»^{١٠٨٦} ذكره في سورة التوبة و سورة التحريم، و لم يجاهد النبي صلى الله عليه و آله إلّا الكفار على تنزيل القرآن، و حيث إنّ عليه السلام كان بمنزلة نفس النبي صلى الله عليه و آله بمقتضى قوله تعالى: «وَ أَنْفُسَنَا»^{١٠٨٧} لا بد أنّه عليه السلام كان المكلف بجهاد المنافقين على تأويل القرآن.

و يشهد له ما رواه (الاسد)^{١٠٨٨}. مسندا عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا مع النبي صلى الله عليه و آله فانقطع شيعه فأخذها علىّ عليه السلام يصلحها فمضى، فقال النبي صلى الله عليه و آله:

إِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا يِقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ. فاستشرف لها القوم فقال النبي صلى الله عليه و آله: لكنّه خاف النعل. فجاء فبشّرناه بذلك، فلم يرفع به رأسا كأنّه شيء قد سمعه من النبي صلى الله عليه و آله.

و ما رواه أحمد بن حنبل في (فضائله) و الترمذی في (سننه) - و اللفظ للاول - أنّ النبي صلى الله عليه و آله قال: لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلا كنفسى، يمضى فيهم أمرى، يقتل المقاتلة و يسبى الذرية. قال أبو ذر: فما راعنى إلّا برد كفّ عمر من خلفى، فقال: من تراه يعنى؟ قلت: ما يعنىك و إنّما يعنى خاف النعل على بن أبي طالب - إلى أن قال - فالتفت النبي صلى الله عليه و آله إلى علىّ عليه السلام و انتل بيده و قال: هذا هو هذا هو - مرتين -.

و كذلك قال النبي صلى الله عليه و آله لقريش ففى (تاريخ بغداد)^{١٠٨٩}: أنّ سهيل بن عمرو لما قال للنبي صلى الله عليه و آله: خرج إليك ناس من أرقائنا فارددهم علينا. و قال: أبو بكر

^{١٠٨٦} (١) التوبة: ٧٣، و التحريم: ٩.

^{١٠٨٧} (٢) آل عمران: ٦١.

^{١٠٨٨} (٣) الاسد للجزري ٤: ٣٢.

^{١٠٨٩} (٤) تاريخ بغداد ١: ١٣٣.

ص: ٤٣٨

و عمر للنبيّ صَلَّى الله عليه وآله: صدق سهيل. قال النبي: لن تنتهوا يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم رجلا امتحن الله قلبه بالإيمان، يضرب أعناقكم و أنتم مجفلون عنه اجفال النعم. فقال أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا. و قال عمر: أنا هو؟ قال: لا، و لكنّه خاصف النعل.

و روى (التهذيب)^{١٠٩٠} عن حفص بن غياث عن الصادق عليه السّلام: سأل رجل أبا عن حروب أمير المؤمنين عليه السّلام فقال له: بعث الله محمدا صَلَّى الله عليه وآله بخمسة أسياف: ثلاثة منها شاهرة لا تغمد - إلى أن قال - و أمّا السيف المكفوف فسياف أهل البغي و التأويل، قال تعالى: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا»^{١٠٩١} فلما نزلت قال النبي صَلَّى الله عليه وآله: إن منكم من يقاتل بعدى على التأويل كما قاتلت على التنزيل. فسئل: من هو؟ فقال: هو خاصف النعل. يعنى أمير المؤمنين عليه السّلام

«بقتال أهل البغي» و هم معاوية و أصحابه.

«و النّكث» و هم طلحة و الزبير و أصحابهما.

«و الفساد فى الأرض» و هم الخوارج يقتلون من يرون: الكبار و الصغار و الرجال و النساء.

و يشهد أيضا لكونه مأمورا من الله تعالى بقتال الفرق الثلاث ما رواه الكنجى الشافعى مسندا عن ابن عباس: أن النبيّ صَلَّى الله عليه وآله قال لامّ سلمة: هذا علىّ بن أبى طالب لحمه من لحمى و دمه من دمي، و هو منى بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدى، يا امّ سلمة هذا علىّ أمير المؤمنين و سيد المرسلين و وعاء علمى و وصيى و بابى الذى اوتى منه و أخى فى الدنيا و الآخرة و معى فى المقام إلّا علىّ، يقتل الناكثين و القاسطين و المارقين.

ص: ٤٣٩

و روى (الاسد)^{١٠٩٢} عن على بن ربيعة قال: سمعت عليّا على منبركم هذا يقول: عهد إلىّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أن اقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين.

قال ابن أبى الحديد^{١٠٩٣}: ثبت عن النبيّ صَلَّى الله عليه وآله أنّه قال له عليه السّلام: ستقاتل بعدى الناكثين و القاسطين و المارقين.

^{١٠٩٠} (١) التهذيب ٦: ١٣٦.

^{١٠٩١} (٢) الحجرات: ٩.

^{١٠٩٢} (١) اسد الغابة ٤: ٣٣.

^{١٠٩٣} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٧: ١٨٣.

قلت: و كذلك ثبت أن النبي صَلَّى الله عليه و آله قال لشييعته: إنهم يقاتلون معه عليه السلام الفرق الثلاث، كأبي أيوب الأنصاري و عمّار و أبي سعيد الخدري، روى الكنجي الشافعي في (مناقبه) مسندا عن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا النبي صَلَّى الله عليه و آله بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين فقلنا له صَلَّى الله عليه و آله: أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ قال: مع علي بن أبي طالب، معه يقتل عمّار.

و رواه الجزري في (اسده) ١٠٩٤.

و روى هو و ابن ديزيل في (صفينه) مسندا عن مخنف بن سليم قال:

قدم علينا أبو أيوب الأنصاري فنزل ضيعتنا يعلف خيلا له، فأتيناه فاهدينا له و قعدنا عنده فقلنا: يا أبا أيوب قاتلت المشركين بسيفك هذا مع النبي صَلَّى الله عليه و آله ثم جئت تقاتل المسلمين؟ فقال: إن النبي صَلَّى الله عليه و آله أمرني بقتال القاسطين و المارقين و الناكثين، فقد قاتلت الناكثين و قاتلت القاسطين، و أنا مقاتل إن شاء الله المارقين بالسعفات بالطرفات بالنهروان، و ما أدري أين هي؟

و في (صفين نصر) ١٠٩٥- في حديث جمع ذى الكلاع بين عمّار و عمرو بن العاص، لأنّه سمع عمرا في إمارة عمر: أن عمّارا تقتله الفئة الباغية- فقال عمرو لعمّار: علام تقاتلنا، أو لسنا نعبد إلها واحدا؟ فقال له عمّار: ساخبرك

ص: ٤٤٠

علام اقاتلك: أمرني النبي صَلَّى الله عليه و آله أن اقاتل الناكثين فقد فعلت و أمرني أن اقاتل القاسطين فأتتم هم، و أمّا المارقون فما أدري أدركهم أم لا؟ ألم تعلم أيها الأتر أن النبي صَلَّى الله عليه و آله قال لعليّ عليه السلام: «من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه»؟ و أنا مولى الله و رسوله، و علىّ بعده و ليس لك مولى

قال ابن أبي الحديد ١٠٩٦: قال تعالى في الناكثين: و مَنْ «نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنُكْثُ عَلَى نَفْسِهِ» ١٠٩٧ أو في القاسطين: «وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا» ١٠٩٨.

و قال النبي صَلَّى الله عليه و آله في المارقين: يخرج من ضئى هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر أحدهم فى النصل فلا يجد شيئا، فينظر فى الفوق فلا يجد شيئا. و هذا الخبر من اعلام نبوته صَلَّى الله عليه و آله و من اخباره المفصلة بالغيوب.

١٠٩٤ (٣) الاسد للجزري ٤: ٣٣.
١٠٩٥ (٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٣٨.
١٠٩٦ (١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٨٣.
١٠٩٧ (٢) الفتح الج: ١٠.
١٠٩٨ (٣) ١٥.

قلت: وكذا خبر كلاب الحوَّاب في الناكثين، وخبر قتل عمار في القاسطين من اعلام نبوء النبي صَلَّى الله عليه وآله والكل من اعلام إمامة أمير المؤمنين عليه السلام أيضا، ولم يذكر النبي صَلَّى الله عليه وآله لأحد من المتقدمين على أمير المؤمنين عليه السلام شيئا، مع وقوع فتوح كثيرة منهم وقتالهم مع الكفار، وإنَّما قال إجمالا إنَّ أمته تفتح فارس والروم، حتى ظن عمر أنَّ النبي صَلَّى الله عليه وآله يفتتحها بنفسه، فاستند في منعه النبي صَلَّى الله عليه وآله عن الوصية بأنَّه قال لنا: يفتح فارس والروم، وما فتحهما بعد، فروى كاتب الواقدي في (طبقاته) عن الواقدي عن إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمه عن ابن عباس: أنَّ النبي صَلَّى الله عليه وآله قال في مرضه الذي مات فيه: إيتوني بدواء و صحيفة

ص: ٤٤١

أكتب لكم كتابا لن تضلُّوا بعده أبدا. فقال عمر: من لفلاة وفلاة - مدائن الروم - إنَّ النبي ليس بميت حتى نفتتحها، ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو اسرائيل موسى

«فأما الناكثون فقد قاتلت» وفي (الطبري) ^{١٠٩٩} عن ابن أبي يعقوب: قتل عليَّ عليه السلام يوم الجمل ألفين وخمسمائة: من الأزد ألف وثلاثمائة وخمسون، ومن بني ضبة ثمانمائة، ومن ساير الناس ثلاثمائة وخمسون.

«وأما القاسطون فقد جاهدت» في (صفين نصر) ^{١١٠٠} عن جابر الأنصاري قال: والله لكأنِّي أسمع عليًّا يوم الهرير يقول: حتى متى نخلى بين هذين الحيين - أي: مذحج من أصحابه والأشعريين من أصحاب معاوية - قد فنيا وأنتم وقوف تنظرون إليهم، أما تخافون مقت الله - إلى أن قال - قال جابر: لا والذي بعث محمدا صَلَّى الله عليه وآله بالحق نبيا، ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب عليه السلام، إنَّه قتل - في ما ذكر العادون - زيادة على خمسمائة من اعلام العرب يخرج بسيفه منحيا فيقول:

«معذرة إلى الله تعالى وإليكم من هذا، لقد هممت أن أفلقه ولكن حجزني عنه أني سمعت النبي صَلَّى الله عليه وآله يقول كثيرا:

ولا فتى إلَّا عليَّ

لا سيف إلَّا ذو الفقار

و أنا اقاتل به دونه» فكنا نأخذه فنقومه، ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصف

«وأما المارقة فقد دوخت» أي: ذلتها، في (الطبري) ^{١١٠١} زحف الخوارج وهم

^{١٠٩٩} (١) تاريخ الطبري ٤: ٥٤٥.

^{١١٠٠} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٧٧.

^{١١٠١} (٣) تاريخ الطبري ٥: ٨٦.

ألفان وثمانمائة إلى عليّ عليه السّلام - إلى أن قال - فو الله ما لبثوا الرجال أن أناموهم، ثم إنَّ صاحب خيلهم لمّا رأى الهلاك نادى أصحابه: أن انزلوا. فذهبوا لينزلوا فلم يتقاروا حتى اهدموا في الساعة.

«و أمّا شيطان الردّه» قال الجزري في (نهايته)^{١١٠٢}: في حديث عليّ عليه السّلام ذكر ذا النديّة فقال: «شيطان الردّه يحتدره رجل من بجيلة» الردّه: النّقره في الجبل يستنقع فيها الماء، و قيل: قلّة الراية. و في حديثه: «و أمّا شيطان الردّه فقد كفيته بصيحة سمعت لها وجيب قلبه» قيل: أراد به معاوية لمّا انهزم ... و هو كما ترى.

و في (المعجم)^{١١٠٣} في (ابن داب): قال مصعب الزبيري: شيطان الردّه وضعه ابن داب، و هو ذو النديّة في ما زعم. قال: جاءت أمّه تستسقى ماء فوق بها شيطان فحملته فولدته

و الظاهر أنّ المصعب أشار إلى الخبر الأوّل: «شيطان الردّه يحتدره رجل من بجيلة».

هذا، و يقال لنوشيروان الضرير البغدادي: شيطان العراق. و هو الذي قال:

لا انزلني اربلا

تبّا لشيطاني و ما سولا

ثم قال:

لاعدت أهجو بعدها اربلا

قد تاب شيطاني و قد قال لي

«فقد كفيته» في (ايضاح الفضل بن شاذان)^{١١٠٤}: و رويتم عن أبي خالد

^{١١٠٢} (١) النهاية للجزري ٢: ٢٦٦.

^{١١٠٣} (٢) المعجم ١٦: ١٦٢، في عين بن يزيد.

^{١١٠٤} (٣) الإيضاح لابن شاذان: ٤٢.

الأحمر عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: لعن الله عمرو بن العاص ما أكذبه لقوله: إنه قتل ذا النديّة بمصر! قلت: و الظاهر أنّها قالت له لما أخبرها أصحابه عليه السّلام - بعد رجوعهم من النهروان - كيفية طلبه عليه السّلام لذى النديّة في القتلى، كما يأتي في الخبر السادس و السابع من أخبار الخطيب العشرة.

هذا و روى (ذيل الطبري)^{١١٠٥}: أنّ الشياطين تحدّرت على النبيّ صلّى الله عليه و آله من الجبال و الأودية، و فيهم شيطان معه شعله نار يريد أن يحرق النبيّ صلّى الله عليه و آله ففزع و جاءه جبرئيل فقال له: قل أعوذ بكلمات الله التي لا يجاوزهن برّ و لا فاجر من شرّ ما خلق و برأ و ذرأ، و من شرّ ما ينزل من السماء، و من شرّ ما يعرج فيها، و من شرّ ما ذرأ في الأرض، و من شرّ ما يخرج منها، و من شرّ فتن الليل و النهار، و من شرّ كلّ طارق إلّا طارقا يطرق بخير يا رحمان. فطفئت نار الشياطين و هزمهم الله.

«بصعقة» في (النهاية): الصعق: الغشوة من صوت شديد و ربما مات منه، ثم استعمل في الموت كثيرا.

«سمعت لها وجبة» أى: اضطراب.

«قلبه و رجّة» أى: اضطراب.

«صدره».

قال ابن أبي الحديد^{١١٠٦} شيطان الردهة: قال قوم: إنّ ذو النديّة صاحب النهروان، و روى في ذلك خبرا عن النبيّ صلّى الله عليه و آله يقولون: إنّ ذا النديّة لم يقتل بسيف و لكنّ الله رماه يوم النهروان بصاعقة. و قال قوم: إنّ أحد الأبالسة

ص: ٢٢٢

المردة من أعوان إبليس. و روى في ذلك خبرا عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و أنّه كان يتعوذ منه. و قال قوم: إنّّه مارد يتصور في صورة حيّة و يكون في الردهة، و إنّما أخذوا هذا من لفظ الشيطان لأنّ الشيطان الحيّة، و منه قولهم: «شيطان الحماطة» و الحماطة: شجرة مخصوصة، و يقال: إنّها كثيرة الحيات.

قلت: الصحيح إرادته عليه السّلام ذا النديّة و قد وردت فيه روايات:

الاولى: ما رواه الخطيب في أبي سليمان المرعشي مسندا عنه قال: لما سار علىّ عليه السّلام إلى النهر سرت معه، فلما نزلنا بحضرتهم أخذني غمّ لقتالهم لا يعلمه إلّا الله حتى سقطت في الماء - إلى أن قال - ثم حملوا الثالثة حتى ظن الناس أنّها الهزيمة فقال علىّ عليه السّلام: و الذي فلق الحبة و برأ النّسمة لا يقتلون منكم عشرة و لا يبقى منهم عشرة. فلما سمع الناس ذلك حملوا عليهم فقتلوا، فقال: إنّ فيهم رجلا مخدج اليد - أو مودن اليد - فاتى به فقال عليه السّلام: من رأى منكم هذا؟ فاسكت

^{١١٠٥} (١) تاريخ الطبري ١١: ٥٩٢.
^{١١٠٦} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٨٣.

القوم، ثم قال: من رأى منكم هذا؟ فاسكت القوم، ثم قال من رأى منكم هذا؟ فقال رجل منهم: رأيته جاء لكذا وكذا. قال: كذبت ما رأيته، ولكن هذا أمير خارجة خرجت من الجن.

الثانية: و روى الخطيب في أبي مؤمن الوائلي مسندا عنه قال: سمعت عليا عليه السلام حين قتل الحرورية يقول: انظروا فيهم رجلا كأنّ ثدييه ثدى المرأة، أخبرني النبي صلى الله عليه وآله أنّى صاحبه. فقلّبوا القتلى فلم يجدوه - إلى أن قال - فقالوا:

سبعة منهم لم تقلّبهم. فأتوهم فقلّبوهم فوجدوه، قال أبو المؤمن: فرأيته حين جاءوا به يجروّنه في رجله حبل، فرأيت عليّا عليه السلام حين جاءوا به خرّ ساجدا.

الثالثة: و روى الخطيب أيضا في أبي كثير مولى الأنصار مسندا عنه قال: كنت مع سيدي مع عليّ عليه السلام حين قتل أهل النهروان، فكأنّ الناس وجدوا في أنفسهم عليه من قتلهم، فقال عليه السلام: أيّها الناس إنّ النبي صلى الله عليه وآله قد حدّثنا

ص: ٢٢٥

بأقوام يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون فيه حتى يرجع السهم على فوقه، وأنّ آية ذلك أنّ فيهم رجلا أسود مخدج اليد، إحدى يديه كندى المرأة، بها حلمة كحلمة ثدى المرأة، حوله سبع هلبات، فالتمسوه فإنّي أراه فيهم. فالتمسوه فوجدوه في شفير النهر تحت القتلى، فأخرجوه فكبرّ عليّ عليه السلام وقال: صدق الله ورسوله. وكان عليه السلام متقلدا قوسا عربية فأخذها بيده، وجعل يطعن بها في مخدجته، وكبرّ الناس حين رأوه واستبشروا، وذهب عنهم ما كانوا يجدون.

الرابعة: و روى^{١١٠٧} في كثير أبي الحسن البجلي - الأحمسي - مسندا عنه قال: لمّا قتل عليّ عليه السلام أهل النهروان خطب فقال: ألا إنّ الصادق المصدّق صلى الله عليه وآله حدّثني أنّ هؤلاء القوم يقولون الحق بأفواههم لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ألا وإنّ علامتهم ذو الخداجة. فطلبه الناس فلم يجدوا شيئا فقال: عودوا فإنّي والله ما كذبت. ولا كذبت فعادوا فجيء به حتى القى بين يديه، فنظرت إليه وفي يديه شعرات سود.

الخامسة: و روى^{١١٠٨} في عباد بن نسيب أبي الوضئ مسندا عنه قال:

شهدت عليا عليه السلام يوم النهروان وهو يقول: اطلبوا المخدج فوالله ما كذبت ولا كذبت. و رواه ابن طلحة الشافعي عن مسند أبي داود - زاد - قال أبو الوضئ:

فكأنّي أنظر إلى المخدج: حبشى عليه قريطق، إحدى يديه مثل ثدى المرأة، عليها شعرات مثل ذنب اليربوع.

السادسة: و روى^{١١٠٩} في عبد الله بن شدّاد بن الهاد مسندا: أنّ عبد الله دخل

^{١١٠٧} (١) الخطيب ١٢: ٤٨٠.

^{١١٠٨} (٢) الخطيب ١١: ١٠١.

على عايشة مرجعه من العراق، ليالى قتل على عليه السلام فقالت له: هل أنت صادقى عما أسألك؟ ما شئ بلغنى عن أهل العراق يقولون: ذو الندى ذو الندى، هل رأيته و قمت مع على عليه فى القتلى؟- إلى أن قال- فدعا على عليه السلام الناس فقال:

أ تعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته فى مسجد بنى فلان يصلى.

و لم يأتوا فيه بثبت يعرف إلّا ذاك - الخبر و فى النسخة سقط -.

السابعة: و روى^{١١٠} فى أبى قتادة الأنصارى: أن علياً عليه السلام لما فرغ من قتال النهروان قفل أبو قتادة و معه ستون أو سبعون من الأنصار، فبدأ بعائشة فقالت له: ما رواءك؟ فقال لها: لما تفرقت المحكمة من عسكره عليه السلام لحقناهم فقتلناهم - إلى أن قال - فاقمنا ندور على القتلى حتى وقفت بغلة النبى صلى الله عليه و آله و على عليه السلام راكبها، فقال: أقلبوا القتلى. فقلبناهم فى نهر حتى خرج فى آخرهم رجل أسود على كتفه مثل حلمة الندى، فقال على عليه السلام: «الله أكبر و الله ما كذبت و لا كذبت، كنت مع النبى صلى الله عليه و آله و قد قسم فينا، فجاء هذا فقال: يا محمد اعدل فو الله ما عدلت منذ اليوم. فقال: ثكلتك امك و من يعدل إذا لم أعدل؟

فقال عمر: إلّا أقتله؟ قال: لا، دعه فإن له من يقتله» فقالت عايشة: يا أبا قتادة ما يمنعنى ما بينى و بين على أن أقول الحق؟ سمعت النبى صلى الله عليه و آله يقول: تفترق امتى على فرقتين تمرق بينهما فرقة: محلزون رؤوسهم، محفون شواربهم، ازهرهم إلى أنصاف سوقهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يقتلهم أحبهم إلى و أحبهم إلى الله تعالى. قال أبو قتادة: فقلت: يا ام المؤمنين فأنت تعلمين هذا، فلم كان الذى كان منك؟ قالت: و كان أمر الله قدرا مقدورا و للقدور أسباب.

الثامنة: و روى^{١١١} فى ابن عباس مسندا عنه قال: لما أصيب أهل

النهروان خرج على عليه السلام و أنا خلفه فجعل يقول: ويلكم التمسوه - يعنى:

المخدج - فالتمسوه و قالوا: لم نجده. فعرف ذلك فى وجهه، فقال: ويلكم ضعوا عليهم القصب. فجاءوا به فلما رآه خرّ ساجدا.

التاسعة: و روى^{١١٢} فى أبى جحيفة السوائى مسندا عنه قال: قال على عليه السلام حين فرغنا من الحروية: إن فيهم رجلا مخدجا ليس فى عضده عظم، عضده حلمة كحلمة الندى عليها شعرات طوال عقف. فالتمسوه فلم يوجد، و أنا فى من يلتمس،

^{١١٠} (٣) الخطيب ٩: ٤٧٤.

^{١١١} (١) الخطيب ١: ١٦٠.

^{١١٢} (٢) الخطيب ١: ١٧٤.

^{١١٣} (١) الخطيب ١: ١٩٩.

فما رأيت علياً عليه السلام جزع جزعا قط أشد من جزعه يومئذ، فقالوا: ما نجده. قال: ويلكم! ما اسم هذا المكان؟ قالوا: النهروان. قال:

صدق الله ورسوله وكذبتم، إنه لفيههم فالتمسوه. فالتمسناه في ساقية فنظرت إلى عضده: ليس فيها عظم، وعلينا حلمة كحلمة ندى المرأة، عليها شعرات طوال عقاف.

العاشرة: وروى ^{١١٣} في عبد الله بن خباب مسندا عن أبي الأحوص قال:

كنا مع عليّ عليه السلام يوم النهروان فجاءت الحرورية، فكانت من وراء النهر فقال:

والله لا يقتل اليوم رجل من وراء النهر - إلى أن قال - فما لبثوا أن قتلهم فقال:

اطلبوا في القوم رجلا يده كندی المرأة. فطلبوه فقالوا: ما وجدنا. فقال: والله ما كذبت ولا كذبت، وإنه لفى القوم. ثلاث مرّات يجيئون فيقول لهم هذا القول، ثم قام هو بنفسه فجعل لا يمرّ بقتلى جميعا إلّا بحثهم، فلا يجده فيهم حتى انتهى إلى حفرة من الأرض فيها قتلى كثير، فأمرهم فبحثوا فوجد فيهم.

و روى الطبري ^{١١٤} عن عبد الملك بن أبي جرة: أن عليا خرج في طلب ذي

ص: ٢٤٨

الثدية و معه سليمان بن ثمامة الحنفى - أبو جبر - و الريان بن صبرة بن هودة، فوجده الريان في حفرة على شاطئ النهر في أربعين أو خمسين قتيلا فلما استخرج نظر إلى عضده، فإذا لحم مجتمع على منكبه كندی المرأة له حلمة عليها شعرات سود، فإذا مدت امتدت حتى تحاذى طول يده الاخرى، ثم تترك فتعود إلى منكبه كندی المرأة

و روى ^{١١٥} عن أبي مريم قال: كان عليّ عليه السلام يحدثنا قبل خروج الحرورية إلى حروراء: أن قوما يخرجون من الإسلام، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، علامتهم رجل مخدج اليد. سمعت ذلك مرارا و سمعته نافع المخدج أيضا، حتى رأيته يتكره طعامه من كثرة ما سمعه يقول، و كان نافع معنا يصلّى في المسجد بالنهار و يبيت فيه بالليل، و قد كنت كسوته برنسا فلقيته من الغد فسألته: هل كان خرج مع الناس الذين خرجوا إلى حروراء؟

فقال: خرجت اريدهم حتى إذا بلغت بنى سعد، لقيني صبيان فنزعوا سلاحي و تلعبوا بي فرجعت، حتى إذا كان الحول أو نحوه خرج أهل النهر و سار عليّ عليه السلام إليهم، فلم أخرج معه و خرج أخى أبو عبد الله فأخبرني: أن علياً عليه السلام سار إليهم حتى إذا كان حذاءهم على شط النهروان أرسل إليهم ينشدهم الله و يأمرهم أن يرجعوا، فلم تزل رسله تختلف إليهم حتى قتلوا رسوله، فلما رأى ذلك نهض إليهم فقاتلهم حتى فرغ منهم، ثم أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدج فطلبوه

^{١١٣} (٢) الخطيب ١: ٢٠٥.

^{١١٤} (٣) تاريخ الطبري ٥: ٨٨.

^{١١٥} (١) تاريخ الطبري ٥: ٩١.

هذا، و صريح خبر الخطيب الأول كون ذى الثدية من الجن، و لم يره قبل أحد من الناس، و هو مفاد خبره السادس، و لكن خبره السابع تضمن أنه عليه السلام قال: إنه جاء إلى النبي صلى الله عليه و آله وقت تقسيم فيء و قال له: ما عدلت. كما أن خبر

ص: ٢٢٩

الطبرى الثانى تضمن أنه كان مع الناس يصلّى فى المسجد و اسمه نافع، و يمكن حمل الخبر الأخير من الخطيب على أنه ظهر أيام النبي صلى الله عليه و آله أيضا وقتا، ثم لم ير بعد. و أمّا خبر الطبرى الثانى فغير قابل للحمل، و رواه (سنن أبى داود)^{١١١٦} مختصرا و قال: و اسمه عند الناس حرقوس.

و روى أيضا عن أبى سعيد الخدرى قال: بعث علىّ عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه و آله بذهية فى تربتها، فقسمها بين الأقرع الحنظلى و عيينة الفزارى و زيد الخيل الطائى و علقمة الكلابى، فغضبت قريش و الأنصار و قالت: يعطى صناديد أهل نجد و يدعنا. فقال: إنما اتالفهم فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، نأتىء الجبين، كث اللحية، محلول فقال: اتق الله يا محمد. فقال: من يطع الله إذا عصيته؟ أ يأمننى الله على أهل الأرض و لا تأمنونى؟ فسأل رجل قتله - احسبه خالد بن الوليد - فمنعه فلما ولّى قال: إن من ضئضى هذا - أو فى عقب هذا - قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام و يدعون أهل الاوثان، لئن أدركتهم قتلتهم قتل عاد.

«و لئن أذن الله فى الكره عليهم لاديلن منهم» فى (الصحيح): أدالنا الله من عدونا، من الدولة، و الإدالة: الغلبة.

«إلا ما يتشذر فى أطراف البلاد تشذرا» أى: يتفرق تفرقا، و ليس (تشذرا) فى نسخة ابن ميثم^{١١١٧}.

كتب معاوية - بعد قتل عثمان و انتقال الأمر إليه عليه السلام - إلى عبد الله بن عامر: و كأنى بكم يا بنى امية شعاعير كأوراق تقودها الحداة، أو كرخم

ص: ٢٥٠

الخدماء تذرق خوف العقاب، فشب الآن قبل أن يستسرى الفساد و ندب السوط جديد و الجرح لما يندمل، و من قبل استضرء الأسد و التقاء لحبيه على فريسته. و كتب إلى الوليد بن عقبة: فلو قد استتب هذا الأمر لمريده ألفت كشريد النعام، يفرع من ظل الطائر، و عن قليل تشرب الرنق، و تستشعر الخوف.

و مرّ فى (٧) من الفصل التاسع عنوانان، و فى (٨) منه عنوان، و فى (٩) عنوان.

ص: ٢٥١

^{١١١٦} (١) السنن لأبى داود.
^{١١١٧} (٢) شرح ابن ميثم ٤: ٣٠٦.

الخطبة (٢٥) و من خطبة له عليه السلام و قد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، و قدم عليه عاملاه على اليمن، و هما عبيد الله بن عباس و سعيد بن نمران لما غلب عليهما بسر بن أبى أرطاة، فقام عليه السلام على المنبر ضجرا بتثاقل أصحابه عن الجهاد، و مخالفتهم له فى رأى، فقال:

مَا هِيَ إِلَّا؟ الْكُوفَةُ؟ أَفْبُضُّهَا وَ أَبْسُطُهَا - إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهْبُ أَعَاصِيرُكَ فَقَبَّحَكَ اللَّهُ - وَ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ -

لَعْمَرُ أَيْبِكَ الْخَيْرِ يَا؟ عَمْرُو؟ إِنِّى عَلَى وَضْرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلٍ

ثُمَّ قَالَ عَ أَنْبِئْتُ؟ بُسْرًا؟ قَدْ اطَّلَعَ؟ الْيَمَنُ؟ - وَ إِنِّى وَ اللَّهُ لَأُظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيُذَلُّونَ

مِنْكُمْ - بَاغْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَ تَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ - وَ بِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ وَ طَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ - وَ بَادَائِهِمْ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَ خِيَانَتِكُمْ - وَ بَصَلَّاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَ فَسَادِكُمْ - فَلَوْ ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ - لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بَعْلَاقَتِهِ - اللَّهُمَّ إِنِّى قَدْ مَلِئْتُهُمْ وَ سَمِئْتُهُمْ وَ سَمِئُونِى - فَأُبْدِلْنِى بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَ أَبْدِلْهُمْ بِى شَرًّا مِنِّى - اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبِهِمْ كَمَا يُمَاتُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ - أَمَا وَ اللَّهُ لَوُدِدْتُ أَنْ لَبِى بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ - مِنْ؟ بَنَى فِرَاسٍ بِنِ غَنَمٍ؟ -

هَذَا لِكَ لَوْ دَعَوْتُ أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ

- ثُمَّ نَزَلَ عَ مِنَ الْمِنْبَرِ.

قال الشريف: «أقول: الأرمية جمع رمى، و هو السحاب، و الحميم هاهنا: وقت الصَّيف، و إنما خصَّ الشاعر سحاب الصيف بالذكر لآئه أشدَّ جفولا، و أسرع خفولا لآئه لا ماء فيه، و إنما يكون السحاب ثقيل السير بالماء، و ذلك لا يكون فى الأكثر إلَّا زمان الشتاء، و إنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا، و الإغاثة إذا استغيثوا، و الدليل على ذلك قوله:

(هناك لو دعوت أتاك منهم)

«أقول: رواها (مروج المسعودي - مروج الذهب - ج ٣ ص ١٤٢ المسعودي)^{١١٨} مع اختلاف، روى عن المنقري عن عبد العزيز بن الخطاب الكوفي عن فضيل بن مرزوق قال: لما غلب بسر على اليمن - وكان قتله لا بنى عبيد الله بن العباس، و لأهل مكة و المدينة ما كان - قام علىّ عليه السّلام خطيباً ثم قال: «إنّ بسر بن أرطاة قد غلب على اليمن، و الله ما أرى هؤلاء القوم إلّا سيغلبون على ما فى أيديكم، و ما ذلك بحق فى أيديهم، و لكن بطاعتهم و استقامتهم (للمعاوية - ظ) و معصيتكم لى، و تنصرهم و تخاذلكم،

ص: ٢٥٥

و إصلاح بلادهم و إفساد بلادكم، و تالله يا أهل الكوفة لوددت أنّى صرفتكم صرف الدنانير العشرة بواحد - ثم رفع يديه فقال - اللهم إنّى قد مللتهم و ملّونى و سئمتهم و سئمونى فأبدلنى بهم خيراً و أبدلهم بى شراً منى. اللهم عجلّ عليهم بالغلام التقفى الذبال الميال، يأكل خضراها و يلبس فروها و يحكم فيها بحكم الجاهلية، لا يقبل من محسنها و لا يتجاوز عن مسيئها» و ما كان ولد الحجاج يومئذ.

و جعل البلاذرى غارة بسر الخامس من غارات معاوية، و روى عن أبى مخنف باسناده: أنّه عليه السّلام لما بلغه خبر بسر سعد المنبر ثم قال: أمّا بعد فإنّى دعوتكم عوداً و بدءاً و سرا و جهراً، فى الليل و النهار و الغدو و الآصال، فما زادكم دعائى إلّا فراراً و إدباراً، أمّا ينفعكم العظة و الدعاء إلى الهدى؟ و إنّى لعالم بما يصلحكم و يقيم أودكم و لكنّى - و الله - لا أرى إصلاحكم بفساد نفسى. إنّ من ذلّ المسلمين و هلاك هذا الدين أنّ ابن أبى سفيان يدعو الأشرار فيجانب، و أدعوكم - و أنتم الأفضلون الأخيار - فتراوغون و تدافعون! قول المصنف: «و من خطبة له عليه السّلام» و له عليه السّلام خطبة اخرى فى مسير بسر إلى اليمن، رواها (الإرشاد)^{١١٩} فقال: و من كلامه عليه السّلام فى استنفار القوم و استبطائهم عن الجهاد، و قد بلغه مسير بسر إلى اليمن: «أمّا بعد أيّها الناس، فإنّ أوّل رفثكم و بدء نقضكم ذهاب أولى النهى و أهل الرأى منكم، الذين كانوا يلقون فيصدقون، و يقولون فيعدلون، و يدعون فيجيبون، و إنّى و الله قد دعوتكم عوداً و بدءاً و سرا و جهراً، و فى الليل و النهار و الغدو و الآصال، ما يزيدكم دعائى إلّا فراراً و إدباراً، اما ينفعكم العظة و الدعاء إلى الهدى و الحكمة؟ و إنّى لعالم بما يصلحكم و يقيم أودكم و لكنّى - و الله - لا أصلحكم

ص: ٢٥٦

^{١١٨} (١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٤٢.
^{١١٩} (١) الإرشاد: ١٤٥.

بفساد نفسى، و لكن أمهلونى قليلا فكأنكم- و الله- بامرئ قد جاءكم يحرمكم و يعذبكم، فيعذبه الله كما يعذبكم! إن من ذل المسلمين و هلاك الدين أن ابن أبى سفيان يدعو الأردال الأشرار فيجاب، و أدعوكم- و أنتم الأفضلون الأخيار- فتراوغون و تدافعون! و ما هذا بفعل المتقين»:

و الظاهر أن هذه الخطبة كانت فى أول مسير بسر و خطبة المتن فى آخره.

«و قد تواترت» قال ابن أبى الحديد^{١١٢٠}: عدّه بعضهم من أغلاط الخاصة.

و قال: التواتر لا يكون إلّا مع فترات، فقولته تعالى: «ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا»^{١١٢١} ليس المراد أنهم مترادفون، بل بين كل نبين فترة لأن تترى: من الوتر.

قلت: ممّن قاله الثعالبي، و ليس كما قال، ففي خبر نعى محمد بن أبى بكر إليه عليه السلام حدثه الفزارى: أنه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشراء من قبل عمرو بن العاص تترى- يتبع بعضها بعضا- بفتح مصر و قتل محمد.

و فى (الأغانى)^{١١٢٢}- قالت زوجة عبيد الله بن العباس فى ابنها اللذين قتلها بسر:

تتابع بين و لولة و بين مدامع تترى

«عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد» فى (الطبرى)^{١١٢٣}:

فى سنة (٣٩) كان تفريق معاوية جيوشه فى أطراف علىّ عليه السلام فوجّه النعمان بن بشير فى الفين إلى عين التمر، و بعث سفيان بن عوف فى ستة آلاف إلى

ص: ٤٥٧

هيت و الأنبار و المدائن، و وجّه عبد الله بن مسعدة الفزارى فى ألف و سبعمائة رجل إلى تيماء، و وجّه الضحّاك بن قيس إلى واقصة و الأعراب و الثعلبية و القطقانة.

«و قدم عليه عاملاه على اليمن» الأوّل على صنعاء اليمن، و الثانى على جند اليمن و جند أعظم من صنعاء.

^{١١٢٠} (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٣٣.

^{١١٢١} (٢) المؤمنون: ٤٤.

^{١١٢٢} (٣) الأغاني ١٦: ٢٦٥.

^{١١٢٣} (٤) تاريخ الطبرى ٥: ١٣٣.

«و هما عبيد الله بن عباس» هكذا في (المصرية)^{١١٢٤} و الصواب: (العباس) كما في (ابن أبي الحديد)^{١١٢٥} و ابن ميثم^{١١٢٦} و الخطيئة).

و في (الإستيعاب)^{١١٢٧}: كان عبيد الله أصغر من أخيه عبد الله بسنة، استعمله علىّ عليه السلام على اليمن و أمره على الموسم، فحج بالناس سنة (٣٦) و (٣٧)، و كان أحد الأجواد و كان يقال: من أراد الجمال و الفقه و السخاء فليأت دار العباس. الجمال للفضل و الفقه لعبد الله و السخاء لعبيد الله، و عبيد الله هو الذي ترك عسكر الحسن عليه السلام و لحق بمعاوية.

«و سعيد بن نمران» كان سعيد من سبعة من أصحاب حجر نجوا من القتل، استشفع له إلى معاوية حمزة بن مالك، لكون كلّ منهما من همدان، فوهبه له.

و في (الطبري)^{١١٢٨}: لما أقبل الأعور الذي بعثه معاوية لقتل حجر و أصحابه، قال كريم بن عفيف الخنعمي: حين رأى الأعور يقتل نصفنا و ينجو نصفنا فقال سعيد بن نمران: اللهم اجعلني ممّن ينجو و أنت عنه راض.

ص: ٤٥٨

و في (الإستيعاب)^{١١٢٩}: كان سعيد كاتباً علىّ عليه السلام.

«لما غلب عليهما» هكذا في (المصرية) و الصواب: (عليها) أي: على اليمن كما في المدرك (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيئة).

«بسر بن أبي أرطاة» كونه بسر بن أبي أرطاة في (الطبري)^{١١٣٠} و انساب البلاذري. و رواه عن أبي مخنف، و بعضهم جعله ابن أرطاة.

و روى البلاذري: أن بسرا لما قتل عمرو بن أراكه - خليفة عبيد الله بن عباس على اليمن - قال أبوه:

لعمري لقد اردى ابن أرطاة فارسا بصنعاء كالليث الهزبر إلى اجر

و في (الإستيعاب)^{١١٣١}: بسر بن أرطاة بن أبي أرطاة عويمر بن عمران من عامر بن لؤي.

^{١١٢٤} (١) المصرية ١: ٥٩.
^{١١٢٥} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٣٢.
^{١١٢٦} (٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٦.
^{١١٢٧} (٤) الإستيعاب ٢: ٤٣٠.
^{١١٢٨} (٥) تاريخ الطبري ٥: ٢٧٤.
^{١١٢٩} (١) الإستيعاب ٢: ١٤.
^{١١٣٠} (٢) تاريخ الطبري ٥: ١٣٩.

و فيه ذكر ابن الكلبي في (صفينه): أنَّ بسرا بارز عليًا عليه السَّلام فصرعه فكفَّ عنه، كما عرض له عليه السَّلام مع عمرو بن العاص.

قال الحارث بن النضر السهمي:

أ في كل يوم فارس ليس ينتهي	و عورته وسط العجاجة باديه
يكف لها عنه على سنانه	و يضحك عنه في الخلاء معاويه
بدت أمس من عمرو فقتنَّ رأسه	و عورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقلولا لعمرو ثم بسر ألا انظرا	سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه
و لا تحمدا إلَّا الحيا و خصاكما	هما كانتا و الله للنفس واقيه

و إنما انصرف عليٌّ عليه السَّلام عنهما لأنَّه كان يرى في قتال الباغيين عليه آلا

ص: ٤٥٩

يتبع مدبرا، إلَّا أنَّ أبا حنيفه قال: ان انهزم الباغي إلى فئة أتبع و إلى غير فئة لم يتبع.

قلت: لا يدري صاحب (الإستيعاب) ما يقول، فأبو حنيفه و غيره إنما عرفوا أحكام جهاد الباغيين من سيرته عليه السَّلام مع أهل الجمل و صفين، فالنبيَّ صَلَّى الله عليه و آله لم يبين أحكامهم قولاً و لا اتَّفَق له ذلك فعلاً، و إنما كف عن عمرو بن العاص و بسر بن أرطاة لأنَّهما كشفا دبرهما، لا أنَّهما أدبرا من الحرب.

و في (الإستيعاب)^{١١٣٢} عن أبي مخنف: لمَّا توجه بسر بن أرطاة إلى اليمن هرب عبيد الله، فأتى بسر بابني عبيد الله فذبهما، فنال أمَّهما من ذلك أمر عظيم، فأنشأت تقول:

يا من أحس بابني اللذين هما	سمعي و عقلي فقلبي اليوم مزدهف
حدثت بسرا و ما صدقت ما زعموا	من فعلهم و من الإثم الذي اقترفوا

^{١١٣١} (٣) الإستيعاب ١: ١٥٤.
^{١١٣٢} (١) الإستيعاب ١: ١٥٦.

أنجى على ودجى ابني مرهفء

مشحودة و كذاك الإثم يقترف

ثم وسوست فكانت تقف فى الموسم تنشد هذا الشعر، و تهيم على وجهها.

و فى (الأغاني)^{١١٣٣} قال الاصمعى: و سمع رجل من أهل اليمن - و قد قدم مكة - امرأة عبید الله تنذب ابنها اللذين قتلها بسر بن أوطاء بقولها: «يا من أحس ...» فرق لها و اتصل ببسر حتى وثق به، ثم احتال لقتل ابنه فخرج بهما إلى وادى أوطاس، فقتلها و هرب، و قال:

يا بسر بسر بنى أوطاء ما طلعت

شمس النهار و لا غابت على الناس

خير من الهاشميين الذين همو

عين الهدى و سمام الأسواق القاس

ص: ٤٦٠

ما ذا أردت إلى طفلى مولءة

تبكى و تنشد من انكلت فى الناس

إما قتلتهما ظلما فقد شرقت

من صاحبيك قناتى يوم أوطاس

فاشرب بكأسهما ثكلا كما شربت

أم الصبيين أو ذاق ابن عباس

و فى (المروج)^{١١٣٤}: كان على عليه السلام حين اتاه خبر قتل بسر ابنى عبید الله دعا على بسر فقال: اللهم اسلبه دينه و عقله. فخرف حتى ذهل عقله و كان لا يفارقه السيف، فجعل له سيف من خشب، و جعل فى يديه زقّ منفوخ كلما تخرق أبدل، فلم يزل يضرب ذلك الزقّ بذلك السيف حتى مات ذاهل العقل يلعب بخرئه، و ربّما كان يتناول ثم يقبل على من يراه فيقول: انظروا كيف يطعمنى هذان الغلامان ابنا عبید الله. و كان ربّما شدّت يده إلى وراء منعا من ذلك، فأنجى ذات يوم فى مكانه ثم أهوى

^{١١٣٣} (٢) الأغاني ١٦: ٢٧٢.
^{١١٣٤} (١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٧٢.

بفيه فتناول منه، فبادروا إلى منعه فقال: أنتم تمنعونني و عبد الرحمن و قثم ابني عبيد الله يطعماني. مات في أيام الوليد بن عبد الملك.

و فيه و في (الأغاني)^{١١٣٥}: دخل عبيد الله يوما على معاوية و عنده بسر بن أرتاء، فقال له عبيد الله: أنت قاتل الصبيين؟ قال: نعم. قال: و الله لوددت أن الأرض انبتتني عندك يومئذ. فقال له بسر: قد أنبتك الساعة. فقال عبيد الله: ألا سيف؟ فقال: هاك سيفي. فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله قبض معاوية على يد عبيد الله قبل أن يقبض على السيف، ثم أقبل على بسر فقال: أخزأك الله من شيخ قد كبرت و ذهل عقلك، تعتمد إلى رجل موتور من بني هاشم فتدفع إليه سيفك؟ إنك لغافل عن قلوب بني هاشم، و الله لو تمكن من السيف لبدأ بي قبلك. قال عبيد الله: ذلك و الله أردت.

ص: ٤٦١

قال ابن أبي الحديد^{١١٣٦}: إن الذي هاج معاوية على تسريح بسر إلى اليمن:

أن قوما بصنعاء كانوا من شيعة عثمان يعظمون قتله، و لكن لم يكن لهم رأس فبايعوا لعلّ عليه السلام على ما في أنفسهم، و عامله عليه السلام على صنعاء يومئذ عبيد الله، و على الجند سعيد، فلما اختلف الناس عليه بالعراق، و قتل محمد بن أبي بكر بمصر، و كثرت غارات أهل الشام دعوا إلى الطلب بدم عثمان، فبلغ ذلك عبيد الله فأرسل إلى وجوههم فقال: ما الذي بلغني عنكم؟ قالوا: إننا لم نزل ننكر قتل عثمان و نرى مجاهدة من سعى عليه. فحبسهم فكتبوا إلى من بالجند من أصحابهم، فثاروا بسعيد و اخرجوه من الجند و أظهروا أمرهم، و خرج إليهم من كان بصنعاء و انضم إليهم كل من كان على رأيهم، و لحق بهم قوم لم يكونوا على رأيهم لكن ارادوا منع الصدقة، فالتقى عبيد الله و سعيد فقال عبيد الله لسعيد: لقد اجتمع هؤلاء و إنهم لنا لمقاربون، و إن قاتلناهم لا ندرى على من تكون الدبرة؟ فهلّم فكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام بخبرهم فكتبنا ذلك، فكتب عليه السلام إليهما:

أتاني كتابكما تذكران خروج هذه الخارجة و تعظمان من شأنها صغيرا، و تكثران من عددها قليلا، و قد علمت أن نحب أفئدتكما و صغر أنفسكما، و عدم ثبات رأيكما و سوء تدبيركما هو الذي أفسد عليكما من لم يكن عليكما فاسدا، و جرّا عليكما من كان عن لقائكما جبانا، فإذا قدم رسولي عليكما فامضيا إلى القوم حتى تقرأ عليهم كتابي، و تدعواهم إلى حظهم و تقوى ربهم، فإن أجابوا حمدنا الله و قبلناهم، و ان حاربوا استعنا بالله عليهم و نابذناهم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين.

قالوا: و قال عليه السلام ليزيد بن قيس الأرحبي: ألا ترى إلى ما صنع قومك؟

ص: ٤٦٢

^{١١٣٥} (٢) الأغاني ١٦: ٢٧٢.
^{١١٣٦} (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢.

فقال: إنَّ ظَنِّي بقومى لحسن فى طاعتك، فإن شئت خرجت إليهم فكففتهم، وإن شئت كتبت إليهم فننظر ما يجيبون؟ وكتب عليه السَّلام إليهم: من عبد الله علىَّ أمير المؤمنين إلى من شاقَّ و غدر من أهل الجند و صنعاء، أمَّا بعد، فإنِّي أحمد الله الذى لا إله إلَّا هو الذى لا يعقب له حكم، و لا يرد له قضاء و لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، و قد بلغنى تجرَّيكم و شقاقكم و إعراضكم عن دينكم بعد الطاعة و إعطاء البيعة، فسألت أهل الدين الخالص و الورع الصادق و اللب الراجح، عن بدء محرَّكم و ما نويتم به و ما أحششكم له، فحدثت عن ذلك بما لم أر لكم فى شيء منه عذرا مبينا، و لا مقالا جميلا و لا حجة ظاهرة، فإذا أتاكم رسولى فتفرقوا و انصرفوا إلى رحالكم، أعف عنكم و أصفح عن جاهلكم و أحفظ قاصيكم و أعمل فيكم بحكم الكتاب، فإن لم تفعلوا فاستعدوا لعدو من جيش جمَّ الفرسان، عظيم الأركان يقصد لمن طغى و عصى فتطحنوا كطحن الرحي، فمن أحسن فلنفسه و من اساء فعليها «وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ»^{١١٣٧}.

و وجَّه الكتاب مع رجل من همدان فقدم عليهم بالكتاب فلم يجيبوه إلى خير، فقال لهم: إنِّي تركت أمير المؤمنين عليه السَّلام يريد أن يوجَّه إليكم يزيد بن قيس الأرحبى فى جيش كثيف، فلم يمنعه إلَّا انتظار جوابكم، فقالوا: نحن سامعون مطيعون إن عزل عنا هذين الرجلين: عبيد الله و سعيد. فرجع و أخبره عليه السَّلام.

قالوا و كتب تلك العصابة - حين جاءهم كتاب علىَّ عليه السَّلام - إلى معاوية يخبرونه، و كتبوا فى كتابهم:

نبايع عليًّا أو يزيد اليمانيا

معاوى آلا تسرع السير نحونا

فلما قدم كتابهم دعا بسر بن أبى أرطاة - و كان قاسى القلب فظًّا غليظا سفاكا للدماء، لا رأفة عنده و لا رحمة - فأمره أن يأخذ طريق الحجاز و المدينة فصَلَّت

ص: ٤٦٣

و مكة حتى ينتهى إلى اليمن، و قال له: لا تنزل على بلد أهله على طاعة علىَّ إلَّا بسطت عليهم لسانك، حتى يروا أنَّهم لا نجا لهم و أنَّك محيط بهم، ثم أكف عنهم و ادعهم إلى البيعة لى، فمن أبى فاقتله، و اقتل شيعة علىَّ حيث كانوا.

قال: و روى التقي^{١١٣٨} عن نمير بن وعلة عن أبى و داك قال: كنت عند علىَّ عليه السَّلام حين قدم عليه سعيد فعتب عليه و على عبيد الله آلا يكونا قاتلا بسرا، فقال سعيد: قد و الله قاتلت و لكن ابن العباس خذلى و أبى أن يقاتل، و لقد خلوت به حين دنا منه بسر فقلت: إنَّ ابن عمك لا يرضى منى و منك بدون الجدِّ فى قتالهم. قال: لا و الله ما لنا بهم من طاقة. فقممت فى الناس و قلت: من كان فى طاعتنا فإلى. فأجابنى منهم عصابة فقاتلت بهم قتالا ضعيفا، و تفرَّق الناس عنى فانصرفت.

^{١١٣٧} (١): ٤٦.

^{١١٣٨} (١) الغارات للتقي ٢: ٦١٩.

قال: و قال النقي^{١٣٩}: روى عوانة عن الكلبي: أن بسرا لما خرج من المدينة إلى مكة قتل في طريقه رجالا و أخذ أموالا، و بلغ أهل مكة خبره فتنحى عنها عامّة أهلها، و تراضى الناس بشيعة بن عثمان أميرا لما خرج قثم بن العباس - عامل على عليه السلام - عنها هاربا، فدخل مكة و خطبهم و قال: الحمد لله الذي أعزّ دعوتنا و أذلّ عدونا بالقتل و التشريد، هذا ابن أبي طالب بناحية العراق في ضنك و ضيق قد ابتلاه الله بخطيئته و سلمه بجريسته، فتفرق عنه أصحابه ناقلين عليه و ولى الأمر معاوية الطالب بدم عثمان فبايعوا. و وجه رجلا من قريش إلى تبالة و بها قوم من شيعة على عليه السلام، و امر بقتلهم فأخذهم و كلّم فيهم و قيل له: هؤلاء قومك فكفّ عنهم حتى نأتيك بكتاب من بسر بأمانهم. فحبسهم و خرج منيع الباهلي من عندهم إلى بسر و هو بالطائف

ص: ٤٦٤

يستشفع إليه فيهم، فتحمل عليه يقوم من الطائف فكلموه فيهم و سألوه الكتاب بإطلاقهم، فوعدهم و مطلبهم بالكتاب حتى ظن أنه قتلهم القرشي المبعوث لقتلهم، و أن كتابه لا يصل إليهم حتى يقتلوا، ثم كتب لهم، فأتى منيع منزله و كان قد نزل على امرأة بالطائف و رحله عندها، فلم يجدها في منزلها فوطأ على ناقته بردائه و ركب، فسار يوم الجمعة و ليلة السبت لم ينزل عن راحلته قط فأتاهم ضحوه و قد أخرج القوم ليقتلوا و استبطيء كتاب بسر فيهم، فقدّم رجل منهم فضربه شامي فانقطع سيفه، فقال الشاميون بعضهم لبعض:

شيموا سيوفكم حتى تلين فهزوها. و تبصّر منيع الباهلي بريق السيوف فالمر بثوبه، فقال القوم: هذا راكب عنده خبر فكفوا. و قام به بعيره فنزل عنه و جاء على رجليه يشدو، فدفع الكتاب إليهم فاطلقوا. و كان الرجل المقدّم الذي ضرب فانكسر السيف: أخاه.

و خرج بسر من الطائف حتى مرّ ببني كنانة و فيهم ابنا عبيد الله بن العباس و أمهما فطلبهما، فدخل رجل من بني كنانة - كان أبوهما أوصاه بهما - فأخذ السيف من بيته فخرج فقال له: بسر ما كنا أردنا قتلك فلم عرّضت نفسك للقتل؟ قال: اقتل دون جاري اعذر لي عند الله و الناس. ثم شدّ على أصحاب بسر حاسرا و هو يرتجز:

و لا يموت مصلتا دون الجار

آليت لا يمنع حافات الدار

آلّا فتى أروع غير غدار

فضارب بسيفه حتى قتل، ثم قدّم الغلامان فقتلا، فخرج نسوة من بني كنانة فقالت امرأة منهن: هذه الرجال تقتلها، فما بال الولدان؟ فوالله ما كانوا يقتلون في جاهلية و لا إسلام، و الله إن سلطانا لا يشتدّ إلّا بقتل الضرع الضعيف و الشيخ الكبير، و رفع الرحمة و قطع الأرحام، لسلطان سوء. فقال

بسر: و الله لهممت أن أضع فيكن السيف. قالت: و الله إنه لأحب إليّ إن فعلت.

و أتى نجران فقتل عبد الله بن عبد المدان و كان صهر العبيد الله بن العباس، و قتل ابنه مالكا ثمّ جمعهم و قال: يا أهل نجران يا معشر النصارى و إخوان القروء! أما و الله إن بلغنى عنكم ما أكره، لأعودنّ إليكم بالتي يقطع النسل و يهلك الحرث و تخرب الديار.

ثم سار حتى أتى أرحب فقتل أبا كرب و كان يتشيع، و يقال: إنه سيد من كان بالبادية من همدان، فقدّمه فقتله.

و أتى صنعاء و قد خرج عنها عبيد الله و استخلف عليها عمرو بن أراكة الثقفى، فمنع بسرا من دخوله و قاتله، فقتله بسر و دخل فقتل منها قوما، و أتاه و فد مأرب فقتلهم، فلم ينج منهم إلّا رجل واحد رجع إلى قومه و قال: «انعى قتلانا شيوخا و شبانا».

ثمّ خرج من صنعاء فأتى أهل حبسان - و هم شيعة علىّ عليه السّلام - فقاتلهم و قاتلوه، فهزمهم و قتلهم قتلا ذريعا.

ثمّ رجع إلى صنعاء فقتل بها مائة شيخ من أبناء فارس، لأنّ ابنى عبيد الله كانا مستترين فى بيت امرأة من أبناء فارس تعرف بابنة بزرج. و كان الذى قتل بسر فى وجهه ذلك ثلاثين ألفا، و حرق قوما بالنار.

قال ابن أبى الحديد^{١١٤٠}: كان مسلم بن عقبة ليزيد و ما عمل بالمدينة فى وقعة الحرّة، كما كان بسر لمعاوية و ما عمل فى الحجاز و اليمن «و من أشبه اباه فما ظلم».

قلت: و معاوية أشبه صديقهم و فاروقهم، فكتب إلى محمد بن أبى بكر

- كما فى (المروج)^{١١٤١} و غيره-: و قد كنّا و أبوك معنا فى حياة نبيّنا نرى حق ابن أبى طالب لازما لنا و فضله مبرزا علينا، فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده و أتمّ له ما وعده و أظهر دعوته و افلج حجته قبضه إليه، فكان أبوك و فاروقه أوّل من ابتزه و خالفه و على ذلك اتّفقا و اتّسقا، ثم دعوا إلى انفسهما فابطأ عنهما و تكلّأ عليهما، فهما به الهموم و أرادا به العظيم فبايع و سلّم لهما، و لا يشركانه فى أمرهما و لا يطلعانه على سرهما حتى قبضا و انقضى أمرهما - إلى أن قال - فخذ حذرک - يا ابن أبى بكر - و قس شبرک بفترك تقصر من أن توازى من ترن الجبال حلمه، الذى أبوك مهد مهاده و بنى ملكه و شاده، فإن يكن ما نحن فيه صوابا فأبوك أوّل، و إن يكن جورا فأبوك أسّ و نحن شركاؤه، و بهديه أخذنا و بفعله اقتدينا، و لو لا ما سبقنا إليه

^{١١٤٠} (١) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٨.

^{١١٤١} (١) مروج الذهب ٣: ٢١.

أبوك ما خالفنا ابن أبي طالب و أسلمنا له، لكنّا رأينا أباك فعل ذلك فاحتذينا بمثاله و اقتدينا بفعاله، فعب أباك ما بدا لك أو دع.

و فى (الإستيعاب)^{١١٤٢}: ذكر أبو عمرو الشيباني أنّ بسرا فى هذه الخرجة أغار على همدان و قتل و سبى نساءهم، فكن أولّ مسلمات سبين فى الإسلام.

و روى (الإستيعاب) مسندا عن أبي الرباب و صاحب له: أنّهما سمعا أبا ذر يتعوّذ فى صلاة صلّاها، فسألناه مم تعوذت؟ فقال: من يوم البلاء و يوم العورة- إلى أن قال- و أمّا يوم العورة فإنّ نساء من المسلمات يسبين فيكشف عن سوقهن، فأيتهن كانت أعظم ساقا اشترت على عظم ساقها، فدعوت الله ألا يدركنى هذا الزمان، و لعلكما تدركانه. قالّا: فقتل عثمان ثم أرسل معاوية بسرا إلى اليمن، فسبى نساء من المسلمات فأقمن فى السوق.

ص: ٤٦٧

و فى (الطبرى)^{١١٤٣}: ممّا كان فى سنة أربعين توجيه معاوية بسرا فى ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز، فذكر عن زياد البكائي عن عوانة قال:

أرسل معاوية بعد تحكيم الحكيمين بسرا- و هو رجل من بنى عامر بن لؤى- فى جيش فسار حتى قدم المدينة، و عامل علىّ عليه السّلام على المدينة يومئذ أبو أيوب ففرّ و أتى الكوفة، فصعد بسر منبر المدينة و نادى: يا دينار يا نجار يا زريق شيخي شيخي! عهدي به بالامس فأين هو؟- يعنى عثمان-.

ثمّ قال: يا أهل المدينة لو لا ما عهد الىّ معاوية ما تركت بها محتلما إلّا قتلته. ثم بايع أهل المدينة، و أرسل إلى بنى سلمة فقال: ما لكم عندى أمان حتى تأتونى بجابر بن عبد الله. فانطلق جابر إلى أمّ سلمة و قال لها: ما ذا ترين، خشيت أن اقتل و هذه بيعة ضلالة؟ قالت: أرى أن تباع. فإننى قد أمرت ابني عمر بن أبى سلمة أن يبايع، و أمرت ختنى عبد الله بن زمعة أن يبايع. فأتاه جابر فبايعه، و هدم بسر دورا بالمدينة ثم مضى حتى أتى مكة- إلى أن قال- و لقي بسر ثقل عبيد الله باليمن فذبح ابنه، و قيل: وجدهما عند رجل من بنى كنانة من أهل البادية، فلمّا أراد قتلهما قال الكنانى: إن كنت قاتلهما فاقتلنى معهما.

قال: أفعّل. فبدأ به ثم بهما، و قيل: إنّ الكنانى قاتل عنهما حتى قتل.

و قتل فى مسيره ذلك جماعة كثيره من شيعة علىّ عليه السّلام باليمن، و بلغ عليّا عليه السّلام خبر بسر فوجّه جارية بن قدامة فى ألفين، و وهب بن مسعود فى ألفين، فسار جارية حتى أتى نجران فحرق بها، و أخذ ناسا من شيعة عثمان فقتلهم، و هرب بسر و أصحابه منه و اتبعهم حتى بلغ مكة، فقال لهم: بايعونا.

فقالوا: قد هلك أمير المؤمنين فلمن نبايع؟

^{١١٤٢} (٢) الإستيعاب ١: ١٥٧.

^{١١٤٣} (١) تاريخ الطبرى ٥: ١٣٩.

و فى (الأغاني)^{١١٤٤}: و مضى بسر من المدينة إلى مكة فقتل نفرا من آل أبى لهب، ثم أتى السراء فقتل من بها من أصحابه، و أتى نجران فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثى و ابنه، و كانا من أصحاب عبيد الله بن عباس - إلى أن قال - فسرّح علىّ عليه السلام جارية بن قدامة السعدى فى طلبه فخرج مسرعا، فلمّا وصل المدينة انتهى إليه قتل علىّ عليه السلام و معه الحسن عليه السلام، فركب فى السلاح و دعا أهل المدينة إلى البيعة للحسن عليه السلام فامتنعوا، فقال: و الله لتبايعن و لو باستهاكم.

فلما رأى أهل المدينة ذلك بايعوا الحسن عليه السلام

«فقام عليه السلام على المنبر» هكذا فى المصريّة^{١١٤٥} و الصواب: (إلى المنبر) كما فى (ابن أبى الحديد^{١١٤٦} و ابن ميثم^{١١٤٧}).

«ضجرا بتناقل أصحابه عن الجهاد و مخالفتهم فى رأى» قال ابن أبى الحديد^{١١٤٨}: روى (غارات الثقفي)^{١١٤٩} عن يزيد بن جابر الأزدى قال: سمعت عبد الرحمن بن مسعدة الفزارى يحدث فى خلافة عبد الملك قال: لما دخلت سنة أربعين تحدّث الناس بالشام أنّ عليا يستنفر الناس بالعراق فلا ينفرون، و تذكروا أن قد اختلفت أهواؤهم و وقعت الفرقة بينهم، فقامت فى نفر من أهل الشام إلى الوليد بن عقبة فقلنا له: إنّ الناس لا يشكّون فى اختلاف الناس علىّ بالعراق، فادخل إلى صاحبك فمرّه فليسر بنا إليهم قبل أن يجتمعوا بعد تفرقهم، أو يصلح لصاحبهم ما قد فسد عليه من أمره. فقال: لقد قاولته فى ذلك

و راجعته حتى لقد برم بى، و ايم الله على ذلك ما ادع أن ابلغه ما مشيتم إلى فيه.

فدخل عليه فخبّره بمجيئنا إليه و مقالتنا له، فأذن لنا فدخلنا عليه فقلنا: هذا خبر فى الناس سائر فشمّر و اهتبل الفرصة، فإنّك لا تدري متى تقدر على عدوك.

فقال: إنّ هؤلاء الذين يذكرون تفرّقهم على صاحبهم و اختلاف أهوائهم لم يبلغ عندي بهم أن أكون أطمع فى استيصالهم، و أن أسير إليهم مخاطرا بجندى لا أدرى علىّ تكون الدائرة أم لى؟ فإنّكم و استبطائى! فإنّى آخذ بكم فى وجه هو أرفق و أبلغ فى هلاكهم، قد شننت عليهم الغارات من كل جانب، فخليلى مرّة بالجزيرة و مرّة بالحجاز، و قد فتح الله ما بين ذلك: مصر، عزّ بفتحها وليّنا و أذل به عدوّنا و أشراف أهل العراق لمّا يرون من حسن صنيع الله لنا يأتوننا على قلائصهم فى كل أيام، و هذا ممّا يزيدكم و ينقصهم و يقويكم و يضعفهم، فلا تعجلوا فإنّى لو رأيت فرصة لاهتبلتها. فخرجنا من عنده و نحن نعرف الفضل فى ما ذكر. و بعث عند خروجنا من عنده بسرا إلى اليمن و قال له: تمرّ بالمدينة - إلى أن قال - فقال الوليد: أشرنا على معاوية برأينا

^{١١٤٤} (١) الأغاني ١٦: ٢٧١.

^{١١٤٥} (٢) الطبعة المصرية ١: ٥٩.

^{١١٤٦} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٣٢.

^{١١٤٧} (٤) شرح ابن ميثم ٢: ١٧.

^{١١٤٨} (٥) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٦.

^{١١٤٩} (٦) الغارات للثقفى ٢: ٥٩٩.

أن يسير إلى الكوفة، فبعث الجيش إلى المدينة، فمثلنا و مثله كما قال الأول: اريها السَّهَى و ترينى القمر. فبلغ ذلك معاوية و قال: و الله لقد هممت بمساءة هذا الأحمق الذى لا يدري و لا يحسن سياسة الامور.

«فقال» هو تأكيد بعد قوله: «و من خطبة له» و زاد ابن ميثم^{١١٥٠} و ابن أبى الحديد^{١١٥١}: «عليه السَّلام» بعده.

قوله عليه السَّلام: «ما هي» أى: مملكتى أو بلادى، و قال ابن ميثم^{١١٥٢}: الضمير

ص: ٤٧٠

للكوفة و لا معنى له. هذا، و كذلك صار الأمر فى أواخر العباسيين.

ففى (الدميرى) فى خلافة الراضى بن المقتدر: كانت البصرة و واسط و الأهواز فى يد عبد الله البريدى و أخويه، و فارس فى يد عماد الدولة بن بويه، و الموصل و ديار بكر و ديار ربيعة و ديار مضر فى يد بنى حمدان، و مصر و الشام فى يد الاخشيد بن طنج، و المغرب و إفريقيا فى يد المهدي، و الأندلس فى يد بنى امية، و خراسان و ما والاها فى يد نصر بن أحمد السامانى، و البمامة و هجر و البحرين فى يد أبى طاهر القرمطى، و طبرستان و جرجان فى يد الديلم، و لم يبق فى يد الراضى سوى بغداد و ما والاها.

«إِلَّا الكوفة» قال الحموى: سميت الكوفة كوفة لاستدارتها، أخذنا من قولهم: رأيت كوفانا- بالضم و الفتح- للرملة المستديرة، و قيل: لاجتماع الناس بها، من قولهم: تكوَّف الرمل. و قيل: من قولهم: القوم فى كوفان، أى: فى بلاء و شرٍّ أو أمرٍ يجمعهم. و قيل: من قولهم: اعطيت فلانا كيفة، أى: قطعة، فأعلت، و قيل: سميت بجبل صغير فى وسطها كان يقال له: كوفان، و عليه اختطت مهره موضعها. و قيل: سميت بموضعها لأن كل رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة. و قيل: لأن جبل ساتيد ما يحيط بها كال كفاف عليها.

قلت: الأخير باطل قطعاً لأن (الكوف) غير (الكف) و الثانى و الثالث و الرابع ظاهراً، فكل بلد يجتمع فيه الناس و لم يكونوا فى بلاء، و لا موجب لمعنى القطعة.

و فى (الجمهرة) قال المفضل: قال سعد: لما ارتاد للناس موضع الكوفة كوفوا هذا الرمل، أى: نحو ارملة.

فى (المعجم) كتب عمر إلى سعد: أن اختط موضع المسجد الجامع على عدة مقاتلتكم، فخط على أربعين ألف إنسان، فلما قدم زياد زاد فيه عشرين

ص: ٤٧١

^{١١٥٠} (١) شرح ابن ميثم ٢: ١٧.
^{١١٥١} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٣٢.
^{١١٥٢} (٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٩.

ألف إنسان، و جاء بالآجر و جاء بأساطينه من الأهواز، و ذكر بشر مولى بنى أمية قدر الكوفة فكانت ستة عشر ميلا و ثلثي ميل.

«أقبضها و أبسطها» قال ابن ميثم^{١١٥٣} - و تبعه الخوئي -: «أقبضها و أبسطها» خبر ثان لقوله: «ما هي» أو خبر ل (أنا) محذوف.

قلت: بل بدل اشتمال لقوله: «الكوفة» نظير قوله تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ»^{١١٥٤} و لو كان خبرا ثانيا لكان معنى «ما هي إلّا الكوفة» تاما و ليس كذلك، فكان تحت يده عليه السلام بلاد العراق و الحجاز و اليمن كلّها، فكيف يقول: «ما هي إلّا الكوفة» و إنّما المراد: ما هي إلّا قبض الكوفة و بسطها.

قال ابن ميثم^{١١٥٥}: «أقبضها و أبسطها» كنايةان عن وجوه التصرف فيها.

قلت: بل كناية واحدة.

و قال الخوئي: يحتمل أن يكون المراد: عدم التمكن التام من التصرف في الكوفة، كمن لا يقدر على لبس ثوب بل على قبضه و بسطه.

قلت: بل لا مجال لما ذكر، و إنّما المراد: أن استيلاءه التام منحصر بالكوفة مركزه، كما يشهد له قوله عليه السلام بعد: «ان لم تكوني إلّا أنت فقبحك الله» و لذا كان معاوية لا يجسر أن يغير عليها، كما في باقي البلاد ممّا بيده عليه السلام.

و قد عرفت في خبر الثقفى المتقدم تصريح معاوية لمن أشار عليه بقصد الكوفة بذلك.

«إن لم تكوني إلّا أنت» في (الأغاني)^{١١٥٦}: بعث معاوية بعد تحكيم الحكّمين

ص: ٤٧٢

بسر ابن أرتاة و الضحّاك بن قيس الفهري و غيرهما كلّا في جيش، و أمرهم ان يسيروا في البلاد فيقتلوا كل من وجدوه من شيعته عليه السلام و أصحابه، و أن يغيروا على سائر اعماله و يقتلوا أصحابه، و لا يكفّوا أيديهم عن النساء و الصبيان.

«تهبّ أعاصيرك» جمع الإعصار: ريح تثير الغبار فترفع إلى السماء كأنه عمود، قال الشاعر في نعامه و ظليم أراد الرواح إلى بيضهما سرّيعا:

أعاصير ممّا تستثير خطأهما

إذا اجتهدا الترويح مدا عجاجة

^{١١٥٣} (١) شرح ابن ميثم ٢: ١٧.

^{١١٥٤} (٢) البقرة: ٢١٧.

^{١١٥٥} (٣) شرح ابن ميثم الأغاني ٢: ١٩.

^{١١٥٦} (٤) ٢٦٦: ١٦.

و الجملة معترضة لبيان مزيد عيها، فإن هبوب الرياح و الأعاصير دائما في بلد عيب له، و قالوا إن قرية (اجر) ذات عيوب، منها: ريحها العاصفة، فقالوا: إذا جئت اجر فعجل، فإن فيه حجرا يبرى و أسدا يفرى و ريحا تذرى.

و قال مطيع بن اياس في بغداد:

بلدة يمطر التراب على الناس كما يمطر السماء الرذاذا

«فَقَبَّحَكَ اللَّهُ» أى: أبعدك الله، و قال ابن أبي الحديد^{١١٥٧}: معنى قوله عليه السلام: «ان لم تكونى إلّا أنت تهبّ أعاصيرك فقَبَّحَكَ اللَّهُ»: ان لم يكن لى من الدنيا ملك إلّا ملك الكوفة ذات الفتن و الآراء المختلفة فأبعدها الله، شبه عليه السلام ما كان يحدث من أهلها من الاختلاف و الشقاق بالأعاصير لإثارتها التراب. و تبعه الخوئى.

و هو كما ترى، فجعله قوله عليه السلام: «تهبّ أعاصيرك» استعارة تحتاج إلى قرينة و لا قرينة.

«و تمثل بقول الشاعر» كذا فى (المصرية)^{١١٥٨} و هو غلط و الصواب: (ثم

ص: ٤٧٣

تمثل) بدون زيادة كما فى (ابن أبى الحديد^{١١٥٩} و ابن ميثم^{١١٦٠} و كذا (الخطية).

«لعمر أبىك الخير يا عمرو إننى على وضر - من ذا الإناء - قليل»

الوضر:

الدسم، قال الشاعر:

^{١١٥٧} (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٤٢-٣٤٣.

^{١١٥٨} (٢) الطبعة المصرية ١: ٦٠.

^{١١٥٩} (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٣٢.

^{١١٦٠} (٢) شرح ابن ميثم ٢: ١٧.

أباريق لم يعلق بها و ضر الزبد

و عن أبي عمرو: الوضر: ما يشمه الإنسان من ريح يجده من طعام فاسد. و (قليل): صفة (وضر)، و الأصل: على وضر قليل من هذا الإناء.

و لمّا عصى أهل قلعة ارمشت - قرب جزيرة ابن عمر شرقى دجلة الموصل على جبل الجودي - على المعتضد و تحصّنوا بها قصدها بنفسه، فلمّا افتتحها - بعد أن أعيت أصحابه - و شاهد قلّة دخلها أمر بخرابها، و انشد فيها:

إنّ أبا الوبر لصعب المقتنص
و هو إذا حصّل ريح فى قفص

و نظير ما تمثّل به عليه السّلام قول آخر:

و أصبحت من ليلى الغداة كناظر
مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب

و قول الوزير المغربى:

كفى حزنا أنّى مقيم ببلدة
يعلننى بعد الأحبة داهر

أى: عبده.

يحدّثنى ممّا يجمّع عقله
أحاديث منها مستقيم و حائر

و قول الآخر:

و أصبحت من ليلى الغداة كقايض

على الماء خاتنه فزوج الأصابع

ص: ٤٧٤

«ثم قال عليه السّلام» ليست الفقرة فى نسخة ابن ميثم^{١١٦١}.

«انبئت» أى: اخبرت.

«بسرا قد اطلع» افتعل من (طلع) و الأصل من قولهم: طلع الكوكب.

«اليمن، و إني و الله لأظنّ أنّ» هكذا فى (المصرية)^{١١٦٢} و كلمة (أنّ) زائدة لعدم وجودها فى (ابن أبى الحديد)^{١١٦٣} و ابن ميثم و الخطيئة).

«هؤلاء القوم» أى: أهل الشام.

«سيدالون منكم» أى: يغلبونكم و يصير إليهم الدولة منكم.

«باجتماعهم على باطلهم و تفرّقكم عن حقكم» فى (صفين نصر)^{١١٦٤}: لمّا قتل عثمان خرجت الرّكبان إلى الشام بقتله، فبينما معاوية إذ اقبل رجل متلفف فكشف عن وجهه و خاطبه بالامرء و قال: أ تعرفنى؟ قال: نعم، أنت الحجاج بن خزيمة، فأين تريد؟ قال: إليك القربان أنعى إليك ابن عفّان، إنك تقوى علىّ بدون ما يقوى به عليك، لأنّ معك قوم لا يقولون إذا قلت و لا يسألون إذا امرت، و أنّ مع علىّ قوم يقولون إذا قال و يسألون إذا أمر، فقليل ممّن معك خير من كثير ممّن معه.

و كتب ابن عامر إلى معاوية فى حثه على الطلب بدم عثمان: إنّ الناس فى هذا الأمر تسعة لك، و واحد عليك.

«و بمعصيتكم إمامكم فى الحقّ و طاعتهم إمامهم فى الباطل». فى (صفين نصر)^{١١٦٥}: ببيع معاوية على الخلافة، فبايعه الناس على كتاب الله و سنة نبيه

ص: ٤٧٥

^{١١٦١} (١) شرح ابن ميثم ٢: ١٧.

^{١١٦٢} (٢) المصرية ١: ٦٠.

^{١١٦٣} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٣٢.

^{١١٦٤} (٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٧٧.

^{١١٦٥} (٥) صفين لنصر بن مزاحم: ٨٠.

فأقبل مالك بن هبيرة الكندي فقام خطيباً - و كان غائباً من البيعة - فقال لمعاوية: أخرجت هذا الملك و أفسدت الناس و جعلت للسفهاء مقالاً، و قد علمت العرب أنّا حيّ فعال و لسنا بحى مقال، و أنّا نأتى بعظيم فعالنا على قليل مقالنا، فأبسط يدك ابايعك على ما أحببنا و كرهنا. فكان أوّل العرب بايع عليها.

و قال الزبرقان السكونى فى ذلك:

معاوى أخذت الخلافة بالتي	شرطت فقد بوّى لك الملك مالک
ببيعة فصل ليس فيها غميرة	ألا كلّ ملك ضمّه الشرط هالك
و كانت كبيت العنكبوت مذبذبا	فأصبح محجوبا عليه الأرائك
و أصبح لا يرجوه راج لعلّة	و لا تنتحى فيه الرجال الصعالك
و ما خير ملك يا معاوى مخدج	تجرّع فيه الغيظ و الوجه حالک
إذا شاء ردتّه السكون و حمير	و همدان و الحى الخفاف السكاسک

«و بادائهم الأمانة إلى صاحبهم و خيانتكم» و زاد ابن أبى الحديد^{١١٦٦}:

«لصاحبكم».

«و بصلاحهم فى بلادهم و فسادكم» فى (كامل المبرد)^{١١٦٧}: قال معاوية أعنت على على بأربع: كنت رجلاً أكنتم سرى و كان رجلاً ظهرة، و كنت فى أطوع جند و أصلحه و كان فى أخبث جند و أعصاه، و تركته و أصحابه الجمل، و قلت: إن ظفروا به كانوا أهون علىّ منه، و إن ظفر بهم اعتدت بها عليه فى دينه، و كنت أحب إلى قريش منه، فىا لك من جامع لى و مفرّق عنه.

و فى (الطبرى)^{١١٦٨}: بعث علىّ عليه السّلام فى اجتماع الحكمين أربعمائة رجل

ص: ٤٧٦

عليهم شريح بن هانئ الحارثى، و بعث معهم ابن عباس و هو يصلّى بهم و يلى امورهم، و أبو موسى معهم، و بعث معاوية عمرو بن العاص فى أربعمائة من أهل الشام حتى توافوا بدومة الجندل، فكان معاوية إذا كتب إلى عمرو جاء الرسول و ذهب لا يدرى

^{١١٦٦} (١) ابن أبى الحديد ١: ٣٣٢.

^{١١٦٧} (٢) الكامل للمبرد ٢: ٢٣.

^{١١٦٨} (٣) تاريخ الطبرى ٥: ٦٧.

بما جاء به و لا بما رجع به، و لا يسأله أهل الشام عن شيء، و إذا جاء رسول عليّ عليه السّلام جاءوا إلى ابن عباس فسألوه: ما كتب إليك؟

فإن كنتم ظننوا به الظنون، و قالوا: ما نراه إلّا كتب بكذا و كذا. فقال لهم ابن عباس: أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم بما جاء به و يرجع لا يعلم بما رجع به، و لا يسمع لهم صياح و لا لغط، و أنتم عندى كلّ يوم تظنّون بى الظنون! «فلو ائتمنت احدكم على قعب» أى: قدح من خشب مقعر. و من أمثالهم:

اتاك ريان بقعب من لبن «لخشيت أن يذهب بعلاقته» بالكسر، أى: حبله.

«اللهمّ إني قد مللتهم» هكذا فى (المصرية)^{١١٦٩} و سقط منها: «و ملونى» كما يشهد به ابن أبى الحديد^{١١٧٠} و ابن ميثم^{١١٧١} و (الخطيئة).

«و سئمتهم و سئمونى» فى (مقاتل أبى الفرج)^{١١٧٢}: لمّا قرب أن يغلب أبو السرايا على هرثمة صاح هرثمة: يا أهل الكوفة إن أحببتهم إخراج الأمر من ولد العباس، انصبوا إمامكم و اتفقوا معنا نتناظر فيه، و لا تقتلونا و أنفسكم.

فأمسك أهل الكوفة عن الحرب فغضب أبو السرايا و قال لهم: إنّ هذه حيلة منهم فاحملوا عليهم. فقالوا: لا يحلّ لنا قتالهم: فقال: يا أهل الكوفة يا قتلة علىّ

ص: ٤٧٧

و خذلة الحسين إنّ المغتر بكم لمغرور، و إنّ المعتمد على نصركم لمخدول، و إنّ الذليل لمن اعزّزتموه، و الله ما حمد علىّ أمركم فى حمده و لا رضى مذهبكم، و لقد حكّمكم فحكمتهم عليه، و ائتمنكم و خنتهم أمانته، و وثق بكم فحلّتم عن ثقته ثم لم تنفكوا عليه مختلفين و لطاعته ناكثين، إن قام قعدتم و إن قعدتم، و إن تقدّم تأخّرتم و إن تأخّر تقدّمتهم خلافا عليه و عصيانا لأمره، حتى سبقت فيكم دعوته و خذلكم الله بخذلانكم إيّاه.

«فأبدلنى بهم خيرا» عن (غارات الثقفى)^{١١٧٣} قال أبو صالح الحنفى: رأيت عليّا عليه السّلام يخطب و قد وضع المصحف على رأسه، حتى رأيت الورق يتقعقع على رأسه و هو يقول: اللهم قد منعونى ما فيه فأعطني ما فيه. اللهم قد أبغضتهم و أبغضونى و مللتهم و ملونى، و حملونى على غير خلقى و طبيعتى، و أخلاق لم تكن تعرف لى. اللهم فأبدلنى بهم خيرا

«و أبدلهم بى شرا» فى (تنبيه البكرى) على (أوهام القالى) قال أبو العباس:

^{١١٦٩} (١) الطبعة المصرية ١: ٦١.
^{١١٧٠} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٣٢.
^{١١٧١} (٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٧.
^{١١٧٢} (٤) المقاتل لأبى الفرج: ٣٦٣.
^{١١٧٣} (١) الغارات للثقفى ٢: ٤٥٨.

كان علىّ عليه السّلام يأخذ البيعة على أصحابه فجعلوا يقولون: نعم- يريدون نعم- فقال علىّ عليه السّلام: إنّ النعام والباقر في الصحراء لكثير، ما لكم؟ أبدلكم الله منى من هو شرّ لكم منى، و أبدلنى الله منكم من هو خير لى منكم.

و فى خطبة أبى السرايا المتقدمة: اما والله لاستبدلن بكم قوما يعرفون الله حق معرفته، و يحفظون محمدا صلى الله عليه وآله فى عترته - ثم قال:-

لكم شبيها فى ما وطئت من الأرض

و مارست أقطار البلاد فلم أجد

و وهنا و عجزا فى الشدائد و الخفض

خلافا و جهلا و انتشار عزيمة

فلا فيكم راض و لا فيكم مرضى

لقد سبقت فيكم إلى الحشر دعوة

فذوقوا إذا وليت عاقبة النقص

سابع داري عن قلى من دياركم

ص: ٤٧٨

و مرّ أنّ (المروج) روى: أنّه عليه السّلام قال بعد قوله: «و أبدلهم بى شرّاً منى»:

«اللهم عجلّ عليهم بالغلام الثقفى الذّيال الميآل، يأكل خضراها و يلبس فرواها و يحكم فيها بحكم الجاهلية، لا يقبل من محسنها و لا يتجاوز عن مسيئها» يعنى عليه السّلام: الحجاج. و ما كان الحجاج ولد يومئذ.

قال ابن أبى الحديد^{١١٧٤}: بعد قوله عليه السّلام: فأبدلنى بهم خيرا منهم و أبدلهم بى شرّاً منى: لم يكن خير فيهم و لا شرّ فيه عليه السّلام، و إنّ أفعّل هاهنا بمنزلة قوله تعالى: «أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^{١١٧٥}، و قوله تعالى: «أَ ذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ»^{١١٧٦}.

قلت: (أفعّل) إذا كان بعده (من) يكون للافضلية لا غير، بخلاف ما إذا لم يكن، و فى آلايتين لم تكن (من) بخلاف كلامه عليه السّلام، و إنّما كلامه عليه السّلام بمنزلة قوله تعالى: «و جزاء سيئة سيئة مثلها»^{١١٧٧}، مع أنّ الجزاء ليس بسيئة، و إنّما اطلق عليه السيئة لكونه فى شكل السيئة و على صورتها، و حيث إنّ عليه السّلام كان يكلفهم بجهاد العدو و يؤنّبهم على تقاعدهم - و كان ذلك كلفه عليهم - فكانهم اعتقدوا أنّ فيه عليه السّلام شرّاً بذلك، فدعا عليه السّلام عليهم أن يبدلهم الله منه عليه السّلام بمن لم يقنع منهم على التحريض و التأنيب، بل ينكّلهم باقسام النكال، كزياد و ابنه عبيد الله و الحجاج و ابن عمه يوسف بن عمر.

^{١١٧٤} (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٤٧.

^{١١٧٥} (٢) فصلت: ٤٠.

^{١١٧٦} (٣) الفرقان: ١٥.

^{١١٧٧} (٤) الشورى: ٤٠.

وَأَمَّا قول ابن ميثم^{١١٧٨} والخوئي: «يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِمَنْ هُوَ شَرٌّ غَيْرِي» ففي غاية السقوط.

ص: ٤٧٩

«اللهم مَثَلُ قُلُوبِهِمْ كَمَا يَمَاطُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ» أَيْ: كَمَا يَذَابُ فِيهِ. اقْتَدَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الدَّعَاءِ عَلَيْهِمْ بِنَبِيِّ: ن نوح عليه السَّلَام حيث قال: «رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا»^{١١٧٩}، و موسى عليه السَّلَام حيث قال: «رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَ اشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ»^{١١٨٠}. و أشار أبو السرايا إلى دعائه عليه السَّلَام عليهم في قوله:

لقد سبقت فيكم إلى الحشر دعوة

كما مرَّ، و يحتمل أن يكون أبو السرايا أشار إلى دعاء الحسين عليه السَّلَام عليهم، فإنه عليه السَّلَام أيضا دعا على أهل الكوفة كأبيه، و يقرُّ به مصراعه الأخير:

فلا فيكم راض و لا فيكم مرضى.

فإنه عليه السَّلَام دعا عليهم بعدم رضاء الولاة عنهم.

«أما و الله لوددت أن لي بكم ألف فارس» قال رجل من بنى العنبر:

شَنُوا الْإِغَارَةَ فَرَسَانَا وَ رُكْبَانَا

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا

فِي النَّائِبَاتِ عَلَيَّ مَا قَالَ بَرَهَانَا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم

وَ يَنْفِرُونَ إِلَى الْغَارَاتِ وَحِدَانَا

لكن يطيطون أشتاتا إذا فزعوا

و من هذه الأبيات:

بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى

^{١١٧٨} (٥) شرح ابن ميثم ٢: ١٧.

^{١١٧٩} (١) نوح: ٢٦.

^{١١٨٠} (٢) يونس: ٨٨.

إذن لقام بنصرى معشر خشن
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم
لكنّ قومي - و إن كانوا ذوى عدد -
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
كأنّ ربك لم يخلق لخشيتيه
عند الكريهة إن ذو لوثه لانا
طاروا إليه زرافات و وحدانا
ليسوا من الشرّ فى شيء و إن هانا
و من إساءة أهل السوء إحسانا
سواهم من جميع الناس إنسانا

ص: ٤٨٠

و فى (اللسان) قال عبيد بن الأبرص:

دعا معاشر فاستكّت مسامعهم
يا لهف نفسى لو يدعو بنى أسد

و فى (الجمهرة) قال الراجز:

لقد علمت يا بن امّ صحصح
حتى ترى جماجما تطوح
أنا إذا صيح بنا لم نبرح
إنّ الحديد بالحديد يقلح

أى: يشقّ و يقطع.

«من بنى فرس» هكذا فى (المصرية)^{١١٨١} و الصواب: (فراس) كما فى (ابن أبى الحديد)^{١١٨٢} و ابن ميثم^{١١٨٣} و الخطبة.

^{١١٨١} (١) الطبعة المصرية ١: ٦١.
^{١١٨٢} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٣٣.
^{١١٨٣} (٣) ابن ميثم ٢: ١٧.

«بن غنم»- بالفتح فالسكون-: حى فى كنانة، و قال ابن قتيبة: و من بنى فراس بن غنم بنو القعقاع بن حكيم الذين يكونون بالبصرة، و منهم بنو بحر الأطباء بالكوفة.

و فى (العقد)^{١١٨٤}: و بنو مالك من كنانة بطن، منهم: جندل الطعان، و من ولد جندل الطعان ربيعة بن مكدم، و هو أشجع بيت فى العرب، و فيهم يقول علىّ عليه السّلام لأهل الكوفة: «وددت- و الله- أن لى بمائة ألف منكم ثلاثمائة من فراس بن غنم بن ثعلبة».

و فى (البيان)^{١١٨٥}: قالت امرأة من غامد فى هزيمة ربيعة بن مكدم لغامد وحده:

ألا هل أتاها على نايتها بما فضحت قومها غامد

ص: ٢٨١

فردكم فارس واحد

تمنيتم مائتي فارس

ضانا لها حالب قاعد

فليت لنا بارتباط الخيول

و ربيعة بن مكدم هو الذى قالوا فيه: هو حامى الظعن حيّا و ميتا، و لم يحم ميت الحريم غيره، عرض له فارسان من بنى سليم و معه ظعائن من أهله يحميهم وحده، فطاعنهم فرماه أحدهما بسهم أصاب قلبه، فنصب رمحه فى الأرض و اعتمد عليه و هو ثابت فى سرجه، و أشار إلى الظعائن بالرواح فسرّن حتى بلغن بيوت الحى، و بنو سليم قائم بإزائه لا يقدمون عليه و يظنّونه حيّا حتى قال قائل منهم: إننى لا أراه إلّا ميتا و لو كان حيّا لتحرك. فرموا فرسه بسهم فوثبت فوقه، و فانتهم الظعائن.

هذا و فى السمعاني: فراس بن غنم بن مالك بن كنانة. مع أنّه فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة كما فى (العقد).

و فى (ابن أبى الحديد)^{١١٨٦} فى طبعين منه: «و بنو فراس بن غنم بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر» و لا معنى له، و لعل (بن خزيمة) مصحف (من خزيمة) بالميم، مع أنّه كالتعريف بالجنس البعيد، فإنّهم قالوا: إنّ فراسا من كنانة و هو جعله من أبيه خزيمة.

^{١١٨٤} (٤) العقد ١: ١٠٥.

^{١١٨٥} (٥) البيان ١: ٢٦٨.

و فى (ابن ميثم): «و فراس ابن غنم بن تغلب بن وائل» و هو خطاء منه فإنه من غنم كنانة لا غنم تغلب، و منشأ خطئه اقتصار (الصّاح) على غنم تغلب.

و فى (الصّاح) و (القاموس) فى (غنم): «و غنم ابن تغلب بن وائل» و اقتصرنا عليه و هو خبط، فلم ينحصر (غنم) بـ (غنم تغلب)، فقال السمعاني: غنم:

اسم لعدة بطون من قبائل شتى. و عدّ منها غنم الأزد غنم بن دوس، و غنم طى

ص: ٤٨٢

غنم بن ثوب، و غنم الأنصار غنم بن سرى، و غنم أسد بن خزيمه غنم بن دودان، و غنم كنده غنم بن عوز.

و قال الجزرى فى (البابه): فاته غنم الخزرج غنم بن مالك، و غنم عبد القيس بن وديعه.

قلت: وفات الجزرى أيضا هذا غنم كنانة.

فوارس مثل أرميه الحميم»

«هنا لك لو دعوك أتاك منهم

كأنّ هنا سقطا و الأصل: (ثم تمثّل) كما فى بيت قبله، قال ابن أبى الحديد^{١١٨٧} البيت لأبى جندب الهذلى، و أول الأبيات:

صدر العيس نحو بنى تميم

ألا يا أمّ زنباع أقيمي

قلت: و فى (الأساس) أيضا نسب البيت إلى أبى جندب الهذلى، و قريب من البيت قول الشاعر فى نهار بن عامر من مراد:

دارى و قوتل دونها بسلاح

لو كنت جار بنى نهار لم ترم

و قول سلامة بن جندل:

^{١١٨٦} (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٤٠.
^{١١٨٧} (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٤٨.

كنا إذا ما أتانا صارخ فزع

كان الصراخ له قرع الظنايب

و قول بشامة النهشلى فى وصف قومه:

إنّا بنى نهشل لا ندعى لأب

عنه و لا هو بالأبناء يشرينا

إن تبتدر غاية يوما لمكرمة

تلق السوابق منا و المصلينا

إنّا لمن معشر أفنى أوائلهم

قيل الكماء ألا أين المحامونا

لو كان فى الألف منا واحد فدعوا

من فارس خالهم إياه يعنونا

قوله: «ثم نزل عليه السّلام من المنبر» إنّما فى (ابن ميثم)^{١١٨٨}: «ثم نزل».

ص: ٤٨٣

فى (تاريخ أعثم): لما أنّهم عليه السّلام فلم يجيبوه قال لهم: إنّى و إياكم كنوح و قومه كما حكى تعالى عنه: «رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا»^{١١٨٩}. ما لكم صموت كالحوث «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الَّذِينَ لَا يَعْْقِلُونَ»^{١١٩٠}.

«قال الشريف» هكذا فى (المصرية)^{١١٩١}، و فى (ابن أبى الحديد)^{١١٩٢}: «قال الرضى» و فى (ابن ميثم)^{١١٩٣} و (الخطبة): «قال السيد» و هو دليل على أنّ أصل الكلام ليس من المصنف.

«أقول» هكذا فى (المصرية) و هو زائد، فليس فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطبة).

«الأرمية جمع رمى و هو السحاب» و فى (الجمهرة): رمى: ضرب من سحاب الخريف سود، قال أبو ذؤيب الهذلى:

^{١١٨٨} (٢) شرح ابن ميثم ٢: ١٧.

^{١١٨٩} (١) نوح: ٥-٦.

^{١١٩٠} (٢) الأنفال: ٢٢.

^{١١٩١} (٣) الطبعة المصرية ١: ٦١.

^{١١٩٢} (٤) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٣٣.

^{١١٩٣} (٥) شرح ابن ميثم ٢: ١٨.

يمانية احيالها مظّ مائد

و آل قراس صوب ارمية كحل

و قال الجوهري: الرّميّ: السقيّ و هى السحابة العظيمة القطر، الشديدة الوقع من سحائب الحميم و الخريف، قال أبو ذؤيب يصف عسلا يمانية:

- و نقل بيت (الجمهرة) -.

و فى (الأساس): الرّميّ: السحاب الخريفى العظيم القطر - و نقل بيت العنوان و بيتا آخر:

حنين اليماني هاجه بعد سلوه

و ميض رمى آخر الليل يبرق

ص: ٤٨٤

«و الحميم هاهنا» ليس (هاهنا) فى نسخة ابن ميثم.

«وقت الصيف» و يأتى بمعنى الماء الحار، كما فى قوله تعالى:

«يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ»^{١١٩٤}، و الصديق الصمى، كما فى قوله تعالى:

«وَلَا يَسْتَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا»^{١١٩٥}.

«و إنّما خصّ الشاعر سحاب الصيف بالذكر لانه أشد جفولا» أى:

إسراعا.

«و أسرع خفوفا» أى: قلة.

«لأنه لا ماء فيه» لكن عرفت أنّ الجوهري و الزمخشري جعلّا (الأرمية) سحابا عظيم القطر، و الأصح ما قاله المصنّف، و لا ينافيه كلام ابن دريد.

^{١١٩٤} (١) الرحمن: ٤٤.

^{١١٩٥} (٢) المعارج: ١٠.

«وإنما يكون السحاب ثقيل السير» هكذا في (المصرية)^{١١٩٦} و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم): «ثقيلا» و إنما نسب الأول «ثقيل السير» إلى نسخة.

«لامتلائه بالماء، و ذلك لا يكون في الأكثر إلّا زمان الشتاء» هكذا في (المصرية)^{١١٩٧} و لكن في (ابن أبي الحديد و الخطيئة): «إلّا في أزمان الشتاء» و في (ابن ميثم): «إلّا في الشتاء».

«وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا و الإغاثة إذا استغيثوا، و الدليل على ذلك قوله (هنالك لو دعوت أتاك منهم)» ليس في (ابن ميثم)^{١١٩٨} قوله:

«و الدليل ...» رأسا.

ص: ٢٨٥

٢

الخطبة (١١٧) و من كلام له عليه السلام و قد جمع الناس و حضهم على الجهاد فسكتوا مليا، فقال عليه السلام:

أ مُخْرَسُونَ أَنتُمْ - فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ - إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ - فَقَالَ ع - مَا بِالْكُفِّ لَمْ سُدُّتُمْ لِرُشْدٍ وَ لَا هُدًى لِقَصْدٍ - أ فِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي أَنْ أُخْرَجَ - وَ إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ - مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ - وَ ذَوِي بَأْسِكُمْ - وَ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدْعَ الْمَصْرَ - وَ الْجُنْدَ وَ بَيْتَ الْمَالِ وَ جَبَايَةَ الْأَرْضِ - وَ الْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ - وَ النَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ - ثُمَّ أَخْرَجَ فِي كِتَابَةٍ أَتْبَعَ أُخْرَى - أَتَقَلَّقُلُ تَقَلُّقَ الْقَدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ - وَ إِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى - تَدُورُ عَلَيَّ وَ أَنَا بِمَكَانِي - فَإِذَا فَارَقْتُهَا اسْتَحَارَ مَدَارُهَا - وَ اضْطَرَبَ ثِفَالُهَا - هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ الرَّأْيُ السُّوءُ - وَ اللَّهُ لَوْ لَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوِّ - لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ - لَقَرَّبْتُ رِكَابِي - ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ - مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَ شِمَالٌ - إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ - مَعَ قَلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ - لَقَدْ حَمَلْتَكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ - الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ - مَنْ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ وَ مَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ أَقُولُ: لَمْ يَتَفَتَّنِ الشَّرَاحُ ابْنَ أَبِي الْحَدِيدِ وَ غَيْرَهُ - أَنْ هَذَا الْعِنَانُ فِي أَى غَارَةٍ صَدْرُ، فَقَالُوا: «قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَعْضِ غَارَاتِ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى أَطْرَافِ أَعْمَالِهِ بِالْعِرَاقِ»، وَ إِنَّمَا قَالَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي غَارَةٍ بِسَرِّ عَلَى الْحِجَازِ.

ص: ٢٨٦

ففي (غارات الثقفى - الغارات - ج ٢ ص ٢٢٤ الثقفى)^{١١٩٩}: من حديث الكوفيين عن نمير بن وعلة عن أبي الوداك قال: قدم زرارة بن قيس فخير عليا عليه السلام بالعدة التي خرج فيها بسر، فصعد المنبر - إلى أن قال - «إن بسر بن أوطاة وجه إلى الحجاز، و ما بسر لينتدب إليه منكم عصابة حتى تردوه عن شنته، فإنما خرج في ستمائة أو يزيدون. فسكت الناس مليا لا

^{١١٩٦} (٣) الطبعة المصرية ١: ٦٢.

^{١١٩٧} (٤) المصدر نفسه.

^{١١٩٨} (٥) شرح ابن ميثم ٢: ١٨.

^{١١٩٩} (١) الغارات للثقفى ٢: ٦٢٤.

ينطقون، فقال عليه السّلام: «ما لكم أ مخرسون أنتم لا تتكلمون؟» فذكر عن الحرث بن حضير عن مسافر بن عفيف قال: قام أبو بردة بن عوف الأزدي فقال له: إن سرت سرنا معك. فقال: «ما لكم لا سدّدتم لمقال الرشد؟ أ في مثل هذا ينبغي لى أن أخرج؟ إنّما يخرج فى مثل ذلك رجل ممّن ترضون من فرسانكم و شجعانكم، و لا ينبغي لى أن أدع الجند و المصر و بيت المال و جباية الأرض و القضاء بين المسلمين و النظر فى حقوق الناس، ثم أخرج فى كتيبة أتبع أخرى فى الفلوات و شعف الجبال، هذا و الله الرأى السوء، و الله لو لا رجائي (الشهادة- ظ) عند لقائهم- لو قد حمّ لقاؤهم- لضربت ركابى ثم لشخصت عنكم، فلا أطلبكم ما اختلف جنوب و شمال، و الله إن فراقكم لراحة للنفس و البدن». فقام إليه جارية بن قدامة السعدى فقال له عليه السّلام:

لا أعدمنا الله نفسك و لا أرانا فراقك، أنا لهؤلاء القوم فسرحنى إليهم. قال:

فتجهّز فإنّك ما علمت: ميمون النقيبة. و قام إليه وهب بن مسعود الخثعمى فقال له عليه السّلام: أنا انتدب إليهم. فقال عليه السّلام: فانتدب بارك الله فيك. فنزل و دعا جارية فأمره أن يسير إلى البصرة و يخرج منها فى الفين، و ندب مع الخثعمى من الكوفة ألفين و قال لهما: أخرجا فى طلب بسر حتى تلحقاه، و أينما لحقتماه فناجزاه، فإذا التقيتما فجارية على الناس.

نقله فى عنوان: «مسير جارية بن قدامة» فى خبره الثانى، و رواه فى

ص: ٤٨٧

خبره الأوّل عن الكلبي و أبى مخنف بلفظ أخصر، فروى عنهما: أنّه عليه السّلام ندب الناس فتناقلوا عنه فقال: «ا تريدون أن أخرج بنفسى فى كتيبة تتبع كتيبة فى الفيافى و الجبال؟ ذهب و الله اولو النهى و الفضل الذين كانوا يدعون فيجيئون و يؤمرون فيطيعون، لقد هممت أن أخرج عنكم فلا أطلب بنصركم ما اختلف الجديدان».

قول المصنف: «و من كلام له عليه السّلام و قد جمع الناس و حضهم» أى:

رغبهم.

«على الجهاد» مع سرايا معاوية فى سرية بسر.

«فسكتوا مليا» أى: زمنا طويلا، قال تعالى: «وَ اهْجُرْنِي مَلِيًّا»^{١٢٠٠}.

«فقال عليه السّلام» توكيد بعد قوله: «و من كلام له عليه السّلام».

قوله عليه السّلام: «أ مخرسون أنتم» أى: صرتم أخرسين، حيث لم يجيبوه عليه السّلام بشيء.

«فقال قوم منهم: يا أمير المؤمنين إن سرت سرنا معك» قد عرفت من رواية النقفى أن القائل له عليه السلام: «ان سرت سرنا معك» إنما هو أبو بردة بن عوف الأزدي، و كان منافقا يكا تب باخباره عليه السلام إلى معاوية كما في (صفين نصر بن مزاحم) ١٢٠١.

«فقال عليه السلام: ما بالكُم» و في (ابن ميثم) ١٢٠٢: «ما لكم» و هو لفظ مستنده.

«لا سدّدتم لرشد و لا هديتم لقصد» حيث تشيرون على هكذا.

«أ في مثل هذا» خروج بسر من قبل معاوية.

ص: ٤٨٨

«ينبغي» و زاد ابن أبي الحديد ١٢٠٣ و (الخطبة): «لى» و هو الموافق مستنده.

«أن أخرج» كما خرج عليه السلام في قبال طلحة و الزبير، و في قبال معاوية.

«إنما يخرج في مثل هذا رجل ممّن أرضاه من شجعانكم» كجارية السعدى و وهب الخنعمى اللذين أجاباه إلى الخروج، و نظرأتهما.

«و لا ينبغي لى أن أدع المصر و الجند» هكذا في (المصرية) ١٢٠٤ و الصواب:

(الجند و المصر) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم ١٢٠٥ و الخطبة) و كما في مستنده. و المراد بالمصر: الكوفة.

«و بيت المال» فيكون في معرض النهب.

«و جباية الأرض» فتكون في معرض التعطيل.

«و القضاء بين المسلمين و النظر في حقوق المطالبين» فتصير امور الناس مختلة، أدع جميع ذلك؟

«ثم أخرج في كتيبة» في (القاموس): الكتيبة: الجيش أو الجماعة المستخيرة من الخيل، أو جماعة الخيل إذا أغارت من المائة إلى الألف.

«أتبع اخرى» أى: كتيبة اخرى من العدو.

١٢٠١ (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤.

١٢٠٢ (٣) شرح ابن ميثم ٣: ١١٠.

١٢٠٣ (١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٨٥.

١٢٠٤ (٢) الطبعة المصرية ١: ٢٣١.

١٢٠٥ (٣) شرح ابن ميثم ٣: ١١١.

«أَتَقَلَّقَلْ» أى: اضطرب.

«تَقَلَّقَلْ الْقَدَحَ»- بالكسر-: السهم قبل أن يراش و يركَّب عليه نصله.

«فى الجفِير» فى (القاموس): الجفِير: جعبة من جلود لا خشب فيها، أو من خشب لا جلود فيها.

«الفارغ» أى: الخالى.

ص: ٤٨٩

«وإنما أنا قطب الرحى» استعارة عن كون مدار امور الناس عليه.

«تدور على و أنا بمكانى» فما دام الوالى فى المركز تكون امور المملكة منظمه.

«فإذا فارقتها» هكذا فى (المصرية)^{١٢٠٦} و هو غلط، و الصواب: (فارقتها) كما فى (ابن أبى الحديد)^{١٢٠٧} و ابن ميثم^{١٢٠٨} و الخطبة) أى: فارقت الرحى القطب.

«استحار» أى: صار حائرا.

«مدارها و اضطرب ثفالها» بالكسر، أى: الحجر الأسفل من الرحى الذى يصبّ عليه الدقيق.

«هذا لعمر الله رأى السوء» رأيتموه لى.

«و الله لو لا رجائى الشهادة عند لقائى العدو» و كان عدوه يومئذ معاوية.

«لو قد حمّ» أى: قدّر.

«لى لقاءه» لكن لم يكن مقدرا، فأراد عليه السلام الشخوص إليه و خرج عسكره إلى ظاهر البلاد، فضربه اللعين ابن ملجم.

«لقربت ركابى» الركاب: الإبل التى يسار عليها.

«ثم شخصت» أى: ارتحلت.

«عنكم» إلى غيركم.

^{١٢٠٦} (١) الطبعة المصرية ١: ٢٣١.

^{١٢٠٧} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٧: ٢٨٦.

^{١٢٠٨} (٣) شرح ابن ميثم ٣: ١١١.

«فلا أطلبكم ما اختلف جنوب و شمال» أى: أبدأ الآبدین.

ثم الغریب أن ابن میثم اقتصر من العنوان إلى هنا، و أن ابن أبی الحدید^{١٢٠٩} زاد على العنوان - بعد ما مرّ: «طعانین عیّیین حیّادین رواغین».

ص: ٤٩٠

و نسخة ابن میثم و إن كانت بخط المصنّف - كما صرح به مرارا - لكن لا یبعد أنّها كانت النسخة الاولى، و أن ابن أبی الحدید نقل من نسخة ثانية - كتبها المصنّف - و زاد و نقصّ.

و علیه فما زاده ابن أبی الحدید زیادة بیان لعلّ شخوصه علیه السّلام عنهم و عدم طلبه علیه السّلام لهم، بكونهم ذوی هذه الرذائل الأربع، مضافا إلى ما یأتی من قوله علیه السّلام.

«إنّه لا غناء فی كثرة عددکم مع قلّة اجتماع قلوبکم» فرجلان متّفقان قلبا أكثر غناء من ألف مختلفین.

«لقد حملتکم على الطريق الواضح التی لا یهلك علیها» أى: على مخالفتها و مجاوزتها.

«إلا هالك» كونه علیه السّلام كذلك لا یحتاج إلى بیان، و قد أقرّ به عمر یوم شوره.

و روى الخطیب^{١٢١٠} فی (یوسف بن محمد بن علی) عن أبی ثابت مولى أبی ذر قال: دخلت على امّ سلمة فرأيتها تبکی و تذكر علیا علیه السّلام و قالت: سمعت النبیّ صلی الله علیه و آله یقول: «علىّ مع الحقّ و الحقّ مع علىّ، و لن یفترقا حتی یردا علىّ الحوض یوم القيامة».

«من استقام فإلی الجنة، و من زلّ فإلی النار» «فأما من طغى و آثر الحیاء الدنّیة فإنّ الجحیم هی المأوی و أمّا من خاف مقام ربّه و نهى النفس عن الهوى فإنّ الجنة هی المأوی»^{١٢١١}.

ص: ٤٩١

٣

الخطبة (٢٧) و من خطبة له علیه السّلام:

^{١٢٠٩} (٤) شرح ابن أبی الحدید ٧: ٢٨٥.

^{١٢١٠} (١) الخطیب ١٤: ٣٢١.

^{١٢١١} (٢) النازعات: ٣٧ - ٤١.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ - فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى - وَدَرَجُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ وَجَنَّتُهُ الْوَيْقَةُ - فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذَّلِّ وَشَمِلَتْهُ الْبَلَاءُ - وَدَيَّتْ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ - وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ - وَأَدِيلَ الْحَقِّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ - وَسِيمَ الْخُسْفِ وَنُصِفَ النَّصْفِ - أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ - لَيْلًا وَنَهَارًا وَسِرًّا وَإِعْلَانًا - وَقُلْتُ لَكُمْ أَغْزَوْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزَوْكُمْ - فَوَاللَّهِ مَا غَزَى قَوْمٌ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا - فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ - حَتَّى شَنَّتِ الْغَارَاتُ عَلَيْكُمْ وَمُلِكْتُ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانَ - وَهَذَا أَخُو؟ غَامِدٌ؟ وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ؟ الْأَنْبَارُ؟ - وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانُ بْنُ حَسَّانٍ الْبَكْرِيَّ؟ - وَازَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا - وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ - عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ - فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقَلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرُعَاتَهَا - مَا تَمْنَعُ مِنْهُ إِلَّا بِالْإِسْتِرْحَامِ وَالِاسْتِرْحَامِ - ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافْرِينَ - مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلَمٌ وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ - فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا - مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا - فَيَا عَجَبًا وَاللَّهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ إِلَيْهِ - اجْتِمَاعُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ - وَتَفَرُّقُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ - فَقَبِيحًا لَكُمْ وَتَرَحًا حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى - يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ - وَتُغْزُونَ وَلَا تُغْزُونَ وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضُونَ - فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ - قُلْتُمْ هَذِهِ حِمَارَةُ الْقَيْظِ - أُمَهِّلْنَا يُسْبِخُ عَنَّا الْحَرُّ - وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ - قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَةُ الْقُرَى -

ص: ٢٩٢

أُمَهِّلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبَرْدُ - كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرَى - فَاتَمْتُمْ وَاللَّهُ مِنَ السَّيْفِ أَفْرُ - يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رَجَالَ - حُلُومُ الْأَطْفَالِ وَعُقُولُ رِبَاتِ الْحِجَالِ - لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أُرْكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً - وَاللَّهُ جَرَّتْ نَدْمًا وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا - قَاتَلَكُمْ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا - وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا - وَجَرَعْتُمُونِي نُعَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا - وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ - حَتَّى قَالَتْ؟ قُرَيْشٌ؟ - إِنْ؟ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ رَجُلٌ شَجَاعٌ - وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ - لِلَّهِ أَبُوهُمْ - وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي - لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ - وَهَا أَنَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السَّيِّئِينَ - وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ **وَالْحِكْمَةُ (٢٦١)** بعد فصل غريبه: انقضى هذا الفصل ورجع إلى سنن الغرض الأول.

وَقَالَ عَ لَمَّا بَلَغَهُ إِغَارَةُ أَصْحَابِ؟ مُعَاوِيَةَ؟ عَلَى؟ الْأَنْبَارِ؟ - فَخَرَجَ بِنَفْسِهِ مَاشِيًا حَتَّى أَتَى؟ النُّخَيْلَةَ؟ - فَأَذْرَكَهُ النَّاسُ وَقَالُوا - يَا؟ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ نَحْنُ نَكْفِيكَهُمْ - فَقَالَ:

مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ - فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ - إِنْ كَانَتْ الرِّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا - وَإِنِّي الْيَوْمَ لَأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي - كَأَنِّي الْمَقُودُ وَهُمْ الْقَادَةُ - أَوِ الْمَوْزُوعُ وَهُمْ الْوَزَعَةُ فَلَمَّا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْقَوْلَ - فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ قَدْ ذَكَرْنَا مَخْتَارَهُ فِي جُمْلَةِ الْخُطْبِ - تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: إِنِّي «لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي»^{١٢١} فَمَرْنَا بِأَمْرِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَنْقُدُ لَهُ.

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ص: ٢٩٣

وَأَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُريدُ أقول: رواه الخطيب في (تاريخ بغداد الخطيب - تاريخ بغداد - عنوان (ربيعه بن ناجذ الأسدي) ج ٨ ص ٤٢٠) ١٢١٣ في عنوان (ربيعه بن ناجذ الأسدي)، و رواه البلاذري في (أنسابه البلاذري - أنساب الأشراف - عنوان (أمر الغارات بين على و معاوية)) في عنوان (أمر الغارات بين على و معاوية)، فذكر الأول غارة الضحّاك بن قيس الفهري، و جعل غارة الغامدي هذا الثاني منها فقال: قالوا: و دعا معاوية سفيان بن عوف الأزدي ثم الغامدي، فسرّحه في ستة آلاف من أهل الشام ذوى بأس، و أمره أن يلزم جانب الفرات الغربى حتى يأتى هيت، فيغير على مسالح علىّ عليه السّلام و أصحابه بها و بنواحيها، ثم يأتى الأنبار فيفعل بها مثل ذلك حتى ينتهى إلى المدائن، و حذرّه أن يقرب الكوفة و قال له: إنّ الغارة تنخب قلوبهم و تكسر حدهم و تقوى أنفس أوليائنا و متهم. فشخص سفيان في الستة آلاف المضمومين إليه، فلما بلغ أهل هيت قربه قطعوا الفرات إلى العبر الشرقى، فلم يجد بها أحدا، و أتى الأنبار فأغار عليها فقاتله من بها من قبل علىّ عليه السّلام فأتى على كثير منهم و أخذ أموال الناس، و قتل أشرس بن حسان البكرى عامل علىّ عليه السّلام ثم انصرف، و أتى عليّا عليه السّلام عالج فأخبره الخبر، و كان عليلا لا يمكنه الخطبة فكتب كتابا قرئ على الناس، و قد أدنى علىّ عليه السّلام من السدة التى كان يخرج منها ليسمع القراءة، و كانت نسخة الكتاب: أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنة ...

و ذكره (الأغانى - الأغانى - ج ١٦ ص ٢٦٦ ذكر الخبر فى مقتل ابنى عبيد الله بن العباس)) ١٢١٤ فى عنوان (ذكر الخبر فى مقتل ابنى عبيد الله بن العباس) فى جزئه الخامس عشر، و روى مسندا عن أبى عمر الوقاصى: أنّ معاوية بعث إلى بسر بن أرطاة - بعد تحكيم الحكمين - و بعث معه جيشا، و وجه برجل آخر من غامد ضم إليه جيشا آخر، و وجه الضحّاك بن قيس

ص: ٤٩٤

الفهري فى جيش آخر، و أمرهم: أن يسيروا فى البلاد فيقتلوا كل من وجدوا من شيعة علىّ عليه السّلام و أصحابه، و أن يغيروا على سائر أعماله و يقتلوا أصحابه، و لا يكفوا أيديهم عن النساء و الصبيان، فمرّ بسر لذلك على وجهه - إلى أن قال - و فعل مثل ذلك سائر من بعث، فقصد الغامدي إلى الأنبار - إلى أن روى مسندا عن أبى صادق - قال: أغارت خيل لمعاوية على الأنبار فقتلوا عاملا لعلّى عليه السّلام يقال له: حسّان بن حسّان، و قتلوا رجلا كثيرا و نساء، فبلغ ذلك عليا عليه السّلام فخرج حتى أتى المنبر فرقيه - إلى أن قال بعد ذكر خطبته عليه السّلام - فقام إليه رجل و قال: أنا كما قال تعالى: «لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي» ١٢١٥ فمرنا بأمرك، فلنطيعنك و لو حال بيننا و بينك جمر الغضى و شوك القتاد. قال:

و أين تبلغان ممّا اريد؟

و رواه المبرّد فى أوائل (كامله المبرّد - الكامل - ج ١ ص ٢٢ تا ٢٥) ١٢١٦ بعد ذكر كلمات عن النبىّ صلّى الله عليه و آله ثم عن الثلاثة، فقال: و تحدّث ابن عايشة فى اسناد ذكره: أنّ عليّا رضى الله عنه انتهى إليه أنّ خيلا لمعاوية وردت الأنبار فقتلوا عاملا له، يقال له: حسّان بن حسّان، فخرج مغضبا يجر ثوبه حتى أتى النخيلة و اتّبعه الناس، فرقى رباوة من الأرض - إلى أن قال -:

١٢١٣ (١) تاريخ بغداد للخطيب ٨: ٤٢٠.

١٢١٤ (٢) الأغانى ١٦: ٢٦٦.

١٢١٥ (١) المائدة: ٢٥.

١٢١٦ (٢) الكامل للمبرّد ١: ٢٢ - ٢٥.

و لكن لا رأى لمن لا يطاع. - يقولها ثلاثا - فقام إليه رجل و معه أخوه - الرجل و أخوه يعرفان بابنى عفيف من الأنصار - فقال: أنا و أخى هذا كما قال تعالى: «رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي» فمرنا بأمرك، فو الله لنتنهين إليه و لو حال بيننا و بينه جمر الغضى و شوكة القتاد. فدعا لهما بخير ثم قال لهما: و أين تقعان ...

ص: ٤٩٥

و رواه إبراهيم الثقفى فى (غاراته إبراهيم الثقفى - الغارات - ج ٢ ص ٤٦٤ تا ٤٦٨ عنوان: «غارة سفيان بن عوف الغامدى على الأنبار، و لقيه أشرس بن حسّان البكرى و سعيد بن قيس»^{١٢١٧}) فى عنوان: «غارة سفيان بن عوف الغامدى على الأنبار، و لقيه أشرس بن حسّان البكرى و سعيد بن قيس».

و روى عن عبد الله بن يزيد عن أبى الكنود عن سفيان الغامدى قال: دعانى معاوية - إلى أن قال - و قتل صاحبهم فى رجال من أصحابه.

ثم روى^{١٢١٨} عن جندب بن عفيف قال: و الله إننى لفى جند الأنبار مع أشرس ابن حسّان البكرى إذ صبحنا سفيان بن عوف - إلى أن قال - ثم نزل صاحبنا و هو يتلو «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا»^{١٢١٩}. ثم قال لنا: من كان لا يريد لقاء الله و لا يطيب نفسا بالموت، فليخرج عن القرية ما دما نقاتلهم، فإن قتالنا إيّاهم شاغل لهم عن طلب هارب، و من أراد ما عند الله فما عند الله خير للابرار. ثم نزل فى ثلاثين رجلا. قال: فهمت و الله بالنزول ثم إن نفسى أبت ...

ثم روى^{١٢٢٠} عن محمد بن مخنف: أن سفيان بن عوف لما أغار على الأنبار قدم عالج من أهلها على على عليه السلام فأخبره الخبر فصعد المنبر فقال: أيّها الناس إنّ أخاكم البكرى قد أصيب بالأنبار و هو معتز لا يخاف ما كان، فاختار ما عند الله على الدنيا، فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم - إلى أن قال - فلما رأى صمتهم نزل فخرج يمشى راجلا حتّى أتى النخيلة، و الناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشرافهم فقالوا: ارجع نحن نكفيك. فقال: ما تكفوننى و لا تكفون أنفسكم. فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله و هو واجم كتيب، و دعا سعيد بن قيس الهمدانى فبعثه من النخيلة بثمانية آلاف - إلى أن قال - فلبث

ص: ٤٩٦

على عليه السلام ترى فيه الكآبة و الحزن حتى قدم عليه سعيد بن قيس، فكتب كتابا، و كان فى تلك الأيام عليا فلم يطق على القيام فى الناس بكل ما أراد من القول، فجلس بباب السدة التى تصل إلى المسجد و معه الحسنان عليهما السلام و عبد الله بن جعفر، فدعا سعدا مولاه فدفع الكتاب إليه فأمره أن يقرأه، فقام سعد بحيث يسمع على عليه السلام قراءته و ما يردّ عليه الناس - إلى أن قال فيه - أما بعد، فإننى قد عاتبتكم فى رشدكم حتى سئمت (و - ظ). ارجعتمونى بالهزم من قولكم حتى برمت، هزم من القول لا يعاديه، و خطل لا يعز أهله، و لو وجدت بدا من خطابكم و العتاب إليكم ما فعلت، و هذا كتابى يقرأ عليكم

^{١٢١٧} (١) الغارات لإبراهيم الثقفى ٢: ٤٦٤ - ٤٦٨.

^{١٢١٨} (٢) الغارات لإبراهيم الثقفى ٢: ٤٦٩.

^{١٢١٩} (٣) الأحزاب: ٢٣.

^{١٢٢٠} (٤) الغارات لإبراهيم الثقفى ٢: ٤٧٠.

فردّوا خيرا و افعلوه، و ما أظنّ أن تفعلوا، فالله المستعان، أيّها الناس إنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّة أوليائه - إلى أن قال - وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار فقتل بها أشرس بن حسّان - إلى أن قال - فأنتم و الله من حرّ السيوف أفرّ، لا و الذي نفس ابن أبي طالب بيده السيف تحيدون، فحتّى متى؟ و إلى متى يا أشباه الرجال و لا رجال و يا طغام الأحمال أحمال الأطفال! - إلى أن قال - فقام إليه رجل من الأزد يقال له: حبيب بن عفيف، آخذا بيد ابن أخ له يقال له: عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف، فأقبل يمشى حتى استقبل أمير المؤمنين عليه السّلام بباب السدة و قال: ها أنذا لا أملك إلّا نفسي و أخى فمرنا بأمرك

و رواه الجاحظ في (بيانه الجاحظ - البيان و التبیین - ج ٢ ص ٥١)^{١٢٢١} في جزئه الثاني فقال: و من خطب علىّ أيضا رضى الله عنه: قالوا: أغار سفيان بن عوف الأزدي ثم الغامدى على الأنبار، و عليها ابن حسّان أو حسّان البكرى فقتله، و أزال تلك الخيل عن مسالحها، فخرج على حتى جلس على باب السدة ثم قال: أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة - إلى - و قتل حسّان - أو ابن حسّان - البكرى و أزال خيلكم عن

ص: ٢٩٧

مسالحها، و قتل منكم رجلا صالحين - إلى أن قال - فقام رجل من الأزد يقال له فلان بن عفيف ثم أخذ بيد أخ له ...

و ذكره ابن قتيبة في (عيونه ابن قتيبة - عيون الأخبار - ج ٢ ص ٢٣٦)^{١٢٢٢} فقال: خطب عليه السّلام حين قتل عامله بالأنبار فقال: يا عجا من جدّ هؤلاء فى باطلهم و فسلكم عن حركم! فقبحا لكم و ترحا حين صرتم غرضا يرمى ...

و ذكره أبو حنيفة الدينورى في (طواله أبو حنيفة الدينورى - الأخبار الطوال - ص ٢١١)^{١٢٢٣} فقال و لمّا رأى علىّ عليه السّلام تتأقل أهل الكوفة عن المسير معه إلى قتال أهل الشّام، و انتهى إليه ورود خيل معاوية الأنبار و قتلهم مسلحته بها و الغارة عليها، كتب و دفع ما كتب إلى رجل يقرؤه يوم الجمعة إذا فرغوا من الصلاة: أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة - إلى أن قال - و قتل ابن حسّان البكرى ...

و ذكره ابن عبد ربه في (عقده ابن عبد ربه - العقد الفريد - ج ٤ ص ١٦٠)^{١٢٢٤} فقال: لمّا أغار سفيان بن عوف على الأنبار، و عليها حسّان البكرى فقتله و أزال الخيل عن مسالحها، خرج علىّ عليه السّلام حتى جلس على باب السدة ثم قال - بعد الحمد - : أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة ...

و رواه (الكافى الكليني - الكافى - ج ٥ ص ٤ ح ٦ الباب الأوّل من كتاب جهاد)^{١٢٢٥} في الباب الأوّل من كتاب جهاده مسندا عن أبي عبد الرحمن السّلمى، قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة - إلى أن قال - و قتل حسّان بن حسّان الكبرى

^{١٢٢١} (١) البيان للجاحظ ٢: ٥١.

^{١٢٢٢} (١) العيون لأبن قتيبة ٢: ٢٣٦.

^{١٢٢٣} (٢) الطوال للدينورى: ٢١١.

^{١٢٢٤} (٣) العقد لأبن عبد ربه ٤: ١٦٠.

و رواه (معاني أخبار الشيخ الصدوق - معاني الأخبار - ص ٣٠٩ باب (١٦١) الصدوق)^{١٢٢٦} في بابه (١٦١) مسندا عن ابن عايشة

ص: ٢٩٨

باسناد ذكره: أن عليًا عليه السلام أنهى إليه أن خيلا لمعاوية وردت الأنبار، فقتلوا عاملا له يقال له: حسان بن حسان، فخرج مغضبا يجر ثوبه حتى أتى النخيلة و اتبعه الناس فرقى رباؤه من الأرض ثم قال - بعد الحمد -: إنَّ الجهاد باب من أبواب الجنة

و روى (إرشاد الشيخ المفيد - الإرشاد - ص ٢٧٩ المفيد)^{١٢٢٧} كلاما طويلا عنه عليه السلام في عنوان: «فصل و من كلامه عليه السلام في مقام آخر». و فيه: فقبحا لكم يا أشباه الرجال و لا رجال! حلوم الأطفال و عقول ربات الحجال! - إلى أن قال - و الله لوددت أنني لم أعرفكم و لم تعرفوني، فإنَّها معرفة جرّت ندما، لقد وزّتم صدرى غيظا، و أفسدتم علىّ أمرى بالخذلان و العصيان حتى لقد قالت قريش: إنَّ عليّا رجل شجاع لكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم! هل كان فيهم أحد أطول لها مراسا مني، و أشدّ لها مقاساة؟ لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين، و ها أناذا قد ذرفت على الستين و لكن لا أمر لمن لا يطاع، أما و الله لوددت أن ربي قد أخرجني من بين أظهركم إلى رضوانه، و أن المنيّة لترصدني فما يمنع أشقاها أن يخضبها - و ترك يده على رأسه و لحيته - عهدا عهده إلى النبي الامي «وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى»^{١٢٢٨} و نجا من اتقى و صدّق بالحسنى.

يا أهل الكوفة دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلا و نهارا، و سراّ و علانا و قلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فإنّه ما غزى قوم قطّ في عقر دارهم إلّا ذلّوا، فتواكلتم و تخاذلتم و ثقل عليكم قولي و استصعب عليكم أمرى، و اتخذتموه وراءكم ظهريّا حتى شنت عليكم الغارات، و ظهرت فيكم الفواحش و المنكرات، تمسيكم و تصبحكم كما فعل بأهل المثالات من قبلكم، حيث أخبر

ص: ٢٩٩

الله عن الجبابرة العتاة الطغاة، و المستضعفين من الغواة في قوله عزّ و جلّ:

«يَذْبُحُونَ أْبْنَاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ»^{١٢٢٩} - إلى أن قال - إذا قلت لكم: انفروا في الشتاء. قلتكم: هذا أو ان قر و صرد. و إن قلت لكم: انفروا في الصيف. قلتكم: هذا حمارة القيظ انظرنا ينصرم عنا الحرّ. كل ذلك فرارا عن الجنة، إذا كنتم عن الحرّ و البرد تعجزون فأنتم - و الله - عن حرارة السيف أعجز و أعجز، فإنّا لله و إنّا إليه راجعون، قد أتاني الصريح يخبرني: أنّ أخا غامد قد نزل الأنبار على أهلها ليلا في أربعة آلاف، فأغار عليهم كما يغار على الروم و الخزر، فقتل

^{١٢٢٥} (٤) الكافي ٥: ٤ ح ٦.
^{١٢٢٦} (٥) معاني الأخبار للصدوق: ٣٠٩.
^{١٢٢٧} (١) الإرشاد للمفيد: ٢٧٩.
^{١٢٢٨} (٢) طه: ٦١.
^{١٢٢٩} (١) البقرة: ٤٩.

بها عاملى حسن و قتل معه رجالا صالحين ذوى فضل و عبادة و نجدة، بوأ الله لهم جنات النعيم، و أنه أباحها، و لقد بلغنى أن العصبه من أهل الشام كانوا يدخلون على المرأة المسلمة و الاخرى المعاهدة، فيهنكون سترها و يأخذون القناع من رأسها و الخرص من أذنها و الاوضح من يديها و رجليها و عضديها و الخلخال و الميزر عن سوقها، فما تمتنع إلّا بالاسترجاع و النداء: يا للمسلمين! فلا يغيبها مغيث و لا ينصرها ناصر، فلو أن مؤمنا مات من دون هذا أسفا ما كان عندى ملوما، بل كان عندى باراً محسناً، و اعجبا كل العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم، و فشلكم عن حقكم! قد صرتم غرضا يرمى و لا ترمون و تغزون و لا تغزون، و يعصى الله و ترضون، تربت أيديكم، أشباه الإبل غاب عنها رعاتها، كلما اجتمعت من جانب تفرقت من جانب.

«مما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه» روى (باب فضل جهاد الكافي) ١٢٣٠: أن النبي صلى الله و آله قال: للجنة باب يقال له: باب

ص: ٥٠٠

المجاهدين، يمضون إليه، فإذا هو مفتوح و هم متقلدون بسيوفهم و الجمع فى الموقف، و الملائكة ترحب بهم.

و الجهاد معاملة ثمنها الجنة، و قبالتها الكتب السماوية، و مسجلها هو تعالى عز اسمه، قال سبحانه «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» ١٢٣١.

«و هو لباس التقوى» فى (الكافي) ١٢٣٢ عن الصادق عليه السلام: أن الله تعالى بعث رسوله بالإسلام إلى الناس عشر سنين، فأبوا أن يقبلوا حتى أمره بالقتال، فالخير بالسيف و تحت السيّف، و الأمر يعود كما بدأ.

«و درع الله الحصينة و جنته الوثيقة» فى (الكافي) عنه عليه السلام: أن الله تعالى فرض الجهاد و عظّمه و جعله نصره و ناصره، و الله ما صلحت دنيا و لا دين إلّا به.

«فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلّ، و شمله» هكذا فى (المصرية) ١٢٣٣ و الصواب: (و شمله) بلفظ الفعل و المفعول كما فى (ابن أبى الحديد) ١٢٣٤ و ابن ميثم ١٢٣٥ و الخطيئة).

«البلاء و ديث» أى: دليل.

١٢٣٠ (٢) الكافي ٥: ٢ ح ٢.

١٢٣١ (١) التوبة: ١١١.

١٢٣٢ (٢) الكافي ٥: ٧ ح ٧.

١٢٣٣ (٣) الطبعة المصرية ١: ٦٣.

١٢٣٤ (٤) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٧٤.

١٢٣٥ (٥) شرح ابن ميثم ٢: ٢٩.

«بالصغار و القماء» أى: الذلّة، فى (الأغانى): ذكر مؤرّج السدوسى أنّ

ص: ٥٠١

أعشى همدان كان فى حرب ابن الأشعث شديد التحرض على الحجاج، فجال أهل العراق جولة ثم غاروا، فنزل الأعشى عن سرجه و نزع عن فرسه، و نزع درعه فوضعها فوق السرج، ثم جلس عليها فأحدث و الناس يرونه، ثم أقبل عليهم فقال لهم: لعلكم أنكرتم ما صنعت؟ قالوا: أو ليس هذا موضع نكير؟

فقال: كلكم سلاح فى سرجه و درعه خوفا و فرقا، و لكنكم سترتموه و أظهرته.

و نسب بعضهم هذا العمل إلى ابن حلّزة اليشكرى.

«و ضرب على قلبه بالاسداد» هكذا فى (المصرية) و مثله رواية (الكافى)^{١٢٣٦}، و لكن فى المدرك (ابن أبى الحديد و ابن ميثم): «بالاسهاب»، فلا بدّ كون النهج كذلك.

و فى (الجمهرة): أسهب الرجل من لدغ الحية، و هو ذهاب العقل، و ليس فى كلامهم (أفعل فهو مفعول) أى: بالفتح إلّا ثلاثة: أسهب هذا، و أفلج، و أحصن، قال الراجز:

فمات عطشانا و عاش مسهبا.

«و ادبل الحقّ منه» أى: يجعل الكرة للحق عليه، و فى مثل: يدال من البقاع كما يدال من الرجال.

«بتضييع الجهاد» أى: بسبب تضييعه له.

«و سيم الخسف» فى (الصحاح): سامه الخسف، أى: أولاه الذلّ.

ثم قد عرقت أنّ الجاحظ و الدينورى نقلاه مثل المتن و كذا (الكافى) و رواه المبرد^{١٢٣٧} و الصدوق^{١٢٣٨}، و اسنادهما واحد عن ابن عايشة بلفظ: «ألبيه

ص: ٥٠٢

^{١٢٣٦} (١) الكافى ٥: ٤ ح ٦.

^{١٢٣٧} (٢) المبرد ١: ٢٣.

^{١٢٣٨} (٣) معاني الأخبار للصدوق: ٣٠٩.

اللّه الذل و سيماء الخسف» و عليه يكون (سيماء) عطفًا على (الذل) كما أنّ ما كان بلفظ «و سيم» يكون عطفًا على (ألبسه).

و لذا قال المبرد: و سماعه سيماء، و معناه العلامة، و أظنه سيم.

و قول ابن أبي الحديد: «سماع المبرد غير مرض» فى غير محله، فإنّ سماعه إنّما يكون غير مرض إذا كان بلفظ النهج و ليس فى روايته أيضًا بعده «و منع منه النصف»، فاستدلّاه لكونه (سيم) بأفعال قبله و بعده كما ترى.

«و منع النصف» أى: لا يعمل معه بالانصاف.

«ألا و إنّى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا و نهارا و سراّ و إعلانا» هو نظير قول نوح عليه السّلام: «رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَ نَهَارًا»^{١٢٣٩}.

«و قلت لكم: اغزؤهم قبل أن يغزؤكم» و من أمثالهم: تغد به قبل ان يتعشى بك.

«فو الله ما غزى قوم» و زاد ابن أبى الحديد^{١٢٤٠} و ابن ميثم^{١٢٤١} و (الخطيئة):

«قط» ففى (المصرية)^{١٢٤٢} سقط.

«فى عقر» أى: أصل.

«دارهم إلّا ذلّوا فتواكلتم» أى: و كل هذا إلى ذاك، و ذاك إلى هذا، فلم يتولّه أحد.

«و تخاذلتم حتى شنت» أى: صبت، و الأصل فيه: شن عليه الماء.

«الغارات عليكم» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (عليكم الغارات) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيئة).

ص: ٥٠٣

«و ملكت عليكم الأوطان» و منها مصر.

«و هذا» هكذا فى (المصرية) و لكن فى (ابن ميثم و الخطيئة): «هذا» و فى (ابن أبى الحديد): «فهذا».

«أخو» بيان لهذا لا خبر.

^{١٢٣٩} (١) نوح: ٥.

^{١٢٤٠} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٧٤.

^{١٢٤١} (٣) شرح ابن ميثم ٢: ٢٩.

^{١٢٤٢} (٤) الطبعة المصرية ١: ٦٤.

«غامد» قد عرفت من رواية (العقد) أنّ الغامدى ذاك سفيان بن عوف، و قال المبرد^{١٢٤٣}: كان سفيان من بنى غامد بن نصر بن الأزد، و فى هذه القبيلة يقول القائل:

بما فضحت قومها غامد

ألا هل أتاها على نايها

فردكم فارس واحد

تمنيتم مائتى فارس

ضانا لها حالب قاعد

فليت لها بارتباط الخيول

و فى (الجمهرة) اختلفوا فى اشتقاق غامد، فقال ابن الكلبي سمى به لأنه تغمّد أمرا كان فى عشيرته، فسماه ملك من ملوك حمير: غامدا. فقال غامد:

فاسماني القيل الحضورى غامدا

تغمّدت أمرا كان بين عشيرتى

و قال الأصمعي: سمى غامد من قولهم: غمدت البئر، إذا كثر ماؤها، و غمدت ليلتنا: إذا اظلمت، و انشد:

ظلماء تغشى النجم و الفرقودا

و ليلة غامدة غمودا

يعنى: الفرقد.

«و قد وردت» هكذا فى (المصرية)^{١٢٤٤} و الصواب: (قد وردت) كما فى (ابن أبى الحديد)^{١٢٤٥} و ابن ميثم^{١٢٤٦} و الخطيب و لأنه خبر: «و هذا اخو غامد».

ص: ٥٠٤

^{١٢٤٣} (١) المبرد ١: ٢٦.

^{١٢٤٤} (٢) الطبعة المصرية ١: ٦٤.

^{١٢٤٥} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٧٤.

^{١٢٤٦} (٤) شرح ابن ميثم ٢: ٢٩.

«خيله الأنبار» فى (المعجم): الأنبار: مدينة فى غربى بغداد بعشرة فراسخ، و كان أول من عمّرها سابور ذو الإكتاف ثم جددها السفاح، فتحت أيام أبى بكر على يد خالد، قال البلاذرى: مرّ علىّ عليه السّلام بالأنبار فخرج إليه أهلها بالهدايا إلى معسكره فقال: اجمعوا الهدايا و اجعلوها باجا واحدا. ففعلوا فسمى موضع معسكره بالأنبار الباج إلى الآن.

و فى (الصّحاح): باجا واحدا، أى: ضربا واحدا و لونا واحدا.

«و قد قتل حسان بن حسان البكرى» قال ابن أبى الحديد^{١٢٢٧}: قال إبراهيم الثقفى^{١٢٢٨}: كان اسم عامل علىّ عليه السّلام على مسلحة الأنبار أشرس بن حسان.

قلت: لا خلاف فى أنّ اسم أبيه حسان، و أمّا اسمّه فاختلف فيه بحسان و أشرس، فخير الثقفى الذى نقله ابن أبى الحديد^{١٢٢٩} و خبر عوانة الآتى و أنساب البلاذرى و تاريخ أعثم كلها تضمن (أشرس).

و خبر ابن عايشة المروى فى (كامل المبرد) و (معانى الصدوق) و خبر (الأغانى) و رواية (الكافى) كلها مثل النهج بلفظ حسان بن حسان، و كذا (الإرشاد) و (العقد) سمّياه حسانا، و (الأخبار الطوال) عبر عنه بابن حسان، و (بيان الجاحظ) تردد فقال: حسان أو ابن حسان، و (الصحيح): أشرس، و أنّ الناقلين (حسان) رأوا ابن حسان فقرءوه (حسان).

«و أزال خيلكم عن مسالحها» فى (الصّحاح): المسلحة: قوم ذوو سلاح، و المسلحة كالنغر و المرقب، و فى الحديث: كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب.

ص: ٥٠٥

«و لقد بلغنى أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة و الاخرى المعاهدة فينتزع حجلها» أى: خلخالها.

«و قلبها» بالضم السوار، قال خالد بن يزيد:

لرملة خلخالا يجول و لا قلبا

تجول خلاخيل النساء و لا أرى

«و قلائدها» جمع القلادة.

«و رعائها» جمع رعة: القرط، و كان بشار الشاعر يلقب بالمرعث، لرعة كانت له فى صغره.

^{١٢٢٧} (١) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٨٥.

^{١٢٢٨} (٢) الغارات للثقفى ٢: ٤٦٤.

^{١٢٢٩} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٨٥.

«ما تمنع» هكذا فى (المصرية) ١٢٥٠ و الصواب: (ما تمتنع) كما فى (ابن أبى الحديد) ١٢٥١ و ابن ميثم ١٢٥٢ و الخطيئة).

«إِلَّا بِالْإِسْتِرْجَاعِ» أى: قول «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» ١٢٥٣.

«وَالْإِسْتِرْحَامِ» أى: طلب الترحم عليها، و قال ابن أبى الحديد ١٢٥٤ و ابن ميثم:

أى مناشدة الرحم. و هو كما ترى فلم يعلم رحم بين نساء الأنبار و رجال الشام حتى يناشدهم به.

«ثم انصرفوا و افرين ما نال رجلا منهم كلم» أى: جراحة.

«و لا اريق لهم» هكذا فى (المصرية) ١٢٥٥ و الصواب: (له) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيئة) دم.

ص: ٥٠٦

فى (الطبرى) ١٢٥٦ قال عوانة: وجّه معاوية سنة (٣٩) سفيان بن عوف فى ستة آلاف رجل، و أمره أن يأتى هيت فيقطعها و أن يغير عليها، ثم يمضى حتى يأتى الأنبار و المدائن فيوقع بأهلها، فسار حتى اتى هيت فلم يجد بها أحدا، ثم أتى الأنبار و بها مسلحة لعلّى عليه السلام تكون خمسمائة رجل و قد تفرقوا فلم يبق منهم إلّا مائة رجل، فقاتلهم فصبر لهم أصحاب علىّ عليه السلام مع قتلهم، ثم حملت عليهم الخيل و الرّجال فقتلوا صاحب المسلحة، و هو أشرس بن حسان البكرى فى ثلاثين رجلا، و احتملوا ما كان فى الأنبار من الأموال و احتملوا أموال أهلها و رجعوا- إلى أن قال- و سرّح علىّ عليه السلام سعيد بن قيس فى أثر القوم، فخرج فى طلبهم فلم يلحقهم فرجع.

و روى (غارات الثقفى) ١٢٥٧ عن سفيان بن عوف الغامدى قال: دعانى معاوية فقال: إئتى باعنتك فى جيش كثيف ذى أداء و جلادة، فالزم جانب الفرات حتى تمرّ بهيت فتقطعها، فإن وجدت جندا فأغر عليهم، و إلّا فامض حتى تغير على الأنبار، فإن لم تجد بها جندا فامض حتى توغل المدائن، ثم أقبل إلى و اتق أن تقرب الكوفة، و اعلم أنّك إن أغرت على الأنبار و أهل المدائن فكأنّك أغرت على الكوفة، إن هذه الغارات- يا سفيان- على أهل العراق ترعب قلوبهم و تفرح كلّ من له فينا هوى، و يدعو إلينا كلّ من له فينا هوى و خاف الدوائر، فاقتل من لقيته ممّن ليس هو على مثل رأيك، و أخرب كلّ ما مررت به من القرى و احرب الأموال، فإنّ حرب الأموال شبيهة بالقتل و هو أوجع للقلب. قال سفيان:

١٢٥٠ (١) الطبعة المصرية ١: ٦٤.

١٢٥١ (٢) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٧٤.

١٢٥٢ (٣) شرح ابن ميثم ٢: ٢٩.

١٢٥٣ (٤) البقرة: ١٥٦.

١٢٥٤ (٥) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٧٨.

١٢٥٥ (٦) الطبعة المصرية ١: ٦٥.

١٢٥٦ (١) تاريخ الطبرى ٥: ١٣٤.

١٢٥٧ (٢) الغارات للثقفى ٢: ٤٦٤.

فخرجت من عنده فعسكرت، و قام معاوية في الناس فخطبهم فقال: انتدبوا مع سفیان فإنه وجه فيه أجر عظیم و سريعة أو بتكم. ثم نزل فما مرت ثلاثة حتى

ص: ٥٠٧

خرجت في ستة آلاف، ثم لزمت شاطئ الفرات فأغذت السير حتى أمر بهيت، فبلغهم أني قد غشيتهم فقطعوا الفرات، فمررت بها و ما بها غريب كأنها لم تحلل قط، فوطئتها حتى أمر بصدوداء ففروا فلم ألق بها أحدا، فأمضى حتى أفتتح الأنبار - و قد اندروا بي - فخرج صاحب المسلحة إلى فوقف لي فلم أقدم عليه، حتى أخذت غلمانا من أهل القرية فقلت لهم: أخبروني كم بالأنبار من أصحاب علي؟ قالوا: عدة رجال المسلحة خمسمائة و لكنهم قد تبددوا و رجعوا إلى الكوفة، و لا ندرى الذى يكون فيها قد يكون مائتي رجل. فنزلت فكتبت أصحابي كتائب ثم أخذت أبعثهم إليه كتيبة بعد كتيبة، فنقاتلهم و نطاردهم و يطاردون في الأزقة، فلما رأيت ذلك أنزلت إليهم نحو من مائتين و أتبعتهم الخيل، فلما حملت عليهم الخيل و أمامها الرجالة تمشى لم يكن شيء حتى تفرقوا، و قتل صاحبهم في نحو من ثلاثين رجلا، و حملنا ما كان من الأنبار من الأموال ثم انصرفنا، فوالله ما غزوت غزاة كانت أقر للعيون منها، و بلغني أنها رعبت الناس، فلما عدت إلى معاوية حدثته الحديث على وجهه، فقال: كنت عند ظني بك، لا تنزل في بلد من بلداني إلا قضيت فيه ما يقضى أميره، و إن أحببت أن تولاه وليتك. فما لبثنا إلا يسيرا حتى رأيت رجال أهل العراق يأتوننا على الإبل هربا من عسكر علي.

«فلو أن امراً مسلماً مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما، بل كان به عندي» و في (ابن ميثم)^{١٢٥٨}: «بل كان عندي به».

«جديرا» و مر في سابقه أن أبا ذر أخبر بسبي نساء مسلمات في غارات بسر، و استعاذ بالله من إدراكه ذاك الزمان.

و ممن مات أسفا مروان بن عبد الملك بن مروان، ففى (نسب قريش

ص: ٥٠٨

مصعب الزبيري) حج مروان مع أخيه الوليد - و هو خليفة - فلما كانا بوادي القرى جرى بينهما محاورة فغضب الوليد فامصه، فنفوه مروان بالرد عليه فأمسك عمر بن عبد العزيز على فيه فمنعه من ذلك، فقال مروان لعمر: قتلتني رددت غيظي في جوفى. فما راحوا من وادي القرى حتى دفنوه^{١٢٥٩}.

«فيا عجبا و الله يميم القلب و يجلب الهم اجتماع هؤلاء القوم» هكذا في (المصرية)^{١٢٦٠} و فيها زيادة و تقيصة، ففى (ابن أبي الحديد)^{١٢٦١} و (ابن ميثم)^{١٢٦٢}:

^{١٢٥٨} (١) شرح ابن ميثم ٢: ٢٩.
^{١٢٥٩} (١) نسب قريش لمصعب الزبيري: ١٦٢.
^{١٢٦٠} (٢) الطبعة المصرية ١: ٦٥.
^{١٢٦١} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٧٤.
^{١٢٦٢} (٤) شرح ابن ميثم ٢: ٣٠.

«فيا عجباً عجباً والله يميت القلب و يجلب الهم من اجتماع هؤلاء».

«على باطلهم و تفرّقكم عن حقكم» في (خلفاء ابن قتيبة)^{١٢٦٣} - بعد ذكر هزيمة زحر ابن قيس من قبله عليه السّلام للضحّاك بن قيس من قبل معاوية -: أنّ معاوية جمع الناس و قال لهم: أتاني خبر من ناحية من نواحي أمر شديد. فقالوا: لسنا في شيء ممّا أتاك، إنّما علينا السمع و الطاعة. و بلغ عليّاً عليه السّلام قول معاوية و قول أهل الشام، فأراد أن يعلم ما رأى أهل العراق؟ فجمعهم فقال: أيّها الناس أتاني خبر من ناحية من نواحي. فقال ابن الكواء و أصحابه: إنّ لنا في كل أمر رأياً في ما أتاك، فأطلعنا عليه حتى نشير عليك. فبكى عليه السّلام ثم قال: ظفر و الله ابن هند باجتماع أهل الشام له و اختلافكم عليّ، و الله ليغلبنّ باطله حقكم، إنّما أتاني أنّ زحر بن قيس ظفر بالضحّاك و قطع الميرة، و أتى معاوية هزيمة صاحبه فقال: يا أهل الشام، إنّّه أتاني أمر شديد. فقلّدوه أمرهم و اختلفتم عليّ.

ص: ٥٠٩

و في (صفين نصر)^{١٢٦٤} قال النجاشي:

كفى حزناً أنا عصينا إمامنا	عليّاً و أنّ القوم طاعوا معاوية
و أنّ لأهل الشام في ذلك فضلهم	علينا بما قالوه فالعين باكية
أ يعصى إمام أوجب الله حقّه	علينا و أهل الشام طوع لطاغيه

«قبّحاً لكم و ترحاً» أي: بعدا لكم و حزناً.

«حين صرتم غرضاً» أي: هدفاً.

«يرمى، يغار عليكم و لا تغيرون، و تغزون و لا تغزون، و يعصى الله و ترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيّام الصيف» هكذا في (المصرية)^{١٢٦٥}، و الصواب:

(الحر) كما في (ابن أبي الحديد)^{١٢٦٦} و ابن ميثم^{١٢٦٧} و الخطيب).

«قلتم: هذه حمارة» - بتشديد الراء -: شدة حر الصيف، و أمّا بتشديد الميم فبمعنى أصحاب الحمير في السّقر.

^{١٢٦٣} (٥) الخلفاء لأبن قتيبة: ١٠٧.
^{١٢٦٤} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٥٣.
^{١٢٦٥} (٢) الطبعة المصرية ١: ٦٥.
^{١٢٦٦} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٧٤.
^{١٢٦٧} (٤) شرح ابن ميثم ٢: ٣٠.

«القيظ» أى: الصيف.

«أمهلنا يسّخ» أى: يخف و يفتّر.

«عنا الحر. و إذا أمرتكم بالسير إليهم فى الشتاء قلتُم: هذه صبارّة» بتشديد الراء: شدة البرد.

«القرّ» أى: البرد.

«أمهلنا ينسلخ» أى: ينقضى.

«عنا البرد. كل هذا» و فى (ابن ميثم): «أكلّ هذا».

«فرازا» مفعول له.

ص: ٥١٠

«من الحرّ و القرّ» بالفتح.

«فأنتم و الله من السيّف أفر» هكذا فى (المصرية) و فيه سقط، ففى (ابن أبى الحديد)^{١٢٦٨} و ابن ميثم: «فإذا كنتم من الحرّ و القرّ تفرون، فأنتم و الله من السيّف أفر».

فى (غارات النقفى)^{١٢٦٩} عن المنهال بن عمرو قال: سمعت عليّا عليه السّلام و نحن بمسكن يقول: «يا معشر المهاجرين «ادخلوا الأرضَ المُقدّسةَ الّتى كتبَ اللهَ لكم و لا ترتدّوا على أذباركم فتتقلّبوا خاسرين»^{١٢٧٠}. فبكوا و قالوا:

البرد شديد. و كان غزاتهم فى البرد، فقال: إنّ القوم يجدون البرد كما تجدون.

فلم يفعلوا و أبوا فلما رأى ذلك منهم قال: أف لكم إنّها سنّة جرت عليكم.

و عن فرقد البجلي عنه عليه السّلام فى كلام له عليه السّلام: إن قلت لكم: انفروا إلى عدوكم. قلتُم: القرّ يمنعنا. أفترون عدوكم لا يجدون القرّ كما تجدونه؟ و لكنكم أشبهتم قوما قال لهم النّبىّ صلّى الله عليه و آله: «انفروا فى سبيل الله». فقال كباروهم: «لا تنفروا فى الحر» فقال تعالى لنبيه: «قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ»^{١٢٧١}.

^{١٢٦٨} (١) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٧٥.

^{١٢٦٩} (٢) الغارات للنقفى ١: ٢٦ - ٢٧.

^{١٢٧٠} (٣) المائدة: ٢١.

^{١٢٧١} (٤) التوبة: ٨١.

«يا أشباه الرجال و لا رجال» فى (كامل المبرد): يروى أنّ رجلا من الخوارج يوم سلى، حمل على رجل من أصحاب المهلب قطعنه، فلمّا خاطه الرمح صاح: يا أمّاه. فصاح به المهلب: لا كثر الله بمثلك المسلمين. فضحك الخارجى و قال:

ص: ٥١١

تسقيك محضا و تعل رائبا^{١٢٧٢}

أمك خير لك منى صاحباً

و فى (تفسير القمى): كانت هند بنت عتبة يوم احد فى وسط العسكر، فكلّما انهزم رجل من قريش رفعت إليه ميلا و مكحلة و قالت له: إنّما أنت امرأة فاحتحل بهذا^{١٢٧٣}.

و فى (تنبيه البكرى): قتل رجل من مازن سعد العشيرة أخا عمرو بن معديكرب، و طلبوا من عمرو قبول الدية لكون القاتل سكران، فقبل عمرو فقالت اخته كبشة:

فمشوا باذان النعام المصلم

فإن أنتم لم تقتلوا و اتديتمو

إذا أنهلت اعقابهن من الدم

و لا تشربوا إلّا فضول نسائكم

فأكب عمرو بالغارة عليهم فأوجع فيهم^{١٢٧٤}.

و فى (الأغانى)^{١٢٧٥}: كان عمليق الطمسي أمرّا ألا تزوج بكر من جديس حتى يفتريها هو قبل زوجها ليلة زفافها. فلمّا تزوّجت الشموس - و هى عفيّرة بنت عباد، اخت الأسود الذى وقع إلى جبل طى، فقتله طى و سكنوا الجبل من بعده - انطلقوا بها إلى عمليق فافتريها، فخرجت إلى قومها فى دماء شاقة درعها من قبل و من دبر و الدم يسيل، و هى فى أقبح منظر، و هى تقول:

و أنتم رجال فيكم عدد النمل

أ يجمل ما يؤتى إلى فتياكم

نساء لكنّا لا نقرّ بذا الفعل

و لو أنّا كنا رجالا و كنتم

^{١٢٧٢} (١) الكامل للمبرد ٢: ٢٣٧ مؤسسة المعارف- بيروت.

^{١٢٧٣} (٢) تفسير القمى ١: ١١٦.

^{١٢٧٤} (٣) ذيل الأمالي للقالى: ١٩٠ دار الأفاق الجديدة- بيروت.

^{١٢٧٥} (٤) الأغاني ١١: ١٦٥ دار إحياء التراث العربى- بيروت.

و إن أنتم لم تغضبوا بعد هذه
و دونكم طيب العروس فإنما
فكونوا نساء لا تعاب من الكحل
خلقتم لأثواب العروس و للنسل

ص: ٥١٢

فبعدا و سحقا للذى ليس دافعا
و يختال يمشى بيننا مشية الفحل

«حُلوم الأطفال» أى: لهم عقول كعقول الأطفال، قال الشاعر:

ترى الفتیان كالنخل
و ما يدريك ما الدخل

و قال حسّان:

إنّی رأيت من المكارم حسبكم
أن تلبسوا حر الثياب و تشبعوا

و قال آخر:

الا طعان الا فرسان عادية
الا تجشؤكم حول التناير

«و عقول ربّات الحجال» فى (الصّاح): الحجلة - بالتحريك -: واحدة حجال العروس، و هى بيت بالثياب و الاسرة و الستور.

و فى (الجزرى): قال عبيد الله بن الحر الجعفى فى قصيدة له:

ألم تر قيسا قيس عيلان برقت

لحاها و باعت نبلها بالمغازل

و قالوا: قال أبو العتاهية في ابن معن بن زائدة:

فما تصنع بالسيف

إذا لم تك قتالا

فكسر حلية السيف

وضعها لك خلخالا

فكان ابن معن إذا تقلد السيف و رمقه واحد تبين الخجل عليه.

و قال المبرد^{١٢٧٦}: نسبهم عليه السلام في قوله هذا إلى ضعف النساء، قال تعالى:

«أَوْ مَنْ يُنشِئُوا فِي الْحَلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ»^{١٢٧٧}.

و قال الشاعر:

متى ترعيني مالك و جرائه

و جنبه تعلم أنه غير ثائر

حضح كام التوأمين توکأت

على مرفقيها مستهله عاشر

ص: ٥١٣

«لوددت أني لم أركم و لم أعرفكم معرفة و الله جرت ندما و أعقبت سدما» أي:

حزنا، قالوا: نادم سادم، و في (الجمهرة): قال قوم: السادم مأخوذ من المياه الاسدام، و هي المندفنة التي تغيرت لطول المكث، يقال: ماء أسدام و مياه أسدام. و هو ما وصف واحده بصفة الجمع.

^{١٢٧٦} (١) المبرد ١: ٢٨.
^{١٢٧٧} (٢) الزخرف: ١٨.

و في (الطبري)^{١٢٧٨} - بعد ذكر إعطاء محمد بن الأشعث الأمان لمسلم و تسليمه - قال مسلم له: إني أراك ستعجز عن أمانى، فهل تستطيع أن تبعث رجلا إلى الحسين عليه السلام يقول له: «ارجع بأهل بيتك و لا يغرك أهل الكوفة، فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إن أهل الكوفة كذّبوك و كذّبوني و ليس لمكذوب رأى؟»

«قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا» بالفتح: ماء يخرج من الجرح بدون الدم، و في (الجمهرة): قاح الجرح، يقيح و يقوح، و أفاح يقيح.

«و شحنتم» أى: ملأتم صدرى.

«غيظا، و جرّعتوني نغب» جمع النغبة بالضم، أى: جرع.

«التهام» أى: الهضم، قال ابن أبي الحديد^{١٢٧٩} التّهام بفتح التاء، و كذلك كلّ تفعال، كالترداد و التكرار و التجوال، إلّا التّبيان و التّلقاء فإنّهما بالكسر.

قلت: أخذه من (الصاح) فى (بين) فقال: «تبيان مصدر و هو شاذ، لأنّ المصادر إنّما تجيء على تفعال» بفتح التاء، مثل التّذكّار و التّكرار و التّوكاف و لم يجيء بالكسر إلّا التّبيان و التّلقاء و لكنّه - كما ترى - قال: كلّ مصدر على تفعال إنّما هو بالفتح سوى حرفين لا كلّ تفعال بالفتح كما قال و ان لم يكن مصدرا، فعن أبي عمرو: «تفعال بالفتح مصدر، و تفعال بالكسر اسم» و فى

ص: ٥١٤

كلامه عليه السلام ليس بمصدر بل اسما كالهم، مع أنّ (الجمهرة) لم يذكر تفعال بالفتح بل بالكسر، و عدّ فى صيغه التّكلام و التّلقام و التّمساح و التّضراب و التّمراد و التّلفاق و التّجفاف و التّمثال و التّهواء و التّعشار و التّبراك و التّنبال و التّلعاب و التّقصار و التّعمار، كما عدّ التّبيان و التّلقاء.

«أنفاسا» أى: نفسا نفسا.

«أفسدتم على رأبى بالعصيان و الخذلان حتى قالت قريش: إنّ ابن أبى طالب رجل شجاع و لكن لا علم له بالحرب» فى (المروج)^{١٢٨٠}: بلغ عليّا عليه السلام عن اناس من قريش ممّن قعد عن بيعته و نافق فى خلافته كلام كثير، فقال عليه السلام: «و قد زعمت قريش أنّ ابن أبى طالب شجاع و لكن لا علم له بالحروب. تربت أيديهم و هل فيهم أشدّ مراسا لها منّى؟ لقد نهضت فيها و ما بلغت الثلاثين، و ها أناذا قد أربيت على نيف و ستين».

«لله أبوه! و هل أحد منهم أشدّ لها مراسا» أى: ممارسة.

^{١٢٧٨} (١) تاريخ الطبري ٥: ٣٧٤.

^{١٢٧٩} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٨٠.

^{١٢٨٠} (١) مروج الذهب ٢: ٤١٤.

«و أقدم فيها مقاما منى» وكيف لا علم له عليه السّلام بالحرب و قد بيّن عليه السّلام آداب الحرب للناس؟

«لقد نهضت» أى: قمت.

«فيها و ما بلغت العشرين» قد عرفت أنّ الكليني و الصدوق و المفيد و الجاحظ أيضا رووه كذلك، و لكن المسعودى رواه: «و ما بلغت الثلاثين» و الظاهر صحّته، فأوّل حروبه عليه السّلام الرّسمية حرب بدر، و كانت فى السنّة الثانية من الهجرة و كان عليه السّلام وقت البعثة ابن عشر على الأصح، و كان مقام النّبىّ صلّى الله عليه و آله بمكة قبل الهجرة ثلاث عشرة سنة.

«و ها أنا اليوم قد ذرّفت» بالتشديد، أى: زدت.

ص: ٥١٥

«على الستين» و قد عرفت أنّ الدينورى رواه: «جنت الستين»، و المسعودى: «قد أربيت على نيف و ستين».

«و لكن» هكذا فى (المصرية) و نسخة ابن ميثم^{١٢٨١}، و لكن فى ابن أبى الحديد^{١٢٨٢} و الخطيب: «و لكنه».

«لا رأى لمن لا يطاع» لأنّه يذهب رأيه هدرًا.

قول المصنف فى العنوان الثانى «و قال عليه السّلام لمّا بلغه إغارة أصحاب معاوية» بقيادة سفيان بن عوف الغامدى.

«على الأنبار فخرج بنفسه ماشيا» لمّا ندبهم إلى الخروج إليه و دفعه و لم يجيبوه.

«حتى أتى النّخيلة» و نزلها عليه السّلام فى طريقه إلى صفّين أيضا، و دلّهم على قبر يهودا و قبر هود كما رواه نصر بن مزاحم فى (صفينه)^{١٢٨٣}.

«فأدركه الناس و قالوا: يا أمير المؤمنين نحن نكفيكهم. فقال عليه السّلام: ما تكفوننى» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (و الله ما تكفوننى) كما فى (ابن أبى الحديد^{١٢٨٤} و ابن ميثم^{١٢٨٥} و الخطيب).

«أنفسكم فكيف تكفوننى غيركم؟» قالوا: إنّ قوما غير عليهم فاستصرخوا بنى عمّهم، فأبطأوا عنهم حتى اسروا و ذهب بهم ثم جاءوا يسألون عنهم، فقبل لهم: «أ سائر اليوم و قد زال الظهر» فصار مثلا، أى: أ تطمع و قد بان اليأس؟

ص: ٥١٦

^{١٢٨١} (١) شرح ابن ميثم ٢: ٣٠.

^{١٢٨٢} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٧٥.

^{١٢٨٣} (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ١٢٦.

^{١٢٨٤} (٤) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٨٨.

^{١٢٨٥} (٥) شرح ابن ميثم ٢: ٣١.

«إن» مخففة من المثقلة.

«كانت الرعايا قبلى لشكو حيف» أى: ظلم.

«رعاتها» جمع الراعى.

«وإنى اليوم لأشكو حيف رعيتى كأنى المقود و هم القاده أو الموزوع» أى:

المكفوف.

«و هم الوزعة» أى: الكافة، قال الحسن البصرى: لا بد للناس من وزاع. أى:

سلطان يكفهم.

«فلما قال عليه السلام هذا القول فى كلام طويل قد ذكرنا مختاره فى جملة الخطب» فى (٢٦) منها.

«تقدم إليه رجلان من أصحابه» قد عرفت من رواية المبرد و الجاحظ أن الرجلين كانا اخوين، و فى (الكامل) للمبرد: الرجل و أخوه يعرفان بابنى عفيف من الأنصار، و فى (بيان الجاحظ): «فلان بن عفيف، ثم اخذ بيد أخ له»:

و من رواية الثقفى أنّهما كانا عمّا و ابن أخ، اسم الأول حبيب بن عفيف، و الثانى عبد الرحمن بن عبد الله.

«فقال أحدهما: انى «لا أملكُ إلّا نفسى و أخى» فمرنا بأمرك ننقد» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (ننفذ). كما فى غيرها: «له». و قالوا: لنضربنّ دونك و إن حال جمر الغضا و شوك القتاد.

«فقال عليه السلام: و أين تقعان ممّا اريد؟» بعد أن أثنى عليهما و دعا لهما.

٤

الخطبة (٣٤) و من خطبة له عليه السلام فى استنفار الناس إلى أهل الشام:

أَفْ لَكُمْ لَقَدْ سَمِئْتُ عِتَابَكُمْ «أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ»^{١٢٨٦}

ص: ٥١٧

عَوْضًا - وَ بِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا - إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوَّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ - كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ - وَ مِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ - يُرْتَجُّ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ - فَكَانَ قُلُوبُكُمْ مَأْلُوسَةً فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ - مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي - وَ مَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ - وَ لَا زَوَافِرُ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ - مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَابِلُ ضَلِّ رُعَاتِهَا - فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرٍ - لَيْسَ لَعَمْرُ اللَّهِ سَعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ - تُكَادُونَ وَ لَا تَكِيدُونَ - وَ تَنْتَقِصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ - لَا يُنَامُ عَنْكُمْ وَ أَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ - غَلِبَ وَ اللَّهُ الْمُتَخَادِلُونَ - وَ أَيْمُ اللَّهِ - إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَعَى - وَ اسْتَحَرَّ الْمَوْتُ - قَدْ أَنْفَرَجْتُمْ عَنْ؟ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ؟ أَنْفَرَجَ الرَّأْسُ - وَ اللَّهُ إِنْ أَمْرًا يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ - يَغْرُقُ لَحْمَهُ وَ يَهْشِمُ عَظْمَهُ - وَ يَفْرِي جِلْدَهُ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ - ضَعِيفٌ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ - أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ - فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيَّةِ - تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ الْهَامِ - وَ تَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَ الْأَقْدَامُ - وَ يَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِمَّا يَشَاءُ أَيُّهَا النَّاسُ - إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا وَ لَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ - فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالْتَّصِيحَةُ لَكُمْ - وَ تَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ - وَ تَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا وَ تَأْدِيبُكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا - وَ أَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ - وَ النَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَ الْمَغِيبِ - وَ الْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ وَ الطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ أَقُولُ: قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ^{١٢٨٧}: خُطِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَا بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَ قَدْ كَانَ قَامَ بِالنَّهْرَوَانِ وَ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ نَصْرَكُمْ، فَتَوَجَّهُوا مِنْ فُورِكُمْ هَذَا إِلَى عَدُوِّكُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ. فَقَالُوا: نَفَدَتْ نَبَالُنَا وَ كَلَّتْ سَيُوفُنَا وَ انْصَلَتْ أَسْنَتُهُ

ص: ٥١٨

رماحنا، ارجع بنا إلى مصرنا نستعد بأحسن عدتنا، و لعلَّ يزيد في عددنا مثل من هلك منا، فإنَّه أقوى لنا على عدونا.

قلت: رواه الثَّقَفِيُّ فِي (غَارَاتِهِ الثَّقَفِيَّةِ - الْغَارَاتِ - ج ١ ص ٢٣ تا ٢٥ عنوان: «قُدُومُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْكُوفَةِ عَنْ حَرْبِ الْخَوَارِجِ») ^{١٢٨٨} فِي عِنَاوَانٍ: «قُدُومُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْكُوفَةِ عَنْ حَرْبِ الْخَوَارِجِ» مَسْنَدًا عَنْ أَبِي الْوَدَّاعِ وَ زَادَ فِي آخِرِهِ: «وَ كَانَ الَّذِي وَلِيَ كَلَامَ النَّاسِ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ». وَ قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ^{١٢٨٩} - بَعْدَ مَا مَرَّ: فَكَانَ جَوَابُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «يَا قَوْمُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَ لَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ» ^{١٢٩٠} فَتَلَكَّأُوا عَلَيْهِ وَ قَالُوا: إِنَّ الْبَرْدَ شَدِيدٌ. فَقَالَ: إِنَّهُمْ يَجِدُونَهُ كَمَا تَجِدُونَ. فَابُوا، فَقَالَ: أَفَ لَكُمْ إِنَّهَا سَنَةٌ جَرَتْ. ثُمَّ تَلَا: «قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ» ^{١٢٩١}. فَقَامَ مِنْهُمْ فَقَالُوا: الْجَرَّاحُ فَاشٌ فِي النَّاسِ - وَ كَانَ الْخَوَارِجُ قَدْ أَكْثَرُوا الْجَرَّاحَ فِي أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَارْجِعْ بِنَا إِلَى الْكُوفَةِ فَأَقِمْ أَيَّامًا ثُمَّ أَخْرَجْ بِنَا. فَارْجِعْ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْكُوفَةِ مِنْ غَيْرِ رِضَا.

قلت: وَ رَوَاهُ (غَارَاتُ الثَّقَفِيَّةِ) ^{١٢٩٢} عَنْ مَعْلَى بْنِ السَّكَنِ فِي خَبَرَيْنِ وَ زَادَ الرِّوَايَةُ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا رَجَعَ إِلَى الْكُوفَةِ وَ أَقَامَ أَيَّامًا وَ تَفَرَّقَ عَنْهُ نَاسٌ كَثِيرٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَقَامَ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ، وَ مِنْهُمْ مَنْ أَقَامَ شَاكَا فِي أَمْرِهِ. وَ رَوَى عَنْ

^{١٢٨٧} (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١١٩.

^{١٢٨٨} (١) الغارات للثَّقَفِي ١: ٢٣ - ٢٥.

^{١٢٨٩} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩٣.

^{١٢٩٠} (٣) المائدة: ٢١.

^{١٢٩١} (٤) المائدة: ٢٢.

^{١٢٩٢} (٥) الغارات للثَّقَفِي ١: ٣٠ - ٣١.

أبى الوداك: أنه عليه السلام لما نزل النخيلة أخذ الناس يتسللون، فلا من دخل الكوفة خرج إليه، ولا من أقام معه صبر، فلما رأى ذلك دخل الكوفة.

قال: و روى نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن نمير بن وعلة عن أبى

ص: ٥١٩

وداك قال: لما كره القوم المسير إلى الشام بعد النهروان أقبل عليه السلام بهم فأنزلهم النخيلة وأمر الناس أن يلزموا معسكرهم، و يوطنوا على الجهاد أنفسهم، و أن يقللوا زيارة نسائهم و أبنائهم حتى يسير بهم إلى عدوهم - و كان ذلك هو رأى لو فعلوه - و أقبلوا يتسللون و يدخلون الكوفة فتركوه عليه السلام و ما معه من الناس إلّا رجلا من وجوهم قليل، و بقى المعسكر خاليا فلا من دخل الكوفة خرج إليه و لا من أقام معه صبر، فلما رأى ذلك دخل الكوفة فخطب الناس - و هى أول خطبة خطبها بعد قدومه من حرب الخوارج - فقال: أيّها الناس استعدوا لقتال عدو فى جهادهم القربة إلى الله عزّ و جلّ و درك الوسيلة عنده، قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه، موزعين بالجور و الظلم لا يعدلون به، جفاء عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون فى الطغيان، و يتسكعون فى غمرة الضلال، ف «أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ»^{١٢٩٣} و توكّلوا «عَلَى اللَّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا»^{١٢٩٤}. فلم ينفروا فتركهم أيّاما ثم خطبهم فقال: «ف لَكُمْ لَقَدْ سَمِعْتُمْ عتابكم»^{١٢٩٥} أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ»^{١٢٩٥} عوضا إلى آخر الفصل، و زاد: أنتم اسود الشرى فى الدّعة، و ثعالب رواغة حين البأس. إن أخا الحرب اليقظان، ألا إن المغلوب مقهور و مسلوب.

قال: و روى الأعمش عن الحكم بن عتيبة عن قيس بن أبى حازم قال:

سمعت عليّا عليه السلام على منبر الكوفة و هو يقول: يا أبناء المهاجرين، انفروا إلى أئمة الكفر و بقية الأحزاب و أولياء الشيطان، انفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا، فو الله الذى فلق الحبة و برأ النسمة إنه ليحمل خطاياهم إلى يوم

ص: ٥٢٠

القيامة و لا ينقص من أوزارهم شيئا.

و أوله على أن المراد بمن يقاتل على دم حمّال الخطايا: أهل الشام الذين يقاتلون على دم معاوية، لا معاوية الذى يقاتل على دم عثمان.

^{١٢٩٣} (١) الأنفال: ٦٠.
^{١٢٩٤} (٢) النساء: ٨١.
^{١٢٩٥} (٣) التوبة: ٣٨.

قلت: و هو كما ترى، ثم ما يفعل بقول عمّار يوم صفّين: اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبعون دم عثمان و يزعمون أنّه قتل مظلوما، و الله ان كان إلّا ظالما لنفسه حاكما بغير ما أنزل الله ... «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»^{١٢٩٦}.

و رواه الثقفى فى (غاراته)^{١٢٩٧} عن بكر بن عيسى عن الأعمش ... مثله.

و كيف كان، فروى الثقفى^{١٢٩٨} فى (غاراته) كما فى المجلس الثامن عشر من (أمالى المفيد)^{١٢٩٩} - عن محمد بن إسماعيل عن زيد بن المعدّل عن يحيى بن صالح عن الحرث بن حضير عن أبى صادق عن جندب بن عبد الله الأزدى قال: سمعت عليّا عليه السّلام يقول لأصحابه - و قد استنفرهم أيّاما إلى الجهاد فلم ينفروا أيّها الناس، إننى قد استنفرتكم فلم تنفروا، و نصحت لكم فلم تقبلوا، أنتم شهود كاغياب، و صم ذوو أسماع، أتلو عليكم الحكمة و أعظكم بالموعظة الحسنه و أحثكم على جهاد عدوكم الباغين، فما آتى على آخر منطقي حتى أراكم متفرقين أيّدى سبأ، فإذا أنا كففت عنكم عدتم إلى مجالسكم حلقا عزين، تضربون الأمثال و تتناشدون الأشعار و تسألون عن الأخبار، و قد نسيتم الاستعداد للحرب و شغلتم قلوبكم بالأباطيل، تربت أيديكم اغزوا القوم قبل أن يغزوكم، فو الله ما غزى قوم قط فى عقر ديارهم إلّا ذلوا، و ايم الله ما

ص: ٥٢١

أراكم تفعلون حتى يفعلوا، و لوددت أنّى لقيتهم على نيتى و بصيرتى فاسترحت من مقاساتكم، فما أنتم إلّا كإبل جمّة ضلّ راعيها، فكلّمّا ضمتّ من جانب انتشرت من جانب آخر، و الله لكأنّى بكم لو حمى الوغى و حم البأس قد انفرجتم عن على بن أبى طالب (انفراج الرأس و ظ) انفراج المرأة عن قبلها.

فقام إليه الأشعث بن قيس الكندى فقال له: فهلّا فعلت كما فعل ابن عفان؟ فقال عليه السّلام له: يا عرف النار ويلك! إنّ فعل ابن عفان لمخزاة على من لا دين له و لا حجة معه، فكيف و أنا على بينة من ربى و الحق فى يدي؟! و الله إنّ امرأ يمكّن عدوه من نفسه يجدد لحمه و يهشم عظمه و يفرى جلده و يسفك دمه، لضعيف ما ضمتّ عليه جوارح صدره. أنت فكن كذلك إن أحببت، أمّا أنا فدون أن اعطى ذلك ضربا بالمشرفى، و تطيح منه الأكفّ و المعاصم، و يفعل الله بعد ما يشاء.

فقام أبو أيوب الأنصارى - صاحب منزل النبىّ صلى الله عليه و آله - فقال: أيّها الناس، إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قد أسمع من كانت له اذن واعية و قلب حفيظ، إنّ الله قد أكرمكم بكرامة لم تقبلوها حقّ قبولها: إنّه نزل بين أظهركم ابن عمّ نبيكم و سيّد المسلمين من بعده، يفقّهم فى الدين و يدعوكم إلى جهاد الملحدين، فكأنكم صمّ لا تسمعون، أو على قلوبكم غلف مطبوع عليها فأنتم لا تعقلون، أفلا تستحيون؟ عباد الله، أليس إنّما عهدكم بالجور و العدوان أمس قد شمل البلاء و شاع فى البلاد، فذو حق محروم و ملطوم وجهه، و موطوء بطنه و ملقى بالعراء يسفى عليه الأعاصير، لا يكتنه من الحرّ و القرّ و صهر

^{١٢٩٦} (١) الحج: ٤٦.

^{١٢٩٧} (٢) الغارات للثقفى ١: ٤٠.

^{١٢٩٨} (٣) الغارات للثقفى ٢: ٤٩٣ - ٤٩٤.

^{١٢٩٩} (٤) الأمالى للمفيد: ١٤٥ - ١٤٦، المجلس ١٨.

الشمس و الضح إلاً الأثواب الهامدة و بيوت الشعر البالية، حتّى جاءكم الله بأمر المؤمنين عليه السّلام فصدع بالحقّ و نشر العدل و عمل بما فى الكتاب، يا قوم فاشكروا نعمة الله عليكم و لا تولوا مدبرين «و لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ هُمْ لَا»

ص: ٥٢٢

«يَسْمَعُونَ»^{١٣٠٠} اشحذوا السيوف و استعدوا لجهاد عدوكم، و إذا دعيتم فأجيبوا و إذا أمرتم فاسمعوا و اطيعوا

و فى (الطبرى)^{١٣٠١}: قال أبو مخنف عمّن ذكره عن زيد بن وهب: إنّ عليّاً عليه السّلام قال للناس - و هو أوّل كلام قاله لهم بعد النهر:-

أيّها الناس، استعدوا للمسير إلى عدوّ فى جهاده القربة إلى الله و درك الوسيلة عنده، حيارى فى الحق، جفأة عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون فى الطغيان و يتسكعون فى غمرة الضلال، ف «أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ»^{١٣٠٢} و توكّلوا على الله «وَ كَفَى بِاللّهِ وَلِيًّا وَ كَفَى بِاللّهِ نَصِيرًا»^{١٣٠٣}. فلا هم نفروا و لا تيسروا، فتركهم أيّاما حتّى إذا أيس من أن يفعلوا، دعا رؤساءهم فسألهم عن رأيهم و ما الذى ينظرونهم، فمنهم المعتل و منهم المكره و أقلّهم من نشط، فقام فيهم خطيبا فقال: عباد الله ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا «ثَأَقَلْتُمُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ»^{١٣٠٤}، و بالذلّ و الهوان من العزّ؟ أو كلّما ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت فى سكرة، و كأنّ قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون، و كأنّ أبصاركم أكمه فأنتم لا تبصرون؟ لله أنتم! ما أنتم إلّا اسود الشرى فى الدّعة و ثعالب روَاعة حين تدعون إلى الناس، ما أنتم لى بثقة سجيى الليالى، ما أنتم يركب يصال بكم و لا ذى عز يعتصم اليه، لعمر الله لبئس حشاش الحرب أنتم! إنكم تكادون و لا تكيدون، ينتقض أطرافكم و لا تتحاشون، و لا ينام عنكم و أنتم فى

ص: ٥٢٣

غفلة ساهون. إنّ أخا الحرب اليقظان ذو عقل، و ثاب لذلّ من وادع، و غلب المتجادلون، و المغلوب مقهور و مسلوب.

ثمّ قال عليه السّلام: أما بعد، فإنّ لى عليكم حقّا و إنّ لكم علىّ حقّا، فأما حقّكم علىّ فالنصيحة لكم ما صحبتكم، و توفير فيثكم، و تعليمكم كيما لا تجهلون، و تأديبكم كى تعلموا، و أمّا حقّى عليكم فالوفاء بالبيعة، و النصح لى فى الغيب و المشهد، و الإجابة حين أدعوكم. و الطاعة حين آمركم، فإن يرد الله بكم خيرا و تردعوا عمّا أكره و تراجعوا إلى ما احبّ، تنالوا ما تطلبون و تدرّكوا ما تأملون.

^{١٣٠٠} (١) الأنفال: ٢١.

^{١٣٠١} (٢) تاريخ الطبرى ٥: ٩٠.

^{١٣٠٢} (٣) الأنفال: ٦٠.

^{١٣٠٣} (٤) النساء: ٤٥.

^{١٣٠٤} (٥) التوبة: ٣٨.

و رواه مثله (غارات الثقفي)^{١٣٠٥} بأسناده عن زيد بن وهب.

و رواه ابن قتيبة^{١٣٠٦} مع زيادات: - إلى أن قال - ويحكم! ما أنتم إلّا كإبل جامحة ضلّ عنها رعاؤها، فكلّما ضمت من جانب انتشرت من جانب، والله لكأنّي أنظر إليكم - وقد حمى الوطيس - لقد انفرجتم على انفراج الرأس، و انفراج المرأة عن قبلها. فقام إليه الأشعث فقال: فهلاً فعلت كما فعل عثمان؟

فقال عليه السلام له: ويلك: و كما فعل عثمان رأيته فعلت؟ عائذا بالله من شر ما تقول، و الله إنّ الذي فعل عثمان لمخزاء على من لا دين له و لا حجة معه، فكيف و أنا على بينة من ربي و الحق معي؟ و الله إنّ امرأ مكنّ عدوه من نفسه فنهش عظمه و سفك دمه، لعظيم عجزه و ضعيف قلبه. أنت يا بن قيس فكن ذلك، فأما أنا فو الله دون أن اعطى ذلك ضرباً بالمشرقي يطير له فراش الرأس، و تطيح منه الأكفّ و المعاصم و تجذبه الغلاصم، و يفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

«**افّ لكم**» في (الجمهرة): يقال: أتانا على افّ ذلك. أي: أبانه. و افّ لك: إذا

ص: ٥٢٤

تضجرت منه، و قال أبو زيد في قولهم: اف و تف: (اف) الأظفار، و (تف) و سخها. و في (الصاح): افا له. أي: قدرا، و التنوين للتنكير.

«**لقد سئمت**» أي: مللت.

«**عتابكم**» أي: لومكم، و إنّما سئم عليه السلام من عتابهم لأنّه كان يعاتبهم مرّة بعد مرّة على الشخوص إلى العدو - بعد الفراغ من الخوارج، و في النخيلة و في الكوفة - فيتقاعدون.

« **أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عَوْضًا** » قال تعالى: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ**»^{١٣٠٧}.

«**و بالذل من العز خلفا**» و كان أهل العراق أعزاء قبل رجوعهم من صفين، و صاروا أذلاء بعده بتركهم القتال مع أهل الشام.

«**إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة**» الأصل فيه قوله تعالى: «**فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ**»^{١٣٠٨}.

«**و من الدهول**» أي: الغفلة.

^{١٣٠٥} (١) الغارات للثقفي ١: ٣٣-٣٨.

^{١٣٠٦} (٢) خلطاء ابن قتيبة: ١٥٠-١٥١.

^{١٣٠٧} (١) التوبة الأحزاب: ٣٨.

^{١٣٠٨} (٢): ١٩.

«فى سكره» فلا تعقلون ما يقال لكم.

«برتج» من: ارتجت الباب: إذا أغلقته.

«عليكم حوارى» بالكسر من المحاوره، أى: خطابى.

«فتعمهون» أى: تتحيرون.

ص: ٥٢٥

«فكأن» و فى (ابن ميثم)^{١٣٠٩}: «و كأن».

«قلوبكم مألوسه» فى (الجمهره): الألس و الآلاس: ذهاب العقل، رجل مألوس: إذا كان كذلك.

«فأنتم لا تعقلون» فمن اخذ قلبه و ذهب عقله، كيف يعقل؟

«ما أنتم لى بثقه سجيى الليالى» كناية عن الأبد، قال الشاعر:

هناك لا أرجو حياة تسرنى
سجيى الليالى مبسلا بالجرائر

و مثله سجيى الدهر، قال:

ولو لا ظلمه ما زلت أبكى
سجيى الدهر ما طلع النجوم

قال ابن دريد يقال: لا آتيك سجيى الليالى، كما يقال: طوال الليالى، و طوال الدهر.

«و ما أنتم بركن يمال بكم» قالوا فى قوله تعالى: «أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ»^{١٣١٠} أى عزّ و منعه. و ركن الشىء جانبه الأقوى.

«و لا زوافر» أى: أسباب.

^{١٣٠٩} (١) شرح ابن ميثم ٢: ٧٦.
^{١٣١٠} (٢) هود: ٨٠.

«عزّ يفتقر إليكم» لما كان الحجاج يقاتل شبيب الخارجي، و أمده عبد الملك بسفيان بن الأبرد الكلبي قام الحجاج على المنبر وقال، يا أهل الكوفة، لا أعزّ الله من أراد بكم العزّ، و لا نصر من أراد بكم النّصر، أخرجوا عنّا و لا تشهدوا معنا قتال عدوّنا، الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود و النصارى.

و قال أعشى همدان فى انهزام أهل العراق مع ابن الأشعث:

و ينزل ذلّا بالعراق و أهله كما
فكيف رأيت الله فرق جمعهم
نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
و مزّقهم عرض البلاد و شرّدا

ص: ٥٢٦

بما نكنّوا من بيعة بعد بيعة
و ما أحدثوا من بدعة و عظيمة
إذا ضمنوها اليوم خاسوا بها غدا
من القول لم تصعد إلى الله مصعدا

«ما أنتم إلّا كابل ضلّ رعاتها» الرعاة: جمع الراعى.

«فكلّما جمعت من جانب انتشرت من آخر» و قد عرفت أنّ فى رواية الثقفى:

«فما أنتم إلّا كابل جمّة ضلّ راعيها...» و فى رواية القتيبي: «ما أنتم إلّا كابل جامحة ضلّ عنها رعاؤها، فكلّما ضمت من جانب انتشرت من جانب».

«لبئس لعمر الله سحر» بالضم و التشديد، جمع ساعر من: سعت النار:

إذا أوقدتها، قارئ «وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ»^{١٣١١} بالتشديد و التخفيف.

و سمّى شاعر أسعر بقوله:

^{١٣١١} (١) التكويد: ١٢.

فلا يدعنى الأقسام من آل مالك

إذا أنا لم أسعر عليهم واثقب

«نار الحرب أنتم! تكادون و لا تكيدون و تنقص» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (و تنتقص) كما فى (ابن أبى الحديد^{١٣١٢} و ابن ميثم^{١٣١٣} و الخطبة).

«أطرافكم فلا تمتعضون» أى: لا يشق عليكم فتغضبون.

«لا ينام عنكم و أنتم فى غفلة ساهون» أى: مساهلون.

«غلب» بالضم، أى: يصير مغلوبا.

«و الله المتخاذلون. و ايم الله» بمعنى يمين الله.

«إنى لأظن أن لو حمس» أى: اشتد.

«الوغى» أى: الحرب.

«و استحر» مثل حر، بمعنى اشتد.

ص: ٥٢٧

«الموت» و المراد القتل.

«قد انفرجت» أى: انفصلتم.

«عن ابن أبى طالب انفراج الرأس» قال الشاعر:

تفرقت القبائل عن رباح

تفرق بيضة عن ذى جناح

^{١٣١٢} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٨٩.
^{١٣١٣} (٣) شرح ابن ميثم ٢: ٧٦.

قال ابن أبي الحديد^{١٣١٤}: معنى انفراج الرأس: أى كما ينفلق الرأس، فيذهب نصفه يمنة و نصفه شامة. و قال الراوندى: معناه انفراج من أدنى رأسه إلى غيره ثم حرف رأسه عنه. و قال ابن ميثم: انفراج الرأس مثل، قيل: أول من تكلم به أكثم بن صيفى فى وصيته لبنيه: لا تنفرجوا عند الشدائد انفراج الرأس، فإنكم بعد ذلك لا تجتمعون على عز. قال ابن دريد: معناه أن الرأس إذا انفرج عن البدن لا يعود إليه. و قال المفضل: الرأس اسم رجل ينسب إليه قرية من قرى الشام يقال لها: بيت الرأس يباع فيه الخمر. قال حسان:

كأن سبيته من بيت رأس

يكون مزاجها غسل و ماء

و هذا الرجل قد انفرج عن قومه و لم يعد، فضرِب به المثل. و قيل: معناه أن الرأس إذا انفرج بعض عظامه كان بعيد الالتيام. و قيل: معناه انفراج المرأة عن رأس ولدها حالة الوضع، كما فى قوله عليه السلام فى موضع آخر: «انفراج المرأة عن قبلها». قلت: الأصح قول ابن دريد، و أمّا ما عن المفضل فيختلف تعريفا و تنكيها، و أمّا الأخير فيردّه أن الثقفى و القتيبي جمعا بينهما فى روايتهما.

«و الله إن امرأ يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه» أى: يأكل جميع لحمه من عظمه. و سمى شاعر طائى عارقا بقوله:

إن لم يغير بعض ما قد صنعتم

لأنتحين للعظم ذو انا عارقه

ص: ٥٢٨

«و يهشم عظمه» أى: يدقه، من: هشم الثريد، و منه سمى هاشم، و اسمه عمرو، قال الشاعر:

عمرو الذى هشم الثريد لقومه

و رجال مكة مستنون قحاف

«و يفرى جلده» من: أفريت الأديم: قطعته على جهة الإفساد، و أمّا فريته فقطعه على الإصلاح.

«لعظيم عجزه ضعيف ما ضمت عليه جوانح» جمع جانحة: الاضلاع المحيطة بالصدر.

^{١٣١٤} (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩١.

«صدره» أى: ضعيف قلبه، فى (عيون القتيبي)^{١٣١٥}: قال الحرسى: استثرنا من مزرعة فى بلاد الشام رجلين يذريان حنطة، أحدهما أصيفر أحيمس و الآخر مثل الجمل عظما، فقاتلنا الأصيفر بالمذرى لا تدنو منه دابة إلّا نخس أنفها و ضربها حتى شق علينا، فقتل و لم نصل إلى الآخر حتى مات فرقا، فأمرت بهما فوقرت بطونهما، فإذا فؤاد الضخم يابس مثل الحشفة، و فؤاد الاصيفر مثل فؤاد الجمل يتخضخض فى مثل كوز من ماء.

و اخرج شبيب الخارجى من الماء - بعد غرقه - فشق بطنه و اخرج فؤاده، فاذا هو مثل الكوز، فجعلوا يضربون به الأرض فينزو.

«و أنت فكن ذاك إن شئت» قد عرفت من رواية التقفى و رواية القتيبي أنّ المخاطب له عليه السلام بهذا الكلام: الأشعث بن قيس لما قام إليه فى خطبته تلك و قال له: هلمّا فعلت كما فعل عثمان؟ فزجره عليه السلام و قال له: إنّ الذى فعل لمخزاة على من لا دين له و لا حجة معه، فكيف و أنا على بينة من ربّى و الحق معى؟ و الله ان امرأ مكنّ عدوّه ... و فى رواية الثانى: «أنت يابن قيس فكن ذلك».

ص: ٥٢٩

قال أبو عبيدة: سألت بعض بنى كليب: ما أشد ما هجيتم به؟ قال قول البعيث:

أقرّ كما قرار الحليّة للبعل	أ لست كليبيا إذا سيم خطّة
أذلّ لأقدام الرّجال من النعل	و كلّ كليبىّ صحيفه وجهه

«فأما أنا فوالله دون أن اعطى ذلك ضرب بالمشرفيّة» أى: سيوف منسوبة مشارف قرية بها تعمل السيوف.

«تطير منه فراش» أى: عظام دقاق.

«الهام» أى: الرأس، فى (القاموس): لقب ناجية الجرّمى: معود الفتيان لأنّه ضرب مصدق نجدة الخارجى فخرق بناجية، فضربه بالسيف و قتله و قال:

كفعلى إذا ما جار فى الحكم تابع	اعودها الفتيان بعدى ليفعلوا
--------------------------------	-----------------------------

«و تطيح» أى: تهلك و تسقط.

^{١٣١٥} (١) العيون للقتيبي ١: ١٧٢.

«السواعد» سواعد اليد.

«و الأقدام» أخذ كلامه عليه السلام ثابت قطنه فكتب إلى يزيد بن المهلب يحرضه على القتال:

و الحيّ من يمن و هاب كؤدا	إنّ امرأ حذبت ربيعة حوله
إن لم يلف إلى الجنود جنودا	لضعيف ما ضمنت جوانح صدره
كأبيك لا رعشا و لا رعديدا	أ يزيد كن في الحرب إذ هيبتها
فرأيت همك في الهموم بعيدا	شاورت أكرم من تناول ماجدا
فيكون زندك في الصلود زنودا	ما كان في أبويك قادح هجنة
رأس المتوج إذ أراد صدودا	إنّا ضاربون في حمس الوغى
في كلّ معركة فوارس صيدا	و ترى إذا كثر العجاج ترى لنا

ص: ٥٣٠

كانوا ليومك بالعراق شهودا	يا ليت اسرتك الذين تغيبوا
و المشرفية يلتظين وقودا	و ترى مواطنهم إذا اختلف القنا

فلما قر يزيد كتابه قال: إنّ ثابتا لغافل عمّا نحن فيه، لاطيعنه و سيري ما يكون^{١٣١٦}.

في (صفين نصر)^{١٣١٧}: ذكر معاوية يوما صفين بعد عام الجماعة- إلى أن قال- فقال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد: أمّا و الله لقد رأيت يوما من الأيام و قد غشينّا ثعبان مثل الطود الأرعن قد أثار قسطلا حال بيننا و بين الأفق، و هو على أدهم سائل

^{١٣١٦} (١) الأغاني ١٤: ٢٧٧-٢٧٨.
^{١٣١٧} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٨٧.

يضرهم بسيفه ضرب غرائب الإبل، كاشرا عن أنيابه كشر الحذر الحرب. فقال معاوية: و الله إنه كان يجالذ و يقاتل عن ترة له و عليه، أراه يعني عليا.

و ممن لم يمكن عدوه من نفسه المختار، ففي (الطبري)^{١٣١٨}: أن المختار لما حوضر خرج في تسعة عشر رجلا فقال لهم: أ تؤمنوني و أخرج إليكم؟

فقالوا: لا إلا على الحكم. فقال: لا احكمكم في نفسي أبدا. فضارب بسيفه حتى قتل، و قد كان قال لأصحابه - حين أبوا أن يتابعوه على الخروج معه -: إذا أنا خرجت إليهم فقتلت لم تزدادوا إلا ضعفا و ذلا فإن نزلتم على حكمهم و ثب أعداؤكم الذين قد وترتموهم، فقال كل رجل منهم لبعضكم: هذا عنده ثأري.

فيقتل و بعضهم ينظر إلى مصارع بعض فتقولون: يا ليتنا أطعنا المختار و عملنا برأيه، و لو أنكم خرجتم كنتم إن أخطأتم الظفر متهم كراما، و إن هرب منكم هارب فدخل في عشيرته يكن أذل من على ظهر الأرض - فكان كما قال -

ص: ٥٣١

و لما كان الغد من قتل المختار قال بجير المسلي من أصحابه لباقيهم: يا قوم قد كان صاحبكم بالأمس أشار عليكم بالرأى فما أطعتموه، يا قوم إنكم إن نزلتم على حكم القوم ذبحتم كما تذبح الغنم، أخرجوا بأسيا فكم حتى تموتوا كراما. فقالوا: لقد أمرنا بهذا من كان أطوع عندنا فعصيناه. فأمكنوا من أنفسهم و نزلوا إلى الحكم، فبعث مصعب إليهم عباد الحبلى فكان هو يخرجهم مكثفين - إلى أن قال - فقال بجير لمصعب: إن حاجتى إليك ألا تقتل مع هؤلاء، إنى أمرتهم أن يخرجوا مع أسيا فكم فيقاتلوا حتى يموتوا كراما فعصوني. فقدم فقتل، و قال مسافر بن سعيد بن نمران لمصعب لما أبى إلا قتلهم: قبح الله قوما أمرتهم أن يخرجوا ليلا على حرس سكة من هذه السكك، فنطردهم ثم نلحق بعشائرنا فعصوني حتى حملوني على أن أعطيت التى هى أنقص و أدنى، و أبوا إلا أن يموتوا ميتة العبيد، فأنا أسألك ألا تخلط دمي بدمائهم. فقدم فقتل ناحية.

و فيه: لما حمل عبد الجبار الأزدي إلى المنصور بعد خروجه عليه قال له: قتله كريمة قد تركتها وراءك يابن اللخناء.

و فيه^{١٣١٩}: إن معديكرب بن ذى يزن لما استجار بكسرى لينصره حتى يخرج الحبشة من بلاده، أمر بمن كان فى سجنه فاحصوا فبلغوا ثمانمائة، فقتل عليهم قائدا من أساورته يقال له: و هرز، كان كسرى يعدله بألف أسوار، و أمر بحملهم فى ثمانى سفائن فى كل سفينة مائة، فغرقت سفينتان و سلمت ست فخرجوا ساحل حضر موت، و سار إليهم مسروق بن أبرهة فى مائة ألف من الحبشة و حمير و الأعراب، و نزل و هرز على سيف البحر و جعل البحر وراء ظهره، فلما نظر مسروق الحبشى إلى قتلهم طمع فيهم فأرسل إلى و هرز:

ص: ٥٣٢

^{١٣١٨} (٣) تاريخ الطبري ٦: ١٠٧.
^{١٣١٩} (١) تاريخ الطبري: ١٤٠.

ما جاء بك و ليس معك إلّا من أرى و معى من ترى؟ لقد غررت بنفسك و أصحابك فإن أحببت أذنت لك فرجعت، و إن أحببت ناجزتكَ السّاعة، و إن أحببت أجّلتك حتى تنتظر أمرك. فرأى و هرز أنّه لا طاقة له بهم فقال: بل تضرب بينى و بينك أجلا- إلى أن قال- فلمّا انقضى الأجل إلّا يوما أمر بالسّفن التى كانوا فيها فاحرقت بالنار، و أمر بما كان معهم من فضل كسوة فاحرق، و لم يدع منه إلّا ما كان على أجسادهم، ثم دعا بكل زاد معهم فقال لأصحابه. كلوا هذا الزاد. فأكلوا فلمّا انتهوا أمر بفضلهم فلقى فى البحر، ثم قام فيهم خطيبا فقال: أمّا أن أحرقتم سفنكم فأردت أنّه لا سبيل لكم إلى بلادكم أبدا، و أمّا أن أحرقت من ثيابكم فإنّه كان يغيظنى إن ظفروا بكم أن يصير ذلك إليهم، و أمّا ما ألقيت من زادكم فى البحر فإنّى كرهت أن يطعم أحد منكم أن يكون معه زاد يعيش به يوما واحدا، فإن كنتم تقاتلون معى و تصبرون أعلمتمونى ذلك، و إن كنتم لا تفعلون اعتمدت على سيفى هذا حتى يخرج من ظهرى، فإنّى لم أكن امكّنهم من نفسى أبدا. فقالوا: بل نقاتل معك حتى نموت عن آخرنا أو نظفر.

فلمّا كان صبح اليوم الذى انقضى فيه الأجل عبّا أصحابه و جعل البحر خلفه، و أقبل عليهم يحضّهم على الصبر و يعلمهم أنّهم معه بين خلتين: إما ظفروا بعدوهم و إمّا ماتوا كراما، و أمرهم أن تكون قسيهم موترّة و قال: إذا أمرتكم أن ترموا فارموهم رشقا بالبنجكان.- و لم يكن أهل اليمن رأوا النشاب قبل ذلك- و أقبل مسروق فى جمع لا يرى طرفاه على فيل، و على رأسه تاج بين عينيه ياقوتة حمراء مثل البيضة لا يرى أنّ دون الظفر شيئا، و كان و هرز قد كلّ بصره، فقال: أرونى عظيمهم. فقالوا: هو صاحب الفيل. ثم لم يلبث مسروق أن نزل فركب فرسا، فقالوا: قد ركب فرسا. فقال: ارفعوا لى حاجبى.

و كانا قد سقطا على عينيه من الكبر، فرفعوهما بعصابة ثم أخرج نشابه

ص: ٥٣٣

فوضعها فى كبد قوسه و قال: أشيروا لى إلى مسروق. فأشاروا حتى أثبتته ثم قال: ارموا فرموا. و نزع فى قوسه حتى إذا ملأها سرّح النشابة فأقبلت كأنها رشا حتى صكت جبهته فسقط عن دابته، و قتل فى ذلك الرشق منهم جماعة كثيرة، و انقضّ صفهم لمّا رأوا صاحبهم صريعا فلم يكن دون الهزيمة شيء، و غنم من عسكرهم ما لا يحصى، و جعل الأسوار يأخذ من الحبشة و من حمير و الأعراب الخمسين و الستين فيسوقهم مكثّفين.

«و يفعل الله بعد ذلك ما يشاء»:

على قضاء الله ما كان جالبا

سأغسل عنى العار بالسيف جالبا

لعرضى من باقى المذمة حاجبا

و أذهل عن دارى و أجعل هدمها

يمينى بإدراك الذى كنت طالبا

و يصغر فى عينى تلادى إذا انتشت

و لابن المفرغ:

لا ذعرت السوام فى فلق الصبح

مغيرا و لا دعيت يزيدا

يوم اعطى من المهانة ضيما

و المنايا يرصدنى أن أحيدا

و للعدوانى:

إنى أبى أبى ذو محافظة

و ابن أبى أبى من أبيين

و أنتم معشر زيد ما على مائه

فأجمعوا كيدكم طرا فكيذونى

هذا و مدح جريد الحجاج بقصيدة- إلى أن قال:-

قل للجبان إذا تأخر سرجه

هل أنت من شرك المنية ناج

فقال له الحجاج: يابن اللخناء جرأت على الناس. فقال: ما ألقيت لها بالا إلّا وقتى هذا.

هذا، و قد قيل فى التشجيع نظما و نثرا عربيا و فارسيا و أكثروا، و أحسن ما قيل فى ذلك أبيات الفردوسى المعروف بالفارسيه التى منها:

ص: ٥٣٤

اگر جز بكام من آيد جواب

من و گرز و میدان و افراسياب

و لما سمعه السلطان محمود الغزنوى قال: لمن هذا البيت الذى يقطر منه ماء الشجاعة؟ إلّا إنه - لعمري - أين ذاك البيت من كلامه عليه السّلام: «و ان امرؤ يمكّن عدوّه - إلى - و يفعل الله بعد ذلك ما يشاء»؟

«أيّها النّاس ان لى عليكم حقّا و لكم على حقّ، فأما حقّكم علىّ فالنصيحة لكم، و توفير» أى: استيفاء.

«فيثكم» أى: غنائمكم.

«عليكم، و أمّا حقّى عليكم فالوفاء بالبيعة و النصيحة فى المشهد و المغيب» و كان عليه السّلام يؤدّى حقّهم إليهم أكثر ممّا لهم، و كانوا يقصّرون فى أداء حقّه.

و فى (الطبرى) ١٣٢٠: وجّه معاوية فى سنة (٣٩) عبد الله بن مسعدة الفزارى فى ألف و سبعمائة رجل إلى تيماء، و أمره أن يتصدّق من مرّ به من أهل البوادي، و أن يقتل من امتنع من الإعطاء، ثم يأتى مكة و المدينة و الحجاز يفعل ذلك و اجتمع إليه بشر كثير من قومه، فلمّا بلغ ذلك عليّا عليه السّلام وجّه المسيّب بن نجبة الفزارى فصار حتى لحقه بتيماء، فاقتتلوا ذلك اليوم حتى زالت الشمس، و حمل المسيّب على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات كلّ ذلك لا يلتمس قتله، و يقول له: النجاء النجاء. فدخل ابن مسعدة و عامّة من معه الحصن و هرب الباقيون نحو الشام، و انتهب الأعراب إبل الصدقة التى كانت مع ابن مسعدة، و حصره المسيّب ثلاثة أيام ثم ألقى الحطب على الباب و ألقى النيران فيه حتى احترق فلمّا أحسّوا بالهلاك اشرفوا على المسيّب فقالوا: يا مسيب قومك قومك. فكره هلاكهم فأمر بالنار فاطفتت، و قال لأصحابه: قد جاءتنى عيون فأخبرونى أن جندا قد أقبل إليكم من الشام، فانضموا فى مكان واحد: فخرج

ص: ٥٣٥

ابن مسعدة فى أصحابه ليلا حتى لحقوا بالشام، فقال له عبد الرحمن بن شبيب: سر بنا فى طلبهم فأبى المسيّب، فقال له: غششت أمير المؤمنين و داهنت.

٥

الخطبة (٢٩) و من خطبة له عليه السّلام:

أيّها النّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أْبْدَانُهُمْ - الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ - كَلَامُهُمْ يُوهِي الصُّمَّ الصَّلَابَ - وَ فِعْلُهُمْ يُطْمَعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءَ - تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْتَ وَ كَيْتَ - فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ حِيَادٍ - مَا عَزَتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ - وَ لَا اسْتَرَاخَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ - أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلِ دِفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ - لَا يَمْنَعُ الضَّيْمُ الدَّلِيلُ - وَ لَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ - أَيْ دَارَ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ - وَ مَعَ أَيْ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ - الْمَعْرُورَ وَ اللَّهَ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ - وَ مَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَ اللَّهُ بِالسَّهْمِ الْأَخِيبِ - وَ مَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ - أَصْبَحْتُ وَ اللَّهُ لَا أَصَدِّقُ قَوْلَكُمْ - وَ لَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ - وَ لَا أُوْعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ - مَا بِالْكُفِّ مَا دَوَاؤُكُمْ مَا طِبِّكُمْ - الْقَوْمُ

رَجَالٌ أَمْنَالُكُمْ - أَقُولُا بِغَيْرِ عِلْمٍ - وَ غَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ - وَ طَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ٢ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ - شرح نهج البلاغة - ج ٢ ص ١١٧^{١٣٢١}: روى محمد بن يعقوب الكليني ١ محمد بن يعقوب الكليني - كتاب الكليني -: أن أمير المؤمنين عليه السلام استصرخ الناس عقيب غارة الضحّاك على أطراف أعماله، فتقاعدوا عنه فخطبهم فقال: «ما عزّت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم...».

ص: ٥٣٦

قلت: و في (بيان الجاحظ - البيان و التبیین - ج ٢ ص ٥٤ الجاحظ)^{١٣٢٢} - بعد ذكر خطبته عليه السلام في غارة سفيان الغامدي على الأنبار -: و له عليه السلام خطبة أخرى بهذا الاسناد شبيهة بهذا المعنى، قام فيهم خطيباً فقال: «أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصمّ الصلاب، و فعلكم يطمع فيكم عدوكم، تقولون في المجالس: كيت و كيت فإذا جاء القتال قلتهم: حيدى حيا. ما عزّت دعوة من دعاكم، و لا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل، و سألتهموني التأخير، دفاع ذى الدين المطول، هيهات لا يمنع الضيم الذليل، و لا يدرك الحق إلّا بالجد.

أىّ دار بعد داركم تمنعون؟ أم مع أىّ إمام بعدى تقاتلون؟ المغرور من غررتموه، و من فاز بكم بالسهم الأخبى، أصبحت و الله لا اصدق قولكم، و لا أطمع فى نصرتكم، فرقّ الله بينى و بينكم و أعقبني بكم من هو خير لى منكم، و لوددت أن لى بكلّ عشرة منكم رجلاً من بنى فراس من غنم، صرف الدينار بالدرهم».

و رواه ابن عبد ربه فى (عقده ابن عبد ربه - العقد الفريد -) مثل (بيان الجاظ) إلّا أن فيه: «أعاليل بأباطيل» و فيه: «دفاع ذى الدين المطول لا يدفع الضيم».

و فى (مطالب سؤول ابن طلحة الشافعى - مطالب السؤول - ابن طلحة الشافعى): و من ذمّه عليه السلام فى أهل الكوفة: «أيها الفئة المجتمعة أبدانهم، المتفرقة أديانهم، إنّه و الله ما عزّت دعوة من دعاكم، و لا استراح قلب من قاساكم، كلامكم يوهن الصمّ الصلاب، و فعلكم يطمع فيكم عدوكم المرتاب، إذا دعوتكم إلى أمر فيه صلاحكم و الذبّ عن حريمكم اعتراكم الفشل و جئتم بالعلل، ثم قلتهم: كيت و كيت، و زيت و زيت.

أعاليل و أضاليل فى أقوال الأباطيل، ثم سألتهموني دفاع ذى الدين المطول، هيهات هيهات، إنّه لا يدفع الضيم الذلّ، و لا يدرك الحق إلّا بالجد، فخبرونى يا

ص: ٥٣٧

أهل العراق مع أىّ إمام بعدى تقاتلون؟ أم أيّة دار تمنعون؟ الذليل و الله من نصرتموه، و المغرور من غررتموه. أصبحت لا أطمع فى نصركم و لا أصدق قولكم، فرقّ الله بينى و بينكم، و أبدلكم بى غيرى، و أبدلنى بكم من هو خير لى منكم، أما ستلقون

^{١٣٢١} (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١١٧.

^{١٣٢٢} (١) بيان الجاحظ ٢: ٥٤.

بعدي ذلًا شاملا، و سيوفا قاطعة، و اثره قبيحة يتخذها الظالمون عليكم سنّة، فتبكي عيونكم و يدخل الفقر بيوتكم و قلوبكم، و تمنون في بعض حالاتهم أنّكم رأيتموني فنصرتهموني و أرقتم دماءكم دوني، و لا يبعد الله إلّا من ظلم، يا أهل الكوفة أعظمكم فلا تتعظون، و اوقظكم فلا تستيقظون! إنّ من فاز بكم فقد فاز بالخبيّة، و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناضل».

و رواه ابن قتيبة في (خلفائه ابن قتيبة - الخلفاء - ص ١٥٠) ١٢٢٣ جزء الخطبة السابقة في النخيلة بعد الفراغ من الخوارج و أمرهم بالخروج إلى معاوية، فقال: قال عليه السّلام: «استعدوا للمسير إلى عدوّ جهاده القريّة - إلى أن قال - أيّها النّاس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، ما عزّت دعوة من دعاكم، و لا استراح قلب من قاساكم، كلامكم يوهي الصمّ، و فعلكم يطمع فيكم عدوكم، إذا أمرتكم بالمسير قلتم:

كيت و كيت، أعاليل بأضاليل، هيهات لا يدرك الحق إلّا بالجد و الصبر، أيّ دار بعد داركم تمنعون؟ و مع أيّ إمام بعدي تقاتلون؟ المغرور و الله من غررتموه و من فاز بكم فاز بالسهم الأخيب، أصبحت لا أطمع في نصرتكم، و لا اصدق قولكم، فرق الله بيني و بينكم، و أعقبنى بكم من خير لي، و أعقبكم بعدي من شرّ لكم مني، أما إنّكم ستلقون بعدي ذلًا شاملا، و سيفا قاتلا واثرة يتخذها الظالمون بعدي عليكم سنّة، تفرّق جماعتكم و تبكي عيونكم و تدخل الفقر بيوتكم ...».

ص: ٥٣٨

و نقله (أنساب البلاذري - أنساب الأشراف - البلاذري) و رواه باسناده عن أبي مخنف عن الحرث بن حصيرة عن أبي صادق عن جندب الأزدي: أنّ عليّا عليه السّلام خطبهم حين استنفرهم إلى الشّام بعد النهروان فلم ينفروا، فقال: «أيّها النّاس المجتمعة أبدانهم ...».

و رواه (الاحتجاج - الاحتجاج - ص ١٧٤) ١٢٢٤ جزء خطبته عليه السّلام في لومهم في تناقلهم عن قتال معاوية ففيه: «أما و الله أيّها الشاهدة أبدانهم، و الغائبه عنهم عقولهم، و المختلفة أهواؤهم، ما أعزّ الله نصر من دعاكم، و لا استراح قلب من قاساكم، و لا قرّت عين من آواكم، كلامكم يوهي الصمّ الصلاب، و فعلكم يطمع فيكم عدوكم المرتاب، و يحكم أيّ دار بعد داركم تمنعون؟ و مع أيّ إمام بعدي تقاتلون؟ المغرور و الله من غررتموه، و من فاز بكم فاز بالسهم الأخيب، أصبحت لا أطمع في نصرتكم، و لا اصدق قولكم، فرق الله بيني و بينكم ...».

و رواه المفيد في (إرشاده الشيخ المفيد - الإرشاد - ص ١٤٦) ١٢٢٥ فقال: و من كلامه عليه السّلام في استبطاء من قعد عن نصرته: «أيّها النّاس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصمّ الصلاب، و فعلكم يطمع فيكم عدوكم المرتاب، تقولون في المجالس: كيت و كيت، فاذا جاء القتال، قلتم: حيدى حيا. ما عزّت دعوة من دعاكم، و لا استراح قلب من قاساكم، أعاليل أضاليل، سألتهموني التأخير دفاع ذى الدين المطول، لا يمنع الضيم الذليل، و لا يدرك الحق إلّا بالجد. أيّ دار بعد داركم

١٢٢٣ (١) الخلفاء لابن قتيبة: ١٥٠.

١٢٢٤ (١) الاحتجاج: ١٧٤.

١٢٢٥ (٢) الإرشاد للمفيد: ١٤٦.

تمنعون؟ أم مع أيّ إمام بعدى تقاتلون؟ المغرور و الله من غررتموه، و من فاز بكم فاز بالسهم الأخيبي، أصبحت و الله لا اصدق قولكم، و لا أطمع في نصرتكم، فرق الله بيني و بينكم، و أبدلني بكم من هو خير لي منكم، و الله

ص: ٥٣٩

لوددت أن لي بكلّ عشرة منكم رجلا من بنى فراس ابن غنم، صرف الدينار بالدرهم».

هذا، و قال ابن أبي الحديد^{١٢٢٦}: خطب عليه السّلام بهذه الخطبة في غارة الضحاك بن قيس. روى غارات التّقي^{١٢٢٧}: أن غارة الضحاك كانت بعد الحكمين و قبل النهر، و ذلك أن معاوية لما بلغه أن عليّا عليه السّلام بعد واقعة الحكمين تحمّل إليه مقبلا هاله ذلك، فخرج من دمشق معسكرا و بعث إلى كور الشام فصاح فيها:

إنّ عليّا قد سار إليكم، و كتب إليهم نسخة واحدة فقرئت على الناس: أمّا بعد، فإنّا كتبنا كتابا بيننا و بين عليّ و شرطنا فيه شروطا، و حكمنا رجلين يحكمان عليّ و عليه بحكم الكتاب لا يعدوانه، و جعلنا عهد الله و ميثاقه على من نكث العهد و لم يمتض الحكم، و إنّ حكمي الذي كنت حكمته أثبتني، و إنّ حكمه خلعه و قد أقبل إليكم ظالما، تجهّزوا للحرب و أقبلوا خفافا و ثقالا. و اجتمع إليه الناس من كلّ كور و أرادوا المسير إلى صفّين، فاستشارهم و قال: إنّ عليّا قد خرج من الكوفة و عهد العاهد به أنّه فارق النخيلة. فقال حبيب بن مسلمة: فإنّي أرى أن تخرج حتى تنزل منزلنا الذي كنّا فيه فأنّه منزل مبارك. و قال عمرو بن العاص: إنّني أرى لك أن تسير بالجنود حتى توغلها في سلطانهم من أرض الجزيرة، فإنّ ذلك أقوى لجندك و أدلّ لأهل حربك. فقال معاوية: ان جهد الناس أن يبلغوا منزلهم الذي كانوا به - يعني صفّين - فمكتوا يومين أو ثلاثة يجيلون الرأى حتى قدمت عليهم عيونهم و أخبروهم: أنّ عليّا عليه السّلام اختلف عليه أصحابه، ففارقته فرقة أنكرت أمر الحكومة، و أنّه قد رجع عنكم إليهم. فكبر الناس سرورا لانصرافه عنهم و ما ألقى من الخلاف بينهم، فلم يزل معاوية

ص: ٥٤٠

معسكرا في مكانه منتظرا لما يكون من عليّ عليه السّلام و هل يقبل بالناس أم لا؟ فما برح حتى جاء الخبر: أنّ عليّا قد قتل اولئك الخوارج و أنّه أراد بعد قتلهم أن يقبل بالناس، و أنّهم استنظروه و دافعوه فسرّ بذلك، فدعا الضحاك بن قيس الفهري و قال له: سر حتى تمرّ بناحية الكوفة و ترفع عنها ما استطعت، فمن وجدت من الأعراب في طاعة عليّ فأغر عليه، و إن وجدت له مسلحة أو خيلا فأغر عليها، و إذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى، و لا تقيمنّ لخيّل بلغك أنّها قد سرّحت إليك لتلقاها فتقاتلها. فسرّحه في ما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة، فأقبل الضحاك فنهب الأموال و قتل من لقي من الأعراب، حتى مرّ بالنعلبية فأغار على الحاج فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقى عمرو بن عيسى الذهلي ابن أخى ابن مسعود، فقتله عند القطقانة و قتل معه ناسا من أصحابه، فروى إبراهيم بن المبارك البجلي عن أبيه عن بكر بن عيسى عن ابن روق عن أبيه:

^{١٢٢٦} (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١١٣.
^{١٢٢٧} (٢) الغارات للتّقي ٢: ٤١٦.

سمع عليًا عليه السلام- و قد خرج إلى الناس- على المنبر: يا أهل الكوفة أخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عيسى و إلى جيوش لكم قد اصيب منهم طرف، أخرجوا فامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين. فردّوا عليه ردّا ضعيفا و رأى منهم عجزا و فشلا، فقال: و الله لوددت أنّ لى بكلّ ثمانية منكم رجلا منهم، ويحكم! أخرجوا معي ثمّ فروا عنيّ ما بدا لكم، فو الله ما أكره لقاء ربي على نيتي و بصيرتي، و في ذلك روح لى عظيم و فرج من مناجاتكم و مقاساتكم ... ثمّ نزل فخرج يمشى حتى بلغ الغريين، ثمّ دعا حجر بن عدى فعقد له على أربعة آلاف، فخرج حجر حتى مرّ بالسماءة- و هى أرض كلب- فلقى بها امرأ القيس الكلبى و هم أصهار الحسين عليه السلام فكانوا أدلاءه فى الطريق و على المياه، فلم يزل مغذّا فى أثر الضحّاك حتى لقيه بناحية تدمر فوافقه، فاقتتلوا ساعة فقتل من أصحاب الضحّاك تسعة عشر رجلا و من أصحاب حجر رجلا، و حجز الليل

ص: ٥٤١

بينهم فمضى الضحّاك، فلمّا أصبحوا لم يجدوا له و لأصحابه أثرا.

قلت: إنّ ابن أبى الحديد كما ترى خلط و خبط، فقال: إنّ (غارات التقفى) روى: أنّ غارة الضحّاك كانت قبل النهر. ثمّ نقل عن (الغارات) أنّ الخبر لمّا جاء معاوية: أنّ عليّا قتل أولئك الخوارج و بعد قتلهم أراد الشخصوخ إليه فامتنع عليه أصحابه، دعا حينئذ الضحّاك و بعثه و وصاه بما مرّ، و كون غارة الضحّاك بعد ممّا لا ريب فيه، فواقعة النهروان كانت فى سنة (٣٧) و جعل الطبرى غارة الضحّاك فى سنة (٣٩) و قال: لكنّ أكثر أهل السير ذكروها فى سنة (٣٨) ... فجعل الاختلاف فى سنة غارة الضحّاك دون كونها بعد النهر.

و كيف كان، فكون الخطبة فى غارة الضحّاك كما قال غير معلوم، إنّما كانت خطبته عليه السلام فى غارة الضحّاك: «أخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عيسى، و إلى جيوش لكم قد اصيب منهم طرف» إلى آخره كما مرّ عن (غارات التقفى) و كما صرح به (إرشاد المفيد) و إنّما نسب كون العنوان فى غارة الضحّاك الكلبى و لم نتحققه فليس فى (الكافى)، و قد عرفت أنّ الجاحظ و ابن قتيبة و ابن عبد ربّه و ابن طلحة منهم، و المفيد و الطبرسى منّا روه و لم يشر أحد منهم إلى كون الخطبة فى غارة الضحّاك، بل صرح بعضهم بكونها فى غيرها على ما مرّ.

و بالجملة لا ريب فى كون غارة الضحّاك أوّل غارات معاوية، فروى التقفى^{١٣٢٨}: أنّه خطب على منبر الكوفة و قال: أمّا إنّى صاحبكم الذى أغرت على بلادكم، فكنت أوّل من غزاها من الإسلام، و شرب من ماء التعلبية و من شاطئ الفرات- إلى أنّ قال- أنا الضحّاك بن قيس، أنا أبو أنيس، أنا قاتل عمرو بن عيسى. إلّا أنّ كون هذه الخطبة فى غاراته غير معلوم، و لم يكن غارته بتلك

ص: ٥٤٢

الأهميّة، فروى التقفى أيضا: أنّه لمّا خطب بما مرّ قام إليه رجل و قال له: ما أعرفنا بما ذكرت! و لقد لقيناك بغربى تدمر فوجدناك شجاعا مجريا. فخرى الضحّاك، و روى أيضا: أنّه عليه السلام كتب إلى أخيه عقيل فى جوابه فى قصّة الضحّاك:

^{١٣٢٨} (١) الغارات للتقفى ٢: ٤٣٧.

«فأما ما ذكرت من غارة الضحّاك على أهل الحيرة، فهو أقلّ و أذلّ من أن يلم بها أو يدنو منها، و لكنّه قد أقبل في جريدة خيل فأخذ على السماوة، حتى مرّ بواقصة و شراف و القطقطانة ممّا و إلى ذلك الصقع، فوجّهت إليه جندا كثيفا من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك فرّ هاربا فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق و قد أمعن، و كان ذلك حين رجعت الشمس للأياب فتناوشوا القتال، كلّا و لا فلم يصبر لوقع المشرفيّة و ولّى هاربا، و قتل من أصحابه بضعة عشر رجلا و نجا جريضا بعد ما اخذ عنه بالمخنق» لكن يأتي في العنوان (١٢) أنّ للضحّاك غارتين، أحدهما قبل الجمل - و فيه كتاب عقيل - و الاخرى بعد النهروان، و أنّ الثقفى خلط في جعل كتاب عقيل في الأخيرة.

«أيّها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم» كتب عبد الله بن الحسن إلى زيد بن علي لما أراد الخروج: يابن عمّ، إنّ أهل الكوفة نفخ العلانية، خور السريرة، هرج في الرجاء، جزع في اللقاء، تقدمهم ألسنتهم و لا تشايهم قلوبهم، لا يبيتون بعدة في الأحداث، و لا ينيئون بدولة مرجوة.

و لمحمود الوراق:

و مشاهدا للأمر غير مشاهد

يا ناظرا يرنو بعيني راقدا

و قد أخذ معنى كلامه عليه السّلام أبو تمام فدخل على ابن داود في مجلس حكمه و أنشد أبياتا، فقال له: سيأتيك ثوابها. ثم اشتغل بتوقيعات في يده فأحفظ ذلك أبا تمام فقال له، احضر أيّدك الله فانّك غائب، و اجتمع فانّك متفرّق.

ثم أنشده:

ص: ٥٤٣

و ترك ما يرتجى من الصفد

الصرف حرام إلّا يدا بيد

إنّ حراما قبول مدحتنا

كما الدنانير و الدراهم في

فأمر بتوفير حباؤه و تعجيل عطائه.

«كلامكم يوهى» أى: يوهن.

«الصمّ الصلاب» أى: الصخر الغلاظ الصلاب، أو الجبال الغلاظ الصلاب.

«و فعلكم يطمع فيكم الأعداء» فى (عيون القتيبي) ١٣٢٩: كان لأبى حيّة النميرى سيف ليس بينه وبين الخشبّة فرق، وكان يسمّيه لعاب المنية، قال جار له: أشرفت عليه ليلة وقد انتضاه و شمرّ و هو يقول: أيّها المغترّ بنا و المجترى علينا، بئس و الله ما اخترت لنفسك، خير قليل و سيف صقيل، لعاب المنية الذى سمعت به مشهور ضربته، و لا تخاف نبوته، أخرج بالعفو عنك و إلّا دخلت بالعقوبة عليك، إننى و الله إن أدع قيسا تملأ الأرض خيلا و رجلا، يا سبحان الله ما أكثرها و أطيبها! ثم فتح الباب فاذا كلب قد خرج، فقال: الحمد لله الذى مسخك كلبا و كفانى حربا.

و كان بالبصرة شيخ من بنى نهشل يقال له: عروة بن مرثد، و يكنّى أبا الأغر، ينزل ببني اخت له فى سكة بنى مازن، و بنو اخته من قریش، فخرج رجالهم إلى ضياعهم فى شهر رمضان، و خرج النساء يصلين فى مسجدهم فلم يبق فى الدار إلّا الاماء، فدخل كلب يعتس فأرى بيتا فدخله و انصفق الباب، فسمع الحركة بعض الاماء فظنّوا أنّ لصا دخل الدار، فذهبت احداهن إلى أبى الأغر فأخبرته، فقال أبو الأغر: ما يبتغى اللص؟ ثم أخذ عصاه فجاء فوقف على باب البيت و قال: إيه يا ملامان أما و الله إنك بى لعارف، فهل أنت إلّا من لصوص بنى مازن، شربت حامضا خبيثا حتى إذا دارت القدوح فى رأسك

ص: ٥٤٤

منتك نفسك الأمانى و قلت: أطرق ديار بنى عمرو و الرجال خلوف و النساء يصلين فى مسجدهن فأسرقهن. سواء لك، و الله ما يفعل هذا ولد الأحرار، و ايم الله لتخرجنّ أو لأهتفن هتفة مشؤمة يلتقى فيها الحيان: عمرو و حنظلة، و تجيء سعد بعدد الحصى و تسيل عليك الرجال من هاهنا و هاهنا، و لئن فعلت لتكونن أشأم مولود. فلما رأى أنّه لا يجيبه أحد أخذ باللين فقال: أخرج بأبى و امى، أنت مستور، إننى و الله ما أراك تعرفنى و لو عرفتنى لقنعت بقولى و اطمأنتت إلىّ أنا- فديتك- أبو الأغر النهشلى، و أنا خال القوم و جلدة بين أعينهم لا يعصوننى، و لن تضار الليلة فأخرج فأنت فى ذمتى، و عندى قوصرتان أهداهما إلىّ ابن اختى البار الوصول، فخذ إحداهما فانتبذها حلالا من الله و رسوله. و كان الكلب إذا سمع الكلام أطرق، و إذا سكت و ثب يزيغ المخرج، فتهاثف أبو الأغر ثم تضاحك و قال: يا ألام الناس و أوضعهم، لا أرى إلّا أنى لك الليلة فى واد و أنت فى واد، أقلب السوداء و البيضاء فتصبح و تطرق و إذا سكت عنك و ثبت تزيغ المخرج، و الله لتخرج أو لأولجن عليك البيت. فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإمام فقالت: أعرابى مجنون و الله ما أرى فى البيت شيئا. فدفعت الباب فخرج الكلب شدا، و حاد عنه أبو الأغر ساقطا على قفاه.

«تقولون فى المجالس: كيت و كيت» قال الجوهري: قال أبو عبيدة: كان من الأمر كيت و كيت، بالفتح و الكسر، و التاء فيهما هاء فى الأصل، فصارت تاء فى الوصل. و فى (القاموس) معناهما كذا و كذا.

«فاذا جاء القتال قلت: حيدى حيا» أى: مل عنى مل عنى، و قال الجوهري:

حيدى حيا: كقولهم: فيحى فياح.

و لا بدّ أنّه أراد فى الوزن و إلّا فحيدى حياذ يقوله المدبر عن الشىء، فقال نفسه: فياح مثل قطام: اسم للغارة، و كان أهل الجاهلية يقولون: فيحى فياح،

ص: ٥٢٥

أى: اتسعى. قال:

دفعنا الخيل سائلةً عليهم و قلنا بالضحى فيحى فياح

و توهم ابن ميثم^{١٣٣٠} أنّ مراده أنّه بمعناه، فقال: معنى حيدى حياذ: اعدلى عن الغارة أيّتها الحرب.

فى (الأغاني)^{١٣٣١} هجا دعبل المطلب بن عبد الله و كان واليا على مصر، فقال:

تعلّق مصر بك المخزيات و تبصق فى وجهك الموصل

و عاديت قوما فما ضرهم و شرقت قوما فلم ينبلوا

شعارك عند الحروب النجا و صاحبك الأخور الأفضل

فأنت إذا ما التقوا آخر و أنت إذا ما انهربوا أول

و لبعضهم: ما فيهم إلّا مشغول بنفسه، منكب على مجلس انسه، يرى السلامة غنيمة، و إذا عنّ له وصف الحرب لم يسأل إلّا عن طرق الهزيمة، أموال تنهب و ممالك تذهب، لا يبالون بما سلبوا، و هو كما قيل: إن قاتلوا قتلوا أو طاردوا طردوا أو حاربوا حاربوا أو غالبوا غالبوا.

سريع إلى ابن العم يشتم عرضه و ليس إلى داعى الندى بسريع

^{١٣٣٠} (١) شرح ابن ميثم ٢: ٥٠.
^{١٣٣١} (٢) الأغاني ٢٠: ١٦٠.

و لقد أجاد من قال فى وصف مثلهم بالفارسيّة:

ما همه شیریم ولی شیر علم
حمله مان از باد باشد نی قدم

و بالعربيّة:

و لو أنّ حرقوصاً على ظهر قملة
يكرّ على صفّ تميم لوّلت

قالوا: الحرقوص دويبة أكبر من البرغوث أو عضّها أشدّ من عضّه،

ص: ٥٤٦

و أكثر ما يعض أحرّاح النساء و خصى الرجال.

فى السير: لمّا توجه الخوارج إلى الكوفة و خالطوا سوادها فى أيام القباع - و كان جبانا - تناقل عن الخروج، فذمره إبراهيم بن الأشتري و لأمه الناس، فخرج متحاملاً حتى أتى النخيلة. ففى ذلك يقول الشاعر:

إنّ القباع سار سيرا نكرا
يسير يوما و يقيم شهرا

أيضا:

إنّ القباع سار سيرا ملسا
بين دباها و دبيري خمسا

و جعل يعد الناس بالخروج و لا يخرج، و الخوارج يعيشون حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباهما بين يديهما ثم أرادوا قتلها- و كانت جميلة- فقالت: أ تقتلون «مَنْ يَنْشِؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَ هُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ»^{١٣٣٢}. فقال أحدهم: دعوها.

فقالوا له: قد قُتلتك. ثم قدّموها فقتلوها ثم قدّموا أخرى فقتلوها، و هم بحذاء القبايع و الجسر معقود بينهم، و هو في ستة آلاف و المرأة تستغيث، و الناس ينفلتون إلى الخوارج و القبايع يمنعهم، فلما خاف أن يعصوه أمر بقطع الجسر، و أقام بين دباها و دبيري خمسة أيام و الخوارج بقربه، و هو يقول للناس في كل يوم: إذا لقيتم العدو غدا فأثبتوا أقدامكم و اصبروا فإنّ الحرب أولها الترامي، ثم اشراع الرماح ثم سلّة السيوف، فثكلت رجالا أمّه فرّ من الزحف.

فقال بعضهم- لما أكثر عليهم:- أمّا الصفّة فقد سمعناها، و أمّا الفعل فمتى يقع؟ فأخذت الخوارج حاجتهم و كان شأن البقاع التحصّن منهم^{١٣٣٣}.

و فيها: بعث المهلب إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أن يخندق و على أصحابه من الخوارج، فأجابه: أنّهم أهون عليه من ضرورة الجمل، فبيّنه

ص: ٥٤٧

قطرى فقتل من أصحابه خمسمائة و فرّ لا يلوى على أحد، فقالوا فيه:

تركت ولدانا تدمى نحورهم و جئت منهزما يا ضرورة الجمل^{١٣٣٤}

و فيها: فرّ أميّة بن عبد الله بن خالد بن اسيد من أبي فديك الخارجي، فسار من البحرين إلى البصرة في ثلاثة أيام، فقال يوما: سرت على فرسى من البحرين إلى البصرة في المهرجان في ثلاثة أيام. فقال له: بعضهم فلو ركبت في النيروز لسرت إليها في يوم واحد.

و أتى الحجاج بدواب من دواب اميّة هذا، و قد وسم على أفخاذها: «عده» فأمر أن يكتب تحت «عده» «للفرار». و قال الشاعر فيه:

إذا صوّت العصفور طار فؤاده و ليث حديد النَّاب عن التراث^{١٣٣٥}

^{١٣٣٢} (١) الزخرف: ١٨.
^{١٣٣٣} (٢) نهج البلاغة ٤: ١٦٣-١٦٤.
^{١٣٣٤} (١) نهج البلاغة ٤: ١٨٧.
^{١٣٣٥} (٢) نهج البلاغة ٦: ١٠٧.

و فى (الأغانى)^{١٣٣٦} فى خروج عبد الله بن يحيى طالب الحق زمن مروان الحمار، و توجيهه جيشا من مكة إلى المدينة، قال رجل من قريش: لو شاء أهل الطائف لكفونا أمر هؤلاء لكنهم داهنوا، و الله ان ظفرنا لنسيرن إلى أهل الطائف فلنسبيتهم. ثم قال: من يشتري منى سبى أهل الطائف؟ فلما انهزم الناس رجع ذاك القرشى فى أول المنهزمين، فدخل منزله و أراد أن يقول لجاريته: اغلقى الباب، فقال لها: «غاق باقى». دهشا، و لم تفهم الجارية قوله حتى أوما إليها بيده فأغلقت الباب، فلقبه أهل المدينة بذلك: (غاق باقى).

و فيه: أن زيد بن على لما خرج كتب إلى الكميت: أخرج معنا يا اعيشى، أ لست القائل:

سم فيكم ملامه اللوام

ما ابالى إذا حفظت أبا القا

ص: ٥٤٨

فكتب إليه الكميت:

تظل لها الغربان حولى تحجل

تجود لكم نفسى بما دون وثبة

و لقد قالت الشعراء فى هذا المعنى فأكثروا، منها:

فردكم فارس واحد

تمنيتم مائتى فارس

و يغمره الموج فى الساحل

يشمر للج عن ساقه

و لست أخا الملمات الشداد

و أنت أخو السلام و كيف أنتم

أى: أنت أخو السلام اللفظى، و سؤال كيف أنتم؟ فى المقال دون الفعال.

إذا كان صلح تبخترت فيه
و إن كان هييج دخلت الثقب
أ فى السلم أعيارا جفاء و غلظة
و فى الحرب أشباه النساء العوارك

أى: الحائضات.

أ فى الولائم أولاد الواحدة
و فى العبادۃ أولاد العلات

هذا، و فى (القاموس) فى (عروس): مات زوج أسماء العذريۃ- و اسمه عروس- عنها، فتزوَّجها رجل أعسر أبخر بخيل دميم، فلما أراد أن يظعن بها قالت: لو أذنت لى رثيت ابن عمى. فقال: افعلى. فقالت:

أبكيك يا عروس الأعراس
يا ثعلبا فى أهله و أسدا عند الباس
مع أشياء ليس يعلمها الناس

قال: و ما تلك الأشياء؟ قالت:

كان عن الهمۃ غير نعاس
و يعمل السيف صبيحات الباس

ثم قالت:

يا عروس الأغر الأزهر
الطيب الخيم الكريم المخصر

مع أشياء له لا تذكر.

ص: ٥٤٩

قال: و ما تلك الأشياء؟ قالت:

طيب النكهة غير أبخر

كان عيوبا للخنا والمنكر

أيسر غير أعسر

فعرف أنها تعرض له، فلمّا رحل بها قال: ضمّي إليك عطرک. و قد نظر قشوة عطرها مطروحة فقالت: «لا عطر بعد عروس».

و فی (محاسن الجاحظ) فی الشجاعة الضدّ قيل: هو أجبن من المنزوف ضرطا، و كان من حديثه أنّ نسوة من العرب لم يكن لهنّ رجل، فتزوجت واحدةً منهن برجل كان ينام إلى الضحى، فإذا انتبه ضربنه و قطن له: قم فاصطحب. فيقول: «لو لعادية نبهتني». أي: خيل عادية عليك مغيرة، فأدحضها عنكن. ففرحن و قطن: إنّ صاحبنا لشجاع. ثم قطن: تعالين نجربه.

فأتيه كما كنّ يأتينه فأيقظنه فقال: لو لعادية نبهتني. فقلن له: نواصي الخيل معك. فجعل يقول: الخيل الخيل. و يضطر حتى مات.

و فيه: قال الحجاج لحميد الأرقط - و قد أنشده قصيدة يصف فيها الحرب -: يا حميد هل قاتلت قط؟ قال: لا أيها الأمير إلّا في النوم. قال: و كيف كانت وقعتك؟ قال: انتهت و أنا منهزم.

«ما عزّت» أي: لا صارت عزيزة.

«دعوة من دعاكم، و لا استراح قلب من قاساكم» يمكن أن يكون هو، و (ما عزت) دعاء و ان يكونا اخبارا.

«أعاليل بأضاليل» أي: تعتلون بعلى هي ضلال و باطل، يقال للباطل: ضلّ بتضلال. كان عليه السلام لمّا فرغ من أهل النهروان قال لهم: إنّ الله قد أحسن بكم و أعزّ نصرکم، فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوكم. فقالوا: نفدت نبالنا و كلّت سيوفنا و نصلت أسنة رماحنا.

ص: ٥٥٠

«دفاع» مفعول مطلق لعامل مدلول عليه بالمقام.

«ذی الدين» أي: المديون.

«المطول» أى: المماطل. (المطول) فعول من: مطل الدين. و الأصل فى (مطل الدين): مطل الحديد، إذا ضربها لتطول، و مواعيد عرقوب معروفة. كان عرقوب من العماليق فأتاه أخوه يسأله، فقال: إذا طلعت هذه النخلة فلك طلعتها.

فأتاه للعدة، فقال له: دعها حتى تصير بلحا. فلما أبلحت قال له: حتى تصير رطبا. فلما أرطبت قال له: حتى تصير تمرا. فلما أثمرت عمد إليها فجزّها و لم يعطه شيئا.

«لا يمنع الضيم» مفعول مقدم، أى: الذلّة.

«الذليل و لا يدرك الحق إلّا بالجدّ» فى الأمر، قال الشاعر:

و أنفا حميا تجتنبك المظالم

متى تجمع القلب الذكى و صارما

أخاها إذا ما المشرفيّة سلّت

و باه بقيس فى الرّخاء و لا تكن

«أى دار بعد داركم تمنعون؟ و مع أىّ إمام بعدى تقاتلون» كتب عدى بن ارطاة عمر بن عبد العزيز يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة، فوقع فى كتابه: لا تطلب طاعة من خذل عليّا عليه السّلام و كان اماما مرضيا.

و شكّا عامل الكوفة إلى الحجاج من أهلها، فوقع: ما ظنّك بقوم قتلوا من كانوا يعبدونه؟

«المغرور» الحقيقى.

«و الله من غررتموه» فى (فتوح البلاذرى): لما مات المنذر بن ساوى بعد النّبىّ صلّى الله عليه و آله بقليل، ارتدّ من البحرين من قيس بن ثعلبة، و ارتدّ ربيعة و أمّروا عليهم ابنا للنعمان بن المنذر، و كان يسمّى الغرور، فلما ظهر المسلمون عليهم قال: لست بالغرور و لكنى المغرور.

ص: ٥٥١

«و من فاز بكم فقد فاز بالسّهم الأخيب» الفوز بالسّهم الأخيب أحسن استعارة، كقوله تعالى: «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»*^{١٣٣٧}. و السّهم الأخيب من سهام الميسر الذى فيه الغرم، و هو شرّ السّهام، ففى بعضها الغنم و فى بعضها لا غنم و لا غرم.

«و من رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل» أى: بسهم منكسر لا نصل فيه.

^{١٣٣٧} (١) آل عمران: ٢١، و التوبة: ٣٤، و الانشقاق: ٢٤.

«أصبحت والله لا أصدق قولكم» بعد أن رأيت منكم عدم الفعل كرارا.

«و لا أطمع فى نصركم» بعد أن شاهدت منكم الخذلان مرارا.

«و لا أوعد بكم العدو» بعد أن ما وقّيتم بوعدكم لوليّكم، قال الشاعر:

و لقد طويتكم على بللاتكم
و عرفت ما فيكم من الأذراب

«ما بالكم» أى: نفسكم و حالكم.

«ما دواؤكم» من مرضكم المزمن.

«ما طبّكم» أى: علاجكم، و الأصل فى الطب الكسر، و يجوز فيه الفتح و الضم.

«القوم رجال أمثالكم» لمّا كان المغلوب يتوهم من ضعف نفسه أنّ الغالب جنس آخر رد عليه السّلام عليهم هذا الوهم، و كانت
الفرس فى قتال العرب يظنون أنّهم ما يموتون، كما أنّ العرب فى قتال التتر كانوا كذلك، حتى رأى بعضهم موت بعضهم فتعجّب.

«أ قولاً بغير علم و غفلة من غير ورع و طمعا فى غير حقّ» و فى (الإرشاد)^{١٣٣٨}:

قال عليه السّلام لهم: حتى إذا تفرّقتم تسألون عن الأشعار جهلة من غير علم، و غفلة من غير ورع، و تنبطا من غير خوف،
نسيتم الحرب و الاستعداد لها

ص: ٥٥٢

٦

الخطبة (٣٩) و من خطبة له عليه السّلام:

مُنِيتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ - وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ - لَا أَبَا لَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبِّكُمْ - أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةَ
تُحْمِسُكُمْ - أَقَوْمٌ فِيكُمْ مُسْتَصْرَخًا وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثًا - فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا - حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ
الْمَسَاءَةِ - فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ ثَارٌ وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ - دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ - فَجَرَجَرْتُمْ جَرَجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرِ - وَ تَنَاقَلْتُمْ

تَتَأَقْلَ النَّصُو الْأَذْبِرَ - ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ - «كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ»^{١٣٣٩} «قال الشريف: أقول: قوله عليه السّلام (متذائب) أى: مضطرب من قولهم:

(تذاءبت الريح) أى: اضطرب هبوبها، و منه يسمّى الذئب ذئبا لاضطراب مشيته».

أقول: هذه الخطبة خطب عليه السّلام بها فى فتح مصر و قتل محمد بن أبى بكر، روى الطبرى الطبرى - تاريخ الطبرى - ج ٥ ص ١٠٦^{١٣٤٠} عن أبى مخنف عن جندب عن عبد الله بن ققيم عن الحارث بن كعب: أن عليّا عليه السّلام قام فى الناس فقال: أمّا بعد، فإنّ هذا صريخ محمد بن أبى بكر و إخوانكم من أهل مصر، و قد سار إليهم ابن النابغة عدو الله و ولى من عادى الله، فلا يكونون أهل الضلال إلى باطلهم، و الركون إلى سبيل الطاغوت، أشدّ اجتماعا منكم على حقكم هذا، فإنهم قد بدؤكم و إخوانكم بالغزو فاعجلوا إليهم بالمواساة و النصر، عباد الله إنّ مصر أعظم من الشام و أكثر خيرا و خير

ص: ٥٥٣

أهلا، فلا تغلبوا على أهل مصر فإنّ بقاء مصر فى أيديكم عزّ لكم و كبت لعدوكم، أخرجوا إلى الجرعة - بين الحيرة و الكوفة - فوافوني بها هناك غدا.

فلما كان من الغد خرج يمشى فنزلها بكرة، فأقام بها حتى انتصف النهار فلم يوافه منهم واحد فرجع، فلما كان من العشى بعث إلى أشرف الناس، فدخلوا عليه القصر و هو حزين كئيب فقال: الحمد لله على ما قضى من أمرى و قدّر من فعلى، و ابتلانى بكم أيّتها الفرقة ممّن لا يطيع إذا أمرت، و لا يجيب إذا دعوت، لا أبا لغيركم! ما تنتظرون بنصركم و الجهاد على حقكم؟ الموت و الذلّ لكم فى هذه الدنيا على غير الحق؟ فو الله لئن جاء الموت - و ليأتين - ليفرقن بينى و بينكم و أنا لصحبتيكم قال و بكم غير ضنين، لله أأنتم! لا دين يجمعكم و لا حمية تحميكم إذا أنتم سمعتم بعدوكم يرد بلادكم و يشنّ الغارة عليكم، أو ليس عجبا أن معاوية يدعو الجفاء الطغام فيتبعونه على غير عطاء و لا معونة، و يجيئون فى السنة مرتين و الثلاث إلى أى وجه شاء، و أنا أدعوكم - و أنتم اولو النهى و بقية الناس على المعونة - فتقومون عنى و تعصوننى و تختلفون على؟! - إلى أن قال عليه السّلام بعد ذكر مجيء الخبر بقتل محمد بن أبى بكر و فتح مصر و خطبته الناس و اخبارهم بذلك -: إني و الله ما ألوم نفسى على التقصير و إني لمقاساة الحرب مجدّ خبير، و إني لأقدم على الأمر و أعرف وجه الحزم و أقوم فيكم بالرأى المصيب، فأستصرخكم معلنا و اناديكم نداء المستغيث معربا، فلا تسمعون لى قولا و لا تطيعون لى أمرا حتى تصير بى الامور إلى عواقب المساءة، فأنتم القوم لا يدرك بكم الثأر و لا ينقض بكم الأوتار، دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع و خمسين ليلة، فتجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق، و تناقلتم إلى الأرض تناقل من ليس له نيّة فى جهاد العدو و لا اكتساب الأجر، ثم خرج الى منكم جنيد متذائب «كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَىٰ»

ص: ٥٥٤

^{١٣٣٩} (١) الأنفال: ٦.
^{١٣٤٠} (٢) تاريخ الطبرى ٥: ١٠٦.

«الْمَوْتُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ»*^{١٣٤١} فاف لكم

و مثله الثقفي في (غاراته الثقفي - الغارات - ج ١ ص ٢٩٥ و ٢٩٦)^{١٣٤٢} و رواه ابن بكار في (موفقيات زبير بن بكار - الموفقيات -) عن محمد بن الضحّاح عن أبيه: أنّ ابن غزيرة الأنصاري - ثم النجاري - قدم على عليّ عليه السلام من مصر، و قدم عليه عبد الرحمن بن شبيب الفزاري من الشام و كان عينا لعليّ عليه السلام بها، فأما الأنصاري فكان مع محمد بن أبي بكر، و حدّثه الفزاري: إنّّه لم يخرج من الشام حتى قدمت الرسل و البشرى من قبل عمرو بن العاص تترى، يتبع بعضها بعضا بفتح مصر و قتل محمد بن أبي بكر، حتى آذن معاوية بقتله على المنبر. و قال له عليه السلام: ما رأيت سرور قوم قط أظهر من سرور رأيته بالشام حين أتاهاهم قتل محمد بن أبي بكر. فقال له عليه السلام: حزننا على قتله على قدر سرورهم بقتله، لا بل يزيد أضعافا. و حزن على قتله حزنا شديدا حتى رئي في وجهه و تبين فيه، و قام على المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال عليه السلام:

ألا و إنّ محمد بن أبي بكر أصيب رحمه الله و عند الله نحتسبه، أما و الله أن كان ممّن ينتظر القضاء و يعمل للجزاء و يبغض شكل الفاجر و يحب هدى المؤمنين، ألا و الله لا ألوم نفسي في تقصير و لا عجز، إنّني بمقاساة الحرب لجدّ خير، و إنّني لأتقدم في الأمر فأعرف وجه الحزم، فأقوم فيكم بالرأى المصيب معلنا و أناديكم نداء المستغيث، فلا تسمعون لي قولا و لا تطيعون لي أمرا حتى تصير بي الامور عواقب الفساد، و أنتم لا يدرك بكم الأوتار و لا يشفى بكم الغل، دعوتكم إلى غياث إخوتكم منذ بضع و خمسين ليلة، فخرجتم جرجرة الجمل الاسر، و تناقلتم إلى الأرض تناقل من ليس له نيّة في جهاد

ص: ٥٥٥

العدو و لا احتساب الأجر، ثم خرج منكم جنيد ضعيف «كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ» فاف لكم. ثم نزل فدخل رحله.

و قال ابن أبي الحديد: خطب عليه السلام بها في غارة النعمان بن بشير الأنصاري على عين التمر و تبعه ابن ميثم^{١٣٤٣} و الخوئي.

قال ابن أبي الحديد^{١٣٤٤}: ذكر صاحب (الغارات)^{١٣٤٥} أنّ النعمان قدم هو و أبو هريرة على عليّ عليه السلام من عند معاوية بعد أبي مسلم الخولاني، يسألانه:

أن يدفع قتله عثمان إلى معاوية ليقيدهم بعثمان لعلّ الحرب أن يطفأ. و إنّما أراد معاوية أن يرجع مثل النعمان و أبي هريرة من عند عليّ عليه السلام إلى الناس و هم لمعاوية عاذرون و لعليّ عليه السلام لاثمون، و قد علم معاوية أنّ عليّا عليه السلام لا

^{١٣٤١} (١) الأنفال: ٦.

^{١٣٤٢} (٢) الغارات للثقفي ١: ٢٩٥ - ٢٩٦.

^{١٣٤٣} (١) شرح ابن ميثم ٢: ٩٩.

^{١٣٤٤} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٠١.

^{١٣٤٥} (٣) الغارات للثقفي ٢: ٤٤٥ - ٤٤٦.

يدفع قتلة عثمان إليه فأراد أن يكون هذان يشهدان له عند أهل الشام بذلك، فقال لهما: اثبتا عليّ. فأتياه عليه السّلام فقال له أبو هريرة: إنّ الله قد جعل لك في الإسلام فضلا و شرفا- إلى أن قال عليه السّلام- فقال لهما دعا الكلام: في هذا، حدّثني عنك يا نعمان أنت أهدى قومك- يعني الأنصار- سييلا؟ قال: لا. قال: فكلّ قومك اتّبعني إلّا شذاذا منهم ثلاثة أو أربعة فتكون أنت من الشذاذ؟ فقال: إنّما جنّت لأن أكون معك و ألزمك و قد كان معاوية سألني أن أوّدي هذا الكلام.

و لحق أبو هريرة بالشام و أقام النعمان ثم خرج فارّا، حتى إذا مرّ بعين التّمر أخذه مالك بن كعب الأرحبي- و هو عامله عليه السّلام على عين التمر- فقال له ما مرّ بك هاهنا؟ قال: إنّما أنا رسول بلغت رسالة صاحبي ثم انصرفت. فحبسه و قال له: كن حتى أكتب فيك إلى عليّ عليه السّلام. فأرسل النّعمان إلى قرظة بن كعب

ص: ٥٥٦

الأنصاري- و هو كاتب عين التمر- فجاءه مسرعا فقال لمالك: خل سبيل ابن عمي. فقال له: اتّق الله و لا تتكلّم في هذا، فإنّه لو كان من عبّاد الأنصار لمّا هرب من أمير المؤمنين إلى أمير المنافقين. فلم يزل يقسم عليه حتى خلّى سبيله و قال له: لك الأمان اليوم و الغد، فإن أدركتكم بعد لأضربنّ عنقك. فخرج لا يلوى على شيء، أين هو من الأرض ثلاثة أيام، حتى سمع امرأة تطحن و تقول:

و اخرى مع الشعرى إذا ما استقلت

شربت مع الجوزاء كأسا رديّة

فلما استحلوا قتل عثمان حلّت

معتقة كانت قريش تصونها

فعلم أنّه عند حي من أصحاب معاوية، ثم قدم على معاوية فخبّره بما لقي، ثم غزا الضحّاك بن قيس أرض العراق ثم انصرف، فقال معاوية: أما من رجل أبعث معه بجريدة خيل حتى يغير على شاطئ الفرات؟ فإنّ الله يرعب بها أهل العراق فقال له النّعمان: فابعتني. فندب معه ألفي رجل و أوصاه: أن يجتنب المدن و الجماعات، و ألا يغير إلّا على مسلحة، و أن يعجل الرجوع.

فأقبل النّعمان حتى دنا من عين التمر، و بها مالك بن كعب الأرحبي الذي جرى له معه ما ذكرنا، و مع مالك ألف رجل و قد إذن لهم فرجعوا إلى الكوفة فلم يبق معه إلّا مائة، فكتب إلى عليّ عليه السّلام: إنّ النعمان نزل بي في جمع كثيف.

فصعد عليه السّلام المنبر و قال لهم: أخرجوا إلى مالك أخيكم فإنّ النّعمان قد نزل به في جمع من أهل الشام، فانهضوا لعلّ الله أن يقطع بكم من الكافرين طرفا. ثم نزل فلم يخرجوا فأرسل إلى وجوههم: أن ينهضوا و يحثوا الناس على المسير. فلم يصنعوا شيئا و اجتمع نحو ثلاثمائة فارس أو دونها، فقال عليه السّلام:

«ألا إنّى منيت بمن لا يطيع...».

ثم نزل فدخل منزله فقام عدى بن حاتم فقال: هذا والله الخذلان، على هذا بايعنا أمير المؤمنين. ثم دخل إليه فقال له: إن معي من طي ألف رجل لا

ص: ٥٥٧

يعصونني فإن شئت سرت إليهم. فقال عليه السلام: ما كنت لأعرض قبيلة واحدة للناس، ولكن أخرج إلى النخيلة و عسكر بهم. و فرض عليه السلام لكل رجل سبعمائة فاجتمع إليه ألف فارس عدا طي أصحاب عدى، و ورد الخبر بهزيمة النعمان و نصره مالك، فقرأ الكتاب ثم نظر إلى الناس و قال: هذا بحمد الله و ذم أكثركم.

فأما خبر مالك مع النعمان فقال عبد الله بن حوزة الأزدى: كنت مع مالك حين نزل بنا النعمان و هو في ألفين و ما نحن إلّا مائة، فقال لنا: قاتلوهم في القرية و اجعلوا الجدر في ظهوركم «و لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ»^{١٣٤٦}، و اعلموا أن الله تعالى ينصر العشرة على المائة، و المائة على الألف، و القليل على الكثير. ثم قال: إن من أقرب من هاهنا إلينا من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام و عماله قرظة بن كعب و مخنف بن سليم، فاركض إليهما و اعلمهما حالنا.

فمررت بقرظة فقال: إنما أنا صاحب خراج و ليس عندي من أعينه به. فمضيت إلى مخنف فأخبرته فسرّح معي عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلا، و كان مالك قاتل النعمان إلى العصر، فأتيناه و قد كسر هو و أصحابه جفون سيوفهم و استسلموا للموت، فما هو إلّا أن رأنا أهل الشام فأخذوا ينجسون، و رأنا مالك و أصحابه فشدّوا عليهم حتى دفعوهم عن القرية، فاستعرضناهم فصرعنا منهم رجلا ثلاثة، و ارتفعوا عنا و ظنّوا أن وراءنا مددا، و لو ظنّوا أنّه ليس غيرنا لأقبلوا علينا و أهلكونا، و حال الليل بيننا فانصرفوا إلى منازلهم، و كتب مالك إلى عليّ عليه السلام: أمّا بعد، فإنّه نزل بنا النعمان في جمع من أهل الشام كالظاهر علينا، و كان عظم أصحابي متفرّقين، و كنّا للذي كان منهم آمنين، فخرجنا إليهم رجلا مصلتين فقاتلناهم حتى المساء، و استصرخنا مخنف بن سليم فبعث إلينا رجلا من شيعة أمير المؤمنين و ولده، فنعّم الفتى و نعم

ص: ٥٥٨

الأنصار كانوا، فحملنا عليهم فأنزل الله تعالى علينا نصره و هزم عدوّه.

و قال ابن أبي الحديد^{١٣٤٧}: و روى محمد بن فرات الجرمي عن زيد بن عليّ في هذه الخطبة: أيها الناس، إنني دعوتكم إلى الحق فتوليتهم عني، و ضربتكم بالدرّة فأعيتهموني، أمّا إنّهم سيليككم بعدى ولاء لا يرضون منكم بذلك حتى يعذبوكم بالسياط و بالحديد، فأما أنا فلا اعذبكم بهما، إنّهم من عذب الناس في الدّنيا عذبّه الله في الآخرة، و آية ذلك أن يأتيكم صاحب اليمن حتّى يحلّ بين أظهركم فيأخذ العمّال و عمّال (ظ) العمّال، رجل يقال له: يوسف بن عمر، و يقوم عند ذلك رجل منّا أهل البيت فانصروه فإنّه داع إلى الحق. و كان الناس يتحدّثون: أنّ ذلك الرجل هو زيد.

^{١٣٤٦} (١) البقرة: ١٩٥.
^{١٣٤٧} (١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٠٦.

قلت: ولا بد أن ابن أبي الحديد خلط و لم ينقل لفظ النقفي في الخطبة، بل قال: قال: «إني منيت بمن لا يطيع إلى آخر الفصل. وكيف، وقد عرفت أن النقفي روى العنوان في قتل محمد بن أبي بكر، و قد نقله ابن أبي الحديد ثمة عنه هنا، و إن غفل عنه هنا، و أيضا فقرات العنوان تشهد لعدم كونها في غارة النعمان، فقله: «دعوتكم إلى نصر إخوانكم...» يدل أنه عليه السلام كان قبل دعاهم، فخرج منهم من لم يكن أثر فيه حتى وقع ما خافه، و لم يكن ذاك إلّا في قتل محمد بن أبي بكر، و أمّا في غارة النعمان فبنقله: خرج جمع كثير برياسة عدى و أتاه الخبر بالفتح.

و بالجملة لا ريب في كون العنوان في قتل محمد بن أبي بكر، و أن من قوله عليه السلام: «منيت» إلى «و لا حمية تحمشمكم» مأخوذ من خطبته عليه السلام في الدعاء و الحث إلى الخروج إلى نصر محمد بن أبي بكر، و من قوله: «أقوم فيكم مستصرخا» إلى آخر العنوان، مأخوذ من خطبته عليه السلام بعد مجيء الخبر بقتله

ص: ٥٥٩

و فتح مصر، كما عرفته من رواية الطبري، و المصنف جمع بينهما كما هو دأبه في الكتاب، و أمّا خطبته عليه السلام في غارة النعمان على عين التمر فشيء آخر.

راجع الغارات صفحة (٤٥١) ١٣٤٨.

«منيت» أي: ابتليت.

«بمن لا يطيع إذا أمرت» و ذلك بلاء عظيم، و في (حيوان الجاحظ) ١٣٤٩ قال يزيد بن الصعق لبني سليم حين صنعوا بسيدهم العباس ما صنعوا- و كانوا توجوه و ملكوه فلمّا خالفهم في بعض الأمر و ثبوا عليه لقلّة رهطه:-

فلما ذاق خفتها قلاها

و إن الله ذاق حلوم قيس

فخلّاها تردد في خلاها

رآها لا تطيع لها أميرا

«و لا يجيب إذا دعوت»

بأسرع إجابة لك من هذيل

فما من تهتفين به لنصر

١٣٤٨ (١) الغارات: ٢: ٤٥١.
١٣٤٩ (٢) الحيوان للجاحظ: ٥: ٣٠.

و فى (أمثال الكرمانى) - بعد ذكر البيت -: زعمت العرب أنّ هذيلًا كان فرخا على عهد نوح فصاده جارج، فما من حمامة إلّا و هى تبكيه و تدعوه فلا يجيبها.

«أما دين يجمعكم» فالدين يجمع بين العرب و العجم، و أهل المشرق و المغرب.

«و لا حمية تحمّشكم» أى: تغضبكم.

«أقوم فيكم - إلى - عن عواقب المساء» لقتل مثل محمّد بن أبى بكر، و تصرف العدوّ مثل مصر.

«فما يدرك بكم ثأر» لعدم حمية لكم.

ص: ٥٦٠

«و لا يبلغ بكم مرام» أى: مقصد.

«دعوتكم إلى نصر إخوانكم» من أهل مصر.

«فجر جرت» الجرجرة: صوت يردّده البعير فى حنجرتة.

«جرجرة الجمل الأسر» قال الجوهري: بعير أسر إذا كانت بكركرته دبرة، قال الشاعر:

إن جنبى عن الفراش لناب كتجافى الأسر فوق الظراب

«و تناقلتم تناقل النّضو» البعير المهزول.

«الأدبر» كالدّبر ذو القرحة. قال: و هان على الأملس ما لاقى الدّبر.

«ثم خرج إلى منكم جنيد» تصغير الجند.

«متذائب ضعيف» و فى نسخة ابن ميثم^{١٣٥٠}: «ضعيف متذائب».

«كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ» اقتباس من قوله تعالى:

«يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ»^{١٣٥١}.

فى (البلاذرى) سار القبايع لقتال الخوارج من الكوفة إلى باجوا شهرا، فقال الشاعر:

سار بنا القبايع سيرا نكرا
يسير يوما و يقيم شهرا

قول المصنف: «قال الشريف» هكذا فى (المصرية)^{١٣٥٢} و فى (ابن أبى الحديد)^{١٣٥٣}: «قال الرضى رضى الله عنه»، و فى (الخطبة): «قال السيد».

«أقول» هكذا فى (المصرية) و هو زائد لعدم وجوده فى (ابن أبى الحديد و الخطبة).

ص: ٥٦١

«قوله عليه السلام (متدائب) أى: مضطرب من قولهم: (تدأبت الريح) أى:

اضطرب هبوبها» و من قولهم: «تدأبت الريح» أيضا سَمَّيتِ الذَّوَابُءُ بالذَّوَابُءِ، كما صرَّح به فى (الجمهرة).

«و منه يسمَّى» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (سمَّى) كما فى (ابن أبى الحديد و الخطبة).

«الذئب ذئبا» هكذا فى (المصرية) و ليس (ذئبا) فى (الخطبة) و فى (أصل ابن أبى الحديد) و إنما كتب فى الحاشية.

«لاضطراب مشبته» و الأصمعى عكس. قال الجوهري: تدأبت الريح أى: اختلفت و جاءت مرّة كذا و مرّة كذا. قال الأصمعى أخذ من فعل (الذئب) لأنه يأتى كذلك.

هذا، و ليس فى (ابن ميثم) بيان الرضى هنا رأسا، كما فى الشقشقية، هذا و يأتى فى الآتى أن الأصل فى هذا و ذاك واحد.

٧

الخطبة (١٧٨) و من خطبة له عليه السلام فى ذم أصحابه:

^{١٣٥١} (٢) الأنفال: ٦.
^{١٣٥٢} (٣) الطبعة المصرية ١: ٨٦.
^{١٣٥٣} (٤) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٣٠٠.

أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ - وَ عَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ أَيْتَهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِيعْ - وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ -
 إِنَّ أَهْلُكُمْ خُضْتُمْ وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ - وَإِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ - وَإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ - لَا أَبَا لِعَيْرِكُمْ مَا
 تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ - وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ - الْمَوْتُ أَوْ الذُّلُّ لَكُمْ - فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي وَلَيَأْتِيَنِي لِيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ - وَأَنَا لَكُمْ
 قَالِ وَ بِيَكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ - لِلَّهِ أَنْتُمْ أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ - أَوْ لَيْسَ عَجَبًا أَنْ؟ مُعَاوِيَةُ؟

ص: ٥٦٢

يَدْعُو الْجَفَاءَ الطَّعَامَ - فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ - وَأَنَا أَدْعُوكُمْ وَأَنْتُمْ تَرِيكُهُ الْإِسْلَامَ - وَبَقِيَّةُ النَّاسِ إِلَى الْمَعُونَةِ وَ طَائِفَةٌ
 مِنَ الْعَطَاءِ - فَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَ تَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ - إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضًا فَتَرْضَوْنَهُ - وَلَا سَخَطًا فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ - وَإِنْ
 أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَى الْمَوْتِ - قَدْ دَارَسْتُكُمْ الْكِتَابَ وَ فَاتَحْتُكُمْ الْحِجَابَ - وَ عَرَفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ وَ سَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَّجْتُمْ - لَوْ كَانَ
 الْأَعْمَى يَلْحَظُ أَوْ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ - وَ أَقْرَبُ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ؟ مُعَاوِيَةُ؟ - وَ مُؤَدِّبُهُمْ؟ ابْنُ النَّابِغَةِ؟ أَقُولُ: الْأَصْلُ فِيهِ وَ فِي
 سَابِقِهِ وَاحِدٌ، لَكِنَّهُ لَمَّا اخْتَلَفَتِ الرَّوَايَةُ فِي نَقْلِ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ اخْتَلَفَا.

قال المصنف في أول الكتاب: «إِنَّ رَوَايَاتِ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَخْتَلِفُ اخْتِلَافًا شَدِيدًا» وَ هُوَ وَ ان قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ يَعِيدُ كَلَامَهُ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ اسْتَظْهَارًا لِلَاخْتِيَارِ وَ غَيْرَةٍ عَلَى عَقَائِلِ الْكَلَامِ» إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَفَتَّحْ هُنَا وَ غَفَلَ، كَمَا قَالَ: «وَ رَبَّمَا بَعْدَ الْعَهْدِ بِمَا اخْتَبِرَ أَوْ لَا
 فَاعِيدُ بَعْضُهُ سَهْوًا وَ نَسْيَانًا». وَ لَمْ يَتَفَتَّحْ الشَّرَاحَ أَيْضًا، وَ إِنَّمَا زَادَ الْمَصْنَفُ ثَمَّةَ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ مَجِيءِ الْخَبَرِ بِقَتْلِ مُحَمَّدٍ
 بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَ أَصْحَابِهِ، مِنْ قَوْلِهِ: «دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرَجَرْتُمْ جَرَجْرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرَ، وَ تَتَاقَلْتُمْ تَتَاقُلُ النُّضُو الْأَدْبَرُ، ثُمَّ
 خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جَنِيدٌ مَتَذَائِبٌ...» وَ هُنَا زَادَ أَمُورًا أُخْرَى.

وَ نَقَلْنَا الْأَصْلَ فِي الْعَنْوَانِ ثَمَّةَ مِنْ خَبَرِ الطَّبْرِيِّ، وَ نَقَلْنَاهُ هُنَا مِنْ خَبَرِ الثَّقَفِيِّ، وَ الْأَصْلُ فِي الْخَبَرَيْنِ وَاحِدٌ، رَوَى الثَّقَفِيُّ الثَّقَفِيَّ -
 الْغَارَاتِ - ج ١ ص ٢٩٠^{١٣٥٤} عَنِ الْمَدَائِنِيِّ عَنِ الْحَرِثِ بْنِ كَعْبٍ عَنِ جَنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: وَ اللَّهُ إِنِّي لَعِنْدَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ -
 إِلَى أَنْ قَالَ - قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ص: ٥٦٣

عَلَى الْمَنْبَرِ: هَذَا صَرِيحُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَ إِخْوَانِكُمْ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ قَدْ سَارَ إِلَيْهِمْ ابْنُ النَّابِغَةِ - إِلَى أَنْ قَالَ - فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
 الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا قَضَى وَ قَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وَ ابْتِلَائِي بِكُمْ أَيْتَهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي لَا تُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُهَا وَ لَا تُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُهَا، لَا أَبَا لِعَيْرِكُمْ!
 مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَ الْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ؟ الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنَ الذُّلِّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَ اللَّهُ إِنْ جَاءَنِي الْمَوْتُ - وَلَيَأْتِيَنِي -
 وَ يَفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ إِنِّي لَصَحْبَتُكُمْ لِقَالٍ، أَلَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ؟ أَلَا حَمِيَّةٌ تَغِيظُكُمْ؟ أَلَا تَسْمَعُونَ بَعْدُكُمْ يَنْتَقِضُ بِلَادَكُمْ وَ يَشْنُ
 الْغَارَةَ عَلَيْكُمْ؟ أَوْ لَيْسَ عَجَبًا أَنْ مُعَاوِيَةُ يَدْعُو الْجَفَاءَ الطَّغَاءَ الظُّلْمَةَ، فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ عَطَاءٍ وَ لَا مَعُونَةٍ، فَيَجِيبُونَهُ فِي السَّنَةِ الْمَرَّةَ
 وَ الْمَرَّتَيْنِ وَ الثَّلَاثَ إِلَى أَى وَجْهِ شَاءَ، ثُمَّ أَنَا أَدْعُوكُمْ وَأَنْتُمْ - أَوَلُو النَّهْيِ وَ بَقِيَّةُ النَّاسِ - تَخْتَلِفُونَ وَ تَفْتَرِقُونَ عَنِّي وَ تَعَصُونََنِي وَ
 تَخَالَفُونَ عَلَيَّ

قول المصنف: «و من خطبة له عليه السّلام» هكذا في (المصرية)^{١٣٥٥} و الصواب:

(و من كلام له عليه السّلام) كما في (ابن أبي الحديد^{١٣٥٦} و ابن ميثم^{١٣٥٧} و الخطبة).

«الحمد لله على ما قضى من أمر و قدر من فعل» لأنّه يجب حمده في الضراء كما في السراء، و المراد على ما قضى و قدر من فتح العدو لمصر و قتل عامله و شيعته.

«و على ابتلائي بكم، أيتها الفرقة التي إذا أمرت» بلفظة المتكلم المعلوم.

«لم تطع، و إذا دعوت لم تجب» عن (غارات النقفى)^{١٣٥٨}: كان لعليّ عليه السّلام صديق يكنّى أبا مريم من أهل المدينة، فلمّا سمع بتشتت الناس عليه أتاها، فلمّا رآه قال عليه السّلام: أبو مريم؟ قال: نعم. قال: ما جاء بك؟ قال: لم آتكم لحاجة، و لكنّي

ص: ٥٦٤

أرى لو ولوك أمر هذه الامة أجزأتها. قال: يا أبا مريم، أنا صاحبك الذي عهدت، و لكنّي منيت بأخبت قوم على وجه الأرض، أدعوهم إلى الأمر فلا يتبعوني، فإذا تابعتهم على ما يريدون تفرّقوا عني.

«إن امهلتهم خضتم» الأصل في الخوض: الدخول في الماء، و يأتي للدخول في حديث الناس.

«و إن حوربتهم خرتهم» من: خار يخور، أي: ضعفتم و انكسرتهم.

«و إن اجتمع الناس على إمام طعنتم» و في نسخة ابن ميثم^{١٣٥٩}: «طعنتم».

«و إن اجئتم» أي: جىء بكم.

«إلى مشاقّة» أي: مغالطة العدو.

«نكصتم» أي: رجعتهم على أعقابكم.

«لا أبا لغيركم» أي: الرداءة لغيركم.

«ما تنتظرون» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (ما تنتظرون) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطبة).

١٣٥٥ (١) الطبعة المصرية ٢: ١٢١.

١٣٥٦ (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٦٧.

١٣٥٧ (٣) شرح ابن ميثم ٣: ٣٧٥.

١٣٥٨ (٤) الغارات للنقفى ١: ٦٨.

١٣٥٩ (١) شرح ابن ميثم ٣: ٣٧٥.

«بَنَصْرَكُمْ رَبَّكُمْ» هكذا في (المصرية)، و كلمة (رَبَّكُمْ) زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيئة).

«و الجهاد على حقكم» لأنهم كانوا هم المسلمين دون معاوية و أصحابه، فبلاد الإسلام كان واجبا أن تكون تحت أيديهم، يعني مع إمارته عليه السَّلام.

«لئن جاء يومى» جاء عليه السَّلام ب (إن) الموضوعه للشك لكون جوابه «ليفرقن...» غير متحقق الوقوع دون شرطه، و لذا جاء بالاستدراك و قال:

«و ليأتينى» بالتشديد.

«ليفرقن بينى و بنيكم و أنا» الواو للحالية.

ص: ٥٦٥

«لكم» هكذا في (المصرية) ١٣٦٠، و الصواب: (لصحبتكم) كما في (ابن أبي الحديد ١٣٦١ و ابن ميثم ١٣٦٢ و الخطيئة).

«قال» من القلى، أى: مبغض.

«و بكم غير كثير» قال الكراجكى في (كنزه): روى أن هذه الأبيات له عليه السَّلام:

أخذتكم درعا حصينا لتدفعوا	سهام العدى عني فكنتم نصالها
فإن أنتم لم تحفظوا لمودتي	ذمما فكونوا لا عليها و لا لها
قفوا موقف المعذور عني بجانب	و خلّوا بنا للعدى و نبالها

«لله أنتم! أما دين يجمعكم، و لا حمية تشحذكم» من: شحذت السكين، إذا حددته، و مرّ في سابقه بلفظ «تحمشكم».

«أ و ليس عجبا أن معاوية يدعو الجفأ» جمع الجافى، أى: الغلاظ.

«الطغام» أرذال الناس و أوغادهم، قال:

١٣٦٠ (١) الطبعة المصرية ٢: ١٢١.

١٣٦١ (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٦٧.

١٣٦٢ (٣) شرح ابن ميثم ٣: ٣٧٥.

فما فضل اللبيب على الطغام

«فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء» قال ابن أبي الحديد^{١٣٦٣}: المعونة للجند: شيء يسير برسم ترميم أسلحتهم وإصلاح دوابهم، ويكون ذلك خارجا عن العطاء المفروض شهرا فشهرًا.

قلت: العطاء أيضا أعم من فرض الشهر، إنما فرض الشهر يقال له:

الرزق، ولازم ما قال من كون العطاء الشيء المفروض أن يكون جند معاوية بدون أرزاق، وهو غير ممكن، وإنما لم يكن يعطيهم عطايا زائدة و معونات زائدة.

ص: ٥٦٦

«و أنا أدعوكم وأنتم تريكة الإسلام» قال ابن أبي الحديد^{١٣٦٤}: التريكة: بيضة النعام تتركها في مجتمها، أي: أنتم خلف الإسلام و بقيته كالبيضة التي يتركها النعامة.

و تبعه من تأخر عنه و هو خطأ، فبيضة النعامة رذيلة لا فضيلة، فمن أمثال العرب: أزدل من بيضة النعامة. قال الكرمانى فى (أمثاله) تترك النعامة بيضتها فى فلاة من الأرض فلا ترجع إليها

و الصواب: أنها بمعنى البقية، ففى (النهاية)^{١٣٦٥} فى حديث الحسن: « (إن لله ترائك فى خلقه) أراد امورا أبقاها الله فى العباد ...» فىكون المعنى: أنتم الذين ترككم الإسلام من أفراد و ملته.

«و بقية الناس» قال ابن أبي الحديد^{١٣٦٦}: هذا الكلام فى غاية اللطف، و معناه:

أن باقى الناس غير اتباعه لا يقال لهم: الناس، لعدم وجود الإنسانية فيهم، فكان الناس انقضوا إلا أتباعه عليه السلام فهم بقيتهم التى بقوا منهم.

«إلى المعونة و طائفة من العطاء، فتتفرقون عنى و تختلفون على» روى (غارات التقفى)^{١٣٦٧} خطبته عليه السلام فى غارة بسر- إلى أن قال- إن من ذل المسلمين و هلاك الدين أن ابن أبى سفيان يدعو الأرذال و الأشرار فيجاب، و أدعوكم- و أنتم الأفضلون الأخيار- فتراوغون و تدافعون، ما هذا بفعل المتقين.

^{١٣٦٣} (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٧١.

^{١٣٦٤} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٧١.

^{١٣٦٥} (٢) النهاية ١: ١٨٨.

^{١٣٦٦} (٣) لم نعثر على نص العبارة فى الفصل.

قال ابن أبي الحديد^{١٣٦٨}: كان معاوية يعطي الرؤساء و لا يعطي الأتباع،

ص: ٥٦٧

و أمّا هو عليه السّلام فكان يقسم بين الرؤساء و الأتباع، و لا يرى لشريف على مشروف فضلا.

قلت: روى النّفقى^{١٣٦٩}: أنّ أشراف الكوفة كانوا غاشّين له عليه السّلام و كان هواهم مع معاوية لأنّه عليه السّلام كان لا يعطي أحدا من الفئ أكثر من حقّه، و كان معاوية جعل الشرف فى العطاء ألفى درهم.

ثمّ كان عجبا كما قال عليه السّلام و فوق العجب أنّ معاوية- و كان معدن كلّ فجور و كفر، و منكر للكتاب و السنّة- لمّا أراد بالصورة و الخدعة أن يبايعه الناس على الكتاب و السنّة يقول له مالك بن هبيرة الكندى- من رجال الشام:-

جعلت للسفهاء مقالا، ابسط يدك ابايعك على ما أحببنا و كرهنا:

ألا كلّ ملك ضمّه الشرط هالك

و ينكر جمع منهم بيعة عدّة له عليه السّلام على أنّهم أولياء من و إلى و أعداء من عادى، مع أنّه عليه السّلام كان مظهر الكتاب و السنّة قولا و عملا.

«إنّه لا يخرج إليكم من أمرى رضا فترضونه، و لا سخط فتجتمعون عليه» قال ابن أبي الحديد^{١٣٧٠}: يعنى أنّكم لا تقبلون ممّا أقول لكم شيئا، سواء كان ممّا يرضيكم أو يسخطكم.

قلت: بل يعنى عليه السّلام أنّه كلّ ما خرج إليكم من أمرى شيء فيه رضى، و كان الواجب عليكم الرضا به لا ترضونه، و كلّ ما خرج إليكم من أمرى شيء فيه سخطى، و كان الواجب عليكم أن تسخطوا منه جميعا لا تجمعون على السخط منه، و ما قاله من عدم رضاهم بما يرضيهم لا معنى له.

ص: ٥٦٨

^{١٣٦٧} (٤) الغارات للنّفقى ٢: ٦٢٥.
^{١٣٦٨} (٥) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٧١.
^{١٣٦٩} (١) الغارات للنّفقى ١: ٤٤-٤٥.
^{١٣٧٠} (٢) شرح ابن أبي الحديد: ٧١.

و روى (غارات الثقفى)^{١٣٧١} فى غارة الغامدى: أنه عليه السلام قال فى خطبته: قد عاتبتم فى رشدكم حتى سئمت، و راجعتمونى بالهزء من قولكم حتى برمت، هزء من القول لا يعاذ به، و خطل لا يعزّ أهله، و لو وجدت بداً من خطابكم و العتاب إليكم ما فعلت، فردوا خيراً و افعلوه، و ما أظن أن تفعلوا.

«و إنَّ أحبَّ ما أنا لاقى إلى الموت» هكذا فى النسخ، و كأنه محرف: (و إنَّ أحبَّ ما أنا لاقيه الموت).

و كيف كان، ففى (العقد) قالت الحكماء: أشدّ من الموت ما إذا نزل بك أحببت له الموت، و أطيب من العيش ما إذا فارقتَه أبغضت له العيش.

«قد دارستكم الكتاب» قال ابن أبى الحديد^{١٣٧٢}: أى دارسته عليكم. دارست الكتب و تدارستها و ادرستها و درستها بمعنى، و هى من الألفاظ القرآنية.

قلت: لم تقف على من ذكر (ادرس) و إنّما فى القرآن مجردة: (درست و درسوا و تدرسون) ثم الظاهر أن المراد: علّمتكم درس القرآن و تفسيره، فإن الأصل فى تفسيره هو عليه السلام.

«و فاتحتكم الحجاج» أى: فتحت لكم أبواب الحاجة فى الدين، و هو عليه السلام أوّل من علّم الناس الاحتجاج فى دين الله، و قال ابن أبى الحديد^{١٣٧٣}: أى حاكمتمكم بالحاجة، و هو كما ترى.

«و عرفّتمكم ما أنكرتم» ممّا لبسه المتقدّمون عليه، على الناس.

«و سوّغتمكم» الأصل فيه: ساغ الشراب: سهل مدخله فى الحلق.

«ما مجبتم» و الأصل فى المج: مع الشراب من فيه، إذا رمى به، و المراد:

ص: ٥٦٩

ردّهم إلى السنن من بدع المتقدّمين عليه.

«لو كان الأعمى يلحظ» أى: يبصر.

«و النائم يستيقظ» أى: يسمع و يفهم، أى: كما أن لحظ الأعمى و يقيظ النائم محال، كذلك محال أن تفهموا- بعد أن دارستكم الكتاب، و فاتحتكم الحجاج و عرفّتمكم ما أنكرتم و سوّغتمكم ما مجبتم- مقامى و أنّى من جعله الله إماماً للناس، و أنّ المتقدّمين عليه كانوا ضالّين «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»^{١٣٧٤}.

^{١٣٧١} (١) الغارات للثقفى ٢: ٤٧٤.

^{١٣٧٢} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٠: ٧٢.

^{١٣٧٣} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٠: ٧٢.

و قال ابن أبي الحديد^{١٣٧٥}: أيضا: معنى الكلام قد فعلت معكم ما يقتضى حصول الاعتقادات الحقيقية فى أذهانكم، لو أزلتم عن قلوبكم ما يمنع من حصولها، من الهوى و العصبية و الإصرار على اللجاج، و محبة نصره عقيدة قد سبقت إلى القلب، و زرعها فيه التعصب و مشقة مفارقة الأسلاف الذين قد انغرس فى النفس تعظيمهم، و مالت القلوب إلى تقليدهم لحسن الظن بهم.

«و أقرب بقوم من الجهل بالله قاندهم معويه، و مؤدبهم ابن النابغة» أى:

عمرو بن العاص، و فى (الطبرى)^{١٣٧٦} عن زيد بن وهب: مرّ علىّ عليه السّلام فى صفّين على جماعة من أهل الشام- فيهم الوليد بن عقبة- و هم يشتمونه، فخير بذلك فوقف فى من يليهم من أصحابه فقال: انهدوا إليهم و عليكم السكينة و وقار الإسلام و سيما الصالحين، فوالله لأقرب قوم من الجهل قوم قاندهم و مؤدبهم معاوية و ابن النابغة و أبو أعور السلمى، و ابن أبى معط شارب الخمر المجلود حدّا فى الإسلام، و هم أول من يقومون فينقصوننى.

ص: ٥٧٠

و فى (طرائف ابن طاوس) عن بعضهم فى معاوية و عمرو فى تغييرهما السنّة فى التختم من اليمين إلى الشمال:

للقائلين بدعوة الإخلاص

سنّ التختّم فى اليمين محمّد

و أعانه فى ذلك ابن العاص

فسعى ابن هند فى إزالة رسمه

هذا، و لابن أبى نعيم فى يحيى بن أكثم القاضى و الخليفة العباسى و امرائهم:

يلوط و الراس شرّ ما راس

أميرنا يرتشى و حاكمنا

يرى على من يلوّط من باس

قاض يرى الحدّ فى الزنا و لا

الامّة وال من بنى العباس

ما أحسب الجور ينقضى و على

الخطبة (٤٤) و من كلام له عليه السلام لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملكت عليه فقتل:

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوَلِيَّةَ؟ مِصْرَ؟؟ هَاشِمُ بْنُ عَتْبَةَ؟- وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَّا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ- وَلَا أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ- بَلَا ذَمٌّ؟ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ؟- فَلَقَدْ كَانَ إِلَى حَبِيبٍ وَكَانَ لِي رَبِيبًا أَقُولُ: قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ- شرح نهج البلاغة- ج ٦ ص ٩٣^{١٣٧٧}:
روى المدائني: أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا، كَانَ غَلَامًا حَدَثًا، لَقَدْ كُنْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَوَّلِيَ الْمَرْقَالَ هَاشِمُ بْنُ عَتْبَةَ مِصْرًا، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَوْ وَلَّيْتُهَا مَا خَلَّى لِابْنِ الْعَاصِ وَأَعْوَانِهِ الْعَرْصَةَ، وَلَا قَتَلَ إِلَّا وَسَيْفَهُ فِي يَدِهِ، بَلَا ذَمٌّ لِمُحَمَّدٍ، فَلَقَدْ أَحْمَدَ نَفْسَهُ وَ قَضَى مَا عَلَيْهِ.

قلت: و روى الطبري الطبري- تاريخ الطبري- ج ٥ ص ١١٠^{١٣٧٨} عن أبي مخنف مثله، لكن فيه: «و أعوانه الفجرة»،

ص: ٥٧١

و فيه: «فقد اجتهد نفسه».

قول المصنف: «و من كلام له عليه السلام لما قلد» قال الجوهري: «قلدت المرأة فتقلدت هي». و منه التقليد في الدين، و تقليد الولاة الأعمال.

«محمد بن أبي بكر مصر فملكت عليه فقتل» هكذا في (المصرية)^{١٣٧٩} و الصواب: (و قتل) كما في (ابن أبي الحديد)^{١٣٨٠} و ابن ميثم^{١٣٨١} و الخطبة).

ثم إنَّ ابن أبي الحديد^{١٣٨٢} نقل مقتله من (غارات الثقفى)^{١٣٨٣}، و أنقله من (تاريخ الطبري)^{١٣٨٤}، فروى عن أبي مخنف: أَنَّ أَهْلَ الشَّامِ لَمَّا انْصَرَفُوا مِنْ صَفَيْنَ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ مَا يَأْتِي بِهِ الْحُكَّامُ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا وَ تَفَرَّقُوا بَايَعَ أَهْلُ الشَّامِ مَعَاوِيَةَ بِالْخِلَافَةِ وَ لَمْ يَزِدْ إِلَّا قُوَّةً، وَ اخْتَلَفَ النَّاسُ بِالْعِرَاقِ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَمَا كَانَ لِمَعَاوِيَةَ هُمْ إِلَّا مِصْرَ، وَ كَانَ لِأَهْلِهَا خَائِفًا لِقُرْبِهِمْ مِنْهُ وَ شِدَّتِهِمْ عَلَى مَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِ عُثْمَانَ، وَ قَدْ كَانَ عَلَى ذَلِكَ عِلْمٌ أَنَّ بَهَا قَوْمًا سَاءَ هَمُّهُمْ قَتْلَ عُثْمَانَ وَ خَالَفُوا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ كَانَ يَرْجُو أَنَّ يَكُونَ إِذَا ظَهَرَ عَلَيْهَا ظَهَرَ عَلَى حَرْبٍ عَلَى لِعَظَمِ خِرَاجِهَا، فَدَعَا مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قُرَيْشٍ: عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَ حَبِيبُ بْنُ مُسْلِمَةَ وَ بَسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةٍ وَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ وَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَ مِنْ غَيْرِهِمْ: أَبَا الْأَعْوَرِ السَّلْمَى وَ حَمْزَةَ بْنَ مَالِكِ الْهَمْدَانِيَّ وَ شَرْحِبِيلَ الْكِنْدِيَّ، فَقَالَ لَهُمْ: أَ تَدْرُونَ لِمَ دَعَوْتُكُمْ؟ فَقَالَ عَمْرُو: أَهْمَكَ أَمْرُ هَذِهِ الْبِلَادِ الْكَثِيرِ خِرَاجِهَا وَ الْكَثِيرِ عِدْدِهَا، فَاعْزَمَ وَ أَقْدَمَ، وَ نَعِمَ الرَّأْيُ رَأَيْتَ.

^{١٣٧٧} (١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٩٣.

^{١٣٧٨} (٢) تاريخ الطبري ٥: ١١٠.

^{١٣٧٩} (١) الطبعة المصرية ١: ١١٣.

^{١٣٨٠} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٥٣.

^{١٣٨١} (٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٨٦.

^{١٣٨٢} (٤) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٨٤-٨٧.

^{١٣٨٣} (٥) الغارات للثقفى ١: ٢٧٠.

^{١٣٨٤} (٦) تاريخ الطبري ٥: ٩٧.

فقال معاوية: رأيتم كيف صنع الله بكم؟ جاءكم عدوكم و هم لا يرون إلّا أنّهم سيقبضون ببضتكم و يخربون بلادكم. فكتب عند ذلك معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري و إلى معاوية بن حديج الكندي - و كانا خالفا عليّا عليه السّلام:-

فاصبروا و صابروا عدوكم، و ادعوا المدبر هداكما و كأن الجيش قد أظلم عليكم، فانقشع كلّ ما تكرهان و كان كلّ ما تهويان - إلى أن قال في جواب مسلمة لمعاوية- عجل علينا خيلك و رجلك فإنّ عدوّنا قد كان علينا حربا و كنّا فيهم قليلا، فقد أصبحوا لنا هائبين و أصبحنا لهم مقرنين، فإن يأتنا الله بمدد من قبلك يفتح الله عليكم - إلى أن قال - فبعث معاوية عمرا في ستة آلاف رجل فخرج يسير حتى نزل أدنى أرض مصر، فاجتمعت العثمانية إليه فأقام بهم و كتب إلى محمد بن أبي بكر: تنحّ عنّي بدمك يا بن أبي بكر فإنّي لا أحب أن يصيبك منّي ظفر، إنّ النّاس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافتك و رفض أمرك و ندموا على اتباعك، فهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان فاخرج منها فإنّي لك من الناصحين. و بعث عمرو كتابه مع كتاب معاوية إلى محمد. و في كتاب معاوية: إنّ غب البغي و الظلم عظيم الوبال، و إنّ سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النّقمة في الدنيا و من التبعة الموبقة في الآخرة، و إنّنا لا نعلم أحدا كان على عثمان أعظم بغيا و لا أسوأ له عيبا و لا أشدّ خلافا عليه منك، سعت عليه في الساعين و سكفت دمه في السافكين، ثمّ تظنّ أنّي عنك نائم أو ناس لك، حتى تؤمّر فتأمر على بلاد أنت فيها جاري و جلّ أهلها أنصاري، يرون رأيي و يرقبون قولي و يستصرخوني عليك؟ و قد بعثت إليك أقواما خناقا عليك، يستسقون دمك و قد أعطوا الله عهدا ليمنّلك بك، و لو لم يكن منهم إليك ما عدا قتلك ما حذرتك و لا أنذرتك و لا أحببت أن يقتلوك بظلمك و قطيعتك و عدوك على عثمان، يوم تطعن بمشاقصك بين خششائه و أوداجه، و لكن

أكره أن أمثّل بقرشي، و لن يسلمك الله من القصاص أبدا أينما كنت. فطوى محمد بن أبي بكر كتابيهما و بعث بهما إلى عليّ عليه السّلام و كتب معهما: إنّ ابن العاص قد نزل أدنى أرض مصر في لجب من جيش خرب، و إنّ من كان بها على مثل رأيه خرج إليه، و قد رأيت ممّن قبلي بعض الفشل، فإن كان لك في أرض مصر حاجة فأمدني بالرجال و الأموال. فكتب إليه عليّ عليه السّلام: جاءني كتابك تذكر أنّ ابن العاص نزل بأدنى أرض مصر، و أنّ من كان بها على مثل رأيه خرج إليه، و خروج من يرى رأيه إليه خير لك من إقامتهم عندك، و ذكرت أنّك قد رأيت في بعض ممّن قبلك فشلا، فلا تفشل و إنّ فشلا، حصّن قريتك و اضمم إليك شيعتك، و اندب إلى القوم كنانة بن بشر المعروف بالنّصيحة و النجدة و البأس، فإنّي نادب إليك النّاس على الصّعب و الذلّول، فاصبر لعدوك و امض على بصيرتك، و قاتلهم على نيّتك و جاهدهم صابرا محتسبا، و إن كانت فتنتك أقلّ الفتنين فإنّ الله قد يعزّز القليل و يخذل الكثير. و قد قرأت كتاب الفاجر ابن الفاجر معاوية و الفاجر ابن الكافر عمرو، المتحابين في عمل المعصية و المتوافقين المرتشين في الحكومة، المنكرين في الدنيا (قد استمتعوا بخلافهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلافهم)^{١٣٨٥}، فلا يهلك إرعادهما و إبراقيهما و أجهما، إنّ كنت لم تجهما بما هما أهله فإنّك تجد مقالا ما شئت.

فكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية جواب كتابه: أتاني كتابك تذكرني من أمر عثمان أمرا لا أعتذر إليك منه، و تأمرني بالتسحي عنك كأنك لي ناصح، و تخوفني المثلة كأنك شفيق، و أنا أرجو أن تكون لي الدائرة عليكم فأجتاحكم في الوقعة، و أن تؤتوا النصر و يكن لكم الأمر في الدنيا، فكم لعمري ما من

ص: ٥٧٤

ظالم قد نصرتم، و كم من مؤمن قد قتلتم و مثلتم به، و إلى الله مصيركم و مصيرهم، و إلى الله مرد الامور و هو أرحم الراحمين و هو المستعان على ما تصفون.

و كتب إلى عمرو: زعمت أنك تكره أن يصيبني منك ظفر، و أشهد أنك من المبطلين، و تزعم أنك لي نصيح، و اقسم أنك عندى ظنين، و تزعم أن أهل البلد قد رفضوا رأيي و ندموا على اتباعي، فأولئك لك و للشيطان الرجيم أولياء، و حسبنا الله رب العالمين.

فأقبل عمرو حتى قصد مصر، فقام محمد في الناس فقال: معاشر المسلمين و المؤمنين، إن القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمه و ينعشون الضلال، و يشبون نار الفتنة و يتسلطون بالجبرية، قد نصبوا لكم العداوة و ساروا إليكم بالجنود. عباد الله، فمن أراد الجنة و المغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدهم. فلما دنا عمرو من كنانة سرح الكتائب كتيبة بعد كتيبة، فجعل كنانة لا تأتيه كتيبة إلا شد عليها بمن معه حتى يقربها بعمرو، فعل ذلك مرارا، فلما رأى عمرو ذلك بعث إلى معاوية بن حديج فأتاه في مثل الدهم، فأحاط بكنانة و أصحابه و اجتمع أهل الشام عليهم من كل جانب، فلما رأى ذلك كنانة نزل عن فرسه و نزل أصحابه و كنانة يقول: «و ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا و من يرد ثواب الدنيا نُؤتِه منها و من يرد ثواب الآخرة نُؤتِه منها و سنجزي الشاكرين»^{١٣٨٦}. فضاربهم بسيفه حتى استشهد.

و أقبل عمرو نحو محمد و قد تفرق عنه أصحابه - لما بلغهم قتل كنانة - حتى بقي و ما معه أحد من أصحابه، فلما رأى ذلك خرج يمشى في الطريق حتى انتهى إلى خربة في ناحية الطريق فأوى إليها، و جاء عمرو حتى دخل

ص: ٥٧٥

الفسطاط، و خرج معاوية بن حديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج في قارعة الطريق، فسألهم: هل مر بكم أحد تنكرونه؟ فقال أحدهم: إنني دخلت تلك الخربة فإذا أنا برجل فيها جالس. فقال ابن حديج: هو و رب الكعبة. فانطلقوا يركضون حتى دخلوا عليه فاستخرجوه و قد كاد يموت عطشا، فأقبلوا به نحو فسطاط مصر، و وثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو - و كان في جنده - فقال: أ تقتل أخى صبرا؟ ابعث إلى ابن حديج فانهه. فبعث إليه عمرو يأمره أن يأتيه بمحمد، فقال: قتلتم كنانة و اخلّى أنا عن محمد؟ هيهات «أ كفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر»^{١٣٨٧}؟ فقال لهم محمد:

^{١٣٨٦} (١) آل عمران: ١٤٥.
^{١٣٨٧} (١) القمر: ٤٣.

اسقوني. فقال ابن حديج: لا سقاه الله ان سقاك قطرة أبدا، إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائما محرما، فتلقيه الله بالرحيق المختوم، والله لأقتلنك يا بن أبي بكر فيسقيك الله الحميم والعساق. فقال له محمد: يابن اليهودية النساجة، ليس ذلك إليك ولا إلى من ذكرت، إنما ذلك إلى الله عز وجل، يسقى أوليائه ويطمئئ أعداءه أنت وضرباؤك ومن تولاه، أما والله لو كان سيفي في يدي ما بلغت مني هذا. قال له ابن حديج: أتدرى ما أصنع بك؟ ادخلك في جوف حمار ثم احرقه عليك بالنار. فقال له محمد: إن فعلتم ذلك بي فطالما فعل ذلك بأوليائه الله، وإنني لأرجو هذه النار التي تحرقني بها، أن يجعلها الله عليّ بردا وسلاما كما جعلها على خليله إبراهيم عليه السلام، وإن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه، إن الله يحرقك ومن ذكرته قبل - يعني: عثمان - واماكم - يعني: معاوية - وهذا - وأشار إلى عمرو - بنار تلظى عليكم كلما خبت زادها الله سعيرا. قال له ابن حديج: إنني إنما أقتلك بعثمان. قال له محمد. وما أنت و عثمان؟ إن عثمان عمل بالجور ونذ حكم القرآن، وقد قال

ص: ٥٧٦

تعالى: «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»^{١٣٨٨} فنقمنا عليه ذلك، وحسنت أنت ونظراؤك له ذلك، فقد برأنا الله تعالى من ذنبه، وأنت شريكه في إثمه وعظم ذنبه وجاعلك على مثاله. فغضب ابن حديج فقدمه فقتله، ثم ألقاه في جيفة حمار ثم أحرقه بالنار.

قوله عليه السلام: «وقد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة» إن هاشما وإن كان قتل في صفين سنة (٣٧) وقتل محمد بن أبي بكر في مصر كان في سنة (٣٨) إلا أن توليته عليه السلام لمحمد كان قبل صفين بعد عزل قيس بن سعد بن عباد عنها، وأراد عليه السلام تولية هاشم فطلب منه عليه السلام ابن أخيه عبد الله بن جعفر - أخو محمد لأمه - تولية محمد.

«ولو وليته» أي: هاشما.

«إياها» يعني: مصر.

«لما خلى لهم العرصة» قال ابن دريد: عرصة الدار: ما لا بناء فيه. ومثله الجوهري، وفي (الأساس): قال النضر: لو جلست في بيت من بيوت الدار كنت جالسا في العرصة، بعد ألا تكون في العلو.

وكيف كان، فعدم تخلية العرصة كناية عن عدم إعطائهم المهلة.

«ولا أنزههم الفرصة» يعني: لا يعطيهم فرصة يغتيمونها، هذا، وقد عرفت أن الطبري والمدائني روبا بدل «ولا أنزههم الفرصة»: «ولما قتل إلّا وسيفه في يده».

هذا، و هاشم ابن أخى سعد بن أبى وقاص - و فى (الاستيعاب)^{١٣٨٩} - كانت رايه على عليه السلام على الرجاله يوم صفين بيده، و هو القاتل يوم صفين:

ص: ٥٧٧

قد عالج الحياه حتى ملأ

أعور يبغي أهله محلاً

لا بد أن يفلّ أو يفلّا

و قطعت رجله يومئذ، فجعل يقاتل من دنا منه و هو بارك و يقول:

الفحل يحمى شوله معقولا

و قاتل حتى قتل.

و فى (صفين نصر)^{١٣٩٠}: و لما سقط هاشم من طعنه شقت بطنه رفع رأسه فاذا هو بعبيد الله بن عمر بن الخطاب قتيلا إلى جانبه، فجثا حتى دنا منه فعضّ على ثديه حتى تبيّنت فيه أنيابه، ثم مات و هو على صدر عبيد الله.

و فيه^{١٣٩١}: كان على عليه السلام قال لهاشم - كهيهة المازح -: أبا هاشم، أما تخشى من نفسك أن تكون أعور جبانا؟ فقال: ستعلم يا أمير المؤمنين، و الله لألفنّ بين جماجم القوم لفّ رجل ينوى الآخرة

و فيه^{١٣٩٢}: مرّ على عليه السلام يوم صفين على هاشم و على عصابة من أسلم من القراء أصيبوا معه فقال:

صباح الوجوه صرّعوا حول هاشم

جزى الله خيرا عصابة أسلمية

^{١٣٨٩} (٢) الاستيعاب ٣: ٦١٩ - ٦٢٠.
^{١٣٩٠} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥٥.
^{١٣٩١} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٢٧.
^{١٣٩٢} (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥٦.

و فى (الاستيعاب)^{١٣٩٣}: فقئت عينه يوم اليرموك، و افتتح جلواء الذى يقال له: فتح الفتوح، و كان سبب الفتح على المسلمين فى القادسية.

«بلا ذم لمحمد» لأنه جاهد حتى لم يبق معه أحد.

«فلقد كان إلىّ حبيبا و كان لى ربيبا» هكذا رواية المصنّف، و قد عرفت أنّ المدائنى و الطبرى رويَا بدل هذا الكلام: «فلقد اجتهد نفسه و قضى ما عليه»

ص: ٥٧٨

و هو الأنسب بقوله: «بلا ذم لمحمد» دون ما نقله المصنّف، فحبيب الإنسان كربيبة قد يكون مذموما، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ»^{١٣٩٤}.

و الظاهر أنّه عليه السّلام قال هذا الكلام، غير متصل بذلك الكلام فقال المدائنى:

قيل لعلّى عليه السّلام: لقد جزعت على محمد بن أبى بكر؟ فقال: و ما يمنعنى؟ إنّ كان لى ربيبا، و كان لى أخا، و كنت له والدا. أعدّه ولدا و مثله المسعودي^{١٣٩٥} فقال:

قال عليه السّلام: ما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحرب جزعى عليه، كان لى ربيبا و كنت أعدّه ولدا، كان بى برّا

و كيف كان، كان محمد ربيبه عليه السّلام لأنّه تزوّج بأمّه أسماء بنت عميس و ربّاه عليه السّلام لأنّه كان يوم موت أبيه ابن ثلاث، و فى (الكشّى): كانت نجابته من قبل أمّه أسماء.

و فى (المروج)^{١٣٩٦}: لمّا وصل محمد إلى مصر بعد قيس كتب إلى معاوية- بعد ذكر بعث الله تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله:- فكان أوّل من أجاب و أناب و آمن و صدّق و أسلم و سلّم: أخوه و ابن عمّه علىّ بن أبى طالب، صدّقه بالغيب المكتوم و أثره على كلّ حميم، و وقاه بنفسه كلّ هول و حارب حربه و سالم سلمه، فلم يبرح مبتذلا لنفسه فى ساعات الليل و النهار و الخوف و الجوع، حتى برز سابقا لا نظير له فى من اتّبعه و لا مقارب له فى فعله، و قد رأيتك تساميه و أنت أنت و هو هو، أصدق الناس نيّة و أفضل الناس ذرية، و خير الناس زوجة و أفضل الناس ابن عمّ و أخوه الشارى بنفسه يوم موته، و عمّه سيد الشهداء

ص: ٥٧٩

^{١٣٩٣} (٤) الاستيعاب ٣: ٦١٧.

^{١٣٩٤} (١) القصص: ٥٦.

^{١٣٩٥} (٢) المسعودي ٢: ٤٠٩.

^{١٣٩٦} (٣) مروج الذهب ٣: ١١.

يوم احد و أبوه الذاب عن النبي صلى الله عليه و آله و عن حوزته، و أنت اللعين ابن اللعين لم تزل أنت و أبوك تبغيان للنبي صلى الله عليه و آله الغوائل، و تجهدان في إطفاء نور الله، تجمعان على ذلك الجموع و تبدلان فيه المال و تؤلبان عليه القبائل، على ذلك مات أبوك و عليه خلفته، و الشهيد عليك من يدني و يلجأ إليك من بقية الأحزاب و رؤساء النفاق، و الشاهد لعلّي عليه السلام- مع فضله المبين القديم- انصاره الذين معه، الذين ذكرهم الله بفضلهم و أثنى عليهم من المهاجرين و الأنصار، فكيف- يا لك الويل- تعدل نفسك بعلّي عليه السلام و هو وارث النبي صلى الله عليه و آله و وصيّيه و أبو ولده، أول الناس له اتباعاً و أقربهم به عهداً، يخبره بسرّه و يطلعه على أمره، و أنت عدوّه؟ فتمتّع في دنياك ما استطعت بباطلك و ليمددك ابن العاص في غوايتك، فكأن أجلك قد انقضى- إلى أن قال- فكتب: من معاوية بن صخر إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر: أتانى كتابك و لأبيك فيه تعنيف، ذكرت فيه فضل ابن أبي طالب و قديم سوابقه و قرابته إلى النبي صلى الله عليه و آله و مواساته إياه في كل هول و خوف، فقد كنّا- و أبوك فينا- نعرف فضل ابن أبي طالب و حقّه لازماً لنا مبروراً علينا، فلما قبض الله نبيّه كان أبوك و فاروقه أول من ابتزّه حقّه و خالفه على أمره، على ذلك اتّفقا و اتّسقا ثم إنهما دعواه إلى بيعتهما، فأبطأ عنهما و تلكأ عليهما، فهما به الهموم و أرادا به العظيم، ثم إنّه بايع لهما و سلّم لهما، و أقاما لا يشركانه في أمرهما و لا يطلعانه على سرهما حتى قبضا، ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما و سار بسيرهما- إلى أن قال- و قس شبرك بفترك تقصر أن توازن من يزن الجبال بحلمه، أبوك مهّد مهاده و بنى له ملكه و شاده، فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك استبد به و نحن شركاؤه، و لو لا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب و لسلمنا إليه، و لكنّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثاله، فعب أباك بما بدا لك، أو دع ذلك.

ص: ٥٨٠

٩

الكتاب (٣٥) و من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر:

أَمَا بَعْدُ فَإِنْ؟ مِصْرٌ؟ قَدْ افْتُتِحَتْ- وَ؟ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ؟ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ اسْتُشْهِدَ- فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَدًا نَاصِحًا وَ عَامِلًا كَادِحًا- وَ سَيْفًا قَاطِعًا وَ رُكْنًا دَافِعًا- وَ قَدْ كُنْتُ حَشَتُ النَّاسِ عَلَى لِحَاقِهِ- وَ أَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوُقْعَةِ- وَ دَعَوْتُهُمْ سِرًّا وَ جَهْرًا وَ عَوْدًا وَ بَدْءًا- فَمِنْهُمْ الْآتِي كَارَهَا وَ مِنْهُمْ الْمُعْتَلُّ كَاذِبًا- وَ مِنْهُمْ الْقَاعِدُ خَاذِلًا- وَ أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ فَرَجًا عَاجِلًا- فَوَاللَّهِ لَوْ لَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ- وَ تَوَطُّيْنِي نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ- لَأَحْبَبْتُ أَلَّا أَبْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْمًا وَاحِدًا- وَ لَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَدًا أَقُول: رواه الطبري في (تاريخه الطبري- تاريخ الطبري- ج ٥ ص ١٠٩) ١٣٩٧ و الثقفي في (غاراته الثقفي- الغارات- ج ١ ص ٢٩٩ و ٣٠٠) ١٣٩٨ بدون قوله:

«ولدا ناصحا و عاملا كادحا و سيفا قاطعا و ركنا دافعا».

١٣٩٧ (١) التاريخ للطبري ٥: ١٠٩.
١٣٩٨ (٢) الغارات للثقفي ١: ٢٩٩.

و روي^{١٣٩٩} أيضا جواب ابن عباس لكتابه عليه السلام: رحم الله محمد بن أبي بكر و آجرک فيه، و قد سألت الله أن يجعل لك من رعيته التي ابتليت بها فرجا و مخرجا، و أن يعزك بالملائكة عاجلا بالنصرة، فإن الله صانع لك ذلك و معزك و مجيب دعوتك و كابت عدوك، أخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما تقاتلوا ثم ينشطون، فافرق بهم. قال الثاني و روى أن ابن عباس قدم

ص: ٥٨١

من البصرة عليه عليه السلام فعزاه به.

و روي^{١٤٠٠} أيضا: أنه عليه السلام قام في الناس خطيبا و قال: ألا إن مصر قد افتتحها الفجرة اولو الجور و الظلم، الذين صدوا عن سبيل الإسلام و بغوا الإسلام عوجا، ألا و إن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله فعند الله نحسبه، أما و الله أن كان ما علمت: لمن ينتظر القضاء و يعمل للجزاء و يبغض شكل الفاجر و يحب هدى المؤمن.

و روى الكليني في (رسائله): أن الناس سألوه عن أبي بكر و عمر و عثمان فعضب عليه السلام و قال: قد تفرغتم للسؤال عما لا يعنيكم، و هذه مصر قد افتتحت و قتل معاوية بن حديج محمد بن أبي بكر، فيا لها من مصيبة ما أعظمها! فو الله ما كان إلّا كبعض بنى. و قريب منه في (خلفاء القتيبي).

قول المصنف: «و من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس» هكذا في (المصرية)^{١٤٠١} و زاد ابن أبي الحديد^{١٤٠٢} و ابن ميثم^{١٤٠٣} بعده: «رحمه الله».

«بعد مقتل محمد بن أبي بكر» هكذا في (المصرية) و فيها سقط فزاد (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب) بعده: «بمصر».

قوله عليه السلام: «أما بعد، فإن مصر قد افتتحت» و كان فتحها في سنة (٣٨).

«و محمد بن أبي بكر قد استشهد» قتل صبورا ثم احرق، و إنما قتلوه هكذا لكونه شيعة، و ما دافع عنه أخوه لأبيه عبد الرحمن بن أبي بكر لذلك، و إنما قال لفظا لابن العاص: أ تقتلون أخي صبورا. و لو لم يكن شيعة عليه السلام لما قتلوه لكونه ابن أبي بكر و لأخيه عبد الرحمن و لاخته عايشة.

ص: ٥٨٢

«فعند الله نحسبه» فقد عرفت أن مصيبتة كانت عليه عليه السلام عظيمة حتى رأى ذلك في وجهه.

^{١٣٩٩} (٣) الغارات للنفقي ١: ٣٠٠.

^{١٤٠٠} (١) الغارات للنفقي ١: ٢٩٥.

^{١٤٠١} (٢) الطبعة المصرية ٣: ٦٧.

^{١٤٠٢} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٥.

^{١٤٠٣} (٤) شرح ابن ميثم ٥: ٧٦.

«ولدا ناصحا» فإنّ الربيب كالولد.

«و عاملا كادحا» أى: مجدداً.

«و سيفاً قاطعاً و ركناً دافعاً» كما عرفت فى سابقه من كتابه إلى معاوية فى شأنه.

«و قد كنت حثت الناس على لحاقه» و دركه.

«و أمرتهم بغياثه قبل الوقعة» أى: إيقاع العدو به.

«و دعوتهم سراً و جهراً و عوداً و بدءاً» فقال عليه السّلام لهم لمّا جاءه صريح محمّد:

أخرجوا إلى الجرعة- و هى قرية بين الحيرة و الكوفة- فوافونى بها هناك غدا.

ثم خرج عليه السّلام يمشى من الغد بكرة إلى الجرعة فأقام بها حتى انتصف النهار فلم يوافه أحد، فرجع بالعشى إلى أشرافهم و أنبهم، فقام مالك بن كعب الأرحبى و قال: اندب الناس معى. فأمر مناديه أن ينتدبوا فخرج معه قليل نحو ألفى رجل، فقال عليه السّلام له: سر فوالله ما أخوا لك تدركوا القوم حتى ينقضى أمرهم. و قال عليه السّلام فى خطبته بعد شهادة محمّد و أصحابه: و قد دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع و خمسين ليلة، فتجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق.

«فمنهم الآتى كارها و منهم المعتل» أى: الآتى بالعلّة لتخلّفه كاذبا.

«و منهم القاعد خاذلا و أسأل الله» هكذا فى (المصرية) ١٤٠٤ و الصواب: (اسأل الله) كما فى (ابن أبى الحديد) ١٤٠٥ و ابن ميثم (١٤٠٦).

ص: ٥٨٣

«أن يجعل منهم» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (أن يجعل لى منهم) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم).

«فرجا عاجلا، فوالله لو لا طمعى عند لقائى عدوّى فى الشهادة و توطيئى نفسى على المنية» أى: الموت.

«لأحببت ألا أبقى مع هؤلاء يوما واحدا، و لا التقى بهم أبدا» و كان عليه السّلام غير مسرور من الناس بعد عملهم معه يوم السقيفة و لو كانوا مجدين معه، فقال عليه السّلام: «لو لا ما أخذ الله على العلماء ألا يقارّوا على كظّة ظالم و لا سغب مظلوم، لألقيت حبلا على غاربها و لسقيت آخرها بكأس أولها» و كيف و قد عاملوه عليه السّلام تلك المعاملة، و كان عملهم جزاء

١٤٠٤ (١) الطبعة المصرية ٣: ٦٧.

١٤٠٥ (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٦: ١٤٥.

١٤٠٦ (٣) شرح ابن ميثم ٥: ٧٦.

من الله تعالى لهم بعملهم في السقيفة و في يوم الدار «وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ»^{١٤٠٧} فأبدلهم الله به و بأهل بيته - أهل بيت الرحمة - بني أمية الشجرة الملعونة في القرآن.

١٠

الخطبة (٤٧) و من كلام له عليه السلام:

كَمْ أَذَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبَكَارُ الْعَمِدَةُ - وَ الثَّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ - كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهْتَكَتْ مِنْ آخَرٍ - أَكُلَّمَا أَطْلَّ عَلَيْكُمْ مُنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ؟ الشَّامِ؟ - أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ - وَ انْجَحَرَ انْجَحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا وَ الضَّبُعِ فِي وَجَارِهَا - الذَّلِيلُ وَ اللَّهُ مَنْ نَصْرْتُمُوهُ - وَ مَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ - إِنَّكُمْ وَ اللَّهُ لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ الرِّايَاتِ - وَ إِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَ يُقِيمُ أَوْدَكُمْ - وَ لَكِنِّي لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي - أَضَرَعَ اللَّهُ خُدُودَكُمْ وَ اتَّعَسَ جُدُودَكُمْ - لَا

ص: ٥٨٤

تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ - وَ لَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَاِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ أَقُول: لم يهتد أحد من الشراح إلى الأصل في هذه الخطبة، و قد عرفت في السادس أن الأصل فيها في غارة النعمان بن بشير على عين التمر، و أن ابن أبي الحديد توهم أن تلك الخطبة كانت في غارة النعمان، مع أن تلك كانت في مقتل محمد بن أبي بكر في فتح مصر.

روى اليعقوبي في (تاريخه اليعقوبي - تاريخ اليعقوبي - ج ٢ ص ١٩٥)^{١٤٠٨}: أن معاوية وجه النعمان بن بشير فأغار على مالِك بن كعب الأرحبي، و كان عامل على عليه السلام على مسلحة عين التمر، فندب على عليه السلام الناس فقال: يا أهل الكوفة انتدبوا إلى أخيبكم مالِك بن كعب، فإن النعمان بن بشير قد نزل به في جمع ليس بكثير، لعل الله أن يقطع من الظالمين طرفا. فأبطؤوا و لم يخرجوا فصعد المنبر فتكلم كلاما خفيا لم يسمع، فظن الناس أنه عليه السلام يدعو الله، ثم رفع صوته فقال: أما بعد، يا أهل الكوفة، أكلما أقبل منسر من مناسر أهل الشام أغلق كل امرئ منكم بابه، و انجحر في بيته انجحار الضب و الضبع في و جاره؟ أف لكم! لقد لقيت منكم برحا، يوما اناجيكم و يوما اناديكم، فلا إخوان عند النجاء و لا أحرار عند النداء.

ثم دخل بيته فقام عدى بن حاتم و قال للناس: هذا و الله الخذلان القبيح.

و روى الطبري الطبري - تاريخ الطبري - ج ٥ ص ١٣٣^{١٤٠٩} مسندا عن شيخ من بني فزارة قال: بعث معاوية النعمان بن بشير في ألفين فأتوا عين التمر - إلى أن قال - فانتهيت إلى على عليه السلام على المنبر، و قد سبقني بالتشهد و هو يقول: يا أهل الكوفة، كَلَّمَا سَمِعْتُمْ بِمَنْسَرٍ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَظْلَكُمُ الْجَحْرُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ فِي بَيْتِهِ وَ أَغْلَقَ بَابَهُ، انْجَحَرَ الضَّبُّ فِي جَحْرِهِ وَ الضَّبُعُ فِي وَجَارِهَا، الْمَغْرُورُ مِنْ غَرَرْتُمُوهُ

^{١٤٠٧} (١) فصلت: ٤٦.

^{١٤٠٨} (١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩٥.

^{١٤٠٩} (٢) تاريخ الطبري ٥: ١٣٣.

و من فاز بكم فاز بالسهم الأخبب، لا أحرار عند اللقاء و لا إخوان ثقة عند النجاء، ما ذا منيت به منكم؟ عمى لا تبصرون و بكم لا تتطقون و صم لا تستمعون، إنا لله و إنا إليه راجعون.

لكنّ المستندين خاليلان من صدر العنوان إلى «تهتكت من آخر» و إنّما ذكره (الإرشاد الشيخ المفيد- الإرشاد- ج ١ ص ٢٧١) في غارة الضحّاك لا هنا.

«و من كلام له عليه السّلام» هكذا في (المصرية)^{١٤١١} و فيها سقط، فبعده «فى ذمّ أصحابه» كما يشهد له ابن أبى الحديد^{١٤١٢} و ابن ميثم^{١٤١٣} و (الخطيئة).

قوله عليه السّلام: «كم اداريكم كما تدارى البكار» بالكسر: جمع البكر، بالفتح:

الفتى من الإبل.

«العمدة» أى: المنفضخ داخل سنامها من الركوب و ظاهره صحيح، خص عليه السّلام من الإبل البكار المريضة لأن مداراتها أشدّ من مداراة المسنة المريضة، و قد شبههم عليه السّلام فى موضع آخر بالآبال من حيث آخر فقال: يا أشباه الإبل غاب عنها رعاؤها، كلّما اجتمعت من جانب تفرّقت من جانب.

«و الثياب المتداعية» أى: ثياب تدعو كلّ قطعة منها الاخرى إلى الخرق.

«كلّما حيصت» أى: خيطة.

«من جانب تهتكت» أى: تخرّقت.

«من آخر» أى: من جانب آخر، و للحمدونى فى وصف طيلسان خرق منعق.

يتداعى لا مساسا

طيلسان لابن حرب

^{١٤١٠} (١) الإرشاد ١: ٢٧١.
^{١٤١١} (٢) الطبعة المصرية ١: ١١٣.
^{١٤١٢} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٦: ١٠٢.
^{١٤١٣} (٤) شرح ابن ميثم ٢: ١٨٨.

و اناسا فاناسا كبس الأيام حتى

قد طوى قرنا فقرنا

لم يدع فيه لباسا

و لماً خاف نصر بن مسلم - عامل مروان بن محمد على خراسان - خروج أبى مسلم كتب إلى مروان يستنصره، فأبطأ فأعاد عليه:

أعيبى على ذى الحيلة الصانع

و الثوب إن أنهج فيه البلى

و اتسع الخرق على الراقع

كنّا نداريها فقد مزّت

«كلّما أطل» بالمهملّة، أى: أشرف، قال الشاعر:

انا البازى المطل على نمير

«عليكم منسر» - بالكسر -: قطعة من الجيش يمرّ قدام الجيش الكثير، قاله الجوهري. و قال ابن دريد: المنسر: ما بين الأربعين إلى الخمسين من الخيل.

«من مناسر أهل الشام أغلق كلّ رجل منكم بابه» و فى (الأغانى)^{١٤١} فى وقعة ذى قار: أقبلت الأعاجم يسيرون على تعبید، فلمّا رأتهم بنو قيس بن ثعلبة انصرفوا فلحقوا بالحي، فاستخفوا فسمّى حى بنى قيس بن ثعلبة: خفيا.

«و انجر» بتقديم الجيم، أى: اختفى.

«انجحر الضبة فى جحرها» - بتقديم الجيم -: ثقتها فى الأرض التى تأوى إليها.

«و الضبع فى وجارها» - بالكسر و الفتح -: سرب الضبع فى الأرض، و فى (أنساب البلاذرى) خرج الیاس بن مضر منتجعا و معه أهله و ماله، فدخلت بین إبله أرنب فنفرت الإبل، فخرج عمرو بن الیاس فى طلبها فأدركها، فسمّاها أبوه:

^{١٤١} (١) الأغاني ٢٤: ٦٨.

مدركة، و خرجت ليلي خلف ابنها مهرولة فقال لها إلياس: إلى أين تخندين؟

فسميت: خندف، و خرج عامر في طلب الأرنب فصادها و طبخها، فقال له أبوه:

ص: ٥٨٧

أنت طابخة، و رأى عميرا قد انقمع في المظلة فهو يخرج رأسه منها، فقال له:

أنت قمعة.

«و الذليل و الله من نصرتموه، و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل» و مرّ في العنوان الخامس: «المغرور و الله من غرتموه، و من فاز بكم فقد فاز و الله بالسهم الأخيب، و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل» و مرّ أن معنى أفوق ناصل: سهم منكسر لا نصل فيه.

في (الأغاني): قال الحجاج يوما لجلسائه: ما حرّض عليّ أحد في خروج ابن الأشعث عليّ كما حرّض أبو كلدّة، فإنّه نزل عن سرجه في وسط عسكر ابن الأشعث ثم نزع سراويله فوضعه و سلح فوقه و الناس ينظرون إليه، فقالوا له ويلك! أجننت؟ ما هذا الفعل؟ قال: كلّم قد فعلتم مثل هذا إلّا أنّكم سترتموه و أظهرته. فشتّموه و حملوا عليّ، فما أنساهم و هو يقدمهم و يقول:

مالك يا حجاج منّا منجى

نحن جلبنا الخيل من زرنجا

أو لنفرقن بذاك أحجى

لتبعجنّ بالسيوف بعجا

فلقد كاد أهل الشام يومئذ يتضععون.

«و إنكم» هكذا في (المصرية)^{١٤١٥} و الصواب: (إنكم) كما في (ابن أبي الحديد)^{١٤١٦} و ابن ميثم^{١٤١٧} و الخطبة).

«و الله لكثير في الباحات» أى: ساحات الديار.

«قليل تحت الرايات» قال ابن أبي الحديد^{١٤١٨}: نظيره قول عوف القوافي:

^{١٤١٥} (١) الطبعة المصرية ١: ١١٤.

^{١٤١٦} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٠٢.

^{١٤١٧} (٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٨٨.

^{١٤١٨} (٤) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٠٦.

أ لستم أقلّ الناس عند لوائهم

و أكثرهم عند الذبيحة و القدر

ص: ٥٨٨

و خرج^{١٤١٩} ابن سعيد العجلي في ثلاثين رجلا بظهر الكوفة فطعطعوا، و خالد القسري أمير العراق يخطب على المنبر ففرق و جعل يقول: اطعموني ماء. فقال ابن نوفل:

أ خالد لا جزاك الله خيرا

و اير في حرامك من أمير

تروم الفخر في أعراب قسر

كأنك من سراء بنى جرير

جرير من ذوى يمن أصيل

كريم الأصل ذو خطر كثير

و امك علجة و أبوك و غد

و ما الأذئاب عدل للصدور

و كنت لدى المغيرة عبد سوء

تبول من المخافة للسريير

لا علاج ثمانية و شيخ

كبير السن ليس بذى ضرير

صرخت من المخافة اطعموني

شرايا ثم بلت على السريير

قلت: و قال الفرزدق كما في (الأساس):

يستيقظون إلى نهاق حميرهم

و تنام أعينهم عن الأوتار

و قال ابن حرثان في امية بن خالد بن عبد الله بن اسيد:

إذا هتف العصفور طار فؤاده

و ليث حديد النَّاب عند الثَّراد

^{١٤١٩} (١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١١١.

و قال ثابت قطنة- كما فى (الأغانى)^{١٤٢٠} - فى من فر عن يزيد بن المهلب حتى قتل:

عصافير تنزو فى الفساد و فى الوغى
إذا راعها روع جمايح بروق
فأنتم على الأدنى اسود مخيفة
و أنتم على الأعداء خزان سملق

ص: ٥٨٩

و فى (كامل المبرد)^{١٤٢١}: يروى أن أسديا و هذليا تفاخرا فرضيا برجل فقال: إننى ما أقضى بينكما إلّا أن تجعلا لى عقدا وثيقا: ألا تشتمانى و لا تضربانى، فإننى لست فى بلاد قومى. ففعلا فقال: أمّا أنت يا أخا بنى أسد فكيف تفاخر العرب و أنت تعلم أنّه ليس حى أحبّ إلى الجيش و لا أبغض إلى الضيف و لا أقلّ تحت الرايات منكم؟ و أمّا أنت يا أخا هذيل فكيف تكلم الناس و فيكم خلال ثلاث: كان منكم دليل الحبشة على الكعبة، و منكم خولة ذات النحيين، و سألتهم النبى صلّى الله عليه و آله أن يحل لكم الزنا؟ و لكن إن أردتما بيتى مضر فعليكما بهذين الحيين من تميم و قيس، قوما فى غير حفظ الله.

هذا، و وصف النبى صلّى الله عليه و آله - كما فى الخبر- الأنصار بضد ما وصف عليه السّلام أهل الكوفة، فقال لهم: إنكم لتكثرون عند الفزع، و تقلّون عند الطمع.

«و إننى لعالم بما يصلحكم و يقيم أودكم» أى: عوجكم، قالوا: كان عمرو من بعده- إلى زياد- إذا أخذوا العصاء نزعوا عمائمهم و أقاموهم للناس، و أمّا زياد فيضربهم بالسياط، فجاء بعده مصعب فحلق مع الضرب بالسياط، فجاء بعده بشر بن مروان فكان يصلب تحت الإبطين و يضرب الأكفّ بالمسامير، فأخرج بشر رجلا إلى الرى فكتب أهله إليه يتشوّقونه، فأجابهم:

لو لا مخافة بشر أو عقوبته
أو أن يرى شاتنى كفى بمسمار
إذن لعطّلت ثغرى ثم زرتكم
إنّ المحبّ المعنّى جدّ زوار^{١٤٢٢}

^{١٤٢٠} (٢) الأغانى ١٤: ٢٨٠.
^{١٤٢١} (١) الكامل للمبرد ١: ٤٠٧.
^{١٤٢٢} (٢) نهج البلاغة ١٢: ٤٥.

فلما جاء الحجاج قال: كلّ هذا لعب. فقتل العصاة بالسيف، فلما ولى في سنة (٧٥) العراق دخل الكوفة قبل البصرة فخطبهم و تهدهم، ثم قال: ما كانت الولاة تفعل بالعصاة قبلي؟ فقالوا: كانت تضرب و تحبس. فقال: و لكن ليس

ص: ٥٩٠

لهم عندى إلّا السيف، إنّ المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون، و لو ساغت المعصية لأهلها ما كان قوتل عدو و لا جبي فيء. ثم جلس لتوجيه الناس فقال: قد أجلتكم ثلاثا و اقسام بالله لا يتخلف أحد من أصحاب المهلب بعدها و لا من أهل الثغور إلّا قتلته. ثم قال لصاحب حرسه و صاحب شرطته:

إذا مضت ثلاثة أيام فاتخذنا سيوفكما. فجاءه عمير بن صابئ البرجميّ بابه فقال: إنّ هذا أنفع لكم مني، هو أشدّ بنى تميم أيدا و أجمعهم سلاحا و أربطهم جأشا، و أنا شيخ كبير عليل. و استشهد جلساءه، فقال الحجاج: عذرک لواضح، و إنّ ضعفك لبين و لكنني أكره أن يجترىء بك الناس عليّ، و بعد فأنت ابن صاحب عثمان. ثم أمر به فقتل، فاحتمل الناس و أنّ أحدهم ليتبع بزاده و سلاحه، و أتى الحجاج البصرة فكان عليهم أشدّ إلحاحا- و قد كان أتاهم خبره بالكوفة- فتحمل الناس قبل قدومه فأتاه رجل من بنى يشكر- و قد كان شيخا كبيرا أعور، و كان يجعل على عينه العوراء صوفة، فكان يلقب ذا الكرسة- فقال للحجاج: إنّ بي فتقا و قد عذرني بشر، و قد رددت العطاء. فقال:

إنّك عندى لصادق. ثم أمر به فضربت عنقه، ففي ذلك قال الشاعر:

تقرقر منها بطن كلّ عريف^{١٤٢٣}

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربة

و عن ابن سيرة قال: إنّنا لتتغذى مع الحجاج إذ جاءه رجل من سليم برجل يقوده، فقال له: إنّ هذا لعاص. فقال: أنشدك الله في دمي، فوالله ما قبضت ديوانا قط و لا شهدت عسكريا، و إنّني لحائك اخذت من تحت الخف. فقال الحجاج: اضربوا عنقه. فلما أحسّ بالسيف سجد فلحقه السيّف و هو ساجد، فامسكنا عن الطعام فأقبل علينا فقال: ما لي صفرت أيديكم و اصفرت

ص: ٥٩١

وجوهكم و حدّ نظركم من قتل رجل واحد^{١٤٢٤}.

«و لكنني» هكذا في (المصرية)^{١٤٢٥} و لكن في (ابن ميثم و الخطيب): «و لكنني و الله».

^{١٤٢٣} (١) نهج البلاغة ٤: ١٨٤.

^{١٤٢٤} (١) المصدر نفسه.

^{١٤٢٥} (٢) الطبعة المصرية ١: ١١٤.

«لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي» و في (الإرشاد)^{١٤٢٦} قال عليه السّلام: و ما كنت متحرّياً صلاحكم بإفساد نفسي، و لكن سيسلّط عليكم بعدى سلطان صعب، لا يوقر كبيركم و لا يرحم صغيركم و لا يكرم عالمكم و لا يقسم الفىء بالسوية بينكم، و ليضربنكم و ليدلنكم و يجهزنكم فى المغازى و ليقطعن سبيلكم، و ليحجبنكم على بابهم حتى يأكل قوايكم ضعيفكم، ثم لا يبعد الله إلّا من ظلم منكم، و لقلماً أدبر شىء ثم أقبل، و إننى لأظنكم فى فترة و ما على إلّا النصح لكم.

و روى (غارات الثّقفى)^{١٤٢٧} عن فرقد البجلي قال: سمعت عليّاً عليه السّلام يقول:

يا معاشر أهل الكوفة، و الله لقد ضربتكم بالدرة التى أعطى بها السفهاء فما أراكم تنتهون، و لقد ضربتكم بالسياط التى اقيم بها الحدود فما أراكم ترعون، فما بقى إلّا سيفى، و إننى لأعلم الذى يقوّمكم بإذن الله، و لكننى لا احب أن أتى تلك منكم.

و روى (روضة الكافى)^{١٤٢٨} عن الأصبع قال أتى ابن عمرو ولد أبى بكر و سعد بن أبى وقاص إلى علىّ عليه السّلام و طلبوا منه التفضيل لهم، فصعد المنبر و قال فى خطبته: فلا يقولنّ رجال غمّرتهم الدنيا - إلى أن قال - و قد عاتبتكم بدرّتى التى اعاتب بها أهلى فلم تتالوا، و ضربتكم بسوطى الذى اقيم به حدود

ص: ٥٩٢

ربى فلم ترعوا، و تريدون أن أضربكم بسيفى، أما إننى أعلم الذى تريدون و يقيم أودكم، و لكن لا أشتري صلاحكم بفساد نفسى، بل يسلّط الله عليكم قوما فينتقم لى منكم، فلا دنيا استمتعتم بها و لا آخرة صرتم إليها، فبعدا و سحقاً لأصحاب السعير.

و روى الثّقفى^{١٤٢٩} عن زيد بن علىّ قال: قال علىّ عليه السّلام: إننى دعوتكم إلى الحقّ فتولّيتم عنى، و ضربتكم بالدرة فأعبيتمونى، أما إنّه سيليككم بعدى ولاء لا يرضون منكم بذلك حتى يعذبوكم بالسياط و بالحديد، فأما انا فلا اعذبكم بهما، إنّه من عذب الناس فى الدنيا عذبّه الله فى الآخرة، و آية ذلك أن يأتىكم صاحب اليمن حتى يحلّ بين أظهركم فيأخذ العمال و عمال العمال رجل يقال له يوسف بن عمر، و يقوم عند ذلك رجل منّا أهل البيت

«أضرع الله» أى: أذلّ الله.

«خدودكم» الخد: يمين الوجه و شماله.

«و أتعس جدودكم» هكذا فى (المصرية)^{١٤٣٠} و ليست الفقرة فى (ابن أبى الحديد^{١٤٣١} و ابن ميثم^{١٤٣٢} رأساً.

^{١٤٢٦} (٣) الإرشاد ١: ٢٨١.

^{١٤٢٧} (٤) الغارات للثّقفى ١: ٤٢.

^{١٤٢٨} (٥) روضة الكافى ٨: ٣٦٠ - ح ٥٥١.

^{١٤٢٩} (١) الغارات للثّقفى ٢: ٤٥٨.

^{١٤٣٠} (٢) الطبعة المصرية ١: ١١٤.

^{١٤٣١} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٦: ١٠٢.

^{١٤٣٢} (٤) شرح ابن ميثم ٢: ١٨٨.

و كيف كان، فمعناها أهلك الله حظوظكم. و أصل التعس: الكب ضد الانتعاش، قال مجمع:

تعست كما أتعستني يا مجمع

تقول و قد أفردتها من حليلها

«لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، و لا تبطلون الباطل كابطالكم الحق» هذا الكلام لا قيمة له و لا يعادله كلام، فإن أهل الدنيا يكونون في كل عصر كذلك،

ص: ٥٩٣

و لهذه العلة يتقدم أهل الباطل و يتأخر أهل الحق، ففرعون كان يقول للناس:

«أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى»^{١٤٣٣}. فقبلوا منه، و قال لهم موسى: إني رسول ربكم. و أراهم تسع آيات بينات فلم يقبلوا منه، و الثلاثة المتقدمون على أمير المؤمنين عليه السلام جاءوا بتلك البدع المذكورة في مطاعنهم، و لم ينكروا عليهم.

و أمّا إنكارهم على ثالثهم أخيرا فإنما كان لأنه خص الأموال و الولايات بأقاربه و بنى امية، و إلّا فلو كان فعل أضعاف ما فعل، و كان يشرك الناس معهم فيهما لما أنكروا عليه أصلا، كما أنّهم اليوم مع تواتر تلك الشناعات التي يتورّع عنها الفجار و الكفار يقبلون إمامته.

و أمّا أمير المؤمنين عليه السلام فمع كونه مظهر كل فضيلة كالنبي صلى الله عليه و آله - حتى إنه لم ير أحد منه لفظة أو لحظة على خلاف الشريعة في حياة النبي صلى الله عليه و آله و في أيام الثلاثة و في أيامه عليه السلام، و كيف و هو نفس النبي صلى الله عليه و آله بنص القرآن، و رأوا منه عليه السلام آيات بينات، لا سيما في الجمل في قصة كلاب الحوآب، و في صفين في قصة عمار، و في النهروان في قصة ذى الثدية؟ فكانوا يعاملون معه عليه السلام تلك المعاملة، فذاك خوارجهم و هذا دواخلهم.

١١

من الخطبة (٩٥) و من خطبة له عليه السلام:

وَلَيْنَ أَهْلَ الظَّالِمِ - فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ - وَ هُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ - وَ بِمَوْضِعِ الشَّجَا مِنْ مَسَاغِ رَيْقِهِ - أَمَا وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - لَيُظْهِرَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَلَيْكُمْ - لَيْسَ لَانْتَهُمُ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ - وَ لَكِنْ لِسِرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلٍ صَاحِبِهِمْ وَ إِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي - وَ لَقَدْ أَصْبَحَتْ

^{١٤٣٣} (١) النزاعات: ٢٤.

الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا - وَ أَصْبَحَتْ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي - اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا - وَ أَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا - وَ دَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَ جَهْرًا فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا - وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا - أَ شُهُودٌ كَغِيَابِ وَ عَيْدٌ كَأَرْيَابِ - أَتَلَوْ عَلَيْكُمْ الْحِكْمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا - وَ أَعْظَمْتُ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةَ - فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا - وَ أَحْكُمْتُ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ - فَمَا آتَى عَلَى آخِرِ قَوْلِي - حَتَّى أَرَakُمُ مُتَفَرِّقِينَ أَيَْادِي سَبًا تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ - وَ تَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ - أَقَوْمُكُمْ غُدُوَّةً وَ تَرْجِعُونَ إِلَى عَشِيَّةٍ - كَظَهَرِ الْحَيَّةُ عَجَزَ الْمُقَوْمِ وَ أَعْضَلَ الْمُقَوْمِ - أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ - الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ - الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ - الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ - صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَ أَنْتُمْ تَعْصُونَهُ - وَ صَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ؟ يَعِصِي اللَّهَ - وَ هُمْ يُطِيعُونَهُ - لَوَدِدْتُ وَ اللَّهَ أَنْ؟ مُعَاوِيَةَ؟ صَارَفَنِي بِكُمْ - صَرَفَ الدِّينَارَ بِالذَّرْهِمِ - فَأَخَذَ مِنِّي عَشْرَةَ مِنْكُمْ - وَ أَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ - يَا أَهْلُ؟ الْكُوفَةُ؟ - مُنِيتُ مِنْكُمْ بَثَلَاتٍ وَ اثْنَتَيْنِ - صُمُّ ذَوُو أَسْمَاعٍ - وَ بُكُمْ ذَوُو كَلَامٍ - وَ عُمَى ذَوُو أَبْصَارٍ - لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللَّقَاءِ - وَ لَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ - تَرَبَّتْ أَيْدِيكُمْ - يَا أَشْبَاهَ اللَّيْلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا - كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ - وَ اللَّهَ لَكَانِي بِكُمْ فِيمَا إِخَالَ - أَنْ لَوْ حَمَسَ الْوَعَى وَ حَمَى الضَّرَابُ - وَ قَدْ انْفَرَجْتُ عَنْ؟ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ؟ - انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبْلَاهَا - وَ إِنِّي لَعَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّي وَ مِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّ - وَ إِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ - أَلْقَطُهُ لَقَطًا قَوْلِ الْمَصْنَفِ: «و من خطبة له عليه السَّلام» هكذا في (المصرية) ١٤٣٤ و الصواب:

(و من كلام له عليه السَّلام) كما في (ابن أبي الحديد) ١٤٣٥ و ابن ميثم ١٤٣٦ و الخطبة).

قوله عليه السَّلام: «و لئن أمهل الله» هكذا في (المصرية) و الصواب: (و لئن أمهل الله) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطبة).

«الظالم فلن يفوت أخذه» «و لا تحسبن الله غافلًا عمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَ اتَّخَذْتُهُمْ هَوَاءً» ١٤٣٧.

و عن الصادق عليه السَّلام: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَهْبَطَ مَلَكًا إِلَى الْأَرْضِ فَلَبِثَ فِيهَا دَهْرًا ثُمَّ عَرَجَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا رَأَيْتَ؟ فَقَالَ: رَأَيْتُ عَجَائِبَ! وَ مِنْ أَعْجَبَ مَا رَأَيْتُ: أَنِّي رَأَيْتُ عَبْدًا مُتَقَلِّبًا فِي نِعْمَتِكَ، يَأْكُلُ رِزْقَكَ وَ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ، فَعَجِبْتُ مِنْ جَرَأَتِهِ عَلَيْكَ وَ مِنْ حِلْمِكَ عَنْهُ! فَقَالَ تَعَالَى: فَمَنْ حِلْمِي عَجِبْتُ؟ قَدْ اْمَهَلْتَهُ أَرْبَعَمِائَةَ سَنَةً، لَا يَضْرِبُ عَلَيْهِ عِرْقٌ وَ لَا يَرِيدُ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا نَالَه، وَ لَا يَتَغَيَّرُ عَلَيْهِ فِيهَا مَطْعَمٌ وَ لَا مَشْرَبٌ ١٤٣٨.

«و هو له بالمرصاد» قال ابن دريد: فلان لفلان بمرصد و مرصاد، أى:

١٤٣٤ (١) الطبعة المصرية ١: ١٨٨.

١٤٣٥ (١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٧٠.

١٤٣٦ (٢) شرح ابن ميثم ٢: ٤٠٢.

١٤٣٧ (٣) إبراهيم: ٤٢ - ٤٣.

١٤٣٨ (٤) البحار ٧٣: ٣٨١.

حيث يرقبه و يرى فعله.

«على مجاز» أى: مسلك.

«طريقه و بموضع الشّجا» قال الجوهري: الشّجا ما ينشعب فى الحلق من عظم و غيره.

«من مساع» قال الجوهري: ساع الشراب: سهل مدخله فى الحلق.

«رقيقه» ماء فمه، قال تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ»

ص: ٥٩٦

«أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ»^{١٤٣٩}.

و الأصل فى العنوان إلى هنا ما رواه (الإرشاد)^{١٤٤٠}: أن معاوية لما نقض شرط الموادة و أقبل يشن الغارات على أهل العراق قال عليه السلام: قاتل الله معاوية، لقد أَرادنى على أمر عظيم: أَراد أن أفعل كما يفعل، فأكون قد هتكت ذمتى و نقضت عهدى، فيتخذها على حجة فيكون على شينا إلى يوم القيامة كلما ذكرت، فإن قيل له: أنت بدأت. قال: ما علمت و لا امرت. فمن قائل يقول:

صدق. و من قائل يقول: كذب. أم و الله إن الله لذو أناة و حلم عظيم، لقد حلم عن كثير من فراعنة الأولين و عاقب فراعنة، فإن يمهله الله فلن يفوته، و هو له بالمرصاد على مجاز طريقه، فليصنع ما بدا له، فإننا غير غادرين بذمتنا و لا ناقضين لعهدنا، و لا مروعين لمسلم و لا معاهد حتى ينقضى شرط الموادة بيننا.

«أما و الذى نفسى بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم و لكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، و إبطائكم عن حقى» روى أبو مخنف فى قصة يوم الحرة: أن مسلم بن عقبة ركب فرسا فأخذ يسير فى أهل الشام و يحرضهم و يقول: يا أهل الشام إنكم لستم بأفضل العرب فى أحسابها و لا أنسابها، و لا أكثرها عددا و لا أوسعها بلدا، و لم يخصصكم الله بالذى خصكم به من النصر على عدوكم، و حسن المنزلة عند أئمتكم إلّا بطاعتكم و استقامتكم، و إن هؤلاء القوم أشباههم من العرب غيروا غير الله بهم - إلى أن قال - قال ابن الغسيل لأهل المدينة: و الله ما أظن ربكم أصبح عن أهل بلد من

ص: ٥٩٧

بلدان المسلمين بأرضى منه عنكم، و لا على أهل بلد من بلدان العرب بأسخط من هؤلاء القوم الذين كانوا يقاتلونكم.

^{١٤٣٩} (١) الأنعام: ٩٣.
^{١٤٤٠} (٢) الإرشاد ١: ٢٧٥.

«و لقد أصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها» جمع الراعى.

«و أصبحت أخاف ظلم رعيتى» فى (المروج)^{١٤٤١} كان المعتمد أول خليفة قهر و حجر عليه، و كان أخوه الموفق غلب على الامور، و كان المعتمد هرب الموصل فبعث الموفق من رده و وكل به فى فم الصلح.

«و استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، و أسمعتمكم فلم تسمعوا، و دعوتكم سرّاً و جهراً فلم تستجيبوا» هو نظير قول نوح عليه السلام «رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَ نَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايِى إِلَّا فِرَارًا»^{١٤٤٢}.

«و نصحت لكم فلم تقبلوا» كان عليه السلام ناصحاً للناس كالأنبياء، قال نوح عليه السلام لقومه: «وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِى إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ»^{١٤٤٣}.

«أشهود كغياب» حيث لا يحصل منكم جواب.

«و عبيد كأرباب» حيث لا تبالون العتاب و لا تخافون العقاب.

«أتلو عليكم الحكم» - بالكسر فالفتح -: جمع الحكمة.

«فتنفرون منها» قال تعالى: «كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ»^{١٤٤٤}.

«و أعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها» قال تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله:

«وَعِظْهُمْ وَ قُلْ لَهُمْ فِى أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا»^{١٤٤٥}.

ص: ٥٩٨

«و أحثكم» أى: ارغبكم.

«على جهاد أهل البغى» كما أمر الله تعالى به: «فَقَاتِلُوا آلَ بَنِي نَفِيلٍ حَتَّى تَفِىءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ»^{١٤٤٦}.

«فما آتى على آخر القول» هكذا فى (المصرية)^{١٤٤٧}، و الصواب: (قولى) كما فى (ابن أبى الحديد)^{١٤٤٨} و ابن ميثم^{١٤٤٩} و الخطيب.

^{١٤٤١} (١) المروج ٤: ٢١١.

^{١٤٤٢} (٢) نوح: ٥ - ٦.

^{١٤٤٣} (٣) هود: ٣٤.

^{١٤٤٤} (٤) المذثر: ٥٠ - ٥١.

^{١٤٤٥} (٥) النساء: ٦٣.

^{١٤٤٦} (١) الحجرات: ٩.

^{١٤٤٧} (٢) الطبعة المصرية ١: ١٨٨.

^{١٤٤٨} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٧: ٧٠.

«حتى أراكم متفرقين أيادي سبأ» قال الجوهرى: سبأ: اسم رجل ولد عامة قبائل اليمن، يصرف و لا يصرف، و قولهم: ذهبوا أيدي سبأ، و أيادي سبأ، أى:

متفرقين اسمان جعلوا واحدا.

و فى (الميدانى)، روى عن النبى صلى الله عليه و آله: ولد سبأ عشرة، تيامن منهم ستة و تشاءم منهم أربعة، فأما الذين تيامنوا: فالأزد و كندة و مذحج و الأشعرون و انمار منهم بجيلة، و أما الذين تشاءموا: فعاملة و غسان و لخم و جذام و هم الذين أرسل عليهم سيل العرم، و ذلك أن الماء كان يأتى أرض سبأ من الشجر و أودية اليمن، فردموا ردما بين جبلين و حبسوا الماء، و جعلوا فى ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض، فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثانى ثم الثالث، فأخصبوا و كثرت أموالهم، فلما كذبوا رسولهم بعث الله جرذا نقت ذاك الردم حتى انتقض، فدخل الماء جنتيهم فغرقهم و دفن السيل بيوتهم، فذلك قوله تعالى: «فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ»^{١٤٥٠}.

و روى عن أبى صالح قال: ألقت طريفة الكاهنة إلى عمرو بن عامر

ص: ٥٩٩

- الذى يقال له: مزيقيا بن ماء السماء - أن سد مأرب سيخرب، و أنه سيأتى سيل العرم فيخرب الجنتين، فباع عمرو بن عامر أمواله و سار هو و قومه حتى انتهوا إلى مكة، فأقاموا بمكة و ما حولها، فأصابتهم الحمى و كانوا يبذلون فيه ما الحمى؟ فدعوا طريفة فشكوا إليها الذى أصابهم، فقالت لهم: قد أصابنى الذى تشكون و هو مفرق بيننا. قالوا: فما ذا تأمرين؟ قالت: من كان منكم ذا هم بعيد و حمل شديد و مزاد حديد فليلحق بقصر عمان المشيد - فكانت أزد عمان - ثم قالت: من منكم ذا جلد و قسر و صبر على أزومات الدهر فعليه بالاراك من بطن مر - فكانت خزاعة - ثم قالت: من كان منكم يريد الراسيات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق ببشر ذات النخل - فكانت الأوس و الخزرج - ثم قالت: من كان منكم يريد الخمر و الخمير و الملك و التأمير و يلبس الديباج و الحرير فليلحق ببصرى و غوير - و هما من أرض الشام، و كان الذى سكنوها آل جفنة من غسان - ثم قالت: من كان منكم يريد الثياب الرقاق و النخيل العتاق و كنوز الأرزاق و الدم المهرق فليلحق بأرض العراق. فكان الذين سكنوها آل جذيمة الأبرش و من كان بالحيرة و آل محرق.

«ترجعون إلى مجالسكم و تتخادعون عن مواظكم» و تجعلونها أساطير.

«اقومكم» أى: أجعلكم مستقيما.

«غدوة» أى: صباحا.

«و ترجعون إلى عشيّة» أى: مساء.

^{١٤٤٩} (٤) شرح ابن ميثم ٢: ٤٠٣.
^{١٤٥٠} (٥) سبأ: ١٦.

«كظهر الحية» هكذا فى (المصرية) ١٤٥١ و الصواب: (الحنية) أى: القوس، كما فى (ابن أبى الحديد ١٤٥٢ و ابن ميثم ١٤٥٣ و الخطبة).

ص: ٦٠٠

«عجز المقوم» و المراد نفسه عليه السلام عن التقويم.

«و أعضل» أى: أشكل.

«المقوم» و المراد أصحابه عن قبول التقويم، فى (العقد) ١٤٥٤ قال نافع بن كليب: دخلت الكوفة للتسليم على على عليه السلام فإنى لجالس تحت منبره و عليه عمامة سوداء - إلى أن قال - ثم نزل عليه السلام تدمع عيناه فقال: «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» ١٤٥٥ أقومهم و الله غدوة و يرجعون إلى عشيّة مثل ظهر الحنية، حتى متى، و إلى متى؟

«أيها الشاهدة أبدانهم، الغائبة عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم» مرّ فى العنوان (٥): «أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم».

«صاحبكم يطيع الله و أنتم تعصونه، و صاحب أهل الشام يعصى الله و هم يطيعونه» و مرّ فى الأول: «و بمعصيتكم إمامكم فى الحق، و طاعتهم إمامهم فى الباطل».

«لوددت و الله أن معاوية صارفتى بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ منى عشرة منكم و أعطانى رجلا منهم» فكان الصرف بين الدينار و الدرهم فى عصره عليه السلام كذلك، ثم صعد الدينار، و فى (البلدان) ١٤٥٦ - فى الجعفرى -: كان فى أيام المتوكل كلّ خمسة و عشرين درهما بدينار.

و مرّ فى الأول قوله عليه السلام: لوددت أن لى بكم ألف فارس من بنى فراس بن غنم.

ص: ٦٠١

فوارس مثل أرمية الحميم

هنالك لو دعوت أتاك منهم

١٤٥١ (١) الطبعة المصرية ١: ١٨٨.

١٤٥٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ٧: ٧٠.

١٤٥٣ (٣) شرح ابن ميثم ٢: ٤٠٣.

١٤٥٤ (١) العقد ٤: ١٦٢.

١٤٥٥ (٢) البقرة: ١٥٦.

١٤٥٦ (٣) البلدان ٢: ١٤٣.

و قال ابن أبي الحديد^{١٤٥٧} أخذ ابن الزبير لفظه عليه السلام هنا، فلمّا وفد أهل البصرة و فيهم الأحنف تكلم منهم أبو حاضِر الأُسدي - و كان خطيبا جميلا - فقال له ابن الزبير: اسكت، فو الله لوددت أن لي بكلّ عشرة من أهل العراق واحدا من أهل الشام، صرف الدينار بالدرهم. فقال له: إن لنا و لك مثلا قول الأعشى:

غیری و علق اخرى غيرها الرجل

علقتها عرضا و علقت رجلا

أحبك أهل العراق، و أحببت أهل الشام، و أحبّ أهل الشام عبد الملك.

هذا، و في (الأذكياء): سئل أبو العيْناء عن حماد بن زيد بن درهم، و حمّاد بن سلمة بن دينار، فقال: بينهما في القدر ما بين آبائهما في الصرف.

قلت: أي: ما بين جديهما درهم و دينار.

و في (المعجم) كان الحسن بن الرجاء و أحمد بن هشام و عليّ بن هشام و دينار بن عبد الله و يحيى بن أكثم ينزلون المخرم - محلّة ببغداد - فقال دعبل الخزاعي يهجوهم:

أبع حسنا و ابني هشام بدرهم

ألا فاشتروا منّي دروب المخرم

و أدفع دينارا بغير تندم

و اعطى رجاء بعد ذاك زيادة

فليس يرد العيب يحيى بن أكثم

فإن ردّ من عيب عليّ جميعهم

قلت: و لا بد أنّه هجا أبا الحسن بن رجاء أيضا لقوله: «و اعطى رجاء» و لم يذكره الحموي.

«يا أهل الكوفة منيت منكم بثلاث و اثنتين: صم ذوو أسماع، و بكم ذوو كلام، و عمى ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللقاء، و لا إخوان ثقة عند البلاء» قال ابن أبي

ص: ٦٠٢

الحديد^{١٤٥٨}: لم يقل عليه السلام: بخمس، لأنّ الثلاث إيجابية و الاثنتين سلبية، فأحبّ أن يفرّق بين الإثبات و النفي.

^{١٤٥٧} (١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٧٥.

قلت: ليس التفريق من حيث الإثبات و النفي، بل من حيث إنّ الثلاث من واد و الاثنتين من آخر، و في مثله مقتضى البلاغة أن يفرّق بينهما.

روى الكليني^{١٤٥٩} و الصدوق^{١٤٦٠} في أسانيد: أنّ عمر لما استخلف أقبل يهودى فسأله عن مسائل عجز عن جوابها، فارشد إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عليه السلام: أخبرني عن ثلاث و ثلاث و واحدة: أخبرني عن أوّل حجر وضع في الأرض، و أوّل شجرة غرست على وجه الأرض، و أوّل عين نبعت على وجه الأرض، و أخبرني كم لهذه الامة من إمام هدى؟ و أين منزل نبيكم في الجنة؟ و من معه في منزله؟ و أخبرني عن وصي: محمد كم يعيش بعده؟ ...

فكلّها إيجابية إلّا أنّها لاختلاف ثلاث منها مع اخرى، و اختلاف واحدة منها معهما، فرّق بينهما بما فيه.

«تربّت أيديكم» سقطت هذه الفقرة من (المصرية)^{١٤٦١} بدليل (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب و الخوئي).

هذا، و في (الطبري)^{١٤٦٢}: رفع إلى المنصور أنّ أهل الكوفة لا تزال الجماعة منهم يطعنون على عاملهم، و يتظلمون من أميرهم، و يتكلمون في سلطانهم.

فقال للربيع: أخرج إلى من بالباب من أهل الكوفة فقل لهم: إنّ الخليفة يقول لكم:

لئن اجتمع اثنان منكم في موضع لأحلّقن رؤوسهما و لحاهما و لأضربن

ص: ٦٠٣

ظهورهما، فالزموا منازلكم و أبقوا على أنفسكم. فخرج اليهم الربيع بهذه الرسالة، فقال له ابن عيّاش: يا شبه عيسى بن مريم! أبلغ الخليفة عنّا كما أبلغتنا عنه، فقل له: و الله ما لنا بالضرب طاقة، فأما حلق اللحى - و كان ابن عيّاش منتوفاً، كما كان الربيع لقيطاً - فاذا شئت. فأبلغه فضحك فقال: قاتله الله ما أدهاه و أخبثه.

«يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها، كلّما جمعت من جانب تفرّقت من جانب آخر» هكذا في (المصرية) و لكن في (ابن أبي الحديد^{١٤٦٣}: «من آخر» و في (ابن ميثم)^{١٤٦٤}:

«من جانب».

و كيف كان، فمرّ أيضاً: «ما أنتم إلّا كإبل ضلّ رعاتها، فكلّما جمعت من جانب انتشرت من آخر».

١٤٥٨ (١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٧٦.

١٤٥٩ (٢) الكليني ١: ٥٣١ ح ٨.

١٤٦٠ (٣) الخصال للصدوق ٢: ٤٧٦ - ٤٠ ح ٤٠.

١٤٦١ (٤) الطبعة المصرية ١: ١٨٩.

١٤٦٢ (٥) تاريخ الطبري ٨: ٧٩.

١٤٦٣ (١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٧١.

١٤٦٤ (٢) ابن ميثم ٢: ٤٠٣.

«و الله لكأنى بكم فى ما اخال» أى: أظن.

«أن لو» هكذا فى (المصرية) و لكن فى (ابن ميثم و الخطبة): «لو» بدون (أن) و فى (ابن أبى الحديد): «الو» بدون النون، و قال: «أصله أن لو».

«حمس» أى: اشتد.

«الوغى» أى: الحرب.

«و حمى» - بالكسر - من: حمى التنور: اشتدّ حرّه.

«الضّراب» مصدر ضارب، أى: المجالدة فى الحرب.

«و قد» هكذا فى (المصرية)^{١٤٦٥} و الصواب: (قد) كما فى (ابن أبى الحديد)^{١٤٦٦}

ص: ٤٠٦

و ابن ميثم^{١٤٦٧} و الخطبة) و لأنّه جواب (لو).

«انفرجتم عن ابن أبى طالب انفراج المرأة عن قبلها» مرّ فى العنوان الرابع عنه عليه السّلام: «و ايم الله إنى لأظن بكم أن لو حمس الوغى و استحر الموت قد انفرجتم عن ابن أبى طالب انفراج الرأس».

و مرّ عن (غارات الثّقفى)^{١٤٦٨} عنه عليه السّلام: «و الله لكأنى بكم لو حمس الوغى و احمرّ البأس قد انفرجتم عن علىّ انفراج الرأس و انفراج المرأة عن قبلها».

و مرّ قريبا منه عن (خلفاء القتيبي) و مرّ ثمة المراد به.

و ممّا قيل فى الانفراج عن الرئيس قول دختنوس - بنت لقيط بن زرارّة - فى تخليّة بنى أسد و هوازن أباهما، و قول شاعر فى تخليّة أصحاب زيد الشهيد له:

ر الطير عن أربابها

فرّت بنو أسد فرا

كالقار فى أذنانها

و هوازن أصحابهم

^{١٤٦٥} (٣) الطبعة المصرية ١: ١٨٩.

^{١٤٦٦} (٤) ابن أبى الحديد ٧: ٧١.

^{١٤٦٧} (١) شرح ابن ميثم ٢: ٤٠٤.

^{١٤٦٨} (٢) الغارات للثّقفى هود ٢: ٤٩٥.

«وإني» هكذا في (المصرية) و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيئة): «اني».

«لعلِّي بَيِّنُهُ مِنْ رَبِّي» هذا صريح في إمامته عليه السَّلام بالمعنى الذى يقوله الإمامية من كون الإمام كالنبي صَلَّى الله عليه و آله من قبل الله لا من قبل الناس، و قد قال تعالى في نبيِّه صَلَّى الله عليه و آله: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ» * ١٤٦٩.

«و منهاج» أى: طريق واضح.

ص: ٦٠٥

«من نبى» فإنه عليه السَّلام كان يسلك بعد النبي صَلَّى الله عليه و آله على حسب دستوره قدما بقدم، فأخبره بأن الامَّة ستغدر به بعده، و أمره بالتسليم أيام الثلاثة، و بيَّن صَلَّى الله عليه و آله له قيام الناكثين و القاسطين و المارقين عليه، و أمره بقتالهم فامتثل ما مثل له، و كل ذلك ممَّا يشهد لغير المكابر كونه عليه السَّلام حجةً من قبل الله تعالى.

«وإني لعلِّي الطريق الواضح» و قد أقرَّ فاروقهم أنه لو ولى الخلافة ليحملنَّ الناس على المحجة البيضاء.

«ألفظه لقطاً» قال ابن أبي الحديد^{١٤٧٠}: يريد أن الضلال غالب على الهدى، فيلتقط طريق الهدى من بين طرق الضلال، كما يسلك الانسان طريقاً دقيقة قد اكتنفها الشوك و العوسج من جانبيها كليهما، فهو يلتقط المنهج التقاطاً.

قلت: يمكن أن يكون الضمير فى (ألفظه) إلى الحق المفهوم من المقام، بمعنى: أنه عليه السَّلام يلقط الحق كما يلقط السَّنبُل.

١٢

من الكتاب (٣٦) و من كتاب له عليه السَّلام إلى أخيه عقيل بن أبى طالب، فى ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء، و هو جواب كتاب كتبه إليه عقيل:

فَسَرَحْتُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ - فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِبًا وَ نَكَصَ نَادِمًا - فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ - وَ قَدْ طَفَلَتْ الشَّمْسُ لِلْإِيَابِ - فَاقْتَتَلُوا شَيْئًا كَلًّا وَ لَا - فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضًا - بَعْدَ مَا أَخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَقِ - وَ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ - فَلَأَيًّا بَلَأِي مَا نَجَا قَوْلِ الْمَصْنَفِ: «و من كتاب له عليه السَّلام ...» هكذا فى (المصرية)^{١٤٧١} و الصواب:

^{١٤٦٩} (٣): ١٧.

^{١٤٧٠} (١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٧٦.

^{١٤٧١} (٢) الطبعة المصرية ٣: ١٦٧.

ص: ٦٠٦

فى ما (ابن أبى الحديد^{١٤٧٢} و ابن ميثم^{١٤٧٣}): «و من كتاب له عليه السّلام فى ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء، و هو جواب كتاب كتبه إليه أخوه عقيل بن أبى طالب».

«فى ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء» و هو الضّحّاك بن قيس، و روى: أنّ عقيلاً ورد على معاوية و حوله عمرو و أبو موسى و الضّحّاك، فقال لمعاوية لما سأله عنهم: استقبلنى قوم من المنافقين ممّن نفر بالنّبي صلّى الله عليه و آله ليلة العقبة - إلى أن قال - و أمّا الضّحّاك منهم فقد كان أبوه جيد الأخذ لعسب التّيوس.

و فى كتاب عقيل إليه: «فافّ لحياة فى دهر جرّوا عليك الضّحّاك، و ما الضّحّاك الا فقع بقرقر» أى: كمأه رخوة فى قاع أملس تطأها كلّ دابة.

«و هو جواب كتاب كتبه إليه أخوه عقيل» المفهوم من ابن قتيبة^{١٤٧٤} أنّ عقيلاً كتب إليه فى أوّل خلافته كتاباً فأجابه بما فى العنوان، ففى (خلفائه)^{١٤٧٥} ذكروا أنّ عليّاً عليه السّلام تردد بالمدينة أربعة أشهر ينتظر جواب معاوية فأتاه على غير ما يجب، فشخص من المدينة فى تسعمائة راكب من وجوه المهاجرين و الأنصار، فلما كان فى بعض الطريق أتاه كتاب أخيه عقيل: إننى خرجت معتمراً فلقيت عايشة معها طلحة و الزبير، قد أظهروا الخلاف و نكثوا البيعة، ثمّ مرّ ابن أبى سرح فى نحو من أربعين راكباً من أبناء الطلقاء من بنى امية ليلحقوا بمعاوية، ثمّ قدمت مكة فسمعت أهلها يتحدّثون: أنّ الضّحّاك بن قيس أغار على الحيرة و اليمامة فأصاب ما شاء من أموالهما، ثم انكفأ راجعاً إلى الشّام - إلى أن قال فى جواب كتابه عليه السّلام له - و أمّا ما ذكرت من غارة الضّحّاك

ص: ٦٠٧

على الحيرة و اليمامة، فهو أذلّ و ألأم من أن يكون مرّ بهما فضلاً عن الغارة، و لكن جاء فى خيل جريدة، فسرّحت إليه جندا من المسلمين، فلما بلغه ذلك ولى هارباً فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق حين همت الشمس للإياب، فاقتتلوا و قتلوا من أصحابه بضعة عشر رجلاً، و نجا هارباً بعد أن أخذ منه بالمخنق، فلو لا الليل ما نجا ... و هو كما ترى دالّ على أنّه كان قبل الجمل أيضاً.

و جعله الطبرى^{١٤٧٦} بعد صفيّين فى سنة (٣٩) فقال: و فيها أيضاً وجّه معاوية الضّحّاك بن قيس و أمره أن يمرّ بأسفل و اقصة، و أن يغير على كلّ من مرّ به ممّن هو فى طاعة علىّ من الأعراب، و وجّه معه ثلاثة آلاف رجل، فأخذ أموال الناس و قتل من لقى من الأعراب، و مرّ بالثعلبية فأغار علىّ مسالح علىّ عليه السّلام و أخذ أمتعتهم، و مضى حتى انتهى إلى القطقطانة فأتى

^{١٤٧٢} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٦: ١٤٨.

^{١٤٧٣} (٢) شرح ابن ميثم ٥: ٧٧.

^{١٤٧٤} (٣) الخلفاء لابن قتيبة: ٥٤ - ٥٦.

^{١٤٧٥} (٤) الخلفاء لابن قتيبة: ٥٤ - ٥٦.

^{١٤٧٦} (١) تاريخ الطبرى ٥: ١٣٥.

عمرو بن عَمِيس - و كان فى خيل لعلّى عليه السّلام و أمامه أهله يريد الحجّ - فأغار على من كان معه و حبسه عن المسير، فلمّا بلغ ذلك عليّاً عليه السّلام سرّح حجر بن عدى الكندى فى أربعة آلاف و أعطاهم خمسين خمسين، فلقى الضّحّاك بتدمر فقتل منهم تسعة عشر رجلا و قتل من أصحابه رجلا، و حال بينهم الليل فهرب الضّحّاك و أصحابه و رجع حجر و من معه.

و جعله التّقفى^{١٤٧٧} أيضا بعد صفّين إلّا أنّه قال - كما نقل ابن أبى الحديد فى (٢٨ - ١) -: و كتب فى أثر هذه الوقعة عقيل إليه عليه السّلام: إنّى خرجت إلى مكّة معتمرا، فلقيت عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى نحو من أربعين شابا من أبناء الطلقاء، فعرفت المنكر فى وجوههم فقلت: أ بمعاوية تلحقون؟ عداوة و الله منكم غير مستنكرة، فلمّا قدمت مكّة سمعت أهلها يتحدثون: أنّ الضّحّاك بن

ص: ٦٠٨

قيس أغار على الحيرة فاحتمل من أموالها ما شاء ثم انكفأ - إلى أن قال فى جوابه عليه السّلام - تذكر فى كتابك أنّك لقيت ابن أبى سرح مقبلا من قديد، فى نحو أربعين فارسا من أبناء الطلقاء متوجّهين إلى جهة الغرب، و ان ابن أبى سرح طالما كاد الله و رسوله و كتابه، و صدّ عن سبيله و بغاها عوجا - إلى أن قال - و أمّا ما ذكرت من غارة الضّحّاك على أهل الحيرة، فهو أقلّ و أذلّ من أن يلمّ بها أو يدنو منها، و لكنّه قد كان أقبل فى جريدة خيل فأخذ على السماوة، حتى مرّ بواقصة و شراف و القلطانة ممّا و إلى ذلك الصقع، فوجّهت إليه جندا كثيفا من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك فرّ هاربا فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق و قد أمعن، و كان ذلك حين طفلت الشمس للاياب، فتناوشوا القتال قليلا كلا و لا فلم يصبر لوقع المشرفية و ولّى هاربا، و قتل من أصحابه بضعة عشر رجلا و نجا جريضا بعد ما اخذ منه بالمخنق فلاّيا بلاى ما نجا ...

و هو و إن لم يذكر ما ذكره ابن قتيبة من كتابة عقيل إليه عليه السّلام فى كتاب:

إنّه للقى فى طريقه عايشة و طلحة و الزبير، إلّا أنّه ذكر ما ذكره من لقائه ابن أبى سرح مع أربعين من أبناء الطلقاء ليفروا إلى معاوية، و لا بدّ أنّهم فرّوا إلى معاوية فى أوّل خلافته عليه السّلام.

و أيضا روى التّقفى^{١٤٧٨} عن محمّد بن مخنف: أنّ الضّحّاك قال على منبر الكوفة فى أيام معاوية: أمّا إنّى صاحبكم الذى أغرت على بلادكم، فكنت أوّل من أغارها فى الإسلام و شرب من ماء التعلبية و من شاطئ الفرات

و التحقيق أنّ بعث معاوية للضحّاك كان مرتين، أولاها: فى أوّل خلافته قبل الجمل و اقتصر عليه ابن قتيبة، و فيها كان كتاب عقيل إليه عليه السّلام و ثانيتهما: بعد صفّين و الحكمين و اقتصر عليها الطبرى و قد مرّ كلامهما،

ص: ٦٠٩

^{١٤٧٧} (٢) الغارات للتّقفى ٢: ٤٢٩.

^{١٤٧٨} (١) الغارات للتّقفى ٢: ٤٣٦ - ٤٣٧.

يشهد لكون بعثه مرتين أن (الأغاني)^{١٤٧٩} في الجزء الخامس عشر من (٢١) جزءاً في عنوان: «ذكر الخبر في مقتل ابني عبيد الله بن العباس» ذكر الأخيرة مجملًا بأسانيد، فروى عن القلاس عن الخراز عن المدائني عن أبي مخنف و جويرية بن أسماء و الصقب بن زهير و أبي بكر الهذلي عن أبي عمر الواقصي: أن معاوية بعث إلى بسر بن أرطاة بعد تحكيم الحكمين - و على عليه السلام يومئذ حي - و بعث معه جيشا، و وجهه برجل من عامر ضم إليه جيشا آخر، و وجه الضحّاك بن قيس الفهري في جيش آخر، و أمرهم أن يسيروا في البلاد فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة على، و أن يغيروا على سائر أعماله و يقتلوا أصحابه، و لا يكفوا أيديهم عن النساء و الصبيان، فمر بسر لذلك - إلى أن قال - و ذبحهما بيده بمديّة كانت معه، ثم انكفأ راجعا إلى معاوية، و فعل مثل ذلك سائر من بعث معه، و قصد العامري إلى الأنبار فقتل ابن حسان البكري

و لم يذكر تفصيل أفعال الضحّاك، ثم روى^{١٤٨٠} الأولى عن محمد بن العباس البيهقي عن عبد الله بن محمد عن جعفر بن بشير عن صالح بن يزيد الخراساني عن أبي مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن أبي الكنود عن عبد الرحمن بن عبيد قال: كتب عقيل إلى أخيه على عليه السلام: أما بعد فإن الله جارك من كل سوء و عاصمك من المكروه، إنني خرجت معتمرا فلقيت عبد الله بن أبي سرح في نحو أربعين شابا من أبناء الطلقاء، فقلت لهم - و عرفت المنكر في وجوههم -: يا أبناء الطلقاء، العداوة و الله لنا منكم غير مستنكرة، قديما تريدون بها إطفاء نور الله و تغيير أمره، فأسمعنني القوم و أسمعهم، ثم قدمت

ص: ٦١٠

مكة و أهلها يتحدثون: أن الضحّاك بن قيس أغار على الحيرة فاحتل من أهلها ثم انكفأ راجعا، فافّ لحياء في دهر قد أمر عليكم الضحّاك، و ما الضحّاك و هل هو إلّا فقع قرقره و قد طنت؟! و بلغني أن أنصارك قد خذلوك فكتب اليّ يابن ام برأيك، فإن كنت الموت تريد تحملت إليك بني أبيك و ولد أخيك، فعشنا ما عشت و متنا معك، فو الله ما احبّ أن أبقى بعدك فوفا، فاقسم بالله الأعزّ الأجلّ، إن عيشا أعيشه في هذه الدنيا بعدك لعيش غير هنيء و لا مرء و لا نجيح، و السلام.

فأجابه على عليه السلام: أما بعد، كلأنا الله و إياك كلاءة من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد، فقد قدم على عبد الرحمن بن عبيد الأزدى بكتابك تذكر أنك لقيت ابن أبي سرح مقبلا من قديد في نحو أربعين شابا من أبناء الطلقاء، و أنك تنبىء عن ابن أبي سرح طالما كاد الله و رسوله و كتابه، و صدّ عن سبيله و بغاها عوجا، فدع ابن أبي سرح عنك، و دع قريشا و تركاضهم في الضلال و تجوالهم في الشقاق، فإن قريشا قد أجمعت على حرب أخيك، إجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه و آله قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقّه و جحدوا فضله، و كادوه بالعداوة و نصبوا و جهدوا عليه كلّ الجهد، و سألوا إليه جيش الامرين، اللهم فاجز عني قريشا الجوازي، فقد قطعت رحمي و تظاهرت عليّ، و الحمد لله على كلّ حال، و أما ما ذكرت من غارة الضحّاك بن قيس على الحيرة، فهو أقلّ و أدلّ من أن يقرب من الحيرة، و لكنّه جاء في بريدة فأخذ على السماوة، و مرّ بواقصة و شراف و ما و إلى ذلك الصقع، فسرّحت إليه جيشا كثيفا من المسلمين، فلما بلغه ذلك جاز هاربا فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق، و قد أمعن في السير و قد طفلت الشمس للإياب فاقتتلوا، و أما ما سألت عنه أكتب إليك فيه رأيي قتال المحلين حتى ألقى الله، لا يزيدني كثرة الناس حولي عزّة

^{١٤٧٩} (١) الأغاني ١٦: ٢٦٦.
^{١٤٨٠} (٢) الأغاني ١٦: ٢٦٨.

ص: ٦١١

و لا تفرّقهم عني وحشة، لأنني محقّ و الله مع المحقّ و أهله، و ما أكره الموت على الحق، و ما الخير كلّه إلّا بعد الموت لمن كان محقا، و أمّا ما عرضته علىّ من مسيرك إلىّ ببني أبيك و ولد أخيك فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشدا مهديا، فو الله ما أحبّ أن تهلكوا معي إن هلكت، و لا تحسبنّ ابن أبيك لو أسلمه الزمان و الناس متضرّعا متخشعا، و لكن أقول كما قال أخو بني سليم:

صبور على ريب الزمان صليب

فإن تسأليني كيف أنت فإنني

فيشمت باغ أو يساء حبيب

يعزّ عليّ أن ترى بي كآبة

و أوّل من خلط - في ما أعلم - إبراهيم الثقفي في (غاراته)^{١٤٨١} فقال، كما في (ابن أبي الحديد) (٨٣): فعند ذلك - أي: قتل الخوارج، و وقوع الاختلاف بين أصحابه - دعا معاوية الضحّاك بن قيس الفهري، و قال له: سر حتى تمرّ بناحية الكوفة و ترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة عليّ فأغر عليه، و إن وجدت له مسلحه أو خيلا فأغر عليها، و إذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى - إلى أن قال - فأقبل الضحّاك فنهب الأموال و قتل من لقي من الأعراب، حتى مرّ بالنعليّة فأغار على الحاج فأخذ أمتعتهم، ثمّ أقبل عمرو بن عميس - ابن أخى عبد الله بن مسعود - فقتله في طريق الحاج عند القطقانة و قتل معه ناسا من أصحابه - إلى أن قال - قال: و كتب في هذه الوقعة عقيل إلى أخيه

و يمكن أن يكون هو المفهوم من (الأغاني) حيث ذكره في العنوان المتقدم، و يحتمل بعيدا أن يكون ذكره لوقوع الضحّاك في خبره الأوّل مع بسر، فذكره تنميما.

و كيف كان، فكتاب عقيل و كتابه عليه السّلام يشهدان أنّه كان في أوّل خلافته

ص: ٦١٢

قبل الجمل، و أمّا بعد النهروان فلم يختصّ اللّحوق بمعاوية بأبناء الطلقاء، بل كان كثير من أصحابه عليه السّلام يلحقون به و يقاتبونه، لمّا يرون من ضعف أمره عليه السّلام و قوّة أمر معاوية، و لأنّ بعد التحكيم كان له أثر عظيم فأغار على مسالحه و أغار على الحاج، و قتل عمرو بن عميس و ناسا من أصحابه، حتى خرج عليه السّلام إلى الناس و قال: يا أهل الكوفة، أخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس و إلى جيوش لكم قد اصيب منهم طرف، أخرجوا فقاتلوا عدوكم و امنعوا حريمكم ان كنتم فاعلين. فردوا عليه عليه السّلام ردا ضعيفا و رأى منهم عجزا و فشلا، فقال: و الله وددت أن لي بكل ثمانية منكم

^{١٤٨١} (١) الغارات للثقفي ٢: ٤٢١.

رجلا، ويحكم أخرجوا معي ثم فروا عني ما بدا لكم، فوالله ما أكره لقاء ربي على نيتي و بصيرتي، و في ذلك روح لي عظيم و فرج من مناجاتكم و مقاساتكم. ثم نزل فخرج يمشي حتى بلغ الغريين.

قال النقي^{١٤٨٢}: روى ذلك إبراهيم بن مبارك البجلي عن أبيه عن بكر بن عيسى عن أبي روق عن أبيه - كما في (ابن أبي الحديد) - فكيف يقول عليه السلام في جواب عقيل ما قال من عدم أثر للضحك؟

قوله عليه السلام: «فسرحت» أي: أرسلت.

«إليه» إلى الضحك.

«جيشا كثيفا» أي: غليظا.

«من المسلمين» و مفهومه أن معاوية و أصحابه لم يكونوا من المسلمين، و قد عرفت من رواية الطبري أنه عليه السلام سرح إليه حجر بن عدى في أربعة آلاف.

«فلما بلغه ذلك» أي: تعاقب جيش منه عليه السلام له.

«شمر» أي: رفع ذيله.

ص: ٦١٣

«هاربا» أي للفرار.

«و نكص» أي: رجع على عقبيه.

«نادما فلاحقوه ببعض الطريق» في تدمر.

«و قد طفلت» أي: مالت.

«الشمس للإياب» أي: الغياب، قال الجوهري: آبت الشمس: لغت في (غابت الشمس). فلا يحتاج إلى ما طوله ابن أبي الحديد^{١٤٨٣} فقال: للإياب، أي: للرجوع إلى ما كانت عليه في الليلة قبلها. يعني غيبتها تحت الأرض، و هذا الخطاب إنما هو على قدر أفهام العرب، كانوا يعتقدون أن الشمس مقرها تحت الأرض، و أنها تخرج كل يوم فتسير على العالم ثم تعود إلى منزلها، كما يأوي الناس إلى منازلهم

^{١٤٨٢} (١) الغارات للنقي ٢: ٤٢٣.

^{١٤٨٣} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٩.

«فاقتتلوا شيئاً كلاً و لا» كناية عن القصر، قال ابن هانئ المغربي - على نقل ابن ميثم^{١٤٨٤}:-

و أسرع في العين من لحظة
و أقصر في السمع من لا و لا

و لكن ابن أبي الحديد^{١٤٨٥} نقله: «من لا و ذا» و هو الأصح، قال الطرمّاح:

كذا و كلاً إذا حبست قليلاً
تعللها بمسود الدرين

قال في (الأساس): أي كان قليلاً مثل هذه الكلمة.

و قال الجوهري: قال الكميت:

كلاً و كذا تغميضاً ثم هجتم
لدى حين أن كانوا إلى النوم أفقرا

أي: كان نومهم في القلة و السرعة، كقول القائل: «لا» و «ذا».

ص: ٦١٤

و ممّا قيل في الاستقصار قول الصولي:

كوميض برق عرض فأسرع، و لمع فأطمع، حتى انحسرت مغاربه، و أيقن مطالبه. لا ملاذ و لا وزر، و لا مورد و لا صدر.

«فما كان» أي: القتال.

«إلّا كموقف ساعة حتى نجا» أي: الضحّاك.

«جريضا» أي: مبتلعا ريقه على هم و حزن، قال امرؤ القيس:

^{١٤٨٤} (٢) شرح ابن ميثم ٥: ٧٧.
^{١٤٨٥} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٨.

و لو أدركنه صفر الوطاب

و أفلتهن علباء جريضا

و قال رؤبة:

ماتوا جوى و المفلتون جرضى

أصبح أعداء تميم مرضى

«بعد ما اخذ منه بالمخنق»- بالتشديد-: موضع الخناق من العنق.

«و لم يبق منه غير الرمق» أى: بقية الروح.

«فلأيا بلأى» أى: شدة مختلطة بشدة.

«ما نجا» يمكن أن تكون ما مصدرية- أى: نجاته- و أن تكون وصفا للآى، أى: بلأى عظيم.

و كيف كان، يجاء ب (ما) هذه بعد لأى غالبا، ففى (الجمهرة) يقولون: بعد لأى ما عرفته.

و فى (الأساس) قال الشاعر:

على ظهر محبوب شديد مراكله

فلأيا بلأى ما حملنا غلامنا

هذا، و قال ابن أبى الحديد^{١٤٨٦}: قد تقدم ذكر هذا الكتاب فى اقتصاصنا ذكر بسر بن أرطاة و غاراته على اليمن فى أول الكتاب.

ص: ٦١٥

و قال الراوندى^{١٤٨٧}: «هذه القصة و هذا الهارب جريضا و بعد لأى ما نجا هو معاوية، و قيل: إن معاوية بعث امويّا فهرب على هذه الحال، و الأول أصح» و هذا مضحك و ما وددت له شرح الكتاب.

^{١٤٨٦} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٦: ١٤٩.
^{١٤٨٧} (١) ٣: ١٢٥.

قلت: و كما أنّ الراوندى و هم، هو أيضا و هم، فالعنوان غير مربوط ببسر بل بالضحّاك - كما عرفت - و غارة بسر على اليمن
مذكورة فى (٢٤ - ١) النهج، و لم يذكر فيه شيئا مربوطا بالعنوان، و إنّما ذكر قصة الضحّاك و كتاب عقيل إليه عليه السّلام و
جوابه فى العنوان (٢٨) و قلنا ثمة: إنّهم أيضا فى كون ذاك العنوان فى الضحّاك، مع أنّه كان فى طلب الشخص إلى
معاوية ثانيا.

هذا، و ابن ميثم لم يتفطن فتوقّف.

هذا، و ذكرنا غارة هيت فى (١٣) فى فصل آداب الحرب فى عنوان «و من كتاب له عليه السّلام إلى كميل الراوندى».

ص: ٦١٧

فهرس المطالب

العنوان

رقم الصفحة

تتمّة الفصل الثلاثون - فى بيعته عليه السّلام

العنوان ١٤ من الحكمة ٣٢١: «... لك أن تشير علىّ و أرى فإن عصيتك فأطعنى ...» ١

العنوان ١٥ من الخطبة ٢١٢: «اللهمّ أيما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة ٥

الفصل الواحد و الثلاثون - فى الجمل و هم النّاكثون ٩

العنوان ١ الحكمة ١٠٧: «ربّ عالم قد قتله جهله و علمه معه لا ينفعه ...» ١١

العنوان ٢ من الخطبة ١٤٨: «... كلّ واحد منهما يرجو الأمر له ...» ١٤

العنوان ٣ من الخطبة ٦: «... و الله لا أكون كالضّبع تنام على طول اللّدم ...» ٢٣

العنوان ٤ من الخطبة ٣١: «... لا تلقينّ طلحة، فإنّك إن تلقه تجده كالثور ...» ٣١

العنوان ٥ من الخطبة ١٦٩: «إنّ الله بعث رسولا هاديا بكتاب ناطق ...» ٤٠

العنوان ٦ من الخطبة ١٧٢: «... فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم ...» ٤٦

- من الخطبة ٢١٨: «... فقدموا على عمالي بها و خزان بيت مال المسلمين ...» ٤٦

العنوان ٧ من الكتاب ٥٧: «... أما بعد، فإنني خرجت من حيي هذا أما ظالما ...» ٦٣

العنوان ٨ من الخطبة ٦٣: «... من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله ...» ٦٨

العنوان ٩ من الخطبة ١٧٠: «... أرايت لو أن الذين وراءك بعثوك رائدا ...» ٨٤

العنوان ١٠ من الخطبة ١٥٦: «... فمن استطاع عند ذلك أن يعتقل نفسه ...» ٩٤

العنوان ١١ من الخطبة ٢١٩: «... لقد أصبح أبو محمد بهذا المكان غريبا ...» ١٤٤

العنوان ١٢ من الخطبة ١٢: «... أهوى أخيك معنا؟ ...» ١٦٥

العنوان ١٣ من الخطبة ٩: «... وقد أرددوا وأبرقوا، ...» ١٧٢

العنوان ١٤ من الخطبة ١١٨: «... أنتم الأنصار على الحق ...» ١٧٨

العنوان ١٥ من الكتاب ٢٩: «... وقد كان من انتشار حبلكم و شقاقكم ...» ١٨١

ص: ٦١٨

الفصل الثاني و الثلاثون - في القاسطين و ما يتعلّق بصفيّ ١٨٩

العنوان ١ من الكتاب ٨: «... أما بعد فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية ...» ١٩١

العنوان ٢ من الخطبة ٤٨: «الحمد لله كلّما وقب ليل و غسق ...» ١٩٤

العنوان ٣ من الكتاب ١٠: «... و كيف أنت صانع إذا تكشّفت عنك ...» ٢٠١

العنوان ٤ من الخطبة ٥١: «... قد استطعموكم القتال، فأقروا على مذلة ...» ٢١٤

العنوان ٥ من الخطبة ٢٦: «... و لم يبايع حتى شرط أن يؤتیه على البيعة ثمنا ...» ٢٢٤

العنوان ٦ من الكتاب ١٧: «... فأما طلبك إلى الشّام فأنّي لم أكن لأعطيك ...» ٢٣٠

العنوان ٧ من الخطبة ٥٥: «... أما قولكم أكل ذلك كراهية الموت؟ ...» ٢٦٥

العنوان ٨ من الخطبة ٢٤: «و لعمرى ما علىّ من قتال من خالف الحقّ...» ٢٧٧

العنوان ٩ من الخطبة ١٠٥: «و قد رأيت جولتكم و انحيازكم عن صفوفكم...» ٢٧٩

العنوان ١٠ من الخطبة ١٨٠: «ألا أنّه قد أدبر من الدّنيا ما كان مقبلا...» ٢٨٦

العنوان ١١ من الحكمة ٣٢٢: «... أ تغلبكم نساؤكم على ما أسمع!...» ٣٠٩

العنوان ١٢ من الخطبة ٢٠٦: «... أيّها النّاس أنّه لم يزل أمرى معكم...» ٣١٣

الفصل الثالث و الثلاثون - فى المارقين ٣٢١

العنوان ١ من الخطبة ٣٥: «الحمد لله و ان أتى الدهر بالخطب الفادح...» ٣٢٣

العنوان ٢ من الخطبة ١٢٣: «... فإن أبيتّم أن تزعموا إلّا أنّى أخطأت...» ٣٣٧

- من الخطبة ١٧٥: «... فاجمع رأى ملتكم على أن اختاروا رجلين...» ٣٣٨

العنوان ٣ من الخطبة ١٢٣: «... إنّنا لم نحكم الرّجال، و إنّما حكّمنا القرآن...» ٣٦٢

العنوان ٤ من الخطبة ١٢٠: «... أكلّكم شهد معنا صفّين؟...» ٣٧١

العنوان ٥ من الخطبة ١١٩: «... هذا جزاء من ترك العقدة...» ٣٨٠

العنوان ٦ من الخطبة ٤٠: «... كلمة حقّ يراد بها الباطل...» ٣٩٧

- من الحكمة ١٩٨: «... كلمة حقّ يراد بها باطل...» ٣٩٨

- من الحكمة ٣٣٢: «السّلطان وزعه الله فى أرضه» ٣٩٨

العنوان ٧ من الخطبة ١٨٢: «... اسكت قبحك الله يا أثرم!...» ٤١١

العنوان ٨ من الحكمة ٩٧: «نوم على يقين خير من صلاة فى شكّ...» ٤١٥

العنوان ٩ من الخطبة ٧٧: «... لا تخاصمهم بالقرآن...» ٤١٩

العنوان ١٠ من الخطبة ١٩٠: «... ألا و قد أمرنى الله بقتال أهل البغى...» ٤٣٦

الفصل الرابع و الثلاثون: فى ما يتعلّق بالغارات ٤٥١

العنوان ١ من الخطبة ٢٥: «... ما هى إلّا الكوفة، اقبضها و ابسطها...» ٤٥٣

العنوان ٢ من الخطبة ١١٧: «... أ مخرسون أنتم؟...» ٤٨٥

العنوان ٣ من الخطبة ٢٧: «أما بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة...» ٤٩١

– من الحكمة ٢٦١: «... ما تكفوننى أنفسكم، فكيف تكفوننى غيركم؟...» ٤٩٢

العنوان ٤ من الخطبة ٣٤: «... افّ لكم سئمت عتابكم...» ٥١٦

العنوان ٥ من الخطبة ٢٩: «أيّها النّاس المجتمعة أبدانهم...» ٥٣٥

العنوان ٦ من الخطبة ٣٩: «... منيت بمن لا يطيع إذا امرت...» ٥٥٢

العنوان ٧ من الخطبة ١٧٨: «... أحمد الله على ما قضى من أمر...» ٥٦١

العنوان ٨ من الخطبة ٦٦: «... و قد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة...» ٥٧٠

العنوان ٩ من الخطبة ٣٥: «أما بعد، فإنّ مصر قد افتتحت و...» ٥٨٠

العنوان ١٠ من الخطبة ٦٧: «كم أداريكم كما تدارى البكار العمدة...» ٥٨٣

العنوان ١١ من الخطبة ٩٥: «... و لئن أمهل الظّالم فلن يفوت أخذه...» ٥٩٣

العنوان ١٢ من الكتاب ٣٦: «... فسرّحت إليه جيشا كثيفا من المسلمين...» ٦٠٥